التَّسهيل لِتأويل التَّنزيل

تفسير

جزء عم

في سؤال وجواب

الجزء الأول

من سورة النبأ إلى سورة التين

تأليف

أبي عبد الله مصطفى بن العدوي

بسم الله الرحمن الرحيم

التَّسْهِيلُ لِتَأْوِيلِ التَّنْزِيلِ

الطبعة الثانية

١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٣ م

رقم الإيداع بدار الكتب المصرية

٨٣٦٤ / ١٩٩٧

الناشر

مكتبة مكة

طنطا : ١٠ ش طه الحكيم أمام استوديو فينوس

ت: ٠٤٠٣٣٤٥٧٤٥ - ٠١٢٣٤٨٩٨٥٣

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمـــة

إن الحمد للَّه نحمده ونستعينه ونستغفره ونستهديه ، ونعوذ باللَّه من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا ، من يهده اللَّه فلا مضل له ، ومن يضلل فلا هادي له ، وأشهد ألا إله إلا اللَّه وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله .

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلا تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴾ [آل عمران: ١٠٢] .

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيباً ﴾[النساء: ١] .

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيداً ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزاً عَظِيماً ﴾ [الأحزاب: ٧٠، ٧١] .

وبعد .. فإن أصدق الحديث كتاب اللَّه وخير الهدي هدي محمد

ﷺ ، وشر الأمور محدثاتها ، وكل محدثة بدعة ، وكل بدعة ضلالة ، وكل ضلالة في النار . . . **أما بعد** :

فبين أيدينا تفسير جزء عم في صورة سؤال وجواب ، قدمته ضمن مشروعي العام (تفسير القرآن في سؤال وجواب)الموسوم بـ (التسهيل لتأويل التنزيل) راجيًا من اللَّه سبحانه وتعالى أن ينفعني به وإخواني المؤمنين وأخواتي المؤمنات في الدنيا والآخرة .

● وقد قدمت الخطة العامة لهذا العمل في الأجزاء الأُول التي تناولت فيها سورة الفاتحة والبقرة وآل عمران .

● هذا ويتسم (جزء عم)على وجه الخصوص ـ وقد جمع بين أول سورة نزلت من القرآن (وهي العلق) وآخر سورة نزلت كاملة وهي (النصر) ـ بأنه تعرض في أكثر سورهِ لذكر البعث واليوم الآخر ، ومقدماتهما من الموت وأشراط الساعة العظمى وأيضًا ما يتعلق بالجنان وأهلها ـ جعلنا اللَّه منهم ـ وما يتعلق بالنار أجارنا اللَّه منها وأعاذنا .

● وقد أفردت في هذا الجزء صفحات لعدة مباحث فقهية أيضًا تتعلق بسور هذا الجزء حتى لا يخلو الكتاب من الفوائد الفقهية لمريدها ومُبتغيها .

● هذا وقد اقتصرت على الصحيح من أسباب النزول وتركت جملة أسبابٍ للنزول أوردها المفسرون في تفاسيرهم لضعف أسانيدها .

وقد اتجهت إلى الإسهاب كلما احتاج الأمر إلى إسهاب واختصرت كلما احتاج الأمر إلى اختصار ، وأوردت عدة معاني للكلمة

الواحدة التي تحتمل تعدد المعاني .

هذا ، وما كان من صواب في هذا الكتاب فمن اللَّه وحده سبحانه وتعالىٰ فمنه النعم وله الفضل وله الثناء الحسن ، وهو أعلم بكتابه وأعلم بتأويله وما توفيقي إلا باللَّه ، وما كان من خطإ فمن نفسي ومن الشيطان واللَّه ورسوله بريئان من ذلك ، وشكر اللَّه لمن أسدىٰ إلينا وللمسلمين نصحًا وستر لنا عيبًا ونصح للَّه ورسوله ، وصلِّ اللهم وسلم وبارك علىٰ سيدنا محمد وعلىٰ آله وصحبه وسلم .

كتبه أبو عبد اللَّه

مصطفى بن العدوي شلباية

مصر ـ الدقهلية ـ منية سمنود



سُورَةُ النَّبَإِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ ﴿١﴾ عَنِ النَّبَإِ الْعَظِيمِ ﴿٢﴾ الَّذِي هُمْ فِيهِ مُخْتَلِفُونَ ﴿٣﴾
كَلَّا سَيَعْلَمُونَ ﴿٤﴾ ثُمَّ كَلَّا سَيَعْلَمُونَ ﴿٥﴾ أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ مِهَادًا ﴿٦﴾
وَالْجِبَالَ أَوْتَادًا ﴿٧﴾ وَخَلَقْنَاكُمْ أَزْوَاجًا ﴿٨﴾ وَجَعَلْنَا نَوْمَكُمْ سُبَاتًا
﴿٩﴾ وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ لِبَاسًا ﴿١٠﴾ وَجَعَلْنَا النَّهَارَ مَعَاشًا ﴿١١﴾ وَبَنَيْنَا
فَوْقَكُمْ سَبْعًا شِدَادًا ﴿١٢﴾ وَجَعَلْنَا سِرَاجًا وَهَّاجًا ﴿١٣﴾ وَأَنْزَلْنَا
مِنَ الْمُعْصِرَاتِ مَاءً ثَجَّاجًا ﴿١٤﴾ لِنُخْرِجَ بِهِ حَبًّا وَنَبَاتًا ﴿١٥﴾ وَجَنَّاتٍ
أَلْفَافًا ﴿١٦﴾

س ـ اذكر معاني هذه الكلمات :

عمَّ ـ يتساءلون ـ النبأ ـ مهادًا ـ أوتادًا ـ سباتًا ـ سراجًا وهاجًا ـ المعصرات ـ ثجاجًا ـ حبًّا ـ نباتًا ـ جنات ـ ألفافًا .

ج

الكلمة	معناها
عـــمَّ	عن ماذا ـ عن أي شيء
يتساءلون	يسأل بعضهم بعضًا
النبـــأ	الخبر

الكلمة	معناها
مهـــادًا	ممهدة للخلائق ـ مستوية كفراش الطفل ـ مبسوطة مذللة للخلائق ثابتة وساكنة
أوتـــادًا	جمع وتد[١] وهو الشيء الذي يدق في الأرض وتُربط فيه الأشياء
سباتًـــا	السُّبات : السكون والراحة
سراجًـــا	المراد به هنا الشمس
وهاجًـــا	مضيئًا ـ منيرًا ـ متلألأ[٢]
المعصرات	السُّحب
ثجاجًـــا	منصبًّا كثيرًا متتابعًا ـ والثج : هو الصب الكثير المتتابع[٣]

(١) المراد أن الجبال للأرض كالأوتاد للأشياء ، فكما أن الشيء يربط في الوتد فكذلك جعل اللّه الجبال أوتادًا للأرض أرساها بها وثبتها وقررها وسكنها فسكنت ولم تضطرب .

(٢) فالمعنى : وجعلنا شمسًا مضيئة متلألئة .

ومن العلماء من قال: نبه بقوله: (سراجًا) على نعمته على عباده بنورها وضوئها ، ونبه بقوله: (وهاجًا) على نعمته بحرارتها لما في حرارتها من المنافع في كثير من الأحيان .

(٣) ومنه ما روي عن النبي ﷺ «أفضل الحج العج والثج» أخرجه الترمذي (٢٩٩٨) ، وابن ماجة (٢٨٩٦) من حديث ابن عمر مرفوعًا ، وفي إسناده إبراهيم بن يزيد الخوزي وهو متروك ـ وله طرق أخرىٰ مرفوعة إلى النبي ﷺ لكنها ضعيفة ، انظر «تلخيص الحبير» (٢/ ٢٤٠) وقد روي موقوفًا بإسناد صحيح عن ابن عباس عند ابن أبي شيبة في «المصنف» .

ويعني بالثج : كثرة صب دماء الهدي والبدن ، ومنه قول الصحابية التي استحيضت ـ تصف =

الكلمة	معناها
حبًّـــا	الحب هو : ما يقتات به كالحنطة والشعير ونحوهما
نباتًـــا	النبات هو : ما تأكله الدواب من الحشيش والتبن والكلأ وسائر النبات
جنـــات	بساتين وحدائق ، وقال بعض العلماء : إن المراد بقوله تعالىٰ : ﴿وجنات﴾ أي : ثمر جنات
ألفافًـــا	ملتفة ـ مجتمعة[1]

❊ ❊ ❊

س ـ ما معنىٰ قوله تعالىٰ : ﴿عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ﴾ ؟ وما المراد من الاستفهام هنا ؟

ج : معناها ـ واللَّه أعلم ـ : عن أي شيء يسأل بعضهم بعضًا ، وأصل (عم) عن ما ، فحذفت الألف للاستفهام كقوله: (فيم ، مِمَّ) ، وأدغمت النون في الميم ومعنىٰ قوله تعالىٰ : ﴿يَتَسَاءَلُونَ﴾ يسأل بعضهم بعضًا .

= قدر دمها ـ : (إنما أثج ثجًا) أخرجه أحمد (٦/ ٤٣٩) ، وأبو داود (٢٨٧) ، والترمذي في «الطهارة» (باب ٩٥) ، وابن ماجه (٦٢٢) من حديث حمنة بنت جحش رضي اللَّه عنها وفي إسناده عبد اللَّه بن محمد بن عقيل والراجح ضعفه .

(١) **نقل الطبري إجماع أهل التأويل علىٰ أن ألفافًا معناه ملتفة** ، وأورد بإسنادين يصح أحدهما بالآخر عن قتادة أن معناه : التف بعضها علىٰ بعض ، ونحوه بإسناد صحيح عن ابن زيد .

● والتساؤل أحيانًا يطلق على الحديث والكلام وإن لم يكن هناك سؤال ، قال اللَّه تعالى : ﴿ فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ ﴿٥٠﴾ قَالَ قَائِلٌ مِّنْهُمْ إِنِّي كَانَ لِي قَرِينٌ .... ﴾[1] [الصافات: ٥٠، ٥١] .

● أما المراد من الاستفهام تعظيم الأمر الذي يتساءلون عنه ، وليس المراد ـ واللَّه أعلم ـ حقيقة الاستفهام ، وذلك لأن اللَّه سبحانه يعلم الذي يتساءلون عنه .

* * *

س ـ من هم الذين يتساءلون ؟

ج : الذين يتساءلون هم المشركون ، وقيل : الناس .

ومستند القائلين بأن الذين يتساءلون هم المشركون هو التهديد الوارد لهم في قوله تعالى : ﴿ كَلَّا سَيَعْلَمُونَ ﴿٤﴾ ثُمَّ كَلَّا سَيَعْلَمُونَ ﴾ [النبأ: ٤، ٥] والتهديد لا يكون إلا للكفار .

لكن يوجه للقائلين بهذا الرأي سؤال ، وهو: إن اللَّه قال: ﴿ الَّذِي هُمْ فِيهِ مُخْتَلِفُونَ ﴾ [النبأ: ٣] فهل كان الكفار مختلفين في أمر البعث ؟ فالمعهود أنهم ينكرون البعث ؟ ! فيُجاب على هذا السؤال بأن من

---

(١) وقد يكون هذا مضمن لمعنى السؤال أيضًا بمعنى أن بعضهم أقبل يسأل بعضًا عن قرينه الذي كان يقول له : ﴿ أَئِنَّكَ لَمِنَ الْمُصَدِّقِينَ ﴿٥٢﴾ أَئِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا أَئِنَّا لَمَدِينُونَ ﴾ [الصافات: ٥٢، ٥٣] أين ذهب به . . ﴿ فَاطَّلَعَ فَرَآهُ فِي سَوَاءِ الْجَحِيمِ ﴾ [الصافات: ٥٥] (أي : في وسط الجحيم) .

الكفار من كان يثبت المعاد الروحاني وهم جمهور النصارىٰ ، وأما المعاد الجسماني فمنهم من كان شاكًّا فيه كما قال : ﴿وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً وَلَئِن رُّجِعْتُ إِلَىٰ رَبِّي إِنَّ لِي عِندَهُ لَلْحُسْنَىٰ﴾ [فصلت: ٥٠] وكقولهم : ﴿إِن نَّظُنُّ إِلاَّ ظَنًّا وَمَا نَحْنُ بِمُسْتَيْقِنِينَ﴾ [الجاثية: ٣٢] وكما قال الآخر : ﴿وَلَئِن رُّدِدتُّ إِلَىٰ رَبِّي لأَجِدَنَّ خَيْراً مِّنْهَا مُنقَلَبًا﴾ [الكهف: ٣٦] فمنهم من كان شاكًّا في البعث ، ومنهم من كان جازمًا بعدم وقوعه كما قال تعالىٰ: ﴿وَقَالُوا إِنْ هِيَ إِلاَّ حَيَاتُنَا الدُّنْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ﴾ [الأنعام: ٢٩]، ﴿وَقَالُوا مَا هِيَ إِلاَّ حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلاَّ الدَّهْرُ﴾ [الجاثية: ٢٤] .

● أما وجه القائلين بأن الذي يتساءلون هم عموم الناس فيقال : إن المسلم يتساءل ليزداد بصيرة ويقينًا في دينه ، وأما الكافر فيسأل علىٰ سبيل السخرية والاستهزاء وإيراد الشكوك والشبهات .

* * *

س ـ ما هو الشيء الذي يتساءلون عنه ؟

ج : الذي يتساءلون عنه هو النبأ العظيم .

* * *

س ـ ما هو وجه إيراد قوله تعالىٰ : ﴿عَنِ النَّبَأِ الْعَظِيمِ﴾ [النبأ : ٢] ؟

ج : وجه إيراده : أنه إخبار من اللَّه تبارك وتعالىٰ لنبيه ﷺ عن الشيء الذي يتساءل عنه المشركون ، فالمعنىٰ : إذا سألت يا محمد عن

الشيء الذي يتساءل عنه المشركون فاعلم أنهم يتساءلون عن النبأ العظيم.

● ويحتمل أن يقال أيضًا : أتدري يا محمد عن أي شيء يتساءل هؤلاء المشركون ؟ (أي : يسأل بعضهم بعضًا) إنهم يتساءلون عن النبأ العظيم .

وهذه الآية نحو قوله تعالى : ﴿لِّمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ﴾ [غافر: ١٦] .

* * *

س ـ ما المراد بالنبأ العظيم ؟

ج : **قال بعض أهل العلم** : إن المراد بالنبأ العظيم (القرآن) وذلك لقول اللَّه تعالى : ﴿ قُلْ هُوَ نَبَأٌ عَظِيمٌ ﴿٦٧﴾ أَنتُمْ عَنْهُ مُعْرِضُونَ ﴾ [ص: ٦٧ ، ٦٨] .

وقال آخرون : إن المراد بالنبأ العظيم البعث بعد الموت [1] ، وذلك لأن اللَّه سبحانه وتعالى استدل عليهم بقوله : ﴿ أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ مِهَادًا ﴿٦﴾ وَالْجِبَالَ أَوْتَادًا ﴾ . . . إلى أن قال : ﴿ إِنَّ يَوْمَ الْفَصْلِ

---

(١) صح عن قتادة (عند ابن جرير الطبري) في قوله: ﴿عَنِ النَّبَإِ الْعَظِيمِ﴾ وهو البعث بعد الموت وكذلك صح عن ابن زيد (عند الطبراني أيضًا) أنه قال في قوله : ﴿عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ . . . ﴾ [النبأ: ١] قال يوم القيامة ، قال : قالوا هذا اليوم الذي تزعمون أنا نحيا فيه وآباؤنا ، قال : فهم فيه مختلفون ، لا يؤمنون به، فقال اللَّه: ﴿قُلْ هُوَ نَبَأٌ عَظِيمٌ ﴿٦٧﴾ أَنتُمْ عَنْهُ مُعْرِضُونَ﴾ [ص: ٦٧ ، ٦٨] يوم القيامة لا يؤمنون به .

كَانَ مِيقَاتًا ﴾ [النبأ: ٦ - ١٧] فذكرت براهين البعث والدلائل عليه ثم عقبها بقوله تعالى: ﴿ **إِنَّ يَوْمَ الْفَصْلِ كَانَ مِيقَاتًا** ﴾ [النبأ: ١٧] والله تعالى أعلم .

• **وثمَّ قول ثالث** : أن المراد بالنبأ العظيم نبوة محمد ﷺ لأنهم تعجبوا من بعثته ومجيئه بالتوحيد ، كما قال تعالى: ﴿ **وَعَجِبُوا أَن جَاءَهُم مُّنذِرٌ مِّنْهُمْ** ﴾ [ص: ٤] ، وكما حكى سبحانه مقالتهم : ﴿ .. **أَجَعَلَ الْآلِهَةَ إِلَٰهًا وَاحِدًا إِنَّ هَٰذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ** ﴾ [ص: ٥] .

* * *

س ـ ما هو وجه اختلافهم في النبأ العظيم ؟

ج : اختلاف الناس في النبأ العظيم على النحو التالي :

• إن حُمل ﴿ **النَّبَإِ الْعَظِيمِ** ﴾ [النبأ: ٢] على البعث ، فاختلاف الناس فيه بين مصدق بوقوعه وبين مكذب[1] .

• وإن فُسر (النبأ العظيم) بالقرآن ، فوجه اختلافهم فيه : فريق منهم يقول : إنه قول شاعر ، وفريق يقول : إنه قول كاهن ، وفريق يقول : هو من عند الله ، وفريق يقول : ﴿ **أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ اكْتَتَبَهَا فَهِيَ**

(١) أخرج الطبري بأسانيد تصح عن قتادة رحمه الله في قوله تعالى : ﴿ **الَّذِي هُمْ فِيهِ مُخْتَلِفُونَ** ﴾ [النبأ: ٣] : صار الناس فيه رجلان ، مصدق ومكذب ، فأما الموت فإنهم أقروا به كلهم لمعاينتهم إياه ، واختلفوا في البعث بعد الموت .

﴿ تُمْلَىٰ عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلاً ﴾ [الفرقان: ٥] ، . . . . . إلىٰ غير ذلك من الأقوال .

* * *

س ـ ما معنىٰ قوله تعالىٰ : ﴿ كَلاَّ ﴾ [النبأ: ٤] ؟

ج : ● **قال بعض العلماء:** إنها للردع والزجر[1]، والمعنىٰ هنا: ليس الأمر كما يزعم هؤلاء المشركون الذين ينكرون بعث اللَّه إياهم أحياء بعد مماتهم ، وليس الأمر كما يزعمون أن القرآن ليس من عند اللَّه .

● **وقال بعض أهل العلم: ﴿ كَلاَّ ﴾** لفظة وضعت لرد شيء قد تقدم .

● **وقال بعض أهل العلم :** إن **﴿ كَلاَّ ﴾** بمعنىٰ حقًّا .

* * *

س ـ قوله تعالىٰ : ﴿ سَيَعْلَمُونَ ﴾ [النبأ: ٤] **سيعلمون ماذا ؟ ومتىٰ سيعلمون ؟**

ج : ● سيعلمون أن البعث واقع لا محالة ، وكائن لا مفر منه ولا محيص عنه .

● وسيعلمون أيضًا أن القرآن حق وما أخبر به صدق وسيعلمون عاقبة تكذيبهم .

● أما متىٰ سيعلمون فسيعلمون عند موتهم واستخراج أرواحهم من

---

(١) في هذا دليل للقائلين بأن المختلفين هم الكفار .

أجسادهم ، وسيعلمون كذلك في قبورهم وسيعلمون عند خروجهم من القبور للحساب أيضًا ، والله تعالى أعلم .

* * *

س ـ ما فائدة التكرار في قوله تعالى : ﴿ ثُمَّ كَلاَّ سَيَعْلَمُونَ ﴾ [النبأ: ٥]؟

ج : • فائدته : التأكيد على وقوعه وإعلامهم بوقوعه .

• **ومن العلماء من قال** : ﴿ كَلاَّ سَيَعْلَمُونَ ﴾ [النبأ: ٤] أي : الكفار سيعلمون عاقبة تكذيبهم ، وقوله: ﴿ ثُمَّ كَلاَّ سَيَعْلَمُونَ ﴾ [النبأ: ٥] المؤمنون سيعلمون جزاء تصديقهم .

• **ومن العلماء من قال** : ويحتمل أن يريد بالأول سيعلمون وقوع الحشر والحساب والثاني سيعاينون العذاب إذا شاهدوه .

* * *

س ـ ما المراد بالأزواج في قوله تعالى : ﴿ وَخَلَقْنَاكُمْ أَزْوَاجًا ﴾ [النبأ: ٨] ؟

ج : • **قال بعض أهل العلم** : إن المراد بقوله تعالى : ﴿ أَزْوَاجًا ﴾ أي : ذكرانا وإناثًا ، وشاهده من التنزيل قوله تعالى : ﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِّتَسْكُنُوا إِلَيْهَا ... ﴾ [الروم: ٢١] وقوله تعالى : ﴿ وَأَنَّهُ خَلَقَ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالأُنثَىٰ ﴾ [النجم: ٤٥]،

● **ومن أهل العلم من قال** : إن معنىٰ أزواجًا : أصنافًا ، والمعنىٰ أيضًا : منكم الذكر ومنكم الأنثىٰ ومنكم الطويل ومنكم القصير ، ومنكم الدميم ومنكم الجميل ، ومنكم القوي ومنكم الضعيف ، ومنكم الغني ومنكم الفقير ، و . . و . . وهكذا ، واللَّه تعالىٰ أعلم .

س ـ ما المراد بكون اللَّيْلِ لِبَاسًا ؟ وما هو وجه الامتنان بجعل الليل لباسًا ؟

ج : المراد ـ واللَّه أعلم ـ : جعلناه لكم كاللباس فالليل يغشىٰ الناس بسواده وظلامه كما يغطي الثوب لابسه ، وذلك كقوله تعالىٰ : ﴿ **وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَاهَا** ﴾ [الشمس: ٤] ، وقيل : المراد باللباس هنا السَّكن واللَّه تعالىٰ أعلم .

ووجه الامتنان والإنعام في جعل الليل لباسًا أي : ساترًا يستر عن العيون : أن من أراد عبادة ربه حيث لا يراه أحد من الناس فليقم من الليل يصلي فالليل يستره عن عيون الناس ، ومن أراد هربًا من عدوٍّ أو تبييتًا لعدوٍ فالليل يصلح فيه ذلك كما قال تعالىٰ : ﴿ **إِلاَّ آلَ لُوطٍ نَّجَّيْنَاهُم بِسَحَرٍ** ﴾ [القمر: ٣٤] ، ومن أراد الراحة والستر علىٰ نفسه فيه ففيه الراحة والسكون والستر علىٰ النفس ، وأيضًا يندفع عن الشخص بالليل أذىٰ التعب الجسماني ، وأذىٰ انتقادات البشر له ، واللَّه أعلم .

* * *

س ـ ما المراد بكون النَّهَار مَعَاشًا ؟

ج : المراد ـ والله أعلم ـ : جعلناه وقتًا مهيئًا للمعاش فجعلناه مشرقًا منيرًا مضيئًا ليتمكن الناس من التصرف فيه والذهاب والمجيء للمعاش والتكسب والتماس الأرزاق وابتغاء الفضل من الله سبحانه وتعالى ، والله أعلم .

* * *

س ـ ما المراد بالسبع الشداد ؟ ولماذا وصفت بأنها شداد ؟

ج : المراد بالسبع الشداد : السموات السبع ، قال الله تعالى : ﴿ **وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ** ﴾ [الذاريات: ٤٧] ووصفت بأنها شداد ـ أي : قوية محكمة ـ لكونها لا تصدع فيها ولا انفطار ولا شقوق بل هي مشدودة بعضها لبعض محكمة قوية كما قال تعالى : ﴿ **وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْحُبُكِ** ﴾ [الذاريات: ٧] .

* * *

س ـ وضح معنى ﴿ الْمُعْصِرَاتِ ﴾ [النبأ: ١٤] بشيء من التفصيل ؟

ج : لأهل العلم في ذلك أقوال :

أحدها : أنها الرياح التي تعصر السحب بهبوبها ، وقد روى الطبري بإسناد صحيح إلى ابن زيد في قوله : ﴿ **وَأَنزَلْنَا مِنَ الْمُعْصِرَاتِ** ﴾ [النبأ: ١٤] قال : المعصرات : الرياح ، وقرأ قول الله : ﴿ **اللَّهُ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَاحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا ..** ﴾ [الروم: ٤٨] إلى آخر الآية .

وأورد الطبري أيضًا بإسناد حسن إلى قتادة قال : هي في بعض القراءات ﴿وأنزلنا بالمعصرات﴾ : الرياح .

الثاني : أنها السحب التي حملت بالماء وأوشكت أن تُمطر ، كالمرأة المعصر التي دنا حيضها ولم تحض .

الثالث : أنها السموات ، فقد أخرج الطبري بإسناد صحيح إلى الحسن قال : ﴿وَأَنزَلْنَا مِنَ الْمُعْصِرَاتِ﴾ [النبأ: ١٤] قال : من السماء .

وبإسناد يصح عن قتادة قوله : ﴿وَأَنزَلْنَا مِنَ الْمُعْصِرَاتِ﴾ قال : من السموات .

واختار ابن جرير الطبري رحمه الله القول القائل بأن المراد بالمعصرات السحاب ، وذلل على ذلك بما حاصله أن الرياح لا ماء فيها فلا يقال : وأنزلنا من الرياح .

وقال أيضًا ما حاصله : إنه وإن صح أن يقال وأنزلنا من السماء ماء ثجاجًا إلا أن الأغلب أن الماء إنما ينزل من السحاب ، والله تعالى أعلم .

* * *

براهين البعث :

س ـ ما هي براهين البعث المذكورة في هذه السورة ؟

ج : البراهين على البعث في هذه السورة أربعة ، وهي :

أ ـ **الاستدلال على البعث بخلق السموات والأرض** ، قال تعالى :

﴿أَلَمْ نَجْعَلِ الأَرْضَ مِهَادًا ﴿٦﴾ وَالْجِبَالَ أَوْتَادًا ﴿٧﴾ وَخَلَقْنَاكُمْ أَزْوَاجًا ﴿٨﴾ وَجَعَلْنَا نَوْمَكُمْ سُبَاتًا ﴿٩﴾ وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ لِبَاسًا ﴿١٠﴾ وَجَعَلْنَا النَّهَارَ مَعَاشًا ﴿١١﴾ وَبَنَيْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعًا شِدَادًا﴾ [النبأ: ٦ - ١٢] .

وهذا يدل على البعث فاللَّه عز وجل يقول : ﴿لَخَلْقُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ﴾ [غافر: ٥٧] .

٢ ـ **الاستدلال على البعث بإحياء الأرض بعد موتها** ، كما قال تعالى : ﴿وَأَنزَلْنَا مِنَ الْمُعْصِرَاتِ مَاءً ثَجَّاجًا ﴿١٤﴾ لِنُخْرِجَ بِهِ حَبًّا وَنَبَاتًا ﴿١٥﴾ وَجَنَّاتٍ أَلْفَافًا ﴿١٦﴾ إِنَّ يَوْمَ الْفَصْلِ كَانَ مِيقَاتًا﴾ [النبأ: ١٤ - ١٧] .

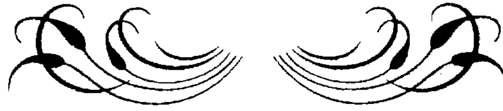
فإحياء الأرض بعد موتها دليل على البعث كما قال تعالى : ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنَّكَ تَرَى الأَرْضَ خَاشِعَةً فَإِذَا أَنزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ إِنَّ الَّذِي أَحْيَاهَا لَمُحْيِي الْمَوْتَى﴾ [فصلت: ٣٩] .

٣ ـ **الاستدلال على البعث بخلق الإنسان** ، قال تعالى : ﴿وَخَلَقْنَاكُمْ أَزْوَاجًا﴾ [النبأ: ٨] فالذي خلق الإنسان قادر على إعادته وإحيائه ، قال تعالى : ﴿ قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ ﴾ [يس: ٧٩] .

٤ ـ **الاستدلال على البعث بإحياء الموتى في الدنيا** كما قال تعالى : ﴿وَجَعَلْنَا نَوْمَكُمْ سُبَاتًا﴾ [النبأ: ٩] ، والنوم هو الموتة الصغرى ، وكان النبي ﷺ يقول إذا استيقظ من نومه : «**الحمد للَّه الذي أحيانا بعد ما أماتنا**

وإليه النشور»[١] .

فإحياء الأنفس بعد موتها من أدلة البعث، كما قال تعالى: ﴿ **فَقُلْنَا اضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا كَذَلِكَ يُحْيِي اللَّهُ الْمَوْتَى وَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ** ﴾ [البقرة: ٧٣] .



(١) أخرجه البخاري (مع «الفتح» ١١/١١٣) ، ومسلم (مع النووي ١٧/٣٥) من حديث حذيفة رضي اللَّه عنه مرفوعًا .

إِنَّ يَوْمَ ٱلْفَصْلِ كَانَ مِيقَـٰتًا ﴿١٧﴾ يَوْمَ يُنفَخُ فِى ٱلصُّورِ فَتَأْتُونَ أَفْوَاجًا ﴿١٨﴾ وَفُتِحَتِ ٱلسَّمَآءُ فَكَانَتْ أَبْوَٰبًا ﴿١٩﴾ وَسُيِّرَتِ ٱلْجِبَالُ فَكَانَتْ سَرَابًا ﴿٢٠﴾ إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتْ مِرْصَادًا ﴿٢١﴾ لِّلطَّـٰغِينَ مَـَٔابًا ﴿٢٢﴾ لَّـٰبِثِينَ فِيهَآ أَحْقَابًا ﴿٢٣﴾ لَّا يَذُوقُونَ فِيهَا بَرْدًا وَلَا شَرَابًا ﴿٢٤﴾ إِلَّا حَمِيمًا وَغَسَّاقًا ﴿٢٥﴾ جَزَآءً وِفَاقًا ﴿٢٦﴾ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ لَا يَرْجُونَ حِسَابًا ﴿٢٧﴾ وَكَذَّبُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا كِذَّابًا ﴿٢٨﴾ وَكُلَّ شَىْءٍ أَحْصَيْنَـٰهُ كِتَـٰبًا ﴿٢٩﴾ فَذُوقُوا۟ فَلَن نَّزِيدَكُمْ إِلَّا عَذَابًا ﴿٣٠﴾

س ـ اذكر معاني هذه الكلمات :

ميقاتًا ـ أفواجًا ـ سرابًا ـ مرصادًا ـ للطاغين ـ مآبًا ـ لابثين ـ أحقابًا ـ بردًا ـ حميمًا ـ غساقًا ـ وفاقًا ـ لا يرجون ـ كذابًا .

ج :

الكلمة	معناها
ميقاتًا	مؤقتًا بأجل معدودٍ لا يزاد عليه ولا ينقص منه ولا يعلم وقته إلا اللَّه ـ وقيل: ميقاتًا لاجتماع كل الخلائق ـ وقيل: ميقاتًا لما وعد اللَّه من الثواب والعقاب
أفواجًا	جماعات جماعات

الكلمة	معناها
سرابًا	السراب : هو ما يراه الرائي من بعيد فيحسبه ماءً وليس هو بشيء
مرصادًا	ذات رصد وترقب ـ رصد الشيء : ترقبه وتطلع إليه
للطاغين	الطاغون: هم الذين طغوا في الدنيا وتجاوزوا حدود اللَّه استكبارًا على اللَّه
مآبًا	مرجعًا ومنزلاً ومأوى[(١)]
لابثين	ماكثين
أحقابًا	الحقب : مدة زمنية طويلة[(٢)]
بردًا	هو ما يبرد أجوافهم وقلوبهم ، وقيل : هو برد الريح ، وقيل : المراد بالبرد : النوم[(٣)]، وقيل : لا يتنفسون هواءً باردًا يبرد أجوافهم
حميمًا	الحميم هو الشراب الذي انتهى حره وحموه وبلغ أعلى درجات حرارته

(١) روي الطبري بإسناد حسن عن قتادة قال : ﴿**للطاغين مآبًا**﴾ أي : منزلاً ومأوى .

(٢) وسيأتي الكلام عليه في سؤال مستقل .

(٣) قال الشاعر : **بردت مراشفها علي فصدني .. عنها وعن قبلاتها البرد**

قال الطبري رحمه اللَّه : والنوم إن كان يبرد غليل العطش فقيل له من أجل ذلك : البرد ، فليس هو باسمه المعروف ، وتأويل كتاب اللَّه على الأغلب من معروف كلام العرب دون غيره .

الكلمة	معناها
غساقًا	غسالة أهل النار[١] ـ ما يسيل من صديد أهل النار ـ وقيل : إنه الزمهرير ـ وقيل : هو المنتن
وفاقًا	موافقًا لأعمالهم[٢] ، كما قال تعالى : ﴿وجزاء سيئة سيئة مثلها﴾
لا يرجون	لا يخافون ـ لا يتوقعون
كذابًا	تكذيبًا كبيرًا

❊ ❊ ❊

س ـ ما المراد بيوم الفصل ؟ ولماذا أطلق عليه يوم الفصل ؟

ج : المراد بيوم الفصل : يوم القيامة ، وأطلق عليه يوم الفصل لأن اللَّه يفصل فيه بين خلقه بين المحسن والمسيء والمحق والمبطل

---

(١) صح عند الطبري عن إبراهيم وأبي رزين أنهما قالا : (غسالة أهل النار) ، وفي لفظ : ما يسيل من صديدهم ، وروى الطبري بإسناد حسن عن قتادة : ما يسيل من بين جلده ولحمه ، وقال الطبري رحمه اللَّه : الغساق الفعال ، من قولهم : غسقت عين فلان إذا سالت دموعها ، وغسق الجرح إذا سال صديده .

وصح عن ابن زيد عند الطبري أنه قال : الحميم : دموع أعينهم في النار يجتمع في خنادق فيسقونه ، والغساق : الصديد الذي يخرج من جلودهم مما تصهرهم النار في حياض يجتمع فيها فيسقونه .

(٢) روى الطبري بإسناد حسن عن قتادة قال : وافق الجزاء أعمال القوم أعمال السوء ، وروى الطبري بإسناد صحيح عن ابن زيد قال : عملوا شرًا فجزوا شرًا ، وعملوا حسنًا فجزوا حسنًا ثم قرأ : ﴿ثُمَّ كَانَ عَاقِبَةَ الَّذِينَ أَسَاؤُوا السُّوأَىٰ أَن كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ﴾ [الروم: ١٠] .

فيأخذ فيه من بعضهم لبعض .

❊ ❊ ❊

س ـ ما المراد بالصور ؟

ج : الصور هو قرن يُنفخ فيه .

ومن العلماء من قال : إن المراد بالصور الخَلق[١] .

❊ ❊ ❊

س ـ كيف تجمع بين قوله تعالىٰ : ﴿ وَكُلُّهُمْ آتِيهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَرْدًا ﴾ [مريم: ٩٥] ، وقوله تعالىٰ : ﴿ يَوْمَ يُنفَخُ فِي الصُّورِ فَتَأْتُونَ أَفْوَاجًا ﴾ [النبأ: ١٨] ؟

ج : الظاهر لي ـ واللَّه تعالىٰ أعلم ـ : أن إتيانهم أفواجًا[٢] إنما هو فور النفخ في الصور وعند خروجهم من القبور ، كما قال تعالىٰ : ﴿ وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَإِذَا هُم مِّنَ الْأَجْدَاثِ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يَنسِلُونَ ﴾ [يس: ٥١] ، وكما قال تعالىٰ : ﴿ يَوْمَ يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ سِرَاعًا كَأَنَّهُمْ إِلَىٰ نُصُبٍ

---

(١) أخرج الطبري بإسناد حسن عن قتادة ، قوله: ﴿ يَوْمَ يُنفَخُ فِي الصُّورِ ﴾ [النبأ: ١٨] والصور: الخلق ، والمراد على هذا التأويل بالنفخ في الصور نفخ الأرواح في الأجساد .

(٢) والمراد بإتيانهم أفواجًا ، أي : فوجٌ يتلوه فوج أو فوج معه فوج ، ومن العلماء من قال : إن المراد بالأفواج الجماعات المختلفة فمنهم فوج يحشر أعمىٰ ، كما قال تعالىٰ : ﴿ وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَىٰ ﴾ [طه: ١٢٤] ، ومنهم فوج يأتي أصم وأبكم وأعمىٰ كما قال تعالىٰ : ﴿ وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ عُمْيًا وَبُكْمًا وَصُمًّا ﴾ [الإسراء: ٩٧] ، ومنهم من يحشر أمثال الذر كالمتكبرين ، ومنهم من يحشر له لواء عند استه وهو الغادر .... إلىٰ غير ذلك من الأوصاف .

يُوفِضُونَ﴾ [المعارج: ٤٣] ، وكما قال تعالىٰ : ﴿خُشَّعًا أَبْصَارُهُمْ يَخْرُجُونَ مِنَ الأَجْدَاثِ كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُّنتَشِرٌ﴾ [القمر: ٧] .

• أما مجيئهم فرادىٰ فذلك عند لقاء اللّٰه للسؤال والحساب .

* * *

س ـ وضح معنىٰ قوله تعالىٰ : ﴿وَفُتِحَتِ السَّمَاءُ فَكَانَتْ أَبْوَابًا﴾ ؟

ج : معناه ـ واللّٰه أعلم ـ : أن السماء بعد أن كانت متماسكة ومحبوكة ومجتمع بعضها إلىٰ بعض كما قال تعالىٰ : ﴿وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْحُبُكِ﴾ [الذاريات: ٧] ، وليس فيها فروج ولا ثقوب كما قال تعالىٰ : ﴿أَفَلَمْ يَنظُرُوا إِلَى السَّمَاءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَاهَا وَزَيَّنَّاهَا وَمَا لَهَا مِن فُرُوجٍ﴾ [ق: ٦] ، وكما قال تعالىٰ: ﴿ فَارْجِعِ الْبَصَرَ هَلْ تَرَىٰ مِن فُطُورٍ ﴾ [الملك:٣]، بعد ذلك كله ويوم القيامة تتفتح السماء فتكون أبوابًا أي : طرقًا ومسالكَ [١] لنزول الملائكة كما قال تعالىٰ : ﴿وَيَوْمَ تَشَقَّقُ السَّمَاءُ بِالْغَمَامِ وَنُزِّلَ الْمَلائِكَةُ تَنزِيلاً﴾ [الفرقان: ٢٥] وكما قال تعالىٰ : ﴿وَانشَقَّتِ السَّمَاءُ فَهِيَ يَوْمَئِذٍ وَاهِيَةٌ﴾ [الحاقة: ١٦] .

وقال بعض أهل العلم : تقطعت السماء فكانت كالأبواب ، واللّٰه أعلم .

* * *

---

(١) ولكثرة هذه الأبواب وتلك الطرق والمسالك عُبر عن السماء كلها بأنها أبواب في قوله تعالىٰ : ﴿وَفُتِحَتِ السَّمَاءُ فَكَانَتْ أَبْوَابًا﴾ [النبأ: ١٩] ، وهذا كقوله تعالىٰ : ﴿وَفَجَّرْنَا الأَرْضَ عُيُونًا﴾ [القمر: ١٢] أي : كأنها كلها صارت عيونًا تتفجر .

س ـ وضح معنى قوله تعالى : ﴿وَسُيِّرَتِ الْجِبَالُ فَكَانَتْ سَرَابًا﴾ [النبأ: ٢٠] .

ج : أما السراب فهو الشيء الذي ينظر إليه الرائي من بعيد فيحسبه ماءً وليس هو بشيء ، وكذلك تكون الجبال فتصبح الجبال كالعهن ، وهو الصوف كما قال تعالى : ﴿وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ﴾ [المعارج: ٩] ، وكما قال سبحانه : ﴿وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ الْمَنفُوشِ﴾ [القارعة: ٥] ، وتزاح عن أماكنها كما قال تعالى : ﴿وَيَوْمَ نُسَيِّرُ الْجِبَالَ وَتَرَى الْأَرْضَ بَارِزَةً وَحَشَرْنَاهُمْ فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا﴾ [الكهف: ٤٧] ، وتنسف نسفًا كما قال تعالى: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْجِبَالِ فَقُلْ يَنسِفُهَا رَبِّي نَسْفًا ﴿١٠٥﴾ فَيَذَرُهَا قَاعًا صَفْصَفًا ﴿١٠٦﴾ لَا تَرَىٰ فِيهَا عِوَجًا وَلَا أَمْتًا﴾ [طه: ١٠٥ - ١٠٧] .

ويخيل إلى الرائي أن هذا جبل ولكن ليس ثمَّ جبال كما قال اللَّه تبارك وتعالى : ﴿وَتَرَى الْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ﴾ (١) [النمل: ٨٨] .

● **قال صديق حسن خان رحمه اللَّه** (٢): ذكر اللَّه سبحانه وتعالى أحوال الجبال بوجوه مختلفة ، ويمكن الجمع بينها بأن نقول :

أول أحوالها : الاندكاك وهو قوله : ﴿وَحُمِلَتِ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ فَدُكَّتَا دَكَّةً وَاحِدَةً﴾ [الحاقة: ١٤] .

---

(١) على بعض التأويلات .

(٢) «فتح البيان» (١٥/ ٣٥) .

• وثاني أحوالها : أن تصير كالعهن المنفوش ، كما في قوله : ﴿ وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ الْمَنفُوشِ ﴾ [القارعة: ٥] .

وثالث أحوالها : أن تصير كالهباء ، وهو قوله : ﴿ وَبُسَّتِ الْجِبَالُ بَسًّا ۝٥ فَكَانَتْ هَبَاءً مُّنْبَثًّا ﴾ [الواقعة: ٥، ٦] .

ورابع أحوالها : أن تنسف وتحملها الرياح ، كما في قوله : ﴿ وَتَرَى الْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ ﴾ [النمل: ٨٨] .

وخامس أحوالها : أن تصير سرابًا ، أي : لا شيء ، كما في هذه الآية .

قلت (مصطفى): ونظير هذا الكلام قد ذكره الرازي في «تفسيره» ، ولا دليل على هذا الترتيب ، والله أعلم .

* * *

س ـ وضح بشيء من التفصيل معنى قوله تعالى : ﴿ إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتْ مِرْصَادًا ﴾ [النبأ: ٢١] ؟

ج المعنى ـ والله أعلم ـ : أن جهنم تترقب أهلها وترصدهم فالناس يمرون عليها وهي تعرف أهلها فتحبسهم فيها ومن لم يكن من أهلها مرَّ عليها [1] وانصرف ، وذلك كالوارد في حديث المرور

(١) صح عن الحسن رحمه الله عند ابن جرير الطبري في قوله : ﴿ إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتْ مِرْصَادًا ﴾ [النبأ: ٢١] قال : لا يدخل الجنة أحدٌ حتى يجتاز النار . وروى الطبري أيضًا بإسنادٍ حسنٍ عن قتادة قال : قوله : ﴿ إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتْ مِرْصَادًا ﴾ [النبأ: ٢١] يُعلمنا أنه لا سبيل إلى الجنة حتى يقطع النار .

على الصراط[1] .

ويحتمل أيضًا أن يكون المعنى : أن جهنم تنتظر أهلها وتتهيأ لهم عياذًا بالله .

• **وأورد الرازي وجهًا آخر** وهو : أن مجاز المؤمنين وممرهم كان على جهنم لقوله تعالى : ﴿وَإِن مِّنكُمْ إِلاَّ وَارِدُهَا﴾ [مريم: ٧١] فخزنة الجنة يستقبلون المؤمنين عند جهنم ويرصدونهم عندها .

❊ ❊ ❊

س ـ ما المراد بالأحقاب في قوله تعالى : ﴿لابِثِينَ فِيهَا أَحْقَابًا﴾ [النبأ: ٢٣] ؟

ج : الأحقاب : جمع حُقْب وهو : المدة الزمنية ، قال موسى عليه السلام لفتاه : ﴿ لا أَبْرَحُ حَتَّىٰ أَبْلُغَ مَجْمَعَ الْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِيَ حُقُبًا ﴾ [الكهف: ٦٠] .

وقال الشاعر :

وعِشْنَا كنَدَمَانَيْ جَذِيمةَ حِقْبَةً ∴ من الدَّهْرِ حتى قيل لن يتصدعا [2]

---

(١) أخرجه البخاري (٨٠٦) ، ومسلم (١/ ١٦٣ ـ ١٦٤) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعًا وفيه : «.. **فيضرب الصراط بين ظهراني جهنم** ...» وفيه : «.. **وفي جهنم كلاليب تخطف الناس بأعمالهم فمنهم من يوبق بعمله ومنهم من يخردل ثم ينجو** ...» الحديث ، وقد قدمته بطوله في «التسهيل» (تفسير سورة البقرة) (١/ ٤٨٤ ـ ٤٨٥) عند بحث الشفاعة .

(٢) هذا من قصيدة متمم بن نويرة يرثي أخاه مالك بن نويرة ، وفيها :

وعشنا بخير في الحياة وقبلنا ∴ أصاب المنايا رهط كسرى وتُبَّعا

وكُنا كنَدَمَانَيْ جذِيمةَ برهةً ∴ من الدهر حتى قيل لن يتصدعا

واختلف في تحديد هذه المدة الزمنية ، فروى الطبري بإسناد حسن عن قتادة أنه قال : قال الله : ﴿لابِثِينَ فِيهَا أَحْقَابًا﴾ [النبأ: ٢٣] وهو ما لا انقطاع له ، كلما مضى حقب جاء حقب بعده ، وذكر لنا أن الحُقب ثمانون سنة .

وقال آخرون من العلماء : إن الحقب سبعون ألف سنة .

وقال آخرون : هو ثلاثمائة سنة ، وقيل غير ذلك ، والله أعلم .

* * *

بقاء النار وبيان أنها لا تفنى :

س ـ هل في هذه الآية الكريمة دليل على فناء النار ؟ فقد يقول قائل: إن الآية الكريمة تفيد أن الكفار يلبثون في النار أحقابًا ثم يرفع عنهم العذاب أو يخرجون منها ، فكيف يوجه هذا الفهم ؟

ج : الآية ليس فيها دليل على فناء النار ، وليس فيها أن الكفار يخرجون منها بعد دخولهم فيها ، فالآية الكريمة فيها : ﴿لابِثِينَ فِيهَا أَحْقَابًا ﴿٢٣﴾ لا يَذُوقُونَ فِيهَا بَرْدًا وَلا شَرَابًا ﴿٢٤﴾ إِلاَّ حَمِيمًا وَغَسَّاقًا ﴿٢٥﴾ جَزَاءً وِفَاقًا ﴿٢٦﴾ إِنَّهُمْ كَانُوا لا يَرْجُونَ حِسَابًا ﴿٢٧﴾ وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا كِذَّابًا ﴿٢٨﴾ وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ كِتَابًا ﴿٢٩﴾ فَذُوقُوا فَلَن نَّزِيدَكُمْ إِلاَّ عَذَابًا﴾ [النبأ: ٢٣ - ٣٠] ، فأفادت الآيات الكريمات أنهم ـ أي : الكفار ـ يلبثون فيها أحقابًا ليس لهم طعام ولا شراب إلا الحميم والغساق ، ثم ماذا بعد هذه الأحقاب ؟ ، ليس في الآية أنهم يخرجون أو أنها تفنى إنما في

الآيـة الكريمة ﴿فَذُوقُوا فَلَن نَّزِيدَكُمْ إِلاَّ عَذَابًا﴾ [النبأ: ٣٠] . هـذا هـو وجـه توجيه هذا الرأي عندي(١) .

وقد قال فريق من أهل العلم كقتادة رحمه اللَّه تعالىٰ : إن هذه الأحقاب لا انقطاع لها ولا انقضاء لها .

● ومن أهل العلم من قال : إن هذه الآية في أهل القبلة (أي : المسلمين الذين قضي عليهم بنوع من العذاب) فإنهم يمكثون فيها إلىٰ ما شاء اللَّه ثم يخرجون .

وهذا الوجه ضعيف ، لقوله تعالىٰ : ﴿ وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا كِذَّابًا ﴾ [النبأ: ٢٨] ، والوجه الأول أقوىٰ الأوجُه ، واللَّه تعالىٰ أعلم .

هذا وقد تضافرت الأدلة علىٰ أن النار لا تفنىٰ وأهلها الذين هم أهلها لا يخرجون منها ، ومن هذه الأدلة ما يلي : ـ

● قول اللَّه تبارك وتعالىٰ : ﴿وَمَا هُم مِّنْهَا بِمُخْرَجِينَ﴾ [الحجر: ٤٨] .

● قول اللَّه تعالىٰ : ﴿وَأَمَّا الَّذِينَ فَسَقُوا فَمَأْوَاهُمُ النَّارُ كُلَّمَا أَرَادُوا أَن يَخْرُجُوا مِنْهَا أُعِيدُوا فِيهَا . . .﴾ [السجدة: ٢٠] .

---

(١) وإلىٰ هذا المعنىٰ أشار الطبري رحمه اللَّه بقوله : وقد يحتمل أن يكون معنىٰ ذلك : لابثين فيها أحقابًا في هذا النوع من العذاب هو أنهم ﴿لا يَذُوقُونَ فِيهَا بَرْدًا وَلا شَرَابًا ﴿٢٤﴾ إِلاَّ حَمِيمًا وَغَسَّاقًا﴾ [النبأ: ٢٤، ٢٥] ، فإذا انقضت تلك الأحقاب صار لهم من العذاب أنواع غير ذلك ، كما قال جل ثناؤه في كتابه : ﴿ وَإِنَّ لِلطَّاغِينَ لَشَرَّ مَآبٍ ﴿٥٥﴾ جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا فَبِئْسَ الْمِهَادُ ﴿٥٦﴾ هَذَا فَلْيَذُوقُوهُ حَمِيمٌ وَغَسَّاقٌ ﴿٥٧﴾ وَآخَرُ مِن شَكْلِهِ أَزْوَاجٌ ﴾ [ص: ٥٥ – ٥٨] وهذا القول عندي أشبه بمعنىٰ الآية .

• قول اللَّه عز وجل : ﴿إِنَّهُ مَن يَأْتِ رَبَّهُ مُجْرِمًا فَإِنَّ لَهُ جَهَنَّمَ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَىٰ﴾ [طه: ٧٤] .

• قوله تعالى : ﴿كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ بَدَّلْنَاهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا الْعَذَابَ﴾ [النساء: ٥٦] .

• قول النبي ﷺ « .. ويقال : يا أهل الجنة خلود فلا موت ويا أهل النار خلود فلا موت .. »[١] .

• قول اللَّه عز وجل : ﴿يُرِيدُونَ أَن يَخْرُجُوا مِنَ النَّارِ وَمَا هُم بِخَارِجِينَ مِنْهَا وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ﴾ [المائدة: ٣٧] .

❊ ❊ ❊

س ـ وضح المراد بقوله تعالى : ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا لَا يَرْجُونَ حِسَابًا﴾ [النبأ: ٢٧] ؟

ج قال بعض أهل العلم : إن المراد أنهم كانوا لا يخافون حسابًا[٢] ، وهو كقول نوح عليه السلام لقومه : ﴿مَا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا﴾ [نوح: ١٣] .

• وقال بعضهم : لا يرجون ثواب الحساب .

• وقال بعض العلماء : إن قوله : ﴿ لَا يَرْجُونَ .. ﴾ معناه : لا يتوقعون .

---

(١) أخرجه مسلم (حديث ٢٨٤٩) من حديث أبي سعيد الخدري رضي اللَّه عنه مرفوعًا .

(٢) روى ذلك الطبري رحمه اللَّه تعالى بإسناد حسن عن قتادة .

• وقال آخرون : إن المعنى : إنهم لا يؤمنون بالبعث[1]، فروى الطبري بإسناد صحيح عن ابن زيد في قوله : ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا لَا يَرْجُونَ حِسَابًا﴾ [النبأ: ٢٧] قال : لا يؤمنون بالبعث ولا بالحساب ، وكيف يرجو الحساب من لا يوقن أنه يحيا ولا يوقن بالبعث ، وقرأ قول اللَّه تعالى : ﴿بَلْ قَالُوا مِثْلَ مَا قَالَ الْأَوَّلُونَ ﴿٨١﴾ قَالُوا أَئِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا أَئِنَّا لَمَبْعُوثُونَ ﴿٨٢﴾ لَقَدْ وُعِدْنَا نَحْنُ وَآبَاؤُنَا هَذَا مِن قَبْلُ إِنْ هَذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ﴾ [المؤمنون: ٨١ - ٨٣] ، وقرأ : ﴿هَلْ نَدُلُّكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ يُنَبِّئُكُمْ إِذَا مُزِّقْتُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ إِنَّكُمْ لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ﴾ [سبأ: ٧] فقال بعضهم لبعض : ماله ﴿أَفْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَم بِهِ جِنَّةٌ﴾ [سبأ: ٨] الرجل مجنون حين يخبرنا بهذا .

• هذا وفي قوله تعالى : ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا لَا يَرْجُونَ حِسَابًا﴾ تنبيه على أنهم فعلوا كل شرٍّ وتركوا كل خير ، وذلك أن من لا يرجو الحساب لا يفعل الخيرات ولا يحجم عن المنكرات ، واللَّه أعلم .

* * *

---

(١) لإيضاح ذلك بعض الشيء أذكر قول الرازي في هذا فقد قال : إن المؤمن لابد وأن يرجو رحمة اللَّه لأنه قاطع بأن ثواب إيمانه زائد على عقاب جميع المعاصي سوى الكفر فقوله : ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا لَا يَرْجُونَ حِسَابًا﴾ [النبأ: ٢٧] إشارة إلى أنهم ما كانوا مؤمنين .
قلت (مصطفى) : وهذا لا يخلو من نظرة إرجائية من قائله ، وكيف ذلك وأهل الإيمان يخافون الحساب الأخروي ، ومعلوم يقينًا أن من أهل الشهادتين من يدخل النار كالزناة والمرابين والمفلسين (الذين ورد ذكرهم في حديث المفلس . . . .) وغيرهم !!!

س ـ وضح معنىٰ قوله تعالىٰ : ﴿ وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ كِتَابًا ﴾ [النبأ: ٢٩] مع ذكر بعض الآيات في معناها ومعنىٰ قوله تعالىٰ : ﴿ يَوْمَ يَنظُرُ الْمَرْءُ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ ﴾ [النبأ: ٤٠] ؟

ج : المعنىٰ ـ والله أعلم ـ : أن كل عمل وكل قول عمله العباد قد أحصيناه وأعددناه وكتبناه عليهم في الصحف حتىٰ يلقوا ربهم عز وجل ، كما قال تعالىٰ : ﴿ هَذَا كِتَابُنَا يَنطِقُ عَلَيْكُم بِالْحَقِّ إِنَّا كُنَّا نَسْتَنسِخُ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ [الجاثية: ٢٩] ، وكما قال تعالىٰ : ﴿ إِنَّ رُسُلَنَا يَكْتُبُونَ مَا تَمْكُرُونَ ﴾ [يونس: ٢١] ، وكما قال سبحانه : ﴿ وَكُلَّ إِنسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَائِرَهُ فِي عُنُقِهِ وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كِتَابًا يَلْقَاهُ مَنشُورًا ۝١٣ اقْرَأْ كِتَابَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا ﴾ [الإسراء: ١٣، ١٤] ، وكما قال سبحانه : ﴿ أَحْصَاهُ اللَّهُ وَنَسُوهُ ﴾ [المجادلة: ٦] ، وكما قال تعالىٰ : ﴿ وَوُضِعَ الْكِتَابُ فَتَرَى الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَا وَيْلَتَنَا مَا لِهَذَا الْكِتَابِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا ﴾ [الكهف: ٤٩] ، وكما قال تعالىٰ : ﴿ وَكُلُّ شَيْءٍ فَعَلُوهُ فِي الزُّبُرِ ۝٥٢ وَكُلُّ صَغِيرٍ وَكَبِيرٍ مُّسْتَطَرٌ ﴾ [القمر: ٥٢، ٥٣] ، وكما قال تعالىٰ : ﴿ مَا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴾ [ق: ١٨] ، وكما قال سبحانه : ﴿ وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُّبِينٍ ﴾ [يس: ١٢] ، وقال : ﴿ ... وَأَحَاطَ بِمَا لَدَيْهِمْ وَأَحْصَىٰ كُلَّ شَيْءٍ عَدَدًا ﴾ [الجن: ٢٨] ، والذين كتبوا هم الملائكة كتبوا بأمر الله لهم بذلك ، قال تعالىٰ : ﴿ وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ ۝١٠ كِرَامًا كَاتِبِينَ ﴾ [الانفطار: ١٠ - ١١] ، وذكر بعض العلماء أن وجه انتصاب كتابًا : لأنه

مصدر لأحصينا ، والمعنى : وكل شيء أحصيناه إحصاءً ، والإحصاء في معنى الكتاب والله أعلم .

* * *

س ـ قال الله تبارك وتعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَأَيْمَانِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلاً أُوْلَئِكَ لا خَلاقَ لَهُمْ فِي الآخِرَةِ وَلا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ وَلا يَنظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ [آل عمران: ٧٧] ، فذكر الله سبحانه أنه لا يكلمهم ، وفي هذه السورة يقول الله تعالى : ﴿ فَذُوقُوا فَلَن نَّزِيدَكُمْ إِلاَّ عَذَابًا ﴾ [النبأ: ٣٠] ، فقد كلمهم الله ، فكيف تجمع بين هذه وتلك ؟

ج : **الجمع من وجوه :**

أولها : أن يقال : إن قول الله تعالى : ﴿ وَلا يُكَلِّمُهُمُ ﴾ محمول على الكلام الذي ينفعهم ، أي : لا يكلمهم كلامًا ينفعهم .

الثاني : أن مواقف القيامة تتعدد ، فأحيانًا يحدث عدم التكليم ، وأحيانًا يحدث التكليم للتوبيخ والتأنيب والتبشير بالعذاب .

الثالث : أن في الآية مقدر ، والمعنى : فيقال لهم : فذوقوا فلن نزيدكم إلا عذابًا .

والله تعالى أعلم .

* * *

س ـ اذكر آية في معنى هذه الآية الكريمة : ﴿ فَذُوقُوا فَلَن نَّزِيدَكُمْ إِلاَّ

عَذَابًا ﴾[1] [النبأ: ٣٠] ؟

ج: في معناها: قوله تعالى: ﴿ كُلَّمَا خَبَتْ زِدْنَاهُمْ سَعِيراً ﴾ [الإسراء: ٩٧] ، وقوله تعالى: ﴿كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ بَدَّلْنَاهُمْ جُلُوداً غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا الْعَذَابَ﴾ [النساء: ٥٦] .



(١) ورد عند ابن جرير الطبري من طريق قتادة عن أبي أيوب الأزدي عن عبد اللّٰه بن عمرو قال: لم تنزل على أهل النار آية أشد من هذه ﴿فَذُوقُوا فَلَن نَّزِيدَكُمْ إِلاَّ عَذَابًا﴾ [النبأ: ٣٠] قال: فهم في مزيد من العذاب أبدًا .

إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازًا ﴿٣١﴾ حَدَائِقَ وَأَعْنَابًا ﴿٣٢﴾ وَكَوَاعِبَ أَتْرَابًا ﴿٣٣﴾ وَكَأْسًا دِهَاقًا ﴿٣٤﴾ لَّا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا كِذَّابًا ﴿٣٥﴾ جَزَاءً مِّن رَّبِّكَ عَطَاءً حِسَابًا ﴿٣٦﴾ رَّبِّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا الرَّحْمَٰنِ لَا يَمْلِكُونَ مِنْهُ خِطَابًا ﴿٣٧﴾ يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ وَالْمَلَائِكَةُ صَفًّا لَّا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَٰنُ وَقَالَ صَوَابًا ﴿٣٨﴾ ذَٰلِكَ الْيَوْمُ الْحَقُّ فَمَن شَاءَ اتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِ مَآبًا ﴿٣٩﴾ إِنَّا أَنذَرْنَاكُمْ عَذَابًا قَرِيبًا يَوْمَ يَنظُرُ الْمَرْءُ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ وَيَقُولُ الْكَافِرُ يَا لَيْتَنِي كُنتُ تُرَابًا ﴿٤٠﴾

س ـ ما معنى كل ما يلي : ـ

مفازًا ـ حدائق ـ كواعب ـ أترابًا ـ دهاقًا ـ لغوًا ـ كذابًا ـ حسابًا ـ خطاباً ـ صوابًا ـ أنذرناكم ـ ما قدمت يداه ؟

الكلمة	معناهـــا
مفـــــازًا	فوزًا وظفرًا بالمطلوب ، ونجاة من المرهوب [1] ـ

---

(١) صح عن قتادة عند الطبراني أنه قال : ﴿ إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازًا ﴾ [النبأ: ٣١] قال : إي والله مفازًا من النار إلى الجنة ، ومن عذاب الله إلى رحمته .

ومن أهل العلم من قصر تفسير المفاز على الفوز بالمطلوب ، وقال : إن هذا المفاز هو ﴿ حَدَائِقَ وَأَعْنَابًا ﴿٣٢﴾ وَكَوَاعِبَ أَتْرَابًا ﴿٣٣﴾ وَكَأْسًا دِهَاقًا ﴿٣٤﴾ لا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلا كِذَّابًا ﴾ [النبأ: ٣٢ - ٣٥] .

الكلمة	معناهـــا
	منجى من النار إلى الجنة ـ مخلصًا من النار إلى الجنة
حـــدائق	جمع حديقة، وهي: البساتين من النخيل والأعناب والأشجار المحوَّط عليها بالحيطان المحدقة بها[1]
كواعـــب	الكواعب هن : النساء ، ولكنهن ذات صفة معينة وهي كونهن كواعب ، أي : نواهد ، أي: أن ثديهن لم يتدلى لكونهن أبكارًا [2] ، ومن العلماء من قال : الكواعب هن العذارى
أترابـــا	أي: في سن واحدة، فلانة تربة فلانة، أي: في سنها، وقيل : المتصافيات ، وقيل : الأتراب المتآخيات
دهاقـــا	ممتلئة ـ صافية ـ متتابعة
لغـــوًا	اللغو: هو الكلام الذي لا فائدة فيه ـ وقيل: الباطل،

---

(١) قاله الطبري ، وقال : لإحداق الحيطان بها تسمى الحديقة حديقة ، فإن لم تكن الحيطان بها محدقة لم يقل لها حديقة .

(٢) صح عن قتادة عند الطبري أنه قال : ﴿وَكَوَاعِبَ أَتْرَابًا﴾ [النبأ: ٣٣] يعني بذلك : النساء أترابًا لسنٍّ واحدة ، وصح عن ابن زيد في قوله : ﴿وَكَوَاعِبَ أَتْرَابًا﴾ [النبأ: ٣٣] قال : الكواعب التي قد نهدت وكعب ثديها ، وقال : أترابًا مستويات ، فلانة تربة فلانة ، قال : الأتراب اللدات .

• **قال ابن القيم رحمه الله «التفسير القيم»** في تفسير الكواعب : . . . والمراد أن ثديهن نواهد كالرمان ليست متدلية إلى أسفل ، ويسمين نواهد وكواعب .

الكلمة	معناهـــا
	وقيل : الشتم[(١)]
كذابًـــا	تكذيبًا من بعضهم لبعض، فلا يكذب بعضهم بعضًا، وقيل : إثمًا ، كما قال تعالىٰ : ﴿لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا تَأْثِيمًا﴾ [الواقعة: ٢٥]
حسابـــا	أي: كافيًا ـ كافيًا وزائدًا علىٰ أعمالهم التي عملوها في الدنيا، وقيل: محاسبة لهم علىٰ أعمالهم في الدنيا
خطابًـــا	كلامًا
صوابًـــا	حقًّا ـ لا إله إلا اللّٰه[(٢)]
أنذرناكـــم	حذرناكم
ما قدمت يداه	ما عمل من خيرٍ أو شرٍّ

* * *

س ـ إلىٰ ماذا يرجع الضمير في قوله تعالىٰ : ﴿لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا كِذَّابًا ..﴾ [النبأ: ٣٥] ؟

ج : **فيها قولان حكاهما الماوردي في «تفسيره» :**

أحدهما : أن الضمير يرجع إلىٰ الجنة . قلت : والمعنىٰ : لا يسمعون في الجنة .

(١) أي: أن خمر الآخرة لا تسبب لأهلها وشاربيها ذهاب العقل الذي يحدث معه الشتم والسباب، واللّٰه أعلم .

(٢) أي : كان يقول : لا إله إلا اللّٰه في الدنيا .

الثاني : أن الضمير يرجع إلى الخمر .

قلت : والمعنى: لا يسمعون أثناء شربهم للخمر لغوًا ولا كذابًا ، فلا تسبب لهم الخمر ذهاب العقل الذي يصحبه اللغو والتكذيب والسباب والشتائم ، والله أعلم .

***

س ـ وضح معنى قوله تعالى : ﴿لا يَمْلِكُونَ مِنْهُ خِطَابًا﴾ [النبأ: ٣٧] ؟

ج : المعنى ـ والله أعلم ـ : أنه لا يقدر أحدٌ على مخاطبة الله عز وجل إلا إذا أذن الله له بذلك ، وقال بعض أهل العلم: أي: لا يملكون أن يسألوه إلا فيما أذن لهم فيه[1]. ، كما قال تعالى : **﴿يَوْمَ يَأْتِ لا تَكَلَّمُ نَفْسٌ إِلاَّ بِإِذْنِهِ﴾** [هود: ١٠٥] ، وكما قال تعالى : **﴿مَن ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِندَهُ إِلاَّ بِإِذْنِهِ﴾** [البقرة: ٢٥٥] .

والضمير في قوله تعالى : ﴿لا يَمْلِكُونَ﴾ إلى من يرجع ؟

قال بعض العلماء : إنه راجع إلى المشركين ومنهم من قال : راجع إلى المؤمنين لعلمهم بأن الله عدلٌ لا يجور ، فلا يُترك شيء لهم يتكلمون فيه . والصواب في ذلك أنه عام، فأهل السموات والأرض جميعهم لا يملكون عنده خطابًا[2].

***

(١) صح عن ابن زيد رحمه الله تعالى (كما عند الطبري) أنه قال : لا يملكون أن يخاطبوا الله ، والمخاطب : المخاصم الذي يخاصم صاحبه .

(٢) إلا لمن أذن له .

س ـ ما المراد بالروح في قوله تعالىٰ : ﴿يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ وَالْمَلَائِكَةُ صَفًّا ...﴾ [النبأ: ٣٨] وما المراد بالصف في الآية الكريمة ؟

ج : **لأهل العلم في ذلك جملة أقوال :**

أحدها : أنه جبريل عليه السلام ، ومستند هذا القول : قول اللَّه تبارك وتعالىٰ: ﴿نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ﴾ [الشعراء: ١٩٣]، وعلىٰ ذلك فقوله تعالىٰ : ﴿يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ وَالْمَلَائِكَةُ ...﴾ [النبأ: ٣٨] من باب عطف العام على الخاص فالملائكة علىٰ العموم وجبريل داخل فيهم ، عطف علىٰ الروح وهو جبريل .

الثاني : أن المراد بالروح القرآن ، لقوله تعالىٰ : ﴿وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا﴾ [الشورى: ٥٢] .

الثالث : أن المراد بالروح أرواح بني آدم .

الرابع : أن المراد بالروح بنو آدم .

الخامس : أن المراد بالروح خلق من خلق اللَّه علىٰ صورة بني آدم .

السادس : أنه ملك في السماء الرابعة . .

وثم أقوال أُخر .

قال ابن جرير الطبري رحمه اللَّه تعالىٰ : والصواب من القول أن يُقال : إن اللَّه تعالىٰ ذكره أخبر أن خلقه لا يملكون منه خطابًا يوم يقوم الروح ، والروح خلق من خلقه ، وجائز أن يكون بعض هذه الأشياء

التي ذكرت ، واللَّه أعلم أي ذلك هو ، ولا خبر بشيء من ذلك أنه المعني به دون غيره يجب التسليم له ، ولا حجة تدل عليه وغير ضائر الجهل به .

• أما المراد بالصف في قوله تعالىٰ : ﴿صفًّا﴾ فيحتمل وجهين :

أحدهما : أنهم يقومون فيصطفون صفًّا واحدًا .

الثاني : أنهم يُصفون صفوفًا علىٰ حسب مراتبهم ومنازلهم كما قال تعالىٰ : ﴿وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا﴾ [الفجر: ٢٢] ، وكما قالت الملائكة : ﴿ وَمَا مِنَّا إِلاَّ لَهُ مَقَامٌ مَّعْلُومٌ ﴿١٦٤﴾ وَإِنَّا لَنَحْنُ الصَّافُّونَ ﴾ [الصافات: ١٦٤، ١٦٥] .

وكما قال النبي ﷺ : **«ألا تصفون كما تصف الملائكة عند ربها»**[1] .

* * *

س ـ كيف يجمع بين قوله تعالىٰ : ﴿لاَّ يَتَكَلَّمُونَ إِلاَّ مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَقَالَ صَوَابًا﴾ [النبأ: ٣٨] وبين كذب المشركين في قولهم : ﴿وَاللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ﴾ [الأنعام: ٢٣] ؟

ج : الإجابة ـ واللَّه أعلم ـ من وجوه :

• **أحدها** : أن معنىٰ قوله تعالىٰ : ﴿وَقَالَ صَوَابًا﴾ أي : قال: لا إله إلا اللَّه في الدنيا ، أو كان من المسلمين الذين قد قالوا في دنياهم قولاً صوابًا .

(١) أخرجه مسلم (حديث ٤٣٠) من حديد جابر بن سمرة رضي اللَّه عنه مرفوعًا .

أما كذب المشركين وقولهم : ﴿ وَاللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ ﴾ [الأنعام: ٢٣] ، فهذا في بعض مواقف القيامة ، فمواقف القيامة تتعدد ـ فأحيانًا يتكلم أهل الشرك كي يسمعوا ما يسيئهم ، وأحيانًا لا ينطقون ولا يؤذن لهم فيعتذرون ، فلما يرى أهل الشرك أهلَ الإيمان وقد غفر لهم يقولون : ﴿ وَاللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ ﴾ [الأنعام: ٢٣] .

ولكن في مواطن أخر لا يتكلمون إلا بالذي فعلوه كما قال تعالى : ﴿ وَلا يَكْتُمُونَ اللَّهَ حَدِيثًا ﴾ [النساء: ٤٢] واللَّه أعلم .

* * *

س ـ ما هو وجه وصف اليوم بأنه حق في قوله تعالى : ﴿ ذَلِكَ الْيَوْمُ الْحَقُّ ﴾ [النبأ: ٣٩] ؟

ج : وجه ذلك ـ واللَّه أعلم ـ : أن هذا اليوم هو اليوم الحقيقي الذي يستحق أن يُقال له يوم ، ففيه تبلى السرائر ، وتنكشف الضمائر ، ويبعثر ما في القبور ، ويحصل ما في الصدور ، ويظهر وينتصر فيه كل حق ، ويزهق فيه كل باطل .

وقيل : إن معنى قوله : ﴿ ذَلِكَ الْيَوْمُ الْحَقُّ ﴾ [النبأ: ٣٩] : أي : الحق وجوده ووقوعه .

* * *

س ـ ما معنى قوله تعالى : ﴿ فَمَن شَاءَ اتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِ مَآبًا ﴾ [النبأ: ٣٩]

ج : المعنى ـ واللَّه أعلم ـ : فمن شاء من العباد اتخذ إلى ربه

مرجعًا حسنًا ، وهذا المآب الحسن يكون بالتصديق باليوم الآخر الذي قال اللَّه فيه : ﴿ذَلِكَ الْيَوْمُ الْحَقُّ فَمَن شَاءَ اتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِ مَآبًا﴾ [النبأ: ٣٩] ويكون أيضًا بالأعمال الصالحة ، وقد روىٰ الطبري بإسناد حسن عن قتادة ﴿فَمَن شَاءَ اتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِ مَآبًا﴾ قال : اتخذوا إلىٰ اللَّه مآبـًا بطاعته وما يقربهم إليه ، وقال بعض العلماء : مآبـًا أي : سبيلا وطريقًا والآية هنا وإن كان ظاهرها التخيير إلا أنها أقرب إلىٰ الحث والتهديد ، كما قال تعالىٰ : ﴿فَمَن شَاءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَاءَ فَلْيَكْفُرْ﴾ [الكهف: ٢٩] ، ومما يدل علىٰ أنها للتهديد قوله تعالىٰ : ﴿إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا﴾ [الكهف: ٢٩] وقوله تعالىٰ : ﴿إِنَّا أَنذَرْنَاكُمْ عَذَابًا قَرِيبًا ...﴾ [النبأ: ٤٠] عقب قوله : ﴿فَمَن شَاءَ اتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِ مَآبًا﴾ [النبأ: ٣٩] .

* * *

س ـ ما المراد بالعذاب القريب في قوله تعالىٰ : ﴿إِنَّا أَنذَرْنَاكُمْ عَذَابًا قَرِيبًا﴾ [النبأ: ٤٠] ؟ اذكر بعض الآيات الدالة علىٰ قرب الساعة ؟

ج : المراد بالعذاب القريب عذاب يوم القيامة ، بدليل قوله تعالىٰ : ﴿يَوْمَ يَنظُرُ الْمَرْءُ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ وَيَقُولُ الْكَافِرُ يَا لَيْتَنِي كُنتُ تُرَابًا﴾ [النبأ: ٤٠] أما الآيات الدالة علىٰ قرب الساعة فمنها :

- قوله تعالىٰ : ﴿اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانشَقَّ الْقَمَرُ﴾ [القمر: ١] .
- قوله تعالىٰ : ﴿اقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ مُّعْرِضُونَ﴾ [الأنبياء: ١] .

● قوله تعالىٰ : ﴿أَتَىٰ أَمْرُ اللَّهِ فَلا تَسْتَعْجِلُوهُ﴾ [النحل: ١] .

* * *

س ـ من المراد بالمرء في قوله تعالىٰ : ﴿يَوْمَ يَنظُرُ الْمَرْءُ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ﴾ [النبأ: ٤٠] ؟

ج : قال بعض أهل العلم : إن المراد بالمرء هو المرء المؤمن ، روي ذلك من عدة طرق عن الحسن البصري[1] .

ويتأيد هذا القول بدلالة ذكر الكافر بعد ذكر المرء في قوله تعالىٰ : ﴿يَوْمَ يَنظُرُ الْمَرْءُ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ وَيَقُولُ الْكَافِرُ يَا لَيْتَنِي كُنتُ تُرَابًا﴾ [النبأ: ٤٠] .

ولقائل آخر أن يقول : إن المراد بالمرء هنا أعم من المؤمن ، فكل امرئ ينظر ما قدمت يداه ، وعند ذلك يحدث الافتراق ، فالمؤمن يقول : ﴿هَاؤُمُ اقْرَءُوا كِتَابِيَهْ ...﴾ [الحاقة: ٩] ، والكافر يقول: ﴿يَا لَيْتَنِي كُنتُ تُرَابًا﴾ .

ومن العلماء من ذهب إلىٰ أن المراد بالمرء : الكافر ، وهو ضعيف في هذا المقام عندي ، والله أعلم .

* * *

س ـ اذكر بعض الآيات في معنىٰ قوله تعالىٰ : ﴿... وَيَقُولُ الْكَافِرُ

---

(١) كما عند الطبري رحمه الله .

يَا لَيْتَنِي كُنتُ تُرَابًا ﴾ [النبأ: ٤٠] ؟

ج : من الآيات الواردة في هذا المعنى : قوله تعالى : ﴿ يَوْمَئِذٍ يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَعَصَوُا الرَّسُولَ لَوْ تُسَوَّىٰ بِهِمُ الْأَرْضُ وَلَا يَكْتُمُونَ اللَّهَ حَدِيثًا ﴾ [النساء: ٤٢] .

● وقول الكافر : ﴿ يَا لَيْتَهَا كَانَتِ الْقَاضِيَةَ ﴾ [الحاقة: ٢٧] .



سُورَةُ النَّازِعَاتِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

وَالنَّازِعَاتِ غَرْقًا ﴿١﴾ وَالنَّاشِطَاتِ نَشْطًا ﴿٢﴾ وَالسَّابِحَاتِ سَبْحًا ﴿٣﴾ فَالسَّابِقَاتِ سَبْقًا ﴿٤﴾ فَالْمُدَبِّرَاتِ أَمْرًا ﴿٥﴾ يَوْمَ تَرْجُفُ الرَّاجِفَةُ ﴿٦﴾ تَتْبَعُهَا الرَّادِفَةُ ﴿٧﴾ قُلُوبٌ يَوْمَئِذٍ وَاجِفَةٌ ﴿٨﴾ أَبْصَارُهَا خَاشِعَةٌ ﴿٩﴾ يَقُولُونَ أَإِنَّا لَمَرْدُودُونَ فِي الْحَافِرَةِ ﴿١٠﴾ أَإِذَا كُنَّا عِظَامًا نَّخِرَةً ﴿١١﴾ قَالُوا تِلْكَ إِذًا كَرَّةٌ خَاسِرَةٌ ﴿١٢﴾ فَإِنَّمَا هِيَ زَجْرَةٌ وَاحِدَةٌ ﴿١٣﴾ فَإِذَا هُم بِالسَّاهِرَةِ ﴿١٤﴾

س ـ اذكر معاني هذه المفردات على رأي أكثر المفسرين : ـ

النازعات ـ الناشطات ـ السابحات ـ السابقات ـ المدبرات أمرًا ـ الراجفة ـ الرادفة ـ واجفة ـ خاشعة ـ الحافرة ـ نخرة ـ كرة ـ زجرة ـ الساهرة ؟

ج :

الكلمة	معناها
النازعات	الملائكة المختصون بنزع أرواح الكفار
الناشطات	الملائكة المختصون بإخراج أرواح المؤمنين
السابحات	ملائكة تسبح بين السماء والأرض

الكلمة	معناها
السابقـــات	ملائكة تسبق بالوحي من اللَّه إلى رسله
المدبرات أمراً	ملائكة تدبر أعمال العباد بإذن اللَّه
الراجفـــة	النفخة الأولى
الرادفـــة	النفخة الثانية
واجفـــة	خائفة [1] ـ مضطربة
خاشعـــة	ذليلة [2] حقيرة
الحافـــرة	الحياة التي كانوا عليها قبل الموت
نخـــرة	متفتتة بالية
كـــرة	رجعة
زجـــرة	نفخة وصيحة [3]
الساهـــرة	وجه الأرض



(١) قال القرطبي : وعليه عامة المفسرين ، والمعنى : أنها خائفة من عظيم الهول النازل بها .

(٢) المراد أنها تظهر عليها علامات الذل والخضوع عند معاينة أهوال يوم القيامة ، كما قال تعالى: ﴿ وَتَرَاهُمْ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا خَاشِعِينَ مِنَ الذُّلِّ ﴾ [الشورى: ٤٥] .

(٣) وقوله تعالى : ﴿ فَإِنَّمَا هِيَ زَجْرَةٌ وَاحِدَةٌ ﴾ [النازعات: ١٣] : نفخة واحدة يقومون معها من قبورهم ، كما قال تعالى : ﴿ وَمَا أَمْرُنَا إِلَّا وَاحِدَةٌ كَلَمْحٍ بِالْبَصَرِ ﴾ [القمر: ٥٠] ، وكما قال تعالى : ﴿ وَمَا أَمْرُ السَّاعَةِ إِلَّا كَلَمْحِ الْبَصَرِ أَوْ هُوَ أَقْرَبُ ﴾ [النحل: ٧٧] .

س ـ ما هو موقع الواو في قوله تعالى : ﴿ وَالنَّازِعَاتِ ... ﴾ [النازعات: ١] ؟

ج : الواو هنا هي واو القسم .

* * *

س ـ وضح المراد بالنازعات وماذا تنزع ؟ وما هي الناشطات وما عملها كذلك ؟

ج : **النازعات والناشطات** ملائكة [١] وهم ملك الموت وأعوانه ، ولكن النازعات: ملائكة موصوفون بوصف معين وهو النزع ، والناشطات موصوفة بأنها تُنشط [٢]. ولإيضاح ذلك نقول : إن النازعات هي الملائكة المختصة بنزع أرواح الكفار تنزعها من أجسادهم نزعًا شديدًا .

أما معنى غرقًا : فالمراد به المبالغة في شدة النزع فهو نزع تشعر معه النفس أنها تغرق ، ومن العلماء من قال : إنها تنزع ثم تفرق في النار ، ومنهم من قال : إن غرقًا من الإغراق بمعنى المبالغة في الشيء والاستطراد فيه ، وهذا راجع إلى شدة النزع أيضًا .

● **أما الناشطات :** فهي الملائكة المختصة بنزع أرواح المؤمنين وتقوم هذه الملائكة بتنشيط روح المؤمن حتى تخرج من الجسد نشيطة وتجذبها الملائكة برفقٍ ولين من الجسد .

---

(١) أخرج الطبري بإسناد صحيح عن ابن مسعود أنه قال : ﴿وَالنَّازِعَاتِ غَرْقًا﴾ [النازعات: ١] قال : الملائكة ، وأخرج أيضًا بإسناد صحيح عن مسروق أنها الملائكة .

(٢) ومن قولهم : قام فلان كأنما أنشط من عقال .

ومن العلماء من قال : والذي ينشطها (أعني : روح المؤمن) أنها ترىٰ ما أعده اللَّه لها في الجنة من الحبرة والسرور ، وما أعده اللَّه لها من الأزواج وحور العين فتنشط الروح فتخرجها الملائكة بسهولة ويُسر من الجسد. وهذا وذاك واضحان فيما أخرجه الإمام أحمد [(١)] رحمه اللَّه تعالىٰ بإسناد صحيح من حديث البراء بن عازب رضي اللَّه عنهما قال : خرجنا مع النبي صلىٰ اللَّه عليه وعلىٰ آله وسلم في جنازة رجلٍ من الأنصار فانتهينا إلىٰ القبرِ ولمَّا يُلحد فجلسَ رسولُ اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وعلىٰ آله وسلم وجلسنا حوله وكأن علىٰ رءوسنا الطيرُ وفي يده عودٌ ينكتُ في الأرض ، فرفع رأسه فقال : «**استعيذوا باللَّه من عذاب القبر**» مرتين أو ثلاثًا ، ثم قال : «**إن العبدَ المؤمن إذا كان في انقطاعٍ من الدنيا وإقبالٍ من الآخرة نزل إليه ملائكةٌ من السماء بيض الوجوه كأن وجوههم الشَّمسُ ، معهم كفن من أكفانِ الجنة وحَنُوط [(٢)] من حنوط الجنة حتىٰ يَجلسوا منه مدَّ البصر ثم يجيء ملك الموت عليه السلام [(٣)] حتىٰ يجلس عند رأسه فيقول : أيتها النفس الطيبة اخرجي إلىٰ مغفرة من اللَّه ورضوان**» قال : «**فتخرج تسيلُ كما تسيلُ القطرة من فيِّ السقاء فيأخذها فإذا أخذها لم يدعوها في يده طرفة عين حتىٰ يأخذوها فيجعلوها في ذلك الكفن وفي ذلك الحنوط ويَخرجُ منها كأطيب نفحة مسك وُجدت علىٰ وجه الأرض**» قال : «**فيصعدون بها فلا يمرون يعني بها علىٰ ملأٍ من الملائكة إلا قالوا : ما هذا الروح الطيب**

(١) أخرجه أحمد في «المسند» (٤/٢٨٧ و ٢٩٥ و ٢٩٦) وأبو داود (٤٧٥٣) والطيالسي (٧٥٣) والحاكم (١/٣٧ ـ ٤٠) .

(٢) الحنوط : طيب يخلط للميت خاصة (انظر «اللسان») .

(٣) لم نقف علىٰ دليل صحيح يفيد أن ملك الموت اسمه عزرائيل .

فيقولون : فلانَ ابن فلان بأحسن أسمائه التي كانوا يسمونه بها في الدنيا حتى ينتهوا بها إلى السماء الدنيا فيستفتحون له فيفتح لهم فيشيعه من كل سماء مقرَّبوها إلى السماء التي تليها حتى ينتهى به إلى السماء السابعة فيقول اللَّه عز وجل : اكتبوا كتاب عبدي في عليين وأعيدوه إلى الأرض فإني منها خلقتهم وفيها أعيدهم ومنها أخرجهم تارة أخرى» قال : «فتعاد روحه في جسده فيأتيه ملكان فيجلسانه فيقولان له : من ربك ؟ فيقول : ربي اللَّه ، فيقولان له : ما دينك ؟ فيقول: ديني الإسلام، فيقولان له: ما هذا الرجل الذي بعث فيكم؟ فيقول : هو رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم ، فيقولان له : وما علمك ؟ فيقول : قرأت كتاب اللَّه فآمنت به وصدقت فينادي مناد في السماء أن صدق عبدي فأفرشوه من الجنة وألبسوه من الجنة وافتحوا له بابًا إلى الجنة» قال: «فيأتيه من روحها وطيبها ويفسح له في قبره مد البصر، قال: ويأتيه رجل حسن الوجه حسنُ الثياب طيب الريح فيقول : أبشر بالذي يسرك هذا يومك الذي كنت توعد فيقول له : من أنت فوجهك الوجه يجيء بالخير ؟ فيقول : أنا عملك الصالح فيقول: رب أقم الساعة حتى أرجع إلى أهلي ومالي» قال : «وإن العبد الكافر إذا كان في انقطاع من الدنيا وإقبال من الآخرة نزل إليه من السماء ملائكة سود الوجوه معهم المسوح فيجلسون منه مدَّ البصر ثم يجيء ملك الموت حتى يجلس عند رأسه فيقول : أيتها النفس الخبيثة اخرجي إلى سخط من اللَّه وغضب» قال : «فتفرق في جسده فينتزعها كما ينتزع السفود من الصوف المبلول فيأخذها فإذا أخذها لم يدعوها في يده طرفة عين حتى يجعلوها في تلك المسوح ويخرج منها كأنتن ريح جيفة وجدت على وجه

الأرض فيصعدون بها فلا يمرون بها على ملأ من الملائكة إلا قالوا : ما هذا الروح الخبيث ؟ فيقولون : فلان ابنُ فلان بأقبح أسمائه التي كان يسمى بها في الدنيا حتى ينتهى به إلى السماء الدنيا فيستفتح له فلا يفتح له » ثم قرأ رسول اللّه صلى اللّه عليه وعلى آله وسلم : ﴿لا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ وَلا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّىٰ يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ﴾ [الأعراف: ٤٠] «فيقول اللّه عز وجل : اكتبوا كتابه في سجين في الأرض السفلى فتطرح روحه طرحًا» ثم قرأ: ﴿وَمَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّمَاءِ فَتَخْطَفُهُ الطَّيْرُ أَوْ تَهْوِي بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ﴾ [الحج: ٣١] «فتعاد روحه في جسده ويأتيه ملكان فيجلسانه فيقولان له : من ربك ؟ فيقول : هاه هاه لا أدري ، فيقولان له ما دينك ؟ فيقول : هاه هاه لا أدري فيقولان له : ما هذا الرجل الذي بعث فيكم؟ فيقول: هاه هاه لا أدري فينادي منادٍ من السماء أن كذب فأفرشوا له من النار، وافتحوا له بابًا إلى النار فيأتيه من حرها وسمومها ويضيق عليه قبره حتى تختلف فيه أضلاعه ويأتيه رجل قبيح الوجه قبيح الثياب منتن الريح فيقول : أبشربالذي يسوءك ، هذا يومك الذي كنت توعد فيقول : من أنت فوجهك الوجه يجيء بالشرِّ، فيقول : أنا عملك الخبيث، فيقول : ربِّ لا تقم الساعة» .

● هذا ، وأكثر أهل العلم على تفسير النازعات والناشطات بما فسرناه ولكن ثمَّ أقوال أخر أيضًا ، منها :

أن المراد **النجوم** تنزع من أفق إلى أفق .

ومنها : أن المراد **القسي** التي تنزع بالسهم .

ومنهم من قال : إنها **النفوس** حين تُنزع .

قال الطبري رحمه اللَّه : والصواب من القول في ذلك عندي أن يقال : إن اللَّه تعالىٰ ذكره أقسم بالنازعات غرقًا ولم يُخصص نازعة دون نازعة ، فكل نازعةٍ غرقًا فداخلة في قسمه ، ملكًا كان أو موتًا أو نجمًا أو قوسًا أو غير ذلك .

والمعنىٰ : والنازعات إغراقًا كما يغرق النازع في القوس[1] .

وبنحو ذلك قال في الناشطات فقال : .. بل عمَّ القسم بجميع الناشطات ، والملائكة تنشط من موضع إلىٰ موضع ، وكذلك الموت وكذلك النجوم والأوهاق[3]، وبقر الوحش أيضًا تنشط . . .

* * *

س ـ ما المراد بـ ﴿ السَّابِحَاتِ ﴾ ؟

ج : **لأهل العلم في ذلك جملة أقوال :**

أحدها : أن السابحات : هي الملائكة ، وللعلماء في هذا تأويلان أيضًا .

الأول : أن المراد ملائكة قبض الأرواح تسبح في جسد المؤمن لاستخراج روحه بلطفٍ ورفقٍ ولين[2] .

---

(١) إغراق النازع في القوس أن يمده غاية المد حتىٰ ينتهي به إلىٰ النصل .

(٢) **قال صديق حسن خان في تفسيره «فتح البيان»** : هي الملائكة تسبح في الأبدان لإخراج الأرواح كما يسبح الغواص في البحر لإخراج شيء منه، يعني الملائكة يقبضون أرواح المؤمنين يسلُّونها سلاًّ رفيقًا ثم يدعونها حتىٰ تستريح ثم يستخرجونها كالسابح في الماء يتحرك فيه برفقٍ ولطافة .

(٣) وهي الحبال التي تُشَدُّ بها المواشي .

الثاني :أن المراد عموم الملائكة ، تسبح عند نزولها من السماء مسرعين لأمر اللَّه .

ثانيها : أن المراد بالسابحات النجوم التي تسبح في أفلاكها ، وقد صح عن قتادة عند الطبري أنه قال : هي النجوم .

ثالثها : أن المراد السفن .

وثمَّ أقوال أخر .

واختار ابن جرير الطبري القول بالعموم أيضًا ، وأن كل ما ذكر داخل في الآية الكريمة ، واللَّه أعلم .

❊ ❊ ❊

س ـ ما المراد بـ ﴿ السَّابِقَاتِ ﴾ ؟

ج : **لأهل العلم في ذلك أقوال :**

● **فجمهورهم**[1] على أن المراد بالسابقات الملائكة .

فمن العلماء من قال : هي الملائكة تسبق الشياطين بالوحي إلى الأنبياء ، ومنهم من قال : هي الملائكة تسبق بأرواح المؤمنين إلى الجنة ، أي : يسبق بعضهم بعضًا بأرواح المؤمنين .

● ومن العلماء من قال : إن السابقات هي النجوم يسبق بعضها بعضا .

---

(١) نقله عن الجمهور صديق حسن خان في «فتح البيان» .

- ومنهم من قال : هي الخيل تسبق إلى الجهاد .
- ومنهم من قال : هي أرواح المؤمنين تسبق أجسادهم إلى الجنة وأرواح الكفار تسبق أجسادهم إلى النار .

والقول الذي عليه الجمهور أنهم الملائكة كما قدمنا .

* * *

س ـ ما المراد بقوله تعالى : ﴿ فَالْمُدَبِّرَاتِ أَمْرًا ﴾ [النازعات: ٥] ؟

ج : **المدبرات** : هي الملائكة تدبر الأمر من السماء إلى الأرض يعني بأمر ربها عز وجل ، قال ابن كثير : ولم يختلفوا في هذا ، وقال القشيري [١]: أجمعوا على أن المراد الملائكة .

وقال الطبري : وقوله : ﴿ فَالْمُدَبِّرَاتِ أَمْرًا ﴾ [النازعات: ٥] يقول : فالملائكة المدبرة ما أمرت به من أمر اللَّه ، وكذلك قال أهل التأويل .

* * *

س ـ وضح باختصار مجمل القول في تأويل قوله جل وعلا : ﴿ وَالنَّازِعَاتِ غَرْقًا ۝١ وَالنَّاشِطَاتِ نَشْطًا ۝٢ وَالسَّابِحَاتِ سَبْحًا ۝٣ فَالسَّابِقَاتِ سَبْقًا ۝٤ فَالْمُدَبِّرَاتِ أَمْرًا ﴾ [النازعات: ١ - ٥] ؟

ج : مجمل القول في هذه الفقرات أن من أهل العلم من حملها كلها ﴿ **وَالنَّازِعَاتِ غَرْقًا ۝١ وَالنَّاشِطَاتِ نَشْطًا ۝٢ وَالسَّابِحَاتِ سَبْحًا ۝٣ فَالسَّابِقَاتِ سَبْقًا ۝٤ فَالْمُدَبِّرَاتِ أَمْرًا** ﴾ [النازعات: ١ - ٥] على

(١) نقله عنه القرطبي .

شيء واحد ثم اختلفوا في تحديد هذا الشيء ما هو .

فذهب الجمهور إلى أن هذا الشيء الموصوف بهذه الصفات هم الملائكة .

وذهب فريق إلى أنها النجوم .

وفريق ثالث إلى أنها الأرواح .

وفريق رابع إلى أنها صفات خيل الغزاة .

وفريق خامس أنها صفات الغزاة .

ومن العلماء من قال بالعموم .

وثمَّ أوجه أُخر للعلماء في ذلك .

● ومن العلماء من حمل هذه الصفات على أشياء مختلفة .

وقد قدمنا رأي الجمهور ومزيدًا في التفصيل في ذلك والعلم عند اللَّه تعالى .

❊ ❊ ❊

س ـ لماذا جاءت هذه الأقسام بلفظ التأنيث وهي أوصاف للملائكة مع أن الملائكة ليسوا إناثًا ؟

ج : أجاب على ذلك صديق حسن خان بقوله : لأن المقسم به طوائف من الملائكة ، والطوائف جمع طائفة ، وهي مؤنثة .

❊ ❊ ❊

س ـ أقسم اللّه سبحانه وتعالىٰ بالنازعات والناشطات .... فأين جواب القسم ؟

ج : من أهل العلم من ذهب إلىٰ أن جواب القسم محذوف ، ومنهم من ذهب إلىٰ أنه مذكور في السورة .

● أما الذين ذهبوا إلىٰ أن جواب القسم محذوف ، فأشهر أقوالهم في تقديره أنه (لتبعثن) ، فالمعنىٰ : والنازعات . . . لتبعثن .

● أما الذين ذهبوا إلىٰ أنه مذكور في السورة فهو عند فريق منهم قوله: ﴿ قُلُوبٌ يَوْمَئِذٍ وَاجِفَةٌ ... ﴾ [النازعات: ٨] فالمعنىٰ : والنازعات . . إن القلوب ستكون واجفة يوم ترجف الراجفة .

وقد أورد الرازي رحمه اللّه أقوال العلماء في ذلك فقال :

المسألة الأولىٰ : جواب القسم المتقدم محذوف أو مذكور فيه وجهان: **الأول** : أنه محذوف ، ثم علىٰ هذا الوجه في الآية احتمالات:

الأول : قال الفراء : التقدير : لتبعثن ، والدليل عليه ما حكىٰ اللّه عنهم ، أنهم قالوا : ﴿ أَءِذَا كُنَّا عِظَامًا نَّخِرَةً ﴾ [النازعات: ١١] أي : أنبعث إذا صرنا عظامًا نخرة **الثاني** : قال الأخفش والزجاج : لننفخن في الصور نفختين ودل علىٰ هذا المحذوف ذكر الراجفة والرادفة وهما النفختان **الثالث** : قال الكسائي: الجواب المضمر هو أن القيامة واقعة ، وذلك لأنه سبحانه وتعالىٰ قال : ﴿ وَالذَّارِيَاتِ ذَرْوًا ﴾ [الذاريات: ١] ثم قال: ﴿ إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَصَادِقٌ ﴾ [الذاريات: ٥]، وقال تعالىٰ : ﴿ وَالْمُرْسَلَاتِ

عُرْفًا ﴿١﴾ ... إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَوَاقِعٌ ﴾ [المرسلات: ١ - ٧] فكذلك ههنا فإن القرآن كالسورة الواحدة **القول الثاني** : أن الجواب مذكور وعلى هذا القول احتمالات : **الأول** : المقسم عليه هو قوله : ﴿ **قُلُوبٌ يَوْمَئِذٍ وَاجِفَةٌ ﴿٨﴾ أَبْصَارُهَا خَاشِعَةٌ** ﴾ [النازعات: ٨، ٩] ، والتقدير : والنازعات غرقًا إن يوم ترجف الراجفة تحصل قلوب واجفة وأبصارها خاشعة **الثاني** : جواب القسم هو قوله : ﴿ **هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ مُوسَىٰ** ﴾ [النازعات: ١٥] ، فإن (هل) ههنا بمعنى قد ، كما في قوله: ﴿ **هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْغَاشِيَةِ** ﴾ [الغاشية: ١] ، أي : قد أتاك حديث الغاشية **الثالث** : جواب القسم هو قوله: ﴿ **إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّمَن يَخْشَىٰ** ﴾ [النازعات: ٢٦] .

* * *

س ـ اذكر المراد بالراجفة والرادفة بشيء من التفصيل ؟

ذهب كثير من المفسرين إلى أن المراد **بالراجفة : النفخة الأولى والرادفة : النفخة الثانية** ، فصح عن الحسن البصري [١] أنه قال : هما النفختان ، أما الأولى فتميت الأحياء ، وأما الثانية فتحيي الموتى ، ثم تلا الحسن : ﴿ **وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي السَّمَوَاتِ وَمَن فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَن شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنظُرُونَ** ﴾ [الزمر: ٦٨] .

● وصح عن قتادة [٢] أيضًا أنه قال : هما الصيحتان أما الأولى

---

(١) أخرجه الطبري بإسناد صحيح .

(٢) أخرجه الطبري أيضًا بإسناد صحيح .

فتميت كل شيء بإذن اللَّه وأما الأخرىٰ فتحيي كل شيء بإذن اللَّه .

● هذا وثم أقوال أُخر للعلماء فمنهم من قال : إن الراجفة : الأرض لقوله تعالىٰ : ﴿يَوْمَ تَرْجُفُ الأَرْضُ وَالْجِبَالُ وَكَانَتِ الْجِبَالُ كَثِيباً مَّهِيلاً﴾ [المزمل: ١٤] ، والرادفة : الساعة [1] ، ومنهم من قال : إن الراجفة : الأرض ، والرادفة : السماء ؛ لقوله تعالىٰ : ﴿فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ نَفْخَةٌ وَاحِدَةٌ ﴿١٣﴾ وَحُمِلَتِ الأَرْضُ وَالْجِبَالُ فَدُكَّتَا دَكَّةً وَاحِدَةً ﴿١٤﴾ فَيَوْمَئِذٍ وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ ﴿١٥﴾ وَانشَقَّتِ السَّمَاءُ فَهِيَ يَوْمَئِذٍ وَاهِيَةٌ﴾ [الحاقة: ١٣ - ١٦] ومن العلماء من قال: إن الراجفة: هي الصوت الهائل المزعج ، كقوله تعالىٰ: ﴿فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ﴾ [العنكبوت: ٣٧] ، والرادفة : الزلزلة . والقول الأول عليه الأكثرون ، واللَّه أعلم .

❊ ❊ ❊

س ـ لماذا أضيفت الأبصار إلىٰ القلوب في قوله تعالىٰ : ﴿قُلُوبٌ يَوْمَئِذٍ وَاجِفَةٌ ﴿٨﴾ أَبْصَارُهَا خَاشِعَةٌ﴾ [النازعات: ٨ - ٩] ؟

ج : أضيفت الأبصار إلىٰ القلوب ، والمراد بالقلوب: أصحابها ، بدليل قوله تعالىٰ: ﴿يَقُولُونَ أَئِنَّا لَمَرْدُودُونَ فِي الْحَافِرَةِ﴾ [النازعات: ١٠] .

❊ ❊ ❊

س ـ لماذا نُكِّرت قلوب في قوله تعالىٰ : ﴿قُلُوبٌ يَوْمَئِذٍ وَاجِفَةٌ﴾ [النازعات: ٨] ولم يُقل : القلوب يومئذ واجفة ؟

---

(١) صح ذلك عن ابن زيد عند الطبري .

ج : لأن المراد ـ والله أعلم ـ : قلوب فريق من الناس وهم الكفار، وقلوبهم واجفة لأنهم كانوا ينكرون البعث ، وذلك بدليل قوله تعالى : ﴿ يَقُولُونَ أَئِنَّا لَمَرْدُودُونَ فِي الْحَافِرَةِ ﴿١٠﴾ أَءِذَا كُنَّا عِظَامًا نَّخِرَةً ﴾ [النازعات: ١٠، ١١] ، أما قلوب أهل الإيمان فمطمئنة ، والله أعلم .

* * *

س ـ اذكر بشيء من التفصيل أقوال العلماء في الحافرة ؟

ج : **أكثر المفسرين على أن المراد بالحافرة الحالة الأولى التي كانوا عليها قبل الممات** ، والمعنى : أنرد إلى أول حالنا وابتداء أمرنا فنرجع أحياء كما كنا قبل مماتنا ؟!!

وهو من قولهم رجع فلان على حافرته ، أي : رجع من حيث جاء ، ومنه قول الشاعر :

أحافرةٌ على صلعٍ وشَيبٍ ∴ معاذ الله من سفهٍ وعار

● وقد أخرج الطبري بإسناد يصح بمجموع طريقيه إلى قتادة أنه قال : أئنا لمردودون في الحافرة ؟ أئنا لمبعوثون خلقا جديدًا ، وفي رواية : مردودون خلقًا جديدًا .

● ومن العلماء من قال : إن الحافرة : الأرض ، والحافرة بمعنى المحفورة (أي : التي حفرت فيها قبورهم) وهذا كقوله تعالى : ﴿ خُلِقَ مِن مَّاءٍ دَافِقٍ ﴾ [الطارق: ٦] أي : مدفوق ، وكقوله تعالى: ﴿ فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ ﴾ [الحاقة: ٢١] : أي : مرضية ، ومنهم من قال : إن الحافرة هي

القبور ، والمعنى على هذين القولين : أئنا لمردودون بعد المصير إلى القبور .

ومن العلماء من قال : الحافرة هي النار ، صح هذا عن ابن زيد عند الطبري ، والقول الأول عليه أكثر العلماء . وهو الأصح عندي لقولهم عقبها : ﴿تِلْكَ إِذًا كَرَّةٌ خَاسِرَةٌ﴾ [النازعات: ١٢] أي : رجعة خاسرة ، والله أعلم .

***

س ـ من هم القائلون: ﴿أَئِنَّا لَمَرْدُودُونَ فِي الْحَافِرَةِ﴾ [النازعات: ١٠]، ومتى يقولون هذا القول ؟

ج : القائلون بذلك هم مشركو قريش ومن قال بقولهم في إنكار البعث . ومقالتهم هذه إنما يقولونها في الدنيا ، كما ذكر الله سبحانه عنهم قيلهم : ﴿أَئِذَا كُنَّا عِظَامًا وَرُفَاتًا أَئِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا﴾ [الإسراء: ٤٩] وكما قال سبحانه : ﴿وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُ قَالَ مَن يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ﴾ [يس: ٧٨] .

***

س ـ اذكر مزيدًا من الأدلة التي توضح إنكار المشركين للبعث ؟

ج : من هذه الأدلة قول قائلهم : ﴿وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً﴾ [فصلت: ٥٠]، ومنها قولهم: ﴿أَئِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا ذَلِكَ رَجْعٌ بَعِيدٌ﴾ [ق: ٣].

***

س ـ ما المراد بالساهرة ؟

ج : **أكثر المفسرين على أن المراد بالساهرة وجه الأرض وظاهرها.**

● وقال الواحدي : المراد بالساهرة وجه الأرض وظاهرها في قول الجميع .

قلت : ولعل مراده بالجميع الأكثر ، أو من يُعتد به عنده.

● وعند الطبري بإسناد صحيح عن ابن عباس في قوله تعالى : ﴿**فَإِذَا هُم بِالسَّاهِرَةِ**﴾ [النازعات: ١٤] قال : على الأرض ، قال : فذكر شعرًا قاله أمية بن أبي الصلت فقال :

عندنا صيد بحرٍ وصيد ساهرةٍ .

● وصح عن الحسن أيضًا عند الطبري أنه قال : ﴿**فَإِذَا هُم بِالسَّاهِرَةِ**﴾ [النازعات: ١٤] : فإذا هم على وجه الأرض .

● وبإسناد يصح بطريقيه عن قتادة قال : لما تباعد البعث في أعين القوم قال اللَّه : ﴿**فَإِنَّمَا هِيَ زَجْرَةٌ وَاحِدَةٌ ﴿١٣﴾ فَإِذَا هُم بِالسَّاهِرَةِ**﴾ [النازعات: ١٣، ١٤] ، يقول : فإذا هم بأعلى الأرض بعدما كانوا في جوفها .

وكذلك صح عن عددٍ من السلف أنهم قالوا : مثل هذا القول ومن العلماء من قال : الساهرة : مكان مخصوص من الأرض ، ومنهم من قال : إنما هي جهنم . وما قدمنا أولاً أصح ، واللَّه أعلم .



هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ مُوسَىٰٓ ﴿١٥﴾ إِذْ نَادَىٰهُ رَبُّهُۥ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى ﴿١٦﴾ اذْهَبْ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ﴿١٧﴾ فَقُلْ هَل لَّكَ إِلَىٰٓ أَن تَزَكَّىٰ ﴿١٨﴾ وَأَهْدِيَكَ إِلَىٰ رَبِّكَ فَتَخْشَىٰ ﴿١٩﴾ فَأَرَىٰهُ الْآيَةَ الْكُبْرَىٰ ﴿٢٠﴾ فَكَذَّبَ وَعَصَىٰ ﴿٢١﴾ ثُمَّ أَدْبَرَ يَسْعَىٰ ﴿٢٢﴾ فَحَشَرَ فَنَادَىٰ ﴿٢٣﴾ فَقَالَ أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَىٰ ﴿٢٤﴾ فَأَخَذَهُ اللَّهُ نَكَالَ الْآخِرَةِ وَالْأُولَىٰٓ ﴿٢٥﴾ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّمَن يَخْشَىٰٓ ﴿٢٦﴾

س ـ اذكر معاني هذه المفردات :

المقدس ـ طوىٰ ـ طغىٰ ـ تزكىٰ ـ أهديك إلىٰ ربك ـ حشر ـ فأخذه اللَّه ـ نكال ـ عبرة ؟

ج :

الكلمة	معناهـــا
المقدس	المبارك المطهر
طـــــــــوىٰ	من العلماء من قال : طوىٰ اسم للوادي [1] ، ومنهم من قال : إنه قدس طوىٰ ، أي : قُدس

(١)روي ذلك عن مجاهد من طريق ابن أبي نجيح عنه (وقد تكلم في رواية ابن أبي نجيح للتفسير عن مجاهد) ، وورد بإسناد حسن عن قتادة وصح عن ابن زيد أنهم قالوا: طوىٰ اسم للوادي .

الكلمة	معناهـــا
	مرتين أي : بورك فيه مرتين ، ومنهم من قال : إن معناه : طأ الأرض بقدمك حافيًا ، وقيل : مطوي كطي البئر [١]
طغـــــــى	عتا وتجاوز الحد في العدوان والتكبر على الخلق والافتراء على الله
تزكـــــــى	تتطهر من دنس الكفر والمعاصي وتؤمن ـ تسلم فتطهر من الذنوب
أهديك إلى ربك	أدلك وأرشدك إلى عبادة ربك وما يرضيه عنك
حشـــــــر	جمع
فأخـــــذه الله	عاقبه الله ـ أهلكه الله
نكـــــــال	النكال : العقوبة العظيمة على الذنب ، التي تمنع من سمع بها مِن ارتكاب مثل هذا الذنب ، ويطلق التنكيل أيضًا على ما يفتضح به صاحبه ويعتبر به غيره . والله أعلم .
عبـــــــرة	عظة يتعظ بها ، وزاجر ينزجر به من يخشى

* * *

(١) والبئر المطوية : هي البئر التي بُطنت حافتها بأحجار حتى لا تنهار ، والوادي واد متسع على جوانبه صخور (على هذا التأويل الأخير) .

س ـ وضح معنى قول موسى عليه السلام لفرعون : ﴿ هَل لَّكَ إِلَىٰ أَن تَزَكَّىٰ ﴿١٨﴾ وَأَهْدِيَكَ إِلَىٰ رَبِّكَ فَتَخْشَىٰ ﴾ [النازعات: ١٨، ١٩] ؟

ج المعنى ـ والله أعلم ـ : هل لك رغبة في أن تتطهر من الشرك والمعاصي وتُسلم وتصلح العمل، وأرشدك إلى عبادة الله وتوحيده فيحصل لك العلم وتحصل لك المعرفة بالله سبحانه وتكون من العلماء ومن ثم تخشى الله عز وجل وتخشى عقوبته فإنما يخشى الله من عباده العلماء ؟ !!

* * *

س ـ ما المراد بالآية الكبرى ؟

ج : المراد بالآية الكبرى عند جمهور المفسرين [١] : هي العصا واليد ، كما قال تعالى : ﴿ فَأَلْقَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ ﴿٣٢﴾ وَنَزَعَ يَدَهُ فَإِذَا هِيَ بَيْضَاءُ لِلنَّاظِرِينَ ﴾ [الشعراء: ٣٢، ٣٣] .

هذا وقد أوتي موسى عليه السلام تسع آيات كما قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَىٰ تِسْعَ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ فَاسْأَلْ بَنِي إِسْرَائِيلَ إِذْ جَاءَهُمْ فَقَالَ لَهُ فِرْعَوْنُ إِنِّي لَأَظُنُّكَ يَا مُوسَىٰ مَسْحُورًا ﴿١٠١﴾ قَالَ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا أَنزَلَ هَٰؤُلَاءِ إِلَّا رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ بَصَائِرَ وَإِنِّي لَأَظُنُّكَ يَا فِرْعَوْنُ مَثْبُورًا ﴾ [الإسراء: ١٠١، ١٠٢]، لكن أكبر هذه الآيات التسع هي العصا واليد كما ذكرنا ، والله أعلم .

* * *

(١) نقله عنهم غير واحد من أهل العلم منهم ابن الجوزي في «زاد المسير» وغيره من العلماء ، وقد صح هذا عن الحسن وقتادة وابن زيد وغيرهما كما عند الطبري .

س ـ وضح المراد بقوله تعالىٰ : ﴿ثُمَّ أَدْبَرَ يَسْعَىٰ ﴿٢٢﴾ فَحَشَرَ فَنَادَىٰ . .﴾ [النازعات: ٢٢، ٢٣] ؟

ج : في قوله تعالىٰ : ﴿ثُمَّ أَدْبَرَ يَسْعَىٰ﴾ وجوه من المعاني :

أحدها: أنه لما رأىٰ الحية أدبر مرعوبًا مسرعًا في مشيه هاربًا منها.

الثاني : أنه لما جاءته البينات أعرض عنها ، واتجه للعمل بالفساد في الأرض، وجمع ما يستطيع من كيدٍ وأدلة وبراهين لدحض حجة موسىٰ عليه السلام ، كما قال عن نظيره : ﴿وَإِذَا تَوَلَّىٰ سَعَىٰ فِي الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ﴾ [البقرة: ٢٠٥] فسعيه في الأرض كان بالفساد.

أما قوله : ﴿فحشر﴾ أي : **فجمع** ، أي : جمع جنوده للقتال والمحاربة ، وجمع السحرة لمواجهة موسىٰ بسحرهم ، وجمع الناس للحضور ومشاهدة ما يقع من السحرة مع موسىٰ .

ونادىٰ في هؤلاء جميعًا : أنا ربكم الأعلىٰ .

* * *

س ـ ما المراد بالآخرة والأولىٰ في قوله تعالىٰ : ﴿فَأَخَذَهُ اللَّهُ نَكَالَ الْآخِرَةِ وَالْأُولَىٰ﴾ [النازعات: ٢٥] ؟

ج : **لأهل العلم في ذلك أقوال :ـ**

أحدها : أن المراد بالآخرة والأولىٰ : الآخرة والدنيا [١] (قال ابن

---

(١) وقد صح ذلك عن قتادة وروي بإسناد حسن عن الحسن البصري أيضًا كما عند الطبري وغيره. =

كثير : وهو الصحيح الذي لا شك فيه) .

الثاني : أن المراد بالأولى : قوله : ﴿ مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَهٍ غَيْرِي ﴾ [القصص: ٣٨]، والمراد بالآخرة: قوله: ﴿ أَنَا رَبُّكُمُ الأَعْلَىٰ ﴾ [النازعات: ٢٤].

الثالث : أن المراد بالآخرة والأولى كفره وعصيانه .

الرابع : أن المراد بالآخرة والأولى آخر أعماله السيئة وأولها



= قلت : والمراد بنكال الدنيا على هذا التأويل تعذيبه بالغرق وإظهاره أمام الناس عبرة لمن يخشى كما قال تعالى : ﴿ فَالْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنْ خَلْفَكَ آيَةً وَإِنَّ كَثِيراً مِّنَ النَّاسِ عَنْ آيَاتِنَا لَغَافِلُونَ ﴾ [يونس: ٩٢] .

والمراد بنكال الآخرة تعذيبه في الآخرة ، كما قال تعالى : ﴿ يَقْدُمُ قَوْمَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَأَوْرَدَهُمُ النَّارَ وَبِئْسَ الْوِرْدُ الْمَوْرُودُ ﴾ [هود: ٩٨] ، وكما قال سبحانه : ﴿ وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ ﴾ [غافر: ٤٦] .

﴿ءَأَنتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمِ ٱلسَّمَآءُ ۚ بَنَىٰهَا ﴿٢٧﴾ رَفَعَ سَمْكَهَا فَسَوَّىٰهَا ﴿٢٨﴾ وَأَغْطَشَ لَيْلَهَا وَأَخْرَجَ ضُحَىٰهَا ﴿٢٩﴾ وَٱلْأَرْضَ بَعْدَ ذَٰلِكَ دَحَىٰهَآ ﴿٣٠﴾ أَخْرَجَ مِنْهَا مَآءَهَا وَمَرْعَىٰهَا ﴿٣١﴾ وَٱلْجِبَالَ أَرْسَىٰهَا ﴿٣٢﴾ مَتَٰعًا لَّكُمْ وَلِأَنْعَٰمِكُمْ ﴿٣٣﴾﴾

س ـ اذكر معاني هذه الكلمات :

سمكها ـ سواها ـ أغطش ـ أخرج ضحاها ـ دحاها ـ أخرج منها ماءها ـ ومرعاها ـ أرساها ـ متاعًا ؟

ج :

الكلمة	معناهـــا
سمكهـــــا	بنيناها ـ سقفها
ســــواها	خلقها خلقًا مستويًا لا تفاوت فيها ولا شقوق ولا فطور
أغطــــش	أظلم أي : جعل ليلها مظلمًا
أخرج ضحاها	أبرز نهارها ، وعبر عن النهار بالضحى لأن الضحى أشرف أوقات النهار وأطيبها [1] ـ أخرج ضياءها ـ نوَّرها

---

(١) قاله صديق حسن خان في «فتح البيان» .

الكلمة	معناهـا
دحاهـا	بسطها ـ جعلها صالحة للإنبات ، ومن العلماء من قال: دحاها معناه: أخرج منها ماءها ومرعاها . . . . أي : أخرج منها الماء والمرعىٰ وشقق فيها الأنهار وجعل فيها الجبال
مرعاهـا	النبات الذي ترعاه الأنعام ، وقيل أيضًا : والنبات الذي يأكله الناس
أرساهـا	أثبتها ، وفي الكلام محذوف ، والمعنىٰ : أرساها في الأرض
متاعًـا	منفعة

* * *

س ـ لماذا أضيف الليل إلىٰ السماء ؟ ولماذا أضيف الضحىٰ إليها كذلك ؟

ج : **قال الطبري رحمه اللَّه** : فأضاف الليل إلىٰ السماء لأن الليل غروب الشمس ، وغروبها وطلوعها فيها فأضيف إليها لمَّا كان فيها ، كما قيل : نجوم الليل إذ كان فيه الطلوع والغروب .

وأيضًا فإضافة الضحىٰ إليها في قوله تعالىٰ : ﴿**وَأَخْرَجَ ضُحَاهَا**﴾

[النازعات: ٢٩] ، لأن الضحىٰ يظهر بظهور الشمس ، والشمس منسوبة إلىٰ السماء .

* * *

س ـ كثيرًا ما يستدل علىٰ البعث بخلق السموات والأرض فما هو وجه ذلك ؟

ج : وجه ذلك : أن اللَّه سبحانه وتعالىٰ بيَّن أن خلق السموات والأرض أكبر من خلق الناس، فالذي خلق السموات والأرض قادر علىٰ خلق الناس ، وقادر علىٰ بعثهم أحياءً بعد موتهم ، وهذا كقوله تعالىٰ: ﴿وَضَرَبَ لَنَا مَثَلاً وَنَسِيَ خَلْقَهُ قَالَ مَن يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ ﴿٧٨﴾ قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ ﴿٧٩﴾ الَّذِي جَعَلَ لَكُم مِّنَ الشَّجَرِ الأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَا أَنتُم مِّنْهُ تُوقِدُونَ ﴿٨٠﴾ أَوَلَيْسَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ بِقَادِرٍ عَلَىٰ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُم بَلَىٰ وَهُوَ الْخَلاَّقُ الْعَلِيمُ﴾ [يس: ٧٨ - ٨١].

وكما قال تعالىٰ : ﴿لَخَلْقُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ﴾ [غافر: ٥٧] .

وكما قال تعالىٰ : ﴿فَاسْتَفْتِهِمْ أَهُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَم مَّنْ خَلَقْنَا إِنَّا خَلَقْنَاهُم مِّن طِينٍ لاَّزِبٍ﴾ [الصافات: ١١] .

* * *

س ـ أيهما خلق أول الأرض أم السماء ؟

ج : قد قدمنا في ذلك بحثا موسعًا في تفسيرنا لسورة البقرة عند

تفسير قوله تعالىٰ : ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُم مَّا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ اسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ ...﴾ [البقرة: ٢٩] وهنا نورد باختصار قول العالمين ابن جرير وابن كثير رحمهما اللَّه تعالىٰ .

قال ابن جرير الطبري رحمه اللَّه :

والقول الذي ذكرناه عن ابن عباس من أن اللَّه تعالىٰ خلق الأرض وقدَّر فيها أقواتها ولم يدحها ، ثم استوىٰ إلىٰ السماء فسواهن سبع سموات ، ثم دحا الأرض بعد ذلك فأخرج منها ماءها ومرعاها وأرسىٰ فيها جبالها أشبه بما دل عليه ظاهر التنزيل .

وقال ابن كثير رحمه اللَّه :

وقد تقدم في سورة حم السجدة أن الأرض خلقت قبل خلق السماء ولكن إنما دُحيت بعد خلق السماء ، بمعنىٰ أنه أخرج ما كان فيها بالقوة إلىٰ الفعل ، وهذا معنىٰ قول غير واحد واختاره ابن جرير .

* * *

س ـ ما معنىٰ (بعد) في قوله تعالىٰ : ﴿وَالْأَرْضَ بَعْدَ ذَٰلِكَ دَحَاهَا﴾ [النازعات: ٣٠] ؟

ج : من العلماء من قال هي علىٰ بابها أي : أنها بخلاف معنىٰ (قبل) ومن العلماء من قال : إن (بعد) في هذا الموقع معناها (مع) فقوله عندهم : ﴿وَالْأَرْضَ بَعْدَ ذَٰلِكَ دَحَاهَا﴾ [النازعات: ٣٠] معناه :

والأرض مع ذلك دحاها [1] ، كقوله تعالى : ﴿عُتُلٍّ بَعْدَ ذَلِكَ زَنِيمٍ﴾ [القلم: ١٣] أي : عتل ومع كونه عتل فهو زنيم أيضًا . والله أعلم .

* * *

س ـ ما المراد بالخلق في قوله تعالى : ﴿أَأَنتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا﴾ [النازعات: ٢٧] وضح المعنى باختصار ؟

ج : **المراد بالخلق** هنا ـ على رأي بعض المفسرين ـ **البعث بعد الموت** ، فالمعنى : أبعثكم أحياءً بعد إماتتكم أشد في ظنكم وتقديركم أم خلق السماء وبناء السماء ؟!!

وثمَّ معنى آخر وهو : أأنتم أشد خلقًا من فرعون الذي قصصنا عليكم قصته وأوردنا لكم ذكره وجعلناه عبرة ونكالاً ؟!!

وإن زعم منكم زاعمٌ أنه أشد خلقًا من فرعون فهل هو أشد خلقًا من السماء وأشد خلقًا من الأرض . . . ؟ !!



(١) وصح عن مجاهد أنه قال في معناها : والأرض عند ذلك دحاها ، أخرجه الطبري .

﴿فَإِذَا جَاءَتِ الطَّامَّةُ الْكُبْرَىٰ ﴿٣٤﴾ يَوْمَ يَتَذَكَّرُ الْإِنسَانُ مَا سَعَىٰ ﴿٣٥﴾ وَبُرِّزَتِ الْجَحِيمُ لِمَن يَرَىٰ ﴿٣٦﴾ فَأَمَّا مَن طَغَىٰ ﴿٣٧﴾ وَآثَرَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ﴿٣٨﴾ فَإِنَّ الْجَحِيمَ هِيَ الْمَأْوَىٰ ﴿٣٩﴾ وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ ﴿٤٠﴾ فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَىٰ ﴿٤١﴾ يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا ﴿٤٢﴾ فِيمَ أَنتَ مِن ذِكْرَاهَا ﴿٤٣﴾ إِلَىٰ رَبِّكَ مُنتَهَاهَا ﴿٤٤﴾ إِنَّمَا أَنتَ مُنذِرُ مَن يَخْشَاهَا ﴿٤٥﴾ كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَهَا لَمْ يَلْبَثُوا إِلَّا عَشِيَّةً أَوْ ضُحَاهَا ﴿٤٦﴾﴾

س ـ اذكر معاني ما يلي :

الطامة الكبرىٰ ـ سعىٰ ـ بُرِّزت ـ طغىٰ ـ آثر ـ المأوىٰ ـ مرساها ـ منتهاها ـ عشية ؟

ج :

الكلمة	معناهـا
الطامة الكبرىٰ	القيامة، وقيل: هي النفخة الثانية التي يكون معها البعث، وأطلق عليها الطامة لأنها تطم (أي : تغطي) علىٰ كل هول قبلها وهي داهية تغطي علىٰ جميع الدواهي
سعـــــىٰ	فعل من خيرٍ أو شر

الكلمة	معناهــا
بُــــــرِّزت	ظهرت
طغــــــىٰ	تجاوز الحد في الكفر والمعاصي
آثــــــر	قدم ـ فضَّل
المـــــأوىٰ	المنزل الذي يأوي إليه وينزل فيه
مرساهــــا	قيامها
منتهاهــــا	منتهىٰ علمها ، لا يعلم وقت قيامها إلا اللَّه
عشيــــــة	العشية ما بين الزوال إلىٰ الغروب

* * *

س ـ وضح معنىٰ قوله تعالىٰ : ﴿وَبُرِّزَتِ الْجَحِيمُ لِمَن يَرَىٰ﴾ [النازعات: ٣٦] ؟

ج : من العلماء من قال : ظهرت الجحيم كي يراها كل الخلائق (مؤمنهم وكافرهم) ، كما قال تعالىٰ : ﴿وَإِن مِّنكُمْ إِلاَّ وَارِدُهَا كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا ﴿٧١﴾ ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوْا وَّنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا﴾ [مريم: ٧١، ٧٢] ، فالمؤمنون يمرون عليها ثم يصدرون عنها ، أما الكفار فتكون النار مأوىٰ لهم ومنزلاً .

● ومن العلماء من قال : برزت للكفار فقط بدليل قوله تعالىٰ : ﴿وَبُرِّزَتِ الْجَحِيمُ لِلْغَاوِينَ﴾ [الشعراء: ٩١] .

* * *

س ـ وضح معنى قوله تعالى : ﴿ وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ ﴾ [النازعات : ٤٠] ؟

ج : المعنى ـ والله أعلم ـ : وأما من خاف مسألة الله إياه عند وقوفه يوم القيامة بين يديه ، كما قاله الطبري رحمه الله . والله أعلم .

* * *

س ـ وضح معنى قوله تعالى : ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا﴾ [النازعات: ٤٢] ؟

ج : معنى قوله تعالى : ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا﴾ [النازعات: ٤٢] : أي : يسألك الناس عن وقت قيام الساعة ، متى تقوم ؟ وهذا السؤال من المشركين إما على سبيل الاستهزاء ؛ فإنهم لما سمعوا أوصاف القيامة وأنها الطآمة الكبرى وأنها الصآخة والواقعة والغاشية ، . . إلى غير ذلك من الأوصاف فحينئذ سألوا رسول الله ﷺ مستهزئين متى تقع هذه الأوصاف التي تذكرها .

- وقد يكون سؤالهم عنها استعجالاً لوقوعها كما قال تعالى : ﴿يَسْتَعْجِلُ بِهَا الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِهَا وَالَّذِينَ آمَنُوا مُشْفِقُونَ مِنْهَا وَيَعْلَمُونَ أَنَّهَا الْحَقُّ﴾ [الشورى: ١٨] .

- ومن المسلمين من كان يسأل عنها أيضًا لكن سؤال المستفسر المستخبر لا سؤال المستهزئ ولا سؤال الجاحد، ففي «صحيح البخاري»[١]

---

(١) البخاري حديث (٥٩) .

من حديث أبي هريرة رضي اللَّه عنه قال : بينما النبي ﷺ في مجلس يُحدِّث القوم جاءه أعرابي فقال : متىٰ الساعة ؟ فمضىٰ رسول اللَّه ﷺ يحدث فقال بعض القوم : سمع ما قال فكره ما قال ، وقال بعضهم : بل لم يسمع حتىٰ إذا قضىٰ حديثه قال : **«أين أراه السائل عن الساعة ؟»** قال : ها أنا يا رسول اللَّه ، قال : **«فإذا ضيعت الأمانة فانتظر الساعة»** قال : كيف إضاعتها ؟ قال : **« إذا وسِّد الأمر إلىٰ غير أهله فانتظر الساعة»** .

* * *

س ـ وضح معنىٰ قوله تعالىٰ : ﴿ فِيمَ أَنتَ مِن ذِكْرَاهَا ﴾ [النازعات: ٤٣] وبيِّن سبب نزوله ؟

ج : كان المشركون يكثرون من سؤال رسول اللَّه ﷺ عن الساعة ورسول اللَّه ﷺ بدوره يكثر من سؤال ربه عز وجل عن الساعة فقيل له: لماذا أنت مكثر من السؤال عن الساعة ، فإنك لست في شيء من علمها وذكرها ، والمعنىٰ : أنك لا تعلمها .

وقيل قول آخر : وهو ﴿فِيمَ﴾ أي : فيم هذا السؤال الذي يسألونه ، فقوله : ﴿فِيمَ﴾ إنكار علىٰ السائلين هذا السؤال ثم قال تعالىٰ : ﴿أَنتَ مِن ذِكْرَاهَا﴾ أي : بعثتك إليهم من أشراط الساعة فإنك خاتم النبيين ، كما قال تعالىٰ : ﴿فَهَلْ يَنظُرُونَ إِلاَّ السَّاعَةَ أَن تَأْتِيَهُم بَغْتَةً فَقَدْ جَاءَ أَشْرَاطُهَا﴾ [محمد: ١٨] .

• **أما سبب نزول الآية الكريمة فقد أخرج الطبري**[1] بإسناد صحيح عن عائشة قالت : لم يزل النبي ﷺ يسأل عن الساعة حتى أنزل اللَّه عز وجل : ﴿**فِيمَ أَنتَ مِن ذِكْرَاهَا ﴿٤٣﴾ إِلَىٰ رَبِّكَ مُنتَهَاهَا**﴾ [النازعات: ٤٣، ٤٤] .

* * *

س ـ وضح معنى قوله تعالى : ﴿ كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَهَا لَمْ يَلْبَثُوا إِلَّا عَشِيَّةً أَوْ ضُحَاهَا ﴾ [النازعات: ٤٦] وهل للعشية ضحى حتى قال سبحانه : ﴿ لَمْ يَلْبَثُوا إِلَّا عَشِيَّةً أَوْ ضُحَاهَا ﴾ ؟

ج : **قال الطبري رحمه اللَّه** : يقول جل ثناؤه : كأن هؤلاء المكذبين بالساعة يوم يرون أن الساعة قد قامت من عظيم هولها لم يلبثوا في الدنيا إلا عشية يوم أو ضحى تلك العشية ، والعرب تقول : آتيك العشية أو غداتها ، وآتيك الغداة أو عشيتها فيجعلون معنى الغداة بمعنى أول النهار والعشية آخر النهار ، فكذلك قوله إلا عشيةً أو ضحاها إنما معناه إلا آخر يوم أو أوَّله ، وينشد هذا البيت :

نحن صبحنا عامراً في دارها .:. عشية الهلال أو سرارها

---

(١) الطبري (٣٠/٣١) ، وإسناده صحيح إلا أنه قد أُعل بالإرسال فقد ذكره ابن أبي حاتم في «العلل» (٢/٦٨) ونقل عن أبي زرعة قوله : (الصحيح مرسل) .

قلت: لكن لـه شاهد عند الطبري مـن طريق طارق بن شهاب قال كان النبي ﷺ لا يزال يذكر شأن الساعة حتى نزلت ﴿ **يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا ﴿٤٢﴾ فِيمَ أَنتَ مِن ذِكْرَاهَا ﴿٤٣﴾ إِلَىٰ رَبِّكَ مُنتَهَاهَا ﴿٤٤﴾ إِنَّمَا أَنتَ مُنذِرُ مَن يَخْشَاهَا** ﴾ [النازعات: ٤٢ - ٤٥] . وهو شاهد مرسل قوي .

يعني : عشية الهلال أو عشية سرار العشية .

ثم أورد الطبري بإسناد حسن عن قتادة في قوله : ﴿كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَهَا لَمْ يَلْبَثُوا إِلاَّ عَشِيَّةً أَوْ ضُحَاهَا﴾ [النازعات: ٤٦] : وقت الدنيا في أعين القوم حين عاينوا الآخرة .

***

س ـ الكفار حين يرون الساعة يستقلون مدة بقائهم في الدنيا اذكر عدة أدلة على ذلك ؟

ج : من الأدلة على ذلك : قوله تعالى : ﴿قَالَ كَمْ لَبِثْتُمْ فِي الأَرْضِ عَدَدَ سِنِينَ ﴿١١٢﴾ قَالُوا لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ فَاسْأَلِ الْعَادِّينَ﴾ [المؤمنون: ١١٢، ١١٣] .

وقوله تعالى : ﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ كَأَن لَّمْ يَلْبَثُوا إِلاَّ سَاعَةً مِّنَ النَّهَارِ يَتَعَارَفُونَ بَيْنَهُمْ﴾ [يونس: ٤٥] .

وقوله تعالى : ﴿يَوْمَ يُنفَخُ فِي الصُّورِ وَنَحْشُرُ الْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ زُرْقًا ﴿١٠٢﴾ يَتَخَافَتُونَ بَيْنَهُمْ إِن لَّبِثْتُمْ إِلاَّ عَشْرًا ﴿١٠٣﴾ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ إِذْ يَقُولُ أَمْثَلُهُمْ طَرِيقَةً إِن لَّبِثْتُمْ إِلاَّ يَوْمًا﴾ [طه: ١٠٢ - ١٠٤] .

وقوله تعالى : ﴿كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَهَا لَمْ يَلْبَثُوا إِلاَّ عَشِيَّةً أَوْ ضُحَاهَا﴾ [النازعات: ٤٦] .



سُورَةُ عَبَسَ

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

عَبَسَ وَتَوَلَّىٰٓ ﴿١﴾ أَن جَآءَهُ ٱلْأَعْمَىٰ ﴿٢﴾ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُۥ يَزَّكَّىٰٓ ﴿٣﴾ أَوْ يَذَّكَّرُ فَتَنفَعَهُ ٱلذِّكْرَىٰٓ ﴿٤﴾ أَمَّا مَنِ ٱسْتَغْنَىٰ ﴿٥﴾ فَأَنتَ لَهُۥ تَصَدَّىٰ ﴿٦﴾ وَمَا عَلَيْكَ أَلَّا يَزَّكَّىٰ ﴿٧﴾ وَأَمَّا مَن جَآءَكَ يَسْعَىٰ ﴿٨﴾ وَهُوَ يَخْشَىٰ ﴿٩﴾ فَأَنتَ عَنْهُ تَلَهَّىٰ ﴿١٠﴾ كَلَّآ إِنَّهَا تَذْكِرَةٌ ﴿١١﴾ فَمَن شَآءَ ذَكَرَهُۥ ﴿١٢﴾ فِى صُحُفٍ مُّكَرَّمَةٍ ﴿١٣﴾ مَّرْفُوعَةٍ مُّطَهَّرَةٍۭ ﴿١٤﴾ بِأَيْدِى سَفَرَةٍ ﴿١٥﴾ كِرَامٍۭ بَرَرَةٍ ﴿١٦﴾

س ـ اذكر معاني هذه الكلمات :

عبس ـ تولىٰ ـ أن جاءه الأعمىٰ ـ يُدريك ـ يزكىٰ ـ يذكر فتنفعه الذكرىٰ ـ استغنىٰ ـ تصدىٰ ـ تلهىٰ ـ سفرة ـ بررة .

ج :

الكلمة	معناها
عبس	قبض وجهه ـ قطب جبينه تكرهًا ـ كلح بوجهه
تولىٰ	أعرض بوجهه
أن جآءه الأعمىٰ	لمجيء الأعمىٰ
يدريك	يعلمك
يزكىٰ	يتطهر من ذنوبه ومعاصيه ـ يزداد تقوىٰ

الكلمة	معناها
يذكر فتنفعه الذكرىٰ	يعتبر ويتعظ فتنفعه الموعظة
استغنــــــىٰ	استغنىٰ عن الإسلام وعن الإيمان بما آتاه اللَّه من أموال وأولاد وجاهٍ ورياسة (١)
تصــــــدىٰ	تصغي إليه ـ تقبل عليه ـ تتعرض له رجاء أن يُسلم
تلهــــــىٰ	تتشاغل وتتغافل عنه
سفــــــرة	الملائكة
بــــــررة	مطيعون

* * *

س ـ من الذي ﴿عَبَسَ وَتَوَلَّىٰ﴾ [عبس: ١] ومن هو الأعمىٰ ؟

ج : **قال الرازي في «تفسيره»** : أجمع المفسرون علىٰ أن الذي عبس وتولىٰ هو الرسول ﷺ ، وأجمعوا علىٰ أن الأعمىٰ هو ابن أم مكتوم .

* * *

(١) فغالبًا الاستغناء يولد الطغيان ، كما قال تعالىٰ : ﴿كَلاَّ إِنَّ الإِنسَانَ لَيَطْغَىٰ ۝٦ أَن رَّآهُ اسْتَغْنَىٰ﴾ [العلق: ٦ ، ٧] ، وكما قال تعالىٰ : ﴿وَإِذَا أَنْعَمْنَا عَلَى الإِنسَانِ أَعْرَضَ وَنَأَىٰ بِجَانِبِهِ﴾ [الإسراء: ٨٣] .

س ـ ما هو سبب نزول هذه الآيات: ﴿عَبَسَ وَتَوَلَّىٰ ...﴾ [عبس: ١]؟

ج ـ **سبب نزول هذه الآيات : ما أخرجه الترمذي** [١] وغيره من حديث عائشة رضي اللَّه عنها قالت : أنزل ﴿عَبَسَ وَتَوَلَّىٰ﴾ [عبس: ١] في ابن أم مكتوم الأعمى ، أتى رسول اللَّه ﷺ فجعل يقول : يا رسول اللَّه أرشدني ، وعند رسول اللَّه ﷺ رجل من عظماء قريش فجعل رسول اللَّه يُعرض عنه ويُقبل على الآخر ويقول : أترى بما تقول بأسًا ؟ فيقال : لا ، ففي هذا أنزل .

● في رواية عند أبي يعلى [٢] من حديث أنس رضي اللَّه عنه :

---

(١) أخرجه الترمذي (حديث ٣٣٣١) ، والطبري عند تفسير الآية الكريمة (جـ ٣٠ / ص ٣٢) ، وأبو يعلى الموصلي في «مسنده» (٤٨٤٨) ، والحاكم في «المستدرك» (٢/ ٥١٤) .

قال الترمذي : حدثنا سعيد بن يحيى بن سعيد الأموي حدثني أبي قال : هذا ما عرضنا على هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة قالت .... فذكر الحديث ، ثم قال الترمذي : هذا حديث غريب .

وروى بعضهم هذا الحديث عن هشام بن عروة قال : أنزل ﴿عَبَسَ وَتَوَلَّىٰ﴾ في ابن أم مكتوم ولم يذكر فيه عن عائشة .

وفي «العلل الكبير» للترمذي : سألت محمدًا عن هذا الحديث فقال : يروى عن هشام بن عروة عن أبيه مرسلاً («العلل الكبير» ٦٦٧ / ص ٣٥٨) .

● أما الحاكم فقال عقب إخراجه : هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه فقد أرسله جماعة عن هشام بن عروة .

وقال الذهبي في تعليقه على «المستدرك» : هكذا رواه يحيى بن سعيد الأموي مرفوعًا عن هشام وأرسله جماعة عن هشام وهو الصواب .

(٢) حديث أنس عند أبي يعلى من طريق محمد بن مهدي عن عبد الرزاق عن معمر عن قتادة عن أنس ، وفي هذا الطريق أمور :

أولها : ابن مهدي لا أعرفه .

جاء ابن أم مكتوم الأعمىٰ إلىٰ النبي ﷺ وهو يكلم أُبي بن خلف فأعرض عنه فأنزل اللَّه ﴿عَبَسَ وَتَوَلَّىٰ﴾ قال : فكان النبي ﷺ يكرمه .

وثمَّ طرق أخرىٰ كلها تدل علىٰ المعنىٰ المذكور وفي أسانيدها ضعف[1] .

وحديث الترمذي رحمه اللَّه قد أُعل بالإرسال وكذا حديث أنس رضي اللَّه عنه ، وهذه الطرق ، وإن كان لا يثبت منها إسناد بدون علة إلا أنها تنجبر بسياق الآيات الكريمات ، وتنجبر أيضًا بأن عددًا من أهل العلم نقل الإجماع علىٰ أنها نزلت في ابن أم مكتوم ، واللَّه أعلم .

* * *

س ـ لماذا وُصف ابن أم مكتوم بـ (الأعمىٰ) ورب العزة سبحانه يقول : ﴿وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ﴾ [الحجرات: ١١] ؟

ج : أجاب علىٰ ذلك بعض العلماء بأجوبة منها :

= **الثاني** : أن الحديث عند عبد الرزاق (الذي رواه عنه ابن مهدي هذا) في التفسير من طريق قتادة مرسلاً ، وكذا هو عند الطبري من طريق ابن ثور عن معمر عن قتادة مرسلاً ، وكذلك أيضًا عند الطبري من طريق سعيد عن قتادة مرسلاً .

الثالث : أن في رواية معمر عن قتادة كلام .

فالصواب في رواية أنس الإرسال أيضًا .

(١) منها ما أخرجه الطبري من حديث ابن عباس رضي اللَّه عنهما ، وإسناده تالف .

لكن بالجملة فالحديث يصح لأمور : منها : أن سياق الآيات يؤيده ، والثاني أن الإجماع قد نقله غير واحد علىٰ أنها نزلت في ابن أم مكتوم ، ومن الذين نقلوا الإجماع علىٰ ذلك القرطبي في «تفسيره» والشوكاني في «فتح القدير» وصديق حسن خان في «فتح البيان» وعطية سالم في «تتمة أضواء البيان» ، واللَّه أعلم .

الأول : أنه وصف بالأعمى للإشعار بعذره في الإقدام على قطع كلام الرسول ﷺ ، لأنه لو كان يرى ما هو مشتغل به مع صناديد الكفار لما قطع كلامه .

الثاني : أن الشخص إذا اشتهر بشيء ولم يُعلم من حاله أنه يتضايق بهذا الوصف الذي وصف به فلا بأس والحالة هذه أن يُنادَى بهذا الوصف ، ولا يكون هذا داخلاً في قوله تعالى : ﴿ وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ ﴾ ، وقد دل على ذلك قول النبي ﷺ: «**أكما يقول ذو اليدين**»[1] لرجلٍ كان في يديه طُول ..

وقد بوَّب البخاري لبعض طرق هذا الحديث في كتاب الأدب بباب ما يجوز من ذكر الناس نحو قولهم : الطويل والقصير ، وقال النبي ﷺ : «**ما يقول ذو اليدين**» وما لا يراد به شين الرجل .

● **وقال الحافظ ابن حجر رحمه الله**[2]: هذه الترجمة معقودة لبيان حكم الألقاب وما لا يعجب الرجل أن يوصف به مما هو فيه ،

---

(١) أخرجه البخاري (٤٨٢) وفي غير موضع ، ومسلم (حديث ٥٧٣) من طريق ابن سيرين عن أبي هريرة قال : صلى بنا رسول الله ﷺ إحدى صلاتي العشي ـ قال ابن سيرين ـ : سماها أبو هريرة ولكن نسيت أنا ، قال : فصلى بنا ركعتين ثم سلَّم ، فقام إلى خشبة معروضة في المسجد فاتكأ عليها كأنه غضبان ووضع يده اليمنى على اليُسرى وشبك بين أصابعه ووضع خده الأيمن على ظهر كفه اليسرى وخرجت السُّرعان من أبواب المسجد فقال : قُصرت الصلاة ، وفي القوم أبو بكر وعمر فهابا أن يُكلماه ، وفي القوم رجل في يديه طول يُقال له ذو اليدين قال : يا رسول الله أنسيتَ أم قُصِرت الصلاة ؟ قال : «**لم أنس ولم تقصر**» ، فقال : «**أكما يقول ذو اليدين ؟**» فقالوا : نعم .... الحديث .

(٢) «فتح الباري» (١٠/٤٦٨) .

وحاصله: أن اللقب إن كان مما يعجب الملقب ولا إطراء فيه مما يدخل في نهي الشرع فهو جائز أو مستحب ، وإن كان مما لا يعجبه فهو حرام أو مكروه ، إلا إن تعيَّن طريقًا إلىٰ التعريف به حيث يشتهر به ولا يتميز عن غيره إلا بذكره ومن ثمَّ أكثر الرواةُ من ذكر الأعمش والأعرج ونحوهما ، وعارم وغُندر وغيرهم ، والأصل فيه قول النبي ﷺ لما سلم من ركعتين من صلاة الظهر : **«أكما يقول ذو اليدين»** . . ثم قال الحافظ رحمه اللَّه : وإلىٰ ما ذهب إليه البخاري من التفصيل في ذلك ذهب الجمهور .

قلت : وكما ذكر الحافظ ابن حجر رحمه اللَّه فقد أطبق المحدثون علىٰ جواز ذكر مثل هذه الألفاظ كالأعمش والأعرج والأعور والدراوردي [١] وابن دقيق العيد [٢]، والخرقي، والمقبري [٣] والحذاء [٤] والفقير [٥] وغير ذلك .

* * *

س ـ من هو هذا المستغني ؟

---

(١) ذكر بعض العلماء أن الدراوردي أصلها أن عبد العزيز (صاحب هذا اللقب) كان من أهل بلدة يقول أهلها لمن أرادوه أن يدخل عليها (اندر) فلما قدم المدينة وجاء الناس يستئذنون عليه قال لهم (اندروا) فلقب بالاندراوردي ثم خففت فقيل الدراوردي ، واللَّه أعلم .

(٢) ذكر بعض العلماء أنه لُقب بابن دقيق العيد لشدة بياضه .

(٣) لأن بيته كان قريبًا من المقابر .

(٤) لأنه كان يُجالس الحذائين .

(٥) لأنه كان يشتكي فِقار ظهره .

ج : قال بعض أهل العلم : إنه أبي بن خلف على ما جاء في الحديث وقيل : صناديد مشركي قريش ، والله أعلم .

***

س ـ وضح معنى قوله تعالى : ﴿ وَمَا عَلَيْكَ أَلاَّ يَزَّكَّىٰ ﴾ [عبس: ٧] ؟

ج : المعنى ـ والله أعلم ـ : ليس عليك إثم من عدم تزكيهم وتطهرهم وإسلامهم فـ ﴿ إِنَّمَا أَنتَ مُنذِرٌ ﴾ [الرعد: ٧] ، و ﴿ فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلاغُ ﴾ [الرعد: ٤٠] ، و ﴿ لَيْسَ عَلَيْكَ هُدَاهُمْ ﴾ [البقرة: ٢٧٢] ، و ﴿ لَسْتَ عَلَيْهِم بِمُسَيْطِرٍ ﴾ [الغاشية: ٢٢] .

***

س ـ ما الرأي فيما قاله القرطبي رحمه الله حيث قال : قال علماؤنا: ما فعله ابن أم مكتوم كان من سوء الأدب لو كان عالمًا بأن النبي ﷺ مشغول بغيره وأنه يرجو إسلامهم ، ولكن الله تبارك وتعالى عاتبه حتى لا تنكسر قلوب أهل الصفة ، أو ليعلم أن المؤمن الفقير خير من الغني .. ؟

ج : هذا الكلام قد سُبق القرطبي إلى نحوه سَبَقه الرازي وبالغ في القول فقال: إن ابن أم مكتوم كان يستحق التأديب والزجر ، وعلل ذلك بما حاصله : أنه (أي : ابن أم مكتوم) كان يسمع مخاطبة النبي ﷺ للقوم ، وهو كان أعمى إلا أنه يسمع ما يجري ويدور ، وأيضًا فهو كان قد أسلم وتعلم دينه أما هؤلاء فلم يسلموا . . . إلى آخر ما قال رحمه الله ولنا على هذا القول تحفظات :

أولها : أن هذا القول بجملته لا نوافق عليه فإن الله سبحانه وتعالى أثنى على ابن أم مكتوم بقوله : ﴿وَأَمَّا مَن جَاءَكَ يَسْعَىٰ ﴿٨﴾ وَهُوَ يَخْشَىٰ﴾ [عبس: ٨، ٩] .

الثاني : أن ابن أم مكتوم مرفوع عنه الحرج لقوله تعالى : ﴿لَيْسَ عَلَى الْأَعْمَىٰ حَرَجٌ﴾ [الفتح: ١٧] .

والذي يظهر لي ـ والعلم عند الله ـ : أن هذا تأديب لهذه الأمة في شخص رسول الله ﷺ وتعليم لها في شخص نبيها الكريم ، كما قال الله تبارك وتعالى : ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَا أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴿٢٣﴾ وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا﴾ [الإسراء: ٢٣، ٢٤] . والله تعالى أعلم .

* * *

س ـ اذكر بعض مناقب عبد الله بن أم مكتوم رضي الله عنه ؟

ج : من هذه المناقب ما يلي :

● ما تقدم من أن الله سبحانه وتعالى قال في شأنه : ﴿وَأَمَّا مَن جَاءَكَ يَسْعَىٰ ﴿٨﴾ وَهُوَ يَخْشَىٰ﴾ [عبس: ٨، ٩] فوصفه الله سبحانه وتعالى بأنه جاء يسعى وهو يخشى .

● ومن ذلك: أنه كان مؤذنًا لرسول الله ﷺ كما أخرج ذلك مسلم[1]

---

(١) أخرجه مسلم (حديث ٣٨٠) .

من حديث ابن عمر رضي اللَّه عنهما قال : كان لرسول اللَّه ﷺ مؤذنان بلال وابن أم مكتوم .

• وأخرج البخاري[١] من حديث زيد بن ثابت رضي اللَّه عنه أن رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وآله وسلم أملىٰ عليه : ﴿ **لا يستوي القاعدون من المؤمنين والمجاهدون في سبيل اللَّه** ﴾ فجاءه ابن أم مكتوم وهو يُملُّها عليَّ قال : يا رسول اللَّه ، واللَّه لو أستطيع الجهاد لجاهدت ـ وكان أعمىٰ ـ فأنزل اللَّه علىٰ رسوله صلىٰ اللَّه عليه وآله وسلم وفخذوه علىٰ فخذي فثقلت عليَّ حتىٰ خفت أن ترض فخذي ثم سرىٰ عنه فأنزل اللَّه : ﴿ **غير أولي الضرر** ﴾ .

وفي رواية للبخاري[٢] أيضًا من حديث البراء بن عازب رضي اللَّه عنهما قال : لما نزلت ﴿ **لَا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ** ﴾ [النساء: ٩٥] قال النبي صلىٰ اللَّه عليه وآله وسلم : « **ادعوا فلانًا** » فجاءه ومعه الدواة واللوح أو الكتف فقال : «**اكتب**» ﴿ **لَا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ وَالْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ** ﴾ [النساء: ٩٥] وخلف النبي صلىٰ اللَّه عليه وآله وسلم ابن أم مكتوم فقال : يا رسول اللَّه أنا ضرير فنزلت مكانها : ﴿ **لَا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُولِي الضَّرَرِ وَالْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ** ﴾ [النساء: ٩٥] .

* * *

(١) البخاري (حديث ٤٥٩٢) .

(٢) البخاري (٤٥٩٤) .

س ـ ينبغي أن يُقبل المؤمن على أهل الإيمان وإن كانوا ضعفاء أو فقراء ، اذكر بعض الأدلة على ذلك ؟

ج : من هذه الأدلة : قوله تعالى : ﴿ وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ [1] يُرِيدُونَ وَجْهَهُ مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِم مِّن شَيْءٍ وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِم مِّن شَيْءٍ فَتَطْرُدَهُمْ فَتَكُونَ مِنَ الظَّالِمِينَ ﴿٥٢﴾ وَكَذَٰلِكَ فَتَنَّا بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لِّيَقُولُوا أَهَٰؤُلَاءِ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْهِم مِّن بَيْنِنَا أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ بِالشَّاكِرِينَ ﴿٥٣﴾ وَإِذَا جَاءَكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِنَا فَقُلْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ أَنَّهُ مَنْ عَمِلَ مِنكُمْ سُوءًا بِجَهَالَةٍ ثُمَّ تَابَ مِن بَعْدِهِ وَأَصْلَحَ فَأَنَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ [الأنعام: ٥٢ - ٥٤] .

● وقوله تعالى : ﴿ وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَن ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا ﴾ [الكهف: ٢٨] .

● وقوله تعالى : ﴿ أَمَّا مَنِ اسْتَغْنَىٰ ﴿٥﴾ فَأَنتَ لَهُ تَصَدَّىٰ ﴿٦﴾ وَمَا

---

(١) أخرج مسلم في «صحيحه» (حديث ٢٤١٣) من حديث سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه قال: فيَّ نزلت ﴿ وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ ﴾ قال : نزلت في ستةٍ أنا وابن مسعود منهم ، وكان المشركون قالوا : تُدني هؤلاء !!
وفي رواية لمسلم أيضًا من حديث سعد قال : كنا مع النبي ﷺ ستة نفر فقال المشركون للنبي ﷺ : اطرد هؤلاء لا يجترئون علينا ، قال : وكنت أنا وابن مسعود ورجل من هُذيل وبلال ورجلان لست أسميهما فوقع في نفس رسول الله ﷺ ما شاء الله أن يقع فحدث نفسه ، فأنزل الله عز وجل : ﴿ وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ ﴾ [الأنعام: ٥٢] .

عَلَيْكَ أَلاَّ يَزَّكَّىٰ ﴿٧﴾ وَأَمَّا مَن جَاءَكَ يَسْعَىٰ ﴿٨﴾ وَهُوَ يَخْشَىٰ ﴿٩﴾ فَأَنتَ عَنْهُ تَلَهَّىٰ ﴿١٠﴾ كَلاَّ إِنَّهَا تَذْكِرَةٌ ﴾ [عبس: ٥ - ١١] .

وأخرج مسلم [1] من حديث عائذ بن عمرو أن أبا سفيان أتىٰ علىٰ سلمان وصهيب وبلال في نفرٍ فقالوا : واللَّه ما أخذت سيوف اللَّه من عُنق عدو اللَّه مأخذها ، قال : فقال أبو بكر : أتقولون هذا لشيخ قريش وسيدهم ؟ فأتىٰ النبيَّ ﷺ فأخبره فقال : **«يا أبا بكر لعلك أغضبتهم لئن كنت أغضبتهم لقد أغضبت ربك»** ، فأتاهم أبو بكر فقال : يا إخوتاه أغضبتكم ؟ قالوا : يغفر اللَّه لك يا أخي .

● ومن هذا الباب: قوله تعالىٰ في شأن نوح عليه السلام مع قومه (في سورة هود) : ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٢٥﴾ أَن لاَّ تَعْبُدُوا إِلاَّ اللَّهَ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ أَلِيمٍ ﴿٢٦﴾ فَقَالَ الْمَلأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن قَوْمِهِ مَا نَرَاكَ إِلاَّ بَشَرًا مِّثْلَنَا وَمَا نَرَاكَ اتَّبَعَكَ إِلاَّ الَّذِينَ هُمْ أَرَاذِلُنَا بَادِيَ الرَّأْيِ وَمَا نَرَىٰ لَكُمْ عَلَيْنَا مِن فَضْلٍ بَلْ نَظُنُّكُمْ كَاذِبِينَ ﴿٢٧﴾ قَالَ يَا قَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّي وَآتَانِي رَحْمَةً مِّنْ عِندِهِ فَعُمِّيَتْ عَلَيْكُمْ أَنُلْزِمُكُمُوهَا وَأَنتُمْ لَهَا كَارِهُونَ ﴿٢٨﴾ وَيَا قَوْمِ لا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مَالاً إِنْ أَجْرِيَ إِلاَّ عَلَى اللَّهِ وَمَا أَنَا بِطَارِدِ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّهُم مُّلاقُوا رَبِّهِمْ وَلَكِنِّي أَرَاكُمْ قَوْمًا تَجْهَلُونَ ﴿٢٩﴾ وَيَا قَوْمِ مَن يَنصُرُنِي مِنَ اللَّهِ إِن طَرَدتُّهُمْ أَفَلا تَذَكَّرُونَ ﴿٣٠﴾ وَلا أَقُولُ لَكُمْ عِندِي خَزَائِنُ اللَّهِ وَلا أَعْلَمُ الْغَيْبَ وَلا أَقُولُ إِنِّي مَلَكٌ وَلا أَقُولُ لِلَّذِينَ تَزْدَرِي أَعْيُنُكُمْ لَن يُؤْتِيَهُمُ اللَّهُ خَيْرًا اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا فِي أَنفُسِهِمْ إِنِّي إِذًا لَّمِنَ

---

(١) مسلم حديث (٢٥٠٤) ، والنسائي في «فضائل الصحابة» (١٧٢) ، وأحمد (٥/ ٦٤) .

الظَّالِمِينَ﴾ [هود: ٢٥ - ٣١] .

وقد سأل هرقل أبا سفيان عن أصحاب رسول اللَّه ﷺ فقال له : (فأشراف الناس يتبعونه أم ضعفاؤهم) [1] قال أبو سفيان : بل ضعفاؤهم فقال له هرقل : وهم أتباع الرسل .

● قال بعض العلماء : لأن الضعفاء والفقراء ليس لديهم حرصٌ علىٰ منصب يضيع ولا جاه يُهدر ، ولأنهم أهل تواضع ومسكنة .

* * *

س ـ ما المراد بقوله تعالىٰ : ﴿كَلاَّ﴾ عند قوله تعالىٰ : ﴿كَلاَّ إِنَّهَا تَذْكِرَةٌ﴾ [عبس: ١١] ؟

ج : كلا : كلمة ردع وزجر ، والمراد بها هنا : أي : ليس الأمر كما تفعل يا محمد من الإقبال علىٰ الكافر المستغني والإلحاح عليه والإعراض عن الفقير الضعيف الذي جاءك يسعىٰ وهو يخشىٰ .

وقال آخرون من أهل العلم : إن منزلة القرآن والوحي والدين أعلىٰ منزلة من أن تبذل لقوم هذه حالتهم ، فهي علىٰ ما هي عليه من تكريم ورفعة وطهارة وصيانة ، وما عليها من حفظة سفرة كرام بررة أحرىٰ بأن يسعىٰ إليها والخير لمن أتاها يطلبها .

* * *

س ـ قوله تعالىٰ: ﴿فَمَن شَاءَ ذَكَرَهُ﴾ [عبس: ١٢] للتخيير أم للتهديد؟

---

(١) انظر الحديث بذلك في البخاري (حديث، ٧) ومسلم (١٧٧٣) .

ج : الصواب ـ والعلم عند اللَّه ـ : أنها للتهديد ، بدليل قوله تعالىٰ: ﴿قتل الإنسان ما أكفره﴾ . وهي كقوله تعالىٰ : ﴿فَمَن شَاءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَاءَ فَلْيَكْفُرْ﴾ [الكهف: ٢٩] .

* * *

س ـ إلىٰ ماذا يرجع الضمير في قوله تعالىٰ : ﴿إِنَّهَا تَذْكِرَةٌ﴾ [عبس: ١١] ، وفي قوله تعالىٰ : ﴿فَمَن شَاءَ ذَكَرَهُ﴾ [عبس: ١٢] ؟

ج : الضمير في قوله تعالىٰ : ﴿كَلاَّ إِنَّهَا﴾ يرجع إلىٰ الموعظة التي وعظ اللَّه به نبيه ﷺ في معاملة من جاء يسعىٰ وهو يخشىٰ ، وفي معاملة من استغنىٰ ، أي : الوصية بالمساواة بين الناس في إبلاغ العلم للشريف والوضيع والغني والفقير .

- **ومن العلماء من قال** : إن الضمير يرجع إلىٰ هذه السورة .
- أما الضمير في قوله تعالىٰ : ﴿فَمَن شَاءَ ذَكَرَهُ﴾ [عبس: ١٢] فللعلماء فيه قولان :

أحدهما : أنه يرجع إلىٰ اللَّه عز وجل ، فالمعنىٰ : فمن شاء ذكر اللَّه .

الثاني : أنه يرجع إلىٰ القرآن ، فالمعنىٰ : فمن شاء قرأه وعمل به واللَّه أعلم .

* * *

س ـ ما المراد بالصحف المكرمة ؟

ج : هي اللوح المحفوظ ، واللَّه أعلم .

* * *

س ـ قوله تعالى : ﴿مُّطَهَّرَةٍ﴾ [عبس: ١٤] مطهرة من ماذا ؟

ج : مطهرة من الدنس ، ومطهرة من الزيادة والنقص ، ومطهرة من الشرك ، ومطهرة من النزول على المشركين .

وقال البخاري رحمه اللَّه : والصحف مطهرة لأن الصحف يقع عليها التطهير فجعل التطهير لمن حملها أيضًا .

* * *

س ـ ما هي التي في الصحف المكرمة ؟

هي التذكرة ، فالمعنى : كلا إنها تذكرة في صحف مكرمة ، وقوله : ﴿فَمَن شَاءَ ذَكَرَهُ﴾ [عبس: ١٢] جملة اعتراضية ، واللَّه أعلم .

* * *

س ـ من المراد بالسفرة ؟

ج : جمهور أهل العلم على أن المراد بالسفرة هم الملائكة ، ثم بعد ذلك اختلفوا في تخصصات هذه الملائكة الذين وصفوا بأنهم سفرة.

فمن العلماء من قال : إنهم الكتبة ، ومنهم من قال : إنهم القراء

لقول النبي ﷺ : «الماهر بالقرآن مع السفرة الكرام البررة» [(١)] ومنهم من قال : هم السفراء بين اللَّه عز وجل وبين الرسل عليهم السلام .

قال البخاري في « صحيحه » (كتاب التفسير عند تفسير سورة عبس) : الملائكة واحدهم سافر ، سفرت أصلحت بينهم ، وجعلت الملائكة إذا نزلت بوحي اللَّه وتأديته كالسفير الذي يصلح بين القوم .

قال الطبري رحمه اللَّه : وأولى الأقوال في ذلك بالصواب قول من قال : هم الملائكة الذين يسفرون بين اللَّه ورسله بالوحي وسفير القوم الذي يسعى بينهم بالصلح، يُقال: سفرت بين القوم إذا أصلحت بينهم ، ومنه قول الشاعر :

وما أدع السفارة بين قومي ∴ وما أمشي بغشٍ إن مشيت

وإذا وجه التأويل إلى ما قلنا احتمل الوجه الذي قاله القائلون هم الكتبة والذي قاله القائلون أنهم القراء لأن الملائكة هي التي تقرأ الكتب وتسفر بين اللَّه ورسله .



---

(١) اخرجه مسلم (حديث ٧٩٨) من حديث أم المؤمنين عائشة رضي اللَّه عنها مرفوعًا .

﴿ قُتِلَ ٱلْإِنسَٰنُ مَآ أَكْفَرَهُۥ ۝١٧ مِنْ أَىِّ شَىْءٍ خَلَقَهُۥ ۝١٨ مِن نُّطْفَةٍ خَلَقَهُۥ فَقَدَّرَهُۥ ۝١٩ ثُمَّ ٱلسَّبِيلَ يَسَّرَهُۥ ۝٢٠ ثُمَّ أَمَاتَهُۥ فَأَقْبَرَهُۥ ۝٢١ ثُمَّ إِذَا شَآءَ أَنشَرَهُۥ ۝٢٢ كَلَّا لَمَّا يَقْضِ مَآ أَمَرَهُۥ ۝٢٣ ﴾

س ـ اذكر معاني هذه الكلمات :

قُتل ـ أقبره ـ أنشره ؟

ج :

الكلمة	معناها
قُتِلَ	لُعِن
أقبره	صيَّره ذا قبر [1]
أنشره	أحياه بعد موته ، ومنه قولهم : البعث والنشور

* * *

(١) قال الطبري رحمه الله : يعني بقوله أقبره : صيَّره ذا قبر ، والقابر : هو الدافن الميت بيده كما قال الأعشى :

لو أسندت ميتًا إلى نحرها .:. عاش ولم يُنقل إلى قابر

والمقبر : هو الله الذي أمر عباده أن يقبروه بعد وفاته فصيره ذا قبر .

س ـ من المراد بالإنسان في قوله تعالىٰ : ﴿ قُتِلَ الإِنسَانُ مَا أَكْفَرَهُ ﴾ [عبس: ١٧] ؟

ج : المراد : الإنسان الكافر .

* * *

س ـ وضح أقوال العلماء في قوله تعالىٰ ﴿ مَا أَكْفَرَهُ ﴾ [عبس: ١٧] ؟

ج : من هذه الأقوال ما يلي :

- ما أشد كفره [١].
- ما الذي حمله على الكفر .
- المراد : التعجب من كفره مع إحسان اللَّه إليه .

* * *

س ـ ما معنىٰ قوله : ﴿ مِن نُطْفَةٍ خَلَقَهُ فَقَدَّرَهُ ﴾ [عبس: ١٩] ؟

ج : المعنىٰ ـ واللَّه أعلم ـ : أن اللَّه عز وجل خلق هذا الإنسان من نطفة ثم قدره ، وفي قدره أقوال : أحدها : قدره نطفة ثم علقة ثم مضغة ثم كسيت العظام لحمًا ثم أنشئ خلقًا آخر .

- وقيل : قدره قدر يديه ورجليه وعينيه وسائر آرابه .
- وقيل: قدر أجله ورزقه وعمله وشقي أو سعيد وكل هذا محتمل.

* * *

(١) ويشهد لهذا قوله تعالىٰ : ﴿ إِنَّ الإِنسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ ﴾ [إبراهيم: ٣٤] ، وقوله تعالىٰ : ﴿ إِنَّ الإِنسَانَ لَكَفُورٌ ﴾ [الحج: ٦٦] .

س ـ ما هو وجه إيراد قوله تعالى : ﴿ مِنْ أَيِّ شَيْءٍ خَلَقَهُ ﴾ [عبس: ١٨] عقب قوله تعالى : ﴿ قُتِلَ الإِنسَانُ مَا أَكْفَرَهُ ﴾ [عبس: ١٧] ؟

ج : وجه ذلك : إظهار التعجب من حال الكافر وتبكيته فهو مع كونه مخلوقًا من نطفة ، ثم قدره اللَّه عز وجل ، ثم يسر له السبيل ، ثم أماته فأقبره.. مع هذه الحال من الضعف ، ومع هذه النعم من اللَّه عليه : إذا هو شديد الكفران لنعم اللَّه عليه .

ففائدة ذكر الآيات عقب قوله: ﴿ قُتِلَ الإِنسَانُ مَا أَكْفَرَهُ ﴾ [عبس: ١٧] تذكير للكافر لعله يتعظ ، وبيان لحاله من الضعف ، وبيان نعم اللَّه عليه وقدرته سبحانه عليه .

● وكما قال القائل : ما لابن آدم والفخر ، أوله نطفةٌ مذرةٌ ، وآخره جيفةٌ ، قذرةٌ وهو بينهما حامل عذرة .

* * *

س ـ ما المراد بالسبيل في قوله تعالى : ﴿ ثُمَّ السَّبِيلَ يَسَّرَهُ ﴾ [عبس: ٢٠] ؟

ج : لأهل العلم قولان في هذا :

أحدهما : أن المراد بالسبيل سبيل الخروج من بطن أمه [١].

---

(١) اختار ابن جرير الطبري رحمه اللَّه هذا الوجه فقال : وأولى التأويلين في ذلك عندي بالصواب قول من قال : ثم الطريق ، وهو الخروج من بطن أمه يسره ، وإنما قلنا: ذلك أولى التأويلين بالصواب؛ لأنه أشبههما بظاهر الآية، وذلك أن الخبر من اللَّه قبلها وبعدها عن صفة خلقه وتدبيره جسمه وتصريفه إياه في الأحوال ، فالأولى أن يكون أوسط ذلك نظير ما قبله وما بعده .

الثاني : أن المراد بالسبيل طريق الدين ، ومنه قوله تعالى : ﴿ إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا ﴾ [الإنسان: ٣] .

* * *

س ـ هل في قوله تعالى: ﴿ فَأَقْبَرَهُ ﴾ [عبس: ٢١] وجه إكرام لابن آدم؟

ج : نعم فيه وجه إكرام حاصله : أن اللَّه سبحانه وتعالى أمر بدفن ابن آدم إذا مات ولم يجعله مما يلقى على وجه الأرض تأكله السباع والطير .

* * *

س ـ وضح معنى قوله تعالى ﴿ كَلَّا لَمَّا يَقْضِ مَا أَمَرَهُ ﴾ [عبس: ٢٣] ؟

ج : المعنى ـ واللَّه أعلم ـ : ليس الأمر كما يقول الكافر من أنه قد أدى حق اللَّه عليه في نفسه وماله وما افترضه اللَّه عليه ، بل إنه لم يقض ما أمره اللَّه به ، أي : لم يؤد ما فرضه اللَّه عليه ، وقيل : لم يف بالميثاق الذي أخذه اللَّه عليه وهو في صلب أبيه . واللَّه أعلم .



﴿فَلْيَنظُرِ الْإِنسَانُ إِلَىٰ طَعَامِهِ (٢٤) أَنَّا صَبَبْنَا الْمَاءَ صَبًّا (٢٥) ثُمَّ شَقَقْنَا الْأَرْضَ شَقًّا (٢٦) فَأَنبَتْنَا فِيهَا حَبًّا (٢٧) وَعِنَبًا وَقَضْبًا (٢٨) وَزَيْتُونًا وَنَخْلًا (٢٩) وَحَدَائِقَ غُلْبًا (٣٠) وَفَاكِهَةً وَأَبًّا (٣١) مَّتَاعًا لَّكُمْ وَلِأَنْعَامِكُمْ (٣٢)﴾

س ـ اذكر معاني هذه الكلمات :

قضبًا ـ غُلبًا ـ أبًّا ؟

ج :

الكلمة	معناهـــا
قضبًـــا	هو البرسيم، وقيل: عموم العلف الذي تأكله الدواب، وقيل : هو جميع البقول التي تقطع فينبت أصلها
غلبًـــا	الأغلب: هو عظيم الرقبة [1]، فالغلب: العظام الغلاظ الرقاب ، وقيل : الطوال ، وقيل : النخل الكرام
أبًّـــا	هو ما تأكله الأنعام [2] ولا يأكله الناس

* * *

(١) قال الطبري : والغُلب جمع أغلب وهو الغليظ الرقبة من الرجال ، ومنه قول الفرزدق :

عوىٰ فأثار أغلب ضيغميا .:. فويل ابن المراغة ما استثارا

● أما الحدائق فالحديقة ما التف شجرها واجتمع ، روىٰ الطبري بإسناد صحيح عن ابن عباس قال : الحدائق ما التف واجتمع .

(٢) واستدل له بقوله تعالى: ﴿وَفَاكِهَةً وَأَبًّا (٣١) مَتَاعًا لَكُمْ وَلأَنْعَامِكُمْ﴾ [عبس: ٣١، ٣٢] =

س ـ ما هي صلة هذه الآيات ﴿أَنَّا صَبَبْنَا الْمَاءَ صَبًّا﴾ [عبس: ٢٥] بما قبلها ؟

ج : هذه الآيات تفسيرية لما قبلها ، فالمعنى : هذه كيفية صنع الطعام للإنسان كانت أولاً بصب الماء ، ثم شق الأرض ثم بإنبات حبًّا وعنبًا وقضبًا وزيتونًا ونخلاً وحدائق غلبًا وفاكهة وأبًّا . . والله أعلم .

* * *

س ـ ما المراد بالماء المذكور في قوله تعالى : ﴿أَنَّا صَبَبْنَا الْمَاءَ صَبًّا﴾ [عبس: ٢٥] ؟

ج : المراد : الغيث النازل من السماء ، كما قال تعالى : ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَتُصْبِحُ الْأَرْضُ مُخْضَرَّةً . . .﴾ [الحج: ٦٣] .

* * *

= فقال بعض العلماء : إن الفاكهة متاع لنا والأب لأنعامنا .

هذا وقد ورد عن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه من عدة طرق صحيحة إليه بلا ريب (عند الطبري والحاكم وأبي عبيد القاسم بن سلام وابن سعد وسعيد بن منصور في التفسير وغيرهم) أنه قرأ : ﴿وَفَاكِهَةً وَأَبًّا﴾ [عبس: ٣١] فقال : أما الفاكهة فقد عرفناها فما الأب ؟ ومعه عصا في يده ، ثم قال : لعمرك يا ابن الخطاب إن هذا لهو التكلف ، وألقى العصا من يده .

وورد عن أبي بكر عند أبي عبيد وغيره من طريق إبراهيم التيمي عنه أنه قال: أي سماء تظلني وأي أرض تقلني إذا قلت في كتاب الله ما لا أعلم . . ، لكن هذا الأثر ضعيف لانقطاعه بين إبراهيم التيمي وأبي بكر رضي الله عنه فإبراهيم لم يسمع من أبي بكر رضي الله عنه .

س ـ ما هي فائدة توجيه الإنسان إلى النظر إلى طعامه ؟

ج : حتى يتبين له وجه الإعجاز في طعامه وكيف تيسر له هذا الطعام وكيف هيئ له ؟ !!

ومن أهل العلم من قال : إن المراد توجيه نظر الإنسان إلى مدخل طعامه ومخرجه ، كيف دخل وكيف كانت حالته عند الدخول ، وكيف خرج وكيف كانت حالته عند الخروج [(١)] ؟ !!!

هذا والمراد بالنظر النظر المصحوب بالتفكر والتدبر، والله أعلم.

* * *

س ـ هناك أوجه تطابق بين قوله تعالى : ﴿مِن نُّطْفَةٍ خَلَقَهُ فَقَدَّرَهُ ﴿١٩﴾ ثُمَّ السَّبِيلَ يَسَّرَهُ﴾ [عبس: ١٩، ٢٠] وبين قوله تعالى : ﴿أَنَّا صَبَبْنَا الْمَاءَ صَبًّا ﴿٢٥﴾ ثُمَّ شَقَقْنَا الْأَرْضَ شَقًّا ﴿٢٦﴾ فَأَنْبَتْنَا فِيهَا حَبًّا ... ﴾ الآيات [عبس: ٢٥ - ٢٧] وضح أوجه التطابق هذه ؟

ج : أوجه هذا التطابق تتمثل في أن كيفية خلق الإنسان تشابه كيفية خلق الطعام .

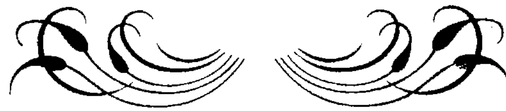
● فقذف المني في الرحم المذكور في قوله تعالى : **﴿مِن نُّطْفَةٍ خَلَقَهُ﴾** [عبس: ١٩] يطابق صب الماء من السماء إلى الأرض المذكور في قوله تعالى : **﴿أَنَّا صَبَبْنَا الْمَاءَ صَبًّا﴾** [عبس: ٢٥] .

---

(١) ومن هذا خروج الناس عند قدوم المولود وابتهاجهم به وإقبالهم عليه ، ثم بعد دفنه تظهر منه الرائحة الكريهة ويظهر النتن ويفرون منه أيما فرار !!!

• وتيسيير سبيل الخروج له من بطن أمه المذكور في قوله تعالىٰ: ﴿ثُمَّ السَّبِيلَ يَسَّرَهُ﴾ [عبس: ٢٠] يطابق خروج النبات من الأرض المذكور في قوله تعالىٰ : ﴿ثُمَّ شَقَقْنَا الأَرْضَ شَقًّا﴾ [عبس: ٢٦] .

• وتقدير خلق الإنسان وكتابة أجله ورزقه وعمله وشقي أو سعيد وكذلك تقديره ذكرًا أو أنثىٰ ، وتقدير النطفة هل هي مخلقة أو غير مخلقة ، وتقدير صورته وطوله وقصره ، ونحو ذلك كله المذكور في قوله تعالىٰ : ﴿فَقَدَّرَهُ﴾ يطابق أصناف الطعام التي نبتت من الأرض المذكورة في قوله تعالىٰ : ﴿فَأَنْبَتْنَا فِيهَا حَبًّا ﴿٢٧﴾ وَعِنَبًا ...﴾ [عبس: ٢٧، ٢٨] والله أعلم .



فَإِذَا جَاءَتِ الصَّاخَّةُ ﴿٣٣﴾ يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ ﴿٣٤﴾ وَأُمِّهِ وَأَبِيهِ ﴿٣٥﴾ وَصَاحِبَتِهِ وَبَنِيهِ ﴿٣٦﴾ لِكُلِّ امْرِئٍ مِنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ ﴿٣٧﴾ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ مُسْفِرَةٌ ﴿٣٨﴾ ضَاحِكَةٌ مُسْتَبْشِرَةٌ ﴿٣٩﴾ وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ عَلَيْهَا غَبَرَةٌ ﴿٤٠﴾ تَرْهَقُهَا قَتَرَةٌ ﴿٤١﴾ أُولَئِكَ هُمُ الْكَفَرَةُ الْفَجَرَةُ ﴿٤٢﴾

س ـ اذكر معاني هذه الكلمات :

الصآخة ـ مسفرة ـ غبرة ـ ترهقها ـ قترة ـ الفجرة ؟

ج :

الكلمة	معناها
الصآخة	قال بعض العلماء : إنها اسم من أسماء يوم القيامة وقال آخرون : اسم للنفخة في الصور وسميت صآخة لأنها تبالغ في إسماعها حتى تكاد تصم الأسماع ، وقال آخرون : تورث الصمم وإنها لمسمعة
مسفرة	مشرقة مضيئة
غبرة	غبار ودخان وكدر (من الغبار)
ترهقها	تغشاها ـ تعلوها
قترة	كسوف وسواد ـ ذلة

الكلمة	معناهـــا
الفجـــــرة	الفاجر: هو الكاذب المفتري على اللَّه ـ وقيل: الفاسق وقيل : الفاجر المائل عن الحق ومن العلماء من قال: الكفر في الاعتقاد والفجور يكون في الأعمال ، واللَّه أعلم

* * *

س ـ لماذا يفر المرء من أخيه وأمه وأبيه وصاحبته وبنيه يوم القيامة؟

ج : ذكر بعض العلماء لذلك أسبابًا منها ما يلي : ـ

الأول : انشغال كل امرئ منهم بأمر نفسه والاهتمام به دون غيره كما قال اللَّه تعالى : ﴿**لِكُلِّ امْرِئٍ مِّنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ**﴾ [عبس: ٣٧] .

وقد ورد في «الصحيحين» [١] وغيرهما من حديث أم المؤمنين عائشة رضي اللَّه عنها قالت : سمعت رسول اللَّه ﷺ يقول : «**يُحشر الناس يوم القيامة حفاة عراة غرلاً**» قلت : يا رسول اللَّه النساء والرجال جميعًا ينظر بعضهم إلى بعض قال ﷺ : «**يا عائشة الأمر أشد من أن ينظر بعضهم إلى بعض**» .

---

(١) أخرجه البخاري (حديث ٦٥٢٨) ، ومسلم (حديث ٢٨٥٩) واللفظ له .

الثاني : يفر كل امرئ منهم حتى لا يرونه ويرون ما يحل به .

الثالث : يفرُّ منهم حتى لا يطالبوه بالمظالم التي كانت لهم عنده .

الرابع : لعلمه أنهم لا ينفعونه بشيء كما قال تعالى : ﴿**يَوْمَ لا يُغْنِي مَوْلًى عَن مَّوْلًى شَيْئًا وَلا هُمْ يُنصَرُونَ**﴾ [الدخان: ٤١] .

* * *

س ـ من هم أصحاب الوجوه المسفرة ؟ اذكر بعض مبيضات الوجوه يوم القيامة ؟

ج : أصحاب الوجوه المسفرة : هم أهل الإيمان .

ومما يبيض الوجوه : الوضوء فأهل الوضوء يأتون يوم القيامة غرًّا محجلين من أثر الوضوء [(١)].

وأيضا حملة سنة رسول اللّه ﷺ ، قال النبي ﷺ : «**نضَّر اللّه امرءاً سمع مقالتي فوعاها ثم أداها كما سمعها**» [(٢)].

* * *

س ـ قوله تعالى : ﴿ضَاحِكَةٌ مُّسْتَبْشِرَةٌ﴾ [عبس: ٣٩] ضاحكة لماذا ومستبشرة بماذا ؟

---

(١) أخرج البخاري (حديث ١٣٦) ، ومسلم (حديث ٢٤٦ ص ٢١٦) من حديث أبي هريرة رضي اللّه عنه قال : سمعت النبي ﷺ يقول : «**إن أمتي يدعون يوم القيامة غُرًّا محجلين من آثار الوضوء**» .

(٢) صحيح متواتر .

ج : ضاحكة لما نالها من السرور والكرامة والنعيم .

مستبشرة لما ترجوه من الزيادة والرحمة والرضوان .

* * *

س ـ وجوه مَنْ التي ﴿ عَلَيْهَا غَبَرَةٌ ﴿٤٠﴾ تَرْهَقُهَا قَتَرَةٌ ﴾ [عبس: ٤٠، ٤١] ؟

ج : هي وجوه الكفار .

* * *

س ـ ما هو وجه فجور الكفار في الدنيا ؟

ج : وجه ذلك : أنهم كانوا لا يبالون بما اقترفوه من معاصي للَّه ولا بما ارتكبوه من محارمه ، واللَّه أعلم .



سُورَةُ التَّكْوِيرِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ ﴿١﴾ وَإِذَا النُّجُومُ انكَدَرَتْ ﴿٢﴾ وَإِذَا الْجِبَالُ سُيِّرَتْ ﴿٣﴾ وَإِذَا الْعِشَارُ عُطِّلَتْ ﴿٤﴾ وَإِذَا الْوُحُوشُ حُشِرَتْ ﴿٥﴾ وَإِذَا الْبِحَارُ سُجِّرَتْ ﴿٦﴾ وَإِذَا النُّفُوسُ زُوِّجَتْ ﴿٧﴾

س ـ اذكر معاني هذه الكلمات :

كوِّرت ـ انكدرت ـ سيِّرت ـ العشار ـ عُطِّلت ـ حشرت ـ سُجِّرت ـ زوِّجت ؟

ج :

الكلمة	معناهـا
كـوِّرت	جمع بعضها إلى بعض ثم لُفَّت فرمي بها فإذا فعل بها ذلك فقد ذهب ضوؤها [1]

(١) هذا هو حاصل القول في تأويل قوله تعالى : ﴿كُوِّرَتْ﴾ [التكوير: ١] ، ومن العلماء من قال : كوِّرت معناها : ذهب ضوؤها ـ وقال آخرون : رُمي بها ـ وقال آخرون : ذهبت . وما قدمناها هو أجمع الأقوال .

وروى الطبري بإسناد حسن عن أُبي بن كعب رضي اللّه عنه قال: ست آيات قبل يوم =

الكلمة	معناهـا
انكـدرت	تناثرت ـ رُمي بها ـ تغيَّرت ، وقيل: الانكدار طمس النور
سيـــرت	ذهبت ـ قلعت عن وجه الأرض وأُبعدت .
العشــار	الإبل العشار، وهي الحوامل التي قد مرَّ على حملها عشرة أشهر
عطِّلـــت	تركت مـن شدة الهول النازل بأهلها ـ أهملها أهلها وانشغلوا عنها لشدة ما حل بهم مع أنها كانت من أنفس وأحب الأشياء إليهم
حشــرت	جُمعـتْ [1] ـ ماتت [2] ـ اختلطـت (وأولى الأقـوال عنـدي

= القيامة بينا الناس في أسواقهم إذ ذهب ضوء الشمس فبينما هم كذلك إذ تناثرت النجوم فبينما هم كذلك إذ وقعت الجبال على وجه الأرض فتحركت واضطربت واحترقت وفزعت الجن إلى الإنس والإنس إلى الجن واختلطت الدواب والطير والوحش وماجوا بعضهم في بعض ، ﴿وَإِذَا الْوُحُوشُ حُشِرَتْ﴾ [التكوير: ٥] قال : اختلطت ، ﴿وَإِذَا الْعِشَارُ عُطِّلَتْ﴾ [التكوير: ٤] قال : أهملها أهلها ، ﴿وَإِذَا الْبِحَارُ سُجِّرَتْ﴾ [التكوير: ٦] قال : قالت الجن للإنس : نحن نأتيكم بالخبر ، قال : فانطلقوا إلى البحار فإذا هي نار تأجج قال : فبينما هم كذلك إذ تصدَّعت الأرض صدعة واحدة إلى الأرض السابعة السفلى وإلى السماء السابعة العليا قال : فبينما هم كذلك إذ جاءتهم الريح فأماتتهم .

● وصح عن قتادة عند الطبري أنه قال : ﴿إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ﴾ [التكوير: ١] قال : ذهب ضوؤها فلا ضوء لها .

(١) صح ذلك عن قتادة فقال ـ كما عند الطبري ـ : إن هذه الخلائق موافية يوم القيامة فيقضي اللّٰه فيها ما يشاء .

(٢) صح عن ابن عباس رضي اللّٰه عنهما عند الطبري وغيره أنه قال : حشر البهائم موتها وحشر كل شيء الموت غير الجن والإنس فإنهما يوقفان يوم القيامة .

الكلمة	معناهــا
	قول من قال : جمعت)[١]
سجــرت	اشتعلت نارًا[٢] ـ أُحميت ـ فاضت ـ ملئت بالماء ـ أرسل عذبها على مالحها ـ ذهب ماؤها
زوِّجــت	ألحق كل إنسان بشكله وصنفه الصالح مع الصالح والطالح مع الطالح[٣]

* * *

(١) ووجه هذا الترجيح عندي لقوله تعالى : ﴿وَمَا مِن دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّا أُمَمٌ أَمْثَالُكُم مَّا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِن شَيْءٍ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ﴾ [الأنعام: ٣٨] .
وقول النبي ﷺ : «لتؤدن الحقوق إلى أهلها يوم القيامة حتى يُقاد للشاة الجلحاء من الشاة القرناء» أخرجه مسلم في «صحيحه» (٢٥٨٢) من حديث أبي هريرة ـ رضي الله عنه مرفوعًا .
● وقال الطبري رحمه الله في «تفسيره» : وأولى الأقوال في ذلك بالصواب قول من قال : معنى حُشرت: جمعت فأميتت لأن المعروف في كلام العرب من معنى الحشر الجمع، ومنه قول الله: ﴿وَالطَّيْرَ مَحْشُورَةً﴾ [ص: ١٩] يعني : مجموعة ، وقوله : ﴿فَحَشَرَ فَنَادَىٰ﴾ [النازعات: ٢٣] ، وإنما يُحمل تأويل القرآن على الأغلب الظاهر من تأويله لا على الأنكر المجهول .
(٢) أخرج الطبري بإسناد صحيح عن سعيد بن المسيب قال: قال علي رضي الله عنه لرجل من اليهود: أين جهنم؟ فقال: البحر فقال: ما أراه إلا صادقًا ﴿وَالْبَحْرِ الْمَسْجُورِ﴾ [الطور: ٦] ، ﴿وَإِذَا الْبِحَارُ سُجِرَتْ﴾ مخففة.
● وأخرج الطبري بإسناد صحيح عن قتادة : ذهب ماؤها فلم يبق فيها قطرة .
قال الطبري : وأولى الأقوال في ذلك بالصواب قول من قال : معنى ذلك ملئت حتى فاضت فانفجرت وسالت كما وصفها الله به في الموضع الآخر فقال : ﴿وَإِذَا الْبِحَارُ فُجِّرَتْ﴾ [الانفطار: ٣] والعرب تقول للنهر أو للركي المملوء ماءً مسجوراً ومنه قول لبيد :
فتوسطا عرض السريِّ وصدَّعا .: مسجورة متجاوراً أقلامها
ويعني بالمسجورة : المملوءة ماءً .
(٣) وهذا أصح الأقوال أي : أنه قرن بين الضرباء والأمثال كما قال تعالى : ﴿احْشُرُوا الَّذِينَ =

س ـ متىٰ تكوَّر الشمس ؟ وهل يكور القمر أيضًا ؟

ج : تكوَّر الشمس يوم القيامة ، والقمر يكوَّر أيضًا لما أخرجه البخاري [١] من حديث أبي هريرة رضي اللَّه عنه عن النبي ﷺ قال :

= ظَلَمُوا وَأَزْوَاجَهُمْ ﴾ [الصافات: ٢٢]، وكما قال تعالىٰ: ﴿ وَكُنتُمْ أَزْوَاجًا ثَلاثَةً ﴾ [الواقعة: ٧].

وكما قال عليه الصلاة والسلام : «.. يجمع اللَّه الناس يوم القيامة فيقول من كان يعبد شيئًا فليتبعه ، فيتبع من كان يعبد الشمس الشمس ، ويتبع من كان يعبد القمر القمر ، ويتبع من كان يعبد الطواغيت الطواغيت ...» .

الحديث أخرجه البخاري (٧٤٣٧) ، ومسلم (حديث ١٨٢) من حديث أبي هريرة رضي اللَّه عنه مرفوعًا .

وفي لفظ آخر عند البخاري (٧٤٣٩) ، ومسلم (١٨٣) من حديث أبي سعيد الخدري رضي اللَّه عنه مرفوعًا : «ينادي منادي يوم القيامة ليذهب كل قوم إلىٰ ما كانوا يعبدون فيذهب أصحاب الصليب مع صليبهم وأصحاب الأوثان مع أوثانهم وأصحاب كل آلهة مع آلهتهم ...» .

• وثمَّ قول آخر وهو قول الشعبي ، فقد صح عنه عند الطبري أنه قال : زوِّجت الأرواح بالأجساد .

والقول الأول أصح ، وهو قول أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي اللَّه عنه .

فقد أخرج الطبري عنه بإسناد حسن أنه قال : ﴿ وَإِذَا النُّفُوسُ زُوِّجَتْ ﴾ [التكوير: ٧] قال : يُقرن بين الرجل الصالح مع الرجل الصالح في الجنة وبين الرجل السوء مع الرجل السوء في النار .

وفي رواية عنه أيضًا وهو يخطب قال : ﴿ وَكُنتُمْ أَزْوَاجًا ثَلاثَةً ۝ فَأَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ مَا أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ ۝ وَأَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ مَا أَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ ۝ وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ ۝ أُوْلَئِكَ الْمُقَرَّبُونَ ﴾ [الواقعة: ٧ - ١١] ، ثم قال : ﴿ وَإِذَا النُّفُوسُ زُوِّجَتْ ﴾ [التكوير: ٧] قال : أزواج في الجنة وأزواج في النار .

• وروىٰ الطبري بإسناد حسن عن قتادة قال : ﴿ وَإِذَا النُّفُوسُ زُوِّجَتْ ﴾ [التكوير: ٧] قال : لحق كل إنسان بشيعته اليهود باليهود والنصارىٰ بالنصارىٰ .

واللَّه تعالىٰ أعلم .

(١) أخرجه البخاري (حديث ٣٢٠٠) . =

«الشمس والقمر مكوران يوم القيامة» .



= لطيفة :

قال ابن القيم رحمه الله «التفسير القيم» :

وقرأ قارئ ﴿إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ﴾ [التكوير: ١] وفي الحاضرين أبو الوفا ابن عقيل فقال له قائل : يا سيدي هب أنه أنشر الموتى للبعث والحساب ، وزوَّج النفوس بقرنائها بالثواب والعقاب، فلمَ هدم الأبنية وسيَّر الجبال ودك الأرض وفطر السماء ونثر النجوم وكوِّرت الشمس؟ فقال : إنما بنى لهم الدار للسكنى والتمتع ، وجعلها وجعل ما فيها للاعتبار . والتفكر والاستدلال عليه : لحسن التأمل والتذكر . فلما انقضت مدة السكنى وأجلاهم من الدار خرَّبها، لانتقال الساكن منها . فأراد أن يعلمهم بأن الكون كان معموراً بهم . وفي إحالة الأحوال ، وإظهار تلك الأهوال ، وبيان المقدرة بعد بيان العزة ، وتكذيب لأهل الإلحاد ، وزنادقة المنجمين ، وعُبَّاد الكواكب والشمس والقمر والأوثان ، فيعلم الذين كفروا أنهم كانوا كاذبين . فإذا رأوا آلهتهم قد انهدمت ، وأن معبوداتهم قد انتثرت وانفطرت ، ومحالَّها قد تشققت : ظهرت فضائحهم وتبين كذبهم ، وظهر أن العالم مربوب محدَث ، مدبَّر ، له رب يصرفه كيف يشاء ، تكذيبًا لملاحدة الفلاسفة القائلين بالقدم .

فكم لله من حكمة في هدم هذه الدار ، ودلالة على تعظيم عزته وقدرته ، وسلطانه ، وانفراده بالربوبية ، وانقياد المخلوقات بأسرها لقهره ، وإذعانها لمشيئته . فتبارك الله رب العالمين.

وَإِذَا الْمَوْءُۥدَةُ سُئِلَتْ ﴿٨﴾ بِأَيِّ ذَنۢبٍ قُتِلَتْ ﴿٩﴾ وَإِذَا الصُّحُفُ نُشِرَتْ ﴿١٠﴾ وَإِذَا السَّمَآءُ كُشِطَتْ ﴿١١﴾ وَإِذَا الْجَحِيمُ سُعِّرَتْ ﴿١٢﴾ وَإِذَا الْجَنَّةُ أُزْلِفَتْ ﴿١٣﴾ عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّآ أَحْضَرَتْ ﴿١٤﴾

س ـ اذكر معاني ما يلي :

الموءودة ـ نشرت ـ قشطت ـ سعِّرت ـ أزلفت ؟

ج :

الكلمة	معناها
الموءودة	المدفونة وهي حية
نشرت	فتحت
قشطت	أزيلت عن أماكنها ـ جُذبت ـ نُزِعت وطويت ـ كشطت كما يكشط الجلد عن الكبش
سعِّرت	أوقد عليها فأحميت ـ أججت
أزلفت	أُدنيت ـ قُرِّبت [1]

* * *

(١) أي : قربت من المتقين

س ـ لماذا تُسأل الموءودة ؟

ج : تُسأل الموءودة لتبكيت قاتلها وإظهار الغيظ عليه حتى كأنه لا يستحق أن يُخاطب ، وأيضًا لتوبيخ قاتلها أشد التوبيخ ، كما ورد من تبكيت للنصارى في قوله تعالى : ﴿**وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ أَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَهَيْنِ مِن دُونِ اللَّهِ** . . .﴾ [المائدة: ١١٦] .

وكما قال تعالى : ﴿**وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلائِكَةِ أَهَؤُلاءِ إِيَّاكُمْ كَانُوا يَعْبُدُونَ**﴾ [سبأ: ٤٠] .

● ومن العلماء من قرأها ﴿**وإذا الموءودة سألت**﴾ أي : سألت قتلتها عن سبب قتلهم لها ، وطالبت بدمها .

* * *

س ـ لماذا كانوا يئدون البنات في الجاهلية ؟

ج : كان لذلك عندهم أسباب : منها : خوف العار اللاحق بهم من البنات ، ومنها : خشية أن يسبيها العدو ، ومنها : خشية الإملاق ، ومنهم من يرى أنه لن ينتفع من ابنته بشيء .

● ومن غريب أمرهم: أنهم كانوا يئدون البنات ويغذون الكلاب[1] .

* * *

---

(١) روى الطبري بإسنادٍ حسن عن قتادة قال : كان أهل الجاهلية يقتل أحدهم ابنته ويغذو كلبه فعاب اللَّه ذلك عليهم .

س ـ ما هو الوأد الخفي ؟

ج : الوأد الخفي هو العزل ، وهو أن يجامع الرجل امرأته فإذا قارب الإنزال نزع وأنزل خارج الفرج .

والدليل على أن العزل هو الوأد الخفي : ما أخرجه مسلم [١] من حديث جذامة بنت وهب رضي اللَّه عنها أن النبي ﷺ سئل عن العزل فقال : **«ذلك الوأد الخفي»** وسيأتي .

❊ ❊ ❊

س ـ ما حكم العزل ؟

ج : الحاصل في مسألة العزل أنه مكروه ، وهذه بعض الأدلة الواردة في الباب وحاصل أقوال العلماء فيه :

• أخرج البخاري ومسلم[٢] من حديث جابر بن عبد اللَّه رضي اللَّه عنهما قال : كنا نعزل والقرآن ينزل ، وفي رواية : كنا نعزل على عهد رسول اللَّه ﷺ والقرآن ينزل .

• وأخرج البخاري ومسلم [٣] من حديث أبي سعيد الخدري

---

(١) أخرجه مسلم (٣/ ٦١٩) .

(٢) أخرجه البخاري (حديث ٥٢٠٨) ومسلم (٣/ ٦١٧) .

(٣) أخرجه البخاري (١٠/ ٥٢) ومسلم (٣/ ٦١٣) .

وللحديث طرق كثيرة عند مسلم عن أبي سعيد الخدري ، وكذلك له الفاظ منها : **«لا عليكم ألا تفعلوا ما كتب اللَّه خَلْقَ نسمة هي كائنة إلى يوم القيامة إلا ستكون»** .

ومنها : **« لا عليكم ألا تفعلوا فإنما هو القدر »** . =

رضي اللَّه عنه قال : أصبنا سبيًا فكنا نعزل فسألنا رسول اللَّه ﷺ فقال: «أو إنكم لتفعلون ؟» ـ قالها ثلاثًا ـ «**ما من نسمة كائنة إلى يوم القيامة إلا هي كائنة**» .

وقال مسلم رحمه اللَّه في «صحيحه»[1] : حدثنا عبيد اللَّه بن سعيد ومحمد بن أبي عمر قالا حدثنا المقرئ حدثنا سعيد بن أبي أيوب حدثني أبو الأسود عن عروة عن عائشة عن جذَامة بنت وهب أخت عكاشة قالت حضرت رسول اللَّه ﷺ في أناس وهو يقول : «**لقد هممت أن أنهى عن الغيلَة فنظرت في الروم وفارس فإذا هم يُغيلون أولادهم فلا يضر أولادهم ذلك شيئًا** » ، ثم سألوه عن العزل فقال رسول اللَّه ﷺ: «**ذلك الوأد [2] الخفي**» . زاد عبيد اللَّه في حديثه عن المقرئ : وهي : ﴿ **وَإِذَا الْمَوْءُودَةُ سُئِلَتْ** ﴾ [التكوير: ٨] .

● وأخرج مسلم [3] من طريق عامر بن سعد أن أسامة بن زيد أخبر والده سعد بن أبي وقاص أن رجلاً جاء إلى رسول اللَّه ﷺ فقال : إني

= (قال محمد بن سيرين ـ عند مسلم ـ : لا عليكم أقرب إلى النهي) .

ومنها : «**ولم يفعل ذلك أحدكم فإنه ليست نفس مخلوقة إلا اللَّه خالقها**» .

ومنها : أنّ النبي ﷺ سئل عن العزل فقال : «**ما من كل الماء يكون الولد ، وإذا أراد اللَّه خلق شيء لم يمنعه شيء**» .

(١) مسلم (٣/٦١٩) وأبو داود (٣٨٨٢) والترمذي (٢٠٧٧) والنسائي (٦/١٠٦ ـ ١٠٧) وابن ماجة (٢٠١١) .

(٢) الوأد : هو دفن البنت وهي حية .

(٣) مسلم (٣/ ٦٢٠) .

أعزل عن امرأتي فقال له رسول اللَّه ﷺ : **«لمَ تفعل ذلك ؟»** فقال الرجل: أشفق على ولدها أو على أولادها فقال رسول اللَّه ﷺ : **«لو كان ذلك ضارًا ضرَّ فارس والروم»** ، وقال زهير في روايته : **«إن كان لذلك فلا ، ما ضار ذلك فارسَ ولا الرومَ»** .

• وأخرج مسلم [١] أيضًا من حديث جابر بن عبد اللَّه رضي اللَّه عنهما قال : سأل رجل النبي ﷺ فقال : إن عندي جارية لي وأنا أعزل عنها ، فقال رسول اللَّه ﷺ : **«إن ذلك لن يمنع شيئًا أراده اللَّه»** ، قال : فجاء الرجل فقال : يا رسول اللَّه إن الجارية التي كنت ذكرتها لك حملت فقال رسول اللَّه ﷺ : **«أنا عبد اللَّه ورسوله»** .

أما بالنسبة لحاصل أقوال أهل العلم في المسألة :

فهناك خلاف بين الصحابة ـ رضوان اللَّه عليهم ـ في إباحة العزل، وكراهيته ، وتحريمه ، والتابعون وأتباعهم كذلك بينهم خلاف .

فالذين ذهبوا إلى التحريم احتجوا بحديث جذامة بنت وهب حيث قال عليه السلام في العزل : **«إنه الوأد الخفي»** .

والذين ذهبوا إلى الإباحة احتجوا بخبر جابر بن عبد اللَّه ـ رضي اللَّه عنه ـ كنا نعزل والقرآن ينزل .

وبعد إمعان النظر في الأدلة لا نراها ترتقي إلى التحريم ، كما أن القول بإباحته يعكر عليه الأحاديث الأخرى التي ظاهرها التحريم

---

(١) مسلم (٣/٦١٦) .

والزجر، فالأمر كما قال النووي ـ رحمه اللَّه ـ : أن الجمع بين هذه الأحاديث يتم بأن يُحمل ما ورد في النهي على كراهة التنزيه ، وما ورد في الإذن يحمل على أنه ليس بحرام ، وليس معناه نفي الكراهة ، واللَّه أعلم .

* * *

س ـ هل كان هناك من أهل الجاهلية من لا يئد البنات ؟

ج : نعم كان هناك من لا يئد البنات ، ومنهم كما ذكر عدد من أهل العلم : صعصعة بن ناجية جد الفرزدق الشاعر المشهور ، وبه كان يفتخر الفرزدق ويقول :

ومنا الذي منع الوائدات .:. وأحيا الوئيد فلم يُوأدِ

وفي بيت آخر :

ومنا الذي أحيا الوئيدَ وغالبٌ .:. وعمرو ومنا حاجبٌ والأقارع

* * *

س ـ ما حكم وأد البنات ؟

ج : وأد البنات كبيرة من أعظم الكبائر إذ هو قتل نفس بغير حق قال اللَّه تعالى : **﴿ وَالَّذِينَ لا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ وَلا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلاَّ بِالْحَقِّ وَلا يَزْنُونَ وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا (٦٨) يُضَاعَفْ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِ مُهَانًا ﴾** [الفرقان : ٦٨ ، ٦٩] .

وقال تعالى : ﴿ وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَاقٍ نَّحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ إِنَّ قَتْلَهُمْ كَانَ خِطْئًا كَبِيرًا ﴾ [الإسراء: ٣١] .

وقال تعالى : ﴿ وَإِذَا الْمَوْءُودَةُ سُئِلَتْ ﴿٨﴾ بِأَيِّ ذَنبٍ قُتِلَتْ ﴾ [التكوير: ٨، ٩] .

وتقدم [١] حديث رسول اللَّه ﷺ - لما سئل أي الذنب أعظم ؟ قال : **«أن تجعل للَّه ندًا وهو خلقك»** ، قيل : ثم أي ؟ قال : **«أن تقتل ولدك خشية أن يطعم معك ...»** الحديث .

وفي «الصحيحين» [٢] من حديث المغيرة بن شعبة رضي اللَّه عنه عن النبي ﷺ قال : **«إن اللَّه حرم عليكم عقوق الأمهات ومنعًا وهات ووأد البنات»** .

* * *

---

(١) في تفسير سورة البقرة .

(٢) أخرجه البخاري مع «الفتح» (١٠/ ٤٠٥) ومسلم (٤/ ٣٠٨) .

ملحقات :

قال ابن كثير رحمه اللَّه (٤/ ٤٧٧) : هكذا قراءة الجمهور سئلت . والموءودة هي التي كان أهل الجاهلية يدسونها في التراب كراهية البنات ، فيوم القيامة تسأل الموءودة على أي ذنب قتلت ليكون ذلك تهديدًا لقاتلها فإنه إذا سئل المظلوم فما ظن الظالم إذًا ؟ .

قال النووي رحمه اللَّه : وأما وأد البنات بالهمز فهو دفنهن في حياتهن ، فيمتن تحت التراب، وهو من الكبائر الموبقات لأنه قتل نفس بغير حق ، ويتضمن أيضًا قطيعة الرحم ، وإنما اقتصر على البنات لأنه المعتاد الذي كانت الجاهلية تفعله .

وقال الحافظ ابن حجر في «الفتح» (١٠/ ٤٠٦) : قوله : (ووأد البنات) بسكون الهمزة هو دفن البنات بالحياة ، وكان أهل الجاهلية يفعلون ذلك كراهة فيهن ، ويقال : إن أول من فعل ذلك قيس بن عاصم التميمي ، وكان بعض أعدائه أغار عليه فأسر بنته فاتخذها لنفسه ثم =

. . . .

= حصل بينهم صلح فخير ابنته فاختارت زوجها فآلى قيس على نفسه أن لا تولد له بنت إلا دفنها حية فتبعه العرب في ذلك ، وكان من العرب فريق ثان يقتلون أولادهم مطلقًا ، إما نفاسة منه على ما ينقصه من ماله، وإما من عدم ما ينفقه عليه ، وقد ذكر اللّٰه أمرهم في القرآن في عدة أيات ، وكان صعصعة بن ناجية التميمي أيضًا وهو جد الفرزدق همام بن غالب بن صعصعة أول من فدى الموءودة ، وذلك أنه يعمد إلى من يريد أن يفعل ذلك فيفدي الولد منه بمال يتفقان عليه وإلى ذلك أشار الفرزدق بقوله :

وجدي الذي منع الوائدا ∴ ت وأحيا الوئيد فلم يوأد

وهذا محمول على الفريق الثاني، وقد بقي كل من قيس وصعصعة إلى أن أدركا الإسلام ولهما صحبة ، وإنما خص البنات بالذكر لأنه كان الغالب من فعلهم لأن الذكور مظنة القدرة على الاكتساب ، وكانوا في صفة الوأد على طريقين : أحدهما : أن يأمر امرأته إذا قرب وضعها أن تطلق بجانب حفيرة فإذا وضعت ذكرًا أبقته ، وإذا وضعت أنثى طرحتها في الحفيرة ، وهذا أليق بالفريق الأول ، ومنهم من كان إذا صارت البنت سداسية قال لأمها طيبيها وزينيها لأزور بها أقاربها ، ثم يبعد بها في الصحراء حتى يأتي البئر فيقول ، لها انظري فيها ويدفعها من خلفها ويطمها ، وهذا أليق بالفريق الثاني واللّٰه أعلم .

وقال القاسمي في «محاسن التأويل» (ص ٦٠٧١) :

تنبيه :

قال السيوطيّ في «الإكليل» : في الآية تعظيم شأن الوأد ، وهو دفن الأولاد أحياءً . وأخرج مسلم أنه ﷺ سئل عن العزل فقال : **«الوأد الخفيّ»** . وهي : ﴿وَإِذَا الْمَوْءُودَةُ سُئِلَتْ﴾ [التكوير: ٨] . انتهى .

وقد روى عبد الرزاق عن عمر بن الخطاب في هذه الآية قال : جاء قيس بن عاصم إلى رسول اللّٰه ﷺ فقال : يا رسول اللّٰه ! إني وأدت بنات لي في الجاهلية . قال : **«أعتق عن كل واحدة منهم رقبة»** . قال : يا رسول اللّٰه ! إني صاحب إبل . قال : **«فانحر عن كل واحدة منهن بَدَنَة»** .

وروي الدارميّ [١] في أوائل مسنده أن رجلاً أتى النبي ﷺ فقال: يا رسول اللّٰه! إنا كنا أهل =

(١) أخرجه في مقدمة «مسنده» في : ١ ـ باب ما كان عليه الناس قبل مبعث النبيّ ﷺ من الجهل والضلالة وإسناده ضعيف .

. . . .

= جاهلية وعبادة أوثان . فكنا نقتل الأولاد . وكانت عندي ابنة لي . فلما أجابت ، وكانت مسرورة بدعائي إذا دعوتها . فدعوتها يومًا فاتبعتني فمررت حتى أتيت بئرًا من أهلي غير بعيد فأخذت بيدها فرديتها في البئر . وكان آخر عهدي بها أن تقول : يا أبتاه يا أبتاه . فبكى رسول اللَّه ﷺ حتى وكف دمع عينيه . فقال له رجل من جلساء رسول اللَّه ﷺ : أحزنت رسول اللَّه ﷺ . فقال له رسول اللَّه ﷺ : **«كف . فإنه يسأل عما أهمه»** . ثم قال له : **«أعد عليّ حديثك»** . فأعاده . فبكى رسول اللَّه ﷺ حتى وكف الدمع من عينيه على لحيته . ثم قال له : **«إن اللَّه قد وضع عن الجاهلية ما عملوا ، فاستأنف عملك»** .

وكان للعرب تفنن في الوأد . فمنهم من إذا صارت بنته سداسية يقول لأمها : طيّبيها وزيّنيها حتى أذهب بها إلى أحمائها . وقد حفر لها بئرًا في الصحراء . فيبلغ بها البئر فيقول لها : انظري فيها . ثم يدفعها من خلفها ويهيل عليها التراب حتى تستوي البئر بالأرض .

ومنهم من كان إذا قربت امرأته من الوضع ، حفر حفرة لتتمخّض على رأس الحفرة . فإذا ولدت بنتًا رمت بها في الحفرة . وإن ولدت ابنًا حبسته . وقد اشتهر صعصعة بن ناجية بن عقال ، جد الفرزدق بن غالب ، بأنه كان ممن فدى الموءودات في الجاهلية ، ونهى عن قتلهن. قيل: إنه أحيا ألف موءودة ، وقيل: دون ذلك . وقد افتخر الفرزدق بهذا في قوله[1] :

ومنـا الـذي منـع الوائِـدَاتِ وأحيـا الوئيـدَ فَلَـمْ يُـوأَدِ

وفي قوله أيضًا[2] :

أنا ابنُ عِقالٍ وابن ليلى وغالِـبِ وفَكَّاكُ أغلال الأسير المكفَّرِ[3] =

---

(١) من قصيدته التي مطلعها :

عرفت المنازلَ من مَهْدَدِ كوحي الزبور لدى الغرقدِ

الوحي : الكتاب . والغرقد : ضرب من الشجر دائم الاخضرار .

(الديوان ١/ ٢٠٢) . نقلاً من تعليق محقق تفسير القاسمي

(٢) من قصيدته التي مطلعها :

بني نهشل أبقُوا عليكم ولم تروا سوابقَ حامٍ للذِّمار مُشَهَّرِ

(الديوان ٢/ ٤٧٤) .

(٣) المكفر : هو الذي كفر وكبل بالحديد .

. . . .

= وكان لنا شيخان ذو القبر منهما [١] وشيخٌ أجار الناسَ من كل مَقْبَرِ
على حين لا تُحْيَى البناتُ وإذ همُ عكوف على الأصنام حولَ المدوَّرِ
أنا ابن الذي ردّ المنيةَ فضلُهُ وما حسبٌ دافعتُ عنه بمعْوِرِ
أبي أحدُ الغيْثَيْن صعصعةُ الذي متى تُخْلِفِ الجوزاءُ والنجمُ يُمْطِرِ
أجارَ بنات الوائدين ومن يُجِرْ على القبر ، يعلمْ أنه غير مُخْفَرِ
وفارق ليلٍ [٢] من نساء أتت أبي تُعالج ريحًا ليلها غير مُقْمِرِ
فقالت أجِرْ لي ما ولدتُ فإنني أتيتك من هَزْلي الحمولة مُقْتِرِ
رأى الأرض منها راحة فرمى بها إلى خُدَدٍ منها وفي شر مَحْفَرِ
فقال لها نامي فأنت بذمتي لبنتك جارٌ من أبيها القَنَوَّرِ [٣]

وروى أبو عبيدة : أن صعصعة ـ هذا ـ وفد على رسول اللّه ﷺ في وفد بني تميم . قال : وكان صعصعة منع الوأد في الجاهلية ، فلم يدع تميمًا تئد وهو يقدر على ذلك . فجاء الإسلام وقد فدى ـ في بعض الروايات ـ أربعمائة موءودة ، وفي أخرى : ثلاثمائة ، فقال للنبي ﷺ : بأبي أنت وأمي ! أوصني . فقال : «**أوصيك بأمك وأبيك وأختك وأخيك وأدانيك أدانيك**» . فقال : زدني . فقال عليه الصلاة والسلام : «**احفظ ما بين لحييك ورجليك**» . ثم قال عليه الصلاة والسلام : «**ما شيء بلغني عنك فعلته ؟**» فقال : يا رسول اللّه ! رأيت الناس يموجون على غير وجه ولم أدر أين الصواب ، غير أني علمت أنهم ليسوا عليه ، فرأيتهم يئدون بناتهم، فعرفت أن ربهم عز وجل لم يأمرهم بذلك ، فلم أتركهم ، ففديت ما قدرت عليه . ويقال إنه اجتمع جرير والفرزدق يومًا عند سليمان بن عبد الملك فافتخرا . فقال الفرزدق : أنا ابن محيي الموتى . فقال له سليمان : أنت ابن محيي الموتى ؟ فقال : إن جدي أحيا الموءودة ، وقد قال اللّه تعالى : ﴿ **وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا** ﴾ [المائدة: ٣٢] =

---

(١) ذو القبر : غالب كان يستجار بقبره . والذي أجار الناس من القبر وأحيا الوئيدة صعصعة .

(٢) فارق ـ يعني امرأة ماخضًا . شبهها بالفارق من الإبل وهي الناقة التي يضربها المخاض فتفارق الإبل وتمضي على وجهها حتى تضع .

(٣) القنور : السيئ الخلق .

. . . .

= وقد أحيا جدي اثنتين وتسعين موءودة ، فتبسم سليمان . وقال : إنك مع شعرك لفقيه . نقله المرتضى في «أماليه» . وبالجملة ، فكان الوأد عادة من أشنع العوائد في الجاهلية ، مما يدل على نهاية القسوة وتمام الجفاء والغلظة .

قال الإمام : انظر إلى هذه القسوة وغلظ القلب وقتل البنات البريئات بغير ذنب سوى خوف الفقر والعار ، كيف استبدلت بالرحمة والرأفة بعد أن خالط الإسلام قلوب العرب ؟ فما أعظم نعمة الإسلام على الإنسانية بأسرها بمحوه هذه العادة القبيحة . انتهى .

ومن أثر نعمته أن صار أدباء الصدر الأول يصوغون في مدحهن ما هو أبهى من عقود الجمان؛ فمن ذلك قول معن بن أوس [(١)] :

رأيت رجالاً يكرهون بناتهمْ ... وفيهن ، لا نُكْذَبْ ، نساء صوالحُ
وفيهن والأيام يعثرن بالفتى ... خـــوادمُ لا يَمْلَلْنَــهُ ونوائـــحُ

وقال العلويّ الجمانيّ ، في صديق له ولدت له بنت فسخطها ، شعرًا .

قالــوا لــه مــاذا رُزِقْتَــا ... فأصــاخ ثُمَّــتَ قــال : بنتــا
وأجــلُّ مــن ولــد النســاء ... أبــو البنــات . فلــمْ جزعتــا
إن الذيــن تــودّ مــن ... بيــن الخلائــق مــا استطعتــا
قالــوا بفضــل البنــت مــا ... كَبَتُــوا بــه الأعــداء كبتــا

وحكي أن عمرو بن العاص دخل على معاوية وعنده ابنته . فقال : من هذه يا معاوية ؟ فقال: هذه تفاحة القلب وريحانة العين وشمامة الأنف . فقال : أَمِطْها عنك . قال : ولِمَ ؟ قال : لأنهن يلدن الأعداء . ويقربن البعداء ، ويُورِثْن الشحناء ، ويُثِرْن البغضاء . قال : لا تقل ذلك يا عمرو! فواللّه ما مرض المرضى، ولا ندب الموتى ، ولا أعان على الزمان، ولا أذهب جيش الأحزان مثلهن ، وإنك لواجدٌ خالاً قد نفعه بنو أخته ، وأبا قد رفعه نسل بنيه . فقال: يا معاوية ! دخلت عليك وما على الأرض شيء أبغض إليّ منهن . وإني لأخرج من عندك وما عليها شيء أحب إليّ منهن . وفي رقعة للصاحب بالتهنئة بالبنت : أهلاً وسهلاً بعقيلة =

(١) انظر «أمالي القالي»، الصفحة رقم ١٩٠ من الجزء الثاني (طبعة الدار) . نقلاً عن محقق «تفسير القاسمي» .

س ـ اذكر بعض الأحاديث الواردة ، في فضل تربية النبات والإحسان إليهن ؟

ج: من ذلك: ما أخرجه البخاري ومسلم[1] من حديث أم المؤمنين

= النساء وأم الأبناء ، وجالبة الأصهار والأولاد الأطهار ، والمبشرة بإخوة يتناسقون ، ونجباء يتلاحقون[1] :

فلو كان النساء كمن وَجَدْنا لفُضِّلَت النساءُ على الرجالِ
وما التأنيثُ لاسمِ الشمسِ عَيْبٌ وما التذكيرُ فَخْرٌ للهلالِ

والله تعالى يعرفك البركة في مطلعها ، والسعادة بموقعها ، فادّرع اغتباطًا ، واستأنف نشاطًا. فالدنيا مؤنثة . والرجال يخدمونها ، والذكور يعبدونها . والأرض مؤنثة ومنها خلقت البرية . وفيها كثرت الذرية . والسماء مؤنثة وقد زينت بالكواكب وحليت بالنجم الثاقب . والنفس مؤنثة وهي قوام الأبدان وملاك الحيوان . والحياة مؤنثة ، ولولاها لم تتصرف الأجسام ولا عرف الأنام . والجنة مؤنثة وبها وعد المتقون وفيها ينعم المرسلون . فهنيئًا لك هنيئًا بما أوتيت ، وأوزعك الله شكر ما أعطيت .
ونسختُ رقعة لأبي الفرج الببغاء : اتصل بي خبر المولودة المسعودة كرم الله عرقها ، وأنبتها نباتًا حسنًا . وما كان من تغيرك عند اتصال الخبر وإنكارك ما اختاره الله لك في سابق القدر. وقد علمت أنهن أقرب من القلوب ، وأن الله بدأ بهن في الترتيب فقال عز من قائل : ﴿ يَهَبُ لِمَن يَشَاءُ إِنَاثًا وَيَهَبُ لِمَن يَشَاءُ الذُّكُورَ ﴾ [الشورى: ٤٩] وما سماه الله تعالى هبة، فهو بالشكر أولى ، وبحسن التقبل أحرى . فهنأك الله بورود الكريمة عليك ، وثمرتها إعداد النسل الطيب لديك .
والنوادر في هذا لا تحصى . وكلها من بركة الإسلام وفضله .

(١) البخاري مع «الفتح» (١٠/٤٢٦) ومسلم (ص ٢٠٢٧)

---

(١) قائله المتنبي ، من قصيدته التي مطلعها .

نعدّ المشرفيةَ والعَوالي وتَقْتُلُنَا المَنُونُ بلاَ قِتَالِ

نقلاً من محقق القاسمي .

عائشة رضي اللَّه عنها قالت : جاءتني امرأةٌ معها ابنتان تَسألني فلم تجدْ عندي غير تمرةٍ واحدة فأعطيتها فقسمتْها بين ابنتيها ثم قامت فخرجت فدخل النبي صلىٰ اللَّه عليه وعلىٰ آله وسلم فحدَّثْتُهُ ، فقال : «**مَن يلي**[1] **من هذه البنات شيئًا فأحسن إليهن كن له سترًا من النار**» .

• وأخرج مسلم في «صحيحه» [2] من حديث أم المؤمنين عائشة رضي اللَّه عنها قالت : جاءتني مسكينة تحمل ابنتين لها فأطعمتها ثلاث تمرات فأعطت كل واحدةٍ منهن تمرة ورفعت إلىٰ فيها تمرة لتأكلها فاستطعمتها ابنتاها فشقت التمرة التي كانت تريد أن تأكلها بينهما ، فأعجبني شأنها فذكرت الذي صنعت لرسول اللَّه ﷺ فقال : «**إن اللَّه قد أوجب لها بها الجنة أو أعتقها بها من النار**» .

• وأخرج مسلم [3] من حديث أنس بن مالك رضي اللَّه عنه عن النبي ﷺ قال : «**من عال جاريتين حتىٰ تبلغا جاء يوم القيامة أنا وهو**» وضمَّ أصابعه .

* * *

س ـ ما المراد بالصحف وكيف تنشر ؟ ولماذا تنشر ؟

---

(١) في بعض الروايات : «من ابتلي» ، قال النووي رحمه اللَّه : إنما سماه ابتلاءً لأن الناس يكرهونهن في العادة ، وقال اللَّه تعالىٰ : ﴿**وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِالأُنثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ**﴾ [النحل: ٥٨] .

(٢) مسلم في «صحيحه» (حديث ٢٠٢٧) .

(٣) مسلم (٥/٤٨٦) ، وانظر «المنتخب» لعبد بن حميد بتحقيقي (حديث ١٣٧٦) .

ج : المراد بالصحف : الكتب التي كتبت فيها أعمال العباد ، ونشرها فتحها بعد أن كانت مطوية كما قال تعالى : ﴿وَكُلَّ إِنسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَائِرَهُ فِي عُنُقِهِ وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كِتَابًا يَلْقَاهُ مَنشُورًا ﴿١٣﴾ اقْرَأْ كِتَابَكَ﴾ [الإسراء: ١٣، ١٤] ، وكما قال تعالى : ﴿وَوُضِعَ الْكِتَابُ فَتَرَى الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَا وَيْلَتَنَا مَا لِهَذَا الْكِتَابِ لا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلا كَبِيرَةً إِلاَّ أَحْصَاهَا وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا ...﴾ [الكهف: ٤٩] .

أما لماذا تنشر فتنشر لتقريع العاصي وتبشير المطيع .

• هذا ومن العلماء من قال : نشرت أي فرقت بين العباد وأخذ كل منهم كتابه ، والله أعلم .

* * *

س ـ كل نفس يوم القيامة تعلم ما أحضرت ، فلماذا عُبر بقوله : ﴿عَلِمَتْ نَفْسٌ﴾ [التكوير: ١٤] ولم يقل : علمت كل نفس ما أحضرت ؟

ج : أجاب على ذلك الرازي بقوله : **الجواب من وجهين :**

الأول : أن هذا هو من عكس كلامهم الذي يقصدون به الإفراط ، وإن كان اللفظ موضوعًا للقليل ، ومنه قوله تعالى : ﴿رُّبَمَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ [الحجر: ٢] كمن يسأل فاضلاً مسألة ظاهرة ويقول : هل عندك فيها شيء ؟ فيقول : ربما حضر شيء ، وغرضه الإشارة إلى أن عنده في تلك المسألة ما لا يقول به غيره فكذا ههنا .

الثاني : لعل الكفار كانوا يتعبون أنفسهم في الأشياء التي يعتقدونها

طاعات ثم بدا لهم يوم القيامة خلاف ذلك فهو المراد من هذه الآية .

***

س ـ ما هو جواب قوله تعالى : ﴿إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ ...﴾ [التكوير: ١] ؟

ج : هو قوله تعالى : ﴿عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّا أَحْضَرَتْ﴾ [التكوير: ١٤] .

***

س ـ وضح معنى قوله تعالى : ﴿عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّا أَحْضَرَتْ﴾ [التكوير: ١٤] ؟

ج : أي : علمت كل نفس(١) ما فعلت من خير وما فعلت من شر وأُحضر لها عملها الذي عملته ، كما قال تعالى : ﴿يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِن سُوءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ أَمَدًا بَعِيدًا﴾ [آل عمران: ٣٠] ، وكما قال تعالى : ﴿وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا﴾ [الكهف: ٤٩] ، وكما قال سبحانه : ﴿يُنَبَّأُ الْإِنسَانُ يَوْمَئِذٍ بِمَا قَدَّمَ وَأَخَّرَ﴾ [القيامة: ١٣] .



(١) ومن العلماء من أشار إلى أن ذلك للإشعار بأنه إذا علمت حينئذ نفس من النفوس ما أحضرت وجب على كل نفس إصلاح عملها مخافة أن تكون هي تلك التي علمت ما أحضرت، فكيف وكل نفس تعلمه على طريقة قولك لمن تنصحه : (لعلك ستندم على ما فعلت ، وربما ندم الإنسان على فعله) . «فتح البيان» .

فَلَآ أُقۡسِمُ بِٱلۡخُنَّسِ ﴿١٥﴾ ٱلۡجَوَارِ ٱلۡكُنَّسِ ﴿١٦﴾ وَٱلَّيۡلِ إِذَا عَسۡعَسَ ﴿١٧﴾ وَٱلصُّبۡحِ إِذَا تَنَفَّسَ ﴿١٨﴾ إِنَّهُۥ لَقَوۡلُ رَسُولٖ كَرِيمٖ ﴿١٩﴾ ذِي قُوَّةٍ عِندَ ذِي ٱلۡعَرۡشِ مَكِينٖ ﴿٢٠﴾ مُّطَاعٖ ثَمَّ أَمِينٖ ﴿٢١﴾ وَمَا صَاحِبُكُم بِمَجۡنُونٖ ﴿٢٢﴾ وَلَقَدۡ رَءَاهُ بِٱلۡأُفُقِ ٱلۡمُبِينِ ﴿٢٣﴾ وَمَا هُوَ عَلَى ٱلۡغَيۡبِ بِضَنِينٖ ﴿٢٤﴾ وَمَا هُوَ بِقَوۡلِ شَيۡطَٰنٖ رَّجِيمٖ ﴿٢٥﴾ فَأَيۡنَ تَذۡهَبُونَ ﴿٢٦﴾ إِنۡ هُوَ إِلَّا ذِكۡرٞ لِّلۡعَٰلَمِينَ ﴿٢٧﴾ لِمَن شَآءَ مِنكُمۡ أَن يَسۡتَقِيمَ ﴿٢٨﴾ وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٢٩﴾

س ـ وضح معنى ما يلي :

الخنس ـ الجوار ـ الكُنس ـ عسعس ـ تنفس ـ مكين ـ ثمَّ ـ الأفق المبين ـ بضنين ؟

ج :

الكلمة	معناهـا
الخنـس	النجوم التي تخنس أي : ترجع إلى مجراها وتختفي[1]، ومنه: قوله تعالى: ﴿مِن شَرِّ الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ﴾ [الناس: ٤]

(١) ومن العلماء من قال : إن النجوم عند طلوعها خنس ، وعند جريانها في أفلاكها جواري ، وفي حال غيبوبتها كنس .

الكلمة	معناهـــا
	أي: الذي يخنس عند ذكر اللَّه، ومنه: قول أبي هريرة (لما لقي الرسول وهو جنب) : فانخنست منه ، ومن العلماء من قال : الخنس : هي بقر الوحش ، ومنهم من قال : هي الظباء(١)
الجـــوار	أي : التي تجري ، فالنجوم تجري في فلكها
الكُنَّـــس	التي تستتر في بيوتها ـ الغُيَّب
عسعـــس	أدبر(٢)
تنفـــس	أقبل وتبين ـ ظهر ـ أضاء
مكيـــن	له مكانة وجاه ، فيعطي إذا سأل

(١)واختار الطبري العموم ، أي : أن المراد بالخنس النجوم وبقر الوحش والظباء ، بينما ذهب الجمهور إلى أن ذلك خاص بالنجوم ، وجنح إلى ذلك الرازي وأيد ذلك بأمرين :
الأول : أنه تعالى قال بعد ذلك : ﴿وَاللَّيْلِ إِذَا عَسْعَسَ﴾ [التكوير: ١٧] ، وهذا بالنجوم أليق منه ببقر الوحش .
الثاني : أن محل قسم اللَّه كلما كان أعظم وأعلى رتبة كان أولى ، ولا شك أن الكواكب أعلى رتبة من بقر الوحش .

(٢)وهذا رأي أكثر العلماء أن معنى عسعس هنا : (ادبر) ، بل قد نقل الفراء الإجماع على ذلك، ولا نوافقه على نقل الإجماع فقد قال بعض أهل العلم : إن معنى عسعس : أقبل بظلامه ، وقال بعضهم : إن (عسعس) من الأضداد (أي : التي تحمل المعنى وضده) ، فمن معانيها : (ادبر) ، ومن معانيها : (أقبل) ، لكن القول الأول عليه الأكثرون ، ويؤيده قوله تعالى : ﴿كَلَّا وَالْقَمَرِ ﴿٣٢﴾ وَاللَّيْلِ إِذْ أَدْبَرَ ﴿٣٣﴾ وَالصُّبْحِ إِذَا أَسْفَرَ﴾ [المدثر: ٣٢ - ٣٤] .
واختار الطبري رحمه اللَّه تعالى أن معنى عسعس : (ادبر) .

معناهـــا	الكلمة
هناك ـ أي : في الملإ الأعلىٰ ـ أو في السموات	ثَـــــــمَّ
أقطار السموات ونواحيها ـ مكان طلوع الشمس	الأفق المبين
بمتهم ـ ببخيل	بضنيـــــن

* * *

س ـ اذكر بعض أقوال أهل العلم في تأويل (لا) من قوله تعالىٰ : ﴿فَلا أُقْسِمُ﴾ [التكوير: ١٥] ؟

ج : من أهل العلم من قال : إن (لا) زائدة كقوله تعالىٰ : ﴿مَا مَنَعَكَ أَلاَّ تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ﴾ [الأعراف: ١٢] يعني : أن تسجد ، وكقوله تعالىٰ : ﴿لِئَلاَّ يَعْلَمَ أَهْلُ الْكِتَابِ﴾ [الحديد: ٢٩] .

• ومنهم من قال : إنها نفي لكلام قد تقدم ولمعنىً قد تقدم كقول القائل : لا واللَّه فقوله : (لا) رد لكلامٍ قد تقدمها ، وعلىٰ كل حال فمعنىٰ ﴿فَلا أُقْسِمُ﴾ [التكوير: ١٥] : أقسم ، وهذا رأي الجمهور[1] من العلماء .

---

(١) بل ادعىٰ بعضهم الإجماع علىٰ ذلك ، نقل صديق حسن خان في «فتح البيان» تفسير سورة القيامة عن السمرقندي قوله : أجمع المفسرون ان معنىٰ ﴿لا أُقْسِمُ﴾ [القيامة: ١] : أقسم ، واختلفوا في تفسير (لا) . ثم أورد أوجه اختلافهم في ذلك .

س ـ ما المراد بالقول المذكور في قوله تعالىٰ : ﴿ إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ﴾ [التكوير: ١٩] ومن هو الرسول الكريم ؟

ج : المراد بالقول : القرآن ، وقد نقل الإجماع علىٰ هذا محمد عطية سالم في تتمته «لأضواء البيان» ـ والرسول الكريم هو : جبريل عليه السلام .

* * *

س ـ ما المراد بقوله تعالىٰ :﴿ ذِي قُوَّةٍ عِندَ ذِي الْعَرْشِ مَكِينٍ ﴾ [التكوير: ٢٠] ؟

ج : المراد ـ واللَّه أعلم ـ : أن جبريل عليه السلام ذو قوة ، كما قال تعالىٰ : ﴿ عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَىٰ ۝ ذُو مِرَّةٍ ... ﴾ [النجم: ٥، ٦] أي: أنه شديد الخلق والبطش والفعل ، فهو قادر بإذن اللَّه علىٰ القيام بما يكلفه اللَّه عز وجل به .

أما قوله : ﴿ عِندَ ذِي الْعَرْشِ مَكِينٍ ﴾ [التكوير: ٢٠] أي : له مكانة عند اللَّه عز وجل .

* * *

س ـ وضح معنىٰ قوله تعالىٰ : ﴿ مُطَاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ ﴾ [التكوير: ٢١] ؟

ج : المعنىٰ ـ واللَّه أعلم ـ : أنه مطاع هناك في الملإ الأعلىٰ أو في السماوات يطيعه أهل السماء كما في حديث أبي هريرة رضي اللَّه عنه في

«صحيح البخاري»[1] عن النبي ﷺ قال : «**إذا أحب اللَّه عبدًا نادىٰ جبريل إن اللَّه يحب فلانًا فأحبَّه فيحبه جبريل فينادي جبريل في أهل السماء إن اللَّه يحب فلانًا فأحبُّوه فيحبه أهل السماء ثم يوضع له القبول في الأرض**» .

* * *

س ـ من هو الأمين ، وأمين علىٰ ماذا ؟

ج : الأمين : هو جبريل عليه السلام كما قال تعالىٰ : ﴿**نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الأَمِينُ**﴾ [الشعراء: ١٩٣] وهو أمين علىٰ كل ما استؤمن عليه ، وأمين علىٰ الوحي والرسالات ، واللَّه أعلم .

* * *

س ـ من المراد بالصاحب في قوله تعالىٰ: ﴿وَمَا صَاحِبُكُم بِمَجْنُونٍ﴾ [التكوير: ٢٢] ؟

ج : المراد بالصاحب هو محمد ﷺ .

* * *

س ـ قوله تعالىٰ : ﴿وَلَقَدْ رَآهُ بِالأُفُقِ الْمُبِينِ﴾ [التكوير: ٢٣] **مَن رأىٰ مَن ؟ وما المراد بالأفق المبين ؟**

ج : رأىٰ محمدٌ ﷺ جبريلَ عليه السلام علىٰ صورته التي خلقه اللَّه عليها ، له ستمائة جناح .

---

(١) أخرجه البخاري (حديث ٦٠٤٠) ، وقد أخرج مسلم نحوه من حديث أبي هريرة رضي اللَّه عنه مرفوعًا أيضًا

قال ابن كثير رحمه اللَّه : وهي الرؤية الأولى التي كانت بالبطحاء وهي المذكورة في قوله تعالى : ﴿عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَىٰ ۝٥ ذُو مِرَّةٍ فَاسْتَوَىٰ ۝٦ وَهُوَ بِالأُفُقِ الأَعْلَىٰ ۝٧ ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ ۝٨ فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ ۝٩ فَأَوْحَىٰ إِلَىٰ عَبْدِهِ مَا أَوْحَىٰ﴾ [النجم: ٥ - ١٠] .

أما المراد بالأفق المبين ، فالمراد به : المكان الذي يُبين الأشياء (أي : يظهرها) وتُرى بوضوح في ناحيته ، قال بعض العلماء : وذلك من ناحية المشرق لأن من جهته تُرى الأشياء ، وقيل : الأفق المبين : أقطار السماوات ونواحيها .

* * *

س ـ إلى ماذا يرجع الضمير في كل مما يأتي :

﴿ وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَيْطَانٍ رَّجِيمٍ ﴾ [التكوير: ٢٥] ، ﴿ إِنْ هُوَ إِلاَّ ذِكْرٌ لِّلْعَالَمِينَ ﴾ [التكوير: ٢٧]، ﴿ وَلَقَدْ رَآهُ بِالأُفُقِ الْمُبِينِ ﴾ [التكوير: ٢٣]، و ﴿ وَمَا هُوَ عَلَى الْغَيْبِ بِضَنِينٍ ﴾ [التكوير: ٢٤] ؟

ج : الضمير في قوله تعالى : ﴿ وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَيْطَانٍ رَّجِيمٍ ﴾ [التكوير: ٢٥] ، وفي قوله : ﴿إِنْ هُوَ إِلاَّ ذِكْرٌ لِّلْعَالَمِينَ﴾ [التكوير: ٢٧] يرجعان إلى القرآن .

والضمير في قوله : ﴿وَلَقَدْ رَآهُ ﴾ [التكوير: ٢٣] : ولقد رأى محمدٌ جبريلَ .

والضمير في قوله : ﴿وَمَا هُوَ عَلَى الْغَيْبِ بِضَنِينٍ ﴾ [التكوير: ٢٤]

يرجع إلىٰ رسول اللَّه ﷺ ، واللَّه أعلم .

* * *

س ـ وضح معنىٰ قوله تعالىٰ : ﴿وَمَا هُوَ عَلَى الْغَيْبِ بِضَنِينٍ﴾ [التكوير : ٢٤] ؟

ج : أما المراد بالغيب فهو هنا القرآن وما فيه من الأنباء والقصص وأخبار الجنة وما يقرب منها وأخبار النار وما يباعد عنها .

أما قوله : بضنين فله معنيان :

أحدهما : بمتهم ، **والثاني** : ببخيل .

فالمعنىٰ الأول : وما محمد بمتهم فيما ينقله لكم ويبلغه لكم عن اللَّه سبحانه وتعالىٰ وعن جنته وناره وكافة ما يأمره اللَّه به .

وما محمد ببخيل عليكم ولا كاتم عنكم ما علمه اللَّه إياه وأمره بتبليغه لكم من أمر الوحي ، واللَّه أعلم .

* * *

س ـ وضح معنىٰ قوله تعالىٰ : ﴿فَأَيْنَ تَذْهَبُونَ﴾ [التكوير : ٢٦] ؟

ج : المعنىٰ ـ واللَّه أعلم ـ : إلىٰ أين تذهبون بعقولكم وتفرّون من هذا القرآن وتعدلون عن طاعة ربكم .

وقيل : المعنىٰ : أي الطرق أهدىٰ كي تسلكونها غير هذا الطريق .



سُورَةُ الانفِطَارِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

إِذَا السَّمَاءُ انفَطَرَتْ ﴿١﴾ وَإِذَا الْكَوَاكِبُ انتَثَرَتْ ﴿٢﴾ وَإِذَا الْبِحَارُ فُجِّرَتْ ﴿٣﴾ وَإِذَا الْقُبُورُ بُعْثِرَتْ ﴿٤﴾ عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ وَأَخَّرَتْ ﴿٥﴾

س ـ اذكر معنى كلٍ مما يلي :

انفطرت ـ انتثرت ـ فجرت ـ بعثرت ؟

ج :

الكلمة	معناهـــا
انفطــرت	تشققت ، ومنه : قوله تعالى : ﴿**هَلْ تَرَىٰ مِن فُطُورٍ**﴾ [الملك: ٣]
انتثـــرت	تساقطت وتفرقت
فُجِّـــرت	فُجِّر بعضها في بعض فملأت جميعًا ، فجر مالحها في عذبها وعذبها في مالحها وأزيل البرزخ الذي كان بينها (المذكور في قوله تعالى) : ﴿**بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لَّا يَبْغِيَانِ**﴾ [الرحمن: ٢٠] ، ومن العلماء من قال : فجرت

الكلمة	معناهــا
بُعثــرت	ذهب ماؤها ، والأول أولىٰ أُثيرت وقلبت فاستخرج ما بداخلها ، وقلب ترابها الذي أهيل علىٰ الأموات وأخرج الموتىٰ منها

* * *

س ـ لماذا تنفطر السماء ؟

ج : تنفطر لأمر اللَّه عز وجل ، ولهيبة اللَّه عز وجل .

وتنفطر لنزول الملائكة منها كما قال تعالىٰ : ﴿وَيَوْمَ تَشَقَّقُ السَّمَاءُ بِالْغَمَامِ وَنُزِّلَ الْمَلَائِكَةُ تَنزِيلاً﴾ [الفرقان: ٢٥] .

* * *

س ـ لماذا كررت كلمة إذا في قوله : ﴿إِذَا السَّمَاءُ انفَطَرَتْ ﴿١﴾ وَإِذَا الْكَوَاكِبُ ...﴾ [الانفطار: ١، ٢] ؟

ج : كُررت لتهويل الدواهي المذكورة وتعظيم شأنها .

* * *

س ـ ما الذي قدَّم وأخر في قوله تعالىٰ : ﴿عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ وَأَخَّرَتْ﴾ [الانفطار: ٥] ؟

ج : لأهل العلم في ذلك أقوال :

أحدها : أن الذي قدّم هو العمل الصالح الذي عملته النفس والذي أخر هو السنة التي تركتها بعد موتها يُعمل بها ويذهب أجرها إليها .

الثاني : أن الذي قُدِّم هو الفرائض التي أُديت والذي أُخِّر هو الفرائض التي ضيعت .

الثالث : (وهو راجع إلى الثاني) أن الذي قدم هو الخير الذي عُمِل والذي أخر هو المعاصي .

واختار ابن جرير القول الأول مؤيدًا له بقوله : وإنما اخترنا القول الذي ذكرناه[1] لأن كل ما عمل العبد من خير أو شر فهو مما قدمه، وأن ما ضيَّع من حق اللَّه عليه وفرط فيه فلم يعمله فهو مما قدَّم من شرٍّ ، وليس ذلك مما أخر من العمل ، لأن العمل هو ما عمله ، فأما ما لم يعمله فإنما هو سيئة قدَّمها ، فلذلك قلنا : ما أخَّر هو ما سنه من سنة حسنة أو سيئة مما إذا عمل به العامل كان له مثل أجر العامل بها أو وزره .



(١) ونص عند ابن جرير : علمت كل نفس ما قدمت لذلك اليوم من عمل صالح ينفعه وأخرت وراءه من شيء سنة فعمل به .

﴿يَا أَيُّهَا الْإِنسَانُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ ﴿٦﴾ الَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّاكَ فَعَدَلَكَ ﴿٧﴾ فِي أَيِّ صُورَةٍ مَّا شَاءَ رَكَّبَكَ ﴿٨﴾﴾

س ـ اذكر معنى ما يلي :ـ

غرَّك ـ سواك ـ عدلك ؟

ج :

الكلمة	معناهـــا
غـــــرَّك	خدعك ـ سوَّل لك حتى أضعت ما وجب عليك ـ أمَّنك من عقابه
ســـوَّاك	جعلك سويًّا سليم الأعضاء تسمع وتبصر
عــدلك[1]	جعلك معتدلاً معدَّل الخلق مقومًا ـ عدَل أعضاءك فلم تفضل يدٌ على يدٍ ولا رجلٌ على رجل

* * *

(١) وقرئت (عدَّلك) بالتشديد ، ومعناها : أمالك إلى أي صورة ما شاء إما إلى صورة حسنة أو قبيحة، أو إلى صورة العم أو الخال و . . .

س ـ من المراد بالإنسان المذكور في قوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الإِنسَانُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ ﴾ [الانفطار: ٦] ؟

ج : قيل : المرادُ الإنسان الكافر بدليل قوله تعالى : ﴿ كَلاَّ بَلْ تُكَذِّبُونَ بِالدِّينِ ﴾ [الانفطار: ٩] .

وقيل : المراد عموم الإنسان ، واللَّه أعلم .

* * *

س ـ ما الذي غرَّ الإنسان بربه الكريم ؟

ج : لأهل العلم في ذلك أقوال ، منها :

الأول : أن الذي غره بربه الكريم هو الشيطان ، كما قال تعالى : ﴿ وَلا يَغُرَّنَّكُم بِاللَّهِ الْغَرُورُ ﴾ [فاطر: ٥] .

الثاني : أن الذي غره هو جهله وحمقه .

الثالث [١] : أن الذي غره بربه الكريم هو ستر اللَّه عز وجل عليه وعدم معاجلته بالعقوبة ، كما ورد عن الفضيل بن عياض أنه قال ـ وقد قيل له ـ : لو أقامك اللَّه تعالى يوم القيامة بين يديه فقال لك : ما غرك بربك الكريم ؟ ماذا كنت تقوله له ؟ قال : كنت أقول : غرَّني ستورك المرخاة .

الرابع : غرَّه عفو اللَّه .

---

(١) والثالث والرابع والخامس إنما هي في حق المسلم ، والأول والثاني لا تمتنع عن المسلم أيضًا .

الخامس : غره كرمُ الكريم .

* * *

س ـ وضح معنى قوله تعالى: ﴿مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ﴾ [الانفطار: ٦]؟

ج : **قال السعدي رحمه الله في «تفسيره»** : يقول تعالى معاتبًا الإنسان المقصر في حقه المتجرئ على معاصيه : ﴿يَا أَيُّهَا الإِنسَانُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ﴾ [الانفطار: ٦] أتهاونًا منك في حقوقه ؟!! أم احتقارًا منك لعذابه ؟ أم عدم إيمان منك بجزائه؟ أليس هو ﴿الَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّاكَ﴾ [الانفطار: ٧] في أحسن تقويم .

● **وقال الشوكاني في « فتح القدير »** : هذا خطاب للكفار ، أي : ما الذي غرَّك وخدعك حتى كفرت بربك الكريم الذي تفضل عليك في الدنيا بإكمال خلقك وحواسك وجعلك عاقلاً فاهمًا ورزقك وأنعم عليك بنعمه التي لا تقدر على جحد شيء منها .

* * *

س ـ لماذا أُتي بصفة الكريم عقب قوله : ﴿يَا أَيُّهَا الإِنسَانُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ﴾ [الانفطار: ٦] مع أن الكرم يقتضي أن يغتر الشخص ؟

ج : الإجابة أن الكرم الزائد يستدعي الحياء من المكرم وعدم الإقدام على عصيانه ، فكان من اللائق بك ، وقد أكرمك الله : أن تستحي منه ولا تغتر به ولا تعصه .

● **وثم جواب آخر** وهو أنه سبحانه وتعالى لكرمه لم يعاجلك

بالعقوبة بل تركك مدة تتذكر فيها إن شئت أن تتذكر فتركت التوبة طيلة دنياك ، وكان الأولى أن تقابل كرم اللَّه بالخوف منه وقبول مدة الإمهال ﴿أَوَ لَمْ نُعَمِّرْكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرَ﴾ [فاطر: ٣٧] للتوبة والإنابة ، واللَّه أعلم .

* * *

س ـ وضح معنى قوله تعالى : ﴿ فِي أَيِّ صُورَةٍ مَّا شَاءَ رَكَّبَكَ ﴾ [الانفطار: ٨] ؟

ج : لأهل العلم في ذلك أقوال :

الأول : أنه سبحانه ركبك في الصورة التي يريدها ، فمنهم الطويل ومنهم القصير ، ومنهم الجميل ومنهم الدميم ، ومنهم الذكي ومنهم الغبي، ومنهم النحيف ومنهم السمين ، و . . . .

الثاني : أنه سبحانه قادر على خلقك في صورة قريب لك كعَمٍّ أو خال أو أب أو جد أو أخ . . . ، وقادر على تصويرك في صورة رجل بعيد لا تجمعك به قرابة .

الثالث : أنه سبحانه قادر على تصويرك في أي صورة شاءها فإن شاء صورك في صورة كلب أو خنزير لفعل ، ولا ممانع له سبحانه .

واللَّه سبحانه قادرٌ على كل ما ذُكِرَ .



كَلَّا بَلْ تُكَذِّبُونَ بِالدِّينِ ﴿٩﴾ وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ ﴿١٠﴾ كِرَامًا كَاتِبِينَ ﴿١١﴾ يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ ﴿١٢﴾ إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ ﴿١٣﴾ وَإِنَّ الْفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٍ ﴿١٤﴾ يَصْلَوْنَهَا يَوْمَ الدِّينِ ﴿١٥﴾ وَمَا هُمْ عَنْهَا بِغَائِبِينَ ﴿١٦﴾ وَمَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الدِّينِ ﴿١٧﴾ ثُمَّ مَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الدِّينِ ﴿١٨﴾ يَوْمَ لَا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِنَفْسٍ شَيْئًا وَالْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِلَّهِ ﴿١٩﴾

س ـ اذكر معنى ما يلي :

الدين ـ حافظين ـ كاتبين ـ الأبرار ـ يصلونها ؟

ج :

الكلمة	معناهـا
الديـن	الجزاء والحساب
حافظيـن	ملائكة يحفظون الأعمال ويحصونها
كاتبيـن	ملائكة يكتبون الأعمال
الأبـرار	المطيعون الذين يؤدون ما فرض اللّٰه عليهم ويجتنبون معاصيه
يصلونهـا	يلزمونها مقاسين حرها

* * *

س ـ وضح معنى قولـه تعالى : ﴿ كَلاَّ بَلْ تُكَذِّبُونَ بِالدِّينِ ﴾ [الانفطار: ٩] ؟

ج : المعنى ـ والله أعلم ـ : كلا ، أي: ليس الأمر أيها الكافرون كما تقولون من أنكم على الحق في عبادتكم غير الله، ولكنكم تكذبون بالثواب والعقاب والجزاء والحساب ، قاله الطبري رحمه الله .

* * *

س ـ ما هو وجه إيراد قوله تعالى : ﴿وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ ﴿١٠﴾ كِرَامًا كَاتِبِينَ ﴿١١﴾ يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ﴾ [الانفطار: ١٠ - ١٢] ؟

ج : وجه ذلك : الحث على الحياء والبعد عن المعاصي ، فالمعنى : وإن عليكم لملائكة حفظة كرامًا فلا تقابلوهم بالقبائح فإنهم يكتبون عليكم جميع أعمالكم . كما قاله ابن كثير رحمه الله .

* * *

س ـ إلى ماذا يرجع الضمير في قوله تعالى : ﴿وَمَا هُمْ عَنْهَا بِغَائِبِينَ﴾ [الانفطار: ١٦] ؟ وما معناه ؟

ج : يرجع إلى النار (الجحيم) ، والمعنى : ﴿وَمَا هُم مِّنْهَا بِمُخْرَجِينَ﴾ [الحجر: ٤٨] ، فلن يغيبوا عن النار لحظة بل هم فيها دائمين.

* * *

س ـ وضح معنى قوله تعالى : ﴿ وَمَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الدِّينِ ﴾ [الانفطار: ١٧] ، **وما المراد بالاستفهام في قوله : ﴿ وَمَا أَدْرَاكَ . . . ﴾ ؟**

ج : الاستفهام المراد به التنبيه على عظمة ذلك اليوم وعلى قدره وقد روى الطبري بإسناد حسن عن قتادة قال: قوله : ﴿**وَمَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الدِّينِ**﴾ [الانفطار: ١٧] تعظيمًا ليوم القيامة يوم تدان فيه الناس بأعمالهم .

وقوله : ﴿ثُمَّ مَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الدِّينِ﴾ [الانفطار: ١٨] يقول : ثم أي شيء أشعرك أي شيء يوم المجازاة والحساب يا محمد تعظيمًا لأمره ، ثم فسَّر جل ثناؤه بعض شأنه فقال : ﴿**يَوْمَ لا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِّنَفْسٍ شَيْئًا**﴾ [الانفطار: ١٩] يقول : ذلك اليوم يوم لا تملك نفس ، يقول : يوم لا تغني نفس عن نفس شيئًا فتدفع عنها بلية نزلت بها ولا تنفعها بنافعة وقد كانت في الدنيا تحميها وتدفع عنها من بغاها سوءًا فبطل ذلك يومئذ لأن الأمر صار للَّه الذي لا يغلبه غالب ولا يقهره قاهر واضمحلت هنالك الممالك وذهبت الرياسات وحصل الملك للملك الجبار ، وذلك قوله : ﴿**وَالأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِّلَّهِ**﴾ [الانفطار: ١٩] يقول : والأمر كله يومئذ ـ يعني الدين للَّه دون سائر خلقه ليس لأحد من خلقه معه يومئذ أمر ولا نهي . ذكر ذلك الطبري رحمه اللَّه .

* * *

س ـ ما فائدة تكرار قوله تعالى : ﴿ ثُمَّ مَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الدِّينِ ﴾ [الانفطار: ١٨] ؟

ج : كرر يوم الدين تعظيمًا لشأنه وتفخيمًا لقدره وتهويلاً لأمره

كما قال تعالى : ﴿الْقَارِعَةُ ﴿١﴾ مَا الْقَارِعَةُ ﴿٢﴾ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْقَارِعَةُ﴾ [القارعة: ١ - ٣] ، وكما قال سبحانه : ﴿الْحَاقَّةُ ﴿١﴾ مَا الْحَاقَّةُ ﴿٢﴾ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْحَاقَّةُ﴾ [الحاقة: ١ - ٣] .

* * *

س - هل ينفع شخصٌ شخصًا يوم القيامة ؟

ج : ذلك كائن بإذن اللَّه ، فإذا أذن اللَّه لشخص أن يشفع في شخص شفع فيه وانتفع المشفَّع فيه بالشفاعة بإذن اللَّه ، قال تعالى : ﴿مَن ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِندَهُ إِلاَّ بِإِذْنِهِ﴾ [البقرة: ٢٥٥] ، وقال تعالى : ﴿وَلا يَشْفَعُونَ إِلاَّ لِمَنِ ارْتَضَىٰ﴾ [الأنبياء: ٢٨] ، وقال عليه الصلاة والسلام : «شفاعتي لأهل الكبائر من أمتي»[1] ، وقال عليه الصلاة والسلام : «يشفع الشهيد في سبعين من أقاربه»[2] إلى غير ذلك من الأدلة .

* * *

س - الأمر في الدنيا وفي الآخرة للَّه ، فلماذا قال تعالى : ﴿وَالأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِّلَّهِ﴾ [الانفطار: ١٩] في الآخرة مع أنه في الدنيا للَّه أيضًا ؟

---

(١) حديث صحيح بمجموع طرقه ، وقد أخرجه أحمد (٣/ ٢١٣) وأبو داود (٤٧٣٩) من حديث أنس رضي اللَّه عنه مرفوعًا ، وقدمنا بعض الكلام عليه في تفسيرنا لسورة البقرة (من كتاب «التسهيل» جـ١/ ٤٨٢) .

(٢) أخرجه الترمذي وغيره من حديث المقدام بن معديكرب رضي اللَّه عنه قال : قال رسول اللَّه ﷺ : «للشهيد عند اللَّه ست خصال .... ويشفع في سبعين من أقاربه» وقد قدمناه في البقرة وآل عمران من كتابنا «التسهيل» .

ج : صحيح أن الأمر في الدنيا والآخرة للَّه سبحانه وتعالى لا شك في ذلك ولا ريب ، ولكن في الدنيا قد ينازع ملك فاجر أو سلطان غشوم فيدعي أن الملك له ، أما في الآخرة فلا منازع ينازع ولا مُدَّعٍ يدعي ، فلا إله إلا اللَّه ولا رب سواه ، ولا ملك معه ، ولا مستكبر هناك ، بل كما قال تعالى : ﴿ لِمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ ﴾ [غافر: ١٦]، وكما قال تعالى ﴿الْمُلْكُ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ لِلرَّحْمَنِ﴾ [الفرقان: ٢٦]، وكما قال تعالى : ﴿مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾ [الفاتحة: ٤] .



سُورَةُ المُطَفِّفِينَ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ ﴿١﴾ الَّذِينَ إِذَا اكْتَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ ﴿٢﴾ وَإِذَا كَالُوهُمْ أَو وَّزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ ﴿٣﴾ أَلَا يَظُنُّ أُولَٰئِكَ أَنَّهُم مَّبْعُوثُونَ ﴿٤﴾ لِيَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿٥﴾ يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٦﴾

س ـ اذكر معنى ما يلي :

ويلٌ ـ المطففين ـ اكتالوا على الناس ـ يستوفون ـ كالوهم ـ وزنوهم ـ يخسرون ؟

ج :

الكلمة	معناها
ويلٌ	عذابٌ شديد ـ واد في جهنم يسيل إليه من صديد أهل النار
المطففين	الذين يبخسون المكيال والميزان
اكتالوا على الناس	اكتالوا من الناس، أي : طلبوا من الناس أن يكيلوا لهم
يستوفون	يأخذون حقهم وافيًا

الكلمة	معناهـــا
كالوهـــــــم	كالوا لهم
وزنوهـــــــم	وزنوا لهم
يخســــــرون	ينقصون ـ يبخسون

* * *

س ـ ما معنى التطفيف ، ومن هم المطففون ؟

التطفيف هو البخس ، وهو نقص شيء من المكيال والميزان على سبيل الخفية ، وبعض أهل العلم قال : إن التطفيف خاص بالشيء القليل ، أي: نقص شيء قليلٍ من المكيال والميزان على سبيل الخفية، فإن كان الذي يطفف (أي : يبخس شيئًا قليلاً من المكيال والميزان) قد توعده اللَّه عز وجل بالويل فما الظن بالذي يبخس الكثير ؟!!

وما الظن بالذي يأكل أموال الناس بالباطل أصلاً .

أما المطففون فقد وصفهم اللَّه بقوله : ﴿**الَّذِينَ إِذَا اكْتَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ ۝٢ وَإِذَا كَالُوهُمْ أَو وَّزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ**﴾ [المطففين: ٢، ٣] إذا اشتروا من الناس فكال لهم الناس استوفوا حقهم (أي : أخذوا حقهم كاملاً مستوفًا بل قد يزيدون عليه) من الناس وإذا كالوا للناس أو وزنوا لهم بخسوا الناس حقوقهم .

قال الطبري رحمه الله : الذين ينقصون الناس ويبخسونهم حقوقهم في مكاييلهم إذا كالوهم ، أو موازينهم إذا وزنوا لهم عن الواجب لهم من الوفاء ، وأصل ذلك : من الشيء الطفيف ، وهو القليل النزر ، والمطفِّف المقلِّل حق صاحب الحق عما له من الوفاء والتمام في كيل أو وزن ، ومنه قيل للقوم الذين يكونون سواء في حسبة أو عدد : هم سواء كطفّ الصاع ، يعني بذلك كقرب الممتلئ منه ناقص عن الملء .

* * *

س ـ وضح معنى قوله تعالى : ﴿الَّذِينَ إِذَا اكْتَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ﴾ [المطففين: ٢] ؟

ج : تقدم الكلام عليها قريبًا ، ولمزيد قال الطبري رحمه الله : يقول تعالى ذكره : الذين إذا اكتالوا من الناس ما لهم قِبلهم من حق يستوفون لأنفسهم فيكتالونه منهم وافيًا ، و«على» و«مِن» في هذا الموضع يتعاقبان غير أنه إذا قيل : اكتلت منك يُراد به استوفيت منك .

* * *

س ـ اذكر بعض الآيات الناهية عن التطفيف في المكيال والميزان والمحذرة من ذلك والآمرة بإقامة الكيل والميزان بالقسط ؟

ج : من هذا ما يلي :

- قوله تعالى : ﴿وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ ۝١ الَّذِينَ إِذَا اكْتَالُوا عَلَى النَّاسِ

يَسْتَوْفُونَ ﴿٢﴾ وَإِذَا كَالُوهُمْ أَو وَّزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ﴾ [المطففين: ١ - ٣] ؟

• قوله تعالى : ﴿أَوْفُوا الْكَيْلَ وَلا تَكُونُوا مِنَ الْمُخْسِرِينَ ﴿١٨١﴾ وَزِنُوا بِالْقِسْطَاسِ الْمُسْتَقِيمِ ﴿١٨٢﴾ وَلا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلا تَعْثَوْا فِي الأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾ [الشعراء: ١٨١ - ١٨٣] .

• قوله تعالى : ﴿وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ قَدْ جَاءَتْكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ فَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ وَلا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلا تُفْسِدُوا فِي الأَرْضِ بَعْدَ إِصْلاحِهَا ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [الأعراف: ٨٥] .

• وقوله تعالى : ﴿وَأَوْفُوا الْكَيْلَ إِذَا كِلْتُمْ وَزِنُوا بِالْقِسْطَاسِ الْمُسْتَقِيمِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلاً﴾ [الإسراء: ٣٥] .

• وقوله تعالى : ﴿وَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ لا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلاَّ وُسْعَهَا﴾ [الأنعام: ١٥٢] .

وقال تعالى : ﴿وَالسَّمَاءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ الْمِيزَانَ ﴿٧﴾ أَلاَّ تَطْغَوْا فِي الْمِيزَانِ ﴿٨﴾ وَأَقِيمُوا الْوَزْنَ بِالْقِسْطِ وَلا تُخْسِرُوا الْمِيزَانَ﴾ [الرحمن: ٧ - ٩] .

• وقال تعالى : ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ﴾ [الحديد: ٢٥] إلى غير ذلك من الآيات .

* * *

س ـ من هو النبي الذي أرسل إلى قومه وهم يطففون المكيال

والميزان ليحذرهم من ذلك ؟

ج : هو نبي الله شعيب ﷺ . قال تعالى : ﴿ وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ قَدْ جَاءَتْكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ فَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا . . . ﴾ [الأعراف: ٨٥] .

وقال تعالى : ﴿ وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ وَلَا تَنقُصُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ إِنِّي أَرَاكُم بِخَيْرٍ وَإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ مُّحِيطٍ ﴿٨٤﴾ وَيَا قَوْمِ أَوْفُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿٨٥﴾ بَقِيَّتُ اللَّهِ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ وَمَا أَنَا عَلَيْكُم بِحَفِيظٍ ﴾ [هود: ٨٤ - ٨٦] .

* * *

س ـ ما المراد بالظن في قوله تعالى : ﴿ أَلَا يَظُنُّ أُولَٰئِكَ أَنَّهُم مَّبْعُوثُونَ ﴾ [المطففين: ٤] ؟

ج : المراد بالظن هنا ـ والله أعلم ـ : اليقين، فالمعنى: أفلا يوقن هؤلاء المطففون بالبعث ، وأنهم موقوفون بين يدي ربهم عز وجل ؟!

● ومجيء الظن بمعنى اليقين في مواطن كثيرة من كتاب الله عز وجل ، ومنه قوله : ﴿ إِنِّي ظَنَنتُ أَنِّي مُلَاقٍ حِسَابِيَهْ ﴾ [الحاقة: ٢٠] ، وقوله : ﴿ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَاقُو رَبِّهِمْ وَأَنَّهُمْ إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ﴾ [البقرة: ٤٦].

* * *

س ـ اذكر بعض أحوال الناس عند قيامهم لرب العالمين ؟

ج: • من ذلك: ما أخرجه البخاري[١] ومسلم وغيرهما من حديث ابن عمر رضي اللَّه عنهما أن النبي ﷺ قال: « ﴿يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [المطففين: ٦] حتىٰ يغيب أحدهم في رشحه إلىٰ أنصاف أذنيه » .

• ومن ذلك: ما أخرجه البخاري ومسلم[٢] من حديث أبي هريرة رضي اللَّه عنه عن النبي ﷺ قال: «يحشر الناس علىٰ ثلاث طرائق راغبين وراهبين ، واثنان علىٰ بعير وثلاثة علىٰ بعير وأربعة علىٰ بعير ، وعشرة علىٰ بعير ، وتحشر بقيتهم النار تبيت معهم حيث باتوا وتقيل معهم حيث قالوا وتصبح معهم حيث أصبحوا وتمسي معهم حيث أمسوا» .

• ومن ذلك: ما أخرجه البخاري ومسلم[٣] من حديث ابن عباس رضي اللَّه عنهما قال سمعت رسول اللَّه ﷺ يخطب علىٰ المنبر يقول: «إنكم ملاقو اللَّه حفاة عراة غرلاً» .

• وفي رواية في «الصحيحين»[٤] أيضًا من حديث ابن عباس رضي اللَّه عنهما قال: قام فينا رسول اللَّه ﷺ خطيبًا بموعظة فقال: «يا أيها الناس إنكم تحشرون إلىٰ اللَّه حفاة عراة غرلاً كما بدأنا أول خلق نعيده

---

(١) أخرجه البخاري (حديث ٤٩٣٨) واللفظ له ، ومسلم (حديث ٢٨٦٢) من حديث ابن عمر عن النبي ﷺ ﴿يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [المطففين: ٦] ، قال: «يقوم أحدهم في رشحه إلىٰ أنصاف أذنيه» .

(٢) أخرجه البخاري (حديث ٦٥٢٢) ومسلم (حديث ٢٨٦١) واللفظ له .

(٣) البخاري (حديث ٦٥٢٥) ومسلم (٢٨٦٠) .

(٤) أخرجه البخاري (٦٥٢٦) ومسلم (ص ٢١٩٥) واللفظ له .

وعدًا علينا إنا كنا فاعلين ألا وإن أول الخلائق يكسىٰ يوم القيامة إبراهيم عليه السلام ، ألا وإنه سيجاء برجالٍ من أمتي فيؤخذ بهم ذات الشمال فأقول : يارب أصحابي فيقال : إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك ، فأقول كما قال العبد الصالح : ﴿وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنتَ أَنتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ وَأَنتَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴿١١٧﴾ إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [المائدة: ١١٧، ١١٨] قال : **فيقال لي : إنهم لم يزالوا مرتدين علىٰ أعقابهم منذ فارقتهم»** .

● ومن ذلك : ما في «الصحيحين»[١] أيضًا من حديث أنس بن مالك رضي اللَّه عنه أن رجلاً قال : يا نبي اللَّه كيف يحشر الكافر علىٰ وجهه ؟ قال : **«أليس الذي أمشاه علىٰ الرجلين في الدنيا قادر علىٰ أن يمشيه علىٰ وجهه يوم القيامة ؟ »** .

● ومن ذلك ما في «الصحيحين» [٢] أيضًا من حديث أبي هريرة رضي اللَّه عنه أن رسول اللَّه ﷺ قال : **«يعرق الناس يوم القيامة حتىٰ يذهب عرقهم في الأرض سبعين ذراعًا ويلجمهم حتىٰ يبلغ آذانهم»** .

● ومن ذلك : ما أخرجه البخاري ومسلم[٣] من حديث أبي سعيد الخدري رضي اللَّه عنه قال : قلنا : يا رسول اللَّه هل نرىٰ ربنا يوم القيامة؟ قال : **«هل تضارُّون في رؤيةِ الشمس والقمر إذا كانت صَحواً ؟»**

---

(١) أخرجه البخاري (حديث ٦٥٢٣) ومسلم (حديث ٢٨٠٦) .

(٢) أخرجه البخاري (٦٥٣٢) ومسلم (٢٨٦٣) .

(٣) أخرجه البخاري (حديث ٧٤٣٩) ومسلم (١٨٣) .

قلنا: لا . قال : «فإنكم لا تضارون في رؤية ربكم يومئذ إلا كما تضارون في رؤيتهما» ثم قال : «يُنادي مُناد : ليذهب كل قوم إلىٰ ما كانوا يعبدون فيذهب أصحاب الصليب مع صليبهم وأصحاب الأوثانِ مع أوثانهم وأصحابُ كل آلهةٍ مع آلهتهم حتىٰ يبقىٰ من كان يعبد اللَّه من بَرٍّ أو فاجر وغُبَرات من أهلِ الكتابِ ثم يُؤتىٰ بجهنَّم تعرضُ كأنها سَرابٌ فيقالُ لليهود : ما كنتم تعبدون ؟ قالوا : كنا نعبدُ عزيرًا ابن اللَّه فيقال : كذبتم لم يكن للَّه صاحبةٌ ولا ولدٌ فما تريدون ؟ قالوا : نريد أن تسقينا فيقال : اشربوا فيتساقطون في جهنم ثم يقال للنَّصارىٰ : ما كنتم تعبدون ؟ فيقولون : كنا نعبد المسيحَ ابن اللَّه فيقال : كذبتم لم يكن للَّه صاحبةٌ ولا ولدٌ فما تريدون ؟ فيقولون : نريد أن تسقينا فيقال : اشربوا فيتساقطون حتىٰ يبقىٰ من كان يعبد اللَّه من برٍّ أو فاجرٍ فيقال لهم : ما يحبسكم وقد ذهب الناس فيقولون : فارقناهم ونحن أحوج منا إليه اليوم ، وإنا سمعنا مناديًا يُنادي ليلحق كلُّ قومٍ بما كانوا يعبدون ، وإنما ننتظر ربَّنا قال : فيأتيهم الجبارُ في صورة غير صورته التي رأوه فيها أوَّل مرة فيقول : أنا ربكم فيقولون : أنت ربنا فلا يكلمه إلا الأنبياء فيقول : هل بينكم وبينه آيةٌ تعرفونه ؟ فيقولون : الساق ، فيكشفُ عن ساقه فيسجد له كل مؤمن ، ويبقىٰ من كان يسجد للَّه رياءً وسمعةً فيذهب كيما يسجد فيعود ظهره طبقًا واحدًا ، ثم يؤتىٰ بالجسر فيجعل بين ظهري جهنم» . قلنا : يا رسول اللَّه وما الجسر ؟ قال : «مدحَضَةٌ مَزِلةٌ عليه خطاطيف وكلاليبُ وحسكة مُفلطَحَةٌ لها شوكة عُقيفاء تكون بنجدٍ يُقال لها : السعدانُ ، المؤمن عليها كالطرف وكالبرق وكالريح وكأجاوِيد الخيل

والرِّكاب فناجٍ مُسَلَّم وناج مخدُوشٌ ومكدوسٌ في نارِ جهنَّم حتى يمر آخرهم يُسحب سحبًا فما أنتم بأشد لي مناشدة في الحقِّ قد تبينَ لكم من المؤمن يومئذٍ للجبار وإذا رأوا أنهم قد نجوا في إخوانهم يقولون : ربَّنا إخواننا الذين كانوا يصلون معنا ويصومون معنا ويعملون معنا فيقول اللَّه تعالى : اذهبوا فمن وجدتم في قلبه مثقال دينار من إيمان فأَخْرِجُوه ويحرِّم اللَّه صورَهم على النار فيأتونهم وبعضهم قد غاب في النار إلى قدمه وإلى أنصاف ساقيه فيخرجون من عرفوا ، ثم يعودون فيقول : اذهبوا فمن وجدتم في قلبه مثقال نصف دينار فأخرجوه ، فيخرجون من عرفوا ، ثم يعودون فيقول : اذهبوا فمن وجدتم في قلبه مثقال ذرة من إيمان فأَخْرِجوه فيُخْرِجون من عرفوا» قال أبو سعيد : فإن لم تصدقوني فاقرءوا : ﴿إِنَّ اللَّهَ لا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ وَإِن تَكُ حَسَنَةً يُضَاعِفْهَا﴾ [النساء: ٤٠] «فيشفع النبيون والملائكة والمؤمنون فيقول الجبارُ : بقيت شفاعتي ، فيقبض قبضته من النار فيخرج أقوامًا قد امتحشوا فيلقون في نهر بأفواه الجنة يقال له : ماء الحياة فينبتون في حافتيه كما تنبت الحِبَّةُ في حميل السيل قد رأيتموها إلى جانب الصخرة وإلى جانب الشجرة فما كان إلى الشمس منها كان أخضر ، وما كان منها إلى الظل كان أبيض ، فيخرجون كأنهم اللؤلؤ فيجعل في رقابهم الخواتيم فيدخلون الجنة فيقول أهل الجنة : هؤلاء عتقاءُ الرحمن أدْخَلَهم الجنةَ بغير عملٍ عَمِلوه ولا خير قدَّموه فيقال لهم : لكم ما رأيتم ومثله معه» .

● ومن ذلك أيضًا : ما أخرجه البخاري ومسلم [1] من حديث

(١) أخرجه البخاري (٣٣٤٨) ومسلم (٢٢٢) .

أبي سعيد الخدري رضي اللَّه عنه عن النبي ﷺ قال: «يقولُ اللَّه تعالىٰ[1]: يا آدم فيقول: لبيك وسعديك والخيرُ في يديك فيقول: أَخْرِجْ بعثَ النارِ قال: وما بعثُ النارِ ؟ قال: من كل ألف تسعمائة وتسعة وتسعين فعنده يشيبُ الصغير، ﴿وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَىٰ وَمَا هُم بِسُكَارَىٰ وَلَكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ﴾ [الحج: ٢] قالوا: يا رسول اللَّه وأيُّنا ذلك الواحد ؟ قال: «أبشروا فإن منكم رجلاً ومن يأجوج ومأجوج ألف» ثم قال: «والذي نفسي بيده إني أرجو أن تكونوا رُبُعَ أهل الجنة»، فكبَّرنا، فقال: «أرجو أن تكونوا ثُلُثَ أهل الجنة»، فكبرنا، فقال: «أرجو أن تكونوا نصف أهل الجنة»، فكبرنا، فقال: «ما أنتم في الناس إلا كالشعرة السوداء في جلد ثور أبيض أو كشعرة بيضاء في جلد ثورٍ أَسْود».

● وما أخرجه أحمد[2] من حديث أنس رضي اللَّه عنه أن رسول اللَّه ﷺ قال: «يؤتىٰ بأشد الناس كان بلاء في الدنيا من أهل الجنة فيقول: اصبغوه صبغة في الجنة فيصبغونه فيها صبغة فيقول اللَّه عز وجل: يا ابن آدم هل رأيتَ بؤسًا قط أو شيئًا تكرهه ؟ فيقولُ: لا وعزتك ما رأيتُ شيئًا أكرهه قط ثم يؤتىٰ بأنعم الناس كان في الدنيا من أهل النار فيقول: اصبغوه فيها صبغة فيقول: يا ابن آدم هل رأيت خيرًا قط قرة عين قط فيقول: لا وعزَّتك ما رأيتُ خيرًا قط ولا قُرَّةَ عين قط».

---

(١) ورد في بعض الروايات أن ذلك يوم القيامة وهو صحيح.

(٢) أخرجه الإمام أحمد رحمه اللَّه «المسند» ٣/٢٥٣) ومسلم في «صحيحه» (٢٨٠٧).

● ومن ذلك: ما أخرجه مسلم[(١)] أيضًا من حديث أبي هريرة رضي اللَّه عنه قال: قالوا: يا رسول اللَّه هل نرى ربنا يوم القيامة؟ قال: **«هل تضارون في رؤية الشمس في الظهيرة ليست في سحابة؟»** قالوا: لا قال: **«فهل تُضَارُّون في رؤيةِ القمرِ ليلةَ البَدْرِ ليس في سَحَابة؟»** قالوا: لا قال: **«فوالذي نفسي بيده لا تضارون في رؤية ربكم إلا كما تضارون في رؤية أحدهما»** قال: **«فَيَلْقى العبدَ فيقول: أي فل[(٢)] ألم أُكْرِمْكَ وأُسَوِّدْكَ[(٣)] وأزوِّجكَ وأُسخِّر لك الخيلَ والإبلَ وأَذَرْكَ ترأسُ[(٤)] وتَرْبَعُ[(٥)] فيقول: بلى»** قال: **«فيقول: أفظننت أنك ملاقيَّ؟ فيقول: لا فيقول: فإني أنساك كما نسيتني، ثم يَلْقَى الثاني فيقول: أي فُل ألم أكْرِمْكَ وأُسوِّدْك وأُزَوِّجك وأسخر لك الخيلَ والإبلَ وأَذَرْك ترأسُ وترْبَعُ؟ فيقول: بلى أي رب! فيقول: أفظننت أنك ملاقيَّ؟ فيقول: لا فيقول: فإني أنساك كما نسيتني، ثم يلقى الثالث فيقول له مثل ذلك فيقول: يا رب آمنتُ بك وبكتابك وبرسلك وصليتُ وصمتُ وتصدقتُ ويثني بخير ما استطاع فيقول ههنا إذًا»**[(٦)] قال: **«ثم يقالُ له: الآن نبعثُ شاهدَنا عليك ويتفكَّر في نفسِه من ذا الذي يشهد**

---

(١) أخرجه مسلم (٢٩٦٨).

(٢) معناه: يا فلان وهو ترخيم على خلاف القياس

(٣) أسودك أي: أجعلك سيدًا على غيرك.

(٤) تراس أي: تكون رئيسًا للقوم.

(٥) تربع بفتح التاء والباء الموحدة تأخذ المرباع الذي كانت ملوك الجاهلية تأخذه من الغنيمة وهو ربعها يقال: ربعتهم، أي: أخذت ربع أموالهم، ومعناه: ألم أجعلك رئيسًا مطاعًا، وفيها أقوال أخر.

(٦) معناه: قف ههنا حتى يشهد عليك جوارحك إذ قد صرت منكرًا.

عليَّ فيُختم على فِيهِ ويُقالُ لفَخذه ولحمه وعظامه : انطقي ، فتنطق فَخذُهُ ولحمه وعظامه بعمله وذلك ليُعْذِرَ من نفسه . وذلك المنافق وذلك الذي يَسْخَطُ اللَّه عَلَيه» .

● وما أخرجه مسلم أيضًا[1] من حديث أنس بن مالك رضي اللَّه عنه قال : كنا عند رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم فضحك فقال: «**هل تدرون مما أضحك ؟** » قال : قلنا : اللَّه ورسوله أعلم قال : «**من مُخاطبةِ العبدِ ربَّه يقول : يا رب ألم تُجِرْني من الظُّلم ؟**» قال : «**يقول : بلى**» قال : «**فيقول : فإني لا أجيزُ على نفسي إلا شاهدًا مني**» قال : «**فيقول : كفى بنفسك اليوم عليك شهيدا وبالكرام الكاتبين شهودًا**» قال : «**فيُخْتَمُ على فِيهِ فيقالُ لأركانه : انطقي**» قال : «**فتنطق بأعماله**» قال : «**ثم يُخلَّى بينه وبين الكلام**» قال : «**فيقول : بُعدًا لكُنَّ وسحقًا فعنكن كنت أُناضل**» .

● ومن ذلك: ما أخرجه الترمذي[2] من حديث أبي هريرة وأبي سعيد رضي اللَّه عنهما قالا : قال رسول اللَّه ﷺ : «**يُؤتَى بالعبد يومَ القيامة فيقولُ اللَّه له : أَلَمْ أَجْعَلْ لك سمعًا وبصرا ومالاً وولدًا وسخَّرتُ لك الأنعامَ والحرثَ وتركتُك تَرْأَسُ[3] وتَرْبَعُ[4] فكنتَ تظنَّ أنك مُلاقي يومكَ هذا ؟**»

---

(١) مسلم (حديث ٢٩٦٩) .

(٢) الترمذي (٢٤٢٨) وإسناده حسن .

(٣) قال المباركفوري في شرحه للترمذي «تحفة الأحوذي» (٧/ ١١٥) : قوله ترأس: بوزن تفتح : رأس القوم يرأسهم إذا صار رئيسهم ومقدمهم .

(٤) تربع : أي : تأخذ ربع الغنيمة ، يقال : ربعت القوم إذا أخذت ربع أموالهم اي : ألم أجعلك رئيسًا مطاعًا لأن الملك كان يأخذ ربع الغنيمة في الجاهلية دون أصحابه ، ويسمى ذلك الربع : المرباع .

قال : «فيقول لا فيقول له : اليوم أنساكَ كما نسيتني»[١] .

قال الترمذي : هذا حديث صحيح غريب ، ومعنى قوله اليوم أنساك يقول : اليوم أتركك في العذاب هكذا فسروه .

قال أبو عيسى : وقد فسر بعض أهل العلم هذه الآية : ﴿ فَالْيَوْمَ نَنسَاهُمْ ﴾ [الأعراف: ٥١] قالوا : إنما معناه : اليوم نتركهم في العذاب .

***

حكم القيام للقادم :

س ـ وضح حكم القيام للشخص القادم مع بيان الأدلة الصحيحة

---

(٥) وتفسير من فسر النسيان بأنه الترك له وجه قوي وهو أحد أقوال أهل التفسير ، فاللّه عز وجل لا ينسى كما قال سبحانه: ﴿ فِي كِتَابٍ لاَّ يَضِلُّ رَبِّي وَلا يَنسَى ﴾ [طه: ٥٢] ، وقال تعالى: ﴿ وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا ﴾ [مريم: ٦٤] ، أما النسيان الوارد في هذا الحديث وفي قوله تعالى : ﴿ فَالْيَوْمَ نَنسَاهُمْ كَمَا نَسُوا لِقَاءَ يَوْمِهِمْ هَذَا ﴾ [الأعراف: ٥١] ، وقوله تعالى ﴿ كَذَلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيتَهَا وَكَذَلِكَ الْيَوْمَ تُنسَىٰ ﴾ [طه: ١٢٦] فهو محمول على أحد محامل :

الأول : الترك كما نقل الترمذي عن بعض أهل العلم .

الثاني : نسيهم اللّه من الخير ولم ينسهم من الشر وهي كقول من قال : نتركهم من الرحمة كما تركوا أن يعملوا للقاء يومهم .

الثالث : يعاملهم معاملة من نسيهم لأنه تعالى لا يشذ عن علمه شيء ولا يتساه .

فالنسيان في حق الرب لابد وأن يصرف عن ظاهره لاستحالته في حق اللّه تبارك وتعالى .

وكذلك النسيان في حق بني آدم مصروف عن ظاهره لأن اللّه عز وجل تجاوز لهذه الأمة عن الخطأ والنسيان كما قال المعصوم صلى اللّه عليه وعلى آله وسلم واللّه تعالى أعلم .

الواردة في ذلك وطرفًا من أقوال أهل العلم في هذا الباب ؟

ج : **في هذه المسألة بعض التفصيل :ـ**

• فإذا كان القيام للقادم لعلة من العلل كقدومه من سفر أو الترحيب به لطول عهدٍ به ، أو لإكرامه حيث يحتاج المقام إلىٰ إكرام ، إما لكبر سنه ، أو لإمضاء حكمه في الناس ونحو ذلك ففي هذه الحالة فالقيام مستحب .

وذلك لقول النبي ﷺ : «**قوموا إلىٰ سيدكم**»[(١)] ، وقد قام طلحة ابن عبيد اللَّه يهرول فصافح كعب بن مالك وهنأه بتوبة اللَّه عز وجل عليه[(٢)] ، وكان النبي ﷺ إذا ذهب إلىٰ فاطمة رضي اللَّه عنها قامت إليه

---

(١) أخرجه البخاري (حديث ٣٠٤٣) ومسلم (١٧٦٨) من حديث أبي سعيد الخدري رضي اللَّه عنه قال : لما نزلت بنو قريظة علىٰ حكم سعد ـ هو ابن معاذ ـ بعث رسول اللَّه ﷺ ، وكان قريبًا منه فجاء علىٰ حمار فلما دنا قال رسول اللَّه ﷺ : «**قوموا إلىٰ سيدكم**» فجاء فجلس إلىٰ رسول اللَّه ﷺ فقال : «**إن هؤلاء نزلوا علىٰ حكمك**» ، قال : فإني أحكم أن تقتل المقاتلة وأن تسبىٰ الذُّرية ، قال : «**لقد حكمت فيهم بحكم الملك**» .

(٢) أخرج البخاري (٤٤١٨) ومسلم (٢٧٦٩) وغيرهما من حديث كعب بن مالك رضي اللَّه عنه قال : لم أتخلف عن رسول اللَّه ﷺ في غزوة غزاها إلا في غزوة تبوك غير أني كنت تخلَّفت في غزوة بدر . . . فذكر الحديث وفيه: وانطلقت إلىٰ رسول اللَّه ﷺ فيتلقاني الناس فوجًا فوجًا يهنئوني بالتوبة يقولون: لتهنك توبة اللَّه عليك، قال كعب حتىٰ دخلت المسجد فإذا رسول اللَّه ﷺ جالس حوله الناس فقام إليَّ طلحة بن عبيد اللَّه يهرول حتىٰ صافحني وهنأني ، واللَّه ما قام إليَّ رجل من المهاجرين غيره ولا أنساها لطلحة .

فقبلته وأجلسته ، وإذا ذهبت إليه قام إليها فقبلها وأجلسها [١] .

وللعمومات الواردة في خفض الجناح للمؤمنين ، وفي إنزال الناس منازلهم ، وفي توقير الكبير .

● أما قيام الناس للشخص كلما دخل عليهم فهذا مكروه ، فقد روى البخاري في «الأدب المفرد» وأحمد في «مسنده» والترمذي في «السنن» وفي «الشمائل» وابن أبي شيبة في «المصنف» وغيرهم من طريق حميد عن أنس قال : ما كان شخص أحب إليهم رؤية من النبي ﷺ وكانوا إذا رأوه لم يقوموا إليه لما يعلمون من كراهيته لذلك [٢] .

---

(١) أخرج البخاري في «الأدب المفرد» (حديث ٩٤٧) وأبو داود (٥٢١٧) والترمذي (٣٨٧٢) والنسائي في «فضائل الصحابة» (٢٦٤) وغيرهم من حديث أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها قالت : ما رأيت أحدًا من الناس كان أشبه بالنبي ﷺ كلامًا ولا حديثًا ولا جلسة من فاطمة قالت : وكان النبي ﷺ إذا رآها قد أقبلت رحب بها ثم قام إليها فقبلها ثم أخذ بيدها فجاء بها حتى يجلسها في مكانه وكانت إذا أتاها النبي ﷺ رحبت به ثم قامت إليه فقبلته . . . الحديث. ، وهو صحيح .

(٢) أخرجه البخاري في «الأدب المفرد» (حديث ٩٤٦) وأحمد في «مسنده» (٣/ ١٣٢ ـ ١٣٤ ـ ١٥١ ـ ٢٥٠) والترمذي (٧٥٤) و«الشمائل» (٣٣٦) وابن أبي شيبة في «المصنف» (٨/ ٣٩٨) وغيرهم من طرق عن حماد بن سلمة عن حميد عن أنس رضي الله عنه به .

وهذا هو الصحيح عن حماد بن سلمة فقد رواه الجمهور عنه على هذا الوجه ، وهذا إسناد نظيف لا يشوبه شيء سوى عنعنة حميد عند من اعتبرها من العلماء .

وقد روي الحديث من طريق حماد بن سلمة عن ثابت عن أنس ، كما عند أحمد (٣/ ١٣٤) ، وروي من طريق حماد بن سلمة كما عند أحمد (٣/ ١٣٢) عن أنس مباشرة ، والصحيح : حماد عن حميد عن أنس كما قدمناه إذ هي رواية الجمهور عن حماد ، والله أعلم .

وأيضًا فإن هذا القيام المستمر للشخص كلما دخل قد يقذف في قلبه العجب ، وقد يتبرم ويتضايق إذا لم يقم له الناس فيقع في المحظور ، فإن النبي ﷺ قد ثبت عنه أنه قال : «**من سره أن يَمْثُل[1] له الرجال قيامًا فليتبوأ مقعده من النار**»[2] .

وهذه بعض أقوال العلماء في ذلك :

قال البغوي رحمه اللَّه في «شرح السنة» (١٢/ ٢٩٥) :

(بعد ذكره لحديث معاوية) .

قال : وهذا فيمن سلك فيه طريق التكبر فأما القيام على وجه الاحترام فغير مكروه ، فقد قال النبي ﷺ لبني قريظة حين أقبل سعد : «**قوموا إلى سيدكم**» .

وقال ابن العربي رحمه اللَّه «أحكام القرآن» (٣/ ١١٠٦) عند تفسير قوله تعالى : ﴿وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى الْعَرْشِ وَخَرُّوا لَهُ سُجَّدًا﴾ [يوسف: ١٠٠] :

---

(١) يمثل أي : يقوم وينتصب .

(٢) أخرجه البخاري في «الأدب المفرد» (٩٧٧) وأحمد (٤/ ٩١ و ٩٣ و ١٠٠) وأبو داود (٥٢٢٩) والترمذي (٢٧٥٥) وابن أبي شيبة في «المصنف» (٨/ ٣٩٨) وعبد بن حميد (٤١٣) وغيرهم بإسناد صحيح من طريق أبي مجلز قال : إن معاوية خرج وعبد اللَّه بن عامر وعبد اللَّه بن الزبير قعود فقام ابن عامر وقعد ابن الزبير وكان أوزنهما ، فقال معاوية : قال النبي ﷺ : «**من سره أن يمثل له عباد اللَّه قيامًا فليتبوأ بيتًا من النار**» .

وانظر : «مشكل الآثار» للطحاوي (٢/ ٣٨) .

وفي رواية عند الحاكم بإسناد صحيح «المستدرك» (١/ ٩٤) : «**ما من رجل يكون على الناس فيقوم على رأسه الرجال يحب أن تكثر الخصوم عنده فيدخل الجنة**» .

يجوز القيام للرجل الكبير بداءة إذا لم يؤثر ذلك في نفسه كما قال النبي ﷺ لجلسائه حين جاء سعد : **«قوموا إلىٰ سيدكم»** فإن أثر فيه لم يَجُزْ عونه علىٰ ذلك لما روي : **«من سره أن يمثل له الرجال قيامًا فليتبوأ مقعده من النار»** .

وقال النووي رحمه اللَّه «شرح مسلم» (٤/ ٣٨٣) طبعة الشعب :

قوله ﷺ : **«قوموا إلىٰ سيدكم أو خيركم»** فيه : إكرام أهل الفضل وتلقيهم بالقيام لهم إذا أقبلوا ، هكذا احتج به جماهير العلماء لاستحباب القيام . قال القاضي : وليس هذا من القيام المنهي عنه ، وإنما ذلك فيمن يقومون عليه وهو جالس ، ويمثلون قيامًا طول جلوسه، قلت (القائل النووي) : القيام للقادم من أهل الفضل مستحب ، وقد جاء فيه أحاديث ولم يصح في النهي عنه شيء صريح وقد جمعت كل ذلك مع كلام العلماء عليه في جزءٍ وأجبت فيه عما توهم النهي عنه ، واللَّه أعلم .

● وسئل شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه اللَّه كما في «مجموع الفتاوىٰ» (١/ ٣٧٤) :

عن النهوض والقيام الذي يعتاده الناس ، من الإكرام عند قدوم شخص معين معتبر ، هل يجوز أم لا ؟ وإذا كان يغلب علىٰ ظن المتقاعد عن ذلك أن القادم يخجل ، أو يتأذىٰ باطنًا ، وربما أدىٰ ذلك إلىٰ بغض وعداوة ومقت ، وأيضًا المصادفات في المحافل وغيرها ، وتحريك الرقاب إلىٰ جهة الأرض والانخفاض ، هل يجوز ذلك أم

يحرم ؟ فإن فعل ذلك الرجل عادة وطبعًا ليس فيه له قصد ، هل يحرم عليه أم لا يجوز ذلك في حق الأشراف والعلماء ، وفيمن يرىٰ مطمئنًا بذلك دائمًا هل يأثم علىٰ ذلك أم لا ؟ وإذا قال : سجدت للَّه هل يصح ذلك أم لا ؟

فأجاب : ـ

الحمد للَّه رب العالمين . لم تكن عادة السلف علىٰ عهد النبي ﷺ وخلفائه الراشدين : أن يعتادوا القيام كلما يرونه عليه السلام ، كما يفعله كثير من الناس ، بل قد قال أنس بن مالك : لم يكن شخص أحب إليهم من النبي ﷺ ، وكانوا إذا رأوه لم يقوموا له ، لما يعلمون من كراهته لذلك ، ولكن ربما قاموا للقادم من مغيبه تلقيًا له ، كما روي عن النبي ﷺ أنه قام لعكرمة ، وقال للأنصار لما قدم سعد بن معاذ : «قوموا إلىٰ سيدكم» ، وكان قد قدم ليحكم في بني قريظة لأنهم نزلوا علىٰ حكمه .

والذي ينبغي للناس : أن يعتادوا اتباع السلف علىٰ ما كانوا عليه علىٰ عهد رسول اللَّه ﷺ ، فإنهم خير القرون ، وخير الكلام كلام اللَّه، وخير الهدي هدي محمد ﷺ ، فلا يعدل أحد عن هدي خير الورىٰ ، وهدي خير القرون إلىٰ ما هو دونه . وينبغي للمطاع أن لا يقر ذلك مع أصحابه ، بحيث إذا رأوه لم يقوموا له إلا في اللقاء المعتاد . وأما القيام لمن يقدم من سفر ونحوه تلقيًا له فحسن .

وإذا كان من عادة الناس إكرام الجائي بالقيام ولو ترك لاعتقد أن

ذلك لترك حقه أو قصد خفضه ولم يعلم العادة الموافقة للسنة فالأصلح أن يقام له ، لأن ذلك أصلح لذات البين وإزالة التباغض والشحناء ، وأما من عرف عادة القوم الموافقة للسنة : فليس في ترك ذلك إيذاء له، وليس هذا القيام المذكور في قوله ﷺ : **«من سره أن يتمثل له الرجال قيامًا فليتبوأ مقعده من النار»** فإن ذلك أن يقوموا له وهو قاعد ، ليس هو أن يقوموا لمجيئه إذا جاء ؛ ولهذا فرقوا بين أن يقال قمت إليه وقمت له، والقائم للقادم ساواه في القيام ، بخلاف القائم للقاعد .

وقد ثبت في «صحيح مسلم» : أن النبي ﷺ لما صلى بهم قاعدًا في مرضه صلوا قيامًا أمرهم بالقعود : وقال : **«لا تعظموني كما يعظم الأعاجم بعضها بعضًا»** ، وقد نهاهم عن القيام في الصلاة وهو قاعد ، لئلا يتشبه بالأعاجم الذين يقومون لعظمائهم وهم قعود .

وجماع ذلك كله الذي يصلح : اتباع عادات السلف وأخلاقهم ، والاجتهاد عليه بحسب الإمكان . فمن لم يعتقد ذلك ولم يعرف أنه العادة وكان في ترك معاملته بما اعتاد من الناس من الاحترام مفسدة راجحة فإنه يدفع أعظم الفسادين بالتزام أدناهما ، كما يجب فعل أعظم الصلاحين بتفويت أدناهما .

قال الحافظ ابن حجر في «الفتح» (١١/ ٤٩) [١] **في تعليقه على قول النبي ﷺ : «قوموا إلى سيدكم» :**

---

(١) ولمزيد بحث انظر : ما كتبه الحافظ ابن حجر في الموطن المشار إليه فقد أفاد وأجاد رحمه الله .

قال ابن بطال : ـ

في هذا الحديث أمر الإمام الأعظم بإكرام الكبير من المسلمين ومشروعية إكرام أهل الفضل في مجلس الإمام الأعظم والقيام فيه لغيره من أصحابه وإلزام الناس كافة بالقيام إلى الكبير منهم . باختصار من «الفتح» .

قال المباركفوري في «تحفة الأحوذي» (٨/ ٣٢) :

أما قيام الرجل لإنزال المريض عن مركوبه أو القادم من سفر أو للتهنئة لمن حدثت له نعمة أو لتوسيع المجلس فهو جائز بالاتفاق .

* * *

س ـ الإيمان بالبعث يحمل على العمل الصالح ، وضح ذلك ؟

ج : نعم يُفترض أن الإيمان بالبعث يحمل على العمل الصالح ، فلو أيقن هؤلاء المطففون أنهم موقوفون بين يدي رب العالمين ، ومحاسبون عما قدموه من عمل وعما طففوه من كيل أو وزن لما طففوا المكيال والميزان ، والله أعلم .

وكذلك الاعتقاد الفاسد يحمل على العمل الفاسد ، فاليهود لما اعتقدوا أن النار لن تمسهم إلا أيامًا معدودات ، وهي الأيام التي عبدوا فيها العجل ـ سواء عملوا صالحًا أم لم يعملوا ، وسواء أكثروا من الفساد أم لم يُكثروا ـ جرأهم هذا الاعتقاد الفاسد على قتل الأنبياء بغير حق ، وأعرضوا عن التحاكم إلى كتاب الله ، كما قال سبحانه : ﴿أَلَمْ

تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيباً مِّنَ الْكِتَابِ يُدْعَوْنَ إِلَىٰ كِتَابِ اللَّهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ يَتَوَلَّىٰ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ وَهُم مُّعْرِضُونَ ﴿٢٣﴾ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَن تَمَسَّنَا النَّارُ إِلاَّ أَيَّاماً مَّعْدُودَاتٍ وَغَرَّهُمْ فِي دِينِهِم مَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ﴾ [آل عمران: ٢٣، ٢٤] .

وقد قدمنا مزيداً من ذلك في آل عمران .



كَلَّآ إِنَّ كِتَٰبَ ٱلْفُجَّارِ لَفِى سِجِّينٍ ﴿٧﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا سِجِّينٌ ﴿٨﴾ كِتَٰبٌ مَّرْقُومٌ ﴿٩﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿١٠﴾ ٱلَّذِينَ يُكَذِّبُونَ بِيَوْمِ ٱلدِّينِ ﴿١١﴾ وَمَا يُكَذِّبُ بِهِۦٓ إِلَّا كُلُّ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ ﴿١٢﴾ إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ءَايَٰتُنَا قَالَ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٣﴾ كَلَّا ۖ بَلْ ۜ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿١٤﴾ كَلَّآ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ ﴿١٥﴾ ثُمَّ إِنَّهُمْ لَصَالُوا۟ ٱلْجَحِيمِ ﴿١٦﴾ ثُمَّ يُقَالُ هَٰذَا ٱلَّذِى كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ ﴿١٧﴾

س ـ اذكر معاني هذه الكلمات :

كتاب الفجار ـ سجين ـ مرقوم ـ أساطير الأولين ـ ران ـ صالوا الجحيم ؟

ج :

الكلمة	معناهـا
كتاب الفجار	كتاب أعمالهم (الكتاب الذي كتبت فيه أعمالهم)
سجيـــــن	الأرض السابعة السفلى ـ سجن في الأرض السفلى
مرقـــوم	مكتوب
أساطير الأولين	ما كتبه الأولون وسطروه

الكلمة	معناهـا
ران	غطى
صالوا الجحيم	داخلوا النار وذائقوها ومصْلِيِّين بحرها

* * *

س ـ ما المراد بـ ﴿ كَلاَّ ﴾ في قوله تعالى : ﴿ كَلاَّ إِنَّ كِتَابَ الْفُجَّارِ لَفِي سِجِّينٍ ﴾ [المطففين: ٧] ؟

ج : تقدم أن ﴿كَلاَّ﴾ تطلق للردع والزجر ، ولنفي شيء متقدم ، فالمعنى هنا : ليس الأمر كما يظن هؤلاء المطففون من أنهم غير مبعوثين ولا معذبين .

* * *

س ـ وضح معنى قوله تعالى : ﴿ إِنَّ كِتَابَ الْفُجَّارِ لَفِي سِجِّينٍ ۝ وَمَا أَدْرَاكَ مَا سِجِّينٌ ۝ كِتَابٌ مَّرْقُومٌ ﴾ [المطففين: ٧ ـ ٩] ؟

ج : المعنى ـ والله أعلم ـ : إن كتاب الأعمال الذي كتبت فيه أعمال الفجار موضوع في سجين في الأرض السابعة .

وثمَّ وجه آخر ، وهو : أن كتاب بمعنى مكتوب ، والمعنى : مكتوب كقوله : ﴿مَّاءٍ دَافِقٍ﴾ [الطارق: ٦] أي : مدفوق ، فالمعنى : مكتوب على الفجار أنهم في سجين .

وليس قوله : ﴿كِتَابٌ مَّرْقُومٌ﴾ تفسير لقوله: ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا سِجِّينٌ﴾ .

بل قوله : ﴿ وَمَا أَدْرَاكَ مَا سِجِّينٌ ﴾ [1] جملة اعتراضية ، فالمعنى : كلا إن كتاب الفجار ـ وهو كتاب مرقوم ، أي : مكتوب ـ في سجين وما أدراك ما سجين .

وقد أخرج أحمد في «مسنده»، والطبري في «تفسيره» حديث البراء في الاحتضار بإسناد صحيح ، وفيه أن رسول الله ﷺ قال : «... وذكر نفس الفاجر وأنه يُصعد بها إلى السماء ، قال : فيصعدون بها فلا يمرون بها على ملإٍ من الملائكة إلا قالوا : ما هذا الروح الخبيث ؟ قال : فيقولون : فلان بأقبح أسمائه التي كان يسمى بها في الدنيا حتى ينتهوا بها إلى السماء الدنيا فيستفتحون له فلا يفتح له» ثم قرأ رسول الله ﷺ: « ﴿ لَا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ وَلَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّىٰ يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ ﴾ [الأعراف: ٤٠] فيقول الله : اكتبوا كتابه في أسفل الأرض في سجين في الأرض السفلى» . لفظ الطبري .

* * *

س ـ اذكر حديثًا يفسر قوله تعالى : ﴿ بَلْ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴾ [المطففين: ١٤] ؟ اذكر مزيداً من الإيضاح للآية الكريمة ؟

ج : هو ما أخرجه أحمد والطبري [2] وغيرهما بإسناد حسن عن

---

(١) قال الحافظ ابن كثير رحمه الله : وقوله تعالى : ﴿ كِتَابٌ مَّرْقُومٌ ﴾ [المطففين: ٩] ليس تفسيراً لقوله : ﴿ وَمَا أَدْرَاكَ مَا سِجِّينٌ ﴾ [المطففين: ٨] ، وإنما هو تفسير لما كتب لهم من المصير إلى سجين ، أي : مرقوم مكتوب مفروغ منه لا يزاد فيه أحد ولا ينقص منه أحد .

(٢) أخرجه أحمد (٢/٢٩٧) والطبري (٣٠٤) وغيرهما .

أبي هريرة رضي اللَّه عنه قال : قال رسول اللّه ﷺ : «إذا أذنب العبد نُكت في قلبه نكتة سوداء فإن تاب صقل منها فإن عاد عادت حتى تعظُم في قلبه فذلك الران الذي قال اللَّه : ﴿ كَلاَّ بَلْ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴾ [المطففين: ١٤] » .

• ولمزيد إيضاح فقد أخرج الطبري بإسناد حسن عن قتادة قوله : ﴿ كَلاَّ بَلْ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴾ [المطففين: ١٤] أعمال السوء، إي واللَّه ذنب على ذنب ، وذنب على ذنب حتى مات قلبه واسودَّ .

• **وقال الحافظ ابن كثير رحمه اللَّه :** ﴿ كَلاَّ بَلْ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴾ [المطففين: ١٤] أي: ليس الأمر كما زعموا ولا كما قالوا: إن هذا القرآن أساطير الأولين ، بل هو كلام اللَّه ووحيه وتنزيله على رسوله ﷺ ، وإنما حجب قلوبهم عن الإيمان به ما عليها من الرين الذي قد لبس قلوبهم من كثرة الذنوب والخطايا ، ولهذا قال تعالى : ﴿ كَلاَّ بَلْ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴾ [المطففين: ١٤] ، والرين يعتري قلوب الكافرين ، والغيم للأبرار ، والغين للمقربين .

وقال ابن القيم في «التفسير القيم» :

قول اللَّه تعالى ذكره : ﴿ كَلاَّ بَلْ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴾ [المطففين: ١٤] .

قال : هو الذنب بعد الذنب . وقال الحسن : هو الذنب على الذنب ، حتى يعمى القلب .

وقال غيره : لما كثرت ذنوبهم ومعاصيهم أحاطت بقلوبهم .

وأصل هذا : أن القلب يصدأ عن المعصية ، فإذا زادت غلب عليه الصدأ حتى يصير رانًا ، ثم يغلب حتى يصير طبقًا وقفلاً وختْما . فيصير القلب في غشاوة وغلاف ، فإذا حصل له ذلك بعد الهدى والبصيرة انتُكِسَ ، فصار أعلاه أسفله ، فحينئذ يتولاه عدوه ، ويسوقه حيث أراد، والمعافى من عافاه اللَّه .

وقال في «شفاء العليل» :

وأما الران : فقد قال اللَّه تعالى : ﴿**كَلاَّ بَلْ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ**﴾ [المطففين: ١٤] قال أبو عبيدة : غلب عليها . والخمر ترين على عقل السكران ، والموت يرين على الميت ، فيذهب به ، ومن هذا حديث أسيفع جهينة وقول عمر : «فأصبح قد رِينَ به» أي : غُلب عليه ، وأحاط به الرَّين .

وقال أبو معاذ النحوي : الرين أن يسود القلب من الذنوب ، والطبع : أن يطبع على القلب . وهو أشد من الرين . والأقفال أشد من الطبع . وهو أن يقفل على القلب .

وقال الفراء : كثرت الذنوب والمعاصي منهم ، فأحاطت بقلوبهم، فذلك الرين عليها .

وقال أبو إسحاق : ران غَطّى ، يقال : ران على قلبه الذنب يرين رينًا : أي : غشيه . قال : والرين كالغشاء يغشى القلب. ومثله الغين.

قلت : أخطأ أبو إسحاق . فالغين ألطف شيء وأرقه . قال رسول اللَّه ﷺ : «**وإنه ليغان على قلبي ، وإني لأستغفر اللَّه في اليوم مائة مرة**» وأما الرين والران : فهو من أغلظ الحجب على القلب وأكثفها .

وقال مجاهد : هو الذنب على الذنب ، حتى تحيط الذنوب بالقلب وتغشاه ، فيموت القلب .

وقال مقاتل: غمرت القلوب أعمالهم الخبيثة، وفي «سنن النسائي» والترمذي من حديث أبي هريرة عن رسول اللَّه ﷺ قال : «**إن العبد إذا أخطأ خطيئة نكتت في قلبه نكتة سوداء . فإن هو نزع واستغفر وتاب صقل قلبه . وإن زاد زيد فيها حتى تعلو قلبه . وهو الران الذي ذكر اللَّه ﴿كَلاَّ بَلْ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾** » قال الترمذي : هذا حديث صحيح .

وقال عبد اللَّه بن مسعود : «كلما أذنب نكتت في قلبه نكتة سوداء، حتى يسود القلب كله» فأخبر سبحانه أن ذنوبهم التي اكتسبوها أوجبت لهم رينًا على قلوبهم ، فكان سبب الران منهم . وهو خلق اللَّه فيهم ، فهو خالق السبب ومسببه ، لكن السبب باختيار العبد ، والمسبب خارج عن قدرته واختياره .

* * *

رؤية المؤمنين ربهم عز وجل في الآخرة :

س ـ هل يرى المؤمنون ربهم يوم القيامة ، وهل يرى الكفار ربهم ؟ اذكر أدلة على ذلك ؟

ج : نعم يرى المؤمنون ربهم عز وجل ، قال الله تعالى : ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ [القيامة: ٢٢، ٢٣] ، وقال النبي ﷺ : «إنكم سترون ربكم عز وجل كما ترون هذا القمر»(١).

---

(١) أخرجه البخاري (حديث ٧٤٣٤) ومسلم (حديث ٦٣٣) من حديث جرير بن عبد الله رضي الله عنه قال : كنا جلوسًا عند النبي ﷺ إذ نظر إلى القمر ليلة البدر قال : «إنكم سترون ربكم كما ترون هذا القمر لا تضامون في رؤيته» .

• وأخرج البخاري (حديث ٧٤٣٥) هذا الحديث بلفظ آخر أيضًا وهو : «إنكم سترون ربكم عيانًا» .

• وأخرج البخاري (حديث ٧٤٣٧) ومسلم (حديث ١٨٢) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن ناسًا قالوا : يا رسول الله هل نرى ربنا يوم القيامة ؟ فقال رسول الله ﷺ : «هل تضارون في رؤية القمر ليلة البدر ؟» قالوا : لا يا رسول الله ، قال : «هل تضارون في الشمس ليس دونها سحاب ؟» قالوا : لا يا رسول الله . قال : «فإنكم ترونه كذلك ...» .

• وأخرج البخاري (حديث ٧٤٣٩) ومسلم (١٨٣) من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن ناسًا في زمن رسول الله ﷺ قالوا : يا رسول الله هل نرى ربنا يوم القيامة ؟ قال رسول الله ﷺ : «نعم» قال : «هل تضارون في رؤية الشمس بالظهيرة صحوًا ليس معها سحاب ؟ وهل تضارون في رؤية القمر ليلة البدر صحوًا ليس فيها سحاب ؟ » قالوا : لا يارسول الله . قال : «ما تضارون في رؤية الله تبارك وتعالى يوم القيامة إلا كما تضارون في رؤية أحدهما ...» وذكر النبي ﷺ الحديث مطولاً وفيه : «حتى لا يبقى إلامن كان يعبد الله تعالى من بر أو فاجر أتاهم رب العالمين سبحانه وتعالى في أدنى صورة من الصورة التي رأوه فيها قال : فما تنتظرون ؟ تتبع كل أمة ما كانت تعبد قالوا : يا ربنا فارقنا الناس في الدنيا أفقر ما كنا إليهم ولم نصاحبهم فيقول : أنا ربكم ، فيقولون : نعوذ بالله منك لا نشرك بالله شيئًا (مرتين أو ثلاثًا) حتى إن بعضهم ليكاد أن ينقلب ، فيقول : هل بينكم وبينه آية فتعرفونه بها فيقولون : نعم ، فيكشف عن ساق فلا يبقى من كان يسجد لله من تلقاء نفسه إلا أذن الله له بالسجود ، ولا يبقى من كان يسجد اتقاءً ورياءً إلا جعل ظهره طبقة واحدةً كلما أرد أن يسجد خرَّ على قفاه ثم يرفعون رءوسهم وقد تحول في صورته التي رأوه فيها أول مرة فيقول : أنا =

أما الكفار فلا يرون ربهم عز وجل ، قال تعالى : ﴿كَلاَّ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ﴾ [المطففين: ١٥] .



ربكم ، فيقولون أنت ربنا...» الحديث .

• وأخرج مسلم (١٨١) من طريق عبد الرحمن بن أبي ليلى عن صهيب عن النبي ﷺ قال : «إذا دخل أهل الجنة الجنة قال يقول اللّٰه تبارك تعالى : تريدون شيئًا أزيدكم ؟ فيقولون : ألم تبيض وجوهنا ؟ ألم تدخلنا الجنة وتنجنا من النار ؟ قال : فيكشف الحجاب فما أعطوا شيئًا أحب إليهم من النظر إلى ربهم عزَّ وجل» .

وفي زيادة عن مسلم . . . ثم تلا هذه الآية ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾ [يونس: ٢٦].

وقد انتقد الدارقطني هذا الحديث على الإمام مسلم رحمه اللّٰه .

وحاصل الانتقاد : أن حماد بن زيد ومعمر بن راشد وحماد بن واقد وسليمان بن المغيرة رووه عن ثابت عن ابن أبي ليلى قوله لم يبلغ به صهيبًا ولا النبي ﷺ .

انظر «التتبعات» للدارقطني .

﴿كَلَّا إِنَّ كِتَٰبَ ٱلْأَبْرَارِ لَفِى عِلِّيِّينَ ۝١٨ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا عِلِّيُّونَ ۝١٩ كِتَٰبٌ مَّرْقُومٌ ۝٢٠ يَشْهَدُهُ ٱلْمُقَرَّبُونَ﴾

س ـ وضح معنى ما يلي :

كلا ـ كتاب الأبرار ـ عليين ـ المقربون ؟

ج :

الكلمة	معناهـــا
كـــــــلا	كلا هنا بمعنى حقًّا
كتاب الأبرار	الكتاب الذي كتبت فيه أعمال الأبرار
عليـيـــــــن	السماء السابعة[1]
المقربـــون	الملائكة المقربون

* * *

(١) **قال الطبري رحمه الله**: والصواب أن يقال في ذلك كما قال جل ثناؤه: إن كتاب أعمال الأبرار لفي ارتفاع إلى حدٍّ قد علم الله جل وعز منتهاه ، ولا علم عندنا بغايته غير أن ذلك لا يقصر عن السماء السابعة لإجماع الحجة من أهل التأويل على ذلك .

قلت : وفي حديث البراء الذي أخرجه أحمد بإسناد صحيح أن النبي ﷺ قال . . . فذكر «**روح العبد المؤمن فقال : فيصعدون بها فلا يمرون بها على ملإ من الملائكة إلا قالوا : ما هذا** =

لفتة طيبة في تفسير قوله تعالى : ﴿ يَشْهَدُهُ الْمُقَرَّبُونَ ﴾ :

س ـ وضح معنى قوله تعالى : ﴿ يَشْهَدُهُ الْمُقَرَّبُونَ ﴾ [المطففين: ٢١]؟

ج : المعنى ـ والله أعلم ـ : يشهد ذلك الكتاب بأمان الله للبرِّ من عباده من النار وفوزه بالجنة المقربون من ملائكة كل سماء من السماوات السبع . قاله الطبري .

قلت (مصطفى) : وهنا نلفت النظر إلى فائدة طيبة وقيمة تتعلق بهذه الآية الكريمة ولتقريب هذه الفائدة أقول ، وبالله التوفيق :

إن أهل الدنيا إذا كان لأحدهم ابن أو بنت تدرس في المدارس أو الجامعات وكان الولد متفوقًا وكانت البنت كذلك متفوقة ، ثم نجحا في الامتحان وحصلا على أعلى الدرجات فإن الأب يفتخر بذلك غاية الفخر ويحمل شهادة ابنه أو ابنته ويطوف بها على الأصدقاء والجيران قائلاً : انظروا إلى درجات ولدي وابنتي في الاختبار ، فهذه مادة الرياضيات قد أتى فيها بمائة من مائة ، وهذه مادة اللغة العربية كذلك أتى فيها بمائة من مائة ، وهذه اللغة الإنجليزية أتى فيها بالامتياز و . . . وهكذا سائر المواد ، فتجد الأب يطير فرحًا بذلك ويعمد إلى هذه

= الروح الطيب فيقولون فلان بن فلان بأحسن أسمائه التي كانوا يسمونه بها في الدنيا حتى ينتهوا بها إلى السماء الدنيا فيستفتحون له فيفتح لهم فيشيعه من كل سماء مقربوها إلى السماء التي تليها حتى ينتهى به إلى السماء السابعة فيقول الله عز وجل: اكتبوا كتاب عبدي في عليين ...» الحديث .

الشهادة فيضعها معلقة في غرفة استقبال الأضياف !

●● فما ظنك بكتاب الأبرار ، ذلك الكتاب الذي كتبت فيه أعمال الأبرار وأثبتت فيه أقوالهم وكتبت فيه خطاهم وآثارهم ، ترىٰ من يُباهي به ، يباهي به رب العزة سبحانه وتعالىٰ ملائكته المقربين ، فيشهد المقربون هذا الكتاب ويطلعون علىٰ ما فيه ، فينظروا إلىٰ ما فيه من صلوات خشع فيها العبد وأحسن فيها القيام وأتم الركوع والسجود .

● وينظروا إلىٰ ما فيها من صيام كيف صام العبد ، ويتعجبون من حفظه لصومه وعدم خوضه في القيل والقال واغتياب المؤمنين والمؤمنات وتركه الرفث والفسوق والصخب ، وكيف كان يصوم الفرض ثم يتبعه بالنفل ، وكيف لا تمر عليه الأيام إلا وإذا شئت أن تراه صائمًا رأيته .

● وينظروا إلىٰ ليل هذا الصيام كيف عُزِّز بالقيام ومُلِئ به فينظرون إلىٰ ترتيل العبد واستغفاره بالأسحار وسؤاله ودعائه !!!

● وينظروا إلىٰ ما سُجِّل من دمعات العين حينما ذكر العبد ربَّه خاليًا ففاضت عيناه .

● ينظروا إلىٰ فريضة الحج فيجدون العبد قد أدىٰ الفرض ، بل والنفل كذلك قد تنفَّل !!! وليس الحج فحسب بل والاعتمار كذلك أكثر العبد منه .

● يشهد المقربون ما كتب من آثار الخطا إلىٰ المساجد والإصلاح

بين الناس واتباع الجنائز وصلة الأرحام وعيادة المرضى والمشي في حوائج المسلمين .

• يشهد المقربون مجالس العلم التي حضرها العبد ، ودروس العلم التي بثها ، ومجالس الذكر التي ذكر العبد فيها ربه عز وجل ، وثواب الآيات التي تليت وأحاديث النبي ﷺ التي بُثت .

• يشهد المقربون آثار الخطا إلى الجهاد في سبيل اللَّه لإعلاء كلمة اللَّه والثواب الذي أثبت لهذه الأقدام التي اغبرت .

• يشهد المقربون كظمًا للغيظ وعفوًا عن الناس ، بل والإحسان إليهم .

يشهد المقربون كل هذا الخير فيحمدوا اللَّه عز وجل على ما وفق وهدى وعلى ما امتن به وأسدى وعلى ما تفضَّل به وأكرم .

هؤلاء أيها المقربون من ذرية من قلتم : ﴿**أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ**﴾ [البقرة: ٣٠] !!!

ألم تجدوا أيها المقربون الكرام في صحف هؤلاء المؤمنين الأبرار من يسبح بحمد اللَّه ويُقدِّس له ؟ !!!

ألم تجدوا أيها المقربون الكرام أقوامًا لا يسبقونه بالقول وهم بأمره يعملون ؟ !!

ألم تجدوا أيها المقربون الكرام مقربين أمثالكم لم يستنكفوا عن عبادة ربهم والسجود له والخضوع ؟ !!

ألم تجدوا قومًا أيها المقربون لاحت في جباههم آثار السجود ؟!!

ألم تروا الغرَّة والتحجيل بادية على الأيدي والأرجل والجباه من آثار الوضوء ؟ !!

ها هي أيها المقربون دماء شهداء قد سالت في سبيل اللَّه لإعلاء كلمته ونشر دينه ونصرة رسله !!!

ها هي أيها المقربون أموالٌ قد أنفقت في سبيلي وابتغاء مرضاتي!!!

انظروا واشهدوا أيها المقربون إلى ما أُثبت في هذه الصحف والكتب من التحميد والتسبيح والتهليل والتكبير وتلاوة آي الذكر الحكيم!!

يشهد المقربون كل هذا في كتب الأبرار الموضوعة في عليين فيحمد المقربون ربهم عز وجل على ما من به على أوليائهم من المؤمنين فيدعون بهم بتمام النعمة قائلين : ﴿رَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّاتِ عَدْنٍ الَّتِي وَعَدتَّهُمْ وَمَن صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ إِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ۝٨ وَقِهِمُ السَّيِّئَاتِ وَمَن تَقِ السَّيِّئَاتِ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمْتَهُ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ [غافر: ٨ - ٩] .

لا يكاد يجد الملائكة المقربون شيئًا يُشين صحف الأبرار ، وإن وجدوا بادروا بالاستغفار طلبًا لمحوه وإزالته حتى تبقى الكتب ـ كتب الأبرار ـ ناصعة بيضاء إلى يوم التلاق ، إن وجدوا ذنبًا زلت فيه قدم البر المتقي قالوا كما ذكر اللَّه سبحانه : ﴿الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ

يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ ﴾ [غافر: ٧] ، وكما أخبر سبحانه بقوله : ﴿ .. وَالْمَلائِكَةُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِمَن فِي الأَرْضِ أَلا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴾ [الشورى: ٥].

• فياله من فضل ! وياله من أجر ! وياله من خير ! ويالها من سعادة ! وياله من نعيم !

• ما أجمل العمل الصالح الذي يرضي اللَّه عن صاحبه !

• ما أفضل التواضع الذي يزيد صاحبه رفعة !

• ما أسعد العبد إذا مات موحدًا للَّه رب العالمين ، قد اجتنب الرجس من الأوثان واجتنب قول الزور .

هنيئًا ثم هنيئًا ثم هنيئًا لمن أسلم وحسنت سريرته ومات على الإسلام محبًّا لأهل الإسلام ولدين الإسلام وللنبي محمد ﷺ وسائر الأنبياء والمرسلين .

نسأل اللَّه أن لا يحرمنا الأجر ، ونسأله أن لا يحملنا الوزر ونسأله سبحانه أن يقبل كتبنا في عليين وأن يلحقنا بالنبيين والصديقين والشهداء والصالحين .

* * *

س ـ لماذا خصَّ كتاب الأبرار بشهود المقربين ؟

ج : قال ابن القيم رحمه الله [1] :

أخبر تعالى أن كتابهم كتاب مرقوم ، تحقيقًا لكونه مكتوبًا كتابة حقيقية . وخص تعالى كتاب الأبرار : أنه يكتب ويوقع لهم به بمشهد المقربين من الملائكة والنبيين سادات المؤمنين . ولم يذكر شهادة هؤلاء لكتاب الفجار ، تنويهًا بكتاب الأبرار وما وقع لهم به ، وإشهارًا له وإظهارًا لمكانتهم بين خواص خلقه ، كما يكتب الملوك تواقيع يعظمون بين الأمراء وخواص أهل المملكة ، تنويهًا باسم المكتوب له، وإشهارًا بذكره . وهذا نوع من صلاة الله سبحانه وتعالى وملائكته على عبده .



---

(١) «التفسير القيم» .

﴿إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ لَفِى نَعِيمٍ ﴿٢٢﴾ عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ يَنظُرُونَ ﴿٢٣﴾ تَعْرِفُ فِى وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ ٱلنَّعِيمِ ﴿٢٤﴾ يُسْقَوْنَ مِن رَّحِيقٍ مَّخْتُومٍ ﴿٢٥﴾ خِتَٰمُهُۥ مِسْكٌ ۚ وَفِى ذَٰلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ ٱلْمُتَنَٰفِسُونَ ﴿٢٦﴾ وَمِزَاجُهُۥ مِن تَسْنِيمٍ ﴿٢٧﴾ عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا ٱلْمُقَرَّبُونَ ﴿٢٨﴾

س ـ اذكر معنى ما يلي :

الأرائك ـ نضرة النعيم ـ رحيق ـ مختوم ـ مزاجه ـ تسنيم ـ يشرب بها ؟

ج :

الكلمة	معناهـــا
الأرائـــــك	الأريكة هي السرير الموضوع في الحجلة، والأرائك الأسرة في الحجال ، والحجلة بالتحريك بيت مربع من الثياب الفاخرة يسمى في عرف الناس بالناموسية
نضرة النعيم	حسن النعيم ـ بريقه وتلألؤه ـ النور ـ الحسن ـ البياض ـ البهجة ـ أثر النعيم
رحيـــــق	الرحيق المراد به الخمر، وقيل: هي الخمر البيضاء، لقوله تعالى : ﴿يُطَافُ عَلَيْهِم بِكَأْسٍ مِّن مَّعِينٍ ﴿٤٥﴾ بَيْضَاءَ﴾ [الصافات: ٤٥، ٤٦] .

الكلمة	معناها
مختوم	ممزوج ـ مغلق عليه خاتم (يعني : مغلق تمامًا لم يقربه أحد) ـ آخره مختوم بالمسك
مزاجه	خليطه
تسنيم	عين يأتي منها شراب هو أفضل الشراب الذي يشربه المقربون
يشرب بها	يشرب منها

* * *

س ـ وضح معنى قوله تعالى : ﴿ رَّحِيقٍ مَّخْتُومٍ ﴿٢٥﴾ خِتَامُهُ مِسْكٌ ﴾ [المطففين: ٢٥، ٢٦] بشيء من التفصيل .

ج : إيضاحه : أن الرحيق وهو الخمر مختوم ، وفي مختوم جملة أقوال :

أحدها : أنه مخلوط ، خليطه مسك ، أي : أنهم يشربون من الخمر المخلوط برائحة المسك لا خمر كريه الرائحة .

الثاني : أنه مختوم مغلق فيؤتى إليهم بكئوس الخمر وزجاجات الخمر مغلقة لم يقربها أحد غلقها بمسك .

لكن يرد على هذا الوجه قوله تعالى : ﴿وَأَنْهَارٌ مِّنْ خَمْرٍ لَّذَّةٍ

﴿لِلشَّارِبِينَ﴾ [محمد: ١٥] والأنهار لا تغلق ولا تختم ، لكن وجه الإجابة على ذلك : أنهم يشربون الخمر أنواعًا فمنه خمر في زجاجات مختومة ومنه خمر من أنهار .

الثالث : أنه مختوم ، أي : نهايته مختومة برائحة المسك ، أي : أن شاربه بعد أن ينتهي من شربه تبقى فيه رائحة المسك تصاحبه .

الرابع : أنه مختوم غير مخلوط بشيء يفسده إنما فقط ختم بالمسك والله أعلم .

❊ ❊ ❊

س ـ وضح بمزيد من التفصيل قوله تعالى : ﴿وَمِزَاجُهُ مِن تَسْنِيمٍ﴾ [المطففين: ٢٧] ؟

ج : المعنى ـ والله أعلم ـ : أن هذا الرحيق الذي يشربه الأبرار مزاجه أي : خليطه ، من تسنيم ، أي : أن خمر الأبرار يخلط لهم بشيء من تلك العين التي هي التسنيم ، وهي عين خاصة بالمقربين فيشرب منها المقربون صرفًا (أي : صافية خالصة غير ممزوجة) ، كما قال تعالى : ﴿عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا الْمُقَرَّبُونَ﴾ [المطففين: ٢٨] وتمزج لأصحاب اليمين (الذين هم الأبرار) مزجًا أي : تمزج بغيرها لأصحاب اليمين ، وهي إنما تُمزج بالرحيق لقوله تعالى في الرحيق المختوم : ﴿وَمِزَاجُهُ مِن تَسْنِيمٍ﴾ [المطففين: ٢٧] ، والآية كقوله تعالى : ﴿إِنَّ الْأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِن كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا ۝٥ عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ اللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا﴾ [الإنسان: ٥، ٦] ، فالأبرار يشربون من كأس

خليطها من الكافور ، والكافور عين يشرب بها عباد اللَّه (الذين هم المقربون) صرفًا أي خالصة ، واللَّه أعلم .

* * *

س ـ وضح معنىٰ قوله تعالىٰ : ﴿وَفِي ذَٰلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ﴾ [المطففين: ٢٦] ؟

ج : الآية في معنىٰ قوله تعالىٰ : **﴿لِمِثْلِ هَٰذَا فَلْيَعْمَلِ الْعَامِلُونَ﴾** [الصافات: ٦١] ، أي : ليجتهد المجتهدون ويسعىٰ الساعون في عمل القربات والطاعات التي تقربهم من اللَّه تعالىٰ وليحذورا من التطفيف الذي يبعدهم عن مثل هذا الفضل والنعيم ، واللَّه أعلم .

* * *

س ـ هل هناك تعلق بين قوله تعالىٰ : ﴿وَفِي ذَٰلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ﴾ [المطففين: ٢٦] وبين أول السورة ؟

ج : **قال عطية سالم حفظه اللَّه في تتمته لأضواء البيان :**

وفي هذه الآية الكريمة لفت لأول السورة إذا كان أولئك يسعون لجمع المال بالتطفيف فلهم الويل يوم القيامة ، وإذا كان الأبرار لفي نعيم يوم القيامة، وهذا شرابهم فهذا هو محل المنافسة لا في التطفيف من الحب أو أي مكيل أو موزون .



إِنَّ ٱلَّذِينَ أَجۡرَمُواْ كَانُواْ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ يَضۡحَكُونَ ﴿٢٩﴾ وَإِذَا مَرُّواْ بِهِمۡ يَتَغَامَزُونَ ﴿٣٠﴾ وَإِذَا ٱنقَلَبُوٓاْ إِلَىٰٓ أَهۡلِهِمُ ٱنقَلَبُواْ فَكِهِينَ ﴿٣١﴾ وَإِذَا رَأَوۡهُمۡ قَالُوٓاْ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ لَضَآلُّونَ ﴿٣٢﴾ وَمَآ أُرۡسِلُواْ عَلَيۡهِمۡ حَٰفِظِينَ ﴿٣٣﴾ فَٱلۡيَوۡمَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنَ ٱلۡكُفَّارِ يَضۡحَكُونَ ﴿٣٤﴾ عَلَى ٱلۡأَرَآئِكِ يَنظُرُونَ ﴿٣٥﴾ هَلۡ ثُوِّبَ ٱلۡكُفَّارُ مَا كَانُواْ يَفۡعَلُونَ ﴿٣٦﴾

س ـ وضح معاني هذه الكلمات :

يتغامزون ـ انقلبوا ـ فكهين ـ ثوِّب ؟

ج :

الكلمة	معناهـــا
يتغامزون	يشيرون بالجفن والحاجب استهزاءً بهم ـ يعيرونهم بالإسلام ويعيبونهم به
انقلبـــوا	رجعوا
فكهيـــن	معجبين بما هم فيه من الشرك والمعصية ونعيم الدنيا يتفكهون بذكر أهل الإيمان والطعن فيهم والاستهزاء بهم والسخرية منهم
ثـــوِّب	جُوزي

* * *

س ـ عادة أهل الكفر والنفاق السخرية من أهل الإيمان وإيذاؤهم دلِّل على ذلك ببعض الأدلة من الكتاب والسنة ؟

ج : من ذلك : قوله تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ أَجْرَمُوا كَانُوا مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا يَضْحَكُونَ ﴿٢٩﴾ وَإِذَا مَرُّوا بِهِمْ يَتَغَامَزُونَ ﴿٣٠﴾ وَإِذَا انقَلَبُوا إِلَىٰ أَهْلِهِمُ انقَلَبُوا فَكِهِينَ ﴿٣١﴾ وَإِذَا رَأَوْهُمْ قَالُوا إِنَّ هَٰؤُلَاءِ لَضَالُّونَ ﴾ [المطففين: ٢٩ - ٣٢] .

● وقوله تعالى في شأن قوم نوح : ﴿وَكُلَّمَا مَرَّ عَلَيْهِ مَلَأٌ مِّن قَوْمِهِ سَخِرُوا مِنْهُ قَالَ إِن تَسْخَرُوا مِنَّا فَإِنَّا نَسْخَرُ مِنكُمْ كَمَا تَسْخَرُونَ﴾ [هود: ٣٨].

● وكذلك قولهم : ﴿وَمَا نَرَاكَ اتَّبَعَكَ إِلَّا الَّذِينَ هُمْ أَرَاذِلُنَا بَادِيَ الرَّأْيِ وَمَا نَرَىٰ لَكُمْ عَلَيْنَا مِن فَضْلٍ بَلْ نَظُنُّكُمْ كَاذِبِينَ ﴾ [هود: ٢٧] .

● وقول أهل الكفر في شأن أهل الإيمان : ﴿أَهَٰؤُلَاءِ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْهِم مِّن بَيْنِنَا﴾ [الأنعام: ٥٣] .

● وقوله تعالى في شأن أهل النفاق : ﴿الَّذِينَ يَلْمِزُونَ الْمُطَّوِّعِينَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فِي الصَّدَقَاتِ وَالَّذِينَ لَا يَجِدُونَ إِلَّا جُهْدَهُمْ فَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ..﴾ [التوبة: ٧٩] .

● وقوله تعالى : ﴿زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَيَسْخَرُونَ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا...﴾ [البقرة: ٢١٢] .

● وقول أهل الكفر : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِي نُزِّلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ﴾ [الحجر: ٦] .

● ويقول تعالى للكفار يوم القيامة : ﴿اخْسَئُوا فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ ﴿١٠٨﴾ إِنَّهُ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْ عِبَادِي يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا فَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنتَ خَيْرُ الرَّاحِمِينَ ﴿١٠٩﴾ فَاتَّخَذْتُمُوهُمْ سِخْرِيًّا حَتَّىٰ أَنسَوْكُمْ ذِكْرِي وَكُنتُم مِّنْهُمْ تَضْحَكُونَ﴾ [المؤمنون: ١٠٨ - ١١٠] .

● وقال تعالى : ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ آمِنُوا كَمَا آمَنَ النَّاسُ قَالُوا أَنُؤْمِنُ كَمَا آمَنَ السُّفَهَاءُ﴾ [البقرة: ١٣] .

● وقال تعالى : ﴿وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا إِلَىٰ شَيَاطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِئُونَ﴾ [البقرة: ١٤] .

● وقال تعالى : ﴿وَلَقَدِ اسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِّن قَبْلِكَ فَحَاقَ بِالَّذِينَ سَخِرُوا مِنْهُم مَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴾ [الأنبياء: ٤١] .

ومن ذلك أيضًا :

● ما أخرجه البخاري [(١)] ومسلم من حديث عبد اللَّه بن مسعود رضي اللَّه عنه قال : قال بينا النبي ﷺ ساجد وحوله ناس من قريش ، جاء عقبة بن أبي معيط بسلي جزور[(٢)] فقذفه على ظهر النبي ﷺ ، فلم يرفع رأسه ، فجاءت فاطمة عليها السلام فأخذته من ظهره ودعت على من صنع ، فقال النبي ﷺ : «اللهم عليك الملأ من قريش : أبا جهل بن

---

(١) أخرجه البخاري (٣٨٥٤) ومسلم (١٧٩٤) والنسائي (١/ ١٦٢) .

(٢) قال الحافظ في «الفتح» (١/ ٣٥٠) : «والجَزور من الإبل ما يجزر أي : يقطع ، وهو بفتح الجيم ، والسَّلى مقصور بفتح المهملة ، هي الجلدة التي يكون فيها الولد ، يقال لها ذلك من البهائم ، وأما من الآدميات فالمشيمة . وحكى صاحب «المحكم» أنه يقال فيهن أيضًا سلى» .

هشام ، وعتبة بن ربيعة ، وشيبة بن ربيعة ، وأمية بن خلف ـ أو أبي بن خلف» ـ شعبة الشاك[١]ـ فرأيتهم قتلوا يوم بدر ، فألقوا في بئرٍ غير أمية بن خلف أو أُبي تقطعت أوصاله فلم يلق في البئر .

• وأخرج البخاري[٢] أيضًا من طريق عروة بن الزبير قال : سألت ابن عمرو بن العاص : أخبرني بأشد شيء صنعه المشركون بالنبي ﷺ ، قال : بينا النبي ﷺ يصلي في حجر الكعبة إذ أقبل عقبة بن أبي معيط ، فوضع ثوبه في عنقه فخنقه خنقًا شديدًا ، فأقبل أبو بكر حتىٰ أخذ بمنكبه ودفعه عن النبي ﷺ ، وقال : ﴿**أَتَقْتُلُونَ رَجُلاً أَن يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ**﴾ [غافر: ٢٨] ؟! .

• وأخرج البخاري[٣] من طريق عروة أن عائشة زوج النبي ﷺ حدثته أنها قالت للنبي ﷺ: هل أتىٰ عليك يوم كان أشد من يوم أحد ؟ قال : **«لقد لقيت من قومك ما لقيت ، وكان أشد ما لقيت منهم يوم العقبة إذ عرضت نفسي علىٰ ابن عبد ياليل بن عبد كلال فلم يجبني إلىٰ ما أردت ، فانطلقت وأنا مهموم علىٰ وجهي ، فلم أستفق إلا وأنا بقرن الثعالب[٤] ، فرفعت رأسي فإذا أنا بسحابة قد أظلتني ، فنظرت فإذا فيها جبريل ، فناداني، فقال : إن اللَّه قد سمع قول قومك لك وما ردوا عليك ، وقد بعث اللَّه إليك ملك الجبال لتأمره بما شئت فيهم ، فناداني ملك الجبال ، فسلم عليَّ ، ثم**

---

(١) شعبة هو أحد رواه الحديث .

(٢) البخاري حديث (٣٨٥٦) وأشار البخاري عقب إخراجه إلىٰ بعض الوجوه في سند الحديث .

(٣) أخرجه البخاري (٣٢٣١) .

(٤) هو مكان ، وهو ميقات أهل نجد .

قال: يا محمد ذلك فيما شئت ، إن شئت أن أطبق عليهم الأخشبين [(١)]» فقال النبي ﷺ: «بل أرجو أن يُخرج اللَّه من أصلابهم من يعبد اللَّه وحده لا يشرك به شيئًا» .

* * *

س ـ وضح معنى قوله تعالى : ﴿ وَإِذَا رَأَوْهُمْ قَالُوا إِنَّ هَؤُلَاءِ لَضَالُّونَ ﴾ [المطففين: ٣٢] ؟

ج : المعنى ـ واللَّه أعلم ـ : أن الكفار إذا رأوا أهل الإيمان وما هم عليه من الإيمان باللَّه والتصديق برسول اللَّه ﷺ وإيثارهم الآخرة على العاجلة وصفوهم بأنهم ضُلَّال في تركهم الشرك وتركهم نعيم الدنيا ورغبتهم فيما عند اللَّه .

* * *

س ـ وضح معنى قوله تعالى : ﴿ وَمَا أُرْسِلُوا عَلَيْهِمْ حَافِظِينَ ﴾ [المطففين: ٣٣] ؟

---

(١) قال الحافظ «فتح الباري» (٦/٣١٦) : قوله : (الأخشبين) بالمعجمتين هما جبلا مكة : أبو قبيس والذي يقابله ، وكأنه قعيقعان ، وقال الصغاني : بل هو الجبل الأحمر الذي يشرف على قعيقعان ، ووهم من قال : هو ثور كالكرماني ، وسميا بذلك لصلابتهما وغلظ حجارتهما ، والمراد بإطباقهما أن يلتقيا على من بمكة ، ويحتمل أن يراد أنهما يصيران طبقًا واحدًا .

قلت : وفي الحديث أن الابتلاء النفسي أشق على الإنسان من الابتلاء البدني ، فالنبي ﷺ شج رأسه يوم أحد وكسرت رباعيته ، ومع ذلك فما لقيه من ابن عبد ياليل بن عبد كلال من عدم إجابته إياه أشق مما حل به يوم أحد ، صلوات اللَّه وسلامه عليه .

ج: المعنى ـ والله أعلم ـ: أن هؤلاء المجرمين كانوا إذا رأوا أهل الإيمان وصفوهم بالضلال فقالوا: ﴿إِنَّ هَؤُلَاءِ لَضَالُّونَ﴾ [المطففين: ٣٢] فنقم الله عليهم هذه المقولة وقال: ﴿وَمَا أُرْسِلُوا عَلَيْهِمْ حَافِظِينَ﴾ أي: إنكم معشر المجرمين ما أرسلتم رقباء على عبادي ولا حفظة لأعمالهم ولا كتبة لهم، إنما كلفتم الإيمان بي والعمل بطاعتي وليس لكم شيء وراء ذلك، فلماذا شغلتم أنفسكم بعبادي وجعلتموهم نصب أعينكم تحكمون عليهم بما شئتم وتصفونهم بما أردتم!!، والله أعلم.

* * *

س ـ قوله تعالى: ﴿عَلَى الْأَرَائِكِ يَنظُرُونَ﴾ [المطففين: ٣٥] ينظرون إلى ماذا؟

ج: ينظرون إلى الكفار وهم يعذبون في النار فيضحكون منهم، كما قال تعالى: ﴿قَالَ قَائِلٌ مِّنْهُمْ إِنِّي كَانَ لِي قَرِينٌ ﴿٥١﴾ يَقُولُ أَئِنَّكَ لَمِنَ الْمُصَدِّقِينَ ﴿٥٢﴾ أَئِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا أَئِنَّا لَمَدِينُونَ ﴿٥٣﴾ قَالَ هَلْ أَنتُم مُّطَّلِعُونَ ﴿٥٤﴾ فَاطَّلَعَ فَرَآهُ فِي سَوَاءِ الْجَحِيمِ﴾ [الصافات: ٥١ - ٥٥].

* * *

س ـ في الآيات الكريمة ما يفيد أن الجزاء من جنس العمل؛ وضح ذلك واذكر عدة أدلة توضح أن الجزاء من جنس العمل؟

ج: إيضاحه: أن المجرمين لما سخروا من أهل الإيمان في الدنيا وضحكوا منهم، كما قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ أَجْرَمُوا كَانُوا مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا

يَضْحَكُونَ ﴾ [المطففين: ٢٩] ، كانت العقوبة في الآخرة أن أهل الإيمان وهم في الجنة يضحكون يوم القيامة من أهل الكفر وهم يعذبون في النار، كما قال تعالى: ﴿ فَالْيَوْمَ الَّذِينَ آمَنُوا مِنَ الْكُفَّارِ يَضْحَكُونَ .. ﴾ [المطففين: ٣٤].

• ومن الأدلة على أن الجزاء من جنس العمل :

• قول نوح عليه السلام : ﴿إِن تَسْخَرُوا مِنَّا فَإِنَّا نَسْخَرُ مِنكُمْ كَمَا تَسْخَرُونَ ﴾ [هود: ٣٨] .

• وقوله تعالى : ﴿الَّذِينَ يَلْمِزُونَ الْمُطَّوِّعِينَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فِي الصَّدَقَاتِ وَالَّذِينَ لا يَجِدُونَ إِلاَّ جُهْدَهُمْ فَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ سَخِرَ اللَّهُ مِنْهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [التوبة: ٧٩] .

• وقوله تعالى : ﴿وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ﴾ [النور: ٢٢] .

• وقوله تعالى : ﴿وَإِن تَعْفُوا وَتَصْفَحُوا وَتَغْفِرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [التغابن: ١٤] .

• وقوله : ﴿وَمَا أَنفَقْتُم مِّن شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ﴾ [سبأ: ٣٩] .

• وقوله عليه الصلاة والسلام : «يحشر المتكبرون يوم القيامة أمثال الذر»[1] .

---

(١) أخرجه أحمد في «مسنده» (٢/ ١٧٩) والترمذي (٢٤٩٢) بإسناد حسن ، وقد تقدم بطوله انظر تفسير سورة البقرة (٣/ ٥٣٤) .

• وقوله عليه السلام : «من يسر على معسر يسر اللَّه عليه في الدنيا والآخرة ومن ستر مسلمًا ستره اللَّه في الدنيا و الآخرة»[١].

• وقوله تعالى في الحديث القدسي : «أنفق يا ابن آدم أُنفق عليك»[٢].

* * *

س ـ ما هو وجه الاستفهام في قوله تعالى : ﴿هَلْ ثُوِّبَ الْكُفَّارُ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾ [المطففين: ٣٦] ؟

ج : هو استفهام تقريري .

* * *

س ـ وضح معنى قوله تعالى : ﴿هَلْ ثُوِّبَ الْكُفَّارُ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾ [المطففين: ٣٦] ؟

ج : المعنى ـ واللَّه أعلم ـ : هل جوزي الكفار وحوسبوا على ما كانوا يفعلونه ويسخرون به من المؤمنين ويقابلونهم به من الاستهزاء

---

(١) أخرجه مسلم (٢٦٩٩) من حديث أبي هريرة رضي اللَّه عنه قال : قال رسول اللَّه ﷺ : «من نفس عن مؤمن كربة من كرب الدنيا نفس اللَّه عنه كربةً من كرب يوم القيامة ، ومن يسر على معسر يسر اللَّه عليه في الدنيا والآخرة ، ومن ستر مسلمًا ستره اللَّه في الدنيا واللَّه في عون العبد ما كان العبد في عون أخيه ، ومن سلك طريقًا يلتمس فيه علمًا سهل اللَّه له به طريقًا إلى الجنة..» الحديث .

(٢) أخرجه البخاري مع «الفتح» (٩/٤٩٧) ومسلم (٩٩٣) من حديث أبي هريرة رضي اللَّه عنه أن رسول اللَّه ﷺ قال : «قال اللَّه : ....» فذكره .

والتنقيص أم لا ؟ فالمعنى أنهم قد جوزوا أوفر الجزاء وأتم الجزاء وأكمل الجزاء .

والمعنى بتعبير آخر: هل رأيتم يا أهل الإيمان بعد أن أسكنكم اللَّه الجنان وأضحككم من الكفار أن الكفار قد جوزوا بما يستحقوه أم لم يُجازوا ؟ !



سُورَةُ الانْشِقَاقِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

إِذَا السَّمَاءُ انشَقَّتْ ﴿١﴾ وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ ﴿٢﴾ وَإِذَا الْأَرْضُ مُدَّتْ ﴿٣﴾ وَأَلْقَتْ مَا فِيهَا وَتَخَلَّتْ ﴿٤﴾ وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ ﴿٥﴾

س ـ اذكر معاني هذه الكلمات :

انشقت ـ أذنت ـ حقت ـ مدت ؟

ج :

الكلمة	معناهــا
انشقــت	تصدعت ـ تقطعت فكانت أبوابًا [١]
أذنــت	سمعت وأطاعت ، والأذن بمعنى الاستماع ، ومنه : قوله تعالى : ﴿ وَمِنْهُمُ الَّذِينَ يُؤْذُونَ النَّبِيَّ وَيَقُولُونَ هُوَ أُذُنٌ قُلْ أُذُنُ .. ﴾ [التوبة: ٦١] أي : سمّاع لما يقال له ، ومنه قول النبي ﷺ : « ما أذن الله لشيء ما أذن لنبي حسن الصوت يجهر بالقرآن» ، وقول الشاعر : صُمٌّ إذا سمعوا خيرًا ذكرت به وإن ذكرت بسوء عندهم أذنوا

(١) قال تعالى : ﴿ وَيَوْمَ تَشَقَّقُ السَّمَاءُ بِالْغَمَامِ وَنُزِّلَ الْمَلَائِكَةُ تَنزِيلًا ﴾ [الفرقان: ٢٥] .

الكلمة	معناهـــا
حقـــت	حقق اللَّه عليها الاستماع ـ حقيق بها أن تستمع ، أي: جدير بها أن لا تمتنع مما أراده اللَّه بها
مـــــدت	بسطت وزيد في سعتها ودكت جبالها ودك كلُّ أمت عليها فأصبحت كما قال تعالىٰ : ﴿لا ترىٰ فيها عوجًا ولا أمتًا﴾ [طه: ١٠٧]

* * *

س ـ ما معنىٰ قوله تعالىٰ : ﴿ وألقت ما فيها وتخلت ﴾ [الانشقاق: ٤] ؟

ج : المعنىٰ ـ واللَّه أعلم ـ : أن الأرض لما مدت وبسطت ألقت أثقالها وما فيها من الموتىٰ علىٰ ظهرها وتخلت عنهم ، فألقت الأموات الذين دفنوا فيها علىٰ ظهرها كما قال تعالىٰ : ﴿يوم تشقق الأرض عنهم سراعًا﴾ [ق: ٤٤] .

• وتلقي أيضًا ما بداخلها من المعادن وغيرها كما في «صحيح مسلم» (١) من حديث أبي هريرة رضي اللَّه عنه قال : قال رسول اللَّه ﷺ : «تقيء الأرض أفلاذ كبدها أمثال الأسطوان من الذهب والفضة فيجيء القاتل فيقول : في هذا قتلت ، ويجيء القاطع فيقول : في هذا قطعت

(١) أخرجه مسلم (حديث ١٠١٣) .

رحمي ، ويجيء السارق فيقول : في هذا قُطعت يدي ، ثم يدعونه فلا يأخذون منه شيئًا» .

فتخلت الأرض عنهم بعد أن كانت لهم كفاتًا أحياء وأمواتًا ، وبعد أن كانت لهم مهادًا لفظتهم وتخلت عنهم ، وهذا ـ كما قال بعض العلماء ـ مما يزيد في رهبة الموقف وشدته والتضييق على العباد ، وأن لا ملجأ لهم ولا منجى إلا إلى اللَّه ، كما قال تعالى : ﴿ **كَلاَّ لا وَزَرَ (١١) إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمُسْتَقَرُّ** ﴾ [القيامة: ١١، ١٢] .

* * *

س ـ ما هو جواب قوله تعالى: ﴿ إِذَا السَّمَاءُ انشَقَّتْ ﴾ [الانشقاق: ١] ؟

ج : قال بعض العلماء : إن قوله : ﴿ **إِذَا السَّمَاءُ انشَقَّتْ** ﴾ [الانشقاق: ١] مؤخر ، والمعنى : ﴿ **يَا أَيُّهَا الإِنسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلاقِيهِ ...** ﴾ [الانشقاق: ٦] ، إذا السماء انشقت ، أي : عند انشقاق السماء .

● ومن أهل العلم من قال : إن الجواب محذوف ، وقد فهم من آيات أُخر ، فالمعنى : إذا السماء انشقت رأى الإنسان ما قدم وأخر من خيرٍ أو شر .



﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡإِنسَٰنُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ كَدۡحٗا فَمُلَٰقِيهِ ﴿٦﴾ فَأَمَّا مَنۡ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ ﴿٧﴾ فَسَوۡفَ يُحَاسَبُ حِسَابٗا يَسِيرٗا ﴿٨﴾ وَيَنقَلِبُ إِلَىٰٓ أَهۡلِهِۦ مَسۡرُورٗا ﴿٩﴾ وَأَمَّا مَنۡ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ وَرَآءَ ظَهۡرِهِۦ ﴿١٠﴾ فَسَوۡفَ يَدۡعُواْ ثُبُورٗا ﴿١١﴾ وَيَصۡلَىٰ سَعِيرًا ﴿١٢﴾ إِنَّهُۥ كَانَ فِيٓ أَهۡلِهِۦ مَسۡرُورًا ﴿١٣﴾ إِنَّهُۥ ظَنَّ أَن لَّن يَحُورَ ﴿١٤﴾ بَلَىٰٓۚ إِنَّ رَبَّهُۥ كَانَ بِهِۦ بَصِيرٗا ﴿١٥﴾﴾

س ـ اذكر معنى ما يلي :

كادح ـ كدحًا ـ ينقلب ـ يدعو ثبورًا ـ يحور ؟

ج :

الكلمة	معناها
كادح	عامل
كدحًا	عملاً
ينقلب	يرجع
يدعو ثبورًا	يدعو على نفسه بالثبور وهو الهلاك
يحور	يرجع

* * *

س ـ ما المراد بالكتاب في قوله تعالى : ﴿ فأمَّا من أُوتي كتابه بيمينه . . ﴾ [الانشقاق : ٧] ؟

ج : المراد بالكتاب كتاب الأعمال .

* * *

س ـ ما المراد بالحساب اليسير في قوله تعالى : ﴿ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا ﴾ [الانشقاق : ٨] ؟

ج : المراد بالحساب اليسير : العرض ؛ فقد أخرج البخاري ومسلم من حديث عائشة [١] رضي اللَّه عنها قالت : قال رسول اللَّه ﷺ : «ليس أحد يحاسب إلا هلك» ، قالت : قلت : يا رسول اللَّه جعلني اللَّه فداءك أليس يقول اللَّه عز وجل : ﴿ فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ ۝ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا ﴾ [الانشقاق: ٧، ٨] قال: «ذاك العرض ، يعرضون ، ومن نوقش الحساب هلك» .

وللعلماء في تفسير العرض أقوال منها : أن المراد بالعرض : عرض الناس على الميزان . ومنها : أن ينظر في أعماله فيغفر له سيئها ويجازى على حسنها .

وأصحها : عرض أعمال العبد عليه بين يدي اللَّه ثم مغفرتها له ، ودل على ذلك ما أخرجه البخاري ومسلم [٢] من حديث ابن عمر

---

(١) وأخرجه البخاري (حديث ٤٩٣٩) ومسلم (حديث ٢٨٧٦) .

(٢) أخرجه البخاري (حديث ٢٤٤١) ومسلم (حديث ٢٧٦٨) .

رضي اللَّه عنهما أنه سمع النبي ﷺ يقول : «يُدنى المؤمن يوم القيامة من ربه عز وجل حتى يضع عليه كنفه فيقرره بذنوبه فيقول هل تعرف ؟ أي رب أعرف ، قال : فإني قد سترتها عليك في الدنيا وإني أغفرها لك اليوم فيعطى صحيفة حسناته ، وأما الكفار والمنافقون فيُنادي بهم على رءوس الخلائق : الذين[1] كذبوا على ربهم» .

* * *

س ـ من المراد بالأهل في قوله تعالى : ﴿ وَيَنقَلِبُ إِلَىٰ أَهْلِهِ مَسْرُورًا ﴾ [الانشقاق: ٩] ؟

ج : هم أهله الذين أعدهم اللَّه له في الجنان من الحور العين وأهله من أهل الصلاح الذين كانوا معه في الدنيا وسبقوه إلى الجنة من زوجات وأولادٍ وآباء وأمهات وعشيرة وأصدقاء .

* * *

س ـ كيف يجمع بين قوله تعالى في شأن الكافر : ﴿ وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِشِمَالِهِ ﴾ [الحاقة: ٢٥] ، وقوله تعالى أيضًا : ﴿ وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ وَرَاءَ ظَهْرِهِ ﴾ [الانشقاق: ١٠] ؟

ج : لا تعارض فالكافر يؤتى كتابه بشماله ويده وراء ظهره .

قال الطبري رحمه اللَّه : وأما من أعطي كتابه منكم أيها الناس يومئذ وراء ظهره ، ولذلك وصفهم جل ثناؤه أحيانًا أنهم يؤتون كتبهم

---

(١) في مسلم ترتيب محمد فؤاد (هؤلاء الذي . . .) والصواب ما أثبتناه .

بشمائلهم وأحيانًا أنهم يؤتونها من وراء ظهورهم .

* * *

س ـ ما المراد بقوله تعالىٰ : ﴿ إِنَّهُ كَانَ فِي أَهْلِهِ مَسْرُورًا ﴾ [الانشقاق: ١٣] ؟

ج : المعنىٰ ـ والله أعلم ـ : أن هذا الكافر كان في دنياه وسط أهله مسرورًا بكفره وضلاله وخلافه لأمر الله وارتكاب المعاصي .

* * *

س ـ وضح المراد بقوله تعالىٰ : ﴿ بَلَىٰ ﴾ في قوله تعالىٰ : ﴿ بَلَىٰ إِنَّ رَبَّهُ كَانَ بِهِ بَصِيرًا ﴾ [الانشقاق: ١٥] ؟

ج : المعنىٰ ـ والله أعلم ـ : بلىٰ ليحورن وليرجعن إلىٰ ربه وليبعثن .



﴿فَلَآ أُقْسِمُ بِٱلشَّفَقِ ﴿١٦﴾ وَٱلَّيْلِ وَمَا وَسَقَ ﴿١٧﴾ وَٱلْقَمَرِ إِذَا ٱتَّسَقَ ﴿١٨﴾ لَتَرْكَبُنَّ طَبَقًا عَن طَبَقٍ ﴿١٩﴾ فَمَا لَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٢٠﴾ وَإِذَا قُرِئَ عَلَيْهِمُ ٱلْقُرْءَانُ لَا يَسْجُدُونَ ۩ ﴿٢١﴾ بَلِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يُكَذِّبُونَ ﴿٢٢﴾ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُوعُونَ ﴿٢٣﴾ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٢٤﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍۭ ﴿٢٥﴾﴾

س ـ وضح معنى ما يأتي :

الشفق ـ وسق ـ اتسق ـ طبقًا عن طبق ـ يوعون ـ ممنون ؟

ج :

الكلمة	معناهـــا
الشفق	الحُمرة التي تبقى في السماء بعد غروب الشمس من ناحية غروب الشمس إلى وقت العشاء[1]

(١) ويؤيد ذلك حديث رسول الله ﷺ : « وقت صلاة المغرب ما لم يغب الشفق » أخرجه مسلم (ص ٤٢٧) من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما مرفوعًا .
وقال الطبري رحمه الله : وقال آخرون : هو النهار .. ثم قال : والصواب من القول في ذلك عندي أن يقال : إن الله أقسم بالنهار مدبرًا والليل مقبلاً ، وأما الشفق الذي تحل به صلاة العشاء فإنه للحمرة عندنا .

الكلمة	معناهـا
وســـق	جمع وحوىٰ ـ ضم ـ لف ـ آوىٰ
اتســـق	اكتمل ـ تمَّ واستوىٰ ـ تكامل نوره ، ويكون ذلك ليلة ثلاث عشرة وأربع عشرة وخمس عشرة وست عشرة
طبقًا عن طبق	حالاً بعد حال
يوعـــون	يكتمون ـ يُسرون
ممنـــون	مقطوع

* * *

س ـ وضح المراد بقـوله تعالىٰ : ﴿ لَتَرْكَبُنَّ طَبَقًا عَن طَبَقٍ ﴾ [الانشقاق: ١٩] ؟

ج : أولاً وباختصار فمعنىٰ قوله تعالىٰ : ﴿طَبَقًا عَن طَبَقٍ﴾ أي : حالاً بعد حالٍ ، ولكن ما المرادُ بالحال الأولىٰ وما المراد بالحال الثانية فلأهل العلم في ذلك أقوال مبنية علىٰ القراءة في قوله تعالىٰ ﴿لَتَرْكَبُنَّ﴾ فمن القراء من قرأها بفتح التاء (المثناة الفوقانية) وفتح الباء (الموحدة التحتانية) لَتَركبَن ، والذين قرأوها علىٰ هذا النحو لهم فيها تأويلات :

● أحدها : أن هذا خطاب لرسول اللَّه ﷺ ، والمعنىٰ علىٰ هذا له وجوه :

الوجه الأول : لتركبن يا محمد حالاً بعد حال[1]، أي: أن الأحوال ستمر بك يا محمد من حال فقرٍ إلى حال غنى ، ومن حال ضعف إلى حال قوة وظفرٍ وغلبةٍ على المشركين المكذبين بالبعث ، كما قال تعالى: ﴿أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَىٰ ﴿٦﴾ وَوَجَدَكَ ضَالاً فَهَدَىٰ ﴿٧﴾ وَوَجَدَكَ عَائِلاً فَأَغْنَىٰ ...﴾ [الضحى: ٦ - ٨] .

الوجه الثاني : أن المراد لتركبن يا محمد سماء بعد سماء ، وقد فعل اللَّه ذلك به ليلة المعراج ، وقد قال تعالى : ﴿أَلَمْ تَرَوْا كَيْفَ خَلَقَ اللَّهُ سَبْعَ سَمَوَاتٍ طِبَاقًا﴾ [نوح: ١٥] .

الوجه الثالث : لتركبن يا محمد درجة بعد درجة ورتبة بعد رتبة في القرب إلى اللَّه عز وجل ..

● التأويل الثاني : أن المراد بقوله : لتركبن : هي السماء ، فالمعنى : أن السماء تتغير أحوالها فمرة تكون كالدهان ، كما قال تعالى : ﴿فَإِذَا انشَقَّتِ السَّمَاءُ فَكَانَتْ وَرْدَةً كَالدِّهَانِ﴾ [الرحمن: ٣٧] ، ومرة تَشَقَّقُ بالغمام ، كما قال تعالى : ﴿وَيَوْمَ تَشَقَّقُ السَّمَاءُ بِالْغَمَامِ وَنُزِّلَ الْمَلائِكَةُ تَنزِيلاً﴾ [الفرقان: ٢٥] ، ومرة تنفطر ، كما قال تعالى : ﴿إِذَا السَّمَاءُ انفَطَرَتْ ...﴾ [الانفطار: ١] ، وتتغير السماء من لونٍ إلى لون .

---

(١) أخرج الطبري بإسناد صحيح عن ابن عباس أنه كان يقرأ ﴿لَتَرْكَبُنَّ طَبَقًا عَن طَبَقٍ﴾ . يعني نبيكم ﷺ حالاً بعد حال . وبإسناد صحيح عنه أيضًا ﴿لَتَرْكَبُنَّ طَبَقًا عَن طَبَقٍ﴾ [الانشقاق: ١٩] قال : محمد ﷺ .

• وقرأ فريق آخر من العلماء لتركبُن بفتح التاء (المثناه الفوقانية) وضم الباء (الموحدة التحتانية) وهذا الخطاب في قوله : ﴿لَتَرْكَبُنَّ﴾ للناس ، والمعنى الإجمالي أولاً : لتمرن بك أيها الإنسان وأيها الناس جملة أمور وأحوال ، وفي بيان هذه الأمور والأحوال جملة أقوال :

• القول الأول : لتمرن بك أيها الإنسان شدائد وأهوال الموت والبعث والعرض والميزان والصراط والجنة أو النار .

• القول الثاني : أن الإنسان يمر بجملة أطوار نطفة ثم علقة ثم مضغة ثم يكسى عظمه لحمًا ثم ينشأ خلقًا آخر ويخرج من بطن أمه ضعيفًا ثم يتقوى ثم يضعف ويشيب ثم يموت ، كما قال تعالى : ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَهُوَ الْعَلِيمُ الْقَدِيرُ﴾ [الروم: ٥٤] .

• القول الثالث : أن المراد أن أحوال الإنسان تتغير بين الدنيا والآخرة فقد يكون وضيعًا في الدنيا ويرفعه اللَّه في الآخرة وقد يكون مرتفعًا في الدنيا ويخفضه اللَّه عز وجل في الآخرة كما قال تعالى في شأن الآخرة : ﴿خَافِضَةٌ رَّافِعَةٌ﴾ [الواقعة: ٣] ، وقد يكون مرتفعًا في الدنيا ويزداد رفعة كما قال تعالى في شأن عيسى عليه السلام : ﴿وَجِيهًا فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ﴾ [آل عمران: ٤٥] ، وقد يكون وضيعًا في الدنيا ويزداد إذلالاً في الآخرة .

• القول الرابع : أن أحوال الإنسان تتغير في الدنيا من صحة إلى مرض، ومن مرض إلى صحة، ومن غنى إلى فقر ، ومن فقر إلى غنى،

كما قال تعالى : ﴿وَتِلْكَ الأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ﴾ [آل عمران: ١٤٠] .

• القول الخامس : أن المراد بقوله : لتركبن طبقًا عن طبق : أي: لتتبعن أحوال اليهود والنصارى حالاً من أحوالهم بعد حال ، كما جاء عن رسول الله ﷺ : «**لتتبعن سنن من كان قبلكم حذو القذة بالقذة حتى لو دخلوا جحر ضب دخلتموه وراءهم**» ، والمعنى أيضًا : لتركبن سنة الأولين ممن كان قبلكم في التكذيب بالنبوة والقيامة .

• قال الطبري رحمه الله : وأولى القراءات في ذلك عندي بالصواب قراءة من قرأ بالتاء وبفتح الباء ، لأن تأويل أهل التأويل من جميعهم بذلك ورد ، وإن كان للقراءات الأُخر وجوه مفهومة ، وإذا كان الصواب من القراءة في ذلك ما ذكرنا ، فالصواب من التأويل قول من قال: (لتركَبَن) أنت يا محمد حالاً بعد حال ، وأمرًا بعد أمرٍ من الشدائد والمراد بذلك، وإن كان الخطاب إلى رسول الله ﷺ موجهًا ، جميع الناس أنهم يلقون من شدائد يوم القيامة وأهواله أهوالاً .

وقال ابن القيم رحمه الله «التفسير القيم» :

قول الله تعالى ذكره : ﴿لَتَرْكَبُنَّ طَبَقًا عَن طَبَقٍ﴾ [الانشقاق: ١٩] .

أي حالاً بعد حال . فأول أطباقه : كونه نطفة ، ثم علقة ، ثم مضغة ، ثم جنينًا ، ثم مولودًا ، ثم رضيعًا ، ثم فطيمًا ، ثم صحيحًا أو مريضًا ، غنيًا أو فقيرًا ، معافى أو مبتلى - إلى جميع أحوال الإنسان المختلفة عليه إلى أن يموت ، ثم يبعث ، ثم يوقف بين يدي الله ، ثم يصير إلى الجنة أو النار .

فالمعنى: لتركبن حالاً بعد حال، ومنزلاً بعد منزل، وأمرًا بعد أمر.

قال سعيد بن جبير وابن زيد : لتكونن في الآخرة بعد الأولى ، ولتصيرنَّ أغنياء بعد الفقر ، وفقراء بعد الغنى .

وقال عطاء : شدة بعد شدة .

والطبق والطبقة: الحال. ولهذا يقال: كان فلان على طبقات شتَّى. قال عمرو بن العاص: «لقد كنت على طبقات ثلاث» أي: أحوال .

قال ابن الأعرابي : الطبق الحال على اختلافها .

وقد ذكرنا بعض أطباق الجنين في البطن من حين كونه نطفة إلى وقت ميلاده . ثم نذكر الطبقات بعد ولادته إلى آخرها .

* * *

س ـ ما هو نوع الاستثناء في قوله تعالى : ﴿إِلاَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ﴾ [الانشقاق: ٢٥] ؟

ج : هو استثناء منقطع ، وإلا بمعنى لكن ، فالمعنى : لكن الذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم أجر غير ممنون .

* * *

س ـ اذكر بمزيدٍ من الإيضاح معنى قوله : ﴿فَمَا لَهُمْ لا يُؤْمِنُونَ﴾ [الانشقاق: ٢٠] ؟

ج : يقول الطبري رحمه الله : يقول تعالى ذكره : فما لهؤلاء

المشركين لا يصدقون بتوحيد اللَّه ولا يقرون بالبعث بعد الموت ، وقد أقسم لهم ربهم بأنهم راكبون طبقًا عن طبق مع ما قد عاينوا من حججه بحقيقة توحيده .

• والاستفهام في قوله تعالى: ﴿فَمَا لَهُمْ لا يُؤْمِنُونَ﴾ [الانشقاق: ٢٠] استفهام إنكاري كما هو واضح .

***

س ـ ما هي السجدات التي ثبت بالسند الصحيح أن النبي ﷺ سجد فيها ، اذكر الأدلة في ذلك ؟

ج : الذي وقفت عليه بإسناد صحيح إلى رسول اللَّه ﷺ في ذلك ما يلي :

• سجدة الانشقاق ، فقد أخرج البخاري ومسلم [١] من حديث أبي رافع قال: صليت مع أبي هريرة العتمة فقرأ : ﴿إِذَا السَّمَاءُ انشَقَّتْ﴾ فسجد فقلت : فقال : سجدت بها خلف أبي القاسم ﷺ فلا أزال أسجد بها حتى ألقاه .

• سجدة النجم ، فقد أخرج البخاري ومسلم [٢] من حديث ابن مسعود رضي اللَّه عنه قال : قرأ النبي ﷺ النجم بمكة فسجد فيها وسجد من معه غير شيخ أخذ كفًّا من حصى أو تراب ، وقال : يكفيني هذا ، فرأيته بعد ذلك قتل كافرًا .

---

(١) أخرجه البخاري مع الفتح ٢/ ٢٥٠) ومسلم (٥/ ٧٨ مع النووي) .

(٢) أخرجه البخاري مع «الفتح» (٢/ ٥٥١) ومسلم (٥/ ٧٤ مع النووي) .

● سجدة ص . فقد أخرج البخاري[١] من طريق العوام قال سألت مجاهدًا عن سجدة (ص) فقال : سألت ابن عباس من أين سجدت ؟ فقال أو تقرأ : ﴿وَمِن ذُرِّيَّتِهِ دَاوُودَ وَسُلَيْمَانَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَىٰ وَهَارُونَ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿٨٤﴾ وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَىٰ وَعِيسَىٰ وَإِلْيَاسَ كُلٌّ مِّنَ الصَّالِحِينَ ﴿٨٥﴾ وَإِسْمَاعِيلَ وَالْيَسَعَ وَيُونُسَ وَلُوطًا وَكُلًّا فَضَّلْنَا عَلَى الْعَالَمِينَ ﴿٨٦﴾ وَمِنْ آبَائِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ وَإِخْوَانِهِمْ وَاجْتَبَيْنَاهُمْ وَهَدَيْنَاهُمْ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٨٧﴾ ذَٰلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَلَوْ أَشْرَكُوا لَحَبِطَ عَنْهُم مَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٨٨﴾ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ فَإِن يَكْفُرْ بِهَا هَٰؤُلَاءِ فَقَدْ وَكَّلْنَا بِهَا قَوْمًا لَّيْسُوا بِهَا بِكَافِرِينَ ﴿٨٩﴾ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ﴾ [الأنعام: ٨٤ - ٩٠] .

فكان داود ممن أمر نبيكم ﷺ أن يقتدي به فسجدها داود فسجدها رسول الله ﷺ .

● سجدة العلق ، فقد أخرج مسلم [٢] من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال : سجدنا مع النبي ﷺ في ﴿ إِذَا السَّمَاءُ انشَقَّتْ ﴾ و ﴿ اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ﴾ .



(١) أخرجه البخاري مع «الفتح» (٨/ ٥٤٤) وأبو داود (٢/ ١٢٢) والنسائي (٢/ ١٥٩)

(٢) أخرجه مسلم (ص ٤٠٦) .

سُورَةُ البُرُوجِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْبُرُوجِ ﴿١﴾ وَالْيَوْمِ الْمَوْعُودِ ﴿٢﴾ وَشَاهِدٍ وَمَشْهُودٍ ﴿٣﴾ قُتِلَ أَصْحَابُ الْأُخْدُودِ ﴿٤﴾ النَّارِ ذَاتِ الْوَقُودِ ﴿٥﴾ إِذْ هُمْ عَلَيْهَا قُعُودٌ ﴿٦﴾ وَهُمْ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ بِالْمُؤْمِنِينَ شُهُودٌ ﴿٧﴾ وَمَا نَقَمُوا مِنْهُمْ إِلَّا أَن يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ ﴿٨﴾ الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴿٩﴾

س ـ اذكر معنى ما يلي :

البروج ـ اليوم الموعود ـ قُتِلَ ـ الأخدود ـ شهود ؟

ج :

الكلمة	معناهـا
البـروج	الكواكب العظيمة [1] ـ القصور ـ النجوم ـ منازل الشمس والقمر [2]

(١) سميت بروجا لظهورها .

(٢) قال الطبري رحمه الله : وأولى الأقوال في ذلك الصواب أن يُقال : معنى ذلك والسماء ذات منـازل الشمس والقمر ، وذلك أن البروج جمـع بـرج ، وهي منازل تتخذ عالية عن الأرض =

الكلمة	معناهـــا
اليوم الموعود	يوم القيامة[1]
قتـــــل	لُعِن
الأخـــــدود	حفرة مستطيلة تحفر في الأرض
شهـــــود	حضور مشاهدين

* * *

س ـ ما المراد بالشاهد والمشهود ؟

ج : **لأهل العلم في ذلك ما يقارب أربعة وعشرين قولاً ذكرها ابن الجوزي في « زاد المسير » وذكرها غيره أيضًا ، ومبني كثير منها على حقيقة الشاهد ما هو هل هو الشاهد الذي تثبت به الدعاوي والحقوق أم أن الشاهد بمعنى الحاضر والرائي والمُبصر ؟ .**

= مرتفعة ومن ذلك : قول اللَّه : ﴿**وَلَوْ كُنتُمْ فِي بُرُوجٍ مُّشَيَّدَةٍ**﴾ [النساء: ٧٨] وهي منازل مرتفعة عالية في السماء وهي اثنا عشر برجًا ، فمسير القمر في كل برجٍ منها يومان وثلث ، فذلك ثمانية وعشرون منزلاً ثم يستسر ليلتين ، ومسير الشمس في كل برجٍ منها شهر .

(١) نقل عدد من العلماء الإجماع على أن المراد باليوم الموعود يوم القيامة .

هذا واليوم الموعود هو الذي وعده اللَّه عز وجل عباده لفصل القضاء وذلك يوم القيامة ، وقد كانوا يوعدونه في الدنيا مؤمنهم وكافرهم قال تعالى في شأن أهل الإيمان : ﴿**لَا يَحْزُنُهُمُ الْفَزَعُ الْأَكْبَرُ وَتَتَلَقَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ هَذَا يَوْمُكُمُ الَّذِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ**﴾ [الأنبياء: ١٠٣] .

وكذلك الكفار قال تعالى : ﴿**فَذَرْهُمْ يَخُوضُوا وَيَلْعَبُوا حَتَّى يُلَاقُوا يَوْمَهُمُ الَّذِي يُوعَدُونَ**﴾ [المعارج: ٤٢] .

وقال تعالى : ﴿ ... **هَذَا مَا وَعَدَ الرَّحْمَنُ وَصَدَقَ الْمُرْسَلُونَ**﴾ [يس: ٥٢] .

• فمن العلماء من بنى تفسيره على أن الشاهد بمعنى الحاضر والمُبصر والرائي ، وجاءت تفاسيرهم على هذا المنوال وها هي بعض أقوالهم في ذلك :

الأول : الشاهد هم الخلائق الذي يشهدون [١] يوم القيامة (أي : يحضرون) ، والمشهود يوم القيامة .

الثاني : الشاهد : المصلون الذين يصلون الجمعة ، والمشهود : يوم الجمعة[٢] .

الثالث : الشاهد: هم الحجيج الذين يشهدون الحج، والمشهود: يوم عرفة .

---

(١) واستدل لهذا القول بأنه لا حضور أعظم من ذلك الحضور ؛ فإن اللَّه يجمع فيه الأولين والآخرين من الملائكة والأنبياء والجن والإنس وسائر الخلائق .

• ويدل عليه أيضًا قوله تعالى في شأن يوم القيامة : ﴿**ذَٰلِكَ يَوْمٌ مَّجْمُوعٌ لَّهُ النَّاسُ وَذَٰلِكَ يَوْمٌ مَّشْهُودٌ**﴾ [هود : ١٠٣] ، وقال تعالى : ﴿**إِن كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً فَإِذَا هُمْ جَمِيعٌ لَّدَيْنَا مُحْضَرُونَ**﴾ [يس: ٥٣] ، وقال تعالى : ﴿ **فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُوا مِن مَّشْهَدِ يَوْمٍ عَظِيمٍ**﴾ [مريم: ٣٧] .

• ويؤيده أيضًا ان اللَّه عز وجل ذكر ﴿**الْيَوْمِ الْمَوْعُودِ**﴾ ثم عقبه بقوله : ﴿**وَشَاهِدٍ وَمَشْهُودٍ**﴾ [البروج: ٣] ، قال الرازي : وهذا يناسب أن يكون المراد بالشاهد من يحضر ذلك اليوم من الخلائق ، وبالمشهود ما في ذلك اليوم من العجائب .

(٢) وهذا يتأيد بأن الملائكة تشهد الجمعة ، وذلك كما في البخاري (٩٢٩) ومسلم (٨٥٠) من حديث أبي هريرة رضي اللَّه عنه قال : قال رسول اللَّه ﷺ : «**إذا كان يوم الجمعة وقفت الملائكة على باب المسجد يكتبون الأول فالأول ...**» الحديث وفيه : «**فإذا خرج الإمام طووا صحفهم وجاءوا يستمعون الذكر**» .

الرابع : الشاهد : هم الحجيج ، والمشهود : هو يوم النحر .

الخامس : أن الشاهد : يوم عرفة ، والمشهود : القيامة .

السادس : أن الشاهد : يوم الجمعة ، والمشهود : يوم عرفة .

وثمَّ أقوال أخر :

• أما الذين قالوا : إن الشاهد من الشهادة التي تثبت بها الحقوق والدعاوىٰ فلهم في التفسير ضروب منها :

• الأول : الشاهد : هو اللَّه سبحانه وتعالىٰ [١] ، والمشهود : هو التوحيد والنبوة[٢] .

• الثاني : الشاهد : محمد ﷺ [٣]، والمشهود عليه : أمته وسائر الأنبياء والأمم .

---

(١) استدل له بقوله تعالىٰ : ﴿ قُلْ أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَادَةً قُلِ اللَّهُ شَهِيدٌ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ ﴾ [الأنعام: ١٩] ، وبقوله تعالىٰ : ﴿ وكفى باللّٰه شهيدا ﴾ ، وقوله : ﴿ أَوَ لَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴾ [فصلت: ٥٣] .

(٢) وذلك لقوله تعالىٰ : ﴿ شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لا إِلَٰهَ إِلاَّ هُوَ وَالْمَلائِكَةُ وَأُولُوا الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ لا إِلَٰهَ إِلاَّ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ [آل عمران: ١٨] .

(٣) ويشهد له قوله تعالىٰ : ﴿ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِداً وَمُبَشِّراً وَنَذِيراً ﴾ [الفتح: ٨] ، وقوله تعالىٰ: ﴿ فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰؤُلاءِ شَهِيداً ﴾ [النساء: ٤١] ، وقوله عليه الصلاة والسلام : «يُدعي نوح يوم القيامة فيقول : لبيك وسعديك يارب ، فيقول : هل بلغت فيقول : نعم ...» الحديث وفيه : «فيقول : من يشهد لك فيقول محمد وأمته فيشهدون أنه قد بلَّغ ويكون الرسول عليكم شهيداً » . أخرجه البخاري حديث (٤٤٨٧) من حديث أبي سعيد الخدري رضي اللّٰه عنه مرفوعًا .

● الثالث : أن الشاهد : الأنبياء ، والمشهود عليه : الأمم[١] .

● الرابع : أن الشاهد: هم الملائكة ، والمشهود عليه: الأنفس[٢] .

● الخامس : الشاهد: هي الجوارح، والمشهود عليه: الإنسان[٣] .

هذا وثمَّ أقوال أخر ، وثمَّ أيضًا أقوال ملفقة من القولين معًا .

منها: أن الشاهد: هو اللَّه سبحانه وتعالى، والمشهود: يوم القيامة.

ومنها : أن الشاهد : محمد ﷺ ، والمشهود : القيامة ، وثم أقوال أُخر.

● لكن اختار عدد كبير من أهل العلم التعميم منهم الطبري والقاسمي والرازي والسعدي وغيرهم .

قال الطبري رحمه اللَّه : والصواب من القول في ذلك عندنا أن يقال إن اللَّه أقسم بشاهد شَهِدَ ومشهود شُهِدَ ، ولم يخبرنا مع إقسامه بذلك أي شاهد وأي مشهود أراد ، وكل الذي ذكرنا أن العلماء قالوا هذا المعنى مما يستحق أن يقال له شاهد ومشهود .

● **وقال القاسمي في «محاسن التأويل»** : وشاهد وهو كل ما له حس يشهد به ومشهود وهو كل مُحسٍّ يشهد بالحس ، فيدخل فيه العوالم المشهودة كلها ، وتخصيص بعض المفسرين بعضًا مما يتناوله

---

(١) يشهد له أيضًا قوله تعالى : ﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰؤُلَاءِ شَهِيدًا﴾ [النساء: ٤١] .

(٢) دليله: قوله تعالى : ﴿وَجَاءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّعَهَا سَائِقٌ وَشَهِيدٌ﴾ [ق: ٢١] .

(٣) دليله : ﴿وَقَالُوا لِجُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدتُّمْ عَلَيْنَا ..﴾ [فصلت: ٢١] .

لفظهما لعله لأنه الأهم أو الأولى أو الأعرف والأظهر لقرينةٍ عنده وإلا فاللفظ على عمومه حتى يقوم برهان على تخصيصه .

* * *

س ـ ما هو جواب القسم في قوله تعالى : ﴿ وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْبُرُوجِ . . . ﴾ [البروج: ١] ؟

ج : من أهل العلم من قال : إن جواب القسم مذكور في نفس السورة ، ومنهم من قال : محذوف ويفهم من السياق .

● أما الذين قالوا : إنه مذكور في السورة ، فلهم في تحديده وجوه :

أحدها : أنه قوله تعالى : ﴿ **إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ** ﴾ [البروج: ١٢] .

الثاني : هو قوله : ﴿ **قُتِلَ أَصْحَابُ الْأُخْدُودِ** ﴾ [البروج: ٤] .

الثالث : هو قوله : ﴿ **إِنَّ الَّذِينَ فَتَنُوا الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَتُوبُوا فَلَهُمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَلَهُمْ عَذَابُ الْحَرِيقِ** ﴾ [البروج: ١٠] .

● أما الذين قالوا : إنه محذوف فلهم فيه تقديرات :

أحدها : هو أن كفار قريش ملعونون كما لعن أصحاب الأخدود .

الثاني : أن الأمر حق وأنه لابد من الجزاء على الأعمال .

الثالث : لتبلون بأنواع من الابتلاءات كما ابتلي أصحاب الأخدود ولينتقمن اللَّه ممن فتنكم أيها المؤمنون ، كما انتقم من الذين فتنوا

المؤمنين والمؤمنات وخدوا لهم الأخاديد .

* * *

س ـ من هم أصحاب الأخدود ؟

ج : هم قوم مجرمون كفار خدوا الأخاديد، أي: حفروا الحفر لأهل الإيمان، وأشعلوا فيها النيران، وألقوا فيها المؤمنين، وقد ورد حديث في هذا المعنى أخرجه مسلم [١] من حديث صهيب رضي اللَّه عنه أن رسول اللَّه قال : «كان ملكٌ فيمن كان قبلكم . وكان لهُ ساحرٌ . فلما كبر قال للملك : إني قد كبرتُ . فابعث إليَّ غلامًا أعلمهُ السحرَ . فبعث إليه غلامًا يعلمهُ . فكان في طريقه ، إذا سلكَ ، راهبٌ . فقعد إليه وسمع كلامه فأعجبه . فكان إذا أتى الساحر مرَّ بالراهب وقعد إليه . فإذا أتى الساحر ضربهُ. فشكا ذلك إلى الراهب . فقال : إذا خشيت الساحرَ فقلْ : حبسني أهلي . وإذا خشيت أهلك فقلْ : حبسني الساحرُ . فبينما هو كذلك إذ أتى على دابة عظيمة قد حبست الناس . فقال : اليوم أعلمُ الساحرُ أفضلُ أم الراهبُ أفضلُ؟ فأخذ حجرًا فقال: اللهم ! إن كان أمر الراهب أحبَّ إليك من أمر الساحر فاقتل هذه الدابة . حتى يمضي الناس . فرماها فقتلها . ومضى الناسُ. فأتى الراهب فأخبره . فقال لهُ الراهبُ : أي بُنيَّ ! أنت اليوم أفضل منيٍّ . قد بلغ من أمركَ ما أرى . وإنك ستبتلى . فإن ابتليت فلا تدلَّ عليَّ . وكان الغلامُ يبرئُ الأكمه والأبرص ويداوي الناس منْ سائر الأدواءِ . فسمع

---

(١) أخرجه مسلم (حديث ٣٠٠٥) .

(٢) الأكمه الذي وُلد أعمى .

جليسٌ للملك كان قد عمي . فأتاهُ بهدايا كثيرة . فقال : ما ههنا لك أجمع ، إن أنت شفيتني . فقال : إني لا أشفي أحداً . إنما يشفي اللّه . فإن أنت آمنت باللّه دعوتُ اللّه فشفاكَ . فآمن باللّه . فشفاهُ اللّهُ . فأتى الملك فجلس إليه كما كان يجلسُ . فقال له الملكُ : من ردَّ عليك بصركَ ؟ قال : ربِّي . قال : ولك ربٌّ غيري ؟ قال : ربي وربك اللّهُ . فأخذهُ فلم يزل يعذبهُ حتى دل على الغلام . فجيءَ بالغلامِ . فقال لهُ الملكُ : أي بنيَّ ! قد بلغ من سحرك ما تُبرئُ الأكمه والأبرص وتفعلُ وتفعلُ . فقال : إنِّي لا أشفي أحداً . إنَّما يشفي اللّهُ . فأخذه فلم يزل يعذبهُ حتى دلَّ على الراهب . فجيءَ بالراهبِ . فقيل لهُ : ارجعْ عن دينك . فأبى . فدعا بالمئشار[1] . فوضع المئشار في مفرق رأسه . فشقهُ حتى وقع شقاهُ . ثم جيءَ بجليس الملك فقيل له : ارجع عن دينك . فأبى . فوضع المئشار في مفرق رأسه . فشقهُ به حتى وقع شقاهُ . ثم جيءَ بالغلام فقيل له : ارجع عن دينك . فأبى فدفعه إلى نفر من أصحابه فقال : اذهبوا به إلى جبل كذا وكذا . فاصعدوا به الجبل . فإذا بلغتم ذروته [2]، فإن رجع عن دينه ، وإلا فاطرحوهُ . فذهبوا به فصعدُوا به الجبل . فقال : اللهمَّ ! اكفينهمْ بما شئت . فرجفَ بهم الجبلُ[3] فسقطوا . وجاء يمشي إلى الملكِ . فقال لهُ الملكُ : ما فعل أصحابك ؟ قال : كفانيهم اللّهُ . فدفعهُ إلى نفر من أصحابه

(١) (بالمئشار) مهموز في رواية الأكثرين : ويجوز تخفيف الهمزة بقلبها ياء . وروي : المنشار ، بالنون . وهما لغتان صحيحتان .

(٢) (ذروته) : ذروة الجبل أعلاه ، وهي بضم الذال وكسرها .

(٣) (فرجف بهم الجبل) : أي : اضطرب وتحرك حركة شديدة .

فقال : اذهبُوا به فاحملوهُ في قرقور [١] ، فتوسطوا به البحر . فإن رجع عن دينه وإلا فاقذفوه . فذهبوا به . فقال : اللهمَّ ! اكفنيهم بما شئت . فانكفأتْ بهم السفينة [٢] فغرقوا . وجاء يمشي إلى الملك . فقال له الملكُ : ما فعل أصحابك ؟ قال : كفانيهمُ اللَّهُ . فقال للملك : إنك لست بقاتلي حتى تفعل ما آمرك به . قال : وما هو ؟ قال : تجمعُ الناس في صعيد [٣] واحد . وتصلبُني على جذعٍ . ثم خذْ سهمًا من كنانتي . ثم ضع السهم في كبدِ القوس [٤] . ثم قل: باسْم اللَّهِ ، رب الغلام . ثم ارمني . فإنك إذا فعلت ذلك قتلتني . فجمعَ الناسَ في صعيد واحد . وصلبه على جذعٍ . ثمَّ أخذ سهمًا من كنانته . ثمَّ وضع السهمَ في كبدِ القوسِ ثُمَّ قالَ : باسْم اللَّهِ ، ربِّ الغلامِ . ثمَّ رماهُ فوقع السهم في صدغه . فوضع يده في صدغه في موضع السهمِ . فماتَ . فقال الناسُ : آمنَّا بربِّ الغلامِ . آمنَّا بربِّ الغلامِ . آمنَّا بربِّ الغلامِ . فأتي الملكُ فقيل لهُ : أرأيْت ما كنتَ تحذرُ ؟ قدْ واللَّه نزل بك حذرك [٥] .قدْ آمن الناسُ فأمر بالأخدود [٦] في أفواه السكك [٧] فخدَّتْ . وأضرم النيران. وقال : من لم

---

(١) (قرقور) : القرقور : السفينة الصغيرة . وقيل : الكبيرة . واختار القاضي الصغيرة ، بعد حكايته خلافًا كثيرًا .

(٢) (فانكفأت بهم السفينة) : أي : انقلبت .

(٣) (صعيد) : الصعيد هنا : الأرض البارزة .

(٤) (كبد القوس) : مقبضها عند الرمي .

(٥) (نزل بك حذرك) : أي : ما كنت تحذر وتخاف .

(٦) (بالأخدود) الأخدود : هو الشق العظيم في الأرض ، وجمعه أخاديد .

(٧) (أفواه السكك) : أي : أبواب الطرق .

يرجع عن دينه فأحموه فيها[1]. أو قيل له : اقتحم . ففعلوا حتى جاءت امرأةٌ ومعها صبي لها فتقاعستْ[2] أن تقع فيها . فقال لها الغلام: يا أمَّه ! اصبري . فإنَّك على الحقِّ» .

فوائد متعلقة بهذا الحديث :

ذكر هذا الحديث في «تتمة أضواء البيان» (٩/ ١٤١) وقال صاحب التتمة ما نصُّه :

وقد سقنا هذه القصة وهي من أمثل ما جاء في هذا المعنى ، والتي يمكن أن يستفاد منها بعض الأحكام حيث إن ابن كثير عزاها للإمام أحمد بن حنبل ومسلم ، أي لصحة سندها مرفوعة إلى النبي ﷺ، من ذلك الآتي :

- الأول :أن السحر بالتعلم ، كما جاء في قصة الملكين ببابل هاروت وماروت يعلمان الناس السحر .

- الثاني :إمكان اجتماع الخير مع الشر إذا كان الشخص جاهلاً بحال الشر كاجتماع الإيمان مع الراهب مع تعلم السحر من الساحر .

---

(١) (فاحموه فيها) هكذا هو في عامة النسخ : فاحموه ، بهمزة قطع بعدها حاء ساكنة . ونقل القاضي اتفاق النسخ على هذا . ووقع في بعض نسخ بلادنا . فأقحموه ، بالقاف . وهذا ظاهر. ومعناه اطرحوه فيها كرهًا . ومعنى الرواية الأولى : ارموه فيها . من قولهم : أحميت الحديدة وغيرها ، إذا أدخلتها النار لتحمى .

(فتقاعست) : أي : توقفت ولزمت موضعها ، وكرهت الدخول في النار .

• الثالث : إجراء خوارق العادات على أيدي دعاة الخير لبيان الحق والتثبت في الأمر ، كما قال الغلام : اليوم أعلم أمر الراهب أحبّ إلى اللَّه أم أمر الساحر ؟

• الرابع : أنه كان أميل بقلبه إلى أمر الراهب ، إذ قال : اللهم إن كان أمر الراهب أحب إليك ، فسأل عن أمر الراهب ولم يسل عن أمر الساحر .

• الخامس : اعتراف العالم بالفضل لمن هو أفضل منه كاعتراف الراهب للغلام .

• السادس : ابتلاء الدعاة إلى اللَّه ، ووجوب الصبر على ذلك ، وتفاوت درجات الناس في ذلك .

• السابع : إسناد الفعل كله للَّه ، إنما يشفي اللَّه .

• الثامن : رفض الداعي إلى اللَّه الأجر على عمله وهدايته ﴿ **قُل لاَّ أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا** ﴾ [الشورى: ٢٣] .

• التاسع : بيان ركن أصيل في قضية التوسل ، وهو أن مبناه على الإيمان باللَّه ، ثم الدعاء وسؤال اللَّه .

• العاشر : غباوة الملك المشرك المغلق قلبه بظلام الشرك حيث ظن في نفسه أنه الذي شفى جليسه ، وهو لم يفعل له شيئًا ، وكيف يكون وهو لا يعلم ؟ .

• الحادي عشر : اللجوء إلى العنف والبطش عند العجز عن الإقناع والإفهام أسلوب الجهلة والجبابرة[1] .

• الثاني عشر : منتهى القسوة والغلظة في نشر الإنسان بدون هوادة .

• الثالث عشر : منتهى الصبر وعدم الرجوع عن الدين ، وهكذا كان في الأمم الأولى ، وبيان فضل اللَّه على هذه الأمة إذ جاز لها التلفظ بما يخالف عقيدتها وقلبها مطمئن بالإيمان .

وقد جاء عن الفخر الرازي قوله : الآية تدل على أن المكره على الكفر بالإهلاك العظيم الأولى به أن يصبر على ما خوف منه ، وأن إظهار كلمة الكفر كالرخصة في ذلك ، وقال : وروى الحسن أن

---

(١) ومن ذلك : مناقشة فرعون مع موسى أول الأمر بقوله : ﴿وَمَا رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴿٢٣﴾ قَالَ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِن كُنتُم مُّوقِنِينَ ﴿٢٤﴾ قَالَ لِمَنْ حَوْلَهُ أَلا تَسْتَمِعُونَ ﴿٢٥﴾ قَالَ رَبُّكُمْ وَرَبُّ آبَائِكُمُ الأَوَّلِينَ ﴿٢٦﴾ قَالَ إِنَّ رَسُولَكُمُ الَّذِي أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ ﴿٢٧﴾ قَالَ رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٢٨﴾ قَالَ لَئِنِ اتَّخَذْتَ إِلَهًا غَيْرِي لأَجْعَلَنَّكَ مِنَ الْمَسْجُونِينَ﴾ [الشعراء: ٢٣ - ٢٩] .

فلما لم يأت بحجة على موسى عليه السلام بدأ في التهديد بالسجن .

ولما فشل فرعون فيما أتى به من سحر ، وألقي السحرة سجدًا ، قال فرعون : ﴿آمَنتُمْ لَهُ قَبْلَ أَنْ آذَنَ لَكُمْ إِنَّهُ لَكَبِيرُكُمُ الَّذِي عَلَّمَكُمُ السِّحْرَ فَلَسَوْفَ تَعْلَمُونَ لأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلافٍ وَلأُصَلِّبَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٤٩﴾﴾ [الشعراء: ٤٩] .

وهؤلاء قوم نوح لما عجزوا عن إثنائه عن رايه وأفحمهم بالحجة ﴿قَالُوا لَئِن لَّمْ تَنتَهِ يَا نُوحُ لَتَكُونَنَّ مِنَ الْمَرْجُومِينَ﴾ [الشعراء: ١١٦] .

وكذلك قوم لوط : ﴿قَالُوا لَئِن لَّمْ تَنتَهِ يَا لُوطُ لَتَكُونَنَّ مِنَ الْمُخْرَجِينَ﴾ [الشعراء: ١٦٧] .

مسيلمة أخذ رجلين من أصحاب النبي ﷺ ، فقال لأحدهما : تشهد أني رسول اللَّه ؟ فقال : نعم ، فتركه ، وقال للآخر مثله ، فقال : لا ، بل أنت كذاب ، فقتله ، فقال النبي ﷺ : **«أما الذي ترك فأخذ بالرخصة فلا تبعة عليه ، وأما الذي قتل فأخذ بالأفضل فهنيئًا له»**[١] .

وتقدم بحث هذه المسألة للشيخ رحمة اللَّه تعالى علينا وعليه .

● الرابع عشر : إجابة دعوة الغلام ونصرة اللَّه لعباده المؤمنين : اللهم اكفنيهم بما شئت .

● الخامس عشر : التضحية بالنفس في سبيل نشر الدعوة حيث دل الغلام الملك على الطريقة التي يتمكن الغلام بها من إقناع الناس بالإيمان باللَّه ، ولو كان الوصول لذلك على حياته هو .

● السادس عشر : إبقاء جسمه حتى زمن عمر رضي اللَّه عنه[٢] إكرامًا لأولياء الله والدعاة من أن تأكل الأرض أجسامهم .

● السابع عشر : إثبات دلالة القدرة على البعث .

● الثامن عشر : حياة الشهداء لوجود الدم وعودة اليد مكانها بحركة مقصودة .

● التاسع عشر : معرفة تلك القصة عند أهل مكة حيث حُدِّثوا بها

---

(١) هذا الحديث مرسل، ومواسيل الحسن من أضعف المراسيل.

(٢) ولم نقف على مستند صحيح لذلك.

تخويفًا من عواقب أفعالهم بضعفة المؤمنين كما هو موضح في تمام القصة .

● العشرون : نطق الصبي الرضيع بالحق .

* * *

س ـ وضح معنى قوله تعالى : ﴿ قُتِلَ أَصْحَابُ الأُخْدُودِ ﴾ [البروج: ٤] ؟

ج : المعنى ـ والله أعلم ـ : لُعن أصحاب الأخدود الذين ألقوا المؤمنين والمؤمنات في الأخاديد التي أشعلوا فيها النار .

* * *

س ـ لماذا وصفت النار بأنها ذات الوقود ؟

ج : وصفت تعظيمًا لشأنها وبيان لشدة وقودها وقوته ، كما قال تعالى : ﴿ وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ ﴾ [البقرة: ٢٤] .

* * *

س ـ وضح معنى قوله تعالى : ﴿ إِذْ هُمْ عَلَيْهَا قُعُودٌ ﴾ [البروج: ٦] ؟

ج : المعنى ـ والله أعلم ـ : أن الكفار قعود على حافة الأخاديد ينظرون ويشاهدون ما يحدث من عذاب للمؤمنين ويستمتعون بالنظر إليهم وهم يُعذبون .

* * *

س ـ ما هو الذنب الذي اقترفه أهل الإيمان حتى أُلقي بهم في النار؟

ج : ليس لهم ذنب إلا أنهم آمنوا باللَّه العزيز الحميد . كما قال تعالى : ﴿ وَمَا نَقَمُوا مِنْهُمْ إِلاَّ أَن يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ ﴾ [البروج: ٨] .

وهذا شيء مطرد ، يُعذب أهل الإيمان وليس لهم ذنب إلا الإيمان.

• قال اللَّه سبحانه : ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِرُسُلِهِمْ لَنُخْرِجَنَّكُم مِّنْ أَرْضِنَا أَوْ لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنَا﴾ [إبراهيم: ١٣] .

• وقال قوم شعيب لشعيب عليه السلام : ﴿لَنُخْرِجَنَّكَ يَا شُعَيْبُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَكَ مِن قَرْيَتِنَا أَوْ لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنَا ...﴾ [الأعراف: ٨٨] .

• وقال سحرة فرعون لفرعون : ﴿وَمَا تَنقِمُ مِنَّا إِلاَّ أَنْ آمَنَّا بِآيَاتِ رَبِّنَا لَمَّا جَاءَتْنَا﴾ [الأعراف: ١٢٦] .

• وقال تعالى : ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ هَلْ تَنقِمُونَ مِنَّا إِلاَّ أَنْ آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلُ ...﴾ [المائدة: ٥٩] .

• وقال قول لوط : ﴿ أَخْرِجُوا آلَ لُوطٍ مِّن قَرْيَتِكُمْ إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ﴾ [النمل: ٥٦] .

• وقال قوم نوحٍ لنوحٍ عليه السلام : ﴿لَئِن لَّمْ تَنتَهِ يَا نُوحُ لَتَكُونَنَّ مِنَ الْمَرْجُومِينَ﴾ [الشعراء: ١١٦] .

وقال قوم لوط للوط عليه السلام : ﴿لَئِن لَّمْ تَنتَهِ يَا لُوطُ لَتَكُونَنَّ مِنَ الْمُخْرَجِينَ﴾ [الشعراء: ١٦٧] .

وقال ورقة بن نوفل لرسول اللَّه ﷺ [1] : يا ليتني فيها جَذَعًا ليتني أكون حيًّا إذ يُخرجك قومك ، فقال رسول اللَّه ﷺ : « أو مُخرجي هم؟ » قال : نعم ، لم يأت رجل قط بمثل ما جئت به إلا عُودي . .

* * *

س ـ اذكر بعض صور الابتلاءات والفتن التي ابتلي بها من كان قبلنا ؟

ج : من ذلك ما يلي :

النشر بالمياشير والتمشيط بأمشاط الحديد .

أخرج البخاري [2] من حديث خباب بن الأرت رضي اللَّه عنه قال: شكونا إلى رسول اللَّه ﷺ ـ وهو مُتوسد بَردة له في ظلِ الكعبة ـ قلنا له : ألا تستنصر لنا ، ألا تدعو اللَّه لنا ؟ قال : **«كان الرجل فيمن قبلكم يحفر له في الأرض فيُجعل فيه فيجاء بالميشار فيوضع على رأسه فيشق باثنتين وما يصده ذلك عن دينه ، ويمشط بأمشاط الحديد ما دون لحمه**

---

(١) أخرجه البخاري (حديث ٣) ومسلم (حديث ١٦٠) من حديث عائشة رضي اللَّه عنها .

(٢) البخاري حديث (٣٦١٢) وأبو داود (٢٦٤٩) .

من عظم أو عصبٍ وما يصده ذلك عن دينه ، واللَّه ليتمن هذا الأمر[١] حتى يسيرَ الراكبُ من صنعاء إلى حضرموت لا يخاف إلا اللَّه أو[٢] الذئب على غنمه ، ولكنكم تستعجلون» .

● ومن ذلك : الإلقاء في النار والتعذيب النفسي بإلقاء الأولاد في النار أمام أعين آبائهم وأمهاتهم .

فقد أخرج الإمام أحمد رحمه اللَّه بسند صحيح لغيره [٣] من

---

(١) الأمر ، المراد به الإسلام .

(٢) في رواية : والذئب على غنمه .

قال الحافظ ابن حجر في «فتح الباري» (٧/ ١٦٧) : «تنبيه : قوله : «والذئب» هو بالنصب عطفًا على المستثنى منه لا المستثنى ، كذا جزم به الكرماني ، ولا يمتنع أن يكون عطفًا على المستثنى ، والتقدير : ولا يخاف إلا الذئب على غنمه ؛ لأن مساق الحديث إنما هو للأمن من عدوان بعض الناس على بعض كما كانوا في الجاهلية ، لا للأمن من عدوان الذئب ، فإن ذلك إنما يكون في آخر الزمان عند نزول عيسى» .

(٣) فله شاهد عند ابن ماجه (٤٠٣٠) من طريق سعيد بن بشير ، عن قتادة ، عن مجاهد ، عن ابن عباس ، عن أبي بن كعب ، عن رسول اللَّه ﷺ ببعض معناه .

● هذا ، وقد ذكر عدد من أهل العلم أن حماد بن سلمة قد سمع من عطاء بن السائب قبل الاختلاط انظر : «الكواكب النيرات في معرفة المختلطين من الرواة الثقات» لابن الكيال .

وعلى هذا فلا تعويل على ما ذكره الشيخ ناصر الدين الألباني ـ حفظه اللَّه ـ في «سلسلة الأحاديث الضعيفة » تحت رقم (٨٨٠) جـ ٢ ص ٢٧٣ حيث قال : «وقد علمت مما سبق ـ كذا قال ـ أن حماد بن سلمة سمع منه في اختلاطه أيضًا ولا يمكن تمييز ما سمعه في هذا الحال عن ما سمعه قبلها فلذا يتوقف عن تصحيح روايته عنه» . كذا قال . وقد علمت مما أوردناه أن كثيرًا من أهل العلم ذكروا أن حمادًا سمع من عطاء قبل الاختلاط .

حديث ابن عباس رضي اللّه عنهما قال : قال رسول اللّه ﷺ : «لما كانت الليلة التي أسري بي فيها ، أتت عليّ رائحة طيبة ، فقلت : يا جبريل ما هذه الرائحة الطيبة ؟ فقال : هذه رائحة ماشطة ابنة فرعون وأولادها ، قال : قلت : وما شأنها ؟ قال : بينا هي تمشط ابنة فرعون ذات يوم إذ سقطت المدرىٰ من يديها ، فقالت : بسم اللّه ، فقالت لها ابنة فرعون : أبي ؟! قالت : لا ، ولكن ربي ورب أبيك اللّه . قالت : أُخبره بذلك ؟ قالت : نعم ، فأخبرته ، فدعاها ، فقال : يا فلانة ، وإن لك ربًّا غيري ؟ قالت : نعم ، ربي وربك اللّه ، فأمر ببقرة من نحاس فأحميت ، ثم أمر بها أن تلقي هي وأولادها فيها . قالت له : إن لي إليك حاجة . قال : وما حاجتك ؟ قالت : أحب أن تجمع عظامي وعظام ولدي في ثوب واحد وتدفننا . قال : ذلك لك علينا من الحق ، قال : فأمر بأولادها فألقوا بين يديها واحدًا واحدًا إلىٰ أن انتهىٰ ذلك إلىٰ صبي لها مرضع، وكأنها تقاعست من أجله . قال : يا أمه ، اقتحمي فإن عذاب الدنيا أهون من عذاب الآخرة ، فاقتحمت» .

● وأُلقي الخليل إبراهيم عليه الصلاة والسلام في النار فأنجاه اللّه منها قال تعالىٰ : ﴿فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلاَّ أَن قَالُوا اقْتُلُوهُ أَوْ حَرِّقُوهُ فَأَنجَاهُ اللَّهُ مِنَ النَّارِ﴾ [العنكبوت: ٢٤] .

وقال سبحانه : ﴿ قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلامًا عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ ﴾ [الأنبياء: ٦٩] .

ومن ذلك : الطرد من البلاد ، والإخراج من الدُّور :

قال اللَّه سبحانه وتعالى : ﴿**وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِرُسُلِهِمْ لَنُخْرِجَنَّكُم مِّنْ أَرْضِنَا أَوْ لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنَا**﴾ [إبراهيم: ١٣] .

وذكر سبحانه وتعالى مقولة قوم لوط إذ قالوا : ﴿**أَخْرِجُوا آلَ لُوطٍ مِّن قَرْيَتِكُمْ إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ**﴾ [النمل: ٥٦] .

وقال سبحانه في شأن قوم شعيب : ﴿**قَالَ الْمَلأُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا مِن قَوْمِهِ لَنُخْرِجَنَّكَ يَا شُعَيْبُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَكَ مِن قَرْيَتِنَا أَوْ لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنَا**﴾ [الأعراف: ٨٨] .

وقد أُخْرِجَ النبي ﷺ مع أصحابه من مكة ، قال اللَّه سبحانه وتعالى : ﴿**الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِن دِيَارِهِم بِغَيْرِ حَقٍّ إِلاَّ أَن يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ**﴾ [الحج: ٤٠] .

وأخرج الإمام أحمد[١] بإسناد صحيح من حديث عبد اللَّه بن عدي ابن الحمراء رضي اللَّه عنه أنه سمع النبي ﷺ وهو واقف بالحزورة في سوق مكة يقول : «**واللَّه إنك لخير أرض اللَّه ، وأحب أرض اللَّه إلى اللَّه عز وجل ، ولولا أني أُخرجت منك ما خرجت**» .

ومن ذلك : فتنة أصحاب الأخدود :

وقول اللَّه عز وجل : ﴿**قُتِلَ أَصْحَابُ الأُخْدُودِ ۝٤ النَّارِ ذَاتِ**

---

(١) أحمد «المسند» (٤/ ٣٠٥) والترمذي (٥/ ٧٢٢) وابن ماجة (٣١٠٨) والدارمي (ص ٢٣٩) ، وانظر «المنتخب» لعبد بن حميد بتحقيقي (رقم ٤٩٠) .

الْوَقُودِ ﴿٥﴾ إِذْ هُمْ عَلَيْهَا قُعُودٌ ﴿٦﴾ وَهُمْ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ بِالْمُؤْمِنِينَ شُهُودٌ ﴿٧﴾ وَمَا نَقَمُوا مِنْهُمْ إِلاَّ أَن يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ ﴿٨﴾ الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴿٩﴾ إِنَّ الَّذِينَ فَتَنُوا الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَتُوبُوا فَلَهُمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَلَهُمْ عَذَابُ الْحَرِيقِ ﴾ [البروج: ٤ - ١٠] .

أقوال أهل العلم في الآية :

قال الحافظ ابن كثير (٤/ ٤٩٢) : وقوله تعالى : **﴿قُتِلَ أَصْحَابُ الأُخْدُودِ﴾** [البروج: ٤] أي: لعن أصحاب الأخدود، وجمعه أخاديد وهي الحفر في الأرض ، وهذا خبر عن قوم من الكفار عمدوا إلى من عندهم من المؤمنين بالله عز وجل فقهروهم وأرادوهم أن يرجعوا عن دينهم فأبوا عليهم ، فحفروا لهم في الأرض أخدودًا وأججوا فيه نارًا وأعدوا لها وقودًا يسعرونها به ثم أرادوهم فلم يقبلوا منهم فقذفوهم فيها، ولهذا قال تعالى : **﴿قُتِلَ أَصْحَابُ الأُخْدُودِ ﴿٤﴾ النَّارِ ذَاتِ الْوَقُودِ ﴿٥﴾ إِذْ هُمْ عَلَيْهَا قُعُودٌ ﴿٦﴾ وَهُمْ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ بِالْمُؤْمِنِينَ شُهُودٌ﴾** [البروج: ٤ - ٧] أي : مشاهدون لما يفعل بأولئك المؤمنين ، قال الله تعالى : **﴿وَمَا نَقَمُوا مِنْهُمْ إِلاَّ أَن يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ﴾** [البروج: ٨] ، أي: وما كان لهم عندهم من ذنب إلا إيمانهم بالله العزيز الذي لا يضام من لاذ بجنابه المنيع ، الحميد في جميع أقواله وأفعاله وشرعه وقدره ، وإن كان قدر على عباده هؤلاء الذي وقع بهم بأيدي الكفار به فهو العزيز الحميد وإن خفي سبب ذلك على كثير من الناس. ثم قال تعالى:

﴿الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ﴾ [البروج: ٩] من تمام الصفة أنه المالك لجميع السموات والأرض وما فيهما وما بينهما ﴿وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ [البروج: ٩] أي : لا يغيب عنه شيء في جميع السموات والأرض ولا تخفى عليه خافية .

ثم أورد ابن كثير اختلاف المفسرين في أهل هذه القصة ، وهذا الاختلاف في أصحابها لا يضر فالعبرة قائمة على كل حال .

● **وفي «أضواء البيان» (٩/ ١٣٧) :**

قال أبو حيان : وجواب القسم في قوله تعالى : ﴿وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْبُرُوجِ﴾ [البروج: ١] قيل : محذوف ، فقيل : لتبعثن ونحوه ، وقيل : مذكور ، فقيل : إن الذين فتنوا المؤمنين والمؤمنات ونحوه ، وقيل : قتل ، وهذا نختاره ، وحذفت اللام ، أي : لقتل ، وحسن حذفها كما حسن في قوله : ﴿وَالشَّمْسِ وَضُحَاهَا﴾ [الشمس: ١] ، ثم قال : ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا﴾ [الشمس: ٩] أي : لقد أفلح ، ويكون الجواب دليلاً على لعنة اللَّه على من فعل ذلك ، وتنبيهًا لكفار قريش الذين يؤذون المؤمنين ليفتنوهم عن دينهم .

وإذا كان (قتل) هي الجواب فهي جملة خبرية ، وإذا كان الجواب غيرها فهي جملة إنشائية دعاء عليهم .

وقرئ: قتّل بالتشديد، قرأها الحسن وابن مقسم، وقرأها الجمهور بالتخفيف. (والأخدود) جمع خد: وهو الشق في الأرض طويلاً. وقوله: ﴿النَّارِ ذَاتِ الْوَقُودِ﴾ [البروج: ٥] الوقود بالضم وبالفتح، والقراءة بالفتح

كالسحور والوضوء فبالفتح ما توقد به كصبور والماء المتوضأ به والطعام المتسحر به ، وبالضم المصدر ، والفعل الوقود بالضم ما توقد به .

ذكر صاحب «القاموس» ، والنار ذات الوقود بدل من الأخدود . وقيل : معناها عدة أقوال ، حتى قال أبو حيان : كسلت عن نقلها » .

● **ومن ذلك : التجويع والتخويف والتهديد :**

قال اللَّه سبحانه : ﴿**هُمُ الَّذِينَ يَقُولُونَ لا تُنفِقُوا عَلَىٰ مَنْ عِندَ رَسُولِ اللَّهِ حَتَّىٰ يَنفَضُّوا**﴾ [المنافقون: ٧] وهذا بالمدينة من فعل أهل النفاق بها ، وقد حُوصر النبي ﷺ بمكة في شعب أبي طالب .

وأخرج أحمد من حديث أنس بن مالك قال : قال رسول اللَّه ﷺ : «**لقد أُوذيتُ في اللَّه عز وجل وما يُؤذىٰ أحدٌ ، وأُخِفْتُ في اللَّه وما يخافُ أحد ، ولقد أَتَتْ عليَّ ثلاثةٌ من بين يومٍ وليلةٍ ومالي ولعيالي طعام يَأكُلُهُ ذُو كبدٍ ، إلا ما يُواري إبطُ بلالٍ**» .

● **ومن ذلك : إذلال العباد وذبح أبنائهم واستحياء نسائهم :**

● قال اللَّه سبحانه : ﴿**إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلا فِي الأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضْعِفُ طَائِفَةً مِّنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَاءَهُمْ وَيَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ**﴾ [القصص: ٤] .

وثمَّ أنواع وصُور أخر من الفتن والابتلاءات قدمناها في مواطنها .



س ـ وضح وجه ختام الآية بصفتي العزيز الحميد في قوله تعالى :

﴿ وَمَا نَقَمُوا مِنْهُمْ إِلاَّ أَن يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ ﴾ [البروج: ٨] ؟

ج : أما الختام بصفة العزيز فلبيان أنه سبحانه قادر على الانتقام ممن ظلم أولياءه المؤمنين إذ هو عزيز لا يغالب ، وإنما أمهل اللَّه سبحانه أهل الظلم استدراجًا لهم من حيث لا يعلمون واتخاذ شهداء من عباده المؤمنين كما قال تعالى : ﴿ ذَلِكَ وَلَوْ يَشَاءُ اللَّهُ لانتَصَرَ مِنْهُمْ وَلَكِن لِّيَبْلُوَ بَعْضَكُم بِبَعْضٍ وَالَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَلَن يُضِلَّ أَعْمَالَهُمْ ﴿٤﴾ سَيَهْدِيهِمْ وَيُصْلِحُ بَالَهُمْ ﴾ [محمد: ٤، ٥] ، وكما قال تعالى : ﴿ وَلِيُمَحِّصَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَمْحَقَ الْكَافِرِينَ ... ﴾ [آل عمران: ١٤١] .

أما ختام الآية بالحميد فإشارة إلى أن اللَّه سبحانه يحمد للمؤمنين أفعالهم ويحمد لهم ثباتهم ، وإشارة أيضًا إلى الكفار كي لا ييأسوا من سعة رحمته سبحانه وتعالى كما قال تعالى: ﴿ ثُمَّ لَمْ يَتُوبُوا ﴾ [البروج: ١٠] فقد أعطاهم المهلة وهذا من صفة الحميد سبحانه وتعالى .



س ـ اذكر بعض الأمثلة للمدح الذي يأتي بما يشبه الذم ؟

ج : من ذلك : قوله تعالى : ﴿ وَمَا نَقَمُوا مِنْهُمْ إِلاَّ أَن يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ ﴾ [البروج: ٨] .

ولذلك أيضًا شواهد من أقوال الشعراء .

منها قول الشاعر :

ولا عيب فيهم غير أن سيوفهم ∴ لهن فُلول من قراع الكتائب

وقول الآخر :

مـا نقمـــوا من بني أميـــة إلا ∴ أنهـــم يحلمـون إن غضبـــوا

وقول الثالث :

ولا عيب فيها غير شكلةِ عينها ∴ كذاك عناق الطير شكلاً عيونها



إِنَّ ٱلَّذِينَ فَتَنُوا۟ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ثُمَّ لَمْ يَتُوبُوا۟ فَلَهُمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَلَهُمْ عَذَابُ ٱلْحَرِيقِ ﴿١٠﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُمْ جَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْكَبِيرُ ﴿١١﴾ إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ ﴿١٢﴾ إِنَّهُۥ هُوَ يُبْدِئُ وَيُعِيدُ ﴿١٣﴾ وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلْوَدُودُ ﴿١٤﴾ ذُو ٱلْعَرْشِ ٱلْمَجِيدُ ﴿١٥﴾ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ ﴿١٦﴾ هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ٱلْجُنُودِ ﴿١٧﴾ فِرْعَوْنَ وَثَمُودَ ﴿١٨﴾ بَلِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فِى تَكْذِيبٍ ﴿١٩﴾ وَٱللَّهُ مِن وَرَآئِهِم مُّحِيطٌۢ ﴿٢٠﴾ بَلْ هُوَ قُرْءَانٌ مَّجِيدٌ ﴿٢١﴾ فِى لَوْحٍ مَّحْفُوظٍۭ ﴿٢٢﴾

س ـ اذكر معنى ما يلي :

فتنوا المؤمنين والمؤمنات ـ بطش ـ يُبدئ ـ الودود ـ المجيد؟

ج :

الكلمة	معناهـا
فتنوا المؤمنين والمؤمنات	ابتلوا المؤمنين والمؤمنات بأن عذبوهم بالنار ليصرفوهم عن دينهم ـ عذَّبوا ـ حرَّقوا
بطـــــــش	انتقام ـ الأخـذ بالعذاب بشـدة وعنف [1] ـ

(١) كما قال تعالى : ﴿إِنَّ أَخْذَهُۥٓ أَلِيمٌ شَدِيدٌ﴾ [هود: ١٠٢] .

الكلمة	معناهـا
يُبـــدئ	يبتدئ
الـــودود	ذو المحبة للتائبين والمطيعين
المجيـــد	الكريم

* * *

س ـ باب التوبة مفتوح لكل من أسرف على نفسه ولكل من أذى العباد وقتل منهم وشرد ، اذكر بعض الأدلة على ذلك ؟

ج : من هذه الأدلة ما يلي :

● قوله تعالى : ﴿**إِنَّ الَّذِينَ فَتَنُوا الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَتُوبُوا فَلَهُمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَلَهُمْ عَذَابُ الْحَرِيقِ**﴾ [البروج: ١٠] فمفهوم الآية الكريمة أنهم إذا تابوا لم يُعذبوا [١].

● وقوله تعالى : ﴿**وَالَّذِينَ لا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ وَلا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلاَّ بِالْحَقِّ وَلا يَزْنُونَ وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا ﴿٦٨﴾**

---

(١) **قال الرازي في تفسيره** : قوله تعالى : ﴿**ثُمَّ لَمْ يَتُوبُوا**﴾ [البروج: ١٠] يدل على أنهم لو تابوا لخرجوا عن هذا الوعيد ، وذلك يدل على القطع بأن اللَّه تعالى يقبل التوبة ، ويدل على أن توبة القاتل عمدًا مقبولة خلاف ما يروىٰ عن ابن عباس .

● ونقل الحافظ ابن كثير رحمه اللَّه عن الحسن البصري قوله : انظروا إلى هذا الكرم والجود قتلوا أولياءه وهو يدعوهم إلى التوبة والمغفرة .

يُضَاعَفْ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِ مُهَانًا ﴿٦٩﴾ إِلاَّ مَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلاً صَالِحًا فَأُولَئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٧٠﴾ وَمَن تَابَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَإِنَّهُ يَتُوبُ إِلَى اللَّهِ مَتَابًا ﴾ [الفرقان: ٦٨ - ٧١] .

● وقوله تعالى : ﴿ قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴿٥٣﴾ وَأَنِيبُوا إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا لَهُ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ ثُمَّ لا تُنصَرُونَ ﴾ [الزمر: ٥٣، ٥٤] .

● وقوله تعالى : ﴿ فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهَوَاتِ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا ﴿٥٩﴾ إِلاَّ مَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَأُولَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلا يُظْلَمُونَ شَيْئًا ﴾ [مريم: ٥٩، ٦٠] .

● وقال تعالى : ﴿ إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الأَرْضِ فَسَادًا أَن يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم مِّنْ خِلافٍ أَوْ يُنفَوْا مِنَ الأَرْضِ ذَلِكَ لَهُمْ خِزْيٌ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٣٣﴾ إِلاَّ الَّذِينَ تَابُوا مِن قَبْلِ أَن تَقْدِرُوا عَلَيْهِمْ فَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ [المائدة: ٣٣، ٣٤] .

● وقال تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِن وَرَاءِ الْحُجُرَاتِ أَكْثَرُهُمْ لا يَعْقِلُونَ ﴿٤﴾ وَلَوْ أَنَّهُمْ صَبَرُوا حَتَّىٰ تَخْرُجَ إِلَيْهِمْ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ [الحجرات: ٤، ٥] ففتح لهم باب التوبة بقوله : والله غفور رحيم .

● وحديث قاتل التسعة والتسعين نفسًا [١] وفيه : «كان فيمن قبلكم رجل قتل تسعة وتسعين نفسًا فسأل عن أعلم أهل الأرض فدُل على راهب فأتاه فقال : إنه قتل تسعة وتسعين نفسًا فهل له من توبة ؟ فقال : لا . فقتله فكمل به مائة ، ثم سأل عن أعلم أهل الأرض فدل على رجل عالم فقال : إنه قتل مائة نفس فهل له من توبة ؟ فقال : نعم ، ومن يحول بينه وبين التوبة ! انطلق إلى أرض كذا وكذا ..» الحديث وفيه : «فغفر له» .

● وأخرج البخاري ومسلم [٢] من حديث أبي هريرة رضي اللَّه عنه قال : سمعت النبي ﷺ قال : «إن عبدًا أصابَ ذنبًا ـ وربما قال : أذنب ذنبًا ـ فقال: ربِّ أذنبتُ ذنبًا ـ وربما قال أصبت ـ فاغفر فقال ربُّه : أعلمَ عبدي أنَّ له ربًّا يغفرُ الذَّنبَ ويأخُذُ به ؟ [٣] غفرتُ لعبدي . ثم مكث ما شاء اللَّه ، ثم أصاب ذنبًا ـ أو أذنب ذنبًا ـ فقال : رب أذنبتُ ـ أو أصبتُ ـ آخرَ فاغفره فقال: أعلمَ عبدي أن له ربًّا يغفرُ الذَّنب ويأخذُ به ؟ غفرتُ لِعبدي ثم مكث ما شاء اللَّه ثم أذنب ذنبًا ـ وربما قال : أصاب ذنبًا ـ فقال: رب أصبت ـ أو أذنبت ـ آخر فاغفره لي فقال : أعلمَ عبدي أن له ربًّا يغفرُ الذَّنب ويأخذ به ؟ غفرت لعبدي ثلاثًا فليعمل ما شاء» [٤] .

---

(١) أخرجه البخاري (حديث ٣٤٧٠) ومسلم (٢٧٦٦) من حديث أبي سعيد الخدري رضي اللَّه عنه مرفوعًا ، وقد تقدم في البقرة (٢/ ٣٨٨) .

(٢) البخاري حديث (٧٥٠٧) ومسلم (٢٧٥٨) .

(٣) يأخذ به : أي : يعاقب به .

(٤) قال الحافظ في «الفتح» (١٣/ ٤٧٢) : معناه ما دمت تذنب فتتوب غفرت لك .

قلت : وليس هذا فيمن يجاهر ربه بالمعاصي ويقول : سيغفر لي ، بل في حق التائب الوجل الخائف من ربه .

● وقد ورد في هذا الباب جملة أحاديث أخر منها حديث أبي أيوب الأنصاري رضي اللَّه عنه قال سمعت رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم يقول : « **لولا أنكم تذنبون لخلق اللَّه خلقًا يذنبون فيغفر لهم** » أخرجه مسلم [١] ونحوه عنده مسلم أيضًا [٢] من حديث أبي هريرة رضي اللَّه عنه .

● وأخرجه مسلم أيضًا [٣] من حديث أبي موسى رضي اللَّه عنه قال: قال رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم : «**إن اللَّه عز وجل يبسط يده بالليل ليتوب مسيء النهار ، ويبسط يده بالنهار ليتوب مسيء الليل حتى تطلع الشمس من مغربها**» .

● وأخرج البخاري ومسلم[٤] من حديث أنس بن مالك رضي اللَّه عنه قال : قال رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم : «**اللَّه أفرح بتوبة عبده من أحدكم سقط على بعيره وقد أضله في أرض فلاة** » ، وفي لفظ لمسلم: «**للَّه أشد فرحًا بتوبة عبده حين يتوب إليه من أحدكم كان على راحلته بأرض فلاة فانفلتت منه وعليها طعامه وشرابه فأيس منها فأتى شجرة فاضطجع في ظلها قد أيس من راحلته ، فبينا هو كذلك إذا هو بها قائمة عنده فأخذ بخطامها ثم قال من شدة الفرح : اللهم أنت عبدي وأنا ربك . أخطأ من شدة الفرح**» . ونحوه عند مسلم أيضًا من حديث البراء بن عازب رضي اللَّه عنه مرفوعًا .

---

(١) مسلم (حديث ٢٧٤٨) .

(٢) مسلم (حديث ٢٧٤٩) .

(٣) مسلم (حديث ٢٧٥٩) .

(٤) البخاري (حديث ٦٣٠٩) ومسلم (٢٧٤٧) .

ونحوه عند البخاري ومسلم[١] من حديث ابن مسعود رضي اللَّه عنه وعند مسلم[٢] من حديث النعمان بن بشير وله طرق أخرىٰ عن النبي صلىٰ اللَّه عليه وعلىٰ آله وسلم .

وفي «الصحيحين» ـ وسيأتي تخريجه في هذا الكتاب ـ قال رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وعلىٰ آله وسلم : **«ينزل ربنا إلىٰ السماء الدنيا في الثلث الأخير من الليل فيقول : هل من مستغفر فأغفر له ...»** الحديث .

● وأخرج الإمام أحمد بسند صحيح[٣] من حديث أبي سعيد الخدري رضي اللَّه عنه قال: سمعت رسول اللَّه ﷺ يقول : **«إن إبليس قال لربه : بعزتك وجلالك لا أبرح أغوي بني آدم ما دامت الأرواح فيهم ، فقال اللَّه : فبعزتي وجلالي لا أبرح أغفر لهم ما استغفروني»** .

* * *

س ـ وضح المراد بعذاب جهنم وعذاب الحريق المذكورين في قوله تعالىٰ : ﴿فَلَهُمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَلَهُمْ عَذَابُ الْحَرِيقِ﴾ [البروج: ١٠] ؟

ج : ذهب جمهور العلماء إلىٰ أن عذاب جهنم وعذاب الحريق كلاهما في الآخرة ، وعذاب جهنم حل بالكفار لكفرهم ، وعذاب الحريق حلَّ بهم لتحريقهم المؤمنين والمؤمنات، فهناك عذاب للكفر (وهو عذاب جهنم) وعذاب علىٰ إيذاء العباد (وهو عذاب الحريق) ، كما قال تعالىٰ : **﴿الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَن سَبِيلِ اللَّهِ زِدْنَاهُمْ عَذَابًا فَوْقَ الْعَذَابِ**

(١) البخاري (حديث ٦٣٠٨) ومسلم (٢٧٤٤) .
(٢) مسلم (حديث ٢٧٤٥) .
(٣) «المسند» (٣/ ٢٩) .

بِمَا كَانُوا يُفْسِدُونَ﴾ [النحل:٨٨] فهناك عذاب للكفر ، وعذاب للصد عن سبيل اللَّه ، وكما قال تعالىٰ : **﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا اتَّبِعُوا سَبِيلَنَا وَلْنَحْمِلْ خَطَايَاكُمْ وَمَا هُم بِحَامِلِينَ مِنْ خَطَايَاهُم مِّن شَيْءٍ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴿١٢﴾ وَلَيَحْمِلُنَّ أَثْقَالَهُمْ وَأَثْقَالاً مَّعَ أَثْقَالِهِمْ وَلَيُسْأَلُنَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَمَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ﴾** [العنكبوت: ١٢، ١٣] .

● **وقال بعض العلماء** : وقيل : إن الحريق اسم من أسماء النار كالسعير ، وقيل : إنهم يعذبون في جهنم بالزمهرير ، ثم يعذبون بعذاب الحريق ، فالأول عذاب ببردها ، والثاني عذاب بحرِّها .

● بينما ذهب فريق من العلماء إلىٰ أن عذاب جهنم في الآخرة وعذاب الحريق إنما حلَّ بهؤلاء الكفار في الدنيا ، وذلك أنهم ـ علىٰ حد قول أصحاب هذا الرأي ـ بعد أن حرقوا المؤمنين والمؤمنات في النار التي أوقدوها وأشعلوها في الأخاديد تطايرت النار إليهم (أي : إلىٰ هؤلاء االكفار الذين كانوا قعوداً يستمتعون بلذة النظر إلىٰ المؤمنين وهم يعذبون) فأحرقتهم ، واللَّه أعلم .

***

س ـ المكره علىٰ التلفظ بكلمة الكفر هل الأولىٰ له أن يصبر ولو أدىٰ الصبر إلىٰ القتل أم الأولىٰ أن يتكلم بكلمة الكفر ؟

ج : من العلماء من قال : إن الصبر أولىٰ وإن أدىٰ بالشخص إلىٰ القتل، وذلك لأن أهل الإيمان من المؤمنين والمؤمنات صبروا حتىٰ أُلقوا

في النار ولكن يبقى واردًا على هذا القول سؤال وهو هل كان مرخصًا لمن قبلنا في التلفظ بكلمة الكفر عند الإكراه أم أن هذا خاص بأمة محمد ﷺ أعني قوله: ﴿إِلاَّ مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالإِيمَانِ﴾ [النحل: ١٠٦] .

وعلى كل فمن العلماء من قال أيضًا : إن الصبر أولى لأن بلالاً صبر ولم يطاوعهم . وإن كان التلفظ بكلمة الكفر عند الإكراه جائزا ، والله أعلم .

* * *

س ـ ما المراد من الخبر في قوله تعالى : ﴿إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ﴾ [البروج: ١٢] ؟

ج :هو بمثابة التسلية لرسول الله ﷺ وللمؤمنين ، وكذلك فهو تحذير لأهل الكفر والعناد والفساد . والله أعلم .

* * *

س ـ وضح معنى قوله تعالى : ﴿إِنَّهُ هُوَ يُبْدِئُ وَيُعِيدُ﴾ [البروج: ١٣] ؟

ج **الجمهور من العلماء** على أن معنى ﴿يُبْدِئُ وَيُعِيدُ﴾ هو أن الله سبحانه وتعالى يخلق الخلق في الدنيا ثم يُعيدهم أحياء بعد الموت .

قال الله تبارك وتعالى : ﴿وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ﴾ [الروم: ٢٧] .

وقال سبحانه : ﴿قُلْ هَلْ مِن شُرَكَائِكُم مَّن يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ قُلِ اللَّهُ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ فَأَنَّى تُؤْفَكُونَ﴾ [يونس: ٣٤] .

وقال سبحانه : ﴿ لَمْ يَرَوْا كَيْفَ يُبْدِئُ اللَّهُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ ﴾ [العنكبوت: ١٩] .

● ومن العلماء من قال في قوله تعالى : ﴿إِنَّهُ هُوَ يُبْدِئُ وَيُعِيدُ﴾ [البروج: ١٣] : أي : يبدأ العذاب ثم يكرره عليهم ، وفي هذا وجهان :

الأول : أن ذلك في الآخرة ، كما قال تعالى : ﴿كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ بَدَّلْنَاهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا الْعَذَابَ﴾ [النساء: ٥٦] ، وكما قال عليه الصلاة والسلام : **«ما من صاحب إبل ولا بقر ولا غنم لا يؤدي زكاتها إلا جاءت يوم القيامة أعظم ما كانت وأسمنه تنطحه بقرونها وتطؤه بأظلافها كلما نفدت أخراها عادت عليه أولاها حتى يقضى بين الناس»**[1] .

الثاني : أنهم يعذبون في الدنيا ثم يكرر عليهم العذاب في الآخرة وهذا اختيار الطبري رحمه اللَّه ، **فقال الطبري رحمه اللَّه** : وأولى التأويلين في ذلك عندي بالصواب وأشبههما بظاهر ما دل عليه التنزيل القول الذي ذكرناه عن ابن عباس[2] ،وهو أنه يُبدئ العذاب أهل الكفر به ويعيد ، كما قال جل ثناؤه : ﴿فَلَهُمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَلَهُمْ عَذَابُ الْحَرِيقِ﴾ [البروج: ١٠] في الدنيا فأبدأ ذلك لهم في الدنيا وهو يعيده لهم في الآخرة .

وإنما قلت : هذا أولى التأويلين بالصواب لأن اللَّه أتبع ذلك قوله: ﴿إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ﴾ [البروج: ١٢] ، فكان للبيان عن معنى شدة بطشه

---

(١) أخرجه مسلم (حديث ٩٩٠) من حديث أبي ذر رضي اللَّه عنه مرفوعًا .

(٢) قلت : الأثر الذي ذكره عن ابن عباس إسناد واهٍ .

الذي قد ذكره قبله أشبه به بالبيان عما لم يجر له ذكر ، ومما يؤيد ما قلنا من ذلك وضوحًا وصحة قوله: ﴿وَهُوَ الْغَفُورُ الْوَدُودُ﴾ [البروج: ١٤] فبين ذلك عن أن الذي قبله من ذكره خبره عن عذابه وشده عقابه .

* * *

س ـ قوله تعالى : ﴿الْمَجِيدُ﴾ هل هي صفة للَّه سبحانه أم صفة للعرش ، وذلك في قوله تعالى : ﴿ذُو الْعَرْشِ الْمَجِيدُ﴾ [البروج: ١٥] ؟

ج : من العلماء من ضبط المجيد بالرفع على أنها صفة للَّه سبحانه وتعالى ، كما قال تعالى : ﴿رَحْمَتُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ إِنَّهُ حَمِيدٌ مَّجِيدٌ﴾ [هود: ٧٣] ، ومن العلماء من ضبطها بالكسر على أنها صفة للعرش ، وهما قراءتان معروفتان فبأيهما قرأ القارئ فمصيب .

* * *

س ـ من هم الجنود المذكورين في قوله تعالى : ﴿هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْجُنُودِ﴾ [البروج: ١٧] ؟

ج : هم فرعون وثمود ، والمراد بفرعون : هو وجنوده ، والمراد بثمود : قوم صالح المعروفون ، والمراد بحديثهم : ما وقع منهم من كفرٍ وعناد وضلال وظلمٍ وما وقع بهم من العذاب والنكال .

* * *

س ـ لماذا مُثل بفرعون وثمود دون غيرهما في هذا المقام ؟

ج : قال عطية سالم رحمه اللَّه في «تتمته لأضواء البيان» : قوله

تعالىٰ : ﴿ هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْجُنُودِ ﴿١٧﴾ فِرْعَوْنَ وَثَمُودَ ﴾ [البروج: ١٧ ، ١٨] .

بعد عرض قصة أصحاب الأخدود تسلية للمؤمنين وتثبيتًا لهم ، وزجرًا للمشركين وردعًا لهم ، جاء بأخبار لبعض من سبق من الأمم وفرعون وثمود بدل من الجنود ، وهم جمع جند ، وهم الكثرة وأصحاب القوة ، وحديثه ما قص اللَّه من خبره مع موسىٰ وبني إسرائيل .

وفي اختيار فرعون هنا بعد أصحاب الأخدود لما بينهما من المشاكلة والمشابهة ، إذ فرعون طغىٰ وادَّعىٰ الربوبية ، كملك أصحاب الأخدود الذي قال لجليسه : ألك رب غيري ؟ ولتعذيبه بني إسرائيل بتقتيل الأولاد واستحياء النساء ، وفي ذلك بلاء من ربكم عظيم ، ولتقديم الآيات والبراهين علىٰ صدق الداعية ، إذ موسىٰ عليه السلام قدَّم لفرعون من آيات ربه الكبرىٰ فكذَّب وعصىٰ ، والغلام قدَّم لهذا الملك الآيات الكبرىٰ : إبراء الأكمه والأبرص بإذن اللَّه ، وعجز فرعون عن موسىٰ وإدراكه ، وعجز الملك عن قتل الغلام إذ نجاه اللَّه من الإغراق والدهدهة من قمة الجبل ، فكان لهذا أن يرعوي عن ذلك ويتفطن للحقيقة ، ولكن سلطانه أعماه كما أعمىٰ فرعون .

وكذلك آمن السحرة لما رأوا آية موسىٰ وخروا للَّه سجدًا .

وهكذا هنا آمن الناس برب الغلام ، فوقع الملك فيما وقع فيه فرعون . إذ جمع فرعون السحرة ليشهد الناس عجز موسىٰ وقدرته ، فانقلب الموقف عليه ، وكان أول الناس إيمانًا هم أعوان فرعون علىٰ

موسى ، وهكذا هنا كان أسرع الناس إيمانًا الذي جمعهم الملك ليشهدوا قتله للغلام .

فظهر تناسب ذكر فرعون دون غيره من الأمم الطاغية السابقة ، وإن كان في الكل عظة وعبرة ، ولكن هذا منتهى الإعجاز في قصص القرآن وأسلوبه ، واللَّه تعالى أعلم .

وكذلك ثمود لما كان منهم من مظاهر القوة والطغيان ، وقد جمعهما اللَّه أيضًا معًا في سورة الفجر في قوله : ﴿وَثَمُودَ الَّذِينَ جَابُوا الصَّخْرَ بِالْوَادِ ۝٩ وَفِرْعَوْنَ ذِي الْأَوْتَادِ﴾ [الفجر: ٩، ١٠] ، وهكذا جمعهما هنا ﴿فِرْعَوْنَ وَثَمُودَ﴾ [البروج: ١٨] .

* * *

س ـ وضح معنى قوله تعالى : ﴿بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي تَكْذِيبٍ﴾ [البروج: ١٩] ؟ وما وجه الاستفادة للرسول ﷺ من إطلاعه على حديث الجنود ؟

ج : المعنى ـ واللَّه تعالى أعلم ـ : ولا يظن ظان أن هؤلاء الكفار لم يأتهم حديث الجنود وما أحله اللَّه بهؤلاء الجنود من العذاب ، وما أنزل بهم من النكال ، بل قد جاءتهم أخبار الجنود وغير الجنود أيضًا ، كما قال تعالى : ﴿وَإِنَّكُمْ لَتَمُرُّونَ عَلَيْهِم مُّصْبِحِينَ ۝١٣٧ وَبِاللَّيْلِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ [الصافات: ١٣٧، ١٣٨] ، وكما قال تعالى : ﴿وَإِنَّهُمَا لَبِإِمَامٍ مُّبِينٍ﴾ [الحجر: ٧٩] : أي : بطريق واضح للمارة الذين يمرون عليه ،

فقد جاءت هذه الأخبار وبلغت الذين كفروا ، ولكنهم مع ذلك كله في تكذيب مستمر وعناد دائم ومخالفة ظاهرة ، كما قال تعالى: ﴿ **بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا يُكَذِّبُونَ** ﴾ [الانشقاق: ٢٢] ، وكما قال تعالى : ﴿ **بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي عِزَّةٍ وَشِقَاقٍ** ﴾ [ص: ٢] ، فهذا شأنهم وذاك دينهم منذ زمن بعيد .

● **ووجه الاستفادة لرسول الله ﷺ من حديث الجنود أن فيه** تسلية لرسول الله ﷺ وجهها أن يُقال : فإن كنت يا محمد قد كذبت من هؤلاء الكفار ، فهذا شأن الكفار مع غيرك أيضًا فهم في تكذيب دائم للرسل : ﴿ **وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ فَصَبَرُوا عَلَىٰ مَا كُذِّبُوا وَأُوذُوا حَتَّىٰ أَتَاهُمْ نَصْرُنَا** ﴾ [الأنعام: ٣٤] ، والأمر الذي يلزمك إذن أن تصبر كما صبر أولو العزم من الرسل ، والله أعلم .

* * *

س ـ وضح المراد بقوله تعالى : ﴿ وَاللَّهُ مِن وَرَائِهِم مُّحِيطٌ ﴾ [البروج: ٢٠] ؟

ج : لأهل العلم في ذلك أقوال :

أحدها : والله من ورائهم محيط بأعمالهم محصي لها لا يخفى عليه منها شيء وهو مجازيهم على جميعها ، وهذا قول الطبري رحمه الله .

الثاني : أن المراد أن الله سبحانه وتعالى قادر عليهم قاهر لا يفوتونه ولا يُعجزونه ؛ وهذا قول ابن كثير رحمه الله .

الثالث والله من ورائهم محيط ، أي : أنه سبحانه مهلكهم ومعذبهم ، كما قال تعالى : ﴿وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِ فَأَصْبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيْهِ عَلَىٰ مَا أَنفَقَ فِيهَا وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا﴾ [الكهف: ٤٢] ، والله أعلم .

* * *

س ـ وضح معنى قوله تعالى : ﴿بَلْ هُوَ قُرْآنٌ مَّجِيدٌ﴾ [البروج: ٢١] ؟

ج : المعنى ـ والله أعلم ـ : أن القرآن الذي تتلوه يا محمد ليس بشعر ولابسجعٍ ولا بكهانة كما وصفوا وزعموا بل هو قرآن مجيد، أي: كريم ، كما قال تعالى : ﴿إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ ﴿٧٧﴾ فِي كِتَابٍ مَّكْنُونٍ . . .﴾ [الواقعة: ٧٧، ٧٨] ، والله أعلم .

* * *

س ـ في قوله تعالى : ﴿فِي لَوْحٍ مَّحْفُوظٍ﴾ [البروج: ٢٢] محفوظ من ماذا ؟ وما المراد باللوح ؟

ج : أما اللوح فمن العلماء من قال : هو أم الكتاب ، كما قال تعالى : ﴿وَإِنَّهُ فِي أُمِّ الْكِتَابِ لَدَيْنَا لَعَلِيٌّ حَكِيمٌ﴾ [الزخرف: ٤] ، ومنهم من قال : إنه الكتاب المكنون ، لقوله تعالى : ﴿إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ ﴿٧٧﴾ فِي كِتَابٍ مَّكْنُونٍ﴾ [الواقعة: ٧٧، ٧٨] ، وهو راجع إلى الأول أما كونه محفوظ ، فمحفوظ من الزيادة والنقصان .

وقيل : محفوظ ، أي : مثبت في اللوح .

وقيل : محفوظ من الشياطين ، كما قال تعالى : ﴿لا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ

مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴾ [فصلت: ٤٢] .

● وقيل : محفوظ في جبهة إسرافيل ، وقد ورد في ذلك أثر عن أنس رضي اللَّه عنه عند الطبري . واللَّه أعلم .



سورة الطارق

بسم الله الرحمن الرحيم

وَالسَّمَاءِ وَالطَّارِقِ ﴿١﴾ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الطَّارِقُ ﴿٢﴾ النَّجْمُ الثَّاقِبُ ﴿٣﴾ إِن كُلُّ نَفْسٍ لَّمَّا عَلَيْهَا حَافِظٌ ﴿٤﴾ فَلْيَنظُرِ الْإِنسَانُ مِمَّ خُلِقَ ﴿٥﴾ خُلِقَ مِن مَّاءٍ دَافِقٍ ﴿٦﴾ يَخْرُجُ مِن بَيْنِ الصُّلْبِ وَالتَّرَائِبِ ﴿٧﴾ إِنَّهُ عَلَىٰ رَجْعِهِ لَقَادِرٌ ﴿٨﴾ يَوْمَ تُبْلَى السَّرَائِرُ ﴿٩﴾ فَمَا لَهُ مِن قُوَّةٍ وَلَا نَاصِرٍ ﴿١٠﴾ وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الرَّجْعِ ﴿١١﴾ وَالْأَرْضِ ذَاتِ الصَّدْعِ ﴿١٢﴾ إِنَّهُ لَقَوْلٌ فَصْلٌ ﴿١٣﴾ وَمَا هُوَ بِالْهَزْلِ ﴿١٤﴾ إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْدًا ﴿١٥﴾ وَأَكِيدُ كَيْدًا ﴿١٦﴾ فَمَهِّلِ الْكَافِرِينَ أَمْهِلْهُمْ رُوَيْدًا ﴿١٧﴾

س ـ اذكر معنى كل مما يلي :ـ

الطارق ـ الثاقب ـ لما عليها ـ دافق ـ الصلب ـ الترائب ـ تبلى السرائر ـ الرجع ـ الصدع ـ فصل ـ بالهزل ـ يكيدون كيدًا ـ أمهلهم ـ رويدًا ؟

ج :

الكلمة	معناها
الطارق	النجم [١]

(١) هذا هو المراد بالطارق هنا ، لقوله تعالى: ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا الطَّارِقُ ﴿٢﴾ النَّجْمُ الثَّاقِبُ﴾ =

الكلمة	معناهـا
الثاقــب	المضيء [١]
لَمَّا عليها	إلا وعليها
دافـــق	مدفوق (أي : مصبوب في الرحم)
الصلـب	المراد صلب الرجل وهو فقرات الظهر (ويسميه الناس سلسلة الظهر)
الترائــب	صدر المرأة ، وقيل موضع القلادة من صدرها [٢]

= [الطارق: ٢ - ٣] والغالب في إطلاق الطارق أنه يطلق على الآتي ليلاً ، وأطلق على النجم أنه طارق لأنه يطرق السماء ليلاً (أي : يظهر فيها ليلاً) ، ومن ذلك : قول النبي ﷺ الذي أخرجه البخاري (٥٢٤٤) من حديث جابر رضي اللَّه عنه قال : قال رسول اللَّه ﷺ : **«إذا أطال أحدكم الغيبة فلا يطرق أهله ليلاً»** .

أما ما ورد عن رسول اللَّه ﷺ وفيه : **«أعوذ بك من طوارق الليل والنهار إلا طارقًا يطرق بخير يا رحمن»** فهو من باب المجاز عند فريق من أهل العلم .

قال الحافظ ابن حجر في «فتح الباري» (٩/ ٣٤٠) : قال أهل اللغة : الطروق بالضم المجيء بالليل من سفرٍ أو من غيره على غفلة ، ويقال لكل آتٍ بالليل : طارق ، ولا يقال بالنهار إلا مجازاً . . . ثم قال : وسُمي الآتي بالليل طارقًا لأنه يحتاج غالبًا إلى دق الباب ، وقيل : أصل الطروق السكون ، ومنه : أطرق رأسه ، فلما كان الليل يسكن فيه سمي الآتي فيه طارقًا .

● وهل المراد بالنجم نجم واحد معلوم أم جنس النجوم التي تظهر في السماء ليلاً ، للعلماء في ذلك قولان .

(١) **قال بعض أهل العلم** : وأطلق عليه الثاقب لأنه يثقب ظلمة الليل فينفذ فيها ، وقيل : لأنه يثقب الشياطين إذا أرسل عليها .

(٢) **قال ابن القيم رحمه اللَّه («التفسير القيم» ص ٥١٠)** :

قال الزجاج : قال أهل اللغة أجمعون: التربة، موقع القلادة من الصدر، والجمع : ترائب. =

الكلمة	معناهــا
تبلى السرائر	تظهر الأمور التي كان صاحبها يُسر بها في الدنيا ، وتبدو واضحة فيعلن السر ويشتهر المكنون
الرجــــع	السحاب فيه المطر ـ المطر وذلك لأن السماء كل عام تأتي بالسحاب فيه ، والمراد بالرجع الرجوع ، والمعني بالرجوع : رجوع السماء كل عام بالسحاب فيه المطر
الصــــدع	التشقق ، والمعنى : أن الأرض تتشقق بالنبات
فصـــل	حق
بالهـــزل	الهزل اللعب واللهو والباطل

= وقال أبو عبيدة : الترائب معلق الحلق من الصدر ، وهو قول جميع أهل اللغة ، وقال عطاء عن ابن عباس رضي اللَّه عنهما : يريد صلب الرجل وترائب المرأة . وهو موضع قلادتها ، وهو قول الكلبي ومقاتل وسفيان وجمهور أهل التفسير وهو المطابق لهذه الأحاديث ، وبذلك أجرى اللَّه العادة في إيجاد ما يوجده من أصلين ، كالحيوان والنبات وغيرهما من المخلوقات. فالحيوان ينعقد من ماء الذكر وماء الأنثى ، كما ينعقد النبات من الماء والتراب والهواء . ولهذا قال تعالى : ﴿بَدِيعُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُن لَّهُ صَاحِبَةٌ﴾ [الأنعام: ١٠١] ، فإن الولد لا يكون إلا من بين الذكر وصاحبته .

ولا ينقض هذا بآدم وحواء أبوينا ، ولا بالمسيح ، فإن اللَّه سبحانه خلط تراب آدم بالماء حتى صار طينًا ، ثم أرسل اللَّه الهواء والشمس عليه حتى صار كالفخار ، ثم نفخ فيه الروح ، وكانت حواء مُستَلة منه ، وجزءًا من أجزائه . والمسيح خلق من ماء مريم ، ونفخ الملك . فكانت النفخة له كالأب لغيره .

الكلمة	معناهــا
يكيدون كيدا	يمكرون مكرًا
أمهلهـــــم	أَنْظِرْهُم واصبر عليهم
رويـــــدًا	قليلاً

* * *

س ـ لماذا أقسم اللَّه سبحانه وتعالى بالسماء والطارق ؟

ج : **أقسم بهما سبحانه ـ والعلم عند اللَّه ـ لِكبَرِ حجمهما وعِظَم أمرهما .**

* * *

س ـ هل هناك فرق بين قوله تعالى : ﴿وما أدراك﴾ ، وبين قوله تعالى : ﴿وما يدريك﴾ ؟

ج : **نقل القرطبي عن سفيان قوله: كل ما في القرآن «وما أدراك» فقد أخبره به ، وكل شيء قال فيه : «وما يدريك» لم يخبره به .**

ونقل عطية سالم في «تتمته لأضواء البيان» هذا الكلام ثم قال : والواقع أنه الغالب ، فقد جاءت : وما أدراك ثلاث عشرة مرة ، كلها أخبره بها إلا واحدة ، وهي في الحاقة **﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْحَاقَّةُ﴾** [الحاقة : ٣] وما عداها ، فقد أخبره بها ؛ وهي : **﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا سَقَرُ ﴿٢٧﴾ لا تُبْقِي**

وَلا تَذَرُ ﴾ [المدثر: ٢٧، ٢٨] .

وفي المرسلات : ﴿ وَمَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الْفَصْلِ ﴾ [المرسلات: ١٤] .

وفي الانفطار : ﴿ وَمَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الدِّينِ ﴿١٧﴾ ثُمَّ مَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الدِّينِ ﴿١٨﴾ يَوْمَ لا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِّنَفْسٍ شَيْئًا ﴾ [الانفطار: ١٧ - ١٩] .

وفي المطففين : ﴿ وَمَا أَدْرَاكَ مَا سِجِّينٌ ﴿٨﴾ كِتَابٌ مَّرْقُومٌ ﴾ [المطففين: ٨، ٩] .

وفي البلد : ﴿ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْعَقَبَةُ ﴿١٢﴾ فَكُّ رَقَبَةٍ ﴾ [البلد: ١٢، ١٣].

وفي القدر : ﴿ وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ ﴿٢﴾ لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ ﴾ [القدر: ٢، ٣] .

وفي القارعة : ﴿ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْقَارِعَةُ ﴾ [القارعة: ٣] .

وأيضًا : ﴿ فَأُمُّهُ هَاوِيَةٌ ﴿٩﴾ وَمَا أَدْرَاكَ مَا هِيَهْ ﴿١٠﴾ نَارٌ حَامِيَةٌ ﴾ [القارعة: ٩ - ١١] .

وفي هذه السورة : ﴿ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الطَّارِقُ ﴿٢﴾ النَّجْمُ الثَّاقِبُ ﴾ [الطارق: ٢، ٣] ، فكلها أخبره عنها إلا في الحاقة .

وقال رحمه اللَّه أيضًا :

تنبيه :

يلاحظ أنها كلها في قصار السور من الحاقة وما بعدها ، أما ما يدريك ، فقد جاءت ثلاث مرات فقط : ﴿ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ السَّاعَةَ تَكُونُ

قَرِيبًا﴾ [الأحزاب: ٦٣] ، ﴿وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ السَّاعَةَ قَرِيبٌ﴾ [الشورى: ١٧] ، ﴿وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُ يَزَّكَّىٰ﴾ [عبس: ٣] ، فلم يخبره فيها صراحة، إلا أنه في الثالثة قد يكون أخبره لأنه قال : ﴿لَعَلَّهُ يَزَّكَّىٰ﴾ فهو وإن لم يصرح هل هو تزكى أم لا ، إلا أن لعل من اللَّه تعالى للتحقيق ، كما هو معلوم.

* * *

س ـ ما المراد بالحافظ في قوله تعالى : ﴿إِن كُلُّ نَفْسٍ لَّمَّا عَلَيْهَا حَافِظٌ﴾ [الطارق: ٤] ؟

ج : **لأهل العلم في ذلك أقوال :**

أحدها : أن الحافظ هو اللَّه سبحانه وتعالى .

الثاني : أن الحافظ ملك من الملائكة ، ولأهل العلم في ذلك أيضًا قولان :

أولهما : أن هذا الحافظ ملك يحفظ على العباد أعمالهم ويسجلها عليهم ويكتبها لهم ، كما قال تعالى : ﴿مَا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلاَّ لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾ [ق: ١٨] .

ثانيهما : أن الحافظ ملائكة يحفظونه من أمر اللَّه كما قال تعالى : ﴿لَهُ مُعَقِّبَاتٌ مِّنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ﴾ [الرعد: ١١] .

وهم أيضًا يحفظون على العبد عمله ورزقه وأجله فإذا استوفاه قُبض، واللَّه تعالى أعلم .

* * *

س ـ من المراد بالإنسان في قوله تعالى : ﴿ فلينظر الإنسان مم خلق ﴾ [الطارق: ٥] ولماذا وجه إليه الأمر بالنظر إلى أصل خلقة ؟

ج : من العلماء من قال : إن المراد بالإنسان : الإنسان الكافر ، ووجه الأمر إليه بالنظر في خلقه ليتعرف على قدرة اللَّه سبحانه وتعالى في الخلق والبعث والإحياء .

● ومن العلماء من قال : إن المراد بالإنسان عموم بني آدم .

قال الحافظ ابن كثير رحمه اللَّه : وقوله تعالى : ﴿ فَلْيَنظُرِ الإنسَانُ مِمَّ خُلِقَ ﴾ [الطارق: ٥] تنبيه للإنسان على ضعف أصله الذي خلق منه ، وإرشاد له إلى الاعتراف بالمعاد ، لأن من قدر على البداءة فهو قادر على الإعادة بطريق الأولى ، كما قال تعالى : ﴿ وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ ﴾ [الروم: ٢٧] .

❊ ❊ ❊

س ـ الضمير في قوله تعالى : ﴿ رَجْعِه ﴾ راجع إلى ماذا ؟

ج : الجمهور[1] من العلماء على أن المراد بقوله : ﴿ إِنَّهُ عَلَىٰ

---

(١) قال الشيخ محمد عطية سالم في تتمته «لأضواء البيان» :
قوله تعالى : ﴿ إِنَّهُ عَلَىٰ رَجْعِهِ لَقَادِرٌ ﴾ [الطارق: ٨] .
إنه هنا أي : إن اللَّه على رجعه ، الضمير فيه ، قيل : راجع للماء الدافق ، أي : أنه سبحانه قادر على رجع هذا الماء من حيث خرج ، كرد اللبن إلى الضرع مثلاً ، ورد الطفل إلى الرحم ، وهذا مروي عن عكرمة ومجاهد .
وقيل : على رجع الإنسان بعد الموت ، وهذا وإن كان في الأول دلالة على القدرة ، ولا يقدر عليه إلا اللَّه ، إلا أن في السياق ما يدل على أن المراد ، هو الثاني لعدة أمور : =

رَجْعِهِ﴾ [الطارق: ٨] أن اللَّه سبحانه وتعالىٰ قادر علىٰ إرجاع الإنسان حيًّا بعد إماتته ، بدليل قوله تعالىٰ : ﴿يَوْمَ تُبْلَى السَّرَائِرُ﴾ [الطارق: ٩] .

● ومن العلماء من قال : الضمير راجع إلىٰ الإنسان أيضًا لكن المراد : إرجاعه من حال الكبر إلىٰ الشباب ، ومن حال الشباب إلىٰ حال ، الصبا ، ومن حال الصبا إلىٰ النطفة .

● ومن أهل العلم من قال : إن الضمير راجع إلىٰ المني (الماء الدافق) والمعنىٰ : أن اللَّه عز وجل قادر علىٰ إرجاع المني إلىٰ الإحليل

= **الأول** : أن رد الماء لم يتعلق به حكم ولا أمر آخر سوىٰ إثبات القدرة بخلاف رجع الإنسان بعد الموت ، فهو قضية الإيمان بالبعث ، ويتعلق به أحكام يوم القيامة .

الثاني : مجيء القرآن بالخلق الأول ، دليل علىٰ الإعادة بعد الموت ، كقوله تعالىٰ في يس : ﴿وَضَرَبَ لَنَا مَثَلاً وَنَسِيَ خَلْقَهُ﴾ ـ أي : من ماء دافق ـ ﴿قَالَ مَن يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ ﴿٧٨﴾ قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾ [يس: ٧٨، ٧٩] ، أي : من ماء دافق يخرج من بين الصلب والترائب .

الثالث : أن الأول يحتاج معه إلىٰ تقدير عامل ليوم تبلىٰ السرائر ، نحو اذكر مثلاً ، بخلاف الثاني ، فإن العامل فيه : هو لقادر ، أي : لقادر علىٰ رجعه يوم تبلىٰ السرائر .

ونقل أبو حيان عن ابن عطية قوله : وكل من خالف ذلك إنما فر من أن يكون (لقادر) هو العامل في الظرف ، لأنه يوهم أن قدرته علىٰ رجعه مقيدة بذلك .

ولكن بتأمل أسلوب العرب يعلم جوازه ، لأنه قال : إنه علىٰ رجعه لقادر علىٰ الإطلاق أولا وآخرًا ، وفي كل وقت ثم ذكر تعالىٰ : وخصص من الأوقات الوقت الأهم علىٰ الكفار ، لأنه وقت الجزاء والوصول إلىٰ العذاب للتحذير منه اهـ .

فظهر بذلك أن الضمير في رجعه عائد للإنسان أي: بعد موته بالبعث ، وأن العامل هو لقادر.

وقال الطبري رحمه اللَّه : وأولىٰ الأقوال في ذلك بالصواب قول من قال: معنىٰ ذلك أن اللَّه علىٰ ردِّ الإنسان المخلوق من ماء دافق من بعد مماته حيًّا كهيئته قبل مماته لقادر ، وإنما قلت هذا أولىٰ الأقوال في ذلك بالصواب لقوله : ﴿يَوْمَ تُبْلَى السَّرَائِرُ﴾ [الطارق: ٩] فكان في =

(الذكر) وقادر على إرجاعه إلى الصلب والترائب أيضًا .

ويشهد لهذا القول ما تقدمته من آيات .

***

س ـ اذكر بمزيد من الإيضاح معنى قوله تعالى : ﴿يَوْمَ تُبْلَى السَّرَائِرُ﴾ [الطارق: ٩] ؟

ج : تقدم شيء من ذلك **وقال الطبري رحمه الله :**

وعنى بقوله : **﴿يَوْمَ تُبْلَى السَّرَائِرُ﴾** يوم تختبر سرائر العباد فيظهر منها يومئذٍ ما كان في الدنيا مستخفيًا عن أعين العباد من الفرائض التي كان الله ألزمه إياها وكلفه العمل بها .

قلت: ومن العلماء من قال: السرائر هي ما في القلوب يجزي الله بها العباد ، ومنهم من قال : من السرائر الصيام والصلاة والوضوء والحيض والنفاس ونحو ذلك ، فإذا أظهر الشخص شيئًا وأسرّ غيره أو على العكس من ذلك ظهر ذلك يوم القيامة ، ويظهر على الوجوه زينًا في الوجوه إن كان خيرًا ، وشينًا في الوجوه إن كان شرًّا ، والله أعلم .

***

س ـ وضح معنى قولـه تعالى : ﴿ فَمَا لَهُ مِن قُوَّةٍ وَلَا نَاصِرٍ ﴾ [الطارق: ١٠] ؟

= اتباعه قوله إنه على رجعه لقادر نبأ من أنباء القيامة دلالة على أن السابق قبلها أيضًا منه ، ومنه : ﴿يَوْمَ تُبْلَى السَّرَائِرُ﴾ [الطارق: ٩] يقول تعالى ذكره : إنه على إحيائه بعد مماته يوم تبلى السرائر لقادر .

ج : المعنى ـ والله أعلم ـ : ليس له قوة في نفسه يمتنع بها من عذاب الله عز وجل وأليم عقابه ، ولا ناصر ينصره .

• **قال القاسمي في «محاسن التأويل»** : يعني أنه فقد ما كان يعهده في الدنيا إذ يرجع إلى قوة بنفسه أو بعشيرته يمتنع بهم ممن أراده بسوء. وناصر حليف ينصره على من ظلمه واضطهده ، ولم يبق له إلا انتظار الجزاء على ما تقدم .

* * *

س ـ وضح المراد بكيد الكفار للمسلمين وكيد الله عز وجل لهم ؟

ج : من ذلك: ما ذكره عطية سالم في «تتمته لأضواء البيان» حيث قال : وهكذا الكيد هنا ، أنهم يكيدون للإسلام والمسلمين يريدون ليطفئوا نور الله بأفواههم ، والله يكيد لهم بالاستدراج حتى يأتي موعد إهلاكهم ، وقد وقع تحقيقه في بدر ، إذ خرجوا محادة لله ولرسوله ، وفي خيلائهم ومفاخرتهم وكيد الله لهم أن قلل المؤمنين في أعينهم ، حتى طمعوا في القتال ، وأمطر أرض المعركة ، وهم في أرض سبخة، والمسلمون في أرض رملية فكان زلقًا عليهم وثباتًا للمؤمنين ، ثم أنزل ملائكته لقتالهم . والله تعالى أعلم .

قلت : ومن ذلك كيدهم بإلقاء الشبهات والشكوك وإنكار الحقائق كقولهم : ﴿**إِنْ هِيَ إِلاَّ حَيَاتُنَا الدُّنْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ**﴾ [الأنعام: ٢٩] ، وقولهم : ﴿ **مَن يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ** ﴾ [يس: ٧٨] ، وطعنهم في رسول الله ﷺ بقولهم : ﴿**أَسَاطِيرُ الأَوَّلِينَ اكْتَتَبَهَا فَهِيَ تُمْلَىٰ عَلَيْهِ بُكْرَةً**

وَأَصِيلاً ﴾ [الفرقان: ٥] ، ووصفهم لرسول اللَّه ﷺ بأنه شاعر وكاهن ومجنون ، وتآمرهم على رسول اللَّه ﷺ لقتله ، كما قال تعالى : ﴿ وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ ﴾ [الأنفال: ٣٠] .

● ومن كيد اللَّه لهم : أن اللَّه يمهلهم ليزدادوا إثمًا ثم يأخذهم بشدة ، كما قال تعالى : ﴿ وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَى وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ ﴾ [هود: ١٠٢] ، وهو سبحانه يخادعهم كما قال : ﴿ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ ﴾ [النساء: ١٤٢] ونحو ذلك .



سُورَةُ الأَعْلَى

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى ﴿١﴾ الَّذِي خَلَقَ فَسَوَّىٰ ﴿٢﴾ وَالَّذِي قَدَّرَ فَهَدَىٰ ﴿٣﴾ وَالَّذِي أَخْرَجَ الْمَرْعَىٰ ﴿٤﴾ فَجَعَلَهُ غُثَاءً أَحْوَىٰ ﴿٥﴾ سَنُقْرِئُكَ فَلَا تَنسَىٰ ﴿٦﴾ إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ ۚ إِنَّهُ يَعْلَمُ الْجَهْرَ وَمَا يَخْفَىٰ ﴿٧﴾ وَنُيَسِّرُكَ لِلْيُسْرَىٰ ﴿٨﴾ فَذَكِّرْ إِن نَّفَعَتِ الذِّكْرَىٰ ﴿٩﴾ سَيَذَّكَّرُ مَن يَخْشَىٰ ﴿١٠﴾ وَيَتَجَنَّبُهَا الْأَشْقَى ﴿١١﴾ الَّذِي يَصْلَى النَّارَ الْكُبْرَىٰ ﴿١٢﴾ ثُمَّ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَىٰ ﴿١٣﴾

س ـ اذكر معنى ما يلي :

سبِّح ـ سوَّى ـ المرعى ـ غثاءً ـ أحوى ـ نيسرك لليسرى ـ فذكِّر ـ سيذكَّر ؟

ج :

الكلمة	معناهـا
سبِّـح	عظِّم ـ نزِّه ـ مجِّد
سـوَّى	سوَّى الخلق وعدله[1]

(١) قال عطية سالم في « تتمته لأضواء البيان » (٩/ ١٧٦) : والتسوية التقويم والتعديل ، وقد =

الكلمة	معناهـــا
المرعـــــى	النبات الذي تأكل منه الأنعام
غثـــــاءً	هو ما جفَّ من النبات ويَبُس فطارت به الريح
أحـــــوى	أحوى من الحوَّة وهي السواد بعد البياض وبعد الأخضرار من شدة اليبس
نيسرك لليسرى	نسهلك لعمل الخير
فذكـــــر	فعظ
سيذكـــــر	سيتعظ ويعتبر

* * *

خلق اللَّه كل مخلوقٍ مستوٍ على أحسن ما يتناسب لخلقته وما خلق له فخلق السموات فسواها في أقوى بناء ، وأعلى سمك ، وأشد تماسك ، لا نرى فيها من تشقق ولا فطور ، وزيَّنها بالنجوم ، وخلق الأرض ودحاها ، وأخرج منها ماءها ومرعاها ، والجبال أرساها وجعلها فراشًا ومهادًا ، وخلق الأشجار فسواًها على ما تصلح له من ذوات الثمار ووقود النار وغير ذلك .

وهذه الحيوانات في خلقتها وتسويتها آية ﴿أَفَلا يَنظُرُونَ إِلَى الإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ ﴿١٧﴾ وَإِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ ﴿١٨﴾ وَإِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ ﴿١٩﴾ وَإِلَى الأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ﴾ [الغاشية: ١٧ - ٢٠] .

أما الإنسان فهو في أحسن تقويم ، كل ذلك مما يستوجب حقًّا له سبحانه أن يسبح اسمه في ذاته ، وجميع صفاته ، حيث جمع بين الخلق والتسوية ، فلكمال القدرة والتنزيه عن كل نقص .

س ـ ما هي الصلوات التي كان النبي ﷺ يكثر فيها من قراءة سبح اسم ربك الأعلى ؟

ج : كان النبي ﷺ يقرأ سبح اسم ربك الأعلى في الجمعة والعيدين في كثير من الأحيان ، وفي الركعة الأولى من ركعتي الوتر ، وكان يحث أصحابه على القراءة بها أحيانًا في صلاة العشاء ففي «صحيح مسلم»[1] من حديث النعمان بن بشير قال : كان رسول الله ﷺ يقرأ في العيدين وفي الجمعة بسبح اسم ربك الأعلى وهل أتاك حديث الغاشية قال : وإذا اجتمع العيد والجمعة في يوم واحد يقرأ بهما أيضًا في الصلاتين .

وفي «الصحيحين»[2] أن النبي ﷺ قال لمعاذ بن جبل رضي الله عنه ـ لما صلى معاذ بالناس صلاة العشاء وأطال فيها ـ واللفظ لمسلم : **«أتريدُ أن تكون فتانًا يا معاذ إذا أممت الناس فاقرأ بالشمس وضحاها ، وسبح اسم ربك الأعلى ، واقرأ باسم ربك ، والليل إذا يغشى»** .

● وأخرج أحمد[3] في مسنده من حديث ابن عبد الرحمن بن أبزى

---

(١) أخرجه مسلم (حديث ٨٧٨) .

هذا وقد كان النبي ﷺ يقرأ بغيرها أيضًا ففي «صحيح مسلم» من حديث ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي ﷺ كان يقرأ في صلاة الجمعة سورة الجمعة والمنافقين .

(٢) أخرجه البخاري (٧٠٥) ومسلم حديث (٤٦٥) ص ٣٤٠ من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنهما ، واللفظ المذكور تفرد به مسلم ، أما لفظ البخاري ففيه . . . **«فلولا صليت بسبح اسم ربك والشمس وضحاها والليل إذا يغشى»** .

(٣) أحمد في «المسند» (٣/٤٠٦) بإسناد صحيح ، ورواه أبو داود (٢/١٣٧ و ١٣٣) وابن ماجة مختصرًا (١١٧١) والنسائي (٣/٢٣٦) من حديث عبد الرحمن بن أبزى عن أبي بن كعب .

عن أبيه عن النبي ﷺ أنه كان يقرأ في الوتر بسبح اسم ربك الأعلى ، وقل يا أيها الكافرون ، وقل هو اللَّه أحد ، فإذا سلَّم قال : «**سبحان الملك القدوس ، سبحان الملك القدوس ، سبحان الملك القدوس**» ورفع بها صوته .

* * *

س ـ هل ورد عن أحدٍ من السلف أنه كان يُسبح إذا قرأ : (سبحان ربي الأعلى) ؟

ج : نعم ورد ذلك بإسناد صحيح عن ابن عمر رضي اللَّه عنهما فأخرج الطبري بإسناد صحيح عن ابن عمر رضي اللَّه عنهما أنه كان يقرأ سبح اسم ربك الأعلى سبحان ربي الأعلى الذي خلق فسوَّى ، قال:[1] وهي في قراءة أبي بن كعب كذلك .

* * *

س ـ وضح معنى قوله تعالى : ﴿وَالَّذِي قَدَّرَ فَهَدَىٰ﴾ [الأعلى: ٣] **بمزيد من التفصيل ؟**

ج : المعنى ـ واللَّه أعلم ـ : قدَّر أقدارًا ثم هدى الخلائق إليها .

● فمن ذلك : أنه سبحانه وتعالى قدر الشقاوة على أقوام والسعادة لأقوام ، ثم هدى أهل السعادة إلى عمل السعداء ، وهدى أهل الشقاوة إلى عمل الشقاوة ، فهدى المؤمنين للإيمان والرشاد ، وهدى الكافرين

---

(١) هذا إسناد الطبري : حدثني يعقوب بن إبراهيم قال ثنا هشيم قال أخبرني أبو بشر عن سعيد ابن جبير عن ابن عمر . . .

إلى الكفر والضلال .

● ومن ذلك : أنه سبحانه قدَّر أرزاقًا وهدى الخلائق إلى أسباب طلب تلك الأرزاق والحصول عليها .

● ومن ذلك : أنه قدَّر العباد ذكرانًا وإناثًا ، ثم هدى الذكر إلى إتيان الأنثى (أي : علمه كيف يجامع أهله) إلى غير ذلك .

والقول بالتعميم أولى .

● **قال الطبري رحمه الله:** والصواب من القول في ذلك عندنا: أن الله عمَّ بقوله (فهدى) الخبر عن هدايته خلقه ولم يخصص من ذلك معنى دون معنى، وقد هداهم السبيل الخير والشر، وهدى الذكور لمأتى الإناث ، فالخبر على عمومه حتى يأتي خبر تقوم به الحجة دال على خصوصه .

● **وقال الشنقيطي «في أضواء البيان»** [1] في تفسير سورة طه عند تفسير قوله تعالى : ﴿ **رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَىٰ كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَىٰ** ﴾ [طه: ٥٠]:

وقوله تعالى في هذه الآية الكريمة : ﴿ **قَالَ رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَىٰ كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَىٰ** ﴾ [طه: ٥٠] فيه للعلماء أوجه لا يكذب بعضها بعضًا ، وكلها حق ، ولا مانع من شمول الآية لجميعها . منها : أن معنى ﴿ **أَعْطَىٰ كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَىٰ** ﴾ [طه: ٥٠] : أنه أعطى كل شيء نظير خلقه في الصورة والهيئة ، كالذكور من بني آدم أعطاهم نظير خلقهم من الإناث أزواجًا . وكالذكور من البهائم أعطاها نظير خلقها في صورتها وهيئتها من الإناث أزواجًا ؛ فلم يعط الإنسان خلاف خلقه

---

(١) «أضواء البيان» (٤/ ٤١٧ ـ ٤١٨ ـ ٤١٩) .

فيزوجه بالإناث من البهائم ، ولا البهائم بالإناث من الإنس ، ثم هدىٰ الجميع لطريق المنكح الذي منه النسل والنماء ، كيف يأتيه ، وهدىٰ الجميع لسائر منافعهم من المطاعم والمشارب وغير ذلك .

وهذا القول مروي عن ابن عباس رضي اللَّه عنهما من طريق علي ابن أبي طلحة ، وعن السدي وسعيد بن جبير ، وعن ابن عباس أيضًا ﴿ثُمَّ هَدَىٰ﴾ أي : هداه إلىٰ الألفة والاجتماع والمناكحة .

وقال بعض أهل العلم: ﴿أَعْطَىٰ كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَىٰ﴾ [طه: ٥٠]: أي : أعطىٰ كل شيء صلاحه ثم هداه إلىٰ ما يصلحه ، وهذا مروي عن الحسن وقتادة .

وقال بعض أهل العلم: ﴿أَعْطَىٰ كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَىٰ﴾ [طه: ٥٠]: أي : أعطىٰ كل شيء صورته المناسبة له ؛ فلم يجعل الإنسان في صورة البهيمة ، ولا البهيمة في صورة الإنسان ، ولكنه خلق كل شيء علىٰ الشكل المناسب له فقدره تقديراً ، كما قال الشاعر :

وله في كل شيء خلقة ∴ وكذاك اللَّه ما شاء فعل

يعني بالخلقة : الصورة ، وهذا القول مروي عن مجاهد ومقاتل وعطية وسعيد بن جبير ﴿ثُمَّ هَدَىٰ﴾ كل صنف إلىٰ رزقه وإلىٰ زوجه .

وقال بعض أهل العلم: ﴿أَعْطَىٰ كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَىٰ﴾ [طه: ٥٠]: أي أعطىٰ كل شيء صورته وشكله الذي يطابق المنفعة المنوطة به ، كما أعطىٰ العين الهيئة التي تطابق الإبصار، والأذن الشكل الذي يوافق الاستماع . وكذلك الأنف والرجل واللسان وغيرها ، كل واحد منها

مطابق لما علق به من المنفعة غير نابٍ عنه . وهذا القول روي عن الضحاك . وعلى جميع هذه الأقوال المذكورة فقوله تعالى : ﴿كُلَّ شَيْءٍ﴾ هو المفعول الأول لـ «أعطى» و «خلقه» هو المفعول الثاني .

وقال بعض أهل العلم : إن «خلقه» هو المفعول الأول ، و«كل شيء» هو المفعول الثاني . وعلى هذا القول ، فالمعنى : أنه تعالى أعطى الخلائق كل شيء يحتاجون إليه ، ثم هداهم إلى طريق استعماله . ومعلوم أن المفعول من مفعولي باب كسا ، ومنه «أعطى» في الآية لا مانع من تأخيره وتقديم المفعول الأخير إن أمن اللبس ، ولم يحصل ما يوجب الجري على الأصل كما هو معلوم في علم النحو ؛ وأشار له في «الخلاصة» بقوله :

ويلزم الأصل لموجب عرا .. وترك ذاك الأصل حتمًا قد يرى

قال مقيده عفا اللَّه عنه : ولا مانع من شمول الآية الكريمة لجميع الأقوال المذكورة ؛ لأنه لا شك أن اللَّه أعطى الخلائق كل شيء يحتاجون إليه في الدنيا ، ثم هداهم إلى طريق الانتفاع به . ولا شك أنه أعطى كل صنف شكله وصورته المناسبة له ، وأعطى كل ذكر وأنثى الشكل المناسب له من جنسه في المناكحة والألفة والاجتماع . وأعطى كل عضو شكله الملائم للمنفعة المنوطة به . فسبحانه جل وعلا ! ما أعظم شأنه وأكمل قدرته ؟!

وفي هذه الأشياء المذكورة في معنى هذه الآية الكريمة براهين قاطعة على أنه جل وعلا رب كل شيء ، وهو المعبود وحده جل وعلا : ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ لَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [القصص : ٨٨] .

وقد حرر العلامة الشيخ تقي الدين أبو العباس بن تيمية رحمه اللَّه في رسالته في علوم القرآن : أن مثل هذا الاختلاف من اختلاف السلف في معاني الآيات ليس اختلافًا حقيقيًا متضادًا يكذب بعضه بعضًا ، ولكنه اختلاف تنوعي لا يكذب بعضه بعضًا ، والآيات تشمل جميعه ، فينبغي حملها على شمول ذلك كله ، وأوضح أن ذلك هو الجاري على أصول الأئمة الأربعة رضي اللَّه عنهم ، وعزاه لجماعة من خيار أهل المذاهب الأربعة . والعلم عند اللَّه تعالى .

* * *

س ـ اذكر بمزيد من التفصيل معنى قوله تعالى : ﴿سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الأَعْلَى﴾ [الأعلى: ١] ؟

ج : للخوض في تأويل ذلك نورد تساؤلاً آخر ثم نبين بمشيئة اللَّه أقوال العلماء في الإجابة عليه ، ألا وهو : هل المراد سبح اسم ربك الأعلى ؟ أو سبح ربك الأعلى (بدون ذكر اسم) ؟ .

فالآية الكريمة فيها سبح اسم ربك الأعلى ، أي : أن الذي يُسبح هو (اسم ربنا) في هذه الآية الكريمة ، والمعنى: **نزه اسم ربك** يا محمد عن أن تسمى به شيئًا من الأشياء سواه ، ولا تفعل كما يفعل أهل الشرك إذ يشتقون لأسمائهم أسماءً من أسماء اللَّه سبحانه وتعالى فيقولون : اللات ، ويقولون : العزى ، وكما يقول كذاب اليمامة مسيلمةُ عن نفسه : إنه رحمن اليمامة .

ويلتحق بذلك تنزيه اسم اللَّه عن اللهو والباطل كمن يعبث

بأسماء اللَّه ويلهو بها ، أو كمن ينقش أسماء اللَّه على نعال أو على ثياب ممتهنة أو يلقي الأوراق التي فيها ذكر اللَّه على الأرض توطأ بالأقدام ونحو ذلك .

وتسبيح الاسم كما في قوله تعالى : ﴿فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ﴾ [الواقعة: ٩٦] .

ومن العلماء من قال: إن (اسم) صلة كبيت الشعر المنسوب للبيد:

إلى الحول ثم اسم السلام عليكما

ومن يبكِ حولاً كاملاً فقد اعتذر

● والمعنى عند بعض العلماء: (إلى الحول ثم السلام عليكما)[1].

والمعنى على هذا التأويل : سبح ربك الأعلى : **أي : عظِّم ربك الأعلى الذي لا رب أعلى منه ولا أعظم** ، وقد ورد الأمر بتسبيح اللَّه في قوله تعالى : ﴿وَسَبِّحْهُ لَيْلاً طَوِيلاً﴾ [الإنسان: ٢٦] ، وفي قوله تعالى : ﴿سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾ [الصافات: ١٨٠].

ويقال أيضًا : والمراد بتسبيحه هنا : تنزيهه عن كل ما لا يليق به ، فمن ذلك : تنزيهه عن اتخاد الولد ، كما قال تعالى : ﴿وَقَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ ...﴾ [البقرة: ١١٦] ، وكما قال تعالى : ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ ذَلِكَ قَوْلُهُم بِأَفْوَاهِهِمْ يُضَاهِئُونَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن قَبْلُ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ ﴿٣٠﴾ اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ

---

(١) انظر كلامنا على هذا البيت في سورة الفاتحة .

وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُوا إِلاَّ لِيَعْبُدُوا إِلَهًا وَاحِدًا لاَّ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [التوبة: ٣٠، ٣١] .

وتنزيهه عن الشريك :

كما قال تعالى : ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلاَّ اللَّهُ لَفَسَدَتَا فَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾ [الأنبياء: ٢٢] .

• وكما قال تعالى : ﴿وَالسَّمَوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [الزمر: ٦٧] .

• ومن العلماء من قال : إن معنى ﴿سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الأَعْلَى﴾ [الأعلى: ١] : **هو قل : سبحان ربي الأعلى** ، وعزاه ابن الجوزي في «زاد المسير» إلى الجمهور ، ويُستدل لهذا القول بأن النبي ﷺ لما نزلت هذه الآية قال : «**اجعلوها في سجودكم**» ، وبأن عددًا من الصحابة كانوا يقولون إذا قرأوا : ﴿سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الأَعْلَى﴾ [الأعلى: ١] : سبحان ربي الأعلى .

• ومن العلماء من قال : سبح اسم ربك الأعلى : أي صلِّ وأنت له ذاكر .

• ومنهم من قال : كذلك له واخشع له عند ذكره .

• ومنهم من قال : ﴿سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الأَعْلَى﴾ : أي : اذكره بالتسبيح كما تذكره بالحمد والتكبير والتهليل ونحو ذلك ، وكل ذلك محتمل ، العلم عند اللَّه تعالى .

* * *

س ـ وضح معنى قوله تعالى : ﴿ سَنُقْرِئُكَ فَلا تَنسَىٰ ﴾ [الأعلى: ٦] ؟

ج : المعنى ـ والله أعلم ـ : سنقرؤك يا محمد هذا القرآن ونعلّمه لك ونجمعه لك في قلبك فتحفظه فلا تنساه إلا إذا شاء الله .

* * *

س ـ ذكر بعض أهل العلم في قوله تعالى : ﴿ سَنُقْرِئُكَ فَلا تَنسَىٰ ﴾ [الأعلى: ٦] أوجهًا لإعجاز ، بيِّن هذه الأوجه ؟

ج : من هذه الأوجه ، أن النبي ﷺ كان رجلاً أميًّا ، كما قال تعالى : ﴿ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الأُمِّيَّ ﴾ [الأعراف: ١٥٧] ، لا يقرأ ولا يكتب ، كما قال تعالى : ﴿ وَمَا كُنتَ تَتْلُو مِن قَبْلِهِ مِن كِتَابٍ وَلا تَخُطُّهُ بِيَمِينِكَ ﴾ [العنكبوت: ٤٨] ، ومع ذلك حفظ هذا القرآن الكريم بهذا الطول الذي هو عليه فهذا شيء خارق للعادة فيكون ذلك مُعجزًا .

● ومن هذه الأوجه : أن الله عز وجل أخبر بأمرٍ فوقع كما أخبر سبحانه وتعالى، فهذه السورة سورة مكية من أوائل ما نزل بمكة أخبر الله فيها أنه سيقرئه فأقرأه كما أخبر ، وأنزل عليه القرآن كما وعد ، فوجه الإعجاز أنه إخبار بالغيب فوقع كما أُخبر به ، والله أعلم .

* * *

س ـ اذكر بعض الأسباب المعينة على حفظ القرآن وعدم نسيانه ؟

ج : من هذه الأسباب ما يلي :

● تعاهد القرآن ومداومة قراءته ومراجعته ، قال النبي ﷺ [(١)] :

(١) أخرجه البخاري مع «الفتح» (٩/ ٧٩) ومسلم مع النووي (٦/ ٧٥) من حديث ابن عمر رضي الله عنهما مرفوعًا، وفي رواية لمسلم: «... وإذا قام صاحب القرآن فقرأه بالليل والنهار =

«إنما مثل صاحب القرآن كمثل صاحب الإبل المعقلة إن عاهد عليها أمسكها وإن أطلقها ذهبت» .

وقال عليه الصلام والسلام [١]: «تعاهدوا القرآن فوالذي نفسي بيده لهو أشد تفصيًا من الإبل في عقلها» .

● ومن ذلك : التخفف من الذنوب والمعاصي ، فإن الذنوب والمعاصي تزيل النعم ، وحفظ كتاب اللَّه من أعظم النعم ، وضياعه وذهابه مصيبة من المصائب الكبرى ، وقد قال تعالى : ﴿وَمَا أَصَابَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَن كَثِيرٍ﴾ [الشورى: ٣٠] .

● ومن ذلك أيضًا : التخفف من الهموم والأحزان والتعوذ منها ، فإن الهموم والأحزان تذهب بالذاكرة ، ورب العزة سبحانه وتعالى يقول : ﴿مَا جَعَلَ اللَّهُ لِرَجُلٍ مِّن قَلْبَيْنِ فِي جَوْفِهِ﴾ [الأحزاب: ٤] .

● ومن ذلك : شكر اللَّه عز وجل على هذه النعمة ، فإن الشكر يزيد النعم ، قال تعالى : ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ﴾ [إبراهيم: ٧] .

● ومن ذلك : طلب الثبات من اللَّه ، فهو سبحانه قادر على إذهابه بعد حفظه ، قال تعالى : ﴿وَلَئِن شِئْنَا لَنَذْهَبَنَّ بِالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ بِهِ عَلَيْنَا وَكِيلًا . . .﴾ [الإسراء: ٨٦] .

* * *

= ذكره وإذا لم يقم به نسيه» .

(١) أخرجه البخاري (٩/ ٧٩) مع «الفتح» ومسلم (٦/ ٧٨) مع النووي من حديث أبي موسى الأشعري رضي اللَّه عنه مرفوعًا .

س ـ هل صح حديث فيما يفعله من أراد أن لا ينسى القرآن بعد حفظه ؟

ج : لا أعلم في هذا الباب حديثًا صحيحًا إلا ما أخرجه البخاري ومسلم[١] من حديث ابن عمر رضي اللَّه عنهما أن رسول اللَّه ﷺ قال : **«إنما مثل صاحب القرآن كمثل الإبل المعقلة إن عاهد عليها أمسكها وإن أطلقها ذهبت»** ، وفي رواية لمسلم : **«وإذا قام صاحب القرآن فقرأه بالليل والنهار ذكره وإذا لم يقم به نسيه»** .

وفي «الصحيحين»[٢] أيضًا من حديث أبي موسى رضي اللَّه عنه عن النبي ﷺ قال : **«تعاهدوا القرآن فوالذي نفسي بيده لهو أشد تفصيًا من الإبل في عقلها»** .

فاستفيد من هذين الحديثين أن خير وسيلة لتثبيت القرآن في الصدور ـ بعد توفيق اللَّه سبحانه وتعالى ـ هو استذكاره وتعاهده ومراجعته في الصلوات وغيرها .

أما الأحاديث الواردة في أفعال مخصوصة لتثبيت القرآن في الصدور من صلوات وأدعية ونحو ذلك ، ففيها ضعف[٣] .

* * *

---

(١) أخرجه مسلم (٧٨٩) والبخاري مع «الفتح» (٩/ ٧٩) .

(٢) البخاري مع «الفتح» (٩/ ٧٩) ومسلم مع النووي (٦/ ٧٨) وأحمد (٢/ ٣٩٧) .

(٣) انظر: «تنزيه الشريعة» للكناني (المجلد الثاني/ ١١١) ، و« الموضوعات » لابن الجوزي (٢/ ١٣٨) .

س ـ اذكر آية في معنى قوله تعالى : ﴿ سَنُقْرِئُكَ فَلا تَنسَىٰ ﴾ [الأعلى: ٦] ؟

ج : الآية التي معناها قوله تعالى : ﴿لا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ ﴿١٦﴾ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ ﴿١٧﴾ فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ ﴿١٨﴾ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ . .﴾ [القيامة: ١٦ - ١٩] .

ففي «الصحيحين»[(١)] من حديث ابن عباس رضي اللّه عنهما قال : كان رسول اللّه ﷺ يعالج من التنزيل شدة ، وكان مما يُحرِّك شفتيه ، فقال ابن عباس : فأنا أحركهما لكم كما كان رسول اللّه ﷺ يُحرِّكهما ، وقال سعيد : أنا أحركهما كما رأيت ابن عباس يحركهما ، فحرك شفتيه ، فأنزل اللّه تعالى : ﴿لا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ ﴿١٦﴾ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ﴾ [القيامة: ١٦ - ١٧] ، قال : جمعه لك في صدرك وتقرأه ﴿فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ﴾ [القيامة: ١٨] قال : فاستمع له وأنصت ﴿ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ﴾ ثم إن علينا أن تقرأه ، فكان رسول اللّه ﷺ بعد ذلك إذا أتاه جبريل استمع فإذا انطلق جبريل قرأه النبي ﷺ كما قرأه .

* * *

س ـ ما هو المعني بالاستثناء في قوله تعالى : ﴿إِلاَّ مَا شَاءَ اللَّهُ﴾ [الأعلى: ٧] ؟

ج : لأهل العلم في ذلك أقوال نورد بعضها :

(١) أخرجه البخاري (حديث رقم ٥) ومسلم (حديث ٤٤٨) .

القول الأول : أن المستثنى هنا هو ما نسخه اللّه من القرآن فرفع حكمه وتلاوته .

القول الثاني : أنه عليه الصلاة والسلام ينسى بعض الآيات لتعليم أمته ماذا يصنعون إذا نسوا آية ، وقد قال عليه الصلاة والسلام : «**لقد أذكرني آية كذا وكذا كنت أنسيتها من سورة كذا وكذا**»[(١)] .

القول الثالث: أن النسيان هنا بمعنى الترك، والمعنى: إلا ما شاء اللّه أن تترك العمل به مما ننسخه .

القول الرابع: أن اللّه ما أنسى نبيه شيئا، ولكنه سبحانه بيَّن لنبيه عليه الصلاة والسلام أنه سبحانه إذا أراد أن ينسيه أنساه ، كما قال تعالى : ﴿ **وَلَئِن شِئْنَا لَنَذْهَبَنَّ بِالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ ..** ﴾ [الإسراء: ٨٦] ، والآية كقوله تعالى : ﴿ **خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَوَاتُ وَالأَرْضُ إِلاَّ مَا شَاءَ رَبُّكَ** ﴾ [هود:١٠٨] .

قال القاسمي في «محاسن التأويل» : وبالجملة ففائدة هذا الاستثناء: أن اللّه تعالى يعرفه قدرة ربه حتى يعلم أن عدم النسيان من فضل اللّه وإحسانه لا من قوته .

* * *

س ـ المعهود أن يقال : (ونيسر عليك اليسرى) فلما قيل :

---

(١) أخرجه البخاري (٥٠٣٨) ومسلم (حديث ٧٨٨) من حديث عائشة رضي اللّه عنها قالت : سمع رسول اللّه ﷺ رجلاً يقرأ في سورة الليل فقال : «**يرحمه اللّه قد أذكرني ...**» .

﴿وَنُيَسِّرُكَ لِلْيُسْرَىٰ﴾ [الأعلى: ٨] أي : نسهلك للعمل ، ونحو ذلك في قوله تعالى : ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَاتَّقَىٰ ۝ وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَىٰ ۝ فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَىٰ ..﴾ [الليل: ٥ - ٧] ؟ .

ج : الظاهر لي ـ والله أعلم ـ : أن قوله : ﴿وَنُيَسِّرُكَ لِلْيُسْرَىٰ﴾ [الأعلى: ٨] ، أولى بلا شك من قوله (ونيسر عليك اليسرى) ، وذلك لأمور أولها ابتداء : أن الله عز وجل ذكر : ﴿وَنُيَسِّرُكَ لِلْيُسْرَىٰ﴾ [الأعلى: ٨] فهي الأولى لذلك ، ثم يظهر لي أيضًا أن الشخص إذا يُسر للعمل أقبل عليه بانشراح صدر وطيب خاطرٍ فيعمله وهو قرير العين ، فكأن هذا العمل من جبلته[1] وفطرته وليس عملاً تكلفه وعُهد إليه به وأُريد منه أداؤه والله أعلم .

* * *

س ـ اذكر بمزيد من الإيضاح معنى قوله تعالى : ﴿وَنُيَسِّرُكَ لِلْيُسْرَىٰ﴾ [الأعلى: ٨] ؟

ج : أما معنى نيسر ، نسهل ، ونيسرك نسهلك ، ومن العلماء من قال : نسهل عليك .

● أما اليسرى فمن العلماء من قال: هي الجنة ، فيكون المعنى : نسهلك (أو نسهل عليك) للعمل الصالح المؤدي إلى الجنة .

● ومن العلماء من قال: اليسرى الطريقة اليسرى ، أي : التي هي

---

(١) كما أن الملائكة من جبلتها أنهم يسبحون الليل والنهار لا يفترون .

أيسر وأسهل ، ومن العلماء من قال : إن المعنىٰ : نسهلك للطريقة السهلة الميسرة لحفظ كتاب اللَّه وهذا بالنظر إلىٰ الآيات التي قبلها ، فقال تعالىٰ : ﴿ سَنُقْرِئُكَ فَلا تَنسَىٰ ۝٦ إِلاَّ مَا شَاءَ اللَّهُ إِنَّهُ يَعْلَمُ الْجَهْرَ وَمَا يَخْفَىٰ ۝٧ وَنُيَسِّرُكَ لِلْيُسْرَىٰ ﴾ [الأعلى: ٦ - ٨] : أي : سنوفقك إلىٰ الطريقة اليسرىٰ لحفظ القرآن .

• ومن العلماء من قال قولاً قريبًا من هذا القول ، وهو : سنهون عليك الوحي حتىٰ تحفظه وتعلمه وتؤديه .

• ومن العلماء من قال : سنوفقك للشريعة السمحة السهلة ، فنشرع لك شرعًا سمحًا مستقيمًا عدلاً لا اعوجاج فيه ولا حرج . واللَّه تعالىٰ أعلم .

* * *

س ـ اذكر بمزيد من الإيضاح معنىٰ قوله تعالىٰ : ﴿ فَذَكِّرْ إِن نَّفَعَتِ الذِّكْرَىٰ ﴾ [الأعلى: ٩] ؟

ج : مدار التأويل والتذكير علىٰ معنىٰ (إن) في الآية الكريمة ، فلأهل العلم فيها أقوال :

أحدها : أن (إن) بمعنىٰ (حيث) وهذا اختيار ابن كثير رحمه اللَّه فإنه قال : وقوله تعالىٰ : ﴿ فَذَكِّرْ إِن نَّفَعَتِ الذِّكْرَىٰ ﴾ [الأعلى: ٩] : أي : ذكِّر حيث تنفع التذكرة ، ومن ههنا يؤخذ الأدب في نشر العلم فلا يضعه عند غير أهله ، كما قال ابن مسعود رضي اللَّه عنه : ما أنت

بمحدثٍ قومًا حديثًا لا تبلغه عقولهم إلا كان لبعضهم فتنة[١].

وقال علي رضي اللّه عنه : حدثوا الناس بما يعرفون أتحبون أن يُكَذَّب اللّه ورسوله[٢].

قلت : فعلى هذا القول ينبغي أن ينظر المُذكر إلى الحالة التي أمامه : هل يُرجى من وراء تذكيرها انتفاع أو لا يرجى ، وهل التذكير سيأتي بمفسدة أعظم أم أن وجه الانتفاع أرجى وأظهر ، ومن ثمَّ يقرر هل يُقدم على التذكير أو لا يُقدم .

● ويشهد لهذا القول العمومات الواردة في اختيار أخف الضررين والمفاسد والمصالح ونحو ذلك .

الثاني : هو أن (إن) بمعنى قد ، فالمعنى فذكر فقد تنفع الذكرى .

الثالث : أن في الآية محذوف دل عليه السياق ، فالمعنى : فذكر إن نفعت الذكرى وإن لم تنفع ، كما قال تعالى : ﴿**وَجَعَلَ لَكُمْ سَرَابِيلَ تَقِيكُمُ الْحَرَّ**﴾ [النحل: ٨١] : أي : وتقيكم البرد كذلك ، ولكن حذف البرد لدلالة السياق عليه ، فذكر سبحانه أشرف الحالين وهو الانتفاع بالتذكرة ونبه على الأخرى .

● ونقل القرطبي عن الجرجاني قوله : التذكير واجب وإن لم ينفع.

---

(١) أخرجه مسلم في المقدمة ص ١١ وفي إسناده انقطاع .

(٢) أخرجه البخاري (حديث ١٢٧) من طريق معروف بن خربوذ عن أبي الطفيل عن عليٍّ بذلك . .

• ونقل الشوكاني في «فتح القدير» عن الواحدي قوله : إن نفعت وإن لم تنفع ، لأن النبي ﷺ بُعث مبلغًا للإعذار والإنذار ، فعليه التذكير في كل حال نفع أو لم ينفع .. واختار الشوكاني هذا القول الذي ذهب إليه الواحدي والجرجاني وقال : وقد سبقهما إلى القول به الفراء والنحاس .

قلت : ويتأيد هذا بقوله تعالى : ﴿ اذْهَبَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَىٰ ﴿٤٣﴾ فَقُولا لَهُ قَوْلاً لَّيِّنًا لَّعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ ﴾ [طه: ٤٣، ٤٤] .

وقوله تعالى : ﴿ وَإِذْ قَالَتْ أُمَّةٌ مِّنْهُمْ لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا اللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا قَالُوا مَعْذِرَةً إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴾ [الأعراف: ١٦٤] .

وقول قوم نوح لنوحٍ عليه السلام : ﴿ قَدْ جَادَلْتَنَا فَأَكْثَرْتَ جِدَالَنَا ﴾ [هود: ٣٢] .

وقول نوح عليه السلام : ﴿ رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلاً وَنَهَارًا ﴿٥﴾ فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَائِي إِلاَّ فِرَارًا ﴿٦﴾ وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوا أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ وَاسْتَغْشَوْا ثِيَابَهُمْ وَأَصَرُّوا وَاسْتَكْبَرُوا اسْتِكْبَارًا ﴿٧﴾ ثُمَّ إِنِّي دَعَوْتُهُمْ جِهَارًا ﴿٨﴾ ثُمَّ إِنِّي أَعْلَنتُ لَهُمْ وَأَسْرَرْتُ لَهُمْ إِسْرَارًا ... ﴾ [نوح: ٥ - ٩] .

• وقال بعض أهل العلم ما حاصله : إن تخلف قوله: (إن نفعت الذكرىٰ) لا تأثير له في التذكير، فالمعنىٰ: (فذكر)، أما قوله: (إن نفعت الذكرىٰ) فهو كقوله تعالىٰ : ﴿ إِنْ أَرَدْنَ تَحَصُّنًا ﴾ [النور: ٣٣] في قوله

تعالى : ﴿ وَلا تُكْرِهُوا فَتَيَاتِكُمْ عَلَى الْبِغَاءِ إِنْ أَرَدْنَ تَحَصُّنًا ﴾ [النور: ٣٣] .

● ومن هذا الباب : قوله تعالى : ﴿ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَقْصُرُوا مِنَ الصَّلاةِ إِنْ خِفْتُمْ أَن يَفْتِنَكُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا ﴾ [النساء: ١٠١] ، فإن القصر جائز[١] وإن لم يوجد الخوف .

وقوله : ﴿ وَلَمْ تَجِدُوا كَاتِبًا فَرِهَانٌ مَّقْبُوضَةٌ ﴾ [البقرة: ٢٨٣] ، والرهن جائز مع الكتابة ، وقوله تعالى : ﴿ فَلا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَن يَتَرَاجَعَا إِن ظَنَّا أَن يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ ﴾ [البقرة: ٢٣٠] ، والمراجعة جائزة بدون هذا الظن .

وقوله تعالى : ﴿ وَاشْكُرُوا لِلَّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴾[٢] [البقرة: ١٧٢] .

● ومن العلماء من فصَّل في مسألة النصح فقال : **إن المدعوين من الناس على أقسام :**

● **القسم الأول** : قسم يترجح لدى الناصح أنهم ينتفعون بالذكرى وهم أهل الإيمان ، فهؤلاء يُذكروا ، كما قال تعالى : ﴿ وَذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرَىٰ تَنفَعُ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ [الذاريات: ٥٥] ، وكما قال تعالى : ﴿ فَذَكِّرْ بِالْقُرْآنِ مَن يَخَافُ وَعِيدِ ﴾ [ق: ٤٥] .

● **القسم الثاني** : قسم مقطوع بعدم نفعه كمن بُيِّن له مرارًا وتكرارًا فما وُجد منه إلا السخرية والاستهزاء من الدين ومحاربة أهله ومحاربة الواعظين ، فهذا لا نفع في تذكيره[٣] .

---

(١) وقد أوجبه بعض العلماء .

(٢) أشار إلى ذلك الرازي .

(٣) وقد قال موسى عليه الصلاة والسلام : ﴿ رَبَّنَا إِنَّكَ آتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَمَلأَهُ زِينَةً وَأَمْوَالاً فِي =

● القسم الثالث : قسم يظن أنه قد يتعظ وقد لا يتعظ ، فهذا أيضًا يذكر ، والله تعالىٰ أعلم .

* * *

س ـ الضمير في قوله تعالىٰ : ﴿ وَيَتَجَنَّبُهَا الأَشْقَى ﴾ [الأعلى : ١١] يرجع إلىٰ ماذا ؟

ج : الضمير يرجع إلىٰ الذكرىٰ ، فالمعنىٰ : ويتجنب الأشقىٰ الذكرىٰ ، أي : يبتعد عنها ولا ينتفع بها .

* * *

س ـ من المراد بالشقي في قوله تعالىٰ : ﴿ وَيَتَجَنَّبُهَا الأَشْقَى ﴾ [الأعلى : ١١] ؟

ج : هو الذي كتبت عليه الشقاوة وهو في بطن أمه ، وكتب عليه أنه سيموت علىٰ الكفر ، والله أعلم .

* * *

س ـ وضح معنىٰ قوله تعالىٰ : ﴿ ثُمَّ لا يَمُوتُ فِيهَا وَلا يَحْيَى ﴾ [الأعلى : ١٣] ؟

ج : **قال الطبري رحمه الله** : وذلك أن نفس أحدهم تصير فيها

= **الْحَيَاةِ الدُّنْيَا رَبَّنَا لِيُضِلُّوا عَن سَبِيلِكَ رَبَّنَا اطْمِسْ عَلَىٰ أَمْوَالِهِمْ وَاشْدُدْ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَلا يُؤْمِنُوا حَتَّىٰ يَرَوُا الْعَذَابَ الأَلِيمَ** ﴾ [يونس : ٨٨] .

(أي: في النار الكبرى) في حلقه فلا تخرج فتفارقه فيموت ، ولا ترجع إلى موضعها من الجسم فيحيا ، وقيل : لا يموت فيها فيستريح ، ولا يحيا حياة تنفعه .

وقال آخرون : قيل ذلك لأن العرب كانت إذا وصفت الرجل بوقوعٍ في شدَّة شديدة قالوا : لا هو حي ولا هو ميت ، فخاطبهم الله بالذي جرى به ذلك من كلامهم .

ومما يؤيد أنهم لا يموتون فيها ولا يستريحون قوله تعالى : ﴿لا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا وَلا يُخَفَّفُ عَنْهُم مِّنْ عَذَابِهَا﴾ [فاطر: ٣٦] .

● وقوله تعالى : ﴿وَيَأْتِيهِ الْمَوْتُ مِن كُلِّ مَكَانٍ وَمَا هُوَ بِمَيِّتٍ﴾ [إبراهيم: ١٧] .

● وقوله تعالى : ﴿ وَنَادَوْا يَا مَالِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ قَالَ إِنَّكُم مَّاكِثُونَ﴾ [الزخرف: ٧٧] .

وقوله تعالى : ﴿إِنَّهُ مَن يَأْتِ رَبَّهُ مُجْرِمًا فَإِنَّ لَهُ جَهَنَّمَ لا يَمُوتُ فِيهَا وَلا يَحْيَىٰ﴾ [طه: ٧٤] .

● وما ورد عن رسول الله ﷺ في ذبح الموت على قنطرة بين الجنة والنار[1] .

---

(١) أخرج مسلم من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه (٢٨٤٩) قال : قال رسول الله ﷺ: «يجاء بالموت يوم القيامة كأنه كبش أملح فيوقف بين الجنة والنار فيقال : يا أهل الجنة هل تعرفون هذا ؟ فيشرئبون وينظرون ويقولون : نعم هذا الموت ، قال : ويُقال : يا أهل النار هل تعرفون هذا ؟ قال : فيشرئبون وينظرون ويقولون : نعم هذا الموت ، قال : فيؤمر به فيذبح ، =

• وقوله عليه الصلاة والسلام : «وأما أهل النار الذين هم أهلها لا يموتون ولا يحيون .. »[1] .



= قال : ثم يقال : يا أهل الجنة خلود فلا موت ويا أهل النار خلود فلا موت» ، قال : ثم قرأ رسول الله ﷺ : ﴿وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ إِذْ قُضِيَ الأَمْرُ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ وَهُمْ لا يُؤْمِنُونَ﴾ [مريم: ٣٩] وأشار بيده إلى الدنيا .

(١) أخرج مسلم (حديث ١٨٥) من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : «أمَّا أهل النار الذين هم أهلها فإنهم لا يموتون فيها ولا يحيون ، ولكن ناس أصابتهم النار بذنوبهم (أو قال : بخطاياهم) فأماتهم إماتة حتى إذا كانوا فحمًا أُذن بالشفاعة فجيء بهم ضبائر ضبائر فبثوا على أنهار الجنة ، ثم قيل : يا أهل الجنة أفيضوا عليهم فينبتون نبات الحبة تكون في حميل السيل» فقال رجل من القوم : كأن رسول الله ﷺ كان بالبادية .

﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن تَزَكَّىٰ ﴿١٤﴾ وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّىٰ ﴿١٥﴾ بَلْ تُؤْثِرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ﴿١٦﴾ وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ ﴿١٧﴾ إِنَّ هَٰذَا لَفِي الصُّحُفِ الْأُولَىٰ ﴿١٨﴾ صُحُفِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ ﴿١٩﴾﴾

س ـ اذكر معنى ما يلي : أفلح ـ تزكى ـ تؤثرون ؟

ج :

الكلمة	معناهـا
أفلـح	فاز ونجح وأدرك مطلبه ونجى من المخاطر
تزكّـى	أسلم وتطهر من الكفر والمعاصي ووحد اللّه وعمل بشرائعه ـ تكثَّر من التقوى ـ طهر نفسه من الأخلاق الرذيلة واتبع ما أنزل على الرسول ﷺ ـ أدى ذكاة ماله ـ أدى زكاة الفطر[1] .
تؤثـرون	تقدِّمون وتفضلون

* * *

(١) هذه جملة أقوال للعلماء في تفسير تزكّى ، وبعضها أرجح من بعض فَرُجِّح القول الأول بان زكاة الفطر لم تكن فرضت بمكة ، والسورة مكية .

س ـ ما المراد بالذكر ، وما المراد بالصلاة في قوله تعالى : ﴿ وذكر اسم ربه فصلى ﴾ [الأعلى: ١٥] ؟

ج : أما المراد بقوله : ﴿ وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ ﴾ فلأهل العلم فيه أقوال :

أحدها : وحد الله سبحانه وتعالى .

الثاني : ذكر الله ودعاه ورغب إليه .

الثالث : ذكر ربه فخافه فعبده وصلى له .

• **أما المراد بالصلاة** هنا فللعلماء فيه أقوال :

أحدها : أن المراد صلى الصلوات الخمس .

الثاني : أن المراد صلى صلاة تطوع .

الثالث : أن المراد صلى صلاة العيدين(١) .

الرابع : أن المراد بالصلاة الدعاء . والله تعالى أعلم .

* * *

س ـ وضح معنى قوله تعالى : ﴿ بَلْ تُؤْثِرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنيَا .. ﴾ [الأعلى: ١٦] ومن المخاطب بها ؟

ج : المعنى ـ والله أعلم ـ : أنكم لا تقبلون على التزكي وذكر اسم ربكم والصلاة ، بل تؤثرون اللذات الفانية الموجودة في الدنيا وتحبونها ، كما قال تعالى : ﴿ **كَلَّا بَلْ تُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ** ﴿٢٠﴾ **وَتَذَرُونَ**

---

(١) واعترض على الأخير بأن السورة مكية وصلاة العيد فرضت بالمدينة .

الآخِرَةَ ﴾ [القيامة: ٢٠، ٢١] .

أما المخاطب بالآية الكريمة فلأهل العلم فيها قولان :

أحدهما : أن المراد بالآية الكفرة والمراد بإيثار الحياة الدنيا الرضا بها والاطمئنان إليها والإعراض عن الآخرة وترك العمل لها ، كما قال تعالى : ﴿ **إِنَّ الَّذِينَ لا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا وَرَضُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاطْمَأَنُّوا بِهَا وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ آيَاتِنَا غَافِلُونَ ۝ أُوْلَئِكَ مَأْوَاهُمُ النَّارُ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ** ﴾ [يونس: ٧، ٨] .

الثاني : أن المراد جميع الناس مؤمنهم وكافرهم ، والمراد بإيثارهم الحياة الدنيا أعم مما ذكر فيدخل فيه التوجه إلى الدنيا وتحصيل منافعها والاهتمام بها اهتمامًا زائدًا أكثر من الاهتمام بالطاعات ، كالظاهر من حال كثير من الناس ترى الرجل يهتم بعمله الدنيوي ويحرص على الاستيقاظ مبكرًا له أكثر من حرصه على الصلاة المكتوبة ، وآخر يحرص على جمع المال أكثر من حرصه على جمع الحسنات . . . هكذا ، والله أعلم .

* * *

س ـ المشار إليه في قوله تعالى : ﴿ **إِنَّ هَذَا** ﴾ [الأعلى : ١٨] يرجع إلى ماذا ؟

ج : من العلماء من قال : إنه يرجع إلى السورة كلها ، أي : إن هذا الذي ذُكر في هذه السورة موجود في الصحف الأولى صحف إبراهيم وموسى .

● ومنهم من قال : إنه يرجع إلى قوله تعالى : ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن تَزَكَّىٰ ﴿١٤﴾ وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّىٰ ﴿١٥﴾ بَلْ تُؤْثِرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ﴿١٦﴾ وَالآخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ﴾ [الأعلى: ١٤ - ١٧] .

● ومنهم من قال : إنه يرجع إلى قوله : ﴿وَالآخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ﴾ [الأعلى: ١٧] .



سُورَةُ الغَاشِيَةِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْغَاشِيَةِ ﴿١﴾ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ خَاشِعَةٌ ﴿٢﴾ عَامِلَةٌ نَّاصِبَةٌ ﴿٣﴾ تَصْلَىٰ نَارًا حَامِيَةً ﴿٤﴾ تُسْقَىٰ مِنْ عَيْنٍ آنِيَةٍ ﴿٥﴾ لَّيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلَّا مِن ضَرِيعٍ ﴿٦﴾ لَّا يُسْمِنُ وَلَا يُغْنِي مِن جُوعٍ ﴿٧﴾

س ـ اذكر معنى ما يلي : الغاشية ـ خاشعة ـ عاملة ـ ناصبة ـ تصلى ـ آنية ـ ضريع ؟

ج :

الكلمة	معناها
الغاشية	القيامة ـ الساعة ـ النار
خاشعة	ذليلة
عاملة	من العمل أي : أنها تعمل
ناصبة	متعبة ، أرهقها العمل وأتعبها
تصلى	تدخل ـ تَرِدْ ـ تذوق
آنية	بلغ حرها أعلاه ونهايته ومنتهاه[1] ـ استوت ـ نضجت

---

(١) ومنه قوله تعالى : ﴿غير ناظرين إناه﴾ أي : نضجه واستواؤه .

الكلمة	معناها
ضريع	نبات ذو شوك يقال له: الشّبرق وهو سم من السموم، وهو طعام من شر وأخبث أنواع الطعام فإذا يبس قيل له الضريع

* * *

س ـ من المخاطب بقوله تعالى : ﴿هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْغَاشِيَةِ﴾ [الغاشية : ١] ، **اذكر معناها بمزيد من الإيضاح ؟**

ج : المخاطب هو رسول اللَّه ﷺ ، وقيل : إن المخاطب عموم الإنسان .

أما معناها فمن العلماء من قال : هل هنا بمعنى قد ، فالمعنى : قد أتاك حديث الغاشية .

ومنهم من قال : إن الاستفهام هنا للفت النظر وشدة التعجب .

ومنهم من قال : إن المعنى إن لم يكن وصل إلى علمك حديث الغاشية فها هو حديث الغاشية، وبعض ما يكون عند القيامة واللَّه أعلم.

* * *

س ـ لماذا سميت الغاشية بالغاشية ؟

ج : تقدم أن من العلماء من ذهب إلى أن الغاشية هي القيامة ، ومنهم من قال : إنها النار ، أما الذين قالوا : إن الغاشية القيامة ،

فقالوا : قد أطلق عليها الغاشية لأنها تغشى الناس بالأهوال .

وأما الذين قالوا : إنها النار فقالوا : لأنها تغشى وجوه الناس كما قال تعالى: ﴿ وَتَغْشَىٰ وُجُوهَهُمُ النَّارُ ﴾ [إبراهيم: ٥٠] أي : تغطي وجوههم بلفحها ولهيبها .

كما قال تعالى : ﴿ لَهُم مِّن جَهَنَّمَ مِهَادٌ وَمِن فَوْقِهِمْ غَوَاشٍ ﴾ [الأعراف: ٤١] .

● **واختار الطبري رحمه اللَّه التعميم** ، أي : أن النار والقيامة كلاهما غاشية ، فقال رحمه اللَّه : لأن اللَّه سبحانه لم يخبرنا أنه عنى غاشية القيامة ولا أنه عنى غاشية النار ، وكلتاها غاشية هذه تغشى الناس بالبلاء والأهوال والكروب ، وهذه تغشى الكفار باللفح في الوجوه والشُّواظ والنحاس فلا قول في ذلك أصح من أن يُقال كما قال جل ثناؤه ويعم الخبر بذلك كما عمه . واللَّه أعلم .

* * *

س ـ الذي لا يخشع للَّه في دنياه يخشع رغمًا عنه في أخراه ، وضح ذلك .

ج : إيضاحه : أن الذي يخشع للَّه ويخضع له ويذل نفسه للَّه في دنياه يؤمنه اللَّه في أخراه ، والذي لا يخشع للهَّ ولا يركع له ولا يسجد يكون ذليلاً في أخراه ، كما قال تعالى عن أهل النار : ﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ خَاشِعَةٌ ۝٢ عَامِلَةٌ نَّاصِبَةٌ ۝٣ تَصْلَىٰ نَارًا حَامِيَةً ﴾ [الغاشية: ٢ - ٤] .

* * *

س ـ متى هذا العمل والنصب المذكوران في قوله تعالى : ﴿ عَامِلَةٌ نَّاصِبَةٌ ﴾ [الغاشية : ٣] .

ج : **لأهل العلم في ذلك أقوال :**

أحدها : أن هذا العمل والنصب (أي : التعب) يوم القيامة [١] ،

---

(١) وهذا الذي اختاره شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه اللّه ورجحه من وجوه .

قال عطية سالم في «تتمته لأضواء البيان» :

وقوله: ﴿ **عَامِلَةٌ نَّاصِبَةٌ** ﴾ [الغاشية : ٣] العمل معروف، والنصب: التعب ، وقد اختلف في زمن العمل والنصب هذين ، هل هـو كان منها في الدنيا أم هو واقع منهم فعلاً في الآخرة، وما هو على كلا التقديرين: فالذين قالوا: هو كان منهم في الدنيا، منهم من قال: عمل ونصب في العبادات الفاسدة كعمل الرهبان والقسيسين والمبتدعة الضالين ، فلم ينفعهم يوم القيامة ، أي : كما في قوله : ﴿ **وَقَدِمْنَا إِلَىٰ مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَّنثُورًا** ﴾ [الفرقان: ٢٣]. ومنهم من قال: عمل ونصب والتذ، فيما لا يرضي اللّه ، فعامله اللّه بنقيض قصده في الآخرة، ولكن هذا الوجه ضعفه ظاهر، لان من هذه حالهم لا يعدون في عمل ونصب بل في متعة ولذة. والذين قالوا : سيقع منهم بالفعل يوم القيامة ، اتفقوا على أنه عمل ونصب في النار من جر السلاسل ، عياذاً باللّه . وصعودهم وهبوطهم الوهاد والوديان، أي : كما في قوله: ﴿ **سَأُرْهِقُهُ صَعُودًا** ﴾ [المدثر: ١٧]، وقوله: ﴿ **مَن يُعْرِضْ عَن ذِكْرِ رَبِّهِ يَسْلُكْهُ عَذَابًا صَعَدًا** ﴾ [الجن: ١٧] .

وقد ذكر الفخر الرازي تقسيمًا ثلاثيًا ، فقال : إما أن يكون ذلك كله في الدنيا أو كله في الآخرة ، أو بعضه في الدنيا وبعضه في الآخرة، ولم يرجح قسمًا منها إلا أن وجه القول بأنها في الدنيا وهي في القسيسين ، ونحوهم . فقال : لما نصبوا في عبادة إله وصفوه بما ليس متصفًا بـه ، وإنما تخيلوه تخيلاً ، أي : بقولهم ثالث ثلاثة وقولهم : ﴿ **عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ** ﴾ [التوبة: ٣٠] ، فكانت عبادتهم لتلك الذات المتخيلة لا لحقيقة الإله سبحانه .

ولا يبعد أن يقـال على هذا الوجـه : إن مـن كان ممن لا ينطـق [١] بالشهادتين ويعمل على =

---

(١) صوابه : (ممن ينطق) ، لما ذكر بعده من مثل له وهو المسيء صلاته وأثر حذيفة رضي اللّه عنه .

. . . .

= فيما لا يعذر بجهله أن يخشى عليه من هذه الآية ، كما يخشى على من يعمل على علم ، جهالة ولكن في بدعة وضلالة.

ومما يشهد للأول حديث المسيء صلاته ولأثر حذيفة «رأى رجلاً يصلي فطفق فقال له : منذ كم تصلي هذه الصلاة ؟ قال : منذ أربعين سنة . قال له : ما صليت منذ أربعين سنة ولو مت على ذلك ، مت على غير فطرة محمد ﷺ» .

والأحاديث الواردة في ذلك على سبيل العمومات مثل قوله ﷺ : **«من عمل عملاً ليس عليه امري فهو رد»** أي : مردود .

وحديث الحوض : **«فيذَاد أقوام عن حوضي ، فأقول : أمتي أمتي ، فيقال : إنك لا تدري ماذا أحدثوا بعدك إنهم غيَّروا وبدَّلوا»** .

ونحو ذلك مما يوجب الانتباه إلى صحة العمل وموافقته لما جاء به النبي ﷺ .

وكذلك القسم الثاني كما في قوله : ﴿**قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُم بِالأَخْسَرِينَ أَعْمَالاً ﴿١٠٣﴾ الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ**﴾ [الكهف: ١٠٣ ، ١٠٤] .

أما الراجح من القولين في زمن عاملة ناصبة أهو في الدنيا أم في الآخرة ؟ فإنه القول بيوم القيامة ، وهو مروي عن ابن عباس وجماعة . والأدلة على ذلك من نفس السياق .

ولشيخ الإسلام ابن تيمية كلام جيد جدًا في هذا الترجيح ، ولم أقف على قول لغيره أقوى منه، نسوق مجمله للفائدة :

قال في «المجموع» في تفسير هذه السورة بعد حكاية القولين : الحق هو الثاني لوجوه ، وساق سبعة وجوه :

الأول : أنه على القول الثاني يتعلق الظرف بما يليه ، أي : وجوه يوم الغاشية ، خاشعة عاملة ناصبة صالية .

أما على القول الأول فلا يتعلق إلا بقوله : تصلى . ويكون قوله: خاشعة صفة للوجوه ، قد فصل بينها وبين الموصوف بأجنبي متعلق بصفة أخرى . والتقدير : وجوه خاشعة عاملة ناصبة يومئذ تصلى نارًا حامية . والتقديم والتأخير على خلاف الأصل ، فالأصل إقرار الكلام على نظمه وترتيبه لا تغيير ترتيبه ، والتقديم والتأخير ، إنما يكون مع قرينة .

والثاني : أن الله ذكر وجوه الأشقياء ووجوه السعداء في السورة بعد ذلك ﴿ **وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاعِمَةٌ ﴿٨﴾ لِّسَعْيِهَا رَاضِيَةٌ ﴿٩﴾ فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ** ﴾ الغاشية : ٨ - ١٠] ، أي: في ذلك =

. . . .

= اليوم ، وهو يوم الآخرة : فالواجب تناظر القسمين أي في الظرف .

الثالث : أن نظير هذين القسمين ما ذكر في موضع آخر في قوله : ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾ وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ بَاسِرَةٌ ﴿٢٤﴾ تَظُنُّ أَن يُفْعَلَ بِهَا فَاقِرَةٌ ﴿٢٥﴾﴾ [القيامة: ٢٢ - ٢٥] ، وفي موضع آخر في قوله : ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ مُّسْفِرَةٌ ﴿٣٨﴾ ضَاحِكَةٌ مُّسْتَبْشِرَةٌ ﴿٣٩﴾ وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ عَلَيْهَا غَبَرَةٌ ﴿٤٠﴾ تَرْهَقُهَا قَتَرَةٌ ﴿٤١﴾ أُولَٰئِكَ هُمُ الْكَفَرَةُ الْفَجَرَةُ﴾ [عبس: ٣٨ - ٤٢] ، وهذا كله وصف للوجوه في الآخرة .

الرابع : أن المراد بالوجوه أصحابها لأن الغالب في القرآن وصف الوجوه بالعلامة ، كقوله : ﴿سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِم﴾ [الفتح: ٢٩] ، وقوله: ﴿فَلَعَرَفْتَهُم بِسِيمَاهُمْ﴾ [محمد: ٣٠] ، وهذا الوجه لم تتضح دلالته على المقصود .

الخامس : أن قوله : ﴿خَاشِعَةٌ ﴿٢﴾ عَامِلَةٌ نَّاصِبَةٌ﴾ [الغاشية ٢ ، ٣] ، لو جعل صفة لهم في الدنيا لم يكن في هذا اللفظ ذم ، فإن هذا إلى المدح أقرب ، وغايته أنه وصف مشترك بين عباده المؤمنين وعباده الكافرين ، والذم لا يكون بالوصف المشترك ولو أريد المختص ، لقيل : خاشعة للأوثان مثلاً ، عاملة لغير اللَّه ، ناصبة في طاعة الشيطان ، وليس في القرآن ذم لهذا الوصف مطلقًا ولا وعيد عليه ، فحمله على هذا المعنى خروج عن الخطاب المعروف في القرآن ، وهذا الوجه من أقواها في المعنى وأوضحها دلالة .

وقد يشهد له أن هؤلاء قد يكون منهم العوام المغرورون بغيرهم ، ويندمون غاية الندم يوم القيامة على اتباعهم إياهم ، كما في قوله تعالى : ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا رَبَّنَا أَرِنَا اللَّذَيْنِ أَضَلَّانَا مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ نَجْعَلْهُمَا تَحْتَ أَقْدَامِنَا لِيَكُونَا مِنَ الْأَسْفَلِينَ﴾ [فصلت: ٢٩] .

السادس : وهو مهم أيضًا ، أنه لو جعل لهم في الدنيا لكان خاصًا ببعض الكفار دون بعض، وكان مختصًا بالعباد منهم ، مع أن غير العباد منهم يكونون أسوأ عملاً ويستوجبون أشد عقوبة.

السابع : أن هذا الخطاب لو جعل لهم في الدنيا لكان مثله ينفر من أصل العبادة والتنسك ابتداء ، أي : وقد جاءت السنة بترك أصحاب الصوامع والمتنسكين دون التعرض لهم بقتل ولا قتال ، كما أنها أقرت أصحاب الديانات على دياناتهم ، مما يشعر باحترام أصل التعبد لعموم الجنس ، كما أشار رحمة اللَّه تعالى عليه . =

والمراد أن أصحاب هذه الوجوه الخاشعة يعملون وينصبون في النار ، أي : أنهم قد أرهقهم العمل وأتعبهم في النار ، فإن قال قائل : فما هو هذا العمل الذي يعملونه في النار ، قلنا :

إن منه ما ذكره اللَّه تبارك وتعالى في قوله : ﴿سَأُرْهِقُهُ صَعُودًا﴾ [المدثر: ١٧] ، وفي قوله سبحانه : ﴿وَمَن يُعْرِضْ عَن ذِكْرِ رَبِّهِ يَسْلُكْهُ عَذَابًا صَعَدًا﴾ [الجن: ١٧] ، فيصعد ويهبط في النار ويرفعه لهيبها إلى أعلاها ثم يغمر فيها ، وهكذا ويصعد على جبال من نار في النار .

ومن هذا العمل : كثرة دعائهم على أنفسهم بالثبور (وهو الهلاك) ، كما قال تعالى : ﴿لَا تَدْعُوا الْيَوْمَ ثُبُورًا وَاحِدًا وَادْعُوا ثُبُورًا كَثِيرًا﴾ [الفرقان: ١٤] .

= وقد أوردنا مجمل كلامه رحمه اللَّه ، لئلا تتخذ الآية على غير ما هو الراجح فيها ، أو يحمل السياق على غير ما سيق له ، وقد ختم كلامه بتوجيه لطيف بقوله : ثم إذا قيد ذلك بعبادة الكفار والمبتدعة ، وليس في الخطاب تقييد ، كان هذا سعيًا في إصلاح الخطاب بما لم يذكر فيه . اهـ .

ومن الذي يعطي نفسه حق إصلاح الخطاب في كلام رب العالمين ، إنها لفتة إلى ضرورة ومدى أهمية تفسير القرآن بالقرآن ، الذي نهجه الشيخ رحمة اللَّه تعالى علينا وعليه في «أضواء البيان في تفسير القرآن بالقرآن» .

وقد بدا لي وجه آخر ، وهو لو جعل هذا لعمل الكفار والمبتدعة ، لكان منطوقه أن العذاب وقع عليهم مجازاة على عملهم ونصبهم في عبادتهم تلك ، والحال أن عذاب الكفار عمومًا إنما هو على ترك العمل للَّه وحده ، وعقاب المبتدعة فيما ابتدعوه من ضلال ، فإذا كان ما ابتدعوه لا علاقة له بأركان الإسلام ولا بالعقيدة ، وإنما هو في فروع من العبادات ابتدعوها لم تكن في السنة ، فإنهم وإن عملوا ونصبوا فلا أجر لهم فيها ، ولا يقال إنهم يعذبون عليها بطل ذلك المذكور مع سلامة العقيدة في التوحيد والقيام بالواجب في أركان الإسلام إذ العذاب المذكور ليس مقابلاً بالعمل والنصب المذكور ، واللَّه أعلم .

ومن هذا العمل: محاجتهم لبعضهم البعض في النار ولعن بعضهم البعض في النار ، كما قال تعالى: ﴿ وَإِذْ يَتَحَاجُّونَ فِي النَّارِ فَيَقُولُ الضُّعَفَاءُ لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا فَهَلْ أَنتُم مُّغْنُونَ عَنَّا نَصِيبًا مِّنَ النَّارِ ﴿٤٧﴾ قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُلٌّ فِيهَا إِنَّ اللَّهَ قَدْ حَكَمَ بَيْنَ الْعِبَادِ ﴾ [غافر: ٤٧، ٤٨] ، وكما قال تعالى : ﴿ كُلَّمَا دَخَلَتْ أُمَّةٌ لَّعَنَتْ أُخْتَهَا حَتَّىٰ إِذَا ادَّارَكُوا فِيهَا جَمِيعًا قَالَتْ أُخْرَاهُمْ لِأُولَاهُمْ رَبَّنَا هَٰؤُلَاءِ أَضَلُّونَا فَآتِهِمْ عَذَابًا ضِعْفًا مِّنَ النَّارِ قَالَ لِكُلٍّ ضِعْفٌ وَلَٰكِن لَّا تَعْلَمُونَ ﴿٣٨﴾ وَقَالَتْ أُولَاهُمْ لِأُخْرَاهُمْ فَمَا كَانَ لَكُمْ عَلَيْنَا مِن فَضْلٍ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْسِبُونَ ﴾ [الأعراف: ٣٨، ٣٩].

الثاني : أن هذا التعب والنصب في الدنيا ، والآيات في الكفار الذين يتعبون وينصبون في الدنيا في غير طاعة اللَّه وعلى غير بينة وهدي من كتاب اللَّه وهم مشركون به فهم يتعبون في الدنيا هذا التعب ويذهب عملهم وثواب عملهم ، كما قال تعالى : ﴿ وَقَدِمْنَا إِلَىٰ مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَّنثُورًا ﴾ [الفرقان: ٢٣] ، وكما قال تعالى : ﴿ وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾ [الزمر: ٦٥] ، وكما قال تعالى : ﴿ مَّثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ أَعْمَالُهُمْ كَرَمَادٍ اشْتَدَّتْ بِهِ الرِّيحُ فِي يَوْمٍ عَاصِفٍ لَّا يَقْدِرُونَ مِمَّا كَسَبُوا عَلَىٰ شَيْءٍ ذَٰلِكَ هُوَ الضَّلَالُ الْبَعِيدُ ﴾ [إبراهيم: ١٨] .

الثالث : أن هذا في النصارى على وجه الخصوص وفي الكفار على وجه العموم الذين ينصبون ويعملون في الدنيا ، وهم في نصبهم وعملهم وسعيهم في ضلال ، كما قال تعالى : ﴿ قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُم

بالأَخْسَرِينَ أَعْمَالاً ﴿١٠٣﴾ الَّذين ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاة الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُون أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا ﴿١٠٤﴾ أُولَئك الَّذين كَفَرُوا بآيَات رَبِّهِمْ وَلقَائه فَحَبطَتْ أَعْمَالُهُمْ فَلا نُقيم لَهُم يَوْمَ الْقيَامَة وَزْنًا﴾ [الكهف: ١٠٣ - ١٠٥] .

الرابع : أن هذا في القوم الذين يعملون في الدنيا بالمعاصي ويعذبون في النار ويتعبون فيها لما عملوه في دنياهم ، فهي عاملة في الدنيا بالمعصية ناصبة (أي : متعبة) في الآخرة في النار . والله تعالى أعلم .

* * *

س ـ قال تعالى : ﴿ لَيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلاَّ مِن ضَرِيعٍ ﴾ [الغاشية: ٦] **، وقال عز وجل : ﴿ وَلا طَعَامٌ إِلاَّ مِنْ غِسْلِينٍ ﴾** [الحاقة: ٣٦] **، فكيف يجمع بين الآيتين ؟**

ج : وجه الجمع يتلخص في أن النار دركات فمن أهلها قوم ليس لهم طعام إلا من ضريع ، وقوم آخرين ليس لهم طعام إلا من غسلين .

والقول في الطعام كالقول في الشراب؛ فمنهم من شرابه الحميم، ومنهم من شرابه الصديد .

* * *

س ـ قد يقول قائل ملحد : إن الله قال : ﴿لَيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلاَّ مِن ضَرِيعٍ﴾ [الغاشية: ٦] **، فكيف ينبت الضريع في النار ؟ فكيف تكون الإجابة على مثل هذا الملحد ؟**

ج : الإجابة أن اللَّه على كل شيء قدير ، فهو الذي خلق النار وهو قادر على أن يجعلها لا تأكل الضريع ، كما قال لها : ﴿**يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلامًا عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ**﴾ [الأنبياء: ٦٩] ، فهو سبحانه قادر على أن يجعلها تحرق الكفار ولا تحرق الضريع .

• وهو سبحانه أيضًا قادر على أن يخلق نوعًا من الضريع يُعذِّب به الكفار لا تأكله النار .

• والاعتراض كاعتراض الكفار الموجودين على عهد رسول اللَّه ﷺ إذ تعجبوا من قوله تعالى: ﴿**أَذَلِكَ خَيْرٌ نُّزُلاً أَمْ شَجَرَةُ الزَّقُّومِ**﴾ [الصافات: ٦٢] ، فبين اللَّه سبحانه أن هذه الشجرة جعلها اللَّه فتنة لهم فقال سبحانه : ﴿**إِنَّا جَعَلْنَاهَا فِتْنَةً لِّلظَّالِمِينَ ﴿٦٣﴾ إِنَّهَا شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِي أَصْلِ الْجَحِيمِ ﴿٦٤﴾ طَلْعُهَا كَأَنَّهُ رُءُوسُ الشَّيَاطِينِ**﴾ [الصافات: ٦٣ - ٦٥] الآيات .

فإجابتنا أهل الإيمان : أن اللَّه على كل شيء قدير ، يخلق ما يشاء ويفعل ما يريد ، لا معقب لحكمه ، ولا رادَّ لقضائه سبحانه وتعالى .



وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاعِمَةٌ ﴿٨﴾ لِّسَعْيِهَا رَاضِيَةٌ ﴿٩﴾ فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ ﴿١٠﴾ لَّا تَسْمَعُ فِيهَا لَاغِيَةً ﴿١١﴾ فِيهَا عَيْنٌ جَارِيَةٌ ﴿١٢﴾ فِيهَا سُرُرٌ مَّرْفُوعَةٌ ﴿١٣﴾ وَأَكْوَابٌ مَّوْضُوعَةٌ ﴿١٤﴾ وَنَمَارِقُ مَصْفُوفَةٌ ﴿١٥﴾ وَزَرَابِيُّ مَبْثُوثَةٌ ﴿١٦﴾

س ـ اذكر معاني الكلمات :

ناعمة ـ لسعيها راضية ـ لاغية ـ أكواب ـ نمارق ـ مصفوفة ـ زرابي ـ مبثوثة ؟

ج :

الكلمة	معناها
ناعمة	ذات حسن وبهجة ونضارة من النعومة (والشيء الناعم معروف) ـ وناعمة أيضًا بمعنى متنعمة (من النعيم) ، كما قال تعالى : ﴿ **تَعْرِفُ فِي وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ النَّعِيمِ** ﴾ [المطففين: ٢٤] .
لسعيها راضية	راضية عن عملها الذي عملته في الدنيا .
لاغية	كلمة لغو ، كما قال تعالى : ﴿ **لا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلا تَأْثِيمًا ﴿٢٥﴾ إِلاَّ قِيلاً سَلامًا سَلامًا** ﴾ [الواقعة: ٢٥ ، ٢٦] ، وكما قال سبحانه : ﴿ **لا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا**

الكلمة	معناها
	إلاَّ سَلامًا﴾ [مريم: ٦٢] ، واللغو يطلق على أمور منها الباطل والكذب والشتم والشرك و . . . . وكل ما لا فائدة فيه
أكـواب	جمع كوب وهو مثل كوب الزجاج ، لكن قيده بعض العلماء بما ليس له عروة ولا خرطوم
نمـــارق	الوسائد والمرافق التي يُرتفق عليها
مصفوفة	أي : متجاورة بعضها إلى بعض
زرابـــي	الطنافس ، وهي البُسُط (جمع بساط) والسجاجيد والفرش التي لها خمل رقيق ، وهي العبقري الحسان أيضًا
مبثوثـــة	منتشرة ـ متفرقة ـ موزعة ـ مبسوطة ومنه : ﴿وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَابَّةٍ﴾ [البقرة: ١٦٤]

* * *

س ـ الغاشية هل هي عامة على الناس جميعًا تغشاهم ؟

ج : نعم هي عامة على الناس جميعًا ، ولكن تغشى أقوامًا بالعذاب ، وتغشى أقوامًا بالرحمة .

قال الشيخ عطية سالم في «تتمته لأضواء البيان» في تفسير قوله

تعالى : ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاعِمَةٌ﴾ [الغاشية: ٨] الآيات :

وهذا هو قسيم القسم الأول في بيان حال أهل الجنة ، ولم يعطف بالواو إيذانًا بكمال تباين مضمونيهما . ويومئذ : هو يوم الغاشية المتقدم ، وهذا يقتضي أن الغاشية عامة في الفريقين . وإن اختلفت أحوالها مع مختلف الناس ، وعليه فمنهم من تغشاه بهولها، ومنهم من تغشاه بنعيمها . وهي بالنسبة لكل منهما متناهية فيما تغشاهم به ، وهي صادقة على الفريقين .

ومعلوم أن الغاشية تطلق على الخير كما تطلق على الشر ، بمعنى الشمول والإحاطة التامة. ومن إطلاقها على الخير ما جاء في الحديث: **«ما جلس قوم مجلسًا يذكرون اللَّه تعالى فيه إلا حفَّتهم الملائكة وغشيتهم الرحمة ، وذكرهم اللَّه فيمن عنده»** أخرجه مسلم .

وبيان ذلك وتحقيقه في حق كلا القسمين كالآتي :

أما الأول منهما : وهو الغاشية في حق أهل النار فقد غشيهم العذاب حسًّا ومعنىً ظاهرًا وباطنًا أولاً خشوع في ذلة ، وهي ناحية نفسية ، وهي أثقل أحيانًا من الناحية المادية ، فقد يختار بعض الناس الموت عنها ، ثم مع الذلة : العمل والنصب حسًّا وبدنًا ، ومع النصب الشديد تصلى نارًا حامية ، وكان يكفي تصلى نارًا . ولكن إتباعها بوصفها حامية فهو زيادة في إبراز عذابهم وزيادة في غشيان العذاب لهم، ثم يسقون من عين آنية متناهية في الحرارة ، فيكونون بين نار حامية من الخارج وحميم من الداخل تصهر منه البطون ، فهو أتم

في الشمول للغاشية لهم من جميع الوجوه ، وفي حق القسم المقابل تعميم كامل وسرور شامل كالآتي : وجوه ناعمة مكتملة النعمة ، تعرف في وجوههم نضرة النعيم .

وهذا في شموله من الناحية المعنوية كمقابله في القسم الأول ، بدلاً من خاشعة في ذلة : ناعمة في نضرة لسعيها راضية الذي سعته في الدنيا ، والذي تسعى لتحصيله أو ثوابه في جنة عالية بدلاً من عمل ونصب ، لا تسمع فيها لاغية : منزلة أدبية رفيعة حيث لا تسمع فيها كلمة لغو ولا يليق بها ، فهو إكرام لهم حتى في الكلمة التي يسمعونها ، كما في قوله: ﴿ **لا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلا تَأْثِيمًا** ﴿٢٥﴾ **إِلاَّ قِيلاً سَلامًا سَلامًا** ﴾ [الواقعة: ٢٥، ٢٦] ، فيها عين جارية : ومعلوم أنها عيون وأنهار تجري ، كقوله : ﴿ **فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ** ﴾ [الدخان: ٥٢] ، ومن لوازم العيون والأنهار ، هو كمال النعيم ، فأشجار ورياحين ، فروح وريحان وجنة نعيم . وهذا في التعميم يقابل العين الآنية في الحميم للقسم الأول ، فيها سرر مرفوعة وهم عليها متكئون بدل من عمل الآخرين في نصب وشقاء . وأكواب موضوعة لإتمام التمتع وكمال الخدمة والرفاهية

ونمارق مصفوفة متكأً ، وزرابي مبثوثة مفروشة في كل مكان ، فاكتمل النعيم من كل جانب ، حيث اشتمل ما تراه العين ، وما تسمعه الأذن ، وما يتذوقون طعمه من شراب وغيره .

فيكون بذلك قد غشيتهم النعمة ، كما غشيت أولئك النقمة . وتكون الغاشية بمعنى الشاملة ، وعلى عمومها للفريقين ، وهي صالحة

لغة وشرعًا للمعذبين بالعذاب ، وللمنعمين بالنعيم . وباللَّه تعالىٰ التوفيق .

* * *

س ـ وضح بمزيد من التفصيل معنىٰ قوله تعالىٰ : ﴿ لِسَعْيِهَا رَاضِيَةٌ ﴾ [الغاشية: ٩] ؟

ج : **قال الرازي**[1] **في «تفسيره»** : وفيه تأويلان :

أحدهما : أنهم حمدوا سعيهم واجتهادهم في العمل للَّه لما فازوا بسببه من العاقبة الحميدة ، كالرجل يعمل العمل فيجزىٰ عليه بالجميل ويظهر له منه عاقبة محمودة ، فيقول : ما أحسن ما عملت ، ولقد وفقت للصواب فيما صنعت فيثني علىٰ عمل نفسه ويرضاه .

الثاني : المراد لثواب سعيها في الدنيا راضية إذا شاهدوا ذلك الثواب (قال الرازي) : وهذا أولىٰ إذ المراد أن الذي يشاهدونه من الثواب العظيم يبلغ حد الرضا حتىٰ لا يريدون أكثر منه . واللَّه أعلم .

* * *

س ـ لماذا كانت السرر مرفوعة ؟

ج : **قال الطبري رحمه اللَّه** : مرفوعة ليرىٰ المؤمن إذا جلس عليها جميع ما خوَّله ربه من النعيم والملك فيها ويلحق جميع ذلك بصره .

* * *

---

(١) ينبغي أن لا يقرأ في «تفسير الرازي» إلا مَنْ له إلمام عام بأصول أهل السنة والجماعة حتىٰ يميز الصحيح منه من السقيم ، والسنة من قوله من البدعة فيه .

س ـ أين وضعت هذه الأكواب التي قال اللَّه عنها : ﴿ وَأَكْوَابٌ مَوْضُوعَةٌ ﴾ [الغاشية: ١٤] ؟

ج : من العلماء من قال: إنها موضوعة على حافة العين الجارية، كلما أرادوا الشرب وجدوها ملأى من الشراب .

● ومنهم من قال : موضوعة ، أي : مُعدة حاضرة بين أيديهم إذا احتاجوا إليها وجدوها .



أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى ٱلْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ ﴿١٧﴾ وَإِلَى ٱلسَّمَآءِ كَيْفَ رُفِعَتْ ﴿١٨﴾ وَإِلَى ٱلْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ ﴿١٩﴾ وَإِلَى ٱلْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ ﴿٢٠﴾ فَذَكِّرْ إِنَّمَآ أَنتَ مُذَكِّرٌ ﴿٢١﴾ لَّسْتَ عَلَيْهِم بِمُصَيْطِرٍ ﴿٢٢﴾ إِلَّا مَن تَوَلَّىٰ وَكَفَرَ ﴿٢٣﴾ فَيُعَذِّبُهُ ٱللَّهُ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَكْبَرَ ﴿٢٤﴾ إِنَّ إِلَيْنَآ إِيَابَهُمْ ﴿٢٥﴾ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُم ﴿٢٦﴾

س ـ اذكر معنى ما يلي :

سطحت ـ بمسيطر ـ العذاب الأكبر ـ إيابهم ؟

ج :

الكلمة	معناها
سطحت	بُسطت ـ مُدت ـ مُهدت
بمسيطر	بجبار تجبرهم على الهداية والإيمان، كقوله: ﴿**وما أنت عليهم بجبار**﴾ [ق: ٤٥] ، وكقوله : ﴿**أفأنت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين**﴾ [يونس: ٩٩]، فسلوك الهداية إلى قلوبهم موكول إلى الله سبحانه .
العذاب الأكبر	عذاب جهنم
إيابهم	رجوعهم

* * *

س ـ من هم المعنيون بقوله تعالى : ﴿أَفَلا يَنظُرُونَ إِلَى الإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ﴾ [الغاشية: ١٧] ؟

ج : هم منكرو البعث والثواب والعقاب ، **قال الطبري رحمه اللَّه:** يقول تعالى ذكره لمنكري قدرته على ما وصف في هذه السورة من العقاب والنكال الذي أعده لأهل عداوته ، والنعيم والكرامة التي أعدها لأهل ولايته : أفلا ينظر هؤلاء المنكرون قدرة اللَّه على هذه الأمور إلى الإبل كيف خلقها وسخرها لهم وذللَّها وجعلها تحمل حملها باركة ثم تنهض به ، والذي خلق ذلك غير عزيز عليه أن يخلق ما وصف من هذه الأمور في الجنة والنار ، يقول جل ثناؤه : أفلا ينظرون إلى الإبل فيعتبرون بها ويعلمون أن القدرة التي قدر بها على خلقها لن يعجزه خلق ما شابهها .

***

س ـ ما هو وجه الاستفهام في قوله تعالى : ﴿أَفَلا يَنظُرُونَ إِلَى الإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ﴾ [الغاشية: ١٧] ؟ اذكر مزيدًا من الإيضاح للآية .

ج : هو استفهام للتوبيخ والتقريع .

قال صديق حسن خان في «فتح البيان» : والمعنى : ينكرون أمر البعث ويستبعدون وقوعه ، أفلا ينظرون إلى الإبل التي هي غالب مواشيهم وأكثر ما يشهدونه من المخلوقات : كيف خلقت معدولاً [(١)] عن سنن خلق سائر أنواع الحيوانات على ما هي عليه من الخلق البديع

(١) صوابه : خلقت خلقًا معدولاً به ـ كما يأتي في كلام القاسمي قريبًا .

من عظم جثتها ومزيد قوتها وبديع أوصافها .

● هذا وقد سئل الحسن (كما نقل عنه القرطبي وغيره) عنها وقالوا : الفيل أعظم في الأعجوبة ، فقال : العرب بعيدة العهد بالفيل ثم هو خنزير لا يؤكل لحمه ولا يُركب ظهره ولا يحلب درّه .

* * *

س - هل هناك تعارض بين قوله تعالى : ﴿وَإِلَى الأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ﴾ [الغاشية : ٢٠] ، وبين قول من قال : إن الأرض كروية ؟

ج : **قال السعدي في «تفسيره» :**

واعلم أن تسطيحها ، لا ينافي أنها كرة مستديرة ، قد أحاطت الأفلاك فيها من جميع جوانبها ، كما دل على ذلك النقل والعقل ، والحس ، والمشاهدة كما هو مذكور معروف عند كثير من الناس ، خصوصًا في هذه الأزمنة ، التي وقف فيها الناس على أكثر أرجائها ، بما أعطاهم اللَّه من الأسباب المقربة للبعيد . فإن التسطيح ، إنما ينافي كروية الجسم الصغير جداً ، الذي لو سطح، لم يبق له استدارة تذكر. وأما جسم الأرض ، الذي هو كبير جداً ، وواسع ، فيكون كرويًا مسطحًا ، ولا يتنافى الأمران ، كما يعرف ذلك أرباب الخبرة .

● **وقال الرازي في «تفسيره» :** ومن الناس من استدل بهذا على أن الأرض ليست بِكُرة ، وهو ضعيف لأن الكرة إذا كانت في غاية العظمة تكون كل قطعة منها كالسطح .

* * *

س ـ ما هو وجه التمثيل بالمذكورات (الإبل والسماء والجبال والأرض) دون غيرها ؟

ج : **قال عطية سالم في «تتمته لأضواء البيان» :**

توجيه الأنظار إلى تلك المذكورات الأربعة ، لما فيها من عظيم الدلائل على القدرة وعلى البعث وثم الإقرار للَّه تعالى بالوحدانية ، والألوهية ، نتيجة لإثبات ربوبيته تعالى لجميع خلقه .

أما الإبل فلعلها أقرب المعلومات للعرب وألصقها بحياتهم : في مطعمهم من لحمها ، ومشربهم من ألبانها ، وملبسهم من أوبارها وجلودها ، وفي حلهم وترحالهم بالحمل عليها مما لا يوجد في غيرها في العالم كله لا في الخيل ولا في الفيلة، ولا في أي حيوان آخر، وقد وجه الأنظار إليها مع غيرها في معرض امتنانه تعالى عليهم في قوله : **﴿أَوَ لَمْ يَرَوْا أَنَّا خَلَقْنَا لَهُم مِّمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَا أَنْعَامًا فَهُمْ لَهَا مَالِكُونَ ﴿٧١﴾ وَذَلَّلْنَاهَا لَهُمْ فَمِنْهَا رَكُوبُهُمْ وَمِنْهَا يَأْكُلُونَ ﴿٧٢﴾ وَلَهُمْ فِيهَا مَنَافِعُ وَمَشَارِبُ أَفَلَا يَشْكُرُونَ﴾** [يس: ٧١ - ٧٣] .

وكذلك في خصوصها في قوله : **﴿وَالْأَنْعَامَ خَلَقَهَا لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنَافِعُ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿٥﴾ وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ ﴿٦﴾ وَتَحْمِلُ أَثْقَالَكُمْ إِلَىٰ بَلَدٍ لَّمْ تَكُونُوا بَالِغِيهِ إِلَّا بِشِقِّ الْأَنفُسِ إِنَّ رَبَّكُمْ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾** [النحل: ٥ - ٧] .

إنها نعم متعددة ومنافع بالغة لم توجد في سواها البتة ، وكل منها

دليل على القدرة بذاته .

أما الجبال فهي مما يملأ عيونهم في كل وقت ويشغل تفكيرهم في كل حين ، لقربها من حياتهم في الأمطار والمرعى في سهولها ، والمقيل في كهوفها وظلها ، والرهبة والعظمة في تطاولها وثباتها في مكانها . وقد وجه الأنظار إليها أيضًا في موطن آخر في قوله تعالى : ﴿أَلَمْ نَجْعَلِ الأَرْضَ مِهَادًا ﴿٦﴾ وَالْجِبَالَ أَوْتَادًا﴾ [النبأ: ٦، ٧] ثوابت ، كما بين تعالى أنها : رواسي للأرض أن تميد بكم والجبال أرساها متاعًا لكم ولأنعامكم . فهي مرتبطة بحياتهم وحياة أنعامهم كما أسلفنا.

أما السماء ورفعها ، أي : ورفعتها في خلقها وبدون عمد ترونها ، وبدون فطور أو تشقق على تطاول زمنها ، فهي أيضًا محط أنظارهم ، وملتقى طلباتهم في سقيا أنعامهم .

ومعلوم أن خلق السماء والأرض من آيات اللَّه الدالة على البعث، كما تقدم مرارًا . وتقدم للشيخ عند قوله تعالى : ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ﴾ [البقرة: ١٦٤] الآية . بيان كونها آية .

أما الأرض وكيف سطحت ، فإن الآية فيها مع عمومها كما في قوله : ﴿لَخَلْقُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ﴾ [غافر: ٥٧] . وقوله: ﴿كَيْفَ سُطِحَتْ﴾ [الغاشية: ٢٠] آية ثابتة ، لأن جرمها مع إجماع المفسرين على تكويرها ، فإنها ترى مسطحة أي من النقطة التي هي في امتداد البصر ، وذلك يدل على سعتها وكبر حجمها ، لأن الجرم

المتكور إذا بلغ من الكبر والضخامة حداً بعيداً يكاد سطحه يرى مسطحًا من نقطة النظر إليه ، وفي كل ذلك آيات متعددات للدلالة على قدرته تعالى على بعث الخلائق ، وعلى إيقاع ما يغشاهم على مختلف أحوالهم .

وتقدم للشيخ رحمة الله تعالى علينا وعليه التنبيه على هذا المعنى، عند الكلام على قوله تعالى : ﴿قُلِ انظُرُوا مَاذَا فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ﴾ [يونس: ١٠١] الآية .

تنبيه :

التوجيه هنا بالنظر إلى الكيفية في خلق الإبل ونصب الجبال ، ورفع السماء ، وتسطيح الأرض ، مع أن الكيف للحالة ، والله تعالى لم يشهد أحدًا على شيء من ذلك كله ﴿مَّا أَشْهَدتُّهُمْ خَلْقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ﴾ [الكهف: ٥١] . فكيف يوجه السؤال إليهم للنظر إلى الكيفية وهي شيء لم يشهدوه .

والجواب والله تعالى أعلم : هو أنه بالتأمل في نتائج خلق الإبل، ونصب الجبال إلخ . وإن لم يعلموا الكيف ، بل ويعجزون عن كنهه وتحقيقه ، فهو أبلغ في إقامة الدليل عليهم ، كمن يقف أمام صنعة بديعة يجهل سر صنعتها ، فيتساءل : كيف تم صنعها ؟ وقد وقع مثل ذلك وهو الإحالة على الأثر بدلاً من كشف الكنه والكيف ، وذلك في سؤال الخليل عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام ربه ، أن يريه كيف يحيي الموتى. فكان الجواب : أن أراه الطيور تطير ، بعد أن ذبحها بيده

وقطعها ، وجعل على كل جبل منها جزءًا . فلم يشاهد كيفية وكنه وحقيقة الإحياء ، وهو دبيب الروح فيها وعودة الحياة إليها . لأن ذلك ليس في استطاعته ، ولكن شاهد الآثار المترتبة على ذلك ، وهي تحركها وطيرانها وعودتها إلى ما كانت عليه قبل ذبحها . مع أنه كان للعزير موقف مماثل وإن كان أوضح في البيان حيث شاهد العظام وهو سبحانه ينشزها ، ثم يكسوها لحمًا . والله تعالى أعلم .

أما قوله تعالى بعد ذلك : ﴿فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنتَ مُذَكِّرٌ﴾ [الغاشية: ٢١] فإن مجيء هذا الأمر بالفاء في هذا الموطن ، فإنه يشعر بأن النظر الدقيق والفكر الدارس ، مما قد يؤدي بصاحبه إلى الاستدلال على وجود الله وعلى قدرته ، كما نطق مؤمن الجاهلية قس بن ساعدة في خطبته المشهورة : ليل داج ، ونهار ساج ، وسماء ذات أبراج ، ونجوم تزهر ، وبحار تزخر ، وجبال مرساة ، وأرض مدحاة ، وأنهار مجراه . فقد ذكر السماء والجبال والأرض .

وكقوله زيد بن عمرو بن نفيل ، مؤمن الجاهلية المعروف :

وأسلمت وجهي لمن أسلمت ∴ له الأرض تحمل صخراً ثقالا

دحاها فلما استوت شدها ∴ سواء وأرسى عليها الجبالا

وأسلمت وجهي لمن أسلمت ∴ له المزن تحمل عذبًا زلالا

إذا هي سيقت إلى بلدة ∴ أطاعت فصبت عليها سجالا

وأسلمت وجهي لمن أسلمت ∴ له الريح تصرف حالاً فحالا

فكـان على هـؤلاء العقلاء أن ينظـروا بدقة وتأمـل ، فيما يحيط بهـم عامة . وفي تلـك الآيـات الكبار خاصـة ، فيجدون فيهـا مـا يكفيهم . كما قيل :

وفي كل شيء له آية ∴ تدل على أنه واحد

فإذا لم يهدهم تفكيرهم ولم تتجه أنظارهم . فذكِّرهم إنما أنت مذكر . وهذا عام ، أي : سواء بالدلالة على القدرة من تلك المصنوعات ، أو بالتلاوة من آيات الوحي . والعلم عند اللَّه تعالى .

قال القاسمي في «محاسن التأويل» :

﴿ أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى الإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ ﴾ [الغاشية: ١٧] قال أبو السعود: استئناف مسوق لتقرير ما فصل من حديث الغاشية ، وما هو مبني عليه من البعث الذي هم فيه مختلفون ، بالاستشهاد عليه بما لا يستطيعون إنكاره . والهمزة للإنكار والتوبيخ . والفاء للعطف على مقدر يقتضيه المقام . وكلمة (كيف) منصوبة بما بعدها ، معلقة لفعل النظر والجملة في حيز الجر على أنها بدل اشتمال من (الإبل) أي: أينكرون ما ذكر من البعث وأحكامه ، ويستبعدون وقوعه من قدرة اللَّه عز وجل، فلا ينظرون إلى الإبل التي هي نصب أعينهم يستعملونها كل حين ، إلى أنها كيف خلقت خلقًا بديعًا معدولاً به عن سنن خلقة سائر أنواع الحيوانات ، في عظم جثتها وشدة قوتها وعجيب هيئتها اللائقة بتأتي ما يصدر عنها من الأفاعيل الشاقة ، كالنوء بالأوقار الثقيلة وجر الأثقال

الفادحة إلىٰ الأقطار النازحة . وفي صبرها علىٰ الجوع والعطش، حتىٰ أن أظماءها لتبلغ العشر فصاعداً . واكتفائها باليسير ، ورعيها لكل ما يتيسر من شوك وشجر وغير ذلك ، مما لا يكاد يرعاه سائر البهائم . وفي انقيادها مع ذلك للإنسان في الحركة والسكون والبروك والنهوض ، حيث يستعملها في ذلك كيفما يشاء ، ويقتادها بقطارها كل صغير وكبير ﴿وَإِلَى السَّمَاءِ﴾ التي يشاهدونها كل لحظة بالليل والنهار ، ﴿كَيْفَ رُفِعَتْ﴾ أي : رفعت كواكبها رفعًا سحيق المدىٰ ، وأمسك كل منها في مداره إمساكًا لا يختل سيره ولا يفسد نظامه ، ﴿وَإِلَى الْجِبَالِ﴾ أي : التي ينزلون في أقطارها ﴿كَيْفَ نُصِبَتْ﴾ أي : أقيمت منتصبة لا تبرح مكانها ، حفظًا للأرض من الميَدان ، ﴿وَإِلَى الأَرْضِ﴾ أي : التي يضربون فيها ويتقلبون عليها ﴿كَيْفَ سُطِحَتْ﴾ أي : بسطت ومهدت ، حسبما يقتضيه صلاح أمور ما عليها من الخلائق .

قال الزمخشريّ : والمعنىٰ : أفلا ينظرون إلىٰ هذه المخلوقات الشاهدة علىٰ قدرة الخالق ، حتىٰ لا ينكروا اقتداره علىٰ البعث ، فيسمعوا إنذار الرسول ﷺ ويؤمنوا به ويستعدوا للقائه .

لطيفة :

ذكر السكاكيّ في « المفتاح » في بحث الجامع الخياليّ ؛ أن جمعه علىٰ مجرىٰ الإلف والعادة بحسب ما تنعقد الأسباب في استيداع الصور خزانة الخيال . وأنه لم يوفه حقه من التيقظ وأنه من أهل المدر، أنىٰ يستحلي كلام رب العزة مع أهل الوبر ، حيث يبصرهم

الدلائل ناسقًا ذلك النسق ﴿ أَفَلا يَنظُرُونَ إِلَى الإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ ﴾ [الغاشية: ١٧] الآيات ، لبعد البعير عن خياله في مقام النظر ، ثم لبعده في خياله عن السماء ، وبعد خلقه عن رفعها . وكذا البواقي . لكن إذا وفاه حقه بتيقظه لما عليه تقلبهم في حاجاتهم ، جاء الاستحلاء. وذلك إذا نظر أن أهل الوبر ، إذا كان مطعمهم ومشربهم وملبسهم من المواشي ، كانت عنايتهم مصروفة لا محالة إلى أكثرها نفعًا ، وهي الإبل . ثم إذا كان انتفاعهم بها لا يتحصل إلا بأن ترعى وتشرب ، كان جلّ مرمى غرضهم نزول المطر ، وأهم مسارح النظر عندهم السماء ، ثم إذا كانوا مضطرين إلى مأوى يُؤويهم وإلى حصن يتحصنون فيه ولا مأوى ولا حصن إلا الجبال .

لنا جبلٌ يحتلُّه مَن نجيرهُ ∴ منيعٌ يردُّ الطرفَ وهو كليلُ

فما ظنك بالتفات خاطرهم إليها ؟ ثم إذا تعذر طول مكثهم في منزل - ومَن لأصحاب مواشي بذاك - كان عقد الهمة عندهم بالتنقل من أرض إلى سواها من عزم الأمور . فعند نظره هذا ، أيرى البدويّ إذا أخذ يفتش عما في خزانة الصور له ، لا يجد صورة الإبل حاضرة هناك، أو لا يجد صورة السماء لها مقارنة ، أو تعوزه صورة الجبال بعدهما ، أو لا تَنِصّ إليه صورة الأرض تليها بعدهن ؟ لا . وإنما الحضريّ ، حيث لم تتآخذ عنده تلك الأمور ، وما جمع خياله تلك الصور على ذلك الوجه وإذا تلا الآية قبل أن يقف على ما ذكرت ، ظن النسق بجهله معيبًا، للعيب فيه . انتهى .

وقال الرازي في «تفسيره» :

قوله تعالى: ﴿ **أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ** ﴾ [الغاشية: ١٧] .

اعلم أنه تعالى لما حكم بمجيء يوم القيامة ، وقسم أهل القيامة إلى قسمين : الأشقياء والسعداء ، ووصف أحوال الفريقين ، وعلم أنه لا سبيل إلى إثبات ذلك إلا بواسطة إثبات الصانع الحكيم، لا جرم أتبع ذلك بذكر هذه الدلالة فقال: ﴿ **أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ** ﴾ : وجه الاستدلال بذلك على صحة المعاد أنها تدل على وجود الصانع الحكيم ، ومتى ثبت ذلك فقد ثبت القول بصحة المعاد . **أما الأول** : فلأن الأجسام متساوية في الجسمية فاختصاص كل واحد منها بالوصف الذي لأجله امتاز على الآخر، لابد وأن يكون لتخصيص مخصص وإيجاد قادر، ولما رأينا هذه الأجسام مخلوقة على وجه الإتقان والإحكام علمنا أن ذلك الصانع عالم ، ولما علمنا أن ذلك الصانع لابد وأن يكون مخالفًا لخلقه في نعت الحاجة والحدوث والإمكان علمنا أنه غني ، فهذا يدل على أن للعالم صانعًا قادرًا عالمًا غنيًّا ، فوجب أن يكون في غاية الحكمة ، ثم إنا نرى الناس بعضهم محتاجًا إلى البعض ، فإن الإنسان الواحد لا يمكنه القيام بمهمات نفسه ، بل لابد من بلدة يكون كل واحد من أهلها مشغولاً بمهم آخر حتى يتنظم من مجموعهم مصلحة كل واحد منهم ، وذلك الانتظام لا يحسن إلا مع التكليف المشتمل على الوعد والوعيد، ذلك لا يحصل إلا بالبعث والقيامة وخلق الجنة والنار ، فثبت أن إقامة الدلالة على الصانع الحكيم توجب القول بصحة البعث والقيامة ،

فلهذا السبب ذكر اللَّه دلالة التوحيد في آخر هذه السورة ، فإن قيل: أي مجانسة بين الإبل والسماء والجبال والأرض ، ثم لِمَ بدأ بذكر الإبل ؟ قلنا: فيه وجهان: **الأول:** أن جميع المخلوقات متساوية في هذه الدلالة، وذكر جميعها غير ممكن لكثرتها، وأي واحد منها ذكر دون غيره كان هذا السؤال عائدًا ، فوجب الحكم بسقوط هذا السؤال على جميع التقادير ، وأيضًا فلعل الحكمة في ذكر الأشياء التي هي غير متناسبة التنبيه على أن هذا الوجه من الاستدلال غير مختص بنوع دون نوع ، بل هو عام في الكل على ما قال : ﴿ **وإن من شيء إلا يسبح بحمده** ﴾ [الإسراء : ٤٤] ولو ذكر غيرها لم يكن الأمر كذلك ، لا جرم ذكر اللَّه تعالى أجسامًا غير متناسبة بل متباعدة جدًّا ، تنبيهًا على أن جميع الأجسام العلوية والسفلية صغيرها وكبيرها حسنها وقبيحها متساوية في الدلالة على الصانع الحكيم، فهذا وجه حسن معقول وعليه الاعتماد .

الوجه الثاني : وهو أن نبين ما في كل واحد من هذه الأشياء من المنافع والخواص الدالة على الحاجة إلى الصانع المدبر ، ثم نبين إنه كيف يجانس بعضها بعضًا .

أما المقام الأول : فنقول : الإبل له خواص منها أنه تعالى جعل الحيوان الذي يقتنى أصنافًا شتى: فتارة يقتني ليؤكل لحمه، وتارة ليشرب لبنه، وتارة ليحمل الإنسان في الأسفار، وتارة لينقل أمتعة الإنسان من بلد إلى بلد، وتارة ليكون له به زينة وجمال، وهذه المنافع بأسرها حاصلة في الإبل، وقد أبان اللَّه عز وجل عن ذلك بقوله: ﴿ **أَوَ لَمْ يَرَوْاْ أَنَّا خَلَقْنَا**

لَهُم مِّمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَا أَنْعَامًا فَهُمْ لَهَا مَالِكُونَ ﴿٧١﴾ وَذَلَّلْنَاهَا لَهُمْ فَمِنْهَا رَكُوبُهُمْ وَمِنْهَا يَأْكُلُونَ ﴾ [يس: ٧١، ٧٢] ، قال : ﴿ وَالأَنْعَامَ خَلَقَهَا لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنَافِعُ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿٥﴾ وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ ﴿٦﴾ وَتَحْمِلُ أَثْقَالَكُمْ إِلَىٰ بَلَدٍ لَّمْ تَكُونُوا بَالِغِيهِ إِلَّا بِشِقِّ الأَنفُسِ﴾ [النحل: ٥ - ٧] ، وإن شيئًا من سائر الحيوانات لا يجتمع فيه هذه الخصال ، فكان اجتماع هذه الخصال فيه من العجائب . **وثانيها** : أنه في كل واحد من هذه الخصال أفضل من الحيوان الذي لا يوجد فيه إلا تلك الخصلة لأنها إن جعلت حلوبة سقت فأروت الكثير ، وإن جعلت أكولة أطعمت وأشبعت الكثير ، وإن جعلت ركوبة أمكن أن يقطع بها من المسافات المديدة ما لا يمكن قطعه بحيوان آخر ، وذلك لما ركب فيها من قوة احتمال المداومة على السير والصبر على العطش والاجتزاء من العلوفات بما لا يجتزئ حيوان آخر ، وإن جعلت حملة استقلت بحمل الأحمال الثقيلة التي لا يستقل بها سواها ، ومنها : أن هذا الحيوان كان أعظم الحيوانات وقعًا في قلب العرب ، ولذلك فإنهم جعلوا دية قتل الإنسان إبلاً ، وكان الواحد من ملوكهم إذا أراد المبالغة في إعطاء الشاعر الذي جاءه من المكان البعيد أعطاه مائة بعير ، لأن امتلاء العين منه أشد من امتلاء العين من غيره ، ولهذا قال تعالى : ﴿ وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ﴾ [النحل : ٦] ، ومنها : أني كنت مع جماعة في مفازة فضللنا الطريق فقدموا جملاً وتبعوه ، فكان ذلك الجمل ينعطف من تل ، إلى تل ومن جانب إلى جانب ، والجميع كانوا يتبعونه حتى وصل إلى الطريق بعد زمان طويل ، فتعجبنا

من قوة تخيل ذلك بالحيوان أنه بالمرة الواحدة كيف انحفظت في خياله صورة تلك المعاطف حتى أن الذي عجز جمع من العقلاء إلى الاهتداء إليه فإن ذلك الحيوان اهتدى إليه ، ومنها : أنها مع كونها في غاية القوة على العمل مباينة لغيرها من الانقياد والطاعة لأضعف الحيوانات كالصبي الصغير ، ومباينة لغيرها أيضًا في أنها يحمل عليها وهي باركة ثم تقوم ، فهذه الصفات الكثيرة الموجودة فيها توجب على العاقل أن ينظر في خلقتها وتركيبها ، ويستدل بذلك على وجود الصانع الحكيم سبحانه ، ثم إن العرب من أعرف الناس بأحوال الإبل في صحتها وسقمها ومنافع ومضارها ، فلهذه الأسباب حسن من الحكيم تعالى أن يأمر بالتأمل في خلقتها .

* * *

س ـ هل مهمة الرسول التذكير فقط ؟

ج : ليست مهمة الرسول التذكير فقط ، بل قد أُمر بالجهاد كذلك، قال اللَّه سبحانه : ﴿ **يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ** ﴾ [التحريم: ٩] ، وقال تعالى : ﴿ **فَإِمَّا تَثْقَفَنَّهُمْ فِي الْحَرْبِ فَشَرِّدْ بِهِم مَّنْ خَلْفَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ** ﴾ [الأنفال : ٥٧] .

● وقد يتوهم متوهم أن مهمته التذكير فقط لقوله تعالى : ﴿ **إِنْ عَلَيْكَ إِلاَّ الْبَلاغُ** ﴾ [الشورى: ٤٨] ولقوله : ﴿ **وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلاَّ الْبَلاغُ الْمُبِينُ** ﴾ [النور: ٥٤] ، ولقوله تعالى: ﴿ **وَمَا أَنتَ عَلَيْهِم بِجَبَّارٍ** ﴾ [ق: ٤٥]، ولقوله تعالى : ﴿ **لَسْتَ عَلَيْهِم بِمُسَيْطِرٍ** ﴾ [الغاشية: ٢٢] ، والذي يظهر لي

لدفع هذا التوهم وجهان :

أحدهما : أن قوله تعالى : ﴿إِنْ عَلَيْكَ إِلاَّ الْبَلاغُ﴾ [الشورى: ٤٨] ، وقوله : ﴿وَمَا أَنتَ عَلَيْهِمْ بِجَبَّارٍ﴾ [ق: ٤٥] ، وقوله : ﴿لَسْتَ عَلَيْهِم بِمُسَيْطِرٍ﴾ [الغاشية: ٢٢] ونحوها من الآيات محمولة على أن اللّه سبحانه وتعالى لن يؤاخذ نبيه على عدم هدايتهم، فأمر الهداية موكول إلى اللّه .

الثاني : أن هذه الآيات منسوخة[1] بآيات القتال كقوله تعالى : ﴿قَاتِلُوا الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلا بِالْيَوْمِ الآخِرِ وَلا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَلا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَتَّىٰ يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَن يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ﴾ [التوبة: ٢٩] .

* * *

س ـ ما هو نوع الاستثناء في قوله تعالى : ﴿ إِلاَّ مَن تَوَلَّىٰ وَكَفَرَ ﴾ [الغاشية: ٢٣] ؟

ج : **لأهل العلم قولان :**

أحدهما : **أنه استثناء صحيح ، وفي ذلك ثلاثة أوجه أيضًا :**

الوجه الأول : أنه استثناء من قوله فذكر ، فالمعنى : فذكر لكن من تولى وكفر وأعرض عنك فلا تذكره .

الوجه الثاني : أنه استثناء من قوله : ﴿ إِنَّمَا أَنتَ مُذَكِّرٌ ﴾

(١) وقد نقل الرازي هذا عن أكثر المفسرين بل عن جميعهم

[الغاشية: ٢١] : أي : فذكر فإن الناس ينتفعون بتذكيرك ، لكن من تولى وكفر منهم فلن ينتفع بتذكيرك .

الوجه الثالث : أنه استثناء من ﴿ لَسْتَ عَلَيْهِم بِمُسَيْطِرٍ ﴾ [الغاشية: ٢٢] ، فالمعنى : لست عليهم بمسلط ، لكن من تولى وكفر فإنك مسلط عليه فقاتله .

والثاني : **أنه استثناء منقطع**[1]، والمعنى : فذكر ومن أعرض عن الذكرى فتولى وكفر فيعذبه اللَّه العذاب الأكبر .



(١) **قال الرازي في «تفسيره»** : قالوا وعلامة كون الاستثناء منقطعًا حُسن دخول أن في المستثنى ، وإذا كان الاستثناء متصلاً لم يحسن ذلك ، الا ترى أنك تقول عندي مائتان إلا درهمًا ، فلا تدخل عليه أن ، وههنا يحسن أن ، فإنك تقول : إلا أن من تولى وكفر فيعذبه اللَّه .

سُورَةُ الفَجْرِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

وَالْفَجْرِ ﴿١﴾ وَلَيَالٍ عَشْرٍ ﴿٢﴾ وَالشَّفْعِ وَالْوَتْرِ ﴿٣﴾ وَاللَّيْلِ إِذَا يَسْرِ ﴿٤﴾ هَلْ فِي ذَٰلِكَ قَسَمٌ لِذِي حِجْرٍ ﴿٥﴾

س ـ اذكر معنى ما يلي : يَسرِ ـ لذي حجر ؟

ج :

الكلمة	معناها
يســـــر	يذهب ـ يمضي
لذي حجر	لصاحب عقل

* * *

س ـ ما المراد بالفجر ؟

ج : **لأهل العلم في ذلك أقوال :**

أحدها: أنه وقت الفجر ، وهو وقت الصبح ، أي : أنه الفجر المعروف الذي هو بدء النهار ، وقيل له : الفجر ؛ لانفجار الظلمة عن النهار .

الثاني :أن المراد به صلاة الفجر .

الثالث : أن المراد بالفجر النهار كله ، وعُبِّر عنه بالفجر لأن الفجر أول النهار .

ثم هل المراد فجر ليلة معينة أو يومٍ مُعين أم هو عام ؟

فمن العلماء من قال : هو عموم الفجر ، ومنهم من قال : هو خاص ، ولهم في تحديده أقوال منها : أنه فجر ليلة العاشر من ذي الحجة (أي : فجر يوم النحر الذي يكون الناس فيه بمزدلفة) ، ومنهم من قال : إنه فجر أول يوم من محرم ، ومنهم من قال : إنه فجر أول ليلة من ذي الحجة .

* * *

س ـ ما هي أحرف القسم ؟ اذكر مثالاً لكل منها ؟

ج : أحرف القسم ثلاثة وهي : الواو والباء[1] والتاء[2] .

أما مثال القسم بالواو ؛ فكما في قوله تعالى : ﴿**قَالُوا وَاللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ**﴾ [الأنعام: ٢٣] .

ومثال القسم بالباء ؛ فكما في قوله تعالى: ﴿**قَالُوا تَقَاسَمُوا بِاللَّهِ**﴾ [النمل: ٤٩] .

ومثال القسم بالتاء ؛ فكما في قول الخليل إبراهيم : ﴿**وَتَاللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَامَكُم ...**﴾ [الأنبياء: ٥٧] .

* * *

---

(١) الباء الموحدة التحتانية .

(٢) التاء المثناة الفوقانية .

س ـ ما المراد بالليالي العشر ؟

ج : جمهور العلماء على أن المراد بالليالي العشر : هي ليالي العشر الأُول من ذي الحجة .

قال الطبري رحمه الله : والصواب من القول في ذلك عندنا أنها عشر الأضحى لإجماع الحجة من أهل التأويل عليه .

* * *

س ـ هل ورد في فضل العشر أيام الأول من ذي الحجة خبر عن رسول الله ﷺ ؟

ج : نعم ، ورد في ذلك : ما أخرجه البخاري وغيره من حديث ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي ﷺ أنه قال : «**ما العمل في أيام العشر أفضل من العمل في هذه**» قالوا : ولا الجهاد ؟ قال : «**ولا الجهاد إلا رجل خرج يخاطر بنفسه وماله فلم يرجع بشيء**»[1] .

ولفظ أبي داود[2] بإسناد صحيح من حديث ابن عباس أيضًا قال : قال رسول الله ﷺ : « **ما من أيام العمل الصالح فيها أحب إلى الله من هذه الأيام** » يعني : أيام العشر، قالوا : يا رسول الله ولا الجهاد في سبيل الله ؟ قال : «**ولا الجهاد في سبيل الله إلارجل خرج بنفسه وماله فلم يرجع من ذلك بشيء**» .

* * *

(١) أخرجه البخاري (حديث ٩٦٩) .

(٢) أخرجه أبو داود (٢٤٣٨) .

س ـ أيهما أفضل العشر الأول من ذي الحجة أم العشر الأواخر من رمضان ؟

ج : فصَّل بعض أهل العلم في ذلك بين الأيام والليالي ؛ فقال بعضهم : إن أيام العشر الأول من ذي الحجة أفضل من أيام العشر الأواخر من رمضان ، وقال قائل هذا القول : وليالي العشر الأواخر من رمضان أفضل من ليالي العشر الأول من ذي الحجة ، واللَّه أعلم .

* * *

س ـ ما المراد بالشفع والمراد بالوتر ؟

ج : لأهل العلم في ذلك ما يزيد على العشرين قولاً ذكرها الرازي في «تفسيره» ، وابن الجوزي في «زاد المسير» وغيرهما ، نذكر منها ما يلي :

الأول : الشفع هو الخلق كلهم [١] ، والوتر هو اللَّه سبحانه وتعالى[٢] .

الثاني : الشفع يوم النحر ، والوتر يوم عرفة .

الثالث : الشفع اليومان بعد يوم النحر [٣] ، والوتر الثلاث

---

(١) قال تعالى : ﴿ وَمِن كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾ [الذاريات : ٤٩] .

(٢) قال النبي ﷺ : «إن للَّه تسعة وتسعين اسمًا مائة إلا واحدًا من أحصاها دخل الجنة ، إنه وتر يحب الوتر» أخرجه البخاري (٧٣٩٢) ومسلم (٢٠٦٣) واللفظ لمسلم بالزيادة .

(٣) أي : الحادي عشر والثاني عشر من ذي الحجة ، وهما المذكوران في قوله تعالى : ﴿ فَمَن تَعَجَّلَ فِي يَوْمَيْنِ فَلا إِثْمَ عَلَيْهِ ﴾ [البقرة : ٢٠٣] .

عشر [١] من ذي الحجة .

الرابع : الشفع من الخلق [٣] ، والوتر من الخلق أيضًا .

الخامس : الشفع هو الصلاة المكتوبة التي هي مثنى أو رباع [٤] ، والوتر هي صلاة المغرب .

السادس : الشفع العدد الذي هو شفع (أي : مثنى) ، والوتر العدد المُفرد .

السابع : الشفع أبواب الجنان فهي ثمانية والوتر ، أبواب النار فهي سبعة .

وثمَّ أقوال أُخر .

● **وقال الطبري رحمه الله**: والصواب من القول في ذلك أن يُقال: إن الله تعالى ذكره أقسم بالشفع والوتر ولم يخصص نوعًا من الشفع ولا من الوتر دون نوعٍ بخبرٍ ولا عقل ، وكل شفع ووتر فهو مما أقسم به مما قال أهل التأويل أنه داخل في قسمه هذا العموم قسمه بذلك .

● **وقال الرازي رحمه الله** : واعلم أن الذي يدل عليه الظاهر أن الشفع والوتر أمران شريفان أقسم الله تعالى بهما، وكل هذه الوجوه التي ذكرناها محتمل، والظاهر لا إشعار له بشيء من هذه الأشياء على التعيين

---

(١) المذكور في قوله تعالى : ﴿وَمَن تَأَخَّرَ فَلا إِثْمَ عَلَيْهِ﴾ [البقرة: ٢٠٣] .

(٢) قال أهل هذه المقالة : إن الخلق منهم شفع ومنهم وتر .

(٣) كالصبح والظهر والعصر والعشاء .

فإن ثبت في شيء منها خبر عن رسول اللَّه ﷺ أو إجماع من أهل التأويل حكم بأنه هو المراد ، وإن لم يثبت فيجب أن يكون الكلام على طريقة الجواز لا على وجه القطع ، ولقائل أن يقول أيضًا : إني أحمل الكلام على الكل لأن الألف واللام في الشفع والوتر تفيد العموم .

* * *

س ـ وضح معنى قوله تعالى : ﴿هَلْ فِي ذَٰلِكَ قَسَمٌ لِّذِي حِجْرٍ﴾ [الفجر: ٥] ؟

ج : المعنى ـ واللَّه أعلم ـ : هل في هذه الأيمان التي أقسمت بها كفاية وقناعة لصاحب عقل ، والمراد : أن في هذه الأمور التي أقسمت بها كفاية للعقلاء الذين يعقلون عن اللَّه سبحانه وتعالى أمره .

* * *

س ـ ما هو جواب القسم لقوله تعالى : ﴿وَالْفَجْرِ ۝١ وَلَيَالٍ عَشْرٍ و .. ﴾ [الفجر: ١، ٢] .

ج : جوابه قوله تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصَادِ﴾ [الفجر: ١٤] ؟

ومن العلماء من قال : جوابه محذوف ، وتقديره : لنعذبن الكافرين واللَّه أعلم .



﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ ﴿٦﴾ إِرَمَ ذَاتِ الْعِمَادِ ﴿٧﴾ الَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي الْبِلَادِ ﴿٨﴾ وَثَمُودَ الَّذِينَ جَابُوا الصَّخْرَ بِالْوَادِ ﴿٩﴾ وَفِرْعَوْنَ ذِي الْأَوْتَادِ ﴿١٠﴾ الَّذِينَ طَغَوْا فِي الْبِلَادِ ﴿١١﴾ فَأَكْثَرُوا فِيهَا الْفَسَادَ ﴿١٢﴾ فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ ﴿١٣﴾ إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصَادِ ﴿١٤﴾﴾

س ـ اذكر معنى ما يلي: ألم تر ـ إرم ـ ذات العماد ـ جابوا ـ الأوتاد؟

ج :

الكلمة	معناها
ألم تر	ألم تعلم ـ ألم تر بعين قلبك ـ ألم يبلغك
إرم	بلدة من البلدان ـ قبيلة من القبائل ـ أمة من الأمم
ذات العماد	ذات الطول
جابوا	خرقوا ـ قطعوا ، ومنه : جاب فلان البلدة قطعها
الأوتاد	جمع وتد

* * *

س ـ وضح بمزيد من التوضيح أقوال العلماء في ﴿ إِرَمَ ﴾ [الفجر: ٧]؟

ج : **لأهل العلم في ذلك أقوال منها :**

● أن إرم أمة من الأمم .

● أن إرم المراد بها القديمة .

● أن إرم بلدة من البلدان .

● أن إرم جدُّ عادٍ .

● أن إرم معناه الهالك .

وصوَّب الطبري رحمه اللَّه أنها إما بلدة من البلدان أو قبيلة من القبائل . واللَّه أعلم .

* * *

س ـ لماذا وصفوا بأنهم ذات عماد ؟

ج : **وصفوا بذلك لأنهم كانوا طوال الأجسام** ، ويشهد لهذا قوله تعالى : ﴿ **كَذَّبَتْ عَادٌ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ ﴿١٨﴾ إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِي يَوْمِ نَحْسٍ مُّسْتَمِرٍّ ﴿١٩﴾ تَنزِعُ النَّاسَ كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ مُّنقَعِرٍ** ﴾ [القمر: ١٨ - ٢٠] .

● وقيل : **لشدة أجسامهم وقوتهم** ، ويشهد له قوله تعالى: ﴿ **فَأَمَّا عَادٌ فَاسْتَكْبَرُوا فِي الأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَقَالُوا مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً** ﴾ [فصلت: ١٥] .

● **وقيل : لأن لهم بناء شيدوه بأعمدة .**

• وقيل : **لأن لهمُ عُمد** وهي أعمدة تكون في وسط الخيمة تبنى عليهم الخيمة وينتقلون بها إلى موطن الكلأ حيث كان .

قال الطبري رحمه اللَّه : وأشبه الأقوال في ذلك بما دلَّ عليه ظاهر التنزيل قول من قال : عُني بذلك أنهم كانوا أهل عمود سيارة ؛ لأن المعروف من كلام العرب من العماد ما عمل به الخيام من الخشب السواري التي يحمل عليها البناء ، ولا يُعلم بناء كان لهم بالعماد بخبر صحيح بل وجه أهل التأويل قوله : ﴿**ذَاتِ الْعِمَادِ**﴾ [الفجر : ٧] إلى أنه عُني به طول أجسامهم وبعضهم إلى أنه عُني به عماد خيالهم ، أما عماد البنيان فلا يُعلم كثير أحد من أهل التأويل وجهه إليه ، **وتأويل القرآن إنما يوجه إلى الأغلب الأشهر من معانيه ما وُجد إلى ذلك سبيل دون الأنكر** .

* * *

س ـ الضمير في قوله تعالى : ﴿لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي الْبِلادِ﴾ [الفجر : ٨] **يرجع إلى ماذا ؟**

ج : قال بعض العلماء: لم يخلق مثل قوتهم وشدتهم في البلاد، كما قال تعالى : ﴿**فَأَمَّا عَادٌ فَاسْتَكْبَرُوا فِي الأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَقَالُوا مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً**﴾ [فصلت: ١٥] وقال بعضهم : لم يخلق مثل أطوالهم في البلاد ، واللَّه أعلم .

* * *

س ـ وضح معنى قوله تعالى : ﴿ وَثَمُودَ الَّذِينَ جَابُوا الصَّخْرَ بِالْوَادِ ﴾ [الفجر: ٩] ؟

ج : المعنى ـ واللَّه أعلم ـ : ألم تر كيف فعل ربك بثمود الذين جابوا الصخر بالواد ، أي : خرقوه ، ودخلوا فيه واتخذوه بيوتًا ، كما قال تعالى: **﴿ وَكَانُوا يَنْحِتُونَ مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا آمِنِينَ ﴾** [الحجر: ٨٢] .

وجابوا الصخر أي : قطعوه أيضًا .

* * *

س ـ لماذا وصف فرعون بأنه ذو أوتاد ؟

ج : قال بعض أهل العلم : لأنه كانت عنده أوتاد يُعذب عليها الناس، وقد تكون هذه الأوتاد من خشب أو من جذوع النخل ، كما قال لمن آمن من قومه : **﴿ فَلَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلَافٍ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِي جُذُوعِ النَّخْلِ ﴾** [طه: ٧١] .

● ومن العلماء من قال : كانت له أوتاد تحمل مظلات يلعب تحتها ويُلعب له تحتها .

● وقال بعض العلماء: إن معنى ذي الأوتاد: ذي الملك والرجال.

● وذهب بعض المعاصرين إلى أن الأوتاد منها أهرامات مصر[١] .

* * *

---

(١) قاله عطية سالم في «تتمته لأضواء البيان» .

س ـ ما المراد بـ ﴿ سَوْطَ عَذَابٍ ﴾ [الفجر: ١٣] ؟ ولماذا عُبر بسوط العذاب ؟

ج : المراد بسوط العذاب : العذاب الذي عذبوا به ، وعبر بسوط العذاب ؛ لأن المخاطبين كانوا يعرفون ألم التعذيب بالسياط فعبر عن العذاب الذي حل بالأمم بما يعرفه العرب من أليم العذاب ، قاله الطبري .

قلت : ومن العلماء من فسر سوط العذاب بما ذكر في سورة الحاقة إذ قال تعالى : ﴿ كَذَّبَتْ ثَمُودُ وَعَادٌ بِالْقَارِعَةِ ۝ فَأَمَّا ثَمُودُ فَأُهْلِكُوا بِالطَّاغِيَةِ ۝ وَأَمَّا عَادٌ فَأُهْلِكُوا بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ ۝ سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَانِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا فَتَرَى الْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَىٰ كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ ۝ فَهَلْ تَرَىٰ لَهُم مِّنْ بَاقِيَةٍ ۝ وَجَاءَ فِرْعَوْنُ وَمَن قَبْلَهُ وَالْمُؤْتَفِكَاتُ بِالْخَاطِئَةِ ۝ فَعَصَوْا رَسُولَ رَبِّهِمْ فَأَخَذَهُمْ أَخْذَةً رَّابِيَةً ﴾ [الحاقة: ٤ - ١٠] .

* * *

س ـ وضح معنى قوله تعالى : ﴿ إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصَادِ ﴾ [الفجر: ١٤] ؟

ج : المعنى ـ والله أعلم ـ : إن ربك يا محمد لهؤلاء الظالمين بالمرصاد ، يرصد أعمالهم ، ويحصيها عليهم حتى يوفيهم إياها ، ويعطيهم جزاءها ، ويحل بهم عقوبتها .

* * *

س ـ المعاصي سبب لزوال النعم وحلول النقم اذكر بعض الأدلة على ذلك ؟

ج : **من الأدلة على ذلك ما يلي :ـ**

• قوله تعالى : ﴿**وَمَا أَصَابَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَن كَثِيرٍ**﴾ [الشورى: ٣٠] .

وقوله تعالى : ﴿**فَأَكْثَرُوا فِيهَا الْفَسَادَ (١٢) فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ**﴾ [الفجر: ١٢، ١٣] .

وقوله تعالى: ﴿ **وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَلَٰكِن كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُم بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ**﴾ [الأعراف: ٩٦].

وقوله تعالى : ﴿**إِنَّ الَّذِينَ تَوَلَّوْا مِنكُمْ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ إِنَّمَا اسْتَزَلَّهُمُ الشَّيْطَانُ بِبَعْضِ مَا كَسَبُوا**﴾ [آل عمران: ١٥٥] .

وقال تعالى : ﴿**وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِّن كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللَّهِ فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ**﴾ [النحل: ١١٢] .

وقال تعالى : ﴿**فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَاقَهُمْ لَعَنَّاهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً**﴾ [المائدة: ١٣] .

وقال تعالى : ﴿**إِنَّا بَلَوْنَاهُمْ كَمَا بَلَوْنَا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ إِذْ أَقْسَمُوا لَيَصْرِمُنَّهَا مُصْبِحِينَ**﴾ إلى قوله : ﴿**فَطَافَ عَلَيْهَا طَائِفٌ مِّن رَّبِّكَ وَهُمْ نَائِمُونَ**﴾ [القلم: ١٧ - ١٩] .

● وقال تعالىٰ : ﴿لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكَنِهِمْ آيَةٌ جَنَّتَانِ عَن يَمِينٍ وَشِمَالٍ كُلُوا مِن رِّزْقِ رَبِّكُمْ وَاشْكُرُوا لَهُ بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ ﴿١٥﴾ فَأَعْرَضُوا فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ الْعَرِمِ وَبَدَّلْنَاهُم بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَوَاتَيْ أُكُلٍ خَمْطٍ وَأَثْلٍ وَشَيْءٍ مِّن سِدْرٍ قَلِيلٍ ﴿١٦﴾ ذَٰلِكَ جَزَيْنَاهُم بِمَا كَفَرُوا وَهَلْ نُجَازِي إِلَّا الْكَفُورَ﴾ [سبأ: ١٥ - ١٧] .

● وقال تعالىٰ : ﴿إِنَّ قَارُونَ كَانَ مِن قَوْمِ مُوسَىٰ فَبَغَىٰ عَلَيْهِمْ وَآتَيْنَاهُ مِنَ الْكُنُوزِ﴾ إلىٰ قوله : ﴿فَخَسَفْنَا بِهِ وَبِدَارِهِ الْأَرْضَ فَمَا كَانَ لَهُ مِن فِئَةٍ يَنصُرُونَهُ مِن دُونِ اللَّهِ وَمَا كَانَ مِنَ الْمُنتَصِرِينَ﴾ [القصص: ٧٦ - ٨١] .

● وقال تعالىٰ : ﴿فَأَخْرَجْنَاهُم مِّن جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ﴿٥٧﴾ وَكُنُوزٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ﴾ [الشعراء: ٥٧، ٥٨] .

وقال تعالىٰ : ﴿وَجَاءَ فِرْعَوْنُ وَمَن قَبْلَهُ وَالْمُؤْتَفِكَاتُ بِالْخَاطِئَةِ ﴿٩﴾ فَعَصَوْا رَسُولَ رَبِّهِمْ فَأَخَذَهُمْ أَخْذَةً رَّابِيَةً ...﴾ [الحاقة: ٩، ١٠] إلىٰ غير ذلك من الآيات :



﴿فَأَمَّا ٱلْإِنسَٰنُ إِذَا مَا ٱبْتَلَىٰهُ رَبُّهُۥ فَأَكْرَمَهُۥ وَنَعَّمَهُۥ فَيَقُولُ رَبِّىٓ أَكْرَمَنِ ﴿١٥﴾ وَأَمَّآ إِذَا مَا ٱبْتَلَىٰهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُۥ فَيَقُولُ رَبِّىٓ أَهَٰنَنِ ﴿١٦﴾ كَلَّا ۖ بَل لَّا تُكْرِمُونَ ٱلْيَتِيمَ ﴿١٧﴾ وَلَا تَحَٰٓضُّونَ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلْمِسْكِينِ ﴿١٨﴾ وَتَأْكُلُونَ ٱلتُّرَاثَ أَكْلًا لَّمًّا ﴿١٩﴾ وَتُحِبُّونَ ٱلْمَالَ حُبًّا جَمًّا ﴿٢٠﴾﴾

س ـ وضح المعنى الإجمالي لما يلي :

ابتلاه ـ قدر ـ تحآضون ـ التر اث ـ لمًّا ـ جمًّا ؟

ج :

الكلمة	معناها
ابتلاه	اختبره ـ امتحنه
قدر	ضيق ـ قتَّر
تحاضون	يحض بعضكم بعضًا ـ يأمر بعضكم بعضًا ـ يحث بعضكم بعضًا
التراث	الميراث
لمًّا	شديدًا ـ ذريعًا
جمًّا	كثيراً

* * *

س ـ وضح المعنى الإجمالي لقوله تعالى : ﴿ فَأَمَّا الإِنسَانُ إِذَا مَا ابْتَلاهُ رَبُّهُ فَأَكْرَمَهُ وَنَعَّمَهُ ... ﴾ [الفجر: ١٥] الآية ؟

ج : **قال الطبري رحمه اللَّه** : فأما الإنسان إذا ما امتحنه ربه بالنعم والغنى فأكرمه بالمال وأفضل عليه ونعّمه بما أوسع عليه من فضله فيقول: ربي أكرمن؛ فيفرح بذلك ويسرُّ به، ويقول: ربي أكرمني بهذه الكرامة .

●● ثم قال: وأما إذا ما امتحنه ربه بالفقر فقدر عليه رزقه، يقول : فضيق عليه رزقه وقتره فلم يكثر ماله ولم يوسع عليه، فيقول: ربي أهانن يقول: فيقول ذلك الإنسان: رب أهانني، يقول: أذلني بالفقر، ولم يشكر اللَّه على ما وهب له من سلامة جوارحه ورزقه من العافية في جسمه .

ونقل الطبري بإسناد حسن عن قتادة قوله : ﴿ **وَأَمَّا إِذَا مَا ابْتَلاهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَهَانَنِ** ﴾ [الفجر: ١٦] : ما أسرع ما كفر ابن آدم يقول اللَّه جل ثناؤه : كلا إني لا أكرم من أكرمت بكثرة الدنيا ولا أهين من أهنت بقلتها ، ولكن إنما أكرم من أكرمت بطاعتي ، وأُهين من أهنت بمعصيتي .

* * *

س ـ الابتلاء قد يكون بالخير، وقد يكون بالشر ، وقد يكون بالغنى، وقد يكون بالفقر ، دلِّل على ذلك ؟

ج : من الأدلة على ذلك ما يلي :

قال تعالى : ﴿ **وَنَبْلُوكُم بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً** ﴾ [الأنبياء: ٣٥] .

وقوله تعالىٰ : ﴿ وَبَلَوْنَاهُم بِالْحَسَنَاتِ وَالسَّيِّئَاتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴾ [الأعراف: ١٦٨] .

وقوله تعالىٰ : ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ مِّن نَّبِيٍّ إِلَّا أَخَذْنَا أَهْلَهَا بِالْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ لَعَلَّهُمْ يَضَّرَّعُونَ ﴿٩٤﴾ ثُمَّ بَدَّلْنَا مَكَانَ السَّيِّئَةِ الْحَسَنَةَ حَتَّىٰ عَفَوا .. ﴾ [الأعراف: ٩٤، ٩٥] .

وقال تعالىٰ : ﴿ أَيَحْسَبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُم بِهِ مِن مَّالٍ وَبَنِينَ ﴿٥٥﴾ نُسَارِعُ لَهُمْ فِي الْخَيْرَاتِ بَل لَّا يَشْعُرُونَ ﴾ [المؤمنون: ٥٥، ٥٦] .

وقال تعالىٰ : ﴿ وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ خَيْرٌ لِّأَنفُسِهِمْ إِنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ لِيَزْدَادُوا إِثْمًا وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴾ [آل عمران: ١٧٨] .

وقال تعالىٰ : ﴿ فَإِذَا مَسَّ الْإِنسَانَ ضُرٌّ دَعَانَا ثُمَّ إِذَا خَوَّلْنَاهُ نِعْمَةً مِّنَّا قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَىٰ عِلْمٍ بَلْ هِيَ فِتْنَةٌ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ [الزمر: ٤٩] .

* * *

س ـ ما هو وجه الإنكار في قوله تعالىٰ : ﴿ كَلَّا بَل لَّا تُكْرِمُونَ الْيَتِيمَ .. ﴾ [الفجر: ١٧] ؟

ج : هذا إنكار للفهم الأعوج الذي فهمه الإنسان ، فليس الأمر أيها الإنسان كما زعمت أنك إذا أكرمك اللَّه ونعَّمك تظن أن اللَّه راضٍ عنك ، وأنه سبحانه إذا ضيق عليك في الرزق أنه غير راضٍ عنك ، فليس الأمر علىٰ هذا الفهم الذي فهمته فاللَّه عز وجل يبتلي العباد بالسراء والضراء ، وجدير بالإنسان أن يكون صابرًا عند البلاء شاكرًا في

في السراء ، كما قال عليه الصلاة والسلام : «**عجبًا لأمر المؤمن إن أمره كله خير ، وليس ذاك لأحد إلا للمؤمن إن أصابته سراء شكر فكان خيرًا له ، وإن أصابته ضراء صبر فكان خيرًا له**»(١) .

* * *

س ـ ميراث مَن الذي يؤكل ؟

ج : كانوا يأكلون ميراث اليتامى والنساء وسائر الضعفاء ، والله أعلم .

* * *

س ـ وضح معنى قوله تعالى : ﴿ كَلاَّ .. ﴾ من قوله عز وجل : ﴿ كَلاَّ إِذَا دُكَّتِ الأَرْضُ دَكًّا دَكًّا ﴾ [الفجر: ٢١] ؟

ج : المعنى ـ والله أعلم ـ : ما هكذا ينبغي أن تكون أخلاقكم ، لا ينبغي أن تأكلوا ميراث الضعفاء وميراث اليتامى وميراث النساء وسائر الميراث الذي لا يحل لكم بهذه الصورة ، ولا ينبغي أن تتكالبوا هذا التكالب الشديد على المال .



(١) أخرجه مسلم (٢٩٩٩) من حديث صهيب رضي الله عنه مرفوعًا .

﴿كَلَّآ إِذَا دُكَّتِ ٱلْأَرْضُ دَكًّا دَكًّا ﴿٢١﴾ وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا ﴿٢٢﴾ وَجِاْىٓءَ يَوْمَئِذٍۭ بِجَهَنَّمَ ۚ يَوْمَئِذٍ يَتَذَكَّرُ ٱلْإِنسَـٰنُ وَأَنَّىٰ لَهُ ٱلذِّكْرَىٰ ﴿٢٣﴾ يَقُولُ يَـٰلَيْتَنِى قَدَّمْتُ لِحَيَاتِى ﴿٢٤﴾ فَيَوْمَئِذٍ لَّا يُعَذِّبُ عَذَابَهُۥٓ أَحَدٌ ﴿٢٥﴾ وَلَا يُوثِقُ وَثَاقَهُۥٓ أَحَدٌ ﴿٢٦﴾ يَـٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفْسُ ٱلْمُطْمَئِنَّةُ ﴿٢٧﴾ ٱرْجِعِىٓ إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً ﴿٢٨﴾ فَٱدْخُلِى فِى عِبَـٰدِى ﴿٢٩﴾ وَٱدْخُلِى جَنَّتِى ﴿٣٠﴾﴾

س ـ اذكر معنى ما يلي :

دكت ـ دكًا دكًا ـ الملك ـ صفًا صفًا ـ المطمئنة ؟

ج :

الكلمة	معناها
دكت	زلزت فدك بعضها بعضًا ، والدك : الكسر والدق ، والدك : حط المرتفع بالبسط
دكًا دكًا	رجًا رجًا ـ زلزلةً زلزلةً ـ تحريكًا تحريكًا
الملك	الملائكة
صفًا صفًا	صفوفًا صفوفًا

الكلمة	معناها
المطمئنة	المطمئنة إلىٰ وعد اللَّه الذي وعد به أهل الإيمان في الدنيا من أنه سيكرمهم في الآخرة ـ المصدقة بأن اللَّه ربها ـ المطمئنة بذكر اللَّه ـ الراضية بقضاء اللَّه وقدره .

* * *

س ـ ما هو المعنىٰ بقول اللَّه جل ثناؤه : ﴿ كَلاَّ ﴾ من قوله سبحانه : ﴿ كَلاَّ إِذَا دُكَّتِ الأَرْضُ دَكًّا دَكًّا ﴾ [الفجر: ٢١] .

ج : المعنىٰ ـ واللَّه أعلم ـ بقوله : ﴿ كَلاَّ ﴾ : أن الأمر ليس كما صنعتم من عدم إكرام اليتيم وعدم الحض علىٰ طعام المسكين وأكل الميراث أكلاً ذريعًا وحب المال حبًّا شديدًا ، فما ينبغي أن تكون الأمور هكذا فإذا دكت الأرض دكًّا دكًّا ، وجاء ربك والملك صفًّا صفًّا ، وجيء يومئذ بجهنم ، فيومئذ يتذكر الإنسان أن مسلكه مع الأمور وتصرفه الذي كان يتصرفه مع الأحداث من عدم إكرام اليتيم وعدم الحض علىٰ إطعام المسكين وأكل الميراث أكلاً ذريعًا وحب المال حبًّا شديدًا كان خطأً واضحًا .

* * *

س ـ اذكر آيـة في معنىٰ قوله تعالىٰ : ﴿ وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا ﴾ [الفجر: ٢٢] ؟

ج : في معناها : قوله تعالىٰ : ﴿ هَلْ يَنظُرُونَ إِلاَّ أَن يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ فِي

ظُلَلٍ مِّنَ الْغَمَامِ وَالْمَلائِكَةُ﴾ [البقرة: ٢١٠] ؟

* * *

س ـ كيف يؤتى بجهنم يوم القيامة ؟

ج : ورد في «صحيح مسلم» أن النبي ﷺ قال : «**يؤتى بجهنم يومئذٍ لها سبعون ألف زمام مع كل زمام سبعون ألف ملك يجرونها**»[1]

* * *

س ـ وضح معنى قوله تعالى : ﴿يَوْمَئِذٍ يَتَذَكَّرُ الإِنسَانُ وَأَنَّىٰ لَهُ الذِّكْرَىٰ﴾ [الفجر: ٢٣] ؟

ج : المعنى ـ والله أعلم ـ : فيومئذ ـ أي : يوم القيامة ـ يتذكر الإنسان ويتعظ ويعتبر ، لكن ومن أي وجه يحدث له الانتفاع بهذه التذكرة وبهذا الاتعاظ والاعتبار فلا وجه لانتفاعه به فقد قضي الأمر ، ولا ينفع الظالمين يومئذ معذرتهم ولهم اللعنة ولهم سوء الدار .

* * *

(١) أخرجه مسلم (حديث ٢٨٤٢) من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه مرفوعًا ، وقد انتقد هذا الحديث على مسلم رحمه الله ، فالحديث مروي عند مسلم من طريق حفص بن غياث عن العلاء بن خالد عن شقيق عن عبد الله قال : قال رسول الله ﷺ . . . فذكره وأعله الدارقطني كما في « التتبعات » بقوله : « رواه الثوري ومروان وغيرهما عن العلاء بن خالد موقوفًا » «الإلزامات والتتبع» (ص ٣٢٩) .

ودافع النووي عن مسلم فقال : وحفص ثقة حافظ إمام فزيادته الرفع مقبولة كما سبق نقله عن الأكثرين والمحققين ا.هـ .

وذهب بعض أهل العلم إلى أن له حكم الرفع لأنه لا يُقال من قبيل الرأي ، والله أعلم .

س ـ ما المراد بقول الإنسان : ﴿ يَا لَيْتَنِي قَدَّمْتُ لِحَيَاتِي ﴾ [الفجر: ٢٤]؟

ج: المعنى ـ والله أعلم ـ: يا ليتني قدمت لحياتي ـ الأبدية التي لا موت بعدها ـ من الأعمال الصالحة ما ينفعني وينجيني من غضب الله ويورثني رضوانه .

* * *

س ـ وضح معنى قوله تعالى : ﴿ فَيَوْمَئِذٍ لاَّ يُعَذِّبُ عَذَابَهُ أَحَدٌ ﴿٢٥﴾ وَلا يُوثِقُ وَثَاقَهُ أَحَدٌ ﴾ [الفجر: ٢٥، ٢٦] ؟

ج : المعنى ـ والله أعلم ـ : فيومئذ لا يعذِب كعذاب الله أحدٌ ، ولا يوثِق كوثاقه أحد ، فعذاب الله يوم القيامة لمن أراد له العذاب ليس كعذاب بعضكم لبعضٍ في الدنيا .

ووثاق الله عز وجل يوم القيامة ليس كوثاق بعضكم لبعض في الدنيا .

● ومن العلماء من قال : لا يُعذب كعذاب هذا الكافر المعين أحد ، ولا يوثق بالسلاسل والأغلال كوثاقه أحد لتناهيه في الكفر والفساد .

وقيل : المعنى : لا يعذب مكانه أحد ولا يوثق مكانه أحد ، فلا تؤخذ منه فدية كما قال تعالى : ﴿ وَلا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ .. ﴾ [الزمر: ٧] .

* * *

س ـ متى يقال : ﴿ يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ ﴾ [الفجر: ٢٧] ؟

ج : قال بعض العلماء : هذا عند الموت والخروج من الدنيا .

● وقال آخرون هذا عند البعث .

● وقال غيرهم هذا عند دخول الجنة ، والله أعلم .

* * *

س ـ ما المراد بقوله : ﴿ ارْجِعِي إِلَىٰ رَبِّكِ ﴾ [الفجر: ٢٨] ؟

ج : من العلماء من قال : إن المعنى : ارجعي إلى الله عز وجل ومنهم من قال : ارجعي إلى جسد عبدي ، فحمل الرب هنا على الصاحب، فالمعنى: ارجعي إلى جسد صاحبك ، وهذا اختيار الطبري.

واستدل له بأن في بعض القراءات ﴿فَادْخُلِي فِي عَبْدِي﴾ والله أعلم.

* * *

س ـ ما المراد بقوله : ﴿ فَادْخُلِي فِي عِبَادِي ﴾ [الفجر: ٢٩] ؟

ج : لأهل العلم فيها قولان :

أحدهما : فادخلي أيتها الأنفس المطمئنة إلى أجساد عبادي .

الثاني : فادخلي أيتها النفس المطمئنة في زمرة عبادي الصالحين وجملتهم وفيما أعددته لهم ، وانضمي إليهم ، وانتظمي في سلكهم .



سُورَةُ البَلَدِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

لَا أُقْسِمُ بِهَٰذَا الْبَلَدِ ﴿١﴾ وَأَنتَ حِلٌّ بِهَٰذَا الْبَلَدِ ﴿٢﴾ وَوَالِدٍ وَمَا وَلَدَ ﴿٣﴾ لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ فِي كَبَدٍ ﴿٤﴾ أَيَحْسَبُ أَن لَّن يَقْدِرَ عَلَيْهِ أَحَدٌ ﴿٥﴾ يَقُولُ أَهْلَكْتُ مَالًا لُّبَدًا ﴿٦﴾ أَيَحْسَبُ أَن لَّمْ يَرَهُ أَحَدٌ ﴿٧﴾ أَلَمْ نَجْعَل لَّهُ عَيْنَيْنِ ﴿٨﴾ وَلِسَانًا وَشَفَتَيْنِ ﴿٩﴾ وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ ﴿١٠﴾

س ـ اذكر معنى ما يلي :

حلٌّ ـ كبد ـ لُبدا ـ هديناه النجدين ؟

ج :

الكلمة	معناها
حلٌّ	بريء من الإثم والحرج ، ولا تؤاخذ بما يؤاخذ به غيرك إذا حملت السلاح فيها أو قتلت من تشاء من الكفار فيها ـ لست بآثم ـ وقال آخرون : حلال الدم (أي : الكفار يستحلون دمك)
كبد	مشقة ـ عناء ـ تعب ـ نصب من قولهم : كابد فلان

الكلمة	معناها
	الأمور ، وعلى هذا الأكثرون وقال آخرون : إن المراد بالكبد : انتصاب القامة
لُبــــــــدًا	كثيرًا مجتمعًا
هديناه النجدين	أوضحنا له طريق الخير والشر ، وبيناهما له

* * *

س ـ وضح المراد بقوله تعالى : ﴿ لا أُقْسِمُ بِهَذَا الْبَلَدِ ﴾ [البلد: ١] ؟

ج : من العلماء من قال : إن (لا) ردٌّ لشيء قد تقدم ، فكأنهم أنكروا البعث ، وقالوا في ذلك أقاويل فنفاها اللَّه بقوله : لا ، ثم قال سبحانه : أقسم بهذا البلد .

ومن العلماء من قال : إن (لا) زائدة كما في قوله تعالى : **﴿لِئَلاَّ يَعْلَمَ أَهْلُ الْكِتَابِ﴾** [الحديد: ٢٩] ، والمعنى : ليعلم ، وكما في قوله تعالى : **﴿مَا مَنَعَكَ أَلاَّ تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ﴾** [الأعراف: ١٢] ، وكما في قول الشاعر :

تذكرت ليلى فاعترتني صبابةٌ ∴ وكاد صميمُ القلب لا يتقطع

أي : وكاد صميم القلب يتقطع .

● ومن العلماء من قال : إن (لا) نافية ، والمعنى : لا أقسم

بهذا البلد أثناء وجودك فيه وإقامتك به . والله أعلم .

* * *

س ـ ما المراد بالبلد ؟

ج : البلد هي مكة ، وقد نقل الرازي والقرطبي وغيرهما الإجماع على ذلك .

* * *

س ـ وضح معنى قول الله تعالى : ﴿ وَأَنْتَ حِلٌّ بِهَذَا الْبَلَدِ ﴾ [البلد: ٢] ؟

لأهل العلم في ذلك أقوال :

القول الأول وهو الذي عليه الأكثرون : أن المعنى : وأنت حلال بهذا البلد ، أي : في الوقت الذي أُحلت لك فيه هذه البلدة تصنع فيها ما تشاء من قتل أو استحياء .

ولمزيد إيضاح ؛ فإن مكة بلد حرام ـ كما قال النبي ﷺ ـ لا يحل لأحد أن يحمل فيها سلاح ولا يعضد فيها شجر ولا يُنفر فيها صيد ، لكنها أُحلت لرسول الله ﷺ ساعة من النهار يعمل فيها ما يشاء من قتل أو استحياء، وكان ذلك ساعة من النهار كما في «الصحيحين»[1] من حديث ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال يوم فتح مكة : «إن

---

(١) البخاري حديث (١٥٧٨) ومسلم (حديث ١٣٥٣) .

هذا البلد حرمه اللَّه يوم خلق السموات والأرض ، فهو حرام بحرمة اللَّه إلىٰ يوم القيامة ، وإنه لم يحل القتال فيه لأحدٍ قبلي ، ولم يحل لي إلا ساعة من نهار فهو حرام بحرمة اللَّه إلىٰ يوم القيامة ، لا يعضد شوكه ولا ينفر صيده ولا يلتقط لقطته إلا من عرّفها ولا يختلىٰ خلاها» فقال العباس: يا رسول اللَّه : إلا الإذخر فإنه لقينهم ولبيوتهم فقال : «**إلا الإذخر**» .

• فأقسم اللَّه سبحانه وتعالىٰ بالبلد أثناء إجلاله لرسول اللَّه ﷺ ، فالمعنىٰ : أقسم بهذا البلد أثناء تواجدك فيه ، وقد أُحلت لك .

وهذا القول عليه أكثر المفسرين .

وسيرد علىٰ هذا الوجه سؤال وجوابه حاصله: أن هذه السورة مكية نزلت قبل الهجرة وإحلال البلدة لرسول اللَّه ﷺ إنما كان عام الفتح .

هذا وقد قال القرطبي رحمه اللَّه في تفسير قوله تعالىٰ : ﴿**وَأَنْتَ حِلٌّ بِهَذَا الْبَلَدِ**﴾ [البلد: ٢] : يعني في المستقبل ، مثل قوله تعالىٰ : ﴿**إنك ميت وإنهم ميتون**﴾ ، ومثله واسع في كلام العرب تقول لمن تعده الإكرام والحباء : أنت مكرم محبو ، وهو في كلام اللَّه واسع لأن الأحوال المستقبلة عنده كالحاضرة المشاهدة ، وكفاك دليلاً قاطعًا علىٰ أنه للاستقبال ، وأن تفسيره بالحال محال : أن السورة باتفاقٍ مكية قبل الفتح فروىٰ منصور عن مجاهد ﴿**وأنت حل**﴾ قال : ما صنعت فيه من شيء فأنت في حلٍّ ، وكذا قال ابن عباس : أُحل له يوم دخل مكة أن يقتل من شاء . . . .

القول الثاني : أي : وأنت حلال الدم عندهم ، يستحلون دمك ، ويستحلون قتلك وإيذاءك مع أنهم يحرمون البلدة .

القول الثالث : مبني على أن (لا) نافية ، والمعنى : لا أقسم بهذا البلد أثناء حلولك فيها وإقامتك بها .

* * *

س ـ كيف يجمع بين قوله تعالى : ﴿ وَأَنْتَ حِلٌّ بِهَذَا الْبَلَدِ ﴾ [البلد: ٢] على التأويل الذي ذكرتموه [1] وبين كون هذه السورة مكية ؟

ج : **قال الرازي في «تفسيره»** : فإن قيل هذه السورة مكية وقوله : ﴿ وأنت حل ﴾ إخبار عن الحال ، والواقعة التي ذكرتم إنما حدثت في آخر مدة هجرته إلى المدينة فكيف الجمع بين الأمرين ؟ قلنا : قد يكون اللفظ للحال والمعنى مستقبلاً، كقوله: ﴿ إِنَّكَ مَيِّتٌ ﴾ [الزمر: ٣٠]، وكما إذا قلت لمن تَعِدْه الإكرام والحباء : أنت مكرم محبو ، وهذا من الله أحسن، لأن المستقبل عنده كالحاضر بسبب أنه لا يمنعه عن وعده مانع.

وعلى هذا فيكون في الآية الكريمة إخبارٌ بالمستقبل ووعدٌ بفتح مكة ، وأنها ستحل له بعد أن كانت حرامًا ، فيقاتل أهلها وينتصر عليهم ، أو أنه تسلية له وأن الله عالم بما يفعلون وسينصره عليهم . قال هذا الأخير عطية سالم .

* * *

(١) أي : الوجه الأول الذي ذُكر .

س ـ اذكر بعض الآيات والأحاديث الواردة في فضل مكة ؟

ج : الإجابة على هذا السؤال قد تقدمت في تفسير سورة البقرة (٢/ ٢٧٢) ، ولكننا رأينا أن وضعها هنا أليق إذ السورة سورة البلد فأقول مكررًا ما ذُكر هناك .

من الآيات الواردة في هذا الباب ما يلي :

• قول اللَّه تبارك وتعالى : ﴿ إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَالَمِينَ ﴿٩٦﴾ فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ مَّقَامُ إِبْرَاهِيمَ وَمَن دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا ﴾ [آل عمران: ٩٦، ٩٧] .

• وقوله تعالى : ﴿ وَقَالُوا إِن نَّتَّبِعِ الْهُدَىٰ مَعَكَ نُتَخَطَّفْ مِنْ أَرْضِنَا أَوَ لَمْ نُمَكِّن لَّهُمْ حَرَمًا آمِنًا يُجْبَىٰ إِلَيْهِ ثَمَرَاتُ كُلِّ شَيْءٍ رِّزْقًا مِّن لَّدُنَّا وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لا يَعْلَمُونَ ﴾ [القصص: ٥٧] .

• وقوله تعالى : ﴿ إِنَّمَا أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ رَبَّ هَذِهِ الْبَلْدَةِ الَّذِي حَرَّمَهَا وَلَهُ كُلُّ شَيْءٍ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴾ [النمل: ٩١] .

• وقوله تعالى : ﴿ فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ ﴿٣﴾ الَّذِي أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ وَآمَنَهُم مِّنْ خَوْفٍ ﴾ [قريش: ٣، ٤] .

• وقوله تعالى : ﴿ جَعَلَ اللَّهُ الْكَعْبَةَ الْبَيْتَ الْحَرَامَ قِيَامًا لِّلنَّاسِ ﴾ [المائدة: ٩٧] .

• وقوله تعالى : ﴿ أَوَ لَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا آمِنًا وَيُتَخَطَّفُ النَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ ﴾ [العنكبوت: ٦٧] .

• وقوله تعالى : ﴿وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْنًا وَاتَّخِذُوا مِن مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى وَعَهِدْنَا إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ أَن طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْعَاكِفِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ﴾ [البقرة: ١٢٥] .

• وقوله تعالى : ﴿وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَاهِيمَ مَكَانَ الْبَيْتِ أَن لَّا تُشْرِكْ بِي شَيْئًا وَطَهِّرْ بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْقَائِمِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ﴾ [الحج: ٢٦] .

• وقد أقسم اللَّه عز وجل بمكة ؛ فقال سبحانه : ﴿وَالتِّينِ وَالزَّيْتُونِ ۝١ وَطُورِ سِينِينَ ۝٢ وَهَٰذَا الْبَلَدِ الْأَمِينِ﴾ [التين: ١ - ٣] .

• وقول اللَّه تبارك وتعالى : ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ الَّذِي جَعَلْنَاهُ لِلنَّاسِ سَوَاءً الْعَاكِفُ فِيهِ وَالْبَادِ وَمَن يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍ بِظُلْمٍ نُّذِقْهُ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ [الحج: ٢٥] .

أما الأحاديث فمنها :

قول النبي ﷺ : **«إن إبراهيم حرَّم مكة ودعا لها ، وحرمت المدينة كما حرم إبراهيم مكة ودعوت لها في مُدها وصاعها مثل ما دعا إبراهيم لمكة»** .

وقول النبي ﷺ يوم فتح مكة : **«إن هذا البلد حرَّمه اللَّه يوم خلق السموات والأرض فهو حرام بحرمة اللَّه إلىٰ يوم القيامة و إنه لم يحل القتال فيه لأحد قبلي ولم يحل لي إلا ساعة من نهار فهو حرام بحرمة اللَّه إلىٰ يوم القيامة لا يعضد شوكه ولا ينفر صيده ولا يلتقط لقطته إلا من عرَّفها ولا يختلي خلاها»** فقال العباس : يا رسول اللَّه إلا الإذخر فإنه لقينهم

ولبيوتهم فقال : «**إلا الإذخر**»[1] .

● وقال أبو شريح العدوي رضي اللَّه عنه لعمرو بن سعيد وهو يبعث البعوث إلى مكة : ائذن لي أيها الأمير أن أحدثك قولاً قام به رسول اللَّه ﷺ الغد من يوم الفتح ـ سمعته أذناي ووعاه قلبي وأبصرته عيناي حين تكلم به ـ إنه حمد اللَّه وأثنى عليه ثم قال : « **إن مكة حرمها اللَّه ولم تحرمها الناس فلا يحل لامرئ يؤمن باللَّه واليوم الآخر أن يسفك بها دمًا ولا يعضد بها شجرة ، فإن أحد ترخص بقتال رسول اللَّه ﷺ فقولوا : إن اللَّه أذن لرسوله ولم يأذن لكم وإنما أذن لي فيها ساعة من نهار وقد عادت حرمتها اليوم كحرمتها بالأمس فليبلغ الشاهد الغائب**»[2] .

● هذا والصلاة بالمسجد الحرام تعدل مائة ألف صلاة فيما سواه من المساجد .

● وبه الحجر الأسود ومقام إبراهيم والصفا والمروة .

* * *

س ـ وضح المراد بقوله تعالى: ﴿وَوَالِدٍ وَمَا وَلَدَ﴾ [البلد: ٣] ؟

ج : قال كثير من أهل العلم : إن المراد بذلك الوالد وولده ثم جاءت لهم أقوال في تحديد من الوالد ومن ولده .

● فقال بعضهم : الوالد : آدم ، وما ولد : هم ذريته .

---

(١) أخرجه مسلم (١٣٥٣) والبخاري (١٥٨٧) من حديث ابن عباس رضي اللَّه عنهما مرفوعًا .

(٢) أخرجه البخاري (١٨٣٢) ومسلم (١٣٥٤) .

● وقال آخرون: الوالد: إبراهيم ، وما ولد المراد به: إسماعيل .

● وقال آخرون : الوالد : إبراهيم ، وما ولد : ذريته .

● وقال آخرون : الوالد : إبراهيم ، وما ولد : محمد ﷺ .

● واختار قومٌ التعميم ، **فقال الطبري رحمه اللَّه** : والصواب من القول في ذلك ما قاله الذين قالوا : إن اللَّه أقسم بكل والد وولده ؛ لأن اللَّه عمَّ كل والد وما ولد ، وغير جائز أن يخص ذلك إلا بحجة يجب التسليم لها من خبرٍ أو عقل ، ولا خبر بخصوص ذلك ، ولا برهان يجب التسليم له بخصوصه ، فهو على عمومه كما عمّه .

● ونحى آخرون من أهل العلم منحًى آخر فقالوا : الوالد : الذي يلد ، وما ولد : العاقر الذي لا يلد ، واللَّه أعلم .

* * *

س ـ اذكر طرفًا من هذا الكبد الذي خلق الإنسان فيه ؟

ج : هذا الكبد كما قدمنا هو العناء والمشقة والجهد ، وقد لخص القرطبي ذلك فقال : قال علماؤنا : أول ما يكابد قطع سُرَّته ، ثم إذا قُمِط قماطًا ، وشُدَّ رباطًا ، يكابد الضيق والتعب ، ثم يكابد الارتضاع ، ولو فاته لضاع ، ثم يكابد نبت أسنانه ، وتحرّك لسانه ، ثم يكابد الفِطام ، الذي هو أشدّ من اللّطام ، ثم يكابد الختان ، والأوجاع والأحزان ، ثم يكابد المُعَلِّم وصَولَته ، والمؤدّب وسياسته ، والأستاذ وهَيبته ، ثم يكابد شغل التَّزْويج والتعجيل فيه ، ثم يكابد

شُغْل الأولاد ، والخدم والأجناد ، ثم يكابد شغل الدور ، وبناء القصور ، ثم الكِبَرَ والهَرَم ، وضعف الركبة والقدم ، في مصائب يكثر تعدادُها ، ونوائب يطول إيرادُها ، من صُداع الرأس ، ووجع الأضراس، ورمد العين ، وغَمّ الدَّين ، ووجع السنّ ، وألم الأذن . ويكابد مِحنًا في المال والنفس ، مثل الضرب والحبس ، ولا يمضي عليه يوم إلاّ يقاسي فيه شدّة ، ولا يكابد إلا مشقة ، ثم الموت بعد ذلك كله ، ثم مساءلة المَلَك ، وضَغْطة القبر وظلمته ؛ ثم البعث والعرض على اللَّه ، إلى أن يستقرّ به القرار ، إما في الجنة وإما في النار؛ قال اللَّه تعالى: ﴿ **لَقَدْ خَلَقْنَا الإنسَانَ فِي كَبَدٍ** ﴾ [البلد: ٤] ، فلو كان الأمر إليه لما اختار هذه الشدائد . ودلّ هذا على أن له خالقًا دبَّره ، وقضى عليه بهذه الأحوال ؛ فليمتثل أمره .

* * *

س ـ وضح معنى قوله تعالى : ﴿ أَيَحْسَبُ أَن لَّن يَقْدِرَ عَلَيْهِ أَحَدٌ ﴾ [البلد: ٥] ؟

ج : المعنى ـ واللَّه أعلم ـ : أيحسب ذلك الإنسان أن لن يغلبه ويقهره ويعاقبه أحد .

وقال بعض العلماء : أيحسب أن لن يستطيع أحد أن يغير أحواله وما عليه من القوة والشدة إلى الضعف والخور ؟ !!

* * *

س ـ ما هو وجه قوله : ﴿ أَهْلَكْتُ مَالاً لُّبَداً ﴾[البلد: ٦] ؟

ج : الظاهر ـ والله أعلم ـ : أن لذلك وجهان :

أحدهما : أن الكافر يزعم لإخوانه الكفرة أنه أنفق الكثير في عداوة محمد ﷺ .

الثاني : أن المنافق يزعم أنه أنفق أموالاً كثيرة لنصرة الدين ، فليدرك هذا وذاك أن الله يراهما ويحاسبهما على ما صنعا وفيما أنفقا .

* * *

س ـ وضح معنى قوله تعالى : ﴿ أَيَحْسَبُ أَن لَّمْ يَرَهُ أَحَدٌ ﴾ [البلد: ٧] ؟

ج : المعنى ـ والله أعلم ـ : أيظن هذا الذي يزعم أنه أنفق مالاً كثيرًا أن أحدًا لم يطلع عليه ويعلم ما يصنع ؟ !!

* * *

س ـ ما هو وجه إتباع قوله تعالى : ﴿ أَيَحْسَبُ أَن لَّمْ يَرَهُ أَحَدٌ ﴾ [البلد: ٧] بقوله : ﴿ أَلَمْ نَجْعَل لَّهُ عَيْنَيْنِ ﴾ [البلد: ٨] ؟

ج : لذلك وجهان :

أحدهما : أنه إن أنفق فقد أعطيناه نعمًا أوسع مما أنفقه ، فقد جعلنا له عينين ولسانًا وشفتين . . . .

الثاني : أننا جعلنا له عينين ولسانًا وشفتين تشهد عليه يوم القيامة

بما صنع وتكلَّم .

* * *

س ـ وضح معنى قوله تعالى : ﴿ وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ ﴾ [البلد: ١٠] ؟

ج : المعنى ـ واللَّه أعلم ـ : أوضحنا له طريق الخير وطريق الشر [١] ، كما قال تعالى : ﴿إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا﴾ [الإنسان: ٣] والنجد هو الطريق المرتفع أو الآخذ في الارتفاع .



(١) هذا القول عليه أكثر أهل العلم ، ومن العلماء من قال المراد: بالنجدين: الثديان ، فالمعنى: ألهمناه أن يمص الثديين ، وهذا قول بعيد ، وإن كان صحيحًا في نفسه ، فرب العزة ألهم الطفل مص الثديين ، لكن كون ذلك تفسيراً للآية ففي ذلك نظر ، والله أعلم .

فَلَا اقْتَحَمَ الْعَقَبَةَ ﴿١١﴾ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْعَقَبَةُ ﴿١٢﴾ فَكُّ رَقَبَةٍ ﴿١٣﴾ أَوْ إِطْعَامٌ فِي يَوْمٍ ذِي مَسْغَبَةٍ ﴿١٤﴾ يَتِيمًا ذَا مَقْرَبَةٍ ﴿١٥﴾ أَوْ مِسْكِينًا ذَا مَتْرَبَةٍ ﴿١٦﴾ ثُمَّ كَانَ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ وَتَوَاصَوْا بِالْمَرْحَمَةِ ﴿١٧﴾ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ ﴿١٨﴾ وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا هُمْ أَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ ﴿١٩﴾ عَلَيْهِمْ نَارٌ مُؤْصَدَةٌ ﴿٢٠﴾

س ـ اذكر معنى ما يلي :ـ

العقبة ـ فك رقبة ـ مسغبة ـ ذا مقربة ـ ذا متربة ـ تواصوا بالصبر ـ تواصوا بالمرحمة ـ أصحاب الميمنة ـ أصحاب المشأمة ـ مؤصدة ؟

ج :

الكلمة	معناها
العقبـــــة	عقبة في جهنم ـ جبل في جهنم
فـــك رقبـــة	عتق رقبة وفكها من الرِّق وأسر العبودية
مسغبـــــة	مجاعة، والساغب هو الجائع، ومنه قول الشاعر: فلو كنت جارًا يابن قيس لعاصمٍ لما بت شبعانًا وجارك ساغبًا
ذا مقربـــــة	ذا قرابة ـ قرب لك
ذا متربـــــة	ذا فقر شديد قد ألصق الفقر بالتراب ، وهو ذو

الكلمة	معناها
	العيال الكثيرين الذين لصقوا بالتراب من الضر وشدة الحاجة
تواصو بالصبر	أوصى بعضهم بعضًا بالصبر (أي : بالصبر على طاعة اللَّه ، وعن معاصيه ، وعلى ما أصابهم من البلايا والمصائب والمحن والشدائد) .
تواصوا بالمرحمة	أوصى بعضهم بعضًا برحمة الناس وحث بعضهم بعضًا على ذلك
أصحاب الميمنة	أصحاب اليمين ـ الذين يؤتون كتبهم بأيمانهم
أصحاب المشأمة	أصحاب الشمال ـ الذين يؤتون كتبهم بشمالهم
مؤصدة	مغلقة ـ مطبقة

* * *

س ـ وضح معنى قوله تعالى: ﴿فلا اقتحم العقبة﴾ [البلد: ١١] ؟

ج : المعنى ـ واللَّه أعلم ـ : أن هذا الإنسان الذي تقدم ذكره ، وأنه خلق في كبدٍ : لم يقتحم العقبة ولم يعمل أعمالاً تجعله يقطعها ويمر بها مرورًا سريعًا ويتجاوزها وينجو منها .

ومعنى آخر : أفلا اقتحم هذا الإنسان العقبة، أي : أفلا عمل عملاً

ينجيه من هذه العقبة ، وهذا العمل الذي ينجيه من هذه العقبة هو فك رقبة أو إطعام في يوم ذي مسغبة.

ومعنى ثالث : فلا اقتحم العقبة: لا فك رقبة ولا أطعم في يوم ذي مسغبة ، ولا كان من الذين آمنوا وتواصوا بالصبر وتواصوا بالمرحمة .

* * *

س ـ ما هو وجه الرفع في قوله تعالى : ﴿فَكُّ رَقَبَةٍ﴾ [البلد: ١٣] ؟

ج : رفع ﴿فَكُّ﴾ على أنه خبر ، والمعنى : اقتحام العقبة فكُّ رقبة ، ففك الرقبة خبر عن اقتحام العقبة ، واللّٰه أعلم .

* * *

س ـ وضح المراد بالفقير والمسكين ، وأيهما أشد حاجة من الآخر ؟

ج : قال بعض أهل العلم في الفقير : إنه الذي لا يجد شيئًا أو شيئًا قليلاً ، والمسكين الذي يجد شيئًا ولكن لا يكفيه ، ومما يدل على ذلك قوله تعالى : ﴿ **أما السفينة فكانت لمساكين يعملون في البحر** ﴾ [الكهف : ٧٩] .

وقد ذهب كثير من أهل العلم إلى أن اصطلاح المسكين والفقير إذا اجتمعا افترقا ، وإذا افترقا اجتمعا ، ومعنى هذا : أنه إذا جاء ذكر الفقير والمسكين في سياق واحد فيكون للفقير معنى وللمسكين معنى آخر ، فيكون الفقير أشد حاجة من المسكين ، أما إذا ورد ذكر المسكين في

سياق ليس فيه ذكر الفقير فيدخل في معناه الفقير ، وكذلك إذا ورد ذكر الفقير في سياق ولم يرد فيه ذكر المسكين دخل المسكين في معنى الفقير، واللَّه تعالى أعلم .

* * *

س ـ الإيمان شرط لقبول العمل فلا يقبل العمل من مشرك فلماذا **أُخر العمل في قوله تعالى ﴿ ثُمَّ كَانَ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا . . . . ﴾** [البلد: ١٧] ؟

ج : **لأهل العلم في ذلك أقوال :**

أحدها : أن (ثم) للترتيب في الذكر لا للترتيب في الزمن كما قال الشاعر :

إن من ساد ثم ساد أبوه ∴ ثم قد ساد قبل ذلك جده

فلم يرد ـ بقوله : ثم ساد ـ أبوه التأخر في الوجود والزمن ، وإنما المعنى : ثم اذكر أنه ساد أبوه .

● وهي بمعنى الواو ، كما في قوله تعالى : **﴿وَمَن يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ ﴾** [طه: ١١٢] .

ففك الرقبة والإطعام في يوم ذي مسغبة من الصالحات ، وقوله : ثم كان من الذين آمنوا . . . . من الإيمان .

● وكقوله تعالى : **﴿ وَمَنْ أَرَادَ الآخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ ﴾** [الإسراء: ١٩] .

• وكقوله تعالى : ﴿وَمَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَٰئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ ...﴾ [غافر: ٤٠] .

الثاني: أن المراد بقوله تعالى: ﴿ثُمَّ كَانَ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا ....﴾ [البلد: ١٧] أنه ختم له بالإيمان ومات على الإسلام ، أي : أنه فك رقبة وأطعم الفقراء والمساكين ، ثم مات على الإسلام ولم يرتد ولم يغير ولم يبدل وتواصى بالحق وتواصى بالصبر مبتغيًا بذلك وجه اللَّه .

الثالث : أنه كان في جاهلية يعمل أعمالاً صالحة من عتق الرقاب وإطعام الفقراء والمساكين ، ثم لما جاء الإسلام أسلم وحسن إسلامه وتواصى بالحق وتواصى بالصبر[1] .

الرابع : أن المراد من قوله : ﴿ ثُمَّ كَانَ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا ... ﴾ [البلد: ١٧] : تراخي الإيمان وتباعده في الرتبة والفضيلة عن العتق والصدقة ؛ لأن ثواب الإيمان أعظم بكثير من درجة ثواب سائر الأعمال ، واللَّه تعالى أعلم.

* * *

س ـ اذكر بعض الآيات التي تحث المؤمنين على التواصي بالصبر؟

ج : من ذلك : قوله تعالى : ﴿ ثُمَّ كَانَ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا

---

(١) وهذا (الثالث) على قول من يرى أن الكافر ينتفع بالأعمال الصالحة التي عملها في جاهليته وأسلم بعدها .

وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ وَتَوَاصَوْا بِالْمَرْحَمَةِ (١٧) أُوْلَئِكَ أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ ﴾ [البلد: ١٧، ١٨] .

وقوله تعالى: ﴿ وَالْعَصْرِ (١) إِنَّ الإِنسَانَ لَفِي خُسْرٍ (٢) إِلاَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ ﴾ [العصر: ١ - ٣].

وقول لقمان : ﴿ يَا بُنَيَّ أَقِمِ الصَّلاةَ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنكَرِ وَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا أَصَابَكَ ﴾ [لقمان: ١٧] .



سُورَةُ الشَّمْسِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

وَالشَّمْسِ وَضُحَاهَا ﴿١﴾ وَالْقَمَرِ إِذَا تَلَاهَا ﴿٢﴾ وَالنَّهَارِ إِذَا جَلَّاهَا ﴿٣﴾ وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَاهَا ﴿٤﴾ وَالسَّمَاءِ وَمَا بَنَاهَا ﴿٥﴾ وَالْأَرْضِ وَمَا طَحَاهَا ﴿٦﴾ وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا ﴿٧﴾ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا ﴿٨﴾ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا ﴿٩﴾ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّاهَا ﴿١٠﴾ كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِطَغْوَاهَا ﴿١١﴾ إِذِ انبَعَثَ أَشْقَاهَا ﴿١٢﴾ فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ نَاقَةَ اللَّهِ وَسُقْيَاهَا ﴿١٣﴾ فَكَذَّبُوهُ فَعَقَرُوهَا فَدَمْدَمَ عَلَيْهِمْ رَبُّهُم بِذَنبِهِمْ فَسَوَّاهَا ﴿١٤﴾ وَلَا يَخَافُ عُقْبَاهَا ﴿١٥﴾

س ـ اذكر معنى ما يلي : ضحاها ـ تلاها ـ جلاها ـ يغشاها ـ بناها ـ طحاها ـ سواها ـ فألهمها فجورها وتقواها ـ زكاها ـ دساها ـ بطغواها ـ انبعث ـ دمدم ؟

ج :

الكلمة	معناها
ضحاهــا	ضوؤها ـ النهار كله ـ حرُّها
تلاهـــا	تبعها
جلاَّهــا	أظهرها وأوضحها ـ جلَّى الظلمة عنها

الكلمة	معناها
يغشاهـــــا	يغطيها حتى تغيب
بناهـــــا	جعلها للأرض سقفًا ـ خلقها
طحاهـــــا	بسطها يمينًا وشمالاً ومن كل جانب (وهذا رأي أكثر المفسرين)
سوَّاهـــــا	عدلَّ خلقها
فألهمها فجورها وتقواها	بيَّن لها ما تكون به فاجرة وما تكون به تقية ـ عرَّفها ، وقال بعض العلماء : جعل فيها فجورها أو تقواها
زكَّاهـــــا	طهرها من الكفر والمعاصي وأصلحها بالأعمال الصالحة وبطاعة اللَّه
دسَّاهـــــا	أخفاها عن الخير وأبعدها عن الصلاح وخذلها وصدها عن الهدى حتى وقع في المعاصي وترك طاعة اللَّه
بطغواهـــــا	بسبب طغيانها (أي: أن طغيانها حملها على التكذيب)
انبعـــــث	نهض ـ خرج ـ انتُدب ـ (أي : نهض أشقى القبيلة لقتل الناقة)
دمـــــدم	دمر ـ أطبق عليهم العذاب ـ أَهْلَكَ

* * *

س ـ من العلماء من قال : إن قوله تعالىٰ : ﴿ وَالشَّمْسِ وَضُحَاهَا ﴾ [الشمس: ١] فيه مقدر محذوف والتقدير : (ورب الشمس وضحاها) ، فهل هذا الكلام مستقيم ؟

ج : **الذي يظهر لي ـ والله أعلم ـ : أنه لا يستقيم ، إذ الأصل عدم التقدير ، ثم إن رب العزة سبحانه يقسم بما شاء من مخلوقاته .**

ومما يعكر على هؤلاء القائلين بتقدير محذوف قوله تعالىٰ : ﴿ وَالسَّمَاءِ وَمَا بَنَاهَا ﴾ [الشمس: ٥] ، فإذا قدرت فستقول : ورب السماء ورب ما بناها ، فهذا سيكون خطأ واضح ، فالذي بناها هو ربها ، والله تعالىٰ أعلم .

* * *

س ـ الضمير في قوله تعالىٰ : ﴿ جَلَّاهَا ﴾ [الشمس: ٣] راجع إلىٰ ماذا ؟

ج : **جمهور المفسرين على أن المراد بـ ﴿ جَلَّاهَا ﴾ أي : جلى الظلمة ، فالضمير راجع إلى الظلمة .**

- **ومن أهل العلم من قال : إن الضمير راجع إلى الشمس : أي: والنهار إذا جلى الشمس وأظهرها .**

- **ومنهم من قال : والنهار إذا جلالها : أي : إذا جلَّى البسيطة ، وهي الأرض ، والله أعلم .**

* * *

س ـ لماذا استعملت ﴿ ما ﴾ في قوله تعالى : ﴿ والسماء وما بناها ﴾ [الشمس: ٥] ولم تستعمل مَنْ ؟

ج : من العلماء من قال : إن ﴿ مَا ﴾ هنا بمعنى (مَنْ) ، وذلك كقوله تعالى : ﴿ وَوَالِدٍ وَمَا وَلَدَ ﴾ [البلد: ٣] ، أي : ووالد ومن ولد ، وكقوله تعالى : ﴿ فَانكِحُوا مَا طَابَ لَكُم مِّنَ النِّسَاءِ ﴾ [النساء: ٣] ، أي : من طاب لكم .

ومن العلماء من قال : إن إيراد ﴿ مَا ﴾ على (من) لإرادة الوصفية لقصد التفخيم ، كأنه قال : والقادر العظيم الذي بناها ، واللَّه أعلم.

❊ ❊ ❊

س ـ الواو في قوله تعالى: ﴿ والشمس وضحاها ﴾ [الشمس: ١] واو القسم ، فأين جواب القسم ؟

ج : جواب القسم هو : قوله تعالى : ﴿ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا ۝ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّاهَا ﴾ [الشمس: ٩، ١٠] ؟

❊ ❊ ❊

س ـ الضمير في قوله تعالى : ﴿ قد أفلح من زكاها ﴾ [الشمس: ٩] يرجع إلى من ؟

ج : **لأهل العلم في ذلك قولان :**

أحدهما : أنه يرجع إلى اللَّه سبحانه وتعالى ، ويشهد لذلك أدلة

منها : قوله تعالىٰ : ﴿بَلِ اللَّهُ يُزَكِّي مَن يَشَاءُ﴾ [النساء: ٤٩] ، وقوله تعالىٰ : ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ مَا زَكَىٰ مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ أَبَدًا﴾ [النور: ٢١] .

وقول النبي ﷺ : «اللهم آت نفسي تقواها وزكّها أنت خير من زكاها....»[1] .

الثاني : أنه يرجع إلىٰ العبد ، والمعنىٰ : قد أفلح من زكّىٰ نفسه وطهرها من الذنوب والمعاصي ، ويشهد لهذا القول : قوله تعالىٰ : ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن تَزَكَّىٰ﴾ [الأعلىٰ: ١٤] ، وقوله تعالىٰ : ﴿وَمَن تَزَكَّىٰ فَإِنَّمَا يَتَزَكَّىٰ لِنَفْسِهِ﴾ [فاطر: ١٨] ، وقوله تعالىٰ : ﴿فَقُلْ هَل لَّكَ إِلَىٰ أَن تَزَكَّىٰ﴾ [النازعات: ١٨] .

وقوله تعالىٰ : ﴿وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُ يَزَّكَّىٰ﴾ [عبس: ٣] .

● والجمع بين الوجهين ممكن .

قال عطية سالم في «تتمته لأضواء البيان» :

والذي يظهر واللَّه تعالىٰ أعلم : أن الجمع بين تلك النصوص كالجمع في التي قبلها ، وأن من يتزكىٰ به العبد من إيمان وعمل في طاعة وترك لمعصية . فإنه بفضل من اللَّه ، كما في قوله تعالىٰ المصرح بذلك : ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ مَا زَكَىٰ مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ أَبَدًا﴾ [النور: ٢١] .

---

(١) أخرجه مسلم (٢٧٢٢) من حديث زيد بن أرقم رضي اللَّه عنه مرفوعًا .

وكل النصوص التي فيها عود الضمير أو إسناد التزكية إلى العبد ، فإنها بفضل من اللَّه ورحمة ، كما تفضل عليه بالهدى والتوفيق للإيمان، فهو الذي يتفضل عليه بالتوفيق إلى العمل الصالح . وترك المعاصي ، كما في قولك : «لا حول ولا قوة إلا باللَّه» وقوله : ﴿فَلا تُزَكُّوا أَنفُسَكُمْ﴾ [النجم: ٣٢]، وقوله: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يُزَكُّونَ أَنفُسَهُمْ﴾ [النساء: ٤٩] ، إنما هو بمعنى المدح والثناء ، كما في قوله تعالى : ﴿قَالَتِ الأَعْرَابُ آمَنَّا قُل لَّمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِن قُولُوا أَسْلَمْنَا ﴾ [الحجرات: ١٤] ، بل إن في قوله تعالى : ﴿بَلِ اللَّهُ يُزَكِّي مَن يَشَاءُ وَلا يُظْلَمُونَ فَتِيلاً﴾ [النساء: ٤٩] الجمع بين الأمرين ، القدري والشرعي ، بل اللَّه يزكي من يشاء بفضله ، ولا تظلمون فتيلاً بعدله . واللَّه تعالى أعلم.

* * *

س ـ اذكر بمزيد من التفصيل معنى قوله تعالى : ﴿وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّاهَا﴾ [الشمس: ١٠] ؟

ج : المعنى ـ واللَّه أعلم ـ : قد خاب من خذل نفسه وأخفاها وأبعدها عن الطاعات والهدى حتى وقع في المعاصي واختفى فيها وغمرته .

وقيل : إن المعنى : قد خاب من دسس اللَّه له نفسه وخذَّله عن طاعة ربه وبارئه .

وأصل التدسيس الإخفاء .

قال الرازي في «تفسيره» :

أما قوله تعالى : ﴿**وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّاهَا**﴾ [الشمس: ١٠] فقالوا : ﴿**دَسَّاهَا**﴾ أصله: دسسها من التدسيس، وهو إخفاء الشيء في الشيء، فأبدلت إحدى السينات ياء ، فأصل دسى دسس ، كما أن أصل تقضى البازي : تقضض البازي ، وكما قالوا لبيت والأصل لببت ، وملبى والأصل: ملبب ، ثم نقول : أما المعتزلة فذكروا وجوهًا توافق قولهم: **أحدها** : أن أهل الصلاح يظهرون أنفسهم ، وأهل الفسق يخفون أنفسهم ويدسونها في المواضع الخفية ، كما أن أجواد العرب ينزلون الربا حتى تشتهر أماكنهم ويقصدهم المحتاجون، ويوقدون النيران بالليل للطارقين. وأما اللئام فإنهم يخفون أماكنهم عن الطالبين. **وثانيها** : ﴿**خَابَ مَن دَسَّاهَا**﴾ أي : دس نفسه في جملة الصالحين وليس منهم . **وثالثها** : ﴿**مَن دَسَّاهَا**﴾ في المعاصي حتى انغمس فيها . **ورابعها** : ﴿**مَن دَسَّاهَا**﴾ من دس في نفسه الفجور ، وذلك بسبب مواظبته عليها ومجالسته مع أهلها . **وخامسها** : أن من أعرض عن الطاعات ، واشتغل بالمعاصي صار خاملاً متروكًا منسيًا ، فصار كالشيء المدسوس في الاختفاء والخمول . وأما أصحابنا فقالوا : المعنى : خابت وخسرت نفسٌ أضلها اللَّه تعالى وأغواها وأفجرها وأبطلها وأهلكها ، هذه ألفاظهم في تفسير ﴿**دَسَّاهَا**﴾، قال الواحدي رحمه اللَّه : فكأنه سبحانه أقسم بأشرف مخلوقاته على فلاح مَنْ طهره وخسار مَنْ خذله ، حتى لا يظن أحد أنه هو الذي يتولى تطهير نفسه أو إهلاكها بالمعصية من غير قدر متقدم وقضاء سابق .

وقال ابن القيم رحمه اللَّه «التفسير القيم» :

وأصل التدسية الإخفاء ، ومنه : قوله تعالىٰ : ﴿**أَمْ يَدُسُّهُ فِي التُّرَابِ**﴾ [النحل: ٥٩] ، فالعاصي يدُس نفسه بالمعصية ، ويخفي مكانها ، ويتوارىٰ من الخلق من سوء ما يأتي به ، قد انقمع عند نفسه ، وانقمع عند اللَّه ، وانقمع عند الخلق ، فالطاعة والبر تُكبر النفس وتعزها وتُعليها حتىٰ تصير أشرف شيءٍ وأكبره وأزكاه وأعلاه ، ومع ذلك فهي أذل شيء وأحقره وأصغره للَّه تعالىٰ .

وبهذا الذل للَّه حصل لها العز والشرف والنمو فما صغَّر النفس مثل معصية اللَّه ، وما كبرها وشرَّفها ورفعها مثل طاعة اللَّه .

❊ ❊ ❊

س ـ اذكر بمزيد من الإيضاح أقوال العلماء في تأويل قوله تعالىٰ : ﴿كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِطَغْوَاهَا﴾ [الشمس: ١١] ؟

ج : **لأهل العلم في ذلك أقوال :**

أحدها : كذبت قبيلة ثمود بمعصيتها للَّه ، أي : أن طغيانهم وعصيانهم حملهم علىٰ التكذيب ، وهذا القول عليه أكثر أهل العلم .

الثاني : من العلماء من قال : إن الطغوىٰ هي العذاب الذي عُذب به قوم صالح (أي : قبيلة ثمود) ، فلما وعدهم صالح هذا العذاب كذبوا به ، واستدل القائلون بهذا القول بقوله تعالىٰ : ﴿**فَأَمَّا ثَمُودُ فَأُهْلِكُوا بِالطَّاغِيَةِ**﴾ [الحاقة: ٥] .

الثالث: أن قوله: بطغواها، معناه: بأجمعها، أي: كذبت ثمود كلها، وهذا القول ضعيف عندي أيضًا، وأقواها أولها، والله أعلم.

* * *

س ـ قوله تعالى: ﴿كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِطَغْوَاهَا﴾ [الشمس: ١١]، **ما هو الشيء الذي كذبت به ثمود؟**

ج: كذبت ثمود بالعذاب الذي وعدهم به نبيهم صالح، كما قال تعالى: **﴿فَعَقَرُوا النَّاقَةَ وَعَتَوْا عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ وَقَالُوا يَا صَالِحُ ائْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِن كُنتَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾** [الأعراف: ٧٧].

● وكذبوا بالبعث والقيامة، كما قال تعالى: **﴿كَذَّبَتْ ثَمُودُ وَعَادٌ بِالْقَارِعَةِ﴾** [الحاقة: ٤]، وكذبوا برسالة صالح عليه الصلاة والسلام، كما قال تعالى: **﴿قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا مِن قَوْمِهِ لِلَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا لِمَنْ آمَنَ مِنْهُمْ أَتَعْلَمُونَ أَنَّ صَالِحًا مُّرْسَلٌ مِّن رَّبِّهِ قَالُوا إِنَّا بِمَا أُرْسِلَ بِهِ مُؤْمِنُونَ ۝٧٥ قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا بِالَّذِي آمَنتُم بِهِ كَافِرُونَ﴾** [الأعراف: ٧٥، ٧٦].

* * *

س ـ إلى ماذا يرجع الضمير في قوله: ﴿أَشْقَاهَا﴾ [الشمس: ١٢]**؟**

ج: أشقى قبيلة ثمود كما جاء في «الصحيحين» وغيرهما عن رسول الله ﷺ: **«إذ انبعث أشقاها: انبعث لها رجل عارمٌ عزيز منيع في**

رهطه كأبي زمعة ...»[1] .

* * *

س ـ وضح معنىٰ قوله تعالىٰ : ﴿فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ نَاقَةَ اللَّهِ وَسُقْيَاهَا﴾ [الشمس: ١٣] ؟

ج : المعنىٰ ـ والله أعلم ـ : أن رسول الله صالح عليه الصلاة والسلام حذر قومه فقال لهم : احذروا الناقة ـ ناقة الله ـ فلا تمسوها بسوء فيأخذكم عذاب عظيم ، واحذروا سقياها ، أي : الماء الذي تشرب منه في اليوم الذي لها ، فقد كان للناقة يوم تشرب منه من البئر ، وهم يشربون اليوم الآخر ، كما قال تعالىٰ : ﴿هَٰذِهِ نَاقَةٌ لَّهَا شِرْبٌ وَلَكُمْ شِرْبُ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ ﴿١٥٥﴾ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابُ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ [الشعراء: ١٥٥، ١٥٦] .

* * *

س ـ كل الأرض لله ، وكل النوق لله ، فلماذا خصت الناقة بأنها (ناقة الله) ؟

ج : الإضافة في قوله تعالىٰ : ﴿ناقة الله﴾ [الشمس : ١٣] إضافة تشريف للناقة ، وإن كانت كل النوق لله .

وكذلك فالمساجد كلها لله لكن قيل عن البيت الحرام :

---

(١) أخرجه البخاري (حديث ٤٩٤٢) ومسلم (حديث ٢٨٥٥) من حديث عبد الله بن زمعة رضي الله عنه مرفوعًا .

(بيت اللَّه) تشريفًا للبيت الحرام .

والأرض كلها للَّه ، كما قال تعالى : ﴿إِنَّ الأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ﴾ [الأعراف: ١٢٨] ، لكن قال تعالى : ﴿وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ﴾ [الجن: ١٨] تشريفًا للمساجد وتعظيمًا لشأنها ، واللَّه أعلم .

* * *

س - إذا ارتكب شخص معصية فأقره قومه نُسب إليهم الفعل وحلَّ بهم العقاب ، اذكر ما يدل على ذلك .

ج من الأدلة على ذلك : قوله تعالى : ﴿فَكَذَّبُوهُ فَعَقَرُوهَا﴾ [الشمس: ١٤] فنسب العقر إليهم جميعًا مع أن الذي عقرها واحد ، لكن لما أقروه على فعله ولم يمنعوه منه كانوا مشاركين له في الفعل ونسب العقر إليهم جميعًا .

- ومن الأدلة أيضًا : قوله تعالى : ﴿وَاتَّقُوا فِتْنَةً لاَّ تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنكُمْ خَاصَّةً﴾ [الأنفال: ٢٥] .

- وقوله عليه الصلاة والسلام : «مثل القائم على حدود اللَّه والواقع فيها كمثل قوم استهموا على سفينة .....» الحديث[1] .

---

(١) أخرجه البخاري (٢٤٩٣) من حديث النعمان بن بشير رضي اللَّه عنه عن النبي ﷺ قال : «مثل القائم على حدود اللَّه والواقع فيها كمثل قومٍ استهموا على سفينة فأصاب بعضهم أعلاها وبعضهم أسفلها ، فكان الذين في أسفلها إذا استقوا من الماء مروا على من فوقهم ، فقالوا : لو أنا خرقنا في نصيبنا خرقًا ولم نؤذ من فوقنا ، فإن يتركوهم وما أرادوا هلكوا جميعًا ، وإن أخذوا على أيديهم نجوا ونجوا جميعًا .

• وقوله عليه الصلاة والسلام : «إن الناس إذا رأوا الظالم فلم يأخذوا على يديه أوشك أن يعمهم الله بعقابه»(١)

* * *

س ـ وضح معنى قوله تعالى : ﴿ وَلَا يَخَافُ عُقْبَاهَا ﴾ [الشمس: ١٥] .

ج : **جمهور المفسرين على أن المراد : أن الله سبحانه وتعالى لا يخاف عاقبة الذي صنعه بقبيلة ثمود من إنزاله العذاب عليهم .**

• ومن العلماء من قال : إن المراد أن صالحًا عليه السلام لا يخاف من أحد عاقبة ما أحله الله بثمود .

• والقول الثالث : أن أشقى ثمود وهو الذي عقر الناقة عقرها وهو لا يخشى الله ولا يخاف العقوبة من قتلها .



(١) أخرجه أحمد في «المسند» (١/ ٢ ، ٥ ، ٧ ، ٩) وأبو داود في «الملاحم» (٤٣٣٨) وابن ماجة (٤٠٠٥) والترمذي مع «تحفة الأحوذي» (٦/ ٣٨٨) وعبد بن حميد في «المنتخب» (بتحقيقي رقم ١) بإسناد صحيح من حديث أبي بكر رضي الله عنه عن النبي ﷺ .
وقد روي الحديث موقوفًا ومرفوعًا ، ولمزيد من الكلام عليه انظر تعليقي على حديث رقم (١) من «المنتخب» لعبد بن حميد .

سُورَةُ اللَّيْلِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَىٰ ﴿١﴾ وَالنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّىٰ ﴿٢﴾ وَمَا خَلَقَ الذَّكَرَ وَالْأُنثَىٰ ﴿٣﴾ إِنَّ سَعْيَكُمْ لَشَتَّىٰ ﴿٤﴾ فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَاتَّقَىٰ ﴿٥﴾ وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَىٰ ﴿٦﴾ فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَىٰ ﴿٧﴾ وَأَمَّا مَن بَخِلَ وَاسْتَغْنَىٰ ﴿٨﴾ وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَىٰ ﴿٩﴾ فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَىٰ ﴿١٠﴾ وَمَا يُغْنِي عَنْهُ مَالُهُ إِذَا تَرَدَّىٰ ﴿١١﴾ إِنَّ عَلَيْنَا لَلْهُدَىٰ ﴿١٢﴾ وَإِنَّ لَنَا لَلْآخِرَةَ وَالْأُولَىٰ ﴿١٣﴾ فَأَنذَرْتُكُمْ نَارًا تَلَظَّىٰ ﴿١٤﴾ لَا يَصْلَاهَا إِلَّا الْأَشْقَى ﴿١٥﴾ الَّذِي كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ ﴿١٦﴾ وَسَيُجَنَّبُهَا الْأَتْقَى ﴿١٧﴾ الَّذِي يُؤْتِي مَالَهُ يَتَزَكَّىٰ ﴿١٨﴾ وَمَا لِأَحَدٍ عِندَهُ مِن نِّعْمَةٍ تُجْزَىٰ ﴿١٩﴾ إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِ الْأَعْلَىٰ ﴿٢٠﴾ وَلَسَوْفَ يَرْضَىٰ ﴿٢١﴾

س ـ اذكر معنى كل مما يأتي :

يغشى ـ تجلى ـ إن سعيكم لشتى ـ فسنيسره لليسرى ـ فسنيسره للعسرى ـ تردى ـ الآخرة ـ الأولى ـ تلظى ـ يصلاها ـ سيجنبها ـ الأتقى ـ يؤتي ـ يتزكى ؟

ج :

الكلمة	معناها
يغــشى	يغطي (أي : يغطي النهار بظلمته)

الكلمة	معناها
تجلـــــــــىٰ	أضاء فأنار وظهر للأبصار ـ انكشف
إن سعيكم لشتىٰ	إن عملكم لمختلف(١)
فسنيسره لليسرىٰ	سنهيئه لعمل الخير وعمل أهل السعادة(٢)
فسنيسره للعسرىٰ	سنهيئه لعمل الشر وعمل ما يجب له النار وعمل أهل الشقاوة
تـــــــردىٰ	سقط (أي : سقط في جهنم)
الآخـــــــرة	الدار الآخرة ، وقيل : إن المراد الجنة
الأولـــــــىٰ	الدنيا
تلظـــــــىٰ	تتوهج
يصلاهـــــا	يدخلها فيصلىٰ سعيرها ـ يدخلها دخولاً فتحيط

(١) أي : أن منكم من يعمل الصالحات ، ومنكم من يفعل المحرمات ، ومنكم الشقي ، ومنكم التقي ، ومنكم المطيع ، ومنكم العاصي .

(٢) ومما يدل علىٰ أن الحسنىٰ هي عمل أهل السعادة ما أخرجه البخاري (٤٩٤٨) من حديث علي رضي الله عنه قال : كنا في جنازة في بقيع الغرقد فأتانا رسول الله ﷺ فقعد وقعدنا حوله ومعه مخصرة فنكس فجعل ينكت بمخصرته ثم قال : «**ما منكم من أحد ، وما من نفس منفوسة إلاكُتب مكانها من الجنة والنار ، وإلا قد كتبت شقية أو سعيدة**» ، قال رجل: يارسول الله أفلا نتكل علىٰ كتابنا وندع العمل فمن كان منا من أهل السعادة فسيصير إلىٰ أهل السعادة ، ومن كان منا من أهل الشقاوة فسيصير إلىٰ عمل أهل الشقاوة ؟ قال : «**أما أهل السعادة فييسرون لعمل أهل السعادة، وأما أهل الشقاوة فييسرون لعمل أهل الشقاء**» ، ثم قرا ﴿**فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَاتَّقَىٰ ۝٥ وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَىٰ**﴾ [الليل: ٥، ٦] الآية .

الكلمة	معناها
	به من كل جانب
سيجنبهـــــا	سيُبعد عنها
الأتقـــــىٰ	التقي
يؤتــــىٰ	يُعطىٰ
يتزكـــــىٰ	يتطهر

* * *

س ـ وضـح معنـىٰ قولـه تعالـىٰ : ﴿ وَمَا خَلَقَ الذَّكَرَ وَالأُنثَىٰ ﴾ [الليل: ٣] ؟

ج : المعنىٰ ـ واللَّه أعلم ـ : والذي خلق الذكر والأنثىٰ .

وقال آخرون : إن اللَّه سبحانه وتعالىٰ أقسم بخلق الذكر والأنثىٰ ، فالمعنىٰ : وخلق الذكر والأنثىٰ . واللَّه تعالىٰ أعلم .

* * *

س ـ هل صح الإسناد بأن النبي ﷺ قرأ : ﴿ والذَّكَرَ وَالأُنثَىٰ ﴾ [الليل: ٣] **أي بدون ذكر وما خلق ؟**

ج : نعم صح الإسناد بذلك ففي «الصحيحين»[1] من طريق علقمة

(١) البخاري (حديث ٤٩٤٣) ومسلم (٨٢٤) .

قال : دخلت في نفرٍ من أصحاب عبد اللَّه الشام فسمع بنا أبو الدرداء فأتانا فقال : أفيكم من يقرأ ؟ فقلنا : نعم ، قال: فأيُّكم أقرأ ؟ فأشاروا إليَّ فقال : اقرأ فقرأت ﴿ وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَىٰ ۝١ وَالنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّىٰ ۝٢ وَالذَّكَرَ وَالْأُنثَىٰ ﴾ [الليل: ١ - ٣] قال : أنت سمعتها من فيّ صاحبك ؟ قلت : نعم . قال : وأنا سمعتها من فيِّ النبي ﷺ ، وهؤلاء يأبون علينا [1].

* * *

س ـ أقسم اللَّه سبحانه وتعالىٰ : ﴿ باللَّيْلِ إِذَا يَغْشَىٰ ﴾ [الليل: ١] فما هو جواب القسم ؟

ج : جوابه هو : قوله تعالىٰ: ﴿ إِنَّ سَعْيَكُمْ لَشَتَّىٰ ﴾ [الليل: ٤] .

* * *

س ـ قوله تعالىٰ : ﴿ فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَاتَّقَىٰ ﴾ [الليل: ٥] أعطىٰ ماذا واتقىٰ ماذا ؟

ج : أعطىٰ المال في سبيل اللَّه ، واتقىٰ اللَّه ، واجتنب محارمه .

* * *

س ـ ما المراد بالحسنىٰ في قوله تعالىٰ : ﴿ فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَاتَّقَىٰ ۝٥ وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَىٰ ﴾ [الليل: ٥ ، ٦] ؟

---

(١) في رواية البخاري (٤٩٤٤) : وهؤلاء يريدونني أن اقرأ ﴿ وَمَا خَلَقَ الذَّكَرَ وَالْأُنثَىٰ ﴾ [الليل: ٣] ، واللَّه لا أتابعهم .

ج : **لأهل العلم في تحديدها أقوال :**

أحدها : أن المراد بالحسنى وعد اللَّه عز وجل بأنه سيخلف على المنفق ، كما قال تعالى : ﴿**وَمَا أَنفَقْتُم مِّن شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ**﴾ [سبأ: ٣٩] ، وكما قال رسول اللَّه ﷺ : «**ما من يوم يصبح العباد فيه إلا ملكان ينزلان فيقول أحدهما : اللهم أعط منفقًا خلفًا ، ويقول الآخر : اللهم أعط ممسكًا تلفًا**»(١) .

الثاني : أن المراد بالحسنى الجنة ، لقول اللَّه تعالى : ﴿**لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ**﴾ [يونس: ٢٦] .

الثالث : أن المراد بالحسنى : قول لا إله إلا اللَّه .

* * *

(١) أخرجه البخاري (١٤٤٢) ومسلم (١٠١٠) من حديث أبي هريرة رضي اللَّه عنه مرفوعًا .

فائدة : قال القرطبي رحمه اللَّه :

مسألة : قال العلماء : ثبت بهذه الآية وبقوله: ﴿**وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ**﴾ [البقرة: ٣] ، وقوله : ﴿**الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُم بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً**﴾ [البقرة: ٢٧٤] إلى غير ذلك من الآيات ـ أن الجود من مكارم الأخلاق ، والبخل من أرذلها . وليس الجواد الذي يعطي في غير موضع العطاء ، ولا البخيل الذي يمنع في موضع المنع ، لكن الجواد الذي يعطي في موضع العطاء ، والبخيل الذي يمنع في موضع العطاء ، فكل من استفاد بما يعطي أجرًا وحمدًا فهو الجواد . وكل من استحق بالمنع ذمًّا أو عقابًا فهو البخيل . ومن لم يستفد بالعطاء أجرًا ولا حمدًا ، وإنما استوجب به ذمًّا فليس بجواد ، وإنما هو مسرف مذموم ، وهو من المبذِّرين ، الذين جعلهم اللَّه إخوان الشياطين ، وأوجب الحجْر عليهم . ومن لم يستوجب بالمنع عقابًا ولا ذمًّا ، واستوجب به حمدًا ، فهو من أهل الرشد ، الذين يستحقون القيام على أموال غيرهم ، بحسن تدبيرهم وسداد رأيهم .

س ـ قوله تعالىٰ : ﴿ وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَىٰ ﴾ [الليل: ٨] بخل بماذا واستغنىٰ عن ماذا ؟

ج : بخل بالزكاة وبخل بحق اللَّه عليه ، وبخل بأعمال البر ، واستغنىٰ عن ربه وعما أعده اللَّه للمطيعين .

* * *

س ـ ما المراد بالتكذيب بالحسنىٰ ؟

ج : المراد ـ واللَّه أعلم ـ : التكذيب بوعد اللَّه بالخلف علىٰ الإنفاق ، والتكذيب برسالة اللَّه ، والتكذيب بالجنة ، والتكذيب بالتوحيد .

* * *

س ـ المال لا ينفع صاحبه يوم القيامة إلا من أنفق ماله في طاعة اللَّه عز وجل اذكر بعض الأدلة علىٰ ذلك ؟

ج : من ذلك قوله تعالىٰ : ﴿ **يَوْمَ لا يَنفَعُ مَالٌ وَلا بَنُونَ (٨٨) إِلاَّ مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ** ﴾ [الشعراء: ٨٨، ٨٩] .

• وقوله تعالىٰ : ﴿ **وَمَا أَمْوَالُكُمْ وَلا أَوْلادُكُم بِالَّتِي تُقَرِّبُكُمْ عِندَنَا زُلْفَىٰ إِلاَّ مَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَأُوْلَئِكَ لَهُمْ جَزَاءُ الضِّعْفِ بِمَا عَمِلُوا وَهُمْ فِي الْغُرُفَاتِ آمِنُونَ** ﴾ [سبأ: ٣٧] .

• وقوله تعالىٰ : ﴿ **وَمَا يُغْنِي عَنْهُ مَالُهُ إِذَا تَرَدَّىٰ** ﴾ [الليل: ١١] .

• وقول الكافر : ﴿ **مَا أَغْنَىٰ عَنِّي مَالِيَهْ (٢٨) هَلَكَ عَنِّي**

سُلْطَانِيَهْ﴾ [الحاقة: ٢٨، ٢٩] .

• وقوله تعالى : ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ أَنَّ لَهُم مَّا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُ مَعَهُ لِيَفْتَدُوا بِهِ مِنْ عَذَابِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَا تُقُبِّلَ مِنْهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [المائدة: ٣٦] .

• وقوله تعالى : ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَن تُغْنِيَ عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُم مِّنَ اللَّهِ شَيْئًا وَأُولَٰئِكَ هُمْ وَقُودُ النَّارِ﴾ [آل عمران: ١٠] .

• وقوله تعالى : ﴿وَذَكِّرْ بِهِ أَن تُبْسَلَ نَفْسٌ بِمَا كَسَبَتْ لَيْسَ لَهَا مِن دُونِ اللَّهِ وَلِيٌّ وَلَا شَفِيعٌ وَإِن تَعْدِلْ كُلَّ عَدْلٍ لَّا يُؤْخَذْ مِنْهَا﴾ [الأنعام: ٧٠] .

• وقول النبي ﷺ : «إذا مات الإنسان انقطع عمله إلا من ثلاث صدقة جارية أو علم ينتفع به أو ولد صالح يدعو له»[1] .

• وقوله عليه الصلاة والسلام : «يتبع الميت ثلاثة فيرجع اثنان ويبقى واحد يتبعه أهله وماله وعمله فيرجع أهله وماله ويبقى عمله»[2] .

• وقوله عليه الصلاة والسلام : «يا ابن آدم إنك إن تبذل الفضل خير لك وإن تمسكه شر لك ..»[3] .

* * *

---

(١) أخرجه مسلم (١٦٣١) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعًا .

(٢) أخرجه مسلم (حديث رقم ٢٩٦٠) من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه عن النبي ﷺ .

(٣) أخرجه مسلم (حديث ١٠٣٦) .

س ـ وضح معنى قوله تعالى: ﴿إِنَّ عَلَيْنَا لَلْهُدَىٰ ﴿١٢﴾﴾ [الليل: ١٢]؟

ج : المعنى ـ واللَّه أعلم ـ : إن علينا بيان طريق الهداية وطريق الغواية ، أي : أن المراد بالهداية هنا هداية الدلالة كما قال تعالى : ﴿وهديناه النجدين﴾ ، وكما قال سبحانه : ﴿إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا﴾ [الإنسان: ٣] .

● ومن العلماء من قال : إن المراد بالهداية هنا هداية التوفيق ، فالمعنى: أن الأمر في الهداية موكول إلينا، وكذلك الأمر في الإضلال ، فلن يهتدي أحد إلا إذا هداه اللَّه ، ولن يضل أحد إلا إذا أضله اللَّه ، كما قال تعالى : ﴿مَن يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِي وَمَن يُضْلِلْ فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾ [الأعراف: ١٧٨] ، وكما قال تعالى : ﴿وَلَوْ شِئْنَا لَآتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَاهَا وَلَكِنْ حَقَّ الْقَوْلُ مِنِّي لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾ [السجدة: ١٣] ، وكما قال تعالى : ﴿وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَن تُؤْمِنَ إِلاَّ بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ [يونس: ١٠٠] ، وكما قال تعالى : ﴿مَن يُضْلِلِ اللَّهُ فَلا هَادِيَ لَهُ﴾ [الأعراف: ١٨٦] إلى غير ذلك من الآيات .

فإن قيل : من أين أتيتم بالإضلال والآية ليس فيها إلا الهدى ﴿إِنَّ عَلَيْنَا لَلْهُدَىٰ﴾ [الليل: ١٢] ؛ فالإجابة : أن ذلك كقوله تعالى : ﴿سَرَابِيلَ تَقِيكُمُ الْحَرَّ﴾ [النحل: ٨١] ؛ أي : وتقيكم البرد ، ولكنه حذف البرد لمعرفة العرب له ، واللَّه أعلم .

* * *

س ـ من المراد بـ ﴿الأَشْقَى﴾ [الليل: ١٥] في الآية الكريمة ؟

ج : المراد : بالأشقى : المشرك ، بدليل قوله تعالى : ﴿ الَّذِي كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ ﴾ [الليل: ١٦] .

* * *

س ـ هل النار لا يدخلها إلا المشرك لقوله تعالى : ﴿ لا يَصْلاهَا إِلاَّ الأَشْقَى ﴾ [الليل: ١٥] ؟

ج : كلا ، بل يدخلها مسلمون أسرفوا على أنفسهم ولم تغفر لهم ذنوبهم أيضًا ، كما قال تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَىٰ ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا ﴾ [النساء: ١٠] .

● وكما قال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَأْكُلُوا الرِّبَا أَضْعَافًا مُّضَاعَفَةً وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿١٣٠﴾ وَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ ﴾ [آل عمران: ١٣٠، ١٣١] .

● وقال تعالى : ﴿ وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا ﴾ [النساء: ٩٣] .

وكما ورد في حديث المفلس[١] وغيره من الأحاديث .

* * *

(١) أخرج مسلم (٢٥٨١) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : «أتدرون ما المفلس ؟» قالوا : المفلس فينا من لا درهم له ولا متاع . فقال : «إن المفلس من أمتي يأتي يوم القيامة بصلاة وصيام وزكاة ، ويأتي قد شتم هذا وقذف هذا وأكل مال هذا وسفك دم هذا وضرب هذا فيُعطى هذا من حسناته وهذا من حسناته فإن فنيت حسناته قبل أن يُقضى ما عليه أُخذ من خطاياهم فطرحت عليه ثم طرح في النار» .

س ـ كيف توجه إذن قوله تعالى : ﴿لا يَصْلاهَا إِلاَّ الأَشْقَى﴾ [الليل: ١٥] ما دمتم قد حملتم الأشقى على المشرك ؟

ج : توجيهه : أن يُقال : لا يصلاها مخلداً فيها إلا الأشقى .

قال الزمخشري : الآية واردة في الموازنة بين حالتي عظيم من المشركين وعظيم من المؤمنين فأريد أن يبالغ في صفتيهما المتناقضتين، فقيل: الأشقى ، وجعل مختصًا بالصَّلى ، كأن النار لم تخلق إلا له ، وقيل : الأتقى ، وجعل مختصًا بالجنة كأن الجنة لم تخلق إلا له . وقيل : هما أبو جهل أو أمية بن خلف وأبو بكر رضي اللَّه عنه .

* * *

س ـ قوله تعالى : ﴿الَّذِي كَذَّبَ وَتَوَلَّى﴾ [الليل: ١٦] كذب بماذا وتولى عن ماذا ؟

ج : كذب بآيات اللَّه وكذب باليوم الآخر ، وتولى عن كتاب اللَّه وعن رسول اللَّه ﷺ .

* * *

س ـ وضح معنى قوله تعالى : ﴿وَمَا لأَحَدٍ عِندَهُ مِن نِّعْمَةٍ تُجْزَى﴾ [الليل: ١٩] ؟

ج : المعنى ـ واللَّه أعلم ـ : أن هـذا التقي الذي ينفق مالـه في سبيل اللَّه لا ينتظر من أحد من الخلق أن يجازيه على معروفه الذي يصنعه ، لكن فقط يريد بذلك وجه اللَّه ، كما ذكر اللَّه سبحانه وتعالى

ذلك في آيات أخر فقال : ﴿إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَاءً وَلا شُكُورًا﴾ [الإنسان: ٩] :

* * *

س ـ فعل الطاعة ييسر لفعل طاعة أخرىٰ ، وفعل المعصية يدفع إلىٰ معصية أخرىٰ ، دلل علىٰ ذلك ؟

ج : **من الأدلة علىٰ ذلك ما يلي :**

- قوله تعالىٰ : ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَاتَّقَىٰ ۝ وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَىٰ ۝ فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَىٰ ۝ وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَىٰ ۝ وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَىٰ ۝ فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَىٰ﴾ [الليل: ٥ - ١٠] .
- وقوله تعالىٰ : ﴿وَنُقَلِّبُ أَفْئِدَتَهُمْ وَأَبْصَارَهُمْ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا بِهِ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾ [الأنعام: ١١٠] .
- وقوله تعالىٰ : ﴿وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى وَآتَاهُمْ تَقْوَاهُمْ﴾ [محمد: ١٧] .
- وقوله تعالىٰ : ﴿فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ﴾ [الصف: ٥] .
- وقوله تعالىٰ : ﴿وَاللَّهُ أَرْكَسَهُم بِمَا كَسَبُوا﴾ [النساء: ٨٨] .
- وقوله تعالىٰ :- ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَوَلَّوْا مِنكُمْ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ إِنَّمَا اسْتَزَلَّهُمُ الشَّيْطَانُ بِبَعْضِ مَا كَسَبُوا ...﴾ [آل عمران: ١٥٥] .



سُورَةُ الضُّحَىٰ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

وَالضُّحَىٰ ﴿١﴾ وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَىٰ ﴿٢﴾ مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ ﴿٣﴾ وَلَلْآخِرَةُ خَيْرٌ لَّكَ مِنَ الْأُولَىٰ ﴿٤﴾ وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰ ﴿٥﴾ أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَىٰ ﴿٦﴾ وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَىٰ ﴿٧﴾ وَوَجَدَكَ عَائِلًا فَأَغْنَىٰ ﴿٨﴾ فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ ﴿٩﴾ وَأَمَّا السَّائِلَ فَلَا تَنْهَرْ ﴿١٠﴾ وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ ﴿١١﴾

س ـ اذكر معنى ما يلي :

الضحى ـ سجى ـ ودَّعك ـ قلى ـ آوى ـ عائلاً ـ تقهر ؟

ج :

الكلمة	معناها
الضحى	من العلماء من قال : المراد به هنا النهار كله[1] ـ ومنهم من قال : هو ساعة من ساعات النهار وهو صدر النهار

(١) والذين اختاروا هذا القول استدلوا له بمقابلة النهار لليل ، وذلك في قوله تعالى : ﴿وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَىٰ﴾ [الضحى: ٢] ، قالوا : فاقسم اللّه بالنهار وبالليل بقوله : ﴿وَالضُّحَىٰ﴾ [الضحى: ١] أي : النهار ﴿وَاللَّيْلِ ..﴾ [الضحى: ٢] .

الكلمة	معناها
سجىٰ	غطىٰ[1] ـ أقبل بظلامه ـ سكن بالخلق
ودَّعك	تركك
قلىٰ	أبغض ، وقوله تعالىٰ : ﴿وما قَلَىٰ﴾ [الضحىٰ: ٣] : أي : وما قلاك يعني : وما أبغضك ربك منذ أحبك
آوىٰ	جعل لك مأوىٰ تأوي إليه
عائلاً	فقيرًا، ومنه قول الشاعر: **وما يدري الفقير متىٰ غناه ∴ وما يدري الغني متىٰ يعيل**
تَقْهَرْ	تسئ المعاملة

* * *

س ـ اذكر بعض الأحاديث الواردة في الحث علىٰ صلاة الضحىٰ وبيان فضلها ؟

ج : من ذلك ما أخرجه مسلم في «صحيحه» من حديث أبي ذر رضي اللَّه عنه عن النبي ﷺ أنه قال : **«يصبح علىٰ كل سلامىٰ من أحدكم صدقة ، فكل تسبيحة صدقة ، وكل تحميدة صدقة ، وكل تهليلة صدقة ، وكل**

---

(١) ومنه قول النبي ﷺ في قصة موسىٰ مع الخضر : « **فوجد رجلاً مسجًّى** » .

تكبيرة صدقة ، وأمر بالمعروف صدقة ، ونهي عن المنكر صدقة ، ويجزئ من ذلك ركعتان يركعهما من الضحى»[١] .

وما أخرجه أبو داود [٢] من حديث بريدة رضي اللَّه عنه قال : سمعت رسول اللَّه ﷺ يقول : «**في الإنسان ثلاثمائة وستون مفصلاً فعليه أن يتصدق عن كل مفصل منه بصدقة**» قالوا : ومن يطيق ذلك يا نبي اللَّه؟ قال : «**النخاعة في المسجد تدفنها ، والشيء تنحيه عن الطريق ، فإن لم تجد فركعتا الضحى تجزئك**» .

● ومن ذلك: ما أخرجه أحمد من حديث نعيم بن همار الغطفاني أنه سمع رسول اللَّه ﷺ يقول : «**قال اللَّه عز وجل : يا ابن آدم لا تعجز عن أربع ركعات من أول النهار أكفك آخره**»[٣] .

●وفي «صحيح مسلم» [٤] من حديث زيد بن أرقم قال : خرج رسول اللَّه ﷺ على أهل قباء وهم يصلون فقال : «**صلاة الأوابين إذا رمضت الفصال**» .

● وقد جاء الحث على صلاة الضحى في عدة أحاديث منها :

---

(١) أخرجه مسلم (٧٢٠) .

(٢) أخرجه أبو داود (٥٢٤٢) وأحمد (٥/ ٣٥٤ و ٣٥٩) وابن حبان «موارد الظمآن» (٦٣٣ و ٨١١) والطحاوي «مشكل الآثار» (١/ ٢٥) .

(٣) أخرجه أحمد «المسند» (٥/ ٢٨٦) والدارمي (١/ ٣٣٨) والبيهقي (٣/ ٤٨) وابن حبان «موارد» (٦٣٤) وهو حديث حسن .

(٤) أخرجه مسلم (٧٤٨) من حديث زيد بن أرقم رضي اللَّه عنه مرفوعًا ، وفي إسناده القاسم بن عوف الشيباني وقد تكلم في القاسم بعض أهل العلم .

ما أخرجه البخاري ومسلم[١] من حديث أبي هريرة رضي اللَّه عنه قال : أوصاني خليلي بثلاث لا أدعهن حتى أموت : صوم ثلاثة أيام من كل شهر ، وصلاة الضحى ، ونوم على وتر .

• وأخرج مسلم من حديث أبي الدرداء[٢] رضي اللَّه عنه قال : أوصاني حبيبي بثلاث لن أدعهن ما عشت : بصيام ثلاثة أيام من كل شهر ، وصلاة الضحى ، وبأن لا أنام حتى أوتر .

وأخرج أحمد[٣] رحمه اللَّه من حديث أبي ذر رضي اللَّه عنه قال : أوصاني حبي بثلاث لا أدعهن إن شاء اللَّه أبدًا : أوصاني بصلاة الضحى ، وبالوتر قبل النوم ، وبصيام ثلاثة أيام من كل شهر .

* * *

س ـ كيف يوجَّه قول من قال : إن النبي ﷺ لم يصلِّ الضحى ؟

ج : ابتداءً يجاب عليه بأن النبي ﷺ قد ثبت عنه أنه صلى الضحى.

• **فأخرج مسلم من طريق معاذة أنها سألت عائشة رضي اللَّه عنها** كم كان رسول اللَّه ﷺ يصلي صلاة الضحى ؟ قالت : أربع ركعات ويزيد ما شاء[٤] ، وفي رواية : ما شاء اللَّه .

---

(١) أخرجه البخاري (حديث ١١٧٨) ومسلم (حديث ٧٢١) .
(٢) أخرجه مسلم (حديث ٧٢٢) .
(٣) أخرجه أحمد (٥/١٧٣) وهو صحيح وله شواهد أيضًا .
(٤) أخرجه مسلم (حديث ٧١٨) .

• وأخرج ابن خزيمة[1] من حديث علي رضي اللَّه عنه قال : كان النبي ﷺ يصلي الضحى .

• وأخرج البخاري ومسلم[2] من حديث عتبان بن مالك رضي اللَّه عنه قال : كنت أصلي لقومي . . . فذكر الحديث ، وفيه : فغدا عليَّ رسول اللَّه ﷺ وأبو بكر رضي اللَّه عنه بعد ما اشتد النهار فاستأذن رسول اللَّه ﷺ فأذنت له فلم يجلس حتى قال : «**أين تحب أن أصلي من بيتك ؟** » فأشرت له إلى المكان الذي أحب أن أصلي فيه ، فقام رسول اللَّه ﷺ فكبر وصففنا وراءه فصلى ركعتين ثم سلَّم وسلمنا حين سلَّم .

• وأخرج البخاري ومسلم[3] من حديث أم هانئ رضي اللَّه عنها ذكرت أن النبي ﷺ يوم فتح مكة اغتسل في بيتها فصلى ثمان ركعات . .

• هذا يجاب به ابتداء على من أنكر أن الرسول ﷺ صلى الضحى .

• **ويجاب عليه ثانية** : بأن النبي ﷺ قد حث عليها ، وسنته عليه الصلاة والسلام إما قولية أو فعلية أو تقريرية .

• **ويجاب ثالثةً** : بأن من أثبت من الصحابة أن النبي ﷺ صلى الضحى قوله أولى من قول من نفى ، فالمثبت مقدم على النافي ، ومن علم حجة على من لم يعلم .

---

(١) أخرجه ابن خزيمة (٢/ ٢٣٣) من طريق عاصم بن ضمرة عن علي رضي اللَّه .

(٢) أخرجه البخاري مع «الفتح» (٣/ ٦٠) ومسلم (١/ ٤٥٥) .

(٣) أخرجه البخاري مع «الفتح» (٢/ ٥٧٨) ومسلم (١/ ٦٦) ، ٤٩٧) .

● ويلتمس لقائل هذا القول ـ بأن النبي ﷺ لم يصلِّ الضحى ـ العذر لما ورد من نفي بعض الصحابة صلاة رسول الله ﷺ للضحى فيقال له : إنه إما أن يقال : إن المثبت مقدم على النافي ، أو أن الصحابي أراد أن الرسول ﷺ لم يحافظ عليها ، وذلك لكونه عليه الصلاة والسلام كان يحافظ على صلاة الليل ، والله تعالى أعلم .

* * *

س ما هو عدد ركعات صلاة الضحى ؟

ج : ثبت ما تقدم أن النبي ﷺ حث على صلاة ركعتين ، وثبت أنه حث على أربع كذلك ، وثبت أنه صلى أربعًا وزاد ما شاء الله ، وثبت أنه صلى ثمانية عليه الصلاة والسلام ، وكل ذلك تقدم .

* * *

س ـ هل يجوز أن تصلى الضحى في جماعة ؟

ج : نعم يجوز ذلك أحيانًا ولا يكثر منه ، أما جوازه أحيانًا فلما ثبت ـ وقد تقدم ـ من حديث عتبان بن مالك رضي الله عنه أن النبي ﷺ قام فكبر وصففنا وراءه فصلى ركعتين ثم سلم وسلمنا [١] .

● أما عدم الإكثار من صلاتها في جماعة لأن النبي ﷺ لم يكثر من ذلك، ولأن الأفضل للمرء أن يكثر من صلاة النفل في بيته لحديث:

---

(١) صحيح ، وقد تقدم .

«خير صلاة المرء في بيته إلا الصلاة المكتوبة»[١]، والله أعلم .

* * *

س ـ متى يبدأ وقت صلاة الضحى ومتى ينتهي ؟

ج : يوضح ذلك ما أخرجه مسلم من حديث عمرو بن عبسة السلمي قال : كنت وأنا في الجاهلية . . . فذكر الحديث ، وفيه : قلت : يا نبي الله أخبرني عما علمك الله وأجهله أخبرني عن الصلاة قال : **«صل صلاة الصبح ثم أقصر عن الصلاة حتى تطلع الشمس حتى ترتفع فإنها تطلع بين قرني شيطان وحينئذ يسجد لها الكفار ، ثم صلِّ فإن الصلاة مشهودة**[٢] **محضورة حتى يستقل الظل بالرمح**[٣] **، ثم أقصر عن الصلاة فإن حينئذ تسجر جهنم ، فإذا أقبل الفيء فصلِ فإن الصلاة مشهودة محضورة»** . . . الحديث[٤] .

هذا وقد نهى النبي ﷺ عن الصلاة بعد الصبح حتى تطلع

---

(١) أخرجه مسلم (٧٨١) من حديث زيد بن ثابت رضي الله عنه مرفوعًا .
والبخاري (حديث ٧٣١) ولفظ البخاري : **«... فصلوا أيها الناس في بيوتكم ، فإن أفضل الصلاة صلاة المرء في بيته إلا المكتوبة»** .

(٢) أي : تشهدها الملائكة وتحضرها .

(٣) **قال النووي** : أي : يقوم مقابله من جهة الشمال مائلاً إلى المغرب لا إلى المشرق وهذه حالة الاستواء ، وتخصيص الرمح بالذكر لأن العرب أهل بادية ، وإذا أرادوا أن يعلموا نصف النهار ركزوا رماحهم في الأرض ثم نظروا إلى ظلها وهو آخر وقت الضحى .
قلت : وهذا يعني أن وقتها ينتهي عند الزوال ، أي : قبيل الظهر .

(٤) أخرجه مسلم (حديث ٨٣٢) .

الشمس[1] ، فعلىٰ ذلك يبدأ وقت الضحىٰ بعد طلوع الشمس، والتأكد من طلوعها يكون بارتفاعها قليلاً حتىٰ نتقي مشابهة الكفار الذين يسجدون لها ، وينتهي وقتها عند الزوال ، وقد ذكر بعض أهل العلم كالنووي في «المجموع» : أن وقتها يبدأ من ارتفاع الشمس إلىٰ الزوال .

وفي «الروضة» : روىٰ عن أصحاب الشافعي أن وقتها يدخل بطلوع الشمس ، ولكن يستحب تأخيرها إلىٰ ارتفاع الشمس .

قلت : وقد ثبت فيما تقدم أن النبي ﷺ قال : **«قال اللَّه عز وجل: ابن آدم اركع لي أربع ركعات أول النهار أكفك آخره»** ، وذهب بعض العلماء إلىٰ استحبابها عند اشتداد النهار ، أي : بعد طلوع الشمس واشتدادها ، وذلك لأن النبي ﷺ صلاها في بيت عتبان بعد ما اشتد النهار كما ذكرناه آنفًا . واللَّه تعالىٰ أعلم .

* * *

---

(١) ثبت ذلك من عدة طرق عن النبي ﷺ منها ما يلي :

● حديث أبي سعيد الخدري رضي اللَّه عنه قال : قال رسول اللَّه ﷺ : **«لا صلاة بعد الصبح حتىٰ ترتفع الشمس ، ولا صلاة بعد العصر حتىٰ تغيب الشمس»** أخرجه البخاري (٥٨٦) ومسلم (٨٢٧) وفي لفظ : **«لا صلاة بعد صلاة العصر حتىٰ تغرب الشمس ، ولا صلاة بعد صلاة الفجر حتىٰ تطلع الشمس»** .

● حديث أبي هريرة رضي اللَّه عنه قال : نهىٰ رسول اللَّه ﷺ عن صلاتين : بعد الفجر حتىٰ تطلع الشمس ، وبعد العصر حتىٰ تغرب الشمس . أخرجه البخاري (٥٨٨) ومسلم من طريق آخر عن أبي هريرة (حديث ٨٢٥) .

● حديث عمر رضي اللَّه عنه أن رسول اللَّه ﷺ نهىٰ عن الصلاة بعد الصبح حتىٰ تشرق الشمس ، وبعد العصر حتىٰ تغرب . أخرجه البخاري (٥٨١) ومسلم (٨٢٦) .

وثمَّ أحاديث أُخر في الباب .

س ـ ما هو سبب نزول قوله تعالى : ﴿ وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَىٰ ﴾ [الضحى: ٢] ؟

ج : سبب نزولها هو : ما أخرجه البخاري[١] ومسلم من حديث جندب بن سفيان رضي اللَّه عنه قال : اشتكى رسول اللَّه ﷺ فلم يقم ليلتين أو ثلاثًا ؛ فجاءت امرأة فقالت : يا محمد إني لأرجو إن يكون شيطانك قد تركك ، لم أره قربك منذ ليلتين أو ثلاثًا ؛ فأنزل اللَّه عز وجل : **﴿ وَالضُّحَىٰ ۝١ وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَىٰ ۝٢ مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ ﴾** [الضحى: ١ - ٣] .

* * *

س ـ ما المراد بالآخرة في قوله تعالى : ﴿ وَلَلْآخِرَةُ خَيْرٌ لَّكَ مِنَ الْأُولَىٰ ﴾ [الضحى: ٤] ؟

ج : **المراد بالآخرة** : الدار الآخرة .

والمراد بالأولى : الحياة الدنيا ، واللَّه أعلم .

* * *

س ـ ما هو العطاء الذي أُعطاه نبينا محمد ﷺ ؟

ج : **من ذلك** : ما أخرجه البخاري من حديث جابر بن عبد اللَّه رضي اللَّه عنهما أن النبي ﷺ قال : «**أعطيت خمسًا لم يعطهن أحد قبلي: نُصرت بالرعب مسيرة شهر ، وجعلت لي الأرض مسجدًا وطهورًا فأيما رجل**

---

(١) أخرجه البخاري (حديث ٤٩٥٠) ومسلم حديث (١٧٩٧ ص ١٤٢٢) .

من أمتي أدركته الصلاة فليصل ، وأحلت لي الغنائم ولم تحل لأحد قبلي ، وأعطيت الشفاعة ، وكان النبي يبعث إلىٰ قومه خاصة وبعثت إلىٰ الناس عامة»[١] .

● ومن ذلك : القرآن والسبع المثاني[٢]، قال تعالىٰ : ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعًا مِّنَ الْمَثَانِي وَالْقُرْآنَ الْعَظِيمَ﴾ [الحجر: ٨٧] .

● ومن ذلك : الكوثر ، قال تعالىٰ : ﴿ إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ ﴾ [الكوثر: ١] .

● ومن ذلك : شهادة الرسول ﷺ علىٰ أمته وشهادة أمته علىٰ سائر الأمم . قال تعالىٰ: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾ [البقرة: ١٤٣] .

● ومن ذلك : كونه ﷺ جُعل سيد ولد آدم .

● ومن ذلك : المقام المحمود والحوض المورود .

* * *

س ـ ما هو وجه إيواء اللَّه لنبيه ﷺ ؟

ج : وجه ذلك : أن اللَّه سبحانه وتعالىٰ قيَّد له عمه أبا طالب يحوطه ويرعاه ويمنعه ممن أراده بسوء ، ويحنو عليه ويدافع عنه .

وكذلك قيَّد اللَّه له غير أبي طالب أيضًا ، فقيَّد اللَّه له المطعم بن

---

(١) أخرجه البخاري (حديث ٣٣٥) ومسلم (حديث ٥٢١) .

(٢) وهي فاتحة الكتاب .

عدي فنزل النبي ﷺ في جواره .

وقيد اللَّه له العموم من حفظه بإذن اللَّه، صلوات اللَّه وسلامه عليه.

* * *

س ـ اذكر الحكمة من قوله تعالىٰ : ﴿ وَوَجَدَكَ ضَالاً فَهَدَىٰ ﴾ [الضحى: ٧] ؟

ج : الحكمة من ذلك ـ واللَّه أعلم ـ : كي لا ينسىٰ الإنسان نفسه فيقع في العجب والغرور ، والحكمة من ذلك أيضًا : الحث على الخير وأعمال البر . واللَّه أعلم .

* * *

س ـ اذكر بشيء من التفصيل بعض أقوال أهل العلم في تأويل قوله تعالىٰ : ﴿ وَوَجَدَكَ ضَالاً فَهَدَىٰ ﴾ [الضحى: ٧] ؟

ج : لأهل العلم في ذلك جملة أقوال ، ذكر الرازي منها عشرين قولاً .

وأشهر هذه الأقوال ما يلي :

القول الأول : أنه عليه الصلاة والسلام كان ضالاً عن معالم النبوة وأحكام الشريعة لا يدري ما الكتاب ولا الإيمان ، كما قال تعالىٰ : ﴿ وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا مَا كُنتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلا الإِيمَانُ ﴾ [الشورى: ٥٢] ، وكما قال تعالىٰ : ﴿ نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَذَا الْقُرْآنَ وَإِن كُنتَ مِن قَبْلِهِ لَمِنَ الْغَافِلِينَ ﴾ [يوسف: ٣] .

القول الثاني : أنه عليه الصلاة والسلام كان قد ضل في شعاب مكة وهو صغير فرده اللّٰه سالمًا .

القول الثالث : أنه سبحانه وجده في قومٍ ضلال فهداهم اللّٰه به ، واللّٰه تعالىٰ أعلم .

* * *

س ـ ما هو وجه الغنىٰ الذي أغنىٰ اللّٰه به نبيه ﷺ ؟

ج : من العلماء من قال : إن هذا الغنىٰ يتمثل فيما فتحه اللّٰه عليه من الفتوحات والكنوز ، وما منَّ اللّٰه به عليه من الغنائم وتحليلها له ، لكن هذا القول قد ردَّه بعض العلماء متعللين بأن السورة مكية والفتوحات إنما كانت بعد الهجرة .

- ومن العلماء من قال : إن المراد بالغنىٰ هنا غنىٰ النفس والقناعة، فقد قنعه اللّٰه بما آتاه .

- ومن أهل العلم من قال : إن اللّٰه عز وجل أغناه بما وهبته له خديجة بنت خويلد وأعطته من مالها . واللّٰه أعلم .

* * *

س ـ من طريق الحث علىٰ المعروف في بعض الأحيان أن تذكر الشخص بما كان فيه قبل أن ينعم اللّٰه عليه ، ومن ثم تطلب منه الذي تريد، وضح ذلك ؟

ج ـ إيضاحه : أن اللَّه سبحانه وتعالى ذكَّر نبينا عليه الصلاة والسلام بما كان فيه من يتم وضلال وفقر ، وذكَّره بما منَّ به عليه من إيواء وهداية وغنى ، ثم حثه على إكرام اليتيم (كما أُكْرِم وهو يتيم) ، والرفق بالسائل الضال والسائل الفقير (فقد كان ضالاً وكان فقيرًا) .

ونحو هذا ورد في حديث الأعمى والأقرع والأبرص[1] إذ قد ذكَّرهم المَلَك بما كانوا فيه من فقرٍ وعمى ، وفقرٍ وقرع ، وفقرٍ وبرص، وسألهم بالذي أعطاهم الشكل الحسن بعد أن كانوا في دمامة على ما ورد في الحديث .

* * *

س ـ اذكر ـ على وجه الإجمال ـ بعض الآيات المتعلقة باليتيم ؟

ج : من هذه الآيات : آيات تحث على إكرام اليتيم ، وتحذر من إهانته .

● قال تعالى : ﴿ فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلا تَقْهَرْ ﴾ [الضحى: ٩] .

● وقال تعالى : ﴿ أَرَأَيْتَ الَّذِي يُكَذِّبُ بِالدِّينِ ۝ فَذَلِكَ الَّذِي يَدُعُّ الْيَتِيمَ ﴾ [الماعون: ١، ٢] .

● وقال تعالى: ﴿ فَلا اقْتَحَمَ الْعَقَبَةَ ۝ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْعَقَبَةُ ۝ فَكُّ رَقَبَةٍ ۝ أَوْ إِطْعَامٌ فِي يَوْمٍ ذِي مَسْغَبَةٍ ۝ يَتِيمًا ذَا مَقْرَبَةٍ ﴾ [البلد: ١١ - ١٥].

---

(١) أخرجه البخاري (٣٤٦٤) ومسلم (حديث ٢٩٦٤) من حديث أبي هريرة رضي اللَّه عنه مرفوعًا وفيه : ... رجل مسكين وابن السبيل وتقطعت به الحبال في سفره فلا بلاغ اليوم إلا باللَّه ثم بك ، أسألك بالذي ردَّ عليك بصرك شاة أتبلغ بها في سفري .... الحديث .

• وقال تعالى : ﴿قُلْ مَا أَنفَقْتُم مِّنْ خَيْرٍ فَلِلْوَالِدَيْنِ وَالأَقْرَبِينَ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ ... ﴾ [البقرة: ٢١٥] .

• وقال تعالى : ﴿وَإِذَا حَضَرَ الْقِسْمَةَ أُولُوا الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينُ فَارْزُقُوهُم مِّنْهُ وَقُولُوا لَهُمْ قَوْلاً مَّعْرُوفًا﴾ [النساء: ٨] .

• وقال تعالى : ﴿وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ﴾ [النساء: ٣٦] .

• وقال تعالى : ﴿كَلاَّ بَل لاَّ تُكْرِمُونَ الْيَتِيمَ﴾ [الفجر: ١٧] .

• وقال تعالى : ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُم مِّن شَيْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ﴾ [الأنفال: ٤١] .

• وقال تعالى : ﴿وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ ... وَآتَى الْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينَ ... ﴾ [البقرة: ١٧٧] .

ومنها : آيات تحذر من أكل مال اليتيم وتحث على إصلاحه له قال تعالى : ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَىٰ ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا﴾ [النساء: ١٠] .

وقال تعالى : ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْيَتَامَىٰ قُلْ إِصْلاحٌ لَّهُمْ خَيْرٌ وَإِن تُخَالِطُوهُمْ فَإِخْوَانُكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ الْمُفْسِدَ مِنَ الْمُصْلِحِ﴾ [البقرة: ٢٢٠] .

• وقال تعالى : ﴿وَلا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلاَّ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُ .... ﴾ [الإسراء: ٣٤] .

• وقال تعالى : ﴿ وَإِنْ خِفْتُمْ أَلاَّ تُقْسِطُوا فِي الْيَتَامَىٰ فَانكِحُوا مَا طَابَ لَكُم مِّنَ النِّسَاءِ مَثْنَىٰ وَثُلاثَ وَرُبَاعَ ﴾ [النساء: ٣] .

• وقال تعالى : ﴿ وَآتُوا الْيَتَامَىٰ أَمْوَالَهُمْ وَلا تَتَبَدَّلُوا الْخَبِيثَ بِالطَّيِّبِ وَلا تَأْكُلُوا أَمْوَالَهُمْ إِلَىٰ أَمْوَالِكُمْ إِنَّهُ كَانَ حُوبًا كَبِيرًا ﴾ [النساء: ٢] .

• وقال تعالى : ﴿ وَمَن كَانَ غَنِيًّا فَلْيَسْتَعْفِفْ وَمَن كَانَ فَقِيرًا فَلْيَأْكُلْ بِالْمَعْرُوفِ ﴾ [النساء: ٦] .

* * *

س ـ هل يجوز ضرب اليتيم لتأديبه والجزم معه ؟

ج : نعم يجوز ضربه لتأديبه إذا كان لا يجدي معه إلا الضرب ما دام الشخص يريد بذلك الإصلاح ، فاللَّه يعلم المفسد من المصلح ، واللَّه لا يحب الفساد .

* * *

س ـ من المراد بالسائل المذكور في قوله تعالى : ﴿ وَأَمَّا السَّائِلَ فَلا تَنْهَرْ ﴾ [الضحى: ١٠] .

ج : من العلماء من قال : إن السائل هنا هو السائل عن المال (أي : المحتاج) ، أو السائل عن الطعام .

ومنهم من قال : إن السائل هنا السائل عن العلم والدين ، ولهذا كان المعلم مأمورًا بحسن الخلق مع المتعلم ومباشرته بالإكرام والتحنن عليه ، فإن في ذلك معونة له على مقصده ، وإكرامًا لمن كان يسعى في

نفع العباد والبلاد ، والصواب في ذلك عندي أن الآية عامة .

فيدخل في السائلِ السائلُ عن المال، والسائل عن العلم والدين ، والسائل عن الطريق ، والسائل عن كل ما ينتفع به ويحتاج إليه ، والله أعلم .

* * *

س ـ ما المراد بالنعمة في قوله تعالى : ﴿ وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ ﴾ [الضحى: ١١] ؟

ج : من العلماء من قال : إن المراد بالنعمة هنا النبوة ، ولا شك أن النبوة من أعظم النعم ، ولكن قصر الآية عليها يحتاج إلى دليل ، والصواب عندي ـ والله أعلم ـ : أن المراد بالنعمة هنا عموم نعم الله على شخص .

* * *

س ـ كيف يُحدث الشخص بنعمة الله عليه ؟

ج : لذلك وجهان :

الوجه الأول : أن تذكر للناس ما أنعم الله به عليك ، فتقول : لهم لقد أنعم الله عليَّ بكذا وكذا .

الوجه الثاني: أن تعمل بمقتضى هذه النعمة، فتحسن كما أحسن الله إليك ، وتعلم الناس كما علمك الله ، وتأوي الأيتام كما آواك الله . . .

* * *

س ـ هل يحدث الشخص بنعم اللَّه عليه في كل الأحوال ؟

ج : يستحب للشخص أن يحدث بنعم اللَّه عليه ما لم يخش حسد حاسد ولا كيد كائد ، فقد قال النبي ﷺ : «**إن اللَّه يحب أن يرىٰ أثر نعمته علىٰ عبده**» ، وقال تعالىٰ : ﴿**وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ**﴾ [الضحى: ١١] .

● أما إذا خشي حسد الحاسدين فله أن يكتم ، وذلك لقول يعقوب عليه السلام ليوسف ﷺ : ﴿**يَا بُنَيَّ لا تَقْصُصْ رُءْيَاكَ عَلَىٰ إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُوا لَكَ كَيْدًا**﴾ [يوسف: ٥] ولقول النبي ﷺ : «**إذا رأىٰ أحدكم ما يحب فلا يحدث به إلا من يحب ...**»[١] .



(١) أخرجه البخاري (حديث ٧٠٤٤) ومسلم (ص ١٧٧٢) من حديث أبي قتادة رضي اللَّه عنه عن النبي ﷺ . . به .

سُورَةُ الشَّرْحِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ ﴿١﴾ وَوَضَعْنَا عَنكَ وِزْرَكَ ﴿٢﴾ الَّذِي أَنقَضَ ظَهْرَكَ ﴿٣﴾ وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ ﴿٤﴾ فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا ﴿٥﴾ إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا ﴿٦﴾ فَإِذَا فَرَغْتَ فَانصَبْ ﴿٧﴾ وَإِلَىٰ رَبِّكَ فَارْغَب ﴿٨﴾

س ـ اذكر معنى كلٍّ مما يلي :

نشرح ـ وزرك ـ أنقض ظهرك ـ العسر ـ يسرًا ـ فانصب ـ فارغب .

ج :

الكلمة	معناها
نشـــرح	نفسح (أي : نجعله فسيحًا رحيبًا) ـ نوسع ـ نفتح ـ نُنور ، وقيل : إن المراد هو الشرح الذي حدث له ليلة الإسراء صلوات اللَّه وسلامه عليه
وزرك	ذنبك[1]
أنقض ظهرك	أتعب ظهرك وأثقله حتى سُمِع له نقيض ـ أثقلك حمله

(١) فمعنى قوله : ﴿وَوَضَعْنَا عَنكَ وِزْرَكَ﴾ [الشرح: ٢] : حططنا عنك ذنبك بغفرانه لك أو غفرنا لك ما سلف من ذنوبك .

الكلمة	معناها
العســـر	الضيق ـ الشدة ـ الكرب
يســـرًا	سعة وغنى ومخرجًا
فانصـب	اجتهد ـ اتعب[١] في العبادة وسل اللَّه حاجتك
ارغب	الجأ واتجه[٢]

* * *

س ـ اذكر بمزيد من التفصيل معنى قوله تعالى : ﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ﴾ [الشرح: ١] ؟

ج : أما الهمزة في قوله تعالى : ﴿أَلَمْ نَشْرَحْ﴾ الشرح: ١] فهي همزة الاستفهام وفيها معنى النفي، ولم نافية أيضًا ، ونفي النفي إثبات ، فعلى ذلك فقوله تعالى : ﴿أَلَمْ نَشْرَحْ﴾ الشرح: ١] معناه : قد شرحنا ، وهذا كقوله تعالى: ﴿أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ﴾ [الزمر: ٣٦] فمعناه : أن اللَّه كاف عبده ، وكقوله : ﴿أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيدًا﴾ [الشعراء: ١٨] فمعناه : قد

(١) ومنه قول جبريل لرسول اللَّه ﷺ : بشر خديجة ببيت من قصب لا صخب فيه ولا نصب. أخرجه البخاري (٣٨١٩) ومسلم (٢٤٣٣) ، وليس المراد التعب المخرج عن النشاط والجالب للملل فقد قال النبي ﷺ : «لِيُصَلِّ أحدكم نشاطه» . أخرجه البخاري (١١٥٠) ومسلم (٧٨٤) من حديث أنس مرفوعًا .

(٢) فقوله : ﴿وَإِلَىٰ رَبِّكَ فَارْغَبْ﴾ [الشرح: ٨] : أي : اجعل رغبتك وحاجتك إليه دون من سواه .

ربيناك فينا وليدًا .

● ومن ذلك : قول الشاعر :

ألستم خير من ركب المطايا ∴ وأندىٰ العالمين بطون راحِ

● **أما المراد بشرح الصدر** ؛ فمن العلماء من قال : إنه شق صدره ﷺ الذي تم ـ علىٰ ما سيأتي بيانه إن شاء اللَّه ـ وهو صغير ، وأيضًا ليلة الإسراء ، ومن العلماء من قال : إن المراد بشرح الصدر توسيعه وجعله رحيبًا فسيحًا يسع التكاليف التي يكلف بها صلوات اللَّه وسلامه عليه ، ويقبلها بارتياح واطمئنان وهدوء، ويتحمل في سبيلها ما يصيبه من أذىٰ وبلاء بصدر رحب وصفح وعفو ومقابلة الإساءة بالإحسان ؛ ومن المعلوم : أن الصدر إذا كان منشرحًا لشخصٍ مثلاً فإن كل أقواله تدخل فيه ، وإذا كان الصدر متبرمًا متضايقًا من شخص فلا يكاد يصل أيُّ قول من قوله إلىٰ الصدر ، بل يرد الصدر كل ما يصدر من هذا الشخص فعليه إن كان اللَّه سبحانه وتعالىٰ قد شرح صدر شخصٍ للإسلام فتدخل كل التكاليف وكل الأوامر والنواهي إلىٰ صدر هذا الشخص وهو مرتاح لها متسع لقبولها ، كما قال عز وجل : ﴿**فَمَن يُرِدِ اللَّهُ أَن يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلإِسْلامِ وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي السَّمَاءِ**﴾ [الأنعام: ١٢٥] . وبدء طريق الهداية يكون بشرح الصدر ، ومن ثم دعاء موسىٰ ﷺ ـ لما كلفه اللَّه بالذهاب إلىٰ فرعون ـ ربه عز وجل فقال: ﴿ .. **رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي** ۝٢٥ **وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي**﴾ [طه: ٢٥، ٢٦] .

* * *

س ـ كم مرة شُرِح صدر رسول اللَّه ﷺ ؟

ج : الذي وقع لي من ذلك بسند صحيح أن صدر الرسول ﷺ شُرح مرتين :

الأولىٰ منهما : وهو صغير يلعب مع الغلمان كما في «صحيح مسلم»[(١)] من حديث أنس رضي اللَّه عنه أن رسول اللَّه ﷺ أتاه جبريل عليه السلام وهو يلعب مع الغلمان فأخذه فصرعه فشق عن قلبه فاستخرج القلب فاستخرج منه علقة فقال : هذا حظ الشيطان منك ، ثم غسله في طست من ذهب بماء زمزم ثم لأَمَهُ[(٢)] ثم أعاده في مكانه، وجاء الغلمان يسعون إلىٰ أمه (يعني : ظئره)[(٣)] فقالوا : إن محمدًا قد قتل فاستقبلوه وهو منتقع اللون[(٤)] .

قال أنس : وقد كنت أرىٰ أثر ذلك المخيط في صدره .

والثانية : ليلة المعراج كما في «صحيح البخاري» و«صحيح مسلم» من حديث أبي ذر رضي اللَّه عنه أن رسول اللَّه ﷺ قال : **«فُرِج عن سقف بيتي وأنا بمكة فنزل جبريل ففرج صدري ثم غسله بماء زمزم ثم جاء بطستٍ من ذهب ممتلئ حكمة وإيمانًا فأفرغه في صدري ثم أطبقه ...»** الحديث[(٥)]

* * *

---

(١) أخرجه مسلم (ص ١٤٧) .

(٢) لأَمَهُ : ضمه وجمع بعضه إلىٰ بعض .

(٣) ظئره : أي مرضعته .

(٤) منتقع اللون : أي متغير اللون .

(٥) أخرجه البخاري (حديث ٣٤٩) ومسلم (حديث ١٦٣) .

س ـ لماذا أتىٰ في الآية الكريمة بلفظ لك ، وذلك في قوله تعالىٰ : ﴿ أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ ﴾ [الشرح: ١] ، ولم يُقل (ألم نشرح صدرك) ؟

ج : أجاب علىٰ ذلك بعض أهل العلم بما حاصله : أن نفع انشراح الصدر راجع إليك يا محمد لا إلىٰ اللَّه فهو ، نعمة ومنة منا عليك .

* * *

س ـ اذكر آية في معنىٰ قوله تعالىٰ : ﴿ وَوَضَعْنَا عَنكَ وِزْرَكَ ﴾ [الشرح: ٢] ؟

ج : هي قوله تعالىٰ : ﴿ لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ ﴾ [الفتح: ٢] .

* * *

س ـ هل كانت عند النبي ﷺ ذنوب قبل نبوته عليه الصلاة والسلام؟

ج : قال بذلك بعض أهل العلم ، فروي عن قتادة بإسناد يصح بمجموع طريقيه[1] في قوله تعالىٰ : ﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ ﴿١﴾ وَوَضَعْنَا عَنكَ وِزْرَكَ ﴿٢﴾ الَّذِي أَنقَضَ ظَهْرَكَ﴾ [الشرح: ١ - ٣] كانت للنبي ﷺ ذنوب قد أثقلته فغفرها اللَّه له .

• وروىٰ الطبري أيضًا بإسناد صحيح عن ابن زيد في قوله تعالىٰ: ﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ ﴿١﴾ وَوَضَعْنَا عَنكَ وِزْرَكَ﴾ [الشرح: ١، ٢] قال :

(١) أخرجهما الطبري في «تفسيره» .

شرح له صدره وغفر له ذنبه الذي كان قبل أن يُنبأ فوضعه .

وتأيد هذا القول بقوله تعالىٰ : ﴿لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ ...﴾ [الفتح: ٢] ، واللَّه أعلم .

* * *

س ـ هل كانت هذه الذنوب كبيرة وثقيلة إلىٰ حد أن توصف بأنها أنقضت الظهر ؟

ج : قال بعض أهل العلم : إنما وصفت الذنوب بأنها ثقيلة أنقضت الظهر مع كونها مغفورة للأنبياء عليهم الصلاة والسلام لشدة اهتمامهم بها وندمهم منها وتحسرهم عليها ، كما قال الخليل إبراهيم ﷺ عندما طلبت منه الشفاعة : «**نفسي نفسي إني كذبت ثلاث كذبات ..**» وذكر الحديث[1] .

* * *

س ـ كيف رفع ذكر نبينا محمد ﷺ ؟

ج : رفع اللَّه سبحانه وتعالىٰ ذكر النبي محمد ﷺ بأمور منها ما يلي :

- إيتاؤه القرآن وإنزاله عليه وبعثه لخير أمة أخرجت للناس ، فقد قال تعالىٰ عن القرآن : ﴿وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ﴾ [الزخرف: ٤٤] أي : شرف لك ولقومك .

---

(١) تقدم تخريجه في تفسير سورة البقرة .

● وأخذ اللَّه الميثاق على النبيين أن يؤمنوا به إذا بعث وهم أحياء قال سبحانه : ﴿ وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُم مِّن كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنصُرُنَّهُ قَالَ أَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِي قَالُوا أَقْرَرْنَا قَالَ فَاشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُم مِّنَ الشَّاهِدِينَ (٨١) فَمَن تَوَلَّىٰ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴾ [آل عمران: ٨١، ٨٢] .

● ولا ينعقد لأحدٍ إسلام إلا بالاعتراف برسالته ﷺ والإقرار بها بقوله : أشهد ألا إله إلاَّ اللَّه وأن محمدًا رسول اللَّه ، فجاء ذكر النبي ﷺ والشهادة برسالته من أركان الإسلام .

● ويُدوِّي هذا الاسم الكريم اسم محمد ﷺ خمس مرات في اليوم والليلة في الأذان ، وكذلك عند إقامة الصلاة .

● ورب العزة سبحانه وملائكته يصلون على هذا النبي الكريم محمد ﷺ ، قال تعالى : ﴿ إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾ [الأحزاب: ٥٦] .

● وكرر اسمه في القرآن في عدة مواطن ﷺ ، بل وجعلت في القرآن سورة باسمه عليه الصلاة والسلام ، وكما أسلفنا فالقرآن كله نزل عليه ، وقال تعالى : ﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعًا مِّنَ الْمَثَانِي وَالْقُرْآنَ الْعَظِيمَ ﴾ [الحجر: ٨٧] .

● وأُعطي الشفاعة العظمى صلوات اللَّه وسلامه عليه ، وجُعل سيد ولد آدم عليه الصلاة والسلام .

● ويأتي شهيدًا على أمته يوم القيامة وعلى سائر الأمم وكذلك أمته تشهد على سائر الأمم عليه الصلاة والسلام .

● وهو صاحب الحوض والكوثر ﷺ .

● وبَشَّرت به الكتب المنزلة على الأنبياء صلوات اللَّه وسلامه عليهم .

● واسمه يُذكر في كل خطبة وفي خطبة النكاح والتشهد في الصلاة كذلك .

● وأمر اللَّه بطاعته وتوقيره وتعظيمه ، قال تعالى : ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا﴾ [الحشر: ٧] ، وقال سبحانه : ﴿وَاللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَقُّ أَن يُرْضُوهُ إِن كَانُوا مُؤْمِنِينَ﴾ [التوبة: ٦٢] ، وقال تعالى : ﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ﴾ [آل عمران: ٣١] ، وقال تعالى : ﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ﴾ [التغابن: ١٢] ، وقال تعالى : ﴿فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنزِلَ مَعَهُ أُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [الأعراف: ١٥٧]، وقال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ (١) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَن تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنتُمْ لا تَشْعُرُونَ (٢) إِنَّ الَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصْوَاتَهُمْ عِندَ رَسُولِ اللَّهِ أُوْلَئِكَ الَّذِينَ امْتَحَنَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَىٰ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ ﴾ [الحجرات: ١ - ٣] .

فانظر إلى الذي يجهر لرسول اللَّه ﷺ بالقول ويرفع صوته فوق صوته وكيف أن عمله يحبط وهو لا يشعر ؟ !!!

وانظر إلى المتخلق بالخلق الحسن مع رسول اللَّه ﷺ وكيف تغفر له ذنوبه ويثبت له الأجر العظيم ؟!!

وبالجملة فقد ملأ ذكره الجميل السموات والأرضين ، وجعل اللَّه له لسان صدق في الأولين والآخرين ، وجعلت أمته ـ كما أسلفنا ـ خير الأمم وأكثر أهل الجنة ، فصلوات ربي وسلامه عليه آناء الليل وأطراف النهار في الدنيا وفي الآخرة عليه أفضل صلاة وأتم تسليم وأزكاه ، وما أجمل وأحسن هذه الأبيات المنسوبة إلى حسان رضي اللَّه عنه حيث قال في وصف النبي ﷺ والثناء عليه :

أغرُّ عليه للنبوة خاتم .:. من اللَّه مشهود يلوح ويشهد

وضم الإله اسم النبي مع اسمه .:. إذا قال في الخمس المؤذن أشهد

وشق له من اسمه ليجله .:. فذو العرش محمود وهذا محمد

* * *

س ـ ما فائدة التكرير في قوله تعالى : ﴿فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا ۝٥ إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا﴾ [الشرح: ٥، ٦] ؟

ج : فائدة هذا التكرير التأكيد ، أي : تأكيد أن مع العسر يسراً .

س ـ اذكر بعض الأدلة على أن الشدة يتبعها الفرج ؟

ج : **من هذه الأدلة ما يلي :**

• قول اللَّه تعالىٰ : ﴿فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا ۝٥ إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا﴾ [الشرح: ٥، ٦] .

• وقوله تعالىٰ : ﴿حَتَّىٰ إِذَا اسْتَيْأَسَ الرُّسُلُ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ قَدْ كُذِبُوا جَاءَهُمْ نَصْرُنَا﴾ [يوسف: ١١٠] .

• وقوله تعالىٰ : ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِن قَبْلِكُم مَّسَّتْهُمُ الْبَأْسَاءُ وَالضَّرَّاءُ وَزُلْزِلُوا حَتَّىٰ يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ مَتَىٰ نَصْرُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ﴾ [البقرة: ٢١٤] .

* * *

س ـ وضح معنىٰ قوله تعالىٰ : ﴿فَإِذَا فَرَغْتَ فَانصَبْ﴾ [الشرح: ٧] ؟

ج : **لأهل العلم في ذلك أقوال :**

أحدها : إذا فرغت من أعمال الدنيا وأمورها فاجتهد في العبادة ، وأقبل على العبادة وأنت نشيط فارغ البال(١) .

الثاني : إذا فرغت من الصلاة فانصب أي : فاجتهد في الدعاء .

الثالث : إذا فرغت من تبليغ الرسالة وجهاد العدو فاجتهد في

---

(١) كما قال النبي ﷺ : «إذا أقيمت الصلاة وحضر العَشاء فابدءوا بالعشاء ..» ، وكما قال عليه الصلاة والسلام : «لا صلاة بحضرة طعام» .

الحمد والاستغفار والتسبيح ، كما قال تعالى : ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ ﴿١﴾ وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا ﴿٢﴾ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا﴾ [النصر: ١ - ٣] ، والله أعلم .

* * *

س ـ هل يشرع الدعاء بعد الصلاة ؟

ج ـ لأهل العلم في ذلك قولان :

أحدهما : لا يشرع الدعاء بعد الصلاة .

الثاني : وهو الأشهر ـ أن الدعاء بعد الصلاة مشروع بل مستحب .

● **أما القائلون بالقول الأول** فاستدلوا بما في «صحيح مسلم» من حديث عائشة رضي الله عنها أن النبي ﷺ كان إذا سلم لم يقعد إلا مقدار ما يقول : **«اللهم أنت السلام ومنك السلام تباركت ذا الجلال والإكرام»**[1] .

وقال القائلون بهذا : إن اللائق بحال المصلي أن يدعو ربه وهو مقبل عليه يناجيه فكيف يترك سؤاله وهو بين يديه ثم يسأله إذا انصرف عنه .

وقالوا أيضًا : إن الأحاديث التي وردت فيها أدعية دبر الصلاة إنما تفعل داخل الصلاة لأن دبر الشيء منه ، فدبر الرجل من الرجل ، فدبر الصلاة من الصلاة أي قبل التسليم .

---

(١) أخرجه مسلم (حديث ٥٩٢) .

وبالغ هؤلاء فقالوا : إنه لم يثبت عن النبي ﷺ الدعاء بعد السلام.

● **أما القائلون بمشروعية الدعاء بعد الصلاة** فاستدلوا بأدلة منها : قوله تعالى : ﴿فَإِذَا فَرَغْتَ فَانصَبْ﴾ [الشرح: ٧] ، وقد ورد في تفسيرها أثر ابن عباس رضي اللّه عنهما بإسناد ضعيف عند الطبري أنه قال : فإذا فرغت مما فُرض عليك من الصلاة فسل اللّه وارغب إليه وانصب له ، وورد عن قتادة بإسناد صحيح في تفسيرها ـ عند الطبري ـ أنه قال : أمره إذا فرغ من صلاته أن يبالغ في دعائه .

● واستدلوا أيضًا بقول النبي ﷺ لمعاذ بن جبل رضي اللّه عنهما: **«أوصيك يا معاذ لا تدعن في دبر كل صلاة تقول : اللهم أعني على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك»**[1] .

● واستدلوا أيضًا بما أخرجه مسلم من حديث علي رضي اللّه عنه أن رسول اللّه ﷺ كان إذا سلّم قال : **«اللهم اغفر لي ما قدمت وما أخرت وما أسررت وما أعلنت وما أسرفت وما أنت أعلم به مني أنت المقدم وأنت المؤخر لا إله إلا أنت»**[2] .

● وبما أخرجه مسلم[3] أيضًا من حديث البراء بن عازب رضي اللّه

---

(١) أخرجه أبو داود (٢/ ١٨٠) والنسائي (٣/ ٥٣) وابن السني (١١٦) وأحمد (٥/ ٢٤٥ و ٢٤٧) وابن حبان (٢٣٤٥) .

(٢) أخرجه مسلم (٧٧١) ص ٥٣٦ .

(٣) أخرجه مسلم (٧٠٩) .

عنهما قال : كنا إذا صلينا خلف رسول اللَّه ﷺ أحببنا أن نكون عن يمينه يقبل علينا بوجهه ، قال فسمعته يقول : «**رب قني عذابك يوم تبعث (أو تجمع) عبادك**» .

● وما أخرجه البخاري من طريق عمرو بن ميمون الأودي أنه قال: كان سعد يعلم بنيه هؤلاء الكلمات كما يعلم المعلم الغلمان الكتابة ويقول : إن رسول اللَّه ﷺ كان يتعوَّذ منهن دبر الصلاة : «**اللهم إني أعوذ بك من الجبن وأعوذ بك أن أرد إلىٰ أرذل العمر وأعوذ بك من فتنة الدنيا وأعوذ بك من عذاب القبر**»[١] .

● واستدلوا أيضًا بحديث أبي أمامة رضي اللَّه عنه قال : قيل : يا رسول اللَّه أي الدعاء أسمع ؟ قال : «**جوف الليل الآخر ودبر الصلوات المكتوبات**»[٢] ، إلا أن هذا الحديث ضعيف خاصة قوله : «**ودبر الصلوات المكتوبات**» فهو من طريق عبد الرحمن بن سابط عن أبي أمامة ولم يسمع من أبي أمامة رضي اللَّه عنه ، وقد ورد هذا الحديث من طرق عن أبي أمامة عن عمرو بن عبسة مرفوعًا ، ومن طرق أخرىٰ عن عمرو بن عبسة مرفوعًا ، وكل هذه الطرق عن عمرو ابن عبسة فيها مقال ، ومع ذلك ليس فيها «**ودبر الصلوات المكتوبات**» .

● واستدلوا أيضًا بعموماتٍ ألا وهي : أن الدعاء يشرع بعد

---

(١) أخرجه البخاري (مع الفتح ٦/ ٣٥) والترمذي (مع «التحفة» ١٠/ ١٤) والنسائي (جـ ٧ باب التعوذ) .

(٢) أخرجه الترمذي (حديث ٣٤٩٩) والنسائي «في عمل اليوم والليلة» (١٠٨) .

الأعمال الصالحة ، ومنها الصلاة وذلك كدعاء الاستخارة وغيره .

● وقد أجاب قائلو هذا القول على أدلة المانعين للدعاء بما حاصله أن حديث عائشة رضي اللّه عنها أن النبي ﷺ كان إذا سلَّم لم يقعد إلا مقدار ما يقول : «**اللهم أنت السلام** ....» الحديث[١] المراد منه نفي الجلوس على هيئة المصلي قبل أن يسلم ، فهو يجلس على هيئة المصلي هذا القدر «**اللهم أنت السلام ومنك السلام تباركت ذا الجلال والإكرام** ... » ثم يلتفت إلى أصحابه . .

● وأجابوا على القول القائل بأن دبر الشيء منه بما حاصله : أن دبر الشيء قد يكون منه أحيانًا ، وأحيانًا أُخر يكون خارجًا عنه ؛ فالنبي ﷺ لما علَّم أصحابه التسبيح والتحميد والتكبير ثلاثًا وثلاثين دبر كل صلاة يعلم الجميع أن المراد بعد انتهاء الصلاة والتسليم منها ، وكذلك حثه عليه الصلاة والسلام على قراءة آية الكرسي[٢] دبر كل صلاة ـ عند من صححه ـ فإنما المراد منه بعد الصلاة .

أما القائلون بمشروعية الدعاء بعد الصلاة فمنهم الإمام الشافعي رحمه اللّه تعالى فقد قال في «الأم»: وأستحب للمصلي منفردًا وللمأموم أن يطيل الذكر بعد الصلاة ويكثر الدعاء رجاء الإجابة بعد المكتوبة .

وقال النووي في «المجموع» : ويستحب أن يدعو أيضًا بعد السلام بالاتفاق .

---

(١) أخرجه مسلم (ص ٤١٤) حديث (٥٩٢) .

(٢) أخرجه ابن السني في «عمل اليوم والليلة» (حديث ١٢١) .

قلت : ويظهر لي أنه أراد اتفاق الشافعية والله أعلم .

وقال ابن قدامة في «المغني» : ويستحب ذكر الله والدعاء عقيب سلامه ويستحب من ذلك ما ورد به الأثر .

هذا وقد ذهب بعض العلماء إلى تفصيل آخر ، وهو أن الدعاء لا يشرع بعد الصلاة مباشرة ، إنما يشرع بعد الأذكار التي تقال عقب الصلاة، ومن هؤلاء ابن القيم رحمه الله تعالى ، والعلم عند الله سبحانه وتعالى .

* * *

س ـ وضح معنى قوله تعالى : ﴿ وَإِلَىٰ رَبِّكَ فَارْغَبْ ﴾ [الشرح: ٨] ؟

ج : المعنى ـ والله أعلم ـ : اجعل رغبتك فيه دون من سواه من خلقه ، واجعل ملتجأك إليه وعملك خالصًا لوجهه رغبة فيما عنده سبحانه وتعالى .



سُورَةُ التِّينِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

وَالتِّينِ وَالزَّيْتُونِ ﴿١﴾ وَطُورِ سِينِينَ ﴿٢﴾ وَهَٰذَا الْبَلَدِ الْأَمِينِ ﴿٣﴾ لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ﴿٤﴾ ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ ﴿٥﴾ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ ﴿٦﴾ فَمَا يُكَذِّبُكَ بَعْدُ بِالدِّينِ ﴿٧﴾ أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَحْكَمِ الْحَاكِمِينَ ﴿٨﴾

س ـ وضح معنى ما يلي :ـ

طور ـ سينين ـ الأمين ـ أحسن تقويم ـ أسفل سافلين ـ ممنون ـ الدين ـ أحكم الحاكمين ؟

ج :

الكلمة	معناها
طـــــور	الطور هو كل جبل ينبت ـ وقيل : المراد به هنا طور سيناء لقوله تعالى : ﴿ **وشجرة تخرج من طور سيناء** ﴾ وهو الجبل الذي كلم اللّه سبحانه عنده موسى عليه السلام
سينيـــــن	مبارك حسن[1] ـ وقيل : المراد (سيناء)

(١) ومنه قول النبي ﷺ لأم خالد : «**هذا سناه**» .

الكلمة	معناها
الأميـــــن	الآمن
أحسن تقويـم	أعدل خلق وأحسن صورة وقوام واعتدال خلق واستواء
أسفل سافلين	أرذل العمر ، وهو الهرم بعد الشباب والضعف بعد القوة ـ وقيل : النار
ممنـــــون	مقطوع ـ منقوص
الديـــــن	الجزاء ـ الحساب
أحكم الحاكمين	أتقن الحاكمين صنعًا لكل ما خلق

* * *

س ـ هل ثبت أن النبي ﷺ قرأ في صلاته بسورة التين ؟

ج : نعم ثبت ذلك ، ففي «الصحيحين» من حديث البراء بن عازب رضي اللَّه عنهما أن النبي ﷺ كان في سفرٍ فقرأ في العشاء في إحدى الركعتين بالتين والزيتون[1] .

وفي رواية : سمعت النبي ﷺ يقرأ : ﴿وَالتِّينِ وَالزَّيْتُونِ﴾ في العشاء وما سمعت أحدًا أحسن صوتًا منه أو قراءة[2] .

(١) لفظ البخاري (حديث ٤٩٥٢) ومسلم (٤٦٤) .
(٢) لفظ البخاري (٧٦٩) .

س ـ ما المراد بـ ﴿وَالتِّينِ وَالزَّيْتُونِ﴾ [التين: ١] وما المراد بـ ﴿وَطُورِ سِينِينَ﴾ [التين: ٢] ؟

ج : لأهل العلم في تحديد المراد بالتين والزيتون أقوال :

أحدها : أن المراد بالتين هو التين المعروف الذي يؤكل ، والمراد بالزيتون الزيتون الذي يُعصر[1] .

الثاني : أن المراد بالتين والزيتون المكان الذي ينبت فيه التين والزيتون وهما جبلان ، أما التين فهو الجبل الذي عليه دمشق ، والزيتون الجبل الذي عليه بيت المقدس[2] .

---

(١) وصح هذا عن الحسن وعكرمة وقتادة وغيرهم كما عند الطبري .
هذا وقد ذكر الرازي من فوائد التين جملة فوائد فقال : أما التين فقالوا إنه غذاء وفاكهة ودواء ، أما كونه غذاء فالأطباء زعموا أنه طعام لطيف سريع الهضم لا يمكث في المعدة يلين الطبع ويخرج بطريق الترشح ويقلل البلغم ويطهر الكليتين ويزيل ما في المثانة من الرمل ويسمن البدن ويفتح مسام الكبد والطحال وهو خير الفواكه وأحمدها . . إلى آخر ما ذكره رحمه الله .
قلت : أما الزيتون فذكره الله سبحانه وتعالى بقوله: ﴿شَجَرَةٍ مُبَارَكَةٍ زَيْتُونَةٍ﴾ [النور: ٣٥] وقال تعالى: ﴿وَشَجَرَةً تَخْرُجُ مِن طُورِ سَيْنَاءَ تَنبُتُ بِالدُّهْنِ وَصِبْغٍ لِّلْآكِلِينَ﴾ [المؤمنون: ٢٠] .

(٢) نقل القاسمي في «محاسن التأويل» عن شيخ الإسلام ابن تيمية قوله : فقوله تعالى: ﴿وَالتِّينِ وَالزَّيْتُونِ ۝ وَطُورِ سِينِينَ ۝ وَهَذَا الْبَلَدِ الْأَمِينِ﴾ [التين: ١ - ٣] : إقسام منه بالأمكنة الشريفة المعظمة الثلاثة التي ظهر فيها نوره وهداه وأنزل فيها كتبه الثلاثة التوراة والإنجيل والقرآن .
قلت (مصطفى) : فالذين اختاروا أن المراد بـ ﴿وَالتِّينِ وَالزَّيْتُونِ﴾ [التين: ١] جبلان أيدوا قولهم بدليل الاقتران في قوله تعالى : ﴿وَطُورِ سِينِينَ ۝ وَهَذَا الْبَلَدِ الْأَمِينِ﴾ [التين: ٢ - ٣] قالوا : فاقسم الله بمواطن ثلاثة من الأنبياء وهم عيسى وموسى ومحمد صلى الله عليهم جميعًا وسلم ، والله أعلم .

الثالث : أن المراد بالتين مسجد دمشق وبالزيتون بيت المقدس .

وثمَّ أقوال أُخر ، والأكثرون على أن المراد بالتين التين الذي يؤكل والزيتون هو الزيتون المعروف الذي يُعصر .

وهذا هو الذي صوَّبه الطبري في تفسيره حيث قال : والصواب من القول في ذلك عندنا قول من قال : التين هو التين الذي يؤكل والزيتون هو الزيتون الذي يُعصر منه الزيت ، لأن ذلك هو المعروف عند العرب ولا يعرف جبل يُسمى تينًا ولا جبل يقال له زيتون ، إلا أن يقول قائل : أقسم ربنا جل ثناؤه بالتين والزيتون ، والمراد من الكلام القسم بمنابت التين ومنابت الزيتون فيكون ذلك مذهبًا ، وإن لم يكن على صحة ذلك أنه كذلك دلالة في ظاهر التنزيل ولا من قول من لا يجوز خلافه لأن دمشق بها منابت التين وبيت المقدس منابت الزيتون .

وصحح القرطبي أن المراد بالتين الذي يؤكل والزيتون الذي يُعصر ويؤكل، فقال: لأنه الحقيقة ولا يُعدل عن الحقيقة إلى المجاز إلا بدليل.

قلت : أما طور سينين فالأكثرون من أهل العلم على أنه طور سيناء الذي ناجى اللَّه سبحانه وتعالى عنده موسى ﷺ ، وقد جاء ذكره في قوله تعالى: ﴿ **وَنَادَيْنَاهُ مِن جَانِبِ الطُّورِ الأَيْمَنِ وَقَرَّبْنَاهُ نَجِيًّا** ﴾ [مريم: ٥٢] .

* * *

س ـ ما المراد بالبلد الأمين ؟ ولماذا وصُف بأنه أمين ؟

ج : المراد بالبلد الأمين مكة، ووصف بأنه أمين أي: آمن لأن من دخله كان آمنًا، كما قال تعالى: ﴿ **أَوَ لَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا آمِنًا وَيُتَخَطَّفُ**

النَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ﴾ [العنكبوت: ٦٧] ، وكما قال تعالى : ﴿وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُّطْمَئِنَّةً﴾ [النحل: ١١٢] وهي مكة ، فكان الرجل يلتقي بقاتل أبيه وبقاتل أخيه في الحرم ولا يتعرض له بسوء ولا يناله بأذىٰ ، بل وهذا البلد الأمين لا ينفر صيده ولا يعضد شوكه ولا يلتقط لقطته إلا من عرَّفها .

* * *

س ـ وضح المعنىٰ الإجمالي لقوله تعالىٰ : ﴿ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ ۝ إِلاَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ﴾ [التين: ٥ ، ٦] ؟

ج : تقدم أن أهل العلم لهم قولان في تأويل قوله تعالىٰ : ﴿ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ﴾ [التين: ٥] .

أحدهما : أن المراد ثم رددناه إلىٰ أرذل العمر كما قال سبحانه وتعالىٰ : ﴿وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰ أَرْذَلِ الْعُمُرِ لِكَيْلا يَعْلَمَ مِنْ بَعْدِ عِلْمٍ شَيْئًا﴾ [الحج: ٥] ، وكما قال سبحانه : ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً﴾ [الروم: ٥٤] .

والثاني : رددناه إلىٰ النار علىٰ وجهه في أقبح صورة بعد أن كان في أحسن تقويم ، وذلك بسبب كفره .

وعلىٰ كل قول ينشأ للآية الكريمة تفسير .

فعلىٰ القول الأول : فالمراد برددناه عموم الإنسان ، فالمعنىٰ :

لقد خلقنا الإنسان في أحسن صورة وأعدل قوام وأتم عقل وقوة ذاكرة ، وصلنا به إلىٰ ذلك بعد أن كان ضعيفًا في صغره ، وبعد أن وصل إلىٰ هذه الحال من الاعتدال وحسن القوام رجع كرة أخرىٰ يُنكس في الخلق ، كما قال تعالىٰ : ﴿ **وَمَن نُّعَمِّرْهُ نُنَكِّسْهُ فِي الْخَلْقِ أَفَلا يَعْقِلُونَ** ﴾ [يس: ٦٨] فبدأ في الضعف والخور وذهاب العقل شيئًا فشيئًا وترك العمل شيئًا فشيئًا فينقطع أجره إذ لا عمل صالح يعمله ، لكن الذين آمنوا وعملوا الصالحات في حال صحتهم وقوتهم فهم وإن ردوا ـ كسائر الخلق ـ إلىٰ أرذل العمر وانقطعوا عن كثير من العمل الصالح لضعفهم وقلة حيلتهم فأجرهم ما زال يكتب لهم غير مقطوع ولا منقوص كما قال النبي ﷺ : «**إذا مرض العبد أو سافر كتب له مثل ما كان يعمل مقيمًا صحيحًا**»(١) .

فعلىٰ ذلك فالاستثناء في قوله تعالىٰ : ﴿ **إِلاَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ** ﴾ [التين: ٦] استثناء منقطع ، فالمعنىٰ: لكن الذين آمنوا وعملوا الصالحات ـ وإن ردوا إلىٰ أرذل العمر ـ لم ينقطع ثواب عملهم .

● وعلىٰ القول الثاني فالمراد بالإنسان : الإنسان الكافر ، والمعنىٰ : ثم رددنا الكافر أسفل سافلين في جهنم .

---

(١) أخرجه البخاري (حديث ٢٩٩٦) من حديث أبي موسىٰ الأشعري رضي الله عنه مرفوعًا ، وفي إسناده إبراهيم أبو إسماعيل السكسكي وانظر الكلام علىٰ هذا الحديث في «المنتخب» لعبد ابن حميد (بتحقيقي ٥٣٣) و«علل الدارقطني» (٢/ ١٦٧) و«التتبع» للدارقطني أيضًا ، و«هدي الساري» (مقدمة «فتح الباري») ترجمة إبراهيم بن عبد الرحمن السكسكي والكلام علىٰ الحديث الثاني والأربعين في مقدمة «الفتح» .

ورجح الطبري رحمه اللَّه القول الأول بقوله :

وأولى الأقوال في ذلك عندنا بالصحة قول من قال : معناه ثم رددناه إلى أرذل العمر إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات في حال صحتهم وشبابهم فلهم أجر غير ممنون بعد هرمهم كهيئة ما كان لهم من ذلك على أعمالهم في حال ما كانوا يعملون وهم أقوياء على العمل ، وإنما قلنا ذلك أولى بالصحة لما وضعنا من الدلالة على صحة القول بأن تأويل قوله : ﴿**ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ**﴾ [التين: ٥] إلى أرذل العمر .

قلت : وقال عطية سالم في «تتمته لأضواء البيان» منتصراً لهذا القول :

واستدل لهذا الوجه من نفس السورة . وذلك لأن اللَّه تعالى قال في آخرها : ﴿**فَمَا يُكَذِّبُكَ بَعْدُ بِالدِّينِ**﴾ [التين: ٧] أي : بعد هذه الحجج الواضحة ، وهي بدء خلق الإنسان وتطوره إلى أحسن أمره ، ثم رده إلى أحط درجات العجز أسفل سافلين ، وهذا هو المشاهد لهم ، يحتج به عليهم .

أما رده إلى النار فأمر لم يشهدوه ولم يؤمنوا به ، فلا يصلح أن يكون دليلاً يقيمه عليهم ، لأن من شأن الدليل أن ينقل من المعلوم إلى المجهول والبعث هو موضع إنكارهم ، فلا يحتج عليهم لإثبات ما ينكرونه بما ينكرونه ، وهذا الذي ذهب إليه واضح .

ومما يشهد لهذا الوجه: أن حالة الإنسان هذه في نشأته من نطفة، فعلقة ، فطفلاً ، فغلامًا ، فشيخًا ، فهرم ، وعجز . جاء مثلها في النبات وكلاهما من دلائل البعث ، كما في قوله : ﴿**اعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ**

الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ ـ إلى قوله ـ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَاتُهُ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَاهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَامًا وَفِي الآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٌ﴾ [الحديد: ٢٠] ، وقوله : ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَلَكَهُ يَنَابِيعَ فِي الأَرْضِ ثُمَّ يُخْرِجُ بِهِ زَرْعًا مُّخْتَلِفًا أَلْوَانُهُ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَاهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَجْعَلُهُ حُطَامًا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرَىٰ لأُوْلِي الأَلْبَابِ﴾ [الزمر: ٢١] .

فكذلك الإنسان ، لأنه كالنبات سواء كما قال تعالىٰ : ﴿وَاللَّهُ أَنبَتَكُم مِّنَ الأَرْضِ نَبَاتًا ﴿١٧﴾ ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهَا وَيُخْرِجُكُمْ إِخْرَاجًا﴾ [نوح: ١٧ ، ١٨] .

ويكون الاستثناء إلا الذين آمنوا فإنهم لا يصلون إلىٰ حالة الخرف وأرذل العمر ، لأن المؤمن مهما طال عمره ، فهو في طاعة ، وفي ذكر اللَّه فهو كامل العقل ، وقد تواتر عند العامة والخاصة أن حافظ كتاب اللَّه المداوم علىٰ تلاوته ، لا يصاب بالخرف ولا الهذيان .

وقد شاهدنا شيخ القراء بالمدينة المنورة الشيخ حسن الشاعر ، لا زال علىٰ قيد الحياة عند كتابة هذه الأسطر تجاوز المائة بكثير ، وهو لا يزال يقرئ تلاميذه القرآن ، ويعلمهم القراءات العشر ، وقد يسمع لأكثر من شخص يقرءون في أكثر من موضع وهو يضبط علىٰ الجميع .

وقد روىٰ الشوكاني مثله ، عن ابن عباس أنه قال ذلك .

* * *

س ـ وضح معنىٰ قوله تعالىٰ : ﴿ فَمَا يُكَذِّبُكَ بَعْدُ بِالدِّينِ ﴾

[التين: ٧] ؟ ومن المخاطب بالآية الكريمة ؟

ج : لأهل العلم في ذلك قولان :

أحدهما : أن المخاطب هو الكافر[1]، والمعنى : إذا عرفت أيها الإنسان أن اللَّه خلقك في أحسن تقويم وأنه يردك إلى أرذل العمر وينقلك من حالٍ إلى حال فما يحملك على التكذيب بالبعث والجزاء وقد أخبرك به محمد ﷺ بما أوحي إليه .

الثاني : أن المخاطب هو رسول اللَّه ﷺ ، والمعنى : فمن يقدر يامحمد على تكذيبك بالبعث والجزاء والثواب والعقاب بعد ما بينا قدرتنا في خلقه وتقلبه في الأطوار من طورٍ إلى طورٍ .

* * *

س ـ هل ورد أن النبي ﷺ كان إذا قرأ هذه الآية : ﴿أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَحْكَمِ الْحَاكِمِينَ﴾ [التين: ٨] يقول : بلى وأنا على ذلك من الشاهدين ؟

ج : ورد بأسانيد فيها كلام منها حديث أبي هريرة رضي اللَّه عنه قال : قال رسول اللَّه ﷺ : **«من قرأ منكم بالتين والزيتون فانتهى إلى آخرها ﴿أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَحْكَمِ الْحَاكِمِينَ﴾ [التين: ٨] فليقل : بلى وأنا على ذلك من الشاهدين»** .

وفي إسناده رجل مبهم .

---

[1] أخرج الطبري بإسناد صحيح عن منصور قال : قلت لمجاهد : ﴿فَمَا يُكَذِّبُكَ بَعْدُ بِالدِّينِ﴾ [التين: ٧] أعنى به النبي ﷺ ؟ قال : معاذ اللَّه عنى به الإنسان .

وقد ورد نحوه عن قتادة مرسلاً .

وورد نحوه عن ابن عباسٍ موقوفًا عند الطبراني وفي إسناده مقال .

* * *

س ـ اذكر بمزيد إيضاح معنى قوله تعالى : ﴿أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَحْكَمِ الْحَاكِمِينَ﴾ [التين: ٨] ؟

ج : تقدم[1] أن همزة الاستفهام تحمل معنى النفي ، وليس نافية أيضًا ، ونفي النفي إثبات ، فالمعنى : اللَّه أحكم الحاكمين ، وعليه فننقل قول عطية سالم في «**تتمته لأضواء البيان**» ، قال رحمه اللَّه :

قوله تعالى : ﴿**أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَحْكَمِ الْحَاكِمِينَ**﴾ [التين: ٨] .

السؤال كما تقدم في (ألم نشرح) أي : للإثبات ، وهو سبحانه وتعالى بلا شك أحكم الحاكمين ، كما ثبت عنه ﷺ أنه كان إذا قرأها قال : «**اللهم بلى**» كما سيأتي .

وأحكم الحاكمين ، قيل : أفعل تفضيل من الحكم أي : أعدل الحاكمين ، كما في قوله تعالى : ﴿ **وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا** ﴾ [الكهف: ٤٩] .

وقيل : من الحكمة ، أي : في الصنع والإتقان والخلق ، فيكون اللفظ مشتركًا ، ولا يبعد أن يكون من المعنيين معًا ، وإن كان هو في الحكم أظهر ، لأن الحكيم من الحكمة يجمع على الحكماء .

---

(١) وذلك في تفسير سورة الانشراح .

فعلى القول بالأمرين : يكون من استعمال المشترك في معنييه معًا ، وهو هنا لا تعارض بل هما متلازمان ، لأن الحكيم لابد أن يعدل ، والعادل لابد أن يكون حكيمًا يضع الأمور في مواضعها .

وقد بين تعالى هذا المعنى في عدة مواطن كقوله تعالى : ﴿**أَمْ نَجْعَلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَالْمُفْسِدِينَ فِي الأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ الْمُتَّقِينَ كَالْفُجَّارِ**﴾ [ص: ٢٨] ، الجواب : لا ، وكقوله: ﴿**أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ أَن نَّجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَوَاءً مَّحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ**﴾ [الجاثية: ٢١] ، وفي قوله : ﴿**سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ**﴾ بيان لعدم عدالتهم في الحكم ، وبعده عن الحكمة .

ومعلوم أن عدم التسوية بينهم في مماتهم أنه بالبعث والجزاء ، فهو سبحانه أحكم الحاكمين في صنعه وخلقه . خلق الإنسان في أحسن تقويم ، وأعدل الحكام في حكمه لم يسوِّ بين المحسن والمسيء .

وقد اتفق المفسرون [١] على رواية الترمذي لحديث أبي هريرة رضي اللَّه عنه مرفوعًا : «**من قرأ والتين والزيتون ، فقرأ أليس اللَّه بأحكم الحاكمين ، فليقل : بلى ، وأنا على ذلك من الشاهدين**» .

ومثله عن جابر مرفوعًا ، وعن ابن عباس قوله : «**سبحانك اللهم ، فبلى**» . والعلم عند اللَّه تعالى .

---

(١) قد قدمت الكلام على هذا الحديث .

● **وقال السعدي في تفسيره « تيسير الكريم الرحمن .. » :**

﴿أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَحْكَمِ الْحَاكِمِينَ﴾ [التين: ٨] فهل تقتضي حكمته ، أن يترك الخلق سدىً ، لا يؤمرون ، ولا ينهون ، ولا يثابون ، ولا يعاقبون؟ أم الذي خلق بني الإنسان أطوارًا ، بعد أطوار ، وأوصل إليهم من النعم ، والخير ، والبر ، ما لا يحصونه ، وربَّاهم التربية الحسنة ، لابد أن يعيدهم إلى دار ، هي مستقرهم ، وغايتهم التي إليها يقصدون ، ونحوها يؤمون ؟ .





القاهرة ٤ ش العرب من الأربعين ـ جسر السويس
محطة الجراج خلف سنترال النزهة
ت: ٢٩٩٩٥٢٧ ـ ٢٩٩٥٧٤٢ /٠١٠٦٦٩٥٧٤٢ فاكس: ٢٩٧٨٤٧٤

سُورَةُ العَلَق

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ﴿١﴾ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِنْ عَلَقٍ ﴿٢﴾ ٱقْرَأْ وَرَبُّكَ ٱلْأَكْرَمُ ﴿٣﴾ ٱلَّذِى عَلَّمَ بِٱلْقَلَمِ ﴿٤﴾ عَلَّمَ ٱلْإِنسَٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴿٥﴾ كَلَّآ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَيَطْغَىٰٓ ﴿٦﴾ أَن رَّءَاهُ ٱسْتَغْنَىٰٓ ﴿٧﴾ إِنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلرُّجْعَىٰٓ ﴿٨﴾ أَرَءَيْتَ ٱلَّذِى يَنْهَىٰ ﴿٩﴾ عَبْدًا إِذَا صَلَّىٰٓ ﴿١٠﴾ أَرَءَيْتَ إِن كَانَ عَلَى ٱلْهُدَىٰٓ ﴿١١﴾ أَوْ أَمَرَ بِٱلتَّقْوَىٰٓ ﴿١٢﴾ أَرَءَيْتَ إِن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰٓ ﴿١٣﴾ أَلَمْ يَعْلَم بِأَنَّ ٱللَّهَ يَرَىٰ ﴿١٤﴾ كَلَّا لَئِن لَّمْ يَنتَهِ لَنَسْفَعًۢا بِٱلنَّاصِيَةِ ﴿١٥﴾ نَاصِيَةٍ كَٰذِبَةٍ خَاطِئَةٍ ﴿١٦﴾ فَلْيَدْعُ نَادِيَهُۥ ﴿١٧﴾ سَنَدْعُ ٱلزَّبَانِيَةَ ﴿١٨﴾ كَلَّا لَا تُطِعْهُ وَٱسْجُدْ وَٱقْتَرِب ۩ ﴿١٩﴾

س ـ اذكر معنى ما يلي : ـ

علق ـ يطغى ـ أن رآه استغنى ـ الرجعى ـ لنسفعًا ـ بالناصية ـ ناديه ـ الزبانية ؟

ج :

الكلمة	معناها
علـــــق	العلق جمع علقة وهي القطعة من الدم المتماسك سميت بذلك لأنها تعلق لرطوبتها بما تمر عليه
يطغـــــى	يتجاوز الحد في ظلم العباد ويستكبر على ربه

الكلمة	معناها
أن رآه استغنى	أن رأى نفسه مستغنيًا عن الخلق بالمال والولد والعشيرة
الرجعى	المرجع والمآب
لنسفعا	لنأخذن[1] ـ لنلطمن وجهه ـ والسفع هو الجذب الشديد ، والمعنى : لنأخذن ولنضمن ولنذلن ـ لنسودن وجهه
الناصية	شعر مقدم الرأس
ناديه	أهل مجلسه وأنصاره من عشيرته وقومه ، والنادي هو المجلس الذي يجتمع فيه الناس .
الزبانية	ملائكة العذاب

❊ ❊ ❊

س ـ ما هي أول سورة نزلت من كتاب اللّه ؟ وهل نزلت هذه السورة بتمامها مرة واحدة ؟

ج : هي سورة العلق ، والدليل على ذلك ما أخرجه البخاري[2]

---

(١) دليله قوله تعالى : ﴿فَيُؤْخَذُ بِالنَّوَاصِي وَالْأَقْدَامِ﴾ [الرحمن: ٤١] ، وقيل : يؤخذ بناصيته وتطوى مع قدميه ويطرح في النار ، وقيل : إن معنى ﴿لَنَسْفَعًا بِالنَّاصِيَةِ﴾ [العلق: ١٥] لنَسِمَنَّ (أي : لنعلمن) ناصيته بعلامة .

(٢) أخرجه البخاري (حديث ٣) ومسلم (حديث ١٦٠) .

ومسلم من حديث أم المؤمنين عائشة رضي اللّه عنها قالت : أول ما بدئ به رسول اللّه ﷺ من الوحي الرؤيا الصالحة في النوم ، فكان لا يرىٰ رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح ثم حُبِّب إليه الخلاء ، وكان يخلو بغار حراء فيتحنث فيه ـ وهو التعبد ـ الليالي ذوات العدد قبل أن ينزع إلىٰ أهله ويتزود لذلك ثم يرجع إلىٰ خديجة فيتزود لمثلها حتىٰ جاءه الحق وهو في غار حراء فجاءه الملك فقال : «**اقرأ . قال : ما أنا بقارئ قال : فأخذني فغطني حتىٰ بلغ من الجهد ثم أرسلني فقال : اقرأ . قلت : ما أنا بقارئ فأخذني فغطني الثانية حتىٰ بلغ مني الجهد ثم أرسلني فقال : اقرأ . فقلت : ما أنا بقارئ فأخذني فغطني الثالثة ثم أرسلني فقال : ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ﴿١﴾ خَلَقَ الإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ ﴿٢﴾ اقْرَأْ وَرَبُّكَ الأَكْرَمُ﴾** [العلق: ١ - ٣] **فرجع بها رسول اللّه ﷺ يرجف فؤاده ...**» الحديث وهذا القدر من السورة إلىٰ قوله : ﴿**عَلَّمَ الإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ**﴾ [العلق: ٥] هو المذكور في الحديث .

قال القرطبي في «تفسيره» : ويجوز أن يكون خمس آيات من أولها أول ما نزلت ثم نزلت البقية في شأن أبي جهل وأمر النبي ﷺ بضم ذلك إلىٰ أول السورة لأن تأليف السور جرىٰ بأمرٍ من اللّه ألا ترىٰ أن قوله تعالىٰ : ﴿**وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ**﴾ [البقرة: ٢٨١] آخر ما نزل ثم هو مضموم إلىٰ ما نزل قبله بزمنٍ طويل .

---

(١) في رواية البخاري (٤٩٥٣) ومسلم (١٦٠) ﴿**اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ** ... إلىٰ **عَلَّمَ الإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ**﴾ [العلق: ١ - ٥]

قلت : ويتأيد قول القرطبي رحمه اللَّه بأنه لم يكن هناك صلاة ظاهرة لرسول اللَّه ﷺ أمام أبي جهل عند نزول أول هذه السورة فكيف يُقال إن قوله : ﴿أَرَأَيْتَ الَّذِي يَنْهَىٰ ۝٩ عَبْدًا إِذَا صَلَّىٰ﴾ [العلق: ٩، ١٠] أول ما نزل ؟!! اللهم إلا أن يُقال إنه إخبار عن غيب سيقع ، ولكن ليس هناك ما يحوجنا إلى هذا الاتجاه واللَّه أعلم .

* * *

س ـ وضح معنى قوله تعالى : ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ﴾ [العلق: ١] ؟

ج : المعنى ـ واللَّه أعلم ـ : اقرأ ما أنزل عليك من القرآن مفتتحًا باسم ربك .

* * *

س ـ ما المراد بالأكرم ؟

ج : قال بعض أهل العلم : إن الأكرم هو الذي يُعطي بدون مقابل ولا انتظار مقابل .

* * *

س ـ وضح وجه الامتنان في قوله تعالى : ﴿الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ﴾ [العلق: ٤] ؟

ج : قال ابن القيم رحمه اللَّه تعالى « مفتاح دار السعادة » [1] :

---

(١) «مفتاح دار السعادة» (٢/ ٢٤٠ ـ ٢٤١) تحقيق علي بن حسن عبد الحميد .

فنعمةُ اللَّهِ عزَّ وجلَّ بتعليمِ القَلَمِ بعدَ القرآنِ من أجلِّ النِّعَمِ ، والتَّعليمُ به ـ وإنْ كانَ ممَّا يَتَخَلَّصُ إليهِ الإنسانُ بالفِطْنَةِ والحيلَةِ ـ فإنَّ الذي بَلَغَ به ذلكَ وأوصَلَهُ إليهِ عطيَّةٌ وهبها اللَّهُ منهُ ، وفَضلٌ أعطاهُ اللَّهُ إيَّاهُ ، وزيادَةٌ في خَلقه وفَضله ، فهو الذي علَّمهُ الكتابَةَ ، وإنْ كانَ هو المُتعلِّمَ فَفعلهُ فعلُ مُطاوعٍ لتعليمِ الذي علَّمَ بالقَلمِ ، فإنَّه علَّمهُ فتعلَّمَ ، كما أنَّهُ علَّمهُ الكلامَ فتكلَّمَ .

هذا : ومَن أعطاهُ الذِّهْنَ الذي يعي به ؟ واللسانَ الذي يُتَرجِمُ به ؟ والبنانَ الذي يَخُطُّ بهِ ؟

ومَن هيَّأ ذِهْنَهُ لقَبُولِ هذا التَّعليمِ دونَ سائرِ الحيواناتِ ؟ ومنَ الذي أنطَقَ لِسَانَهُ ، وحرَّكَ بنانهُ ؟ ومنِ الذي دَعَمَ البنانَ بالكفِّ ، ودعَمَ الكفَّ بالسَّاعدِ ؟ فكم للَّهِ من آيَةٍ نحنُ غافلونَ عنها في التَّعليمِ بالقَلمِ !

فَقِف وَقْفَةً في حالِ الكتابَةِ ، وتأمَّلْ حالَكَ وقَد أمسكتَ القَلمَ وهو جمادٌ ووَضَعْتَهُ علىٰ القِرْطاسِ وهو جمادٌ فيتولَّدُ من بينهما أنواعُ الحِكَمِ ، وأصنافُ العلومِ ، وفنونُ المراسلاتِ والخُطَبِ ، والنَّظمِ والنَّثرِ ، وجواباتِ المسائلِ ؛ فمَن الذي أجرىٰ فَلَكَ المعاني علىٰ قَلبِكَ ؟ ورَسَمها في ذهنكَ ؟ ثمَّ أجرىٰ العباراتِ الدَّالَّةَ عليها علىٰ لسانِكَ ، ثمَّ حرَّكَ بها بنانَكَ حتىٰ صارَت نَقشًا عجيبًا ، معناهُ أعجبُ من صورتِه ، فَتَقضي بهِ مآربَكَ ، وتبلُغ به حاجةً في صَدرِكَ ، وتُرسِلُه إلىٰ الأقطارِ النَّائيَةِ والجهاتِ المُتباعدَةِ ، فيقومُ مقامَكَ ، ويُترجمُ عنكَ ، ويتكلَّمُ علىٰ لسانِكَ ، ويقومُ مقامَ رسولِكَ ، ويُجدي عليكَ ما لا يُجدي مَن

تُرسِلُهُ سوى من علَّمَ بالقَلمِ ، علَّمَ الإنسانَ ما لم يعلم .

والتَّعليمُ بالقَلَمِ يستلزمُ المراتبَ الثَّلاثَةِ :

مرتبَةَ الوجودِ الذِّهْنيِّ .

والوجودِ اللفظيِّ .

والوجودِ الرَّسميِّ :

فَقَد دلَّ التَّعليمُ بالقَلَمِ على أنَّهُ سبحانهُ هو المُعْطي لهذه المراتب، ودلَّ قولهُ : ﴿خلقَ﴾ على أنَّهُ يعطي الوُجودَ العَينيَّ ، فدلَّت هذه الآياتُ ـ مع اختصارها ووَجازَتها وفَصاحتها ـ على أنَّ مراتبَ الوجودِ بأَسْرِها مُسنَدَةٌ إليهِ تعالى خَلقًا وتَعليمًا .

وَذَكَرَ خَلْقين وتعليمين ، خَلْقًا عامًّا ، وخَلقًا خاصًّا ، وتَعليمًا عامًّا ، وتعليمًا خاصًّا ، وذكرَ من صفاته ها هُنا اسمَ ﴿الأكرَم﴾ الذي فيه كلُّ خيرٍ وكلُّ كمالٍ ؛ فله كُلُّ كمالٍ وَصفًا ، ومنهُ كلُّ خَيرٍ فعلاً ، فهو الأكرمُ في ذاتِه وأوصافِه وأفعاله ، وهذا الخَلْقُ والتَّعليمُ إنَّما نَشأَ من كَرَمِه وبرِّهِ وإحسانِهِ ، لا من حاجَةٍ دَعَتْهُ إلى ذلكَ ، وهو الغنيُّ الحميدُ .

وقوله تعالى : ﴿الرَّحْمَنُ ۝١ عَلَّمَ الْقُرْآنَ ۝٢ خَلَقَ الإنسَانَ ۝٣ عَلَّمَهُ الْبَيَانَ﴾ [الرحمن: ١ - ٤] ، دلَّت هذه الكلماتُ على إعطائه سبحانهُ مراتبَ الوجودِ بأسْرِها ، فقولهُ: ﴿خَلَقَ الإنسَانَ﴾ [الرحمن: ٣] إخبارٌ عن الإيجادِ الخارجيِّ العَينيِّ ، وخَصَّ الإنسانَ بالخَلْقِ لِمَا تَقدَّم .

س ـ امتن اللَّه على الخلق بتعليمهم بالقلم فلماذا لم يتعلم النبي ﷺ الكتابة ؟

ج : ذلك حتى تكون بعثته أكمل في الإعجاز فهو نبي أمي ومع ذلك يتلو عليهم هذا الكتاب العزيز مما علمه اللَّه وجمعه له في صدره كما قال تعالى : ﴿ **هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الأُمِّيِّينَ رَسُولاً مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلالٍ مُّبِينٍ** ﴾ [الجمعة : ٢] .

• وذلك أيضًا لدفع الشبه والشكوك التي قد تتسرب إليهم فقد يقولون ـ إذا لم يكن أميًّا ـ لعله نقل هذا عن غيره أو أرسله له غيره في رسالة ، قال تعالى : ﴿ **وَمَا كُنتَ تَتْلُو مِن قَبْلِهِ مِن كِتَابٍ وَلا تَخُطُّهُ بِيَمِينِكَ إِذًا لأَرْتَابَ الْمُبْطِلُونَ (٤٨) بَلْ هُوَ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ فِي صُدُورِ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلاَّ الظَّالِمُونَ** ﴾ [العنكبوت : ٤٨ ، ٤٩] .

وأيضًا فرسول اللَّه ﷺ مع كونه أميًّا لم يغفل حث أمته على تعليم الكتابة فقد قال النبي ﷺ : «**ارقيها وعلميها حفصة كما علمتيها الكتابة**» وقال : «**اكتبوا لأبي شاه**» . . إلى غير ذلك من الأحاديث الواردة في هذا الباب واللَّه أعلم .

* * *

س ـ ذكر بعض العلماء أن الأقلام ثلاثة وزاد بعضهم رابعًا ما هي هذه الأقلام التي ذكروها ؟

ج : ذكر العلماء منها ما يلي :

الأول : القلم الذي خلقه اللَّه أول ما خلق فقال له اكتب قال وما أكتب قال اكتب ما هو كائن وما سيكون إلىٰ يوم القيامة .

الثاني : القلم الذي مع الملائكة الذين يكتبون أعمال العباد كما قال تعالىٰ : ﴿**بَلَىٰ وَرُسُلُنَا لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ**﴾ [الزخرف: ٨٠] ، إذا صح أنهم يكتبون بأقلام .

الثالث : القلم الذي بأيدي العباد يكتبون به .

ومن العلماء من ذكر أيضًا القلم الذي تكتب به مقادير العباد وهم في بطون أمهاتهم ، وهو القلم الذي في يد الملك الموكل بالرحم واللَّه تعالىٰ أعلم .

* * *

س ـ إذا رأىٰ الإنسان نفسه مستغنيًا [1] عن الخلق بدأ في الكبر والطغيان دلِّل علىٰ ذلك ؟

---

(١) هذا في الغالب ، وإلا فهناك من أهل الصلاح قوم أغناهم اللَّه وازدادوا تواضعًا له سبحانه كسليمان ﷺ ، فقد قال لما رأىٰ عرش ملكة سبأ مستقرًا عنده : ﴿**هَٰذَا مِن فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِي أَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ وَمَن شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ**﴾ [النمل: ٤٠] ، وقال لما أفهمه اللَّه لغة النملة : ﴿**رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ**﴾ [النمل: ١٩] .

وقال سبحانه في شأن بعض أهل الصلاح : ﴿**حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ** =

ج : من الأدلة على ذلك ما يلي :

• قوله تعالى : ﴿وَإِذَا أَنْعَمْنَا عَلَى الإِنسَانِ أَعْرَضَ وَنَأَىٰ بِجَانِبِهِ﴾ [الإسراء: ٨٣] .

• قوله تعالى : ﴿وَلَوْ بَسَطَ اللَّهُ الرِّزْقَ لِعِبَادِهِ لَبَغَوْا فِي الأَرْضِ وَلَكِن يُنَزِّلُ بِقَدَرٍ مَّا يَشَاءُ﴾ [الشورى: ٢٧].

• قوله تعالى : ﴿كَلاَّ إِنَّ الإِنسَانَ لَيَطْغَىٰ ۝٦ أَن رَّآهُ اسْتَغْنَىٰ﴾ [العلق: ٦، ٧] .

• قوله تعالى : ﴿وَلَئِنْ أَذَقْنَاهُ نَعْمَاءَ بَعْدَ ضَرَّاءَ مَسَّتْهُ لَيَقُولَنَّ ذَهَبَ السَّيِّئَاتُ عَنِّي إِنَّهُ لَفَرِحٌ فَخُورٌ﴾ [هود: ١٠] .

• قوله تعالى : ﴿وَإِذَا مَسَّ الإِنسَانَ ضُرٌّ دَعَا رَبَّهُ مُنِيبًا إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَا خَوَّلَهُ نِعْمَةً مِّنْهُ نَسِيَ مَا كَانَ يَدْعُو إِلَيْهِ مِن قَبْلُ وَجَعَلَ لِلَّهِ أَندَادًا لِّيُضِلَّ عَن سَبِيلِهِ﴾ [الزمر: ٨] .

• قوله تعالى : ﴿إِنَّ قَارُونَ كَانَ مِن قَوْمِ مُوسَىٰ فَبَغَىٰ عَلَيْهِمْ وَآتَيْنَاهُ مِنَ الْكُنُوزِ مَا إِنَّ مَفَاتِحَهُ لَتَنُوءُ بِالْعُصْبَةِ أُولِي الْقُوَّةِ ...﴾ [القصص: ٧٦] .

• قوله تعالى : ﴿فَإِذَا مَسَّ الإِنسَانَ ضُرٌّ دَعَانَا ثُمَّ إِذَا خَوَّلْنَاهُ نِعْمَةً

= وَأَصْلِحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِي إِنِّي تُبْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ ۝١٥﴾ [الأحقاف: ١٥] .

وكان من الثلاثة الذين ابتلاهم اللَّه بالمال بعد الفقر رجل أعمى شاكرًا لأنعم اللَّه عليه معترفًا بفضل اللَّه له .

مِنَّا قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَىٰ عِلْمٍ بَلْ هِيَ فِتْنَةٌ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لا يَعْلَمُونَ ﴾ [الزمر: ٤٩] .

وفرعون لما أغناه اللَّه وملّكه مصر قال : ﴿يَا قَوْمِ أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ وَهَذِهِ الأَنْهَارُ تَجْرِي مِن تَحْتِي أَفَلا تُبْصِرُونَ﴾ [الزخرف: ٥١] .

وقارون لما أنعم اللَّه عليه قال : ﴿إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَىٰ عِلْمٍ عِندِي﴾ [القصص: ٧٨] .

والأبرص والأقرع لما آتاهما اللَّه مالاً جحدا نعم اللَّه عليهما .

***

س ـ وضح معنىٰ قوله تعالىٰ : ﴿أَرَأَيْتَ الَّذِي يَنْهَىٰ ﴿٩﴾ عَبْدًا إِذَا صَلَّىٰ﴾ [العلق: ٩، ١٠] ؟

ج : هذه الآية تحمل معنىٰ التعجب من هذا الظالم المكذب المعرض الذي ينهىٰ العبد عن صلاته مع العلم بأن هذا العبد الذي يُصلي رجل مهتدي آمر بالتقوىٰ ، فالمعنىٰ : اعجبوا من أمر هذا المفسد المكذب المتولي المعرض الذي ينهىٰ المصلين عن صلاتهم .

***

س ـ من هو هذا الذي كان ينهىٰ العبد إذا صلىٰ ومن هو العبد ؟

ج : الناهي هو أبوجهل ، والآية تعم كل ناهي ، والمنهي هو محمد ﷺ والآية تعم كل منهي .

وقد أخرج البخاري من حديث ابن عباس رضي اللَّه عنهما قال : قال أبو جهل : لئن رأيت محمدًا يُصلي عند الكعبة لأطأن على عنقه فبلغ النبي ﷺ فقال : «**لو فعل لأخذته الملائكة**» .

- وأخرج مسلم[٢] من حديث أبي هريرة رضي اللَّه عنه قال :

قال أبو جهل : هل يعفر محمد وجهه بين أظهركم ؟ قال : فقيل: نعم ، فقال : واللات والعزى لئن رأيته يفعل ذلك لأطأن على رقبته ، ولأعفرن وجهه في التراب ، قال : فأتى رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم وهو يصلي زعم ليطأ على رقبته ، قال فما فجأهم منه إلا وهو ينكص على عقبيه ويتقي بيديه ، قال فقيل له : مالك ؟ فقال : «**إن بيني وبينه لخندقًا من نار وهولاً وأجنحة**» ، فقال رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم : «**لو دنا لاختطفته الملائكة عضوًا عضوًا**» . قال فأنزل اللَّه عز وجل لا ندري[٣] في حديث أبي هريرة أو شيء بلغه ﴿ **كَلاَّ إِنَّ الإِنسَانَ لَيَطْغَىٰ ﴿٦﴾ أَن رَّآهُ اسْتَغْنَىٰ ﴿٧﴾ إِنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ الرُّجْعَىٰ ﴿٨﴾ أَرَأَيْتَ الَّذِي يَنْهَىٰ ﴿٩﴾ عَبْدًا إِذَا صَلَّىٰ ﴿١٠﴾ أَرَأَيْتَ إِن كَانَ عَلَى الْهُدَىٰ ﴿١١﴾ أَوْ أَمَرَ بِالتَّقْوَىٰ ﴿١٢﴾ أَرَأَيْتَ إِن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ** ﴾ [العلق: ٦ - ١٣] - يعني أبا جهل - ﴿ **أَلَمْ يَعْلَم بِأَنَّ اللَّهَ يَرَىٰ ﴿١٤﴾ كَلاَّ لَئِن لَّمْ يَنتَهِ لَنَسْفَعًا بِالنَّاصِيَةِ ﴿١٥﴾ نَاصِيَةٍ كَاذِبَةٍ خَاطِئَةٍ ﴿١٦﴾ فَلْيَدْعُ نَادِيَهُ ﴿١٧﴾ سَنَدْعُ الزَّبَانِيَةَ ﴿١٨﴾ كَلاَّ لا تُطِعْهُ** ﴾ [العلق: ١٤ - ١٩] .

---

(١) أخرجه البخاري حديث (٤٩٥٨) .

(٢) مسلم مع النووي (١٣٩/١٧) .

(٣) لهذا التردد أعل بعض أهل العلم هذا الحديث ، وصححه فريق منهم لشواهده .

س ـ وضح معنى قوله تعالى : ﴿أَرَأَيْتَ إِن كَانَ عَلَى الْهُدَىٰ ﴿١١﴾ أَوْ أَمَرَ بِالتَّقْوَىٰ﴾ [العلق: ١١، ١٢] ؟

ج : المعنى ـ واللَّه أعلم ـ : أرأيت عبدًا مستقيمًا على استقامة وسداد وهدى من ربه عز وجل يأمر الناس بتقوى اللَّه ويأتيه آخر فينهاه عن الصلاة وينهاه عن الاستقامة والسداد ، وهذا العبد المهتدي هو محمد ﷺ ، أما الذي ينهاه فهو أبو جهل .

* * *

س ـ وضح المراد بقوله تعالى : ﴿ أَلَمْ يَعْلَم بِأَنَّ اللَّهَ يَرَىٰ ﴾ [العلق: ١٤] ؟

ج : المعنى ـ واللَّه أعلم ـ : ألم يعلم هذا المجرم الأثيم الذي ينهى العبد المهتدي الآمر بالتقوى والخوف من اللَّه المحافظ على الصلاة أن اللَّه يراه فينزجر عن نهيه لهذا العبد عن الصلاة وينكف عن أذاه ؟ !!

* * *

س ـ هل الناصية تكذب وتخطئ ؟

ج : وصفت الناصية والمراد صاحبها .

* * *

س ـ هل صح لهذه الآية سبب نزول ﴿فَلْيَدْعُ نَادِيَهُ ﴿١٧﴾ سَنَدْعُ الزَّبَانِيَةَ﴾ [العلق: ١٧، ١٨] ؟

ج: نعم، فقد أخرج الطبري بإسناد صحيح عن ابن عباس رضي اللَّه عنهما قال: كان رسول اللَّه ﷺ يُصلي عند المقام فمرَّ به أبو جهل بن هشام فقال: يا محمد ألم أنهك عن هذا وتوعده فأغلظ له رسول اللَّه ﷺ وانتهره فقال: يا محمد أي شيء تهددني أما واللَّه إني لأكثر هذا الوادي ناديًا فأنزل اللَّه ﴿فَلْيَدْعُ نَادِيَهُ ۝١٧ سَنَدْعُ الزَّبَانِيَةَ﴾ [العلق: ١٧، ١٨]، قال ابن عباس: لو دعا ناديه أخذته زبانية العذاب من ساعته.

* * *

س ـ هل هناك تعلق بين قوله: ﴿وَاسْجُدْ﴾ [العلق: ١٩] وقوله تعالى: ﴿وَاقْتَرِبْ﴾ [العلق: ١٩]؟

ج: نعم فالظاهر لي أن هناك تعلقًا بينهما فالسجود يقرب من اللَّه عز وجل كما قال النبي ﷺ: **«أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد فأكثروا الدعاء»**(١).

ويحتمل أيضًا أن يُقال: ﴿وَاسْجُدْ﴾ [العلق: ١٩] أي: صلِّ وتقرب إلى اللَّه سبحانه وتعالى بسائر أنواع الطاعات، واللَّه أعلم.

* * *

س ـ هل ثبت أن النبي ﷺ سجد في هذه السورة (العلق)؟

ج: نعم ثبت أن النبي ﷺ سجد في هذه السورة فقد أخرج

---

(١) أخرجه مسلم في «صحيحه» (مع النووي ٤/ ٢٠٠) وأحمد (٢/ ٤٢١) وأبو داود (١/ ٥٤٥) والنسائي (٢/ ٢٢٦) وغيرهم من حديث أبي هريرة رضي اللَّه عنه مرفوعًا.

الإمام مسلم[١] في «صحيحه» من حديث أبي هريرة رضي اللَّه عنه قال : سجدنا مع النبي ﷺ في ﴿إذا السماء انشقت﴾ و ﴿اقرأ باسم ربك الذي خلق﴾ .



(١) أخرجه مسلم (ص ٤٠٦) وأبو داود (١٤٠٧) وغيرهما .

سُورَةُ القَدْرِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ ﴿١﴾ وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ ﴿٢﴾ لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ ﴿٣﴾ تَنَزَّلُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِم مِّن كُلِّ أَمْرٍ ﴿٤﴾ سَلَامٌ هِيَ حَتَّىٰ مَطْلَعِ الْفَجْرِ ﴿٥﴾

س ـ اذكر معنى ما يلي :

القدر ـ تنزَّل ـ الروح ؟

ج :

الكلمة	معناها
القدر	الحكم[١] والتقدير ـ العِظم والشرف[٢]
تنزَّل	تهبط من السماء
الروح	جبريل[٣] .

❊ ❊ ❊

(١) قالوا لأن اللّه عز وجل يقدر فيها أمور السنة من الآجال والأرزاق وغير ذلك .

(٢) ومنه قولهم: فلان ذو قدر وشرف ، وقيل لأن للعبادات فيها قدرًا عظيمًا .

(٣) قال تعالى : ﴿نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الأَمِينُ﴾ [الشعراء: ١٩٣] وقال سبحانه : ﴿قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ مِن رَّبِّكَ بِالْحَقِّ﴾ [النحل: ١٠٢] ، هذا وعطف جبريل على الملائكة من باب عطف الخاص على العام لبيان أهمية الخاص وشرفه وفضله .

س ـ في قوله تعالى : ﴿ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً ﴾ [الفرقان: ٣٢] ما يدل على أن القرآن نزل على رسول الله ﷺ مفرقًا، وهذا الظاهر بلا شك فإن السور منها المكي ومنها المدني ، ومنها ما نزل أولاً ومنها ما نزل آخرًا فكيف تجمع بين هذا وبين قوله تعالى : ﴿ إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ ﴾ [القدر: ١] فهذه الآية الأخيرة وكذلك قوله : ﴿ إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةٍ مُّبَارَكَةٍ ﴾ [الدخان: ٣] تفيد أن القرآن نزل جملة واحدة فكيف الجمع بين هذا وذاك ؟

ج : **لأهل العلم في ذلك وجهان :**

أحدهما : أن القرآن نزل جملة إلى السماء الدنيا في ليلة القدر ثم نزل مفرقًا من السماء الدنيا على النبي ﷺ[1] .

الثاني :أن أول القرآن هو الذي نزل في ليلة القدر أي أن ابتداء النزول كان في ليلة القدر .

والجمع بين الوجهين ممكن بأن يقال : إن القرآن نزل جملة إلى السماء الدنيا في ليلة القدر ، ونزل أوله من السماء الدنيا على النبي ﷺ في ليلة القدر أيضًا ، والله أعلم .

* * *

(١) أخرج الطبري بإسناد صحيح عن ابن عباس رضي الله عنهما قال في قوله تعالى : ﴿ إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ ﴾ [القدر: ١] قال : أنزل القرآن جملة واحدة في ليلة القدر إلى السماء الدنيا فكان بموقع النجوم فكان الله ينزله على رسوله بعضه في إثر بعض ثم قرأ : ﴿ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً كَذَلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ وَرَتَّلْنَاهُ =

س ـ لماذا سميت ليلة القدر بليلة القدر ؟

ج : في تسميتها بليلة القدر وجوه :

أحدها : أن معنى القدر الشرف والرفعة كما تقول العرب : «فلان ذو قدر» أي: رفعة وشرف، ويشهد لهذا الوجه قوله تعالى: ﴿ وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ (٢) لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ ﴾ [القدر: ٢، ٣] .

الثاني : أنها سميت ليلة القدر لأن اللَّه عز وجل يقدر فيها وقائع السنة كما قال سبحانه : ﴿ إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةٍ مُّبَارَكَةٍ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ (٣) فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ ﴾ [الدخان: ٣ - ٤] وتقدر فيها الآجال والأرزاق .

الثالث : أن المراد بالقدر الضيق ، ومنه قوله تعالى : ﴿ وَأَمَّا إِذَا مَا ابْتَلاهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُ ... ﴾ [الفجر: ١٦] والمراد : أن الأرض تضيق بالملائكة لكثرة من ينزل من الملائكة في هذه الليلة .

والوجه الأول والثاني أقرب في سبب التسمية من الوجه الأخير ، واللَّه أعلم .

* * *

= تَرْتِيلاً ﴾ [الفرقان: ٣٢] .

وفي لفظ آخر عند الطبري عن ابن عباس بإسناد صحيح قال : نزل القرآن كله جملة واحدة في ليلة القدر في رمضان إلى السماء الدنيا فكان اللَّه إذا أراد أن يُحدث في الأرض شيئًا أنزله منه حتى جمعه .

س ـ أي ليلة هي ليلة القدر ؟

ـ ابتداءً فهي في رمضان لقوله تعالى : ﴿إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ﴾ [القدر: ١] وقوله تعالى : ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ﴾ [البقرة: ١٨٥] ، وجمهور العلماء على ذلك .

والجمهور أيضًا على أنها في العشر الأواخر من رمضان ، وذلك لحديث أبي سعيد الخدري في « الصحيحين » [١] عن رسول الله ﷺ فذكر الحديث وفيه : «... فابتغوها في العشر الأواخر» .

والجمهور أيضًا على أنها في الوتر من العشر الأواخر لقول النبي ﷺ : «وابتغوها في كل وتر»[٢] ، ولحديث عائشة رضي الله عنها أن النبي ﷺ قال : «تحروا ليلة القدر في الوتر من العشر الأواخر»[٣] .

والأكثرون[٤] أيضًا على أنها في ليلة السابع والعشرين من رمضان لحديث أبي بن كعب في «صحيح مسلم» بذلك .

لكنه لم يحصُل إجماع على تحديد ليلة القدر بالضبط أي ليلة هي .

قال الحافظ ابن حجر في «فتح الباري»[٥]: وقد اختلف العلماء في ليلة القدر اختلافًا كثيرًا وتحصل لنا من مذاهبهم في ذلك أكثر من

---

(١) أخرجه البخاري (حديث ٢٠١٨) ومسلم (حديث ١١٦٧) .

(٢) أخرجه البخاري (٢٠١٨) ومسلم (حديث ١١٦٧) من حديث أبي سعيد الخدري أيضًا .

(٣) أخرجه البخاري (٢٠١٧) .

(٤) نقله عنهم عدد من العلماء منهم القرطبي رحمه الله تعالى .

(٥) «الفتح» (٤/٣٠٩) .

أربعين قولاً كما وقع لنا نظير ذلك في ساعة الجمعة ، وقد اشتركتا في إخفاء كل منهما ليقع الجد في طلبهما .. ثم ذكر الحافظ رحمه اللَّه تعالى أقوال أهل العلم في ذلك وأدلتهم على ما ذهبوا إليه فليرجع إليه من شاء.

* * *

س ـ اذكر بعض علامات ليلة القدر ؟

ج : لخص ذلك الحافظ ابن حجر رحمه اللَّه في «فتح الباري» فقال :

قوله: (باب تحري ليلة القدر في الوتر من العشر الأواخر) في هذه الترجمة إشارة إلى رجحان كون ليلة القدر منحصرة في رمضان ثم في العشر الأخير منه ثم في أوتاره لا في ليلة منه بعينها ، وهذا هو الذي يدل عليه مجموع الأخبار الواردة فيها . وقد ورد لليلة القدر علامات أكثرها لا تظهر إلا بعد أن تمضي ، منها في «صحيح مسلم» عن أبيّ بن كعب : **«أن الشمس تطلع في صبيحتها لا شعاع لها»** ، وفي رواية لأحمد من حديثه : **«مثل الطست»** ، ونحوه لأحمد من طريق أبي عون عن ابن مسعود وزاد : **«صافية»** ، ومن حديث ابن عباس نحوه ، ولابن خزيمة من حديثه مرفوعًا : **«ليلة القدر طلقة لا حارة ولا باردة ، تصبح الشمس يومها حمراء ضعيفة»** ، ولأحمد من حديث عبادة بن الصامت مرفوعًا : **«إنها صافية بلجة كأن فيها قمرًا ساطعًا ، ساكنة صاحية لا حر فيها ولا برد ، ولا يحل لكوكب يرمى به فيها ، ومن أماراتها أن الشمس في صبيحتها تخرج**

مستوية ليس لها شعاع مثل القمر ليلة البدر ، ولا يحل للشيطان أن يخرج معها يومئذ» ، ولابن أبي شيبة من حديث ابن مسعود أيضًا : **«أن الشمس تطلع كل يوم بين قرني شيطان ، إلا صبيحة ليلة القدر»** ، وله من حديث جابر بن سمرة مرفوعًا : **«ليلة القدر ليلة مطر وريح»** ، ولابن خزيمة من حديث جابر مرفوعًا في ليلة القدر : **«وهي ليلة طلقة بلجة لا حارة ولا باردة ، تتضح كواكبها ولا يخرج شيطانها حتى يضيء فجرها»** ، ومن طريق قتادة عن أبي ميمونة عن أبي هريرة مرفوعًا : **«وإن الملائكة تلك الليلة أكثر في الأرض من عدد الحصى»** ، وروى ابن أبي حاتم من طريق مجاهد : **«لا يرسل فيها شيطان ، ولا يحدث فيها داء»** ، ومن طريق الضحاك : **«يقبل اللّه التوبة فيها من كل تائب ، وتفتح فيها أبواب السماء، وهي من غروب الشمس إلى طلوعها»** ، وذكر الطبري عن قوم أن الأشجار في تلك الليلة تسقط إلى الأرض ثم تعود إلى منابتها . وأن كل شيء يسجد فيها . وروى البيهقي في **«فضائل الأوقات»** من طريق الأوزاعي عن عبدة بن أبي لبابة أنه سمعه يقول : إن المياه المالحة تعذب تلك الليلة ، وروى ابن عبد البر من طريق زهرة بن معبد نحوه .

* * *

س ـ لماذا أخفيت ليلة القدر ؟

ج : الظاهر ـ واللّه أعلم ـ أنها أخفيت ليجتهد العباد في العبادة في عموم الليالي ، **وقد فصَّل الرازي في ذلك فقال رحمه اللّه :**

المسألة الخامسة : أنـه تعالى أخفى هذه الليلة لوجوه : **أحدها :**

أنه تعالى أخفاها ، كما أخفى سائر الأشياء ، فإنه أخفى رضاه في الطاعات ، حتى يرغبوا في الكل ، وأخفى غضبه في المعاصي ليحترزوا عن الكل ، وأخفى وليه فيما بين الناس حتى يعظموا الكل ، وأخفى الإجابة في الدعاء ليبالغوا في كل الدعوات ، وأخفى الاسم الأعظم ليعظموا كل الأسماء ، وأخفى الصلاة الوسطى ليحافظوا على الكل ، وأخفى قبول التوبة ليواظب المكلف على جميع أقسام التوبة ، وأخفى وقت الموت ليخاف المكلف ، فكذا أخفى هذه الليلة ليعظموا جميع ليالي رمضان . **وثانيها** : كأنه تعالى يقول : لو عينت ليلة القدر ، وأنا عالم بتجاسركم على المعصية ، فربما دعتك الشهوة في تلك الليلة إلى المعصية ، فوقعت في الذنب ، فكانت معصيتك مع علمك أشد من معصيتك لا مع علمك ، فلهذا السبب أخفيتها عليك ، روي أنه عليه السلام دخل المسجد فرأى نائمًا ، فقال : يا علي نبهه ليتوضأ ، فأيقظه علي ، ثم قال علي : يا رسول اللّه إنك سباق إلى الخيرات ، فلم لم تنبهه ؟ قال : لأن رده عليك ليس بكفر ، ففعلت ذلك لتخف جنايته لو أبى ، فإذا كان هذا رحمة الرسول ، فقس عليه رحمة الرب تعالى ، فكأنه تعالى يقول : إذا علمت ليلة القدر فإن أطعت فيها اكتسبت ثواب ألف شهر ، وإن عصيت فيها اكتسبت عقاب ألف شهر ، ودفع العقاب أولى من جلب الثواب . **وثالثها** : أني أخفيت هذه الليلة حتى يجتهد المكلف في طلبها ، فيكتسب ثواب الاجتهاد . **ورابعها** : أن العبد إذا لم يتيقن ليلة القدر ، فإنه يجتهد في

الطاعة في جميع ليالي رمضان ، على رجاء أنه ربما كانت هذه الليلة هي ليلة القدر ، فيباهي اللَّه تعالى بهم ملائكته، ويقول : كنتم تقولون فيهم يفسدون ويسفكون الدماء . فهذا جده واجتهاده في الليلة المظنونة، فكيف لو جعلتها معلومة له ! فحينئذ يظهر سر قوله : ﴿إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٣٠] .

● **وقال القاسمي في «محاسن التأويل» :**

قال الإمام : ثم الأخبار الصحيحة متضافرة على أنها في شهر رمضان . ولا نعيّنها من بين لياليه . فقد اختلفت فيها الروايات اختلافًا عظيمًا . وكتاب اللَّه لم يعينها . وما ورد في الأحاديث من ذكرها ، إنما قصد به حث المؤمنين على إحيائها بالعبادة ، شكرًا للَّه تعالى على ما هداهم بهذا الدين الذي ابتدأ اللَّه إفاضته فيهم ، في أثنائها . ولهم أن يعبدوا اللَّه فيها أفرادًا وجماعات . فمن رجح عنده خير في ليلة أحياها ، ومن أراد أن يوافقها على التحقيق ، فعليه أن يشكر اللَّه بالفراغ إليه بالعبادات في الشهر كله . وهذا هو السر في عدم تعيينها . وتشير إليه آية البقرة فإنها تجعل الشهر كله ظرفًا لنزول القرآن ، ليذكر المؤمنون نعمة اللَّه عليهم فيه . فهي ليلة عبادة وخشوع ، وتذكر لنعمة الحق والدين . فلا تكون ليلة زهو ولهو تتخذ فيها مساجد اللَّه مضامير للرياء ، يتسابق إليها المنافقون ، ويحدث أنفسهم بالبعد عنها المخلصون . كما جرى عليه عمل المسلمين في هذه الأيام . فإن كل ما حفظوه من ليلة القدر هو أن تكون لهم فيها ساعة سمر يتحدثون فيها

بما لا ينظر اللَّه إليه . ويسمعون شيئًا من كتاب اللَّه لا ينظرون فيه ولا يعتبرون بمعانيه . بل إن أصغَوْا إليه ، فإنما يصغون لنغمة تاليه . ثم يسمعون من الأقوال ما لم يصح خبره ، ولم يحمد في الآخرين ولا الأولين أثره . ولهم خيالات في ليلة القدر لا تليق بعقول الأطفال ، فضلاً عن الراشدين من الرجال . انتهى .

وقال الطبريّ : إخفاء ليلة القدر دليل على كذب من زعم أنه يظهر في تلك الليلة للعيون ما لا يظهر في سائر السنة . إذ لو كان ذلك حقًّا ، لم يخف على كل من قام ليالي السنة ، فضلاً عن ليالي رمضان.

* * *

س ـ هل تستتبع ليلة القدر ، بمعنى هل يلحقها في الفضل يومها ؟

ج : **الظاهر** لي أنها لا تستتبع ، وذلك للتنصيص على كونها ليلة ولقوله تعالى : ﴿ سَلامٌ هِيَ حَتَّىٰ مَطْلَعِ الْفَجْرِ ﴾ [القدر: ٥] واللَّه أعلم .

* * *

س ـ هل ليلة القدر في كل عام من رمضان أم كانت على عهد النبي ﷺ فقط ؟

ج : نعم جمهور أهل العلم على أنها في رمضان من كل عام ،

وليست مختصة بعام واحد .

* * *

س ـ ما هو الدعاء المستحب قوله في ليلة القدر ؟

ج : الدعاء المستحب قوله في ليلة القدر هو : «**اللهم إنك عفو تحب العفو فاعف عني**» .

وذلك لما أخرجه أحمد والترمذي وابن ماجه والنسائي [1] من حديث أم المؤمنين عائشة رضي اللَّه عنها أنها قالت : يا رسول اللَّه أرأيت إذا وافقت ليلة القدر ما أدعو ؟ قال : «**تقولين : اللهم إنك عفو تحب العفو فاعف عني**» .

* * *

س ـ اذكر طرفًا مما ورد في فضل ليلة القدر ؟

ج : من ذلك ما يلي :

قوله تعالى في هذه السورة التي نزلت باسم هذه الليلة تفخيمًا وتعظيمًا لشأنها : ﴿ **إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ** ... ﴾ [القدر: ١ - ٥] إلى آخر السورة فانتظمت السورة جملة فضائل لهذه الليلة :

أحدها : أن اللَّه عز وجل أنزل القرآن في هذه الليلة .

---

(١) الحديث أخرجه أحمد (٦/ ١٧١ ـ ١٧٢) والترمذي (٩/ ٤٩٥ مع «تحفة الأحوذي») وقال : حسن صحيح ، وابن ماجه (حديث ٣٨٥٠) والنسائي في «عمل اليوم والليلة» (حديث ٨٧٣) . وإسناده صحيح .

الثاني : أن اللَّه عز وجل عظم شأنها بذكرها وبقوله : ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ﴾ [القدر: ٢] .

الثالث :أن العبادة فيها خير من العبادة في ألف شهر ليس فيها ليلة القدر .

الرابع :أن الملائكة ومعهم جبريل يتنزلون في هذه الليلة .

الخامس :أن الأمن والسلام يحل في هذه الليلة على أهل الإيمان وتسليم الملائكة يتوالى عليهم فيها (على ما قد بيناه من قبل) .

• هذا وقد وصف اللَّه سبحانه هذه الليلة بأنها مباركة في سورة أخرى فقال سبحانه : ﴿إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةٍ مُّبَارَكَةٍ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ ۝٣ فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ ۝٤ أَمْرًا مِّنْ عِندِنَا إِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ ۝٥ رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ [الدخان: ٣ - ٦] .

وفي «الصحيح»[١] من حديث أبي هريرة رضي اللَّه عنه عن النبي ﷺ قال : **«من صام رمضان إيمانًا واحتسابًا غفر له ما تقدم من ذنبه ، ومن قام ليلة القدر إيمانًا واحتسابًا غُفر له ما تقدم من ذنبه»** .

* * *

س ـ ما المراد بكون ليلة القدر خير من ألف شهر ؟

ج :أي أن العمل فيها خير من العمل في ألف شهر ليس فيها ليلة

---

(١)أخرجه البخاري (حديث ٢٠١٤) .

القدر . وقال بعض العلماء : أراد بقوله ألف شهر جميع الدهر لأن العرب تذكر الألف في كثير من الأشياء على طريق المبالغة .

وقيل : وجه ذكر ألف شهر أن العابد كان فيما مضى لا يسمى عابدًا حتى يعبد اللَّه ألف شهر فجعل اللَّه لأمة محمد ﷺ عبادة ليلة خير من عبادة ألف شهر كانوا يعبدون فيها .

وثمَّ أقوال أُخر ، وأصح هذه الأقوال وأشهرها القول الأول الذي قدمنا ذكره ، واللَّه أعلم .

* * *

س ـ ما المراد بتنزل الملائكة والروح ، في هذه الليلة ليلة القدر ؟

ج : **في ذلك أقوال :**

أحدها : أن الملائكة تتنزل في هذه الليلة بالرحمات والبركات والسكينة كما تتنزل مثلاً عند تلاوة القرآن .

وقال بعض العلماء : إنها تتنزل للسلام على أهل المساجد .

الثاني : أن الملائكة تتنزل في هذه الليلة بكل أمر قضاه اللَّه وقدره لهذه السنة فاللَّه سبحانه يقول : ﴿**فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ ﴿٤﴾ أَمْرًا مِّنْ عِندِنَا إِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ**﴾ [الدخان: ٤، ٥] واللَّه تعالى أعلم .

* * *

س ـ وضح معنى قوله تعالى : ﴿مِّن كُلِّ أَمْرٍ﴾ [القدر: ٤] ؟

ج : **هنا للعلماء قولان :**

أحدهما : أن معنى الآية الكريمة مرتبط بما قبله ، فالمعنى : تنزل الملائكة والروح في هذه الليلة بإذن ربهم بكل أمر قضاه اللَّه وقدره في هذه السنة كما قال تعالى : ﴿ **فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ** ﴾ [الدخان: ٤] ، فقوله: ﴿ **مِّن كُلِّ أَمْرٍ** ﴾ [القدر: ٤] معناه: بكل أمر فـ (من) بمعنى (بـ) .

الثاني : أن معنى الآية مرتبط بما بعده ، والمعنى: من كل أمر وشر هي سالمة ، أي : أن ليلة القدر آمنة من كل شرٍّ وكل مكروه ففيها تتنزل الرحمات وتحل البركات وتغشى السكينات ، فهي خير كلها على المؤمنين تنزل الملائكة تسلم عليهم حتى مطلع الفجر . واللَّه أعلم .

* * *

س ـ وضح معنى قوله تعالى : ﴿ سَلامٌ هِيَ حَتَّىٰ مَطْلَعِ الْفَجْرِ ﴾ [القدر: ٥] ؟

ج : من أهل العلم من قال : إن قوله : (سلام) متعلق بما قبله ، فالمعنى : تنزل الملائكة والروح فيها بإذن ربهم من كل أمر سلام ، فالمعنى : أن الملائكة تتنزل بالسلام ومنه التحية والتسليم ، ومنه الأمن والسلامة . ثم بيُن وقت انتهائها بقوله تعالى : ﴿ **هِيَ حَتَّىٰ مَطْلَعِ الْفَجْرِ** ﴾ [القدر: ٥] .

وقال آخرون: إن قوله: ﴿ **سَلامٌ هِيَ حَتَّىٰ مَطْلَعِ الْفَجْرِ** ﴾ [القدر: ٥] مرتبط ببعض ، فالمعنى : أنها سالمة آمنة من أولها حتى مطلع الفجر .

هذا وقد فصَّل الرازي في «تفسيره» في بيان ذلك فقال :

أنها من أولها إلىٰ مطلع الفجر سالمة في أن العبادة في كل واحد من أجزائها خير من ألف شهر ليست كسائر الليالي في أنه يستحب للفرض الثلث الأول وللعبادة النصف وللدعاء السحر بل هي متساوية الأوقات والأجزاء . **وثامنها** : سلام هي ، أي : جنة هي لأن من أسماء الجنة دار السلام أي : الجنة المصوغة من السلامة .

المسألة الثانية : المطلع : الطلوع ، يقال : طلع الفجر طلوعًا ومطلعًا، والمعنىٰ : أنه يدوم ذلك السلام إلىٰ طلوع الفجر ، ومن قرأ بكسر اللام فهو اسم لوقت الطلوع ، وكذا مكان الطلوع مطلع ، قاله الزجاج، أما أبو عبيدة والفراء وغيرهما فإنهم اختاروا فتح اللام لأنه بمعنىٰ المصدر ، وقالوا : الكسر اسم نحو المشرق ، ولا معنىٰ لاسم موضع الطلوع ههنا ، بل إن حمل علىٰ ما ذكره الزجاج من اسم وقت الطلوع صح ، قال أبو علي : ويمكن حمله علىٰ المصدر أيضًا ، لأن من المصادر التي ينبغي أن تكون علىٰ المفعل ما قد كسر كقولهم علاه المكبر والمعجز ، وقوله : ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ﴾ [البقرة: ٢٢٢] فكذلك كسر المطلع جاء شاذًّا عما عليه بابه . والله سبحانه وتعالىٰ أعلم، وصلىٰ الله علىٰ سيدنا محمد وعلىٰ آله وصحبه وسلم .

الوجه الثالث : من فضائل هذه الليلة . قوله تعالىٰ : ﴿سَلَامٌ هِيَ حَتَّىٰ مَطْلَعِ الْفَجْرِ﴾ [القدر: ٥] . وفيه مسائل :

المسألة الأولى : في قوله : ﴿سَلامٌ﴾ وجوه . **أحدها** : أن ليلة القدر إلى طلوع الفجر سلام ، أي : تسلم الملائكة على المطيعين، وذلك لأن الملائكة ينزلون فوجًا فوجًا من ابتداء الليل إلى طلوع الفجر فترادف النزول لكثرة السلام . **وثانيها** : وصفت الليلة بأنها سلام ، ثم يجب أن لا يستحقر هذا السلام لأن سبعة من الملائكة سلموا على الخليل في قصة العجل الحنيذ ، فازداد فرحه بذلك على فرحه بملك الدنيا ، بل الخليل لما سلم الملائكة عليه صارت نار نمروذ عليه بردًا وسلامًا ، أفلا تصير ناره تعالى ببركة تسليم الملائكة علينا بردًا وسلامًا، لكن ضيافة الخليل لهم كانت عجلاً مشويًا وهم يريدون منه قلبًا مشويًا، بل فيه دقيقة ، وهي إظهار فضل هذه الأمة ، فإن هناك الملائكة نزلوا على الخليل ، وههنا نزلوا على أمة محمد ﷺ . **وثالثها** : أنه سلام من الشرور والآفات ، أي : سلامة ، وهذا كما يقال : إنما فلان حج وغزو أي هو أبدًا مشغول بهما ، ومثله :

« **فإنما هي إقبال وإدبار** »

وقالوا : تنزل الملائكة والروح في ليلة القدر بالخيرات والسعادات ولا ينزل فيها من تقدير المضار شيء فما ينزل في هذه الليلة فهو سلام، أي : سلامة ونفع وخير . **ورابعها** : قال أبو مسلم : سلام أي : الليلة سالمة عن الرياح والأذى والصواعق إلى ما شابه ذلك . **وخامسها** : سلام لا يستطيع الشيطان فيها سوءًا . **وسادسها** : أن الوقف عند

قوله: (من كل أمر سلام) فيتصل السلام بما قبله ومعناه : أن تقدير الخير والبركة والسلامة يدوم على طلوع الفجر ، وهذا الوجه ضعيف .



سُورَةُ البَيِّنَةِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

لَمْ يَكُنِ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ مُنفَكِّينَ حَتَّىٰ تَأْتِيَهُمُ الْبَيِّنَةُ ﴿١﴾ رَسُولٌ مِّنَ اللَّهِ يَتْلُو صُحُفًا مُّطَهَّرَةً ﴿٢﴾ فِيهَا كُتُبٌ قَيِّمَةٌ ﴿٣﴾ وَمَا تَفَرَّقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِن بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَةُ ﴿٤﴾ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَٰلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ ﴿٥﴾ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أُولَٰئِكَ هُمْ شَرُّ الْبَرِيَّةِ ﴿٦﴾ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَٰئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ ﴿٧﴾ جَزَاؤُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا رَّضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَٰلِكَ لِمَنْ خَشِيَ رَبَّهُ ﴿٨﴾

س ـ اذكر معنى ما يلي :

منفكين ـ البينة ـ قيمة ـ مخلصين له الدين ـ حنفاء ـ القيمة ـ البرية ؟

ج :

الكلمة	معناها
منفكين	منتهين عما هم فيه ـ تاركين ـ متروكين

الكلمة	معناها
البينــــــــة	القرآن ـ محمد ﷺ وما يتلوه من القرآن
قيمـــــــــة	عادلة مستقيمة ليس فيها خطأ
مخلصين له الدين	مفردين له الطاعة يطيعونه دون من سواه ـ لا يخلطون طاعة ربهم بشرك
حنفـــــــاء	مائلين عن الشرك إلى التوحيد
القيمـــــــة	العادلة المستقيمة ، ودين القيمة ، أي : دين الملة القيمة
البريـــــــة	الخلق

❋ ❋ ❋

س ـ اذكر فضيلة لأبي بن كعب ذكرها المفسرون عن تفسير هذه السورة وبين ما يستفاد من السياق الواردة فيه ؟

ج : **الفضيلة تكمن في أمر الله لنبيه ﷺ أن يقرأ سورة البينة على** أبي بن كعب وذكر الله عز وجل اسم أبي بن كعب لرسوله ﷺ ففي «الصحيحين» من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ لأبي بن كعب : «**إن الله أمرني أن أقرأ عليك ﴿لَمْ يَكُنِ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ﴾** » ، قال : وسماني ؟ قال : «**نعم**» فبكى[1] .

(١) أخرجه البخاري (حديث ٣٨٠٩) ومسلم (٧٩٩) والنسائي في «فضائل الصحابة» (١٣٤) =

وفي السياق من الفوائد والفقه : قراءة العالم على المتعلم ، قال بعض العلماء : إنما قرأ النبي ﷺ على أُبي ليعلم الناس التواضع لئلا يأنف أحد من التعلم والقراءة على من دونه من المنزلة .

❊ ❊ ❊

س ـ من هم الذين كفروا من أهل الكتاب ومن هم المشركون ، وما هو الكتاب المذكور ؟

ج : أهل الكتاب هم اليهود والنصارى ، والكتاب المراد به هنا التوراة والإنجيل ، فالتوراة كتاب اليهود ، والإنجيل كتاب النصارى .

● أما المشركون فهم عبدة الأوثان .

❊ ❊ ❊

س ـ وضح المعنى الإجمالي لقوله تعالى : ﴿لَمْ يَكُنِ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ مُنفَكِّينَ . . . ﴾ [البينة: ١] ؟

ج : المعنى ـ والله أعلم ـ : لم يكن هؤلاء الكفار من اليهود والنصارى ، وهم أهل التوراة والإنجيل ، والمشركين بتاركي ما هم عليه من الكفر حتى يأتيهم كتاب من عند الله .

● وقول آخر : لم يكن الذين كفروا من أهل الكتاب ـ وهم

= والترمذي (٣٨٩٢) ولمزيد انظر تخريجه في كتابي «الصحيح المسند من فضائل الصحابة» (ص٢٩٧) .

المشركون ـ منفكين أي : تاركين صفة محمد ﷺ التي في كتابهم حتىٰ بعث فلما بعث تفرقوا .

فالمعنىٰ ـ علىٰ هذا التأويل ـ : أنهم كانوا متمسكين بصفة محمد ﷺ الموجودة عندهم في التوراة والإنجيل ، فلما بعث وفيه هذه الصفة تفرقوا .

وبصياغة ثانية : لم يكن الذين كفروا من اليهود والنصارىٰ الذين هم أهل الشرك مفترقين ولا مختلفين في صفة محمد ﷺ حتىٰ تأتيهم البينة ، وهي إرسال اللّٰه سبحانه وتعالىٰ محمداً رسولاً .

ومعنىٰ ثالث : لم يكن الذين كفروا من أهل الكتاب والمشركين متروكين هملاً وسُدًى بدون إرسال رسول إليهم بل لابد لهم من رسول، والآية علىٰ هذا التأويل كقوله تعالىٰ : ﴿**أَيَحْسَبُ الإِنسَانُ أَن يُتْرَكَ سُدًى**﴾ [القيامة: ٣٦] أي: هملاً لا يُؤمر ولا يُنهىٰ ، وكقوله تعالىٰ: ﴿**أَفَنَضْرِبُ عَنكُمُ الذِّكْرَ صَفْحًا أَن كُنتُمْ قَوْمًا مُّسْرِفِينَ**﴾ [الزخرف: ٥] ، أي : هل نترك إنزال الذكر لأجل إسرافكم ونعرض عن إرسال الرسل لذلك ؟!

❊ ❊ ❊

س ـ ما هو وجه شرك اليهود والنصارىٰ ؟

ج : من وجوه شركهم : أن اليهود جعلوا عزيراً ابنًا للّٰه والنصارىٰ جعلت المسيح ابنًا للّٰه .

قال اللَّه سبحانه : ﴿ وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ ذَلِكَ قَوْلُهُم بِأَفْوَاهِهِمْ يُضَاهِئُونَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن قَبْلُ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ ﴿٣٠﴾ اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُوا إِلاَّ لِيَعْبُدُوا إِلَهًا وَاحِدًا لاَّ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ [التوبة: ٣٠، ٣١] .

ومن وجوه كفرهم أيضًا : جحودهم نبوة محمد ﷺ ، وتكذيبهم بالقرآن .

❊ ❊ ❊

س ـ قوله تعالى : ﴿ مُّطَهَّرَةً ﴾ [البينة: ٢] مطهرة من ماذا ؟

ج : مطهرة من الباطل واللغو ، وأيضًا فكما قال تعالى : ﴿ لاَّ يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَلا مِنْ خَلْفِهِ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴾ [فصلت: ٤٢] .

❊ ❊ ❊

س ـ وضح معنى قوله تعالى : ﴿ وَمَا تَفَرَّقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلاَّ مِن بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَةُ ﴾ [البينة: ٤] ؟

ج : المعنى ـ واللَّه أعلم ـ : أن أهل الكتاب كانوا متفقين في صفة محمد ﷺ ونعته لم يختلفوا في ذلك حتى بعث رسول اللَّه ﷺ فلما بعث عليه الصلاة والسلام كذبوه وكفروا به وجحدوا نبوته عليه الصلاة والسلام .

❊ ❊ ❊

س ـ لماذا تفرَّق الذين أوتوا الكتاب بعد مجيء البينة إليهم .. ؟ اذكر آية في معنى هذه الآية .

ج : تفرقوا بعد مجيء البينة إليهم حسدًا منهم لمحمد ﷺ وللعرب على ما آتاهم اللَّه من فضله كما قال تعالى : ﴿**وَكَانُوا مِن قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَمَّا جَاءَهُم مَّا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ فَلَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الْكَافِرِينَ ﴿٨٩﴾ بِئْسَمَا اشْتَرَوْا بِهِ أَنفُسَهُمْ أَن يَكْفُرُوا بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ بَغْيًا أَن يُنَزِّلَ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ عَلَىٰ مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ**﴾ [البقرة: ٨٩، ٩٠] .

والآية كقوله تعالى : ﴿**فَمَا اخْتَلَفُوا إِلاَّ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ**﴾ [الجاثية: ١٧] .

وكقوله تعالى : ﴿**وَلا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُوْلَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ**﴾ [آل عمران: ١٠٥] .

* * *

س ـ من هو خير البرية ؟

ج : أخرج مسلم من طريق المختار بن فلفل عن أنس بن مالك رضي اللَّه عنه قال: جاء رجل إلى رسول اللَّه ﷺ فقال: يا خير البرية! فقال رسول اللَّه ﷺ : «**ذاك إبراهيم عليه السلام**»[1] .

وقال اللَّه سبحانه وتعالى : ﴿**إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُوْلَئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ**﴾ [البينة: ٧] .

---

(١) أخرجه مسلم (حديث ٢٣٦٩) ، وللمختار بن فلفل بعض الأوهام .

● وتقدم أن النبي ﷺ قال : «**أنا سيد ولد آدم يوم القيامة**»[1] ، فإما أن يعمل ما قاله النبي ﷺ في شأن إبراهيم على أن النبي ﷺ قال ذلك تواضعًا ، وإما أنه عمل على أن النبي قال ذلك قبل أن يُعلمه ربه أنه سيد ولد آدم ، ومن ناحية الترجيح للروايات : فرواية : «**أنا سيد ولد آدم يوم القيامة**» أصح من رواية : «**ذاك إبراهيم عليه السلام**» .

* * *

س ـ وضح معنى قوله تعالى : ﴿ وَرَضُوا عَنْهُ ﴾ [البينة : ٨] ؟

ج : المعنى ـ والله أعلم ـ : رضوا بما أعطاهم الله من الثواب على طاعتهم ربهم في الدنيا .



(١) تقدم في تفسير سورة البقرة عند إيراد آيات الشفاعة ، وهو عند مسلم أيضًا (حديث ٢٢٧٨) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه .

سُورَةُ الزَّلْزَلَةِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ زِلْزَالَهَا ﴿١﴾ وَأَخْرَجَتِ الْأَرْضُ أَثْقَالَهَا ﴿٢﴾ وَقَالَ الْإِنسَانُ مَا لَهَا ﴿٣﴾ يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا ﴿٤﴾ بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَىٰ لَهَا ﴿٥﴾ يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ النَّاسُ أَشْتَاتًا لِّيُرَوْا أَعْمَالَهُمْ ﴿٦﴾ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ﴿٧﴾ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ ﴿٨﴾

س ـ وضح معنى ما يلي :ـ

زلزلت ـ أثقالها ـ يصدر ـ أشتاتًا ـ ذرة ؟

ج :

الكلمة	معناها
زلزلت	حركت حركة شديدة سريعة[1]

(١) والآية كقوله تعالى : ﴿ إِذَا رُجَّتِ الْأَرْضُ رَجًّا ﴾ [الواقعة : ٤] .

قال عطية سالم في «تتمته لأضواء البيان» : ولذا فإن الزلزال أشد ما شهد العالم من حركة ، وقد شوهدت حركات زلزال في أقل من ربع الثانية فدمَّر مدنًا وحطم قصورًا ، ولذا فقد جاء وصف هذا الزلزال بكونه شيئًا عظيمًا في قوله تعالى : ﴿ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ ﴾ [الحج : ١] ويدل على هذه الشدة تكرار الكلمة في ﴿ زُلْزِلَتِ ﴾ [الزلزلة : ١] ، وفي =

الكلمة	معناها
أثقالها	الموتى الذين دفنوا فيها [١]- وقيل : كنوزها [٢]
يصدر	يرجع[٣]
أشتاتًا	متفرقين ـ فرقًا
ذرة	نملة حمراء لا وزن لها ـ وقيل : ما يُرى في شعاع الشمس من الهباء وقيل: الذرة أن يضرب الرجل بيده فما علق من التراب فهو ذرة

* * *

س ـ متى هذه الزلزلة المذكورة في السورة الكريمة ؟

ج : من العلماء من ذهب إلى أن هذه الزلزلة في الدنيا وهي من أشراط الساعة، واستدل لهذا القول بما أخرجه مسلم في «صحيحه» من حديث أبي هريرة رضي اللّٰه عنه قال : قال رسول اللّٰه ﷺ : «تقيء

﴿زِلْزَالَهَا﴾ [الزلزلة: ١] كما تشعر به هذه الإضافة .

(١) ومنه قوله تعالى في شأن الإنس والجن : ﴿سَنَفْرُغُ لَكُمْ أَيُّهَا الثَّقَلَانِ﴾ [الرحمن: ٣١] .

(٢) ومنه قول النبي ﷺ : **«تقيء الأرض أفلاذ كبدها أمثال الأسطوان من الذهب والفضة فيجيء القاتل فيقول : في هذا قُتلت ، ويجيء القاطع فيقول : في هذا قطعتُ رحمي ، ويجيء السارق فيقول : في هذا قطعت يدي ، ثم يدعونه فلا يأخذون منه شيئًا»** أخرجه مسلم (١٠١٣) من حديث أبي هريرة رضي اللّٰه عنه مرفوعًا .

(٣) ومنه قول اللّٰه تعالى : ﴿قَالَتَا لَا نَسْقِي حَتَّىٰ يُصْدِرَ الرِّعَاءُ وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ﴾ [القصص: ٢٣] .

الأرض أفلاذ كبدها أمثال الأسطوان من الذهب والفضة فيجيء القاتل فيقول: في هذا قتلت ، ويجيء القاطع فيقول : في هذا قطعت رحمي ، ويجيء السارق فيقول : في هذا قطعت يدي ، ثم يدعونه فلا يأخذون شيئًا»[1] .

• ومن أهل العلم من قال : إن هذه الزلزلة زلزلة يوم القيامة وذلك لقوله تعالى : ﴿ **يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ النَّاسُ أَشْتَاتًا لِّيُرَوْا أَعْمَالَهُمْ** ﴾ [الزلزلة: ٦] وعلى هذا القول الأخير يمكن توجيه قوله عليه الصلاة والسلام : « **تقيء الأرض أفلاذ كبدها** ... الحديث » بأن ذلك قريب الساعة فمن أشراط الساعة كثرة الزلازل ، ولا يستلزم أن يقع مع زلزلة الساعة ، والله أعلم .

* * *

س ـ وضح معنى قوله تعالى : ﴿يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا ﴿٤﴾ بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَىٰ لَهَا﴾ [الزلزلة: ٤، ٥] ؟

ج : **في ذلك قولان لأهل العلم :**

أحدهما : أنها تتحدث بلسان الحال ، أي : لسان حالها وما حدث لها من زلازل وإخراج للأثقال ينبئ ويخبر أن الله أمرها بذلك .

الثاني : أنها تتحدث بلسان المقال ، أي : أنها تتكلم ، وفي هذا الكلام وجهان :

الوجه الأول : أنها تجيب الإنسان على سؤاله فإذا قال الإنسان :

---

(١) صحيح وقد تقدم تخريجه قريبًا .

مالها ؟ وسأل عن سبب زلزلتها وإخراجها ما في بطنها ، فتجيبه قائلة : إن اللَّه أمرني بهذا وأوحى إلي به وأذن لي فيه ، وتخبر أن أمر الدنيا قد انتهى وأمر الآخرة قد أتى .

الوجه الثاني : أنها تتكلم وتخبر بما حدث عليها من خير أو شر وقد ورد في هذا الباب من حديث أبي هريرة[1] رضي اللَّه عنه قال قرأ رسول اللَّه ﷺ : ﴿ يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا ﴾ [الزلزلة: ٤] قال : « **أتدرون ما أخبارها ؟** » قالوا : اللَّه ورسوله أعلم ، قال : «**فإن أخبارها أن تشهد على كل عبد أو أمة بما عمل على ظهرها ، تقول : عمل كذا وكذا يوم كذا وكذا ، قال : فهذه أخبارها**» .

※ ※ ※

س ـ وضح معنى قوله تعالى : ﴿ يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ النَّاسُ أَشْتَاتًا لِّيُرَوْا أَعْمَالَهُمْ ﴾ [الزلزلة: ٦] ؟

ج : في ذلك وجهان أيضًا للعلماء :

أحدهما: أن الناس (يصدرون) أي: يرجعون من موضع الحساب إلى الجنة أو إلى النار يرجعون وبعضهم آمن وبعضهم خائف، بعضهم قد تلقى كتابه بيمينه يقول: هاؤم اقرءوا كتابيه إني ظننت إني ملاق حسابيه، وبعضهم تلقى الكتاب بشماله يقول: يا ليتني لم أوت كتابيه، ولم أدر ما حسابيه، ياليتها كانت القاضية، ما أغنى عني ماليه، هلك عني سلطانيه.

---

(١) أخرجه الترمذي (٢٤٢٩) بإسناد ضعيف ففيه يحيى بن أبي سليمان وهو ضعيف .

يرجعون من موقف الحساب بعضهم أبيض الوجه وبعضهم أسود بعضهم ينصرف إلى جهة اليمين وبعضهم سار في درب أصحاب الشمال إلى غير ذلك من أنواع الفرقة بين أهل اليمين وأهل الشمال ، كما قال تعالى : ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ الْقَيِّمِ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ يَوْمٌ لاَّ مَرَدَّ لَهُ مِنَ اللَّهِ يَوْمَئِذٍ يَصَّدَّعُونَ ﴿٤٣﴾ مَن كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُ وَمَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلأَنفُسِهِمْ يَمْهَدُونَ﴾ [الروم: ٤٣، ٤٤] .

وكما قال سبحانه : ﴿ وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يَوْمَئِذٍ يَتَفَرَّقُونَ ﴾ [الروم: ١٤] .

وقوله تعالى : ﴿لِّيُرَوْا أَعْمَالَهُمْ﴾ [الزلزلة: ٦] أي : ليروا جزاء أعمالهم من ثواب أو عقاب .

الثاني :أن الناس يصدرون من قبورهم إلى موقف الحساب ليروا أعمالهم التي عملوها في دنياهم ويحاسبون عليها ، والله أعلم .

* * *

س ـ لماذا عُبر بلفظ المضارع في قوله تعالى : ﴿فَمَن يَعْمَلْ﴾ [الزلزلة: ٧] ولم يُعبر بلفظ الماضي ؟

ج : هذا نوع من أنواع الالتفات في الخطاب فسار الخطاب بلفظ الماضي في قوله تعالى : ﴿إِذَا زُلْزِلَتِ الأَرْضُ ... ﴾ [الزلزلة: ١] ﴿وَأَخْرَجَتِ ... ﴾ [الزلزلة: ٢] ﴿وَقَالَ الإِنسَانُ ... ﴾ [الزلزلة: ٣] ، ثم حوِّل إلى المضارع بلفظ ﴿فَمَن يَعْمَلْ﴾ [الزلزلة: ٧] وذلك على سبيل

التنبيه والتحذير ، فمن يعمل الآن في الدنيا مثقال ذرة خيرًا يره ، ومن يعمل الآن في الدنيا مثقال ذرة شرًّا يره في الآخرة . واللَّه أعلم .

* * *

س ـ هل يرىٰ الكفار مثاقيل ذرات الخير الذي عملوه في الدنيا ؟

وهل يرىٰ المؤمنون مثاقيل ذرات الشر التي عملوها في الدنيا ؟

ج : من أهل العلم من قال بذلك ، فقال : إن الكافر يرىٰ أعمال الخير التي عملها في الدنيا لكنها تحبط ويذهب ثوابها ويغطي عليها شركهم وكفرهم باللَّه عز وجل كما قال تعالىٰ : ﴿**وَقَدِمْنَا إِلَىٰ مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَّنثُورًا**﴾ [الفرقان: ٢٣] وكما قال سبحانه : ﴿**مَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ أَعْمَالُهُمْ كَرَمَادٍ اشْتَدَّتْ بِهِ الرِّيحُ فِي يَوْمٍ عَاصِفٍ لَّا يَقْدِرُونَ مِمَّا كَسَبُوا عَلَىٰ شَيْءٍ ذَٰلِكَ هُوَ الضَّلَالُ الْبَعِيدُ**﴾ [إبراهيم: ١٨] وكما قال تعالىٰ : ﴿**لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ**﴾ [الزمر: ٦٥] .

• والمؤمن كذلك يرىٰ مثاقيل ذرات الشر التي عملها لكن يغفرها اللَّه سبحانه وتعالىٰ له ـ إذا أراد ـ كما قال تعالىٰ : ﴿**إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَاءُ**﴾ [النساء: ٤٨] .

• **وثمَّ قول آخر ألا** وهو : أن الكافر ينال جزاء حسناته في الدنيا فإذا جاء يوم القيامة لم يكن له حسنات ، والمؤمن يُكفر عنه من سيئاته بما يصيبه من بلاء في الدنيا ، وفي الآخرة يستره اللَّه سبحانه وتعالىٰ ،

وإذا أراد اللَّه سبحانه للمؤمن عذابًا في الآخرة لكبائر اقترفها عذبه ربه ثم أخرجه من النار إلى الجنة على ما ورد في ذلك من أحاديث .

❊ ❊ ❊

س ـ وصف الرسول ﷺ هذه الآية ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ۝٧ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ﴾ [الزلزلة: ٧، ٨] بأنها فاذة جامعة ففي أي المناسبات كان ذلك ؟

ج : كان ذلك لما سئل رسول اللَّه ﷺ عن الحُمُر [١] فقال : «**ما أنزل اللَّه فيها شيئًا إلا هذه الآية الفاذة الجامعة ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ۝٧ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ﴾** [الزلزلة: ٧، ٨] » أخرجه البخاري ومسلم[٢] .

❊ ❊ ❊

س ـ قد يقول قائل : إن الذرة اعتبرت في القرآن الكريم أصغر شيء، ولكن العلم الحديث قد فُتِّتَتْ الذرة إلى (إليكترونات وبروتونات ونيوترونات ..) وهذه أجزاء الذرة فهي أصغر منها فكيف يجاب على ذلك ؟

ج : الجواب يتمثل في القول بأن اللَّه سبحانه وتعالى خاطب العرب بأصغر شيء كانوا يعرفونه وهو الذرة ، وأشار سبحانه في القرآن

---

(١) أي عن حكم الحمير إذا ربطت واقتنيت .

(٢) أخرجه البخاري (٤٩٦٢ و ٤٩٦٣) ومسلم (حديث ٩٨٧) من حديث أبي هريرة رضي اللَّه عنه مرفوعًا .

الكريم إلى أن هناك ما هو أصغر منها بقوله سبحانه : ﴿عَالِمِ الْغَيْبِ لا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِي السَّمَوَاتِ وَلا فِي الأَرْضِ وَلا أَصْغَرُ مِن ذَلِكَ وَلا أَكْبَرُ إِلاَّ فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ﴾ [سبأ: ٣] .



سُورَةُ العَادِيَات

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

وَٱلْعَٰدِيَٰتِ ضَبْحًا ﴿١﴾ فَٱلْمُورِيَٰتِ قَدْحًا ﴿٢﴾ فَٱلْمُغِيرَٰتِ صُبْحًا ﴿٣﴾ فَأَثَرْنَ بِهِۦ نَقْعًا ﴿٤﴾ فَوَسَطْنَ بِهِۦ جَمْعًا ﴿٥﴾ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لِرَبِّهِۦ لَكَنُودٌ ﴿٦﴾ وَإِنَّهُۥ عَلَىٰ ذَٰلِكَ لَشَهِيدٌ ﴿٧﴾ وَإِنَّهُۥ لِحُبِّ ٱلْخَيْرِ لَشَدِيدٌ ﴿٨﴾ ۞ أَفَلَا يَعْلَمُ إِذَا بُعْثِرَ مَا فِى ٱلْقُبُورِ ﴿٩﴾ وَحُصِّلَ مَا فِى ٱلصُّدُورِ ﴿١٠﴾ إِنَّ رَبَّهُم بِهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّخَبِيرٌۢ ﴿١١﴾

س ـ اذكر معنى كل مما يأتي :

العاديات ـ ضبحًا ـ الموريات ـ قدحًا ـ المغيرات صبحًا ـ فأثرن ـ نقعًا ـ فوسطن به جمعًا ـ كنود ـ الخير ـ بُعثر ـ حصِّل ؟

ج :

الكلمة	معناها
العاديات	هي الخيول[1] التي تعْدو نحو العدو في الغزو ، والعدو هو المشي بسرعة ويطلق على الجري ـ وقيل : المراد بالعاديات الإبل والعاديات جمع عادية

(١) وأكثر أهل العلم على أن المراد بالعاديات الخيول .

الكلمة	معناها
ضبحًا	التي تضبح ضبحًا [١]، والضبح هو صوت أنفاس الخيول إذا جرت ، وقال البعض : تضبح ، أي : تحمحم ، وقال آخرون : تتنفس
الموريات	الخيل التي توري (أي : توقد النار) [٢] بحوافرها عند الجري إذا أصابت بحوافرها الحجارة فتوقد النار[٣]
قدحًا	القدح هو الاستخراج ، والمراد به هنا : استخراج النيران من الأحجار عند احتكاك حوافر الخيل بها ، على رأي جمهور العلماء
المغيرات	هي الخيل التي تغير على العدو صباحًا
فأثرن	رفعن
نقعًا	النقع التراب والغبار
فوسطن به جمعًا	من التوسط ، أي: توسطت الخيل براكبها جموع العدو

(١)قال بعض العلماء : إن الضبح صوت أنفاس الخيل إذا عدت ، كانت تكمم لئلا تصهل فيعلم العدو ، فكانت تتنفس في هذه الحالة بقوة .

أما ضبحًا (على رأي من قال : إن العاديات هي الإبل) فبمعنى ضبعًا ، وهو مد الإبل أعناقها أثناء السير .

(٢)ومنه قوله تعالى : ﴿أَفَرَأَيْتُمُ النَّارَ الَّتِي تُورُونَ﴾ [الواقعة: ٧١] .

(٣)ومن العلماء من قال : إن الموريات هي الإبل ، ومنهم من قال : إن المراد الأنفس الموريات بمعنى : أن من الرجال من له مكر ودهاء يوري به الحروب بين الناس ، وثم أقوال أخر ، واختار الطبري التعميم أي القول بعموم ما ذُكر .

الكلمة	معناها
كنـود	كفور ـ جحود لنعم اللَّه عليه يذكر المصائب وينسىٰ النعم
الخيـر	المال[(١)]
بُعْثِـر	أثير واستخرج ما فيها من الموتىٰ
حُصِّلَ	ميِّز وبيِّن[(٢)]

* * *

س ـ اذكر المعنىٰ الإجمالي لقوله تعالىٰ : ﴿ وَالْعَادِيَاتِ ضَبْحًا ﴿١﴾ فَالْمُورِيَاتِ قَدْحًا ﴿٢﴾ فَالْمُغِيرَاتِ صُبْحًا ﴿٣﴾ فَأَثَرْنَ بِهِ نَقْعًا ﴿٤﴾ فَوَسَطْنَ بِهِ جَمْعًا ﴾ [العاديات: ١ ـ ٥] .

ج : أشهر الأقوال في العاديات والموريات والمغيرات هذه

---

(١) أخرج الطبري بإسناد صحيح إلىٰ ابن زيد في قوله تعالىٰ : ﴿ وَإِنَّهُ لِحُبِّ الْخَيْرِ لَشَدِيدٌ ﴾ [العاديات: ٨] قال : الخير: الدنيا ، وقرأ ﴿إِن تَرَكَ خَيْرًا الْوَصِيَّةُ ﴾ [البقرة: ١٨٠] قال : فقلت له (القائل ابن وهب) : إن ترك خيرًا : المال ؟ قال : نعم ، وأي شيء هو إلا المال ؟ قال : وعسىٰ أن يكون حرامًا ولكن الناس يعدونه خيرًا فسماه اللَّه خيرًا لأن الناس يسمونه خيرًا في الدنيا وعسىٰ أن يكون خبيثًا ، وسمىٰ القتال في سبيل اللَّه سوءًا وقرأ ﴿فَانقَلَبُوا بِنِعْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ لَّمْ يَمْسَسْهُمْ سُوءٌ﴾ [آل عمران: ١٧٤] قال : لم يمسسهم قتال قال : وليس هو عند اللَّه بسوء ولكنه يسمونه سوءًا .

(٢) أي : ميِّز وبيِّن ما فيها من الخير والشر ، وقيل : أبرز ، قال بعض أهل العلم : والمعنىٰ : أخرج وجمع بغاية السهولة ما في الصدور من خيرٍ وشرٍ مما يظن مضمرُه أنه لا يعلمه أحد أصلاً وظهر مكتوبًا في صحائف الأعمال . «فتح البيان» .

الأقوال الثلاثة :

الأول : أنها الخيل وعليه جمهور العلماء .

الثاني : أنها الإبل .

الثالث : العموم أي الخيل والإبل وغيرها .

فعلى القول الأول : أقسم اللَّه سبحانه وتعالى بالخيل العاديات التي تعدو مسرعة نحو العدو ، ومن شدة سيرها وجريها تضبح وتسمع لها حمحمات ويسمع صوت أنفاسها ، ومع جريها واحتكاك حوافرها تظهر النيران من الأحجار ، وسير هذه الخيول الذي أقسم اللَّه به إنما هو في الصباح حيث وقت الإغارة على العدو ، وهذه الخيول تثير الغبار عند سيرها وتحمل راكبها إلى منتصف جموع العدو كي يقاتل .

فأقسم اللَّه عز وجل بالخيل أثناء عدوها وسماع صوت أنفاسها ، وأقسم بها سبحانه وقت جريها واصطكاك حوافرها بالأحجار وقدح النار، وذكر إغارتها على العدو صباحًا وإثارتها للتراب وتوسطها لصفوف العدو .

وعلى القول أنها الإبل : أقسم اللَّه عز وجل بالإبل التي تسرع في مشيها ، ومعنى ضبحًا ـ على هذا التأويل ـ : مادةً أعناقها أثناء المسير ، فأقسم اللَّه بالإبل وهي متجهة من عرفات تحمل الحجيج وتقدح النيران أثناء مشيها [1] وتثير الغبار كذلك حتى تتوسط بالحجيج جمعًا وهو

---

(١) ومما يضعف هذا القول أي القول بأن المراد الإبل أن الإسراع من عرفات إلى مزدلفة حتى يسمع للإبل ضبح ليس بمحمود ، فقد قال النبي ﷺ : «**ليس البر بالإيضاع**» .

مزدلفة ، واللَّه أعلم .

* * *

س ـ لماذا أقسم اللَّه عز وجل : بـ ﴿الْعَادِيَاتِ .. ﴾ [العاديات: ١] وهي الخيول ؟

ج : قال بعض أهل العلم : وإنما أقسم اللَّه عز وجل بخيل الغزاة تنبيهًا على فضلها وفضل رباطها في سبيل اللَّه ، ولما فيها من المنافع الدينية والدنيوية والأجر والغنيمة .

* * *

س ـ إلىٰ ماذا يرجع الضمير في قوله تعالىٰ : ﴿ وَإِنَّهُ عَلَىٰ ذَٰلِكَ لَشَهِيدٌ ﴾ [العاديات: ٧] ؟

ج : **من أهل العلم من قال** : إن الضمير في قوله : ﴿وَإِنَّهُ﴾ راجع إلىٰ اللَّه سبحانه وتعالىٰ فالمعنىٰ علىٰ هذا : وإن اللَّه عز وجل علىٰ كفران العبد لنعم ربه بل وكفرانه ربه لشهيد .

والمعنىٰ الثاني : أن الضمير يرجع إلىٰ الإنسان ، فالمعنىٰ : وإن الإنسان لشهيد يشهد علىٰ نفسه بأنه كنود ، ولسان حاله يؤيد ذلك ، واستدل لهذا القول بالضمير الذي يليه في قوله : ﴿ وَإِنَّهُ لِحُبِّ الْخَيْرِ لَشَدِيدٌ ﴾ [العاديات: ٨] ومن شهادة الحال قوله تعالىٰ : ﴿مَا كَانَ لِلْمُشْرِكِينَ أَن يَعْمُرُوا مَسَاجِدَ اللَّهِ شَاهِدِينَ عَلَىٰ أَنفُسِهِم بِالْكُفْرِ ... ﴾ [التوبة: ١٧] .

س ـ أليس اللَّه خبيرًا بالعباد في كل حال ؟ فلما خُصَّ ذلك اليوم بقوله تعالى : ﴿ إِنَّ رَبَّهُم بِهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّخَبِيرٌ ﴾ [العاديات: ١١] ؟

ج : الذي يبدو لي من أقوال المفسرين في ذلك : أن المعنى : إن ربهم بهم لخبير وسيجازيهم يومئذ على أفعالهم وهذا حاصل كلام بعض المفسرين ، وقد طرح **ابن الجوزي في « زاد المسير »** نحو هذا السؤال وأجاب عليه بقوله : المعنى: أنه يجازيهم على أفعالهم يومئذ ، ومثله : ﴿ **أُوْلَئِكَ الَّذِينَ يَعْلَمُ اللَّهُ مَا فِي قُلُوبِهِمْ** ﴾ [النساء: ٦٣] معناه : يجازيهم على ذلك ، ومثل : ﴿ **يَوْمَ هُم بَارِزُونَ لا يَخْفَىٰ عَلَى اللَّهِ مِنْهُمْ شَيْءٌ** ﴾ [غافر: ١٦] .

وقال الزجاج : اللَّه خبير بهم في ذلك اليوم وفي غيره ، ولكن المعنى أن اللَّه يجازيهم على كفرهم في ذلك اليوم .

● **وقال الطبري في تأويلها** : إن ربهم بأعمالهم ، وما أسروا في صدورهم وأضمروه فيها ، وما أعلنوه بجوارحهم منها عليم لا يخفى عليه منها شيء وهو مجازيهم على جميع ذلك .

● **وقال عطية سالم في «تتمته لأضواء البيان»** :

قوله تعالى: ﴿ **إِنَّ رَبَّهُم بِهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّخَبِيرٌ** ﴾ [العاديات: ١١] ذكر الظرف هنا يُشعر بقصر الوصف عليه مع أنه سبحانه خبير بهم في كل وقت في ذلك اليوم وقبل ذلك اليوم ، ولكنه في ذلك اليوم يُظهر ما كان خفيًّا فهو سبحانه يعلم السر وأخفى ، وهو سبحانه لا تخفى عليه خافية .

ولكن ذكر الظرف هنا للتحذير مع الوصف بخبير أخص من عليم كما في قوله : ﴿قَالَ نَبَّأَنِيَ الْعَلِيمُ الْخَبِيرُ﴾ [التحريم: ٣] .



سُورَةُ القَارِعَة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

ٱلْقَارِعَةُ ﴿١﴾ مَا ٱلْقَارِعَةُ ﴿٢﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْقَارِعَةُ ﴿٣﴾ يَوْمَ يَكُونُ ٱلنَّاسُ كَٱلْفَرَاشِ ٱلْمَبْثُوثِ ﴿٤﴾ وَتَكُونُ ٱلْجِبَالُ كَٱلْعِهْنِ ٱلْمَنفُوشِ ﴿٥﴾ فَأَمَّا مَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ ﴿٦﴾ فَهُوَ فِى عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ ﴿٧﴾ وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ ﴿٨﴾ فَأُمُّهُۥ هَاوِيَةٌ ﴿٩﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا هِيَهْ ﴿١٠﴾ نَارٌ حَامِيَةٌۢ ﴿١١﴾

س ـ اذكر معنى كل مما يلي :

القارعة ـ المبثوث ـ العهن ـ المنفوش ـ عيشة راضية ـ حامية ؟

ج :

الكلمة	معناها
القارعة	القيامة والساعة[1]

(١) قال القرطبي : كذا قال عامة المفسرين ، وذلك أنها تقرع الخلائق بأهوالها وأفزاعها ، وأهل اللغة يقولون : تقول العرب : قَرَعَتْهُمُ القارعة ، وفَقَرَتْهُمُ الفاقِرة ؛ إذا وقع بهم أمر فظيع . قال ابن أحمر :

وقارعةٍ مِنَ الأيام لَوْلاَ .:. سبيلهم لزاحت عنك حِينا =

الكلمة	معناها
المبثـــوث	المتفرق ـ المنتشر
العهـــن	الصوف ، ومن العلماء من قال : إنه الصوف الملون
المنفـــوش	النفش فك الصوف حتى ينتفش بعضه عن بعض[١]
عيشة راضية	عيشة مرضية[٢] قد رضيها صاحبها في الجنة
حاميـــة	بلغت أعلى درجات حرارتها ، وبلغت في الشدة إلى غايتها

= وقال آخر : متى تقرعْ بمرْونكمْ نسؤْكمْ ولم توقدْ لنا في القدْر نارُ

وقال تعالى : ﴿وَلَا يَزَالُ الَّذِينَ كَفَرُوا تُصِيبُهُم بِمَا صَنَعُوا قَارِعَةٌ﴾ [الرعد: ٣١] وهي الشديدة من شدائد الدهر .

● **وقال الطبري رحمه الله** : يقول تعالى ذكره : ﴿الْقَارِعَةُ﴾ [القارعة: ١] : الساعة التي يقرع قلوب الناس هولُها وعظيم ما ينزل بهم من البلاء عندها ، وذلك صبيحة لا ليل بعدها .

● **وقال أبو السعود** : القرع هو الضرب بشدة واعتماد بحيث يحصل منه صوت شديد ، وهي القيامة سميت بذلك لأنها تقرع القلوب والأسماع بفنون الأفزاع والأهوال وتخرج جميع الأجرام العلوية والسفلية من حالٍ إلى حال : السماء بالانشقاق والانفطار ، والشمس والنجوم بالتكوير والانكدار والانتثار ، والأرض بالزلزال والتبديل ، والجبال بالدك والنسف .

(١) **قال الرازي رحمه الله** : واعلم أن الله تعالى أخبر أن الجبال مختلفة الألوان على ما قال : ﴿وَمِنَ الْجِبَالِ جُدَدٌ بِيضٌ وَحُمْرٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَانُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٌ﴾ [فاطر: ٢٧] ، ثم إنه سبحانه يفرِّق أجزاءها ويزيل التأليف والتركيب عنها فيصير ذلك مشابهًا للصوف الملون بالألوان المختلفة إذا جعل منفوشًا .

(٢) **قال عطية سالم في «تتمته لأضواء البيان»** :

وقوله : ﴿فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ﴾ [الحاقة: ٢١] قالوا: مرضية، وراضية أصلها مرضية ، =

. . . .

كما في قولـه : ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاعِمَةٌ ﴿٨﴾ لِّسَعْيِهَا رَاضِيَةٌ﴾ [الغاشية: ٨، ٩] ، إسناد الرضىٰ للعيشة ، علىٰ أنها هي فاعلة الرضىٰ ، لأن كلمة العيشة جامعة لنعيم الجنة وأسباب النعيم ، راضية طائعة لينة لأصحاب الجنة ، فتفجر لها الأنهار طواعية ، وتدفق الثمار طواعية، كما في قوله : ﴿قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ﴾ [الحاقة: ٢٣] .

فالقول الأول : هو المعروف في البلاغة بإطلاق المحل وإرادة الحال ، كقوله تعالىٰ : ﴿فَلْيَدْعُ نَادِيَهُ﴾ [العلق: ١٧] .

والنادي : مكان منتدىٰ القوم ، أي : ينادي بعضهم بعضًا للاجتماع فيه .

والمراد : من يحل في هذا النادي ، ويكون هنا أطلق المحل وهو محل العيشة ، وأراد الحال فيها .

وعلىٰ الثاني : فهو إسناد حقيقي من إسناد الرضىٰ لمن وقع منه أو قام به ؛ ومما هو جدير بالذكر أن حمله علىٰ الأسلوب البياني ليس متجهًا كالآية الأخرىٰ ، لأن العيشة ليست محلاً لغيرها بل هي حالة ، والمحل الحقيقي هو الجنة والعيشة حالة فيها ، وهي اسم لمعاني النعيم كما تقدم ، فيكون حمل الإسناد علىٰ الحقيقة أصح .

وقد جاءت الأحاديث : أن الجنة تحس بأهلها وتفرح بعمل الخير ، كما أنها تتزين وتبتهج في رمضان ، وأنها تناظرت مع النار وكل يدلي بأهله وفرحه بهم ، حتىٰ وعد اللَّه كلاً بملئها .

ونصوص تلقي الحور والولدان والملائكة في الجنة لأهل الجنة بالرضىٰ والتحية معلومة .

وقوله : ﴿لَهُمْ فِيهَا فَاكِهَةٌ وَلَهُم مَّا يَدَّعُونَ﴾ [يس: ٥٧] أي : لا يتأخر عنهم شيء .

وقوله : ﴿وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَامٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ﴾ [الزمر: ٧٣] .

وقوله : ﴿فِيهِنَّ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَانٌّ﴾ [الرحمن: ٥٦] وقاصرات الطرف عن رضىٰ بأهلهن . ومنه : ﴿حُورٌ مَّقْصُورَاتٌ فِي الْخِيَامِ﴾ [الرحمن: ٧٢] أي : علىٰ أزواجهن .

وقوله: ﴿وَدَانِيَةً عَلَيْهِمْ ظِلَالُهَا وَذُلِّلَتْ قُطُوفُهَا تَذْلِيلًا﴾ [الإنسان: ١٤] ونحو ذلك ، مما يشعر بأن نعيم الجنة بنفسه راض بأهل الجنة . واللَّه سبحانه وتعالىٰ أعلم .

س ـ وضح المراد بقوله تعالى : ﴿ مَا الْقَارِعَةُ ﴾ [القارعة: ٢] ؟ ولماذا سميت بالقارعة ؟

ج : المعنى : وأي شيء هي القارعة ، استفهام لبيان عظيم شأنها وشدة هولها وفظاعتها فما أفظعها وما أعظمها وما أهولها وسميت بالقارعة ، لما تقدم من أنها تقرع الناس بأهوالها وشدتها والله أعلم .

وقوله تعالى : ﴿ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْقَارِعَةُ ﴾ [القارعة: ٣] : وما أعلمك وما أشعرك يا محمد أي شيء القارعة وما شأنها ؟

* * *

س ـ لماذا شبه الناس بالفراش المبثوث ؟

ج : شبهوا بالفراش المبثوث لانتشارهم وتفرقهم وحيرتهم وذهابهم ومجيئهم ولكثرتهم وتطايرهم إلى الداعي كتطاير الفراش إلى النار ، وفي الحديث عن رسول الله ﷺ : **«إنما مثلي ومثل الناس كمثل رجلٍ استوقد نارًا فلما أضاءت ما حوله جعل الفراش وهذه الدواب التي تقع في النار يقعن فيها فجعل الرجل يزعهن ويغلبنه فيقتحمن فيها فأنا آخذ بحجزكم عن النار وأنتم تقتحمون فيها»**[1] .

* * *

(١) أخرجه البخاري (٦٤٨٣) ومسلم (٢٢٨٤) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعًا .

س ـ كيف يجمع بين قوله تعالى : ﴿يَوْمَ يَكُونُ النَّاسُ كَالْفَرَاشِ الْمَبْثُوثِ﴾ [القارعة: ٤] وبين قوله تعالى : ﴿يَخْرُجُونَ مِنَ الأَجْدَاثِ كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُّنتَشِرٌ﴾ [القمر: ٧] ؟ ففي الآية الأولى وصف الناس بالفراش ، وفي الثانية وصفوا بالجراد المنتشر ؟

ج : جمع بعض أهل العلم بين ذلك فقالوا : إن أول حال الناس أنهم يكونون كالفراش يتحيرون ذهابًا وإيابًا وفي كل إتجاه لا وجهة لهم ثم يكونون كالجراد لأن للجراد وجهة تقصدها ، فكل منهم يقصد وجهة معينة ، والله تعالى أعلم .

* * *

س ـ ما المراد بالموازين في قوله تعالى : ﴿فَأَمَّا مَن ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ﴾ [القارعة: ٦] وفي قوله سبحانه : ﴿وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ﴾ [القارعة: ٨] ؟

ج : المراد ـ والله أعلم ـ : موازين الحسنات ، فمن ثقلت كفة موازين حسناته فهو في عيشة راضية ، ومن خفت موازين حسناته فأمه هاوية .

* * *

س ـ وضح معنى قوله تعالى : ﴿فَأُمُّهُ هَاوِيَةٌ﴾ [القارعة: ٩] ؟

ج : لأهل العلم في ذلك أقوال :

أحدها : أن المراد بأمه ، أم رأسه ، أي : رأسه ، وهاوية من قوله هوىٰ يهوي ، فالمعنىٰ : أنه يهوي برأسه في النار .

الثاني : أن معنى أمه ، أي : مسكنه[1] ، وهاوية هي النار لأنه يهوي إليها وأطلق على النار أنها أمه لأنه يهوي إليها كما يهوي الشخص إلىٰ أمه فالنار مسكنه لا مسكن له غيرها ، ويؤيد هذا القول قوله تعالىٰ : ﴿ وَمَا أَدْرَاكَ مَا هِيَهْ ﴿١٠﴾ نَارٌ حَامِيَةٌ ﴾ [القارعة : ١٠ ، ١١] .

الثالث : أنها كلمة عربية كان الرجل إذا وقع في أمر شديد قالوا : هوت أمه .

قال عطية سالم في «تتمته لأضواء البيان» :

قوله تعالىٰ : ﴿ وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ ﴿٨﴾ فَأُمُّهُ هَاوِيَةٌ ﴾ [القارعة : ٨ ، ٩] .

وقع الخلاف في المراد من قوله : ﴿ فَأُمُّهُ هَاوِيَةٌ ﴾ [القارعة : ٩] هل المراد بأمه مأواه وهي النار ، وأن هاوية من أسمائها ، أم المراد بأمه رأسه وأن هاوية من الهوي ، فيلقىٰ في النار منكسًا رأسه يهوي في النار .

وقد بحث الشيخ رحمة اللّه تعالىٰ علينا وعليه ذلك في «دفع إيهام الاضطراب» ، ولا يبعد من يقول إنه لا تعارض بين القولين .

---

(١) وقد ورد في هذا الباب حديث عن رسول اللّه ﷺ أنه قال : «**إذا مات العبد تلقىٰ روحه أرواح المؤمنين ، فتقول له : ما فعل فلان فإذا [قال مات] قالوا : ذُهب به إلىٰ أمه الهاوية**» .

فتكون أمه هاوية ، وهي النار ، ويلقى فيها منكسًا تهوي رأسه والعياذ باللَّه .

وحكى القرطبي على أن الأم بمعنى قول لبيد :

فالأرض معقلنا وكانت أُمنًا   فيها مقابرنا وفيها نولد

وعلى معنى الهاوية : البعيدة والداهية ، قول الشاعر :

يا عمرو لو نالتك رماحنا   .:.   كنت كمن تهوي به الهاويه

والهاوية : مكان الهوي .

كما قيل :

أكلت دمًا إن لم أرعك بضرة   .:.   بعيدة مهوى القرط مياسة القد

أو طيبة النشر .

وفي الحديث : «**إن أحدكم ليتكلم بالكلمة لا يلقي لها بالاً يهوي بها في النار أربعين خريفًا**» .

نسأل اللَّه السلامة .

وقد فسر الهاوية بما بعدها : ﴿**وَمَا أَدْرَاكَ مَا هِيَهْ ﴿١٠﴾ نَارٌ حَامِيَةٌ**﴾ [القارعة: ١٠، ١١] .

وقد فسر الهاوية بأنها أسفل دركات النار . عياذًا باللَّه .

وقد جاء قوله تعالى : ﴿**كَلاَّ لَيُنْبَذَنَّ فِي الْحُطَمَةِ ﴿٤﴾ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْحُطَمَةُ ﴿٥﴾ نَارُ اللَّهِ الْمُوقَدَةُ**﴾ [الهمزة: ٤ - ٦] .

والنبذ : الطرح ، مما يرجح ما قلناه من إمكان إرادة المعنيين كون أمه هي الهاوية ، أي : النار ، يهوي فيها على أُم رأسه ، وذلك بالنبذ في الهاوية بعيدة المهوى ، وعادة الجسم إذا ألقى من شاهق بعيدًا يسبقه إلى أسفل أثقله ، وأثقل جسم الإنسان رأسه . والله تعالى أعلم .

* * *

س ـ اذكر بعض الأحاديث الدالة على عظمة نار جهنم ؟

ج : من ذلك ما يلي : ـ

ما أخرجه البخاري ومسلم[1] من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : «**اشتكت النار إلى ربها فقالت : رب أكل بعضي بعضًا فأذن لها بنفسين نفس في الشتاء ونفس في الصيف فأشد ما تجدون من الحر وأشد ما تجدون من الزمهرير**» .

● ومن ذلك : ما أخرجه البخاري ومسلم [2] أيضًا من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : «**ناركم جزء من سبعين جزءًا من نار جهنم**» ، قيل : يا رسول الله إن كانت لكافية ، قال : «**فُضِّلَت عليها بتسعةٍ وستين جزءًا كلهن مثلُ حرِّها**» .

● وأخرج مسلم[3] من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال : كنا

---

(١) البخاري (٣٢٦٠) ومسلم (٦١٧) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعًا .

(٢) أخرجه البخاري (٣٢٦٥) .

(٣) أخرجه مسلم (٢٨٤٢) .

مع رسول الله ﷺ إذ سمع وجبة [١] فقال النبي ﷺ : **«تدرون ما هذا ؟»** قال : قلنا : الله ورسوله أعلم . قال : **«هذا حجر رُمي به في النار منذ سبعين خريفًا فهو يهوي في النار الآن حتى انتهى إلى قعرها»** .

وقد تقدم حديث ابن مسعود عند مسلم[٢] قال : قال رسول الله ﷺ : **«يؤتى بجهنم يومئذ لها سبعون ألف زمام مع كل زمام سبعون ألف ملك يجرونها»** .

وقد تقدمت أحاديث أُخر في هذا الباب .



---

(١) وجبة أي سقطة .

(٢) أخرجه مسلم (٢٨٤٢) .

سُورَةُ التَّكَاثُر

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

أَلْهَاكُمُ التَّكَاثُرُ ﴿١﴾ حَتَّىٰ زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ ﴿٢﴾ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿٣﴾ ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿٤﴾ كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ الْيَقِينِ ﴿٥﴾ لَتَرَوُنَّ الْجَحِيمَ ﴿٦﴾ ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيْنَ الْيَقِينِ ﴿٧﴾ ثُمَّ لَتُسْأَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ ﴿٨﴾

س ـ اذكر معنى كلٍ مما يلي : ـ

ألهاكم ـ التكاثر ـ علم اليقين ـ عين اليقين ؟

ج :

الكلمة	معناها
ألهاكم	شغلكم ـ والإلهاء التباهي بكثرة المال والولد والجاه، والإلهاء الانصراف إلى اللهو
التكاثر	المكاثرة من قولهم نحن أكثر من بني فلان وبني فلان مالاً وولدًا [١]

(١) اخرج مسلم من طريق مطرف (وهو ابن عبد الله بن الشخير) عن أبيه قال : أتيت النبي ﷺ وهو يقرأ ﴿أَلْهَاكُمُ التَّكَاثُرُ﴾ [التكاثر : ١] ، قال : «يقول ابن آدم مالي مالي (قال) وهل لك يا ابن آدم من مالك إلا ما أكلت فأفنيت او لبست فأبليت أو تصدقت فأمضيت» (مسلم حديث ٢٩٥٨).

الكلمة	معناها
علم اليقين	علمًا يقينيًّا [١]
عين اليقين	يقينًا بأعينكم لا تغيبون عنها [٢]- رؤية مشاهدة ومعاينة

* * *

س - في أي شيء كانت المكاثرة التي ألهتهم ؟

ج : الغالب أن التكاثر يكون بالمال والولد والجاه والأنصار كما ذكر اللَّه سبحانه صاحبَ الجنتين لما افتخر على صاحبه بقوله : ﴿وَكَانَ لَهُ ثَمَرٌ فَقَالَ لِصَاحِبِهِ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَنَا أَكْثَرُ مِنكَ مَالاً وَأَعَزُّ نَفَرًا﴾ [الكهف: ٣٤]، ولكن التكاثر أُجْمِلَ في الآية الكريمة ليعم كل نوعٍ مما يتكاثر به الناس.

قال ابن القيم رحمه اللَّه («التفسير القيم» ص ٥١٣ - ٥١٤) :

●ولم يعين سبحانه وتعالى المتكاثر به ، بل ترك ذكره إما لأن

(١) قال الطبري رحمه اللَّه في «تفسيره» في تفسير قوله تعالى : ﴿كَلاَّ لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ الْيَقِينِ﴾ [التكاثر: ٥] : يقول تعالى ذكره ما هكذا ينبغي أن تفعلوا أن يلهيكم التكاثر أيها الناس ، لو تعلمون أيها الناس علمًا يقينًا أن اللَّه باعثكم يوم القيامة - من بعد مماتكم - من قبوركم ما ألهاكم التكاثر عن طاعة ربكم ولسارعتم إلى عبادته والانتهاء إلى أمره ونهيه ورفض الدنيا إشفاقًا على أنفسكم من عقوبته .

ثم ساق الطبري بإسناد حسن عن قتادة قال : كنا نحدث أن علم اليقين أن يعلم أن اللَّه باعثه بعد الموت .

(٢) وبنحو ذلك قال الطبري في «تفسيره» .

المذموم هو نفس التكاثر بالشيء ، لا المتكاثر به ، كما يقال : شغلك اللعب واللهو ، ولم يذكر ما يلعب ويلهو به ، وإما إرادة الإطلاق[1] وهو كل ما تكاثر به العبد غيره من أسباب الدنيا من مالٍ أو جاهٍ أو عبيد أو إماء أو بناء أو غراس أو علم لا يبتغي به وجه اللَّه أو عمل لا يقربه إلى اللَّه فكل هذا من التكاثر الملهي عن اللَّه والدار الآخرة ، وفي «صحيح مسلم» من حديث عبد اللَّه بن الشخير أنه قال : «انتهيت إلى النبي ﷺ وهو يقرأ : ﴿ أَلْهَاكُمُ التَّكَاثُرُ ﴾ [التكاثر: ١] قال : «**يقول ابن آدم : مالي مالي ، وهل لك من مالك إلا ما تصدقت فأمضيت أو أكلت فأفنيت أو لبست فأبليت ؟** » .

وقال ابن القيم رحمه اللَّه أيضًا (ص ٥٢٢ ـ ٥٢٣) :

وتأمل تعليقه سبحانه الذم والوعيد على مطلق التكاثر من غير تقييد بمتكاثر به ، ليدخل فيه التكاثر بجميع أسباب الدنيا ، على اختلاف أجناسها وأنواعها .

وأيضًا فإن التكاثر تفاعل ، وهو طلب كل من المتكاثرين أن يكاثر صاحبه . فيكون أكثر منه فيما يتكاثره به . والحامل له على ذلك : توهمه أن العزة للكاثر كما قيل :

ولست بالأكثر منهم غِنًى ∴ وإنما العزة للكاثر

فلو حصلت له الكثرة من غير تكاثر لم تضره ، كما كانت الكثرة

---

(١) **قال عطية سالم في «تتمته لأضواء البيان»** : ويعني رحمه اللَّه بالأول ذم الهلع والنهم . وبالثاني : ليعم كل ما هو صالح للتكاثر به ، مال وولد وجاه وبناء وغراس .

حاصلة لجماعة من الصحابة ، ولم تضرهم . إذ لم يتكاثروا بها. وكل من كاثر إنسانًا في دنياه ، أو جاهه ، أو غير ذلك ، أشغلته مكاثرته عن مكاثرة أهل الآخرة . فالنفوس الشريفة العلوية ذات الهمم العالية إنما تكاثر بما يلزم عليها نفعه ، وتكمل به وتزكو ، وتصير مفلحة . فلا تحب أن يكثرها غيرها في ذلك ، وينافسها في هذه المكاثرة ، ويسابقها إليها . فهذا هو التكاثر الذي هو غاية سعادة العبد .

وضده : تكاثر أهل الدنيا بأسباب دنياهم. فهذا تكاثر مُلْهٍ عن اللَّه وعن الدار الآخرة . وهو جارٍ إلى غاية القلة .

فعاقبة هذا التكاثر : قُلٌّ وفقر وحرمان .

والتكاثر بأسباب السعادة الأخروية تكاثر لا يزال يذكر باللَّه وبنعمه وعاقبته الكثرة الدائمة التي لا تزول ولا تفنى . وصاحب هذا التكاثر لا يهون عليه أن يرى غيره أفضل منه قولاً ، وأحسن منه عملاً ، وأغزر منه علمًا . وإذا رأى غيره أكثر منه في خصلة من خصال الخير يعجز عن لحوقه فيها كاثره بخصلة أخرى ، وهو قادر على المكاثرة بها . وليس هذا التكاثر مذمومًا ، ولا قادحًا في إخلاص العبد ، بل هو حقيقة المنافسة ، واستباق الخيرات .

وقد كانت هذه حال الأوس مع الخزرج رضي اللَّه عنهم في تصاولهم بين يدي رسول اللَّه ﷺ ، ومكاثرة بعضهم لبعض في أسباب مرضاته ونصره .

وكذلك كانت حال عمر مع أبي بكر رضي اللَّه عنهما . فلما تبين

لعمر مدى سبق أبي بكر له قال : «واللَّه لا أسابقك إلى شيء أبدًا» .

وقال السعدي في «تفسيره» : ولم يذكر المتكاثر به ليشمل ذلك كل ما يتكاثر به المتكاثرون ويفتخر به المفتخرون من الأموال والأولاد والأنصار والجنود والخدم والجاه وغير ذلك مما يقصد منه مكاثرة كل واحد للآخر ، وليس المقصود منه وجه اللَّه .

❊ ❊ ❊

س ـ عن أي شيء ألهاهم التكاثر ؟

ج : ألهاهم التكاثر عن عبادة ربهم وعن العمل للآخرة وعن علم ما ينفعهم في أُخراهم .

وقال الرازي في «تفسيره» : إنه تعالى لم يقل : ﴿ **أَلْهَاكُمُ التَّكَاثُرُ** ﴾ [التكاثر: ١] عن كذا وإنما لم يذكره لأن المطلق أبلغ في الذم لأنه يذهب الوهم فيه كل مذهب فيدخل فيه جميع ما يحتمله الموضع، أي ألهاكم التكاثر عن ذكر اللَّه وعن الواجبات والمندوبات في المعرفة والطاعة والتدبر والتفكر أو نقول : إن نظرنا إلى ما قبل هذه الآية فالمعنى : ألهاكم التكاثر عن التدبر في أمر القارعة والاستعداد لها قبل الموت ، وإن نظرنا إلى الأسفل فالمعنى : ألهاكم التكاثر فنسيتم القبر حتى زرتموه .

وقال ابن القيم في «التفسير القيم» : أخبر سبحانه أن التكاثر شغل أهل الدنيا وألهاهم عن اللَّه والدار الآخرة .

س ـ ما المراد بزيارة المقابر في الآية الكريمة ؟

ج : لأهل العلم قولان في هذا :

أحدهما : أن المراد بزيارة المقابر : الذهاب إليها ، وذلك أنهم استمروا في التكاثر والتباهي بالأشخاص حتى عددوا من مات منهم وذهبوا إلى القبور يتباهون حتى بالموتى .

الثاني : أن المراد بزيارة المقابر : الموت ، فقوله : ﴿حَتَّىٰ زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ﴾ [التكاثر: ٢] معناه : حتى متم وصرتم إليها ودفنتم فيها .

* * *

س ـ لماذا عُبر بقوله تعالى: ﴿حَتَّىٰ زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ﴾ [التكاثر: ٢] ؟

ج : ذلك تمشيًا مع أصول اعتقادنا أهل الإسلام من أن هناك بعثًا ، فالمعنى : حتى أتاكم الموت فصرتم في المقابر زورًا ثم ترجعون منها كرجوع الزائر إلى منزله من جنة أو نار .

● **قال ابن القيم رحمه الله :** وجعل الغاية زيارة المقابر دون الموت إيذانًا بأنهم غير مستبقين ولا مستقرين في القبور وأنهم فيها بمنزلة الزائرين يحضرونها مرة ثم يظعنون عنها كما كانوا في الدنيا كذلك زائرين لها غير مستقرين فيها ودار القرار هي الجنة أو النار[1] .

* * *

(١) **قال ابن القيم رحمه الله** (التفسير القيم ص ٥٢٤) :

وتأمل كيف جعلهم عند وصولهم إلى غاية كل حي زائرين غير مستوطنين ، بل هم =

س ـ اذكر بصورة مجملة معنى قوله تعالى : ﴿أَلْهَاكُمُ التَّكَاثُرُ ۝١ حَتَّىٰ زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ﴾ [التكاثر: ١، ٢] ؟

ج : المعنى ـ والله أعلم ـ : شغلكم التكاثر بحطام الدنيا الفاني من أموال وأولاد وجاه وأنصار وقبائل وعشائر وثراء وخدم وعبيد وسائر الشهوات عن الله عز وجل وعن طاعته وعبادته حتى وافاكم الموت وأدرككم وأنتم على هذه الحال .

* * *

الأدلة على إثبات عذاب القبر :

س ـ استدل بعض العلماء بقوله تعالى : ﴿حَتَّىٰ زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ﴾ [التكاثر: ٢] على إثبات عذاب القبر فما وجه استدلالهم ؟ وهل من أدلة أصرح من ذلك تبين أن عذاب القبر كائن لمن يستحقه ؟

ج : استدل بذلك الطبري رحمه الله تعالى فقال : وقوله : ﴿حَتَّىٰ زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ﴾ [التكاثر: ٢] يعني حتى صرتم إلى المقابر فدفنتم فيها، وفي هذا دليل على صحة القول بعذاب القبر لأن الله تعالى ذكره أخبر عن هؤلاء القوم الذين ألهاهم التكاثر أنهم سيعلمون ما يلقون إذا

مستودعون في المقابر مدة ، وبين أيديهم دار القرار. فإذا كانوا عند وصولهم إلى الغاية زائرين، فكيف بهم وهم في الطريق في هذه الدار ؟ فهم فيها عابرو سبيل إلى محل الزيارة ، ثم منتقلون من محل الزيارة إلى المستقر .

فهنا ثلاثة أمور : عبور السبيل في هذه الدنيا ، وغايته زيارة القبور ، وبعدها النقلة إلى دار القرار .

هم زاروا القبور وعيدًا منه لهم وتهددًا ، ثم ساق بأسانيده من طريق حجاج عن المنهال عن زر عن علي رضي اللَّه عنه قال : كنا نشك في عذاب القبر حتى نزلت هذه الآية : ﴿أَلْهَاكُمُ التَّكَاثُرُ ۝١﴾ إلى قوله : ﴿كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ [التكاثر: ١ - ٣] في عذاب القبر ، وفي لفظ : نزلت ألهاكم التكاثر في عذاب القبر .

أما الأدلة الأصرح من ذلك في إثبات عذاب القبر فمنها ما يلي :

• قوله تعالى: ﴿وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ الظَّالِمُونَ فِي غَمَرَاتِ الْمَوْتِ وَالْمَلَائِكَةُ بَاسِطُوا أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوا أَنفُسَكُمُ الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنتُمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ وَكُنتُمْ عَنْ آيَاتِهِ تَسْتَكْبِرُونَ﴾ [الأنعام: ٩٣] .

ومن ذلك : قوله تعالى : ﴿وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ يَتَوَفَّى الَّذِينَ كَفَرُوا الْمَلَائِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَارَهُمْ وَذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ ۝٥٠ ذَٰلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيكُمْ وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ﴾ [الأنفال: ٥٠، ٥١] .

• وقوله تعالى : ﴿مِّمَّا خَطِيئَاتِهِمْ أُغْرِقُوا فَأُدْخِلُوا نَارًا فَلَمْ يَجِدُوا لَهُم مِّن دُونِ اللَّهِ أَنصَارًا﴾ [نوح: ٢٥] .

• ومن السنة جملة أحاديث في ذلك ، منها ما يلي :

• حديث البراء بن عازب رضي اللَّه عنهما مرفوعًا عند الإمام أحمد ، وقد تقدم بتمامه في تفسير سورة النازعات من هذا الكتاب ، وفيه : «.. **فينادي منادٍ من السماء أن كذب**[1] **فأفرشوا له من النار وافتحوا**

---

(١) وذلك في شأن الكافر .

له بابًا إلى النار فيأتيه من حرّها وسمومها ويضيق عليه قبره حتى تختلف فيه أضلاعه ...» الحديث .

وقد استدل البخاري رحمه اللَّه لإثبات عذاب القبر بجملة أدلة من الكتاب والسُّنَّة .

• منها : قول اللَّه تعالى : ﴿إِذِ الظَّالِمُونَ فِي غَمَرَاتِ الْمَوْتِ وَالْمَلَائِكَةُ بَاسِطُوا أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوا أَنفُسَكُمُ الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ﴾ [الأنعام: ٩٣] وقال الهُون : هو الهوان .

• ومنها : قول اللَّه تعالى : ﴿سَنُعَذِّبُهُم مَّرَّتَيْنِ ثُمَّ يُرَدُّونَ إِلَىٰ عَذَابٍ عَظِيمٍ﴾ [التوبة: ١٠١] .

• وقول اللَّه تعالى : ﴿وَحَاقَ بِآلِ فِرْعَوْنَ سُوءُ الْعَذَابِ ﴿٤٥﴾ النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ﴾ [غافر: ٤٥، ٤٦] .

• واستدل غير البخاري أيضًا بقول اللَّه تعالى : ﴿فَكَيْفَ إِذَا تَوَفَّتْهُمُ الْمَلَائِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَارَهُمْ﴾ [محمد: ٢٧] .

• واستدل البخاري أيضًا بحديث البراء بن عازب رضي اللَّه عنهما عن النبي صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم قال : «إذا أقعد المؤمن في قبره أتي ثم شهد أن لا إله إلا اللَّه وأن محمداً رسول اللَّه» فذلك قوله : ﴿يثبت اللَّه الذين آمنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة﴾ أخرجه البخاري (١٣٦٩) ومسلم (٢٨٧١) .

• واستدل أيضًا بحديث ابن عمر رضي اللَّه عنهما قال : اطلع النبي صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم على أهل القليب فقال : «**وجدتم ما وعد ربكم حقًّا**» فقيل له : تدعو أمواتًا ؟ فقال : «**ما أنتم بأسمع منهم ولكن لا يجيبون**» البخاري (١٣٧٠) ونحوه في «صحيح مسلم» من حديث عمر وأنس (٢٨٧٣) ، (٢٨٧٤) وله طرق أخرى .

• وبحديث عائشة رضي اللَّه عنها أن يهودية دخلت عليها فذكرت عذاب القبر فقالت لها : أعاذك اللَّه من عذاب القبر فسألت عائشة رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم عن عذاب القبر فقال : «**نعم عذاب القبر**» قالت عائشة : فما رأيت رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم بعدُ صلى صلاة إلا تعوذ من عذاب القبر (١٣٧٢) .

• وبحديث أسماء بنت أبي بكر رضي اللَّه عنها (١٣٧٣) قالت : قام رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم خطيبًا فذكر فتنة القبر التي يفتتن فيها المرء فلما ذكر ذلك ضج المسلمون ضجة .

• وحديث أنس (١٣٧٤) وفيه أن رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم قال : «**إن العبد إذا وضع في قبره وتولى عنه أصحابه ـ وإنه يسمع قرع نعالهم ـ أتاه ملكان فيقعدانه فيقولان : ما كنت تقول في هذا الرجل ؟ لمحمد صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم فأما المؤمن فيقول : أشهد أنه عبد اللَّه ورسوله فيقال له : انظر إلى مقعدك من النار قد أبدلك اللَّه به مقعدًا من الجنة فيراهما جميعًا وأما المنافق والكافر فيقال له : ما كنت تقول في هذا الرجل ؟ فيقول : لا أدري كنت أقول ما يقول الناس فيقال : لا دريت ولا تليت**

ويضرب بمطارق من حديد ضربة فيصيح صيحة يسمعها من يليه غير الثقلين».

• وعند مسلم (٢٨٦٧) من حديث زيد بن ثابت قالت : إن النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم قال : «**إن هذه الأمة تبتلى في قبورها فلولا أن لا تدافنوا لدعوت الله أن يسمعكم من عذاب القبر الذي أسمع منه**» .

وهناك جملة كبيرة في «الصحيحين» في هذا الباب غير ما ذكرنا .

ولهذا قال النووي رحمه الله («شرح مسلم» ٥/ ٧١٩) :

اعلم أن مذهب أهل السنة إثبات عذاب القبر وقد تظاهرت عليه دلائل الكتاب والسنة قال تعالى : ﴿**النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا**﴾ [غافر: ٤٦] الآية وتظاهرت به الأحاديث الصحيحة عن النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم من رواية جماعة من الصحابة في مواطن كثيرة ، ولا يمتنع في العقل أن يعيد الله تعالى الحياة في جزء من الجسد ، وإذا لم يمنعه العقل وورد الشرع به وجب قبوله واعتقاده ، وقد ذكر مسلم أحاديث كثيرة في إثبات عذاب القبر، وسماع النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم صوت من يعذب فيه، وسماع الموتى قرع نعال دافنيهم، وكلامه صلى الله عليه وعلى آله وسلم لأهل القليب وقوله : «**ما أنتم بأسمع منهم**» ، وسؤال الملكين الميت وإقعادهما إياه وجوابه لهما، والفسح له في قبره، وعرض مقعده عليه بالغداة والعشي، وسبق معظم شرح هذا في كتاب الصلاة وكتاب الجنائز (أي : عند مسلم) والمقصود أن مذهب أهل السنة إثبات عذاب القبر كما ذكرنا خلافًا للخوارج ومعظم المعتزلة

وبعض المرجئة نفوا ذلك ، ثم المعذَّب عند أهل السنة الجسد بعينه أو بعضه بعد إعادة الروح إليه أو إلى جزء منه ، وخالف فيه محمد بن جرير وعبد اللَّه بن كرام وطائفة فقالوا : لا يشترط إعادة الروح قال أصحابنا : هذا فاسد لأن الألم والإحساس إنما يكون في الحي قال أصحابنا : ولا يمنع من ذلك كون الميت قد تفرقت أجزاؤه كما نشاهد في العادة أو أكلته السباع أو حيتان البحر أو نحو ذلك ، فكما أن اللَّه تعالى يعيده للحشر وهو سبحانه قادر على ذلك فكذا يعيد الحياة إلى جزء منه أو أجزاء وإن أكلته السباع والحيتان ، فإن قيل : فنحن نشاهد الميت على حاله في قبره فكيف يُسأل ويُقعد ويضرب بمطارق من حديد ولا يظهر له أثر؟ فالجواب : أن ذلك غير ممتنع بل له نظير في العادة وهو النائم فإنه يجد لذة وآلامًا لا نحس نحن شيئًا منها ، وكذا يجد اليقظان لذة وألمًا لما يسمعه أو يفكر فيه ولا يشاهد ذلك جالسوه منه ، وكذا كان جبرائيل يأتي النبي صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم فيخبره بالوحي الكريم ولا يدركه الحاضرون وكل هذا ظاهر جلي ، قال أصحابنا : وأما إقعاده المذكور في الحديث فيحتمل أن يكون مختصًّا بالمقبور دون المنبوذ ، ومن أكلته السباع والحيتان ، وأما ضربه بالمطارق فلا يمنع أن يوسع له في قبره فيقعد ويُضرب واللَّه أعلم .

قلت : ولمزيد في هذا الباب انظر «فتح الباري» (٣/ ٢٣٣) فما بعدها .

***

حكم زيارة القبور :

س ـ ما حكم زيارة الرجال والنساء للقبور ؟

ج : زيارة القبور بالنسبة للرجال مستحبة ، فقد كان النبي ﷺ يزور القبور ، ويحث على زيارتها ، قال عليه الصلاة والسلام : «.. **فزوروا القبور فإنها تُذكر الموت**» .

وقال عليه الصلاة والسلام : «**نهيتكم عن زيارة القبور فزوروها**» إلى غير ذلك من الأحاديث ، وستأتي إن شاء اللَّه .

أما زيارة النساء للقبور فمحل خلاف بين أهل العلم ، والراجح فيه لدينا أن زيارتهن للقبور مستحبة أيضًا ما لم يُصاحب ذلك مخالفات شرعية ، وهذه بعض الأدلة في ذلك وأقوال أهل العلم :

أولاً : أدلة المانعين :

● أخرج الإمام أحمد[١] رحمه اللَّه تعالى بإسناد حسن لشواهده من حديث أبي هريرة رضي اللَّه عنه أن رسول اللَّه ﷺ لعن زورات القبور[٢] .

الدليل الثاني للمانعين : أخرج أبو داود والنسائي[٣] من حديث

---

(١) أخرجه أحمد (٢/٣٣٧) والترمذي (١٠٥٦) وابن ماجة (١٥٧٦) والبيهقي (٤/٧٨) ، وانظر تخريجه في كتابنا «جامع أحكام النساء» .

(٢) نقل الحافظ ابن حجر رحمه اللَّه («فتح الباري» ٣/١٤٩) عن القرطبي قوله : هذا اللعن إنما هو للمكثرات من الزيارة لما تقتضيه الصفة من المبالغة .

(٣) أخرجه أبو داود (٣١٢٣) والنسائي (٤/٢٧ ـ ٢٨) وإسناده ضعيف . =

عبد اللَّه بن عمرو بن العاص قال : قَبَرنا مع رسول اللَّه ﷺ - يعني ميتًا - فلما فرغنا انصرف رسولُ اللَّه ﷺ وانصرفنا معه فلما حاذىٰ بابه وقف فإذا نحن بامرأة مُقْبِلة - قال : أظنه عرفها - فلما ذهبتُ إذا هي فاطمةُ عليها السلام فقال لها رسول اللَّه ﷺ : **«ما أخرجك يا فاطمة من بيتك ؟»** فقالت : أتيت يا رسول اللَّه أهل هذا البيت فرحمت إليهم ميتهم أو عزيتهم به ، فقال لها رسول اللَّه ﷺ : **«فلعلك بلغت معهم الكدىٰ»** قالت : معاذ اللَّه !! وقد سمعتك تذكر فيها ما تذكر ، قال : **«لو بلغت معهم الكدىٰ ...»** فذكر تشديدًا في ذلك فسألت ربيعة عن الكدىٰ فقال : القبور فيما أحسب .

ثانيًا : أدلة المجيزين :

● أخرج البخاري ومسلم[1] من حديث أنس بن مالك رضي اللَّه عنه قال : مرَّ النبيُّ ﷺ بامرأةٍ تبكي عند قَبْرٍ فقال : **«اتقي اللَّه**

= ● وقد ضعف النووي في «المجموع» (٥/٢٧٨) هذا الحديث .

● أما معنىٰ الكدىٰ فقال الخطابي : جمع كدية وهي القطعة الصلبة من الأرض ، والقبور إنما تحفر في المواضع الصلبة لئلا تنهار ، والعرب تقول : ما هو إلا ضب كدية إذا وصفوا الرجل بالدهاء والأرب ، ويقال : أكدىٰ الرجل إذا حفر فأفضىٰ إلىٰ الصلابة ، ويضرب به المثل فيمن أخفق فلم ينجح في طلبته .

● هذا وقد استدل المانعون من زيارة النساء للقبور بحديث أم عطية المتقدم (نهينا عن اتباع الجنائز ولم يعزم علينا) وليس بصريح في بابه ، وأيضًا فالنهي واضح أنه في هذا الحديث للتنزيه وليس للتحريم واللَّه أعلم .

(١) البخاري (حديث ١٢٨٣) ومسلم (ص ٦٣٧) وأبو داود (٣١٢٤) والترمذي (حديث ٩٨٨) وقال: هذا حديث حسن صحيح .

واصبري»، قالت : إليك عني فإنك لم تُصَبْ بمصيبتي ولم تَعْرِفْهُ فقيل لها : إنه النبيُّ ﷺ فأتت النبيَّ ﷺ فلم تجد عنده بوابين فقالت : لَمْ أَعْرِفْكَ فقال : «إنما الصبرُ عند الصَّدْمَةِ الأُولى»[١].

الدليل الثاني للمجيزين :

أخرجه مسلم[٢] من حديث أبي هريرة رضي اللَّه عنه قال : زار النبيُّ ﷺ قَبْرَ أُمِّهِ فَبكَى وأبكى من حَوْلَه فقال : «استأذنتُ ربي في أن أستغفر لها فلم يؤذن لي ، واستأذنته في أن أزور قبرها فأذن لي فزوروا القبور فإنها تُذَكِّر الموتَ»[٣].

الدليل الثالث للمجيزين :

أخرجه مسلم[٤] وأحمد من حديث أم المؤمنين عائشة رضي اللَّه

---

(١) موضع الدلالة من هذا الحديث أن النبي ﷺ لم ينكر على المرأة قعودها عند القبر وتقريره حجة . قاله الحافظ .

وقال أيضًا : وفيه جواز مخاطبة الرجال للنساء في مثل ذلك بما هو أمر بمعروف أو نهي عن منكر أو موعظة أو تعزية وأن ذلك لا يختص بعجوز دون شابة لما يترتب عليه من المصالح الدينية .

وقال النووي رحمه اللَّه : فيه الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر مع كل أحد .

قلت : ومحل ذلك كله إذا أمنت الفتنة واللَّه أعلم .

أما قوله : «إنما الصبر عن الصدمة الأولى» فقد نقل الحافظ («الفتح» ٣/ ١٥٠) عن الخطابي قوله : والمعنى أن الصبر الذي يحمد عليه صاحبه ما كان عند مفاجأة المصيبة بخلاف ما بعد ذلك فإنه على الأيام يسلو .

(٢) مسلم (حديث ٦٧١) .

(٣) ووجه الاستشهاد منه قوله : «فزوروا القبور» وهذا عام يدخل فيه النساء والرجال .

(٤) أخرجه مسلم (٦٦٩) وأحمد (٦/ ٢٢١) وعبد الرزاق (٦٧١٢) .

عنها قالت : ألا أحدثكم عني وعن رسول اللَّه ﷺ ؟ قلنا : بلى ، قال: قالت : لما كانت ليلتي التي كان النبيُّ ﷺ فيها عندي انقلب فوضع رِدَاءه وخلع نعليه فوضعهما عند رجليه وبَسَطَ طَرَفَ إزاره على فراشه فاضطجع فلم يلبث إلا ريثما ظن أن قَدْ رقدتُ فأخذ رِدَاءه رُويدًا وانتَعل رُويدًا وفتح الباب فَخَرَجَ ثم أَجَافه[1] رُويدًا فجعلت دِرْعي[2] في رَأْسي واختمرتُ وتَقَنَّعتُ إزاري ثم انطلقت على إثْرِه حتى جاء البقيع فقام فَأَطَال القيام ثم رَفَعَ يديه ثلاث مرات ، ثم انحرف فانحرفتُ فأسرعَ فأسرعتُ فهرول فهرولتُ فَأَحْضَرَ فَأَحْضَرتُ[3] فسبقْتُهُ فدخلتُ فليس إلا أن اضطجعتُ فَدَخَلَ فقال : « **مَالَك يا عائشُ حَشْيًا رابيةً** » قالت: قلتُ : لا شيء ، قال : «**لَتُخْبِرِيني أو لَيُخْبرني اللطيفُ الخبيرُ**» قالت : قلت : يا رسول اللَّه ! بأبي أنت وأمي فَأَخْبَرتُهُ قال : «**فأنت السَّوادُ الذي رأيتُ أمامي ؟**» قلتُ : نعم فلهدني في صَدْرِي لهدةً أوجعتني ثم قال : «**أَظَنَنْتِ أن يَحيف اللَّه عليك ورسوله ؟**» قالت : مهما يكتم الناسُ يعلمه اللَّه . نعم قال : «**فإن جبريل أتاني حين رأيت فناداني فأخفاه منك ولم يكن يدخل عليك وقد وضعتِ ثيابَكِ وظننتُ أن قد رَقَدْتِ فكرهتُ أن أوقظك وخشيت أن تستوحشي فقال : ربك يأمرك أن تأتي أهل البقيع فتستغفر لهم** » قالت : قلت : كيف أقول لهم يا رسول اللَّه[4] قال :

---

(١) أجافه أي اغلقه .

(٢) درعي أي قميصي .

(٣) فأحضر فأحضرت أي عدا فعدوت فالإحضار هنا هو العَدْوُ .

(٤) فيه دليل على أن المرأة تأتي المقبرة وتسلم على الأموات بقولها : السلام على أهل الديار . . وقد استدل به عدد من أهل العلم على ذلك . =

«قولي : السلامُ على أهل الديار من المؤمنين والمسلمين ويرحم اللَّه المستقدمين منا والمستأخرين وإنا إن شاء اللَّه بكم للاحقون» .

رأي أم المؤمنين عائشة رضي اللَّه عنها :

أخرج الحاكم في «المستدرك»[1] بإسناد صحيح عن أم المؤمنين عائشة رضي اللَّه عنها أنها أقبلت ذات يومٍ من المقابر فقلتُ لها : يا أم المؤمنين : من أين أقبلت ؟ قالت : من قبر أخي عبد الرحمن بن أبي بكر ، فقلت لها: أَلَيس كان رسولُ اللَّه ﷺ نهى عن زيارةِ القبور؟ قالت : نعم ، كان نهى ثم أَمَرَ بزيارتها .

وأخرج الترمذي[2] بإسناد صحيح عن عبد اللَّه بن أبي مليكة قال : توفي عبد الرحمن بن أبي بكر بحُبْشِي قال : فَحُمِلَ إلى مكةَ فَدُفِنَ فيها فلما قَدِمَتْ عائشةُ أَتَتْ قَبْرَ عبدَ الرحمن بن أبي بكر فقالت :

وكنا كَندَمَاني جَذِيمةَ حِقْبَةً ∴ مِن الدَّهر حتى قيل لن يتصدعا

فلما تفرقنا كأني ومالكًا ∴ لطول اجتماع لم نَبِتْ ليلة معًا [3]

---

* تنبيه : ورد في «سنن البيهقي» (٧٨/٤) في معرض الجواز ـ أن فاطمة رضي اللَّه عنها كانت تزور قبر عمها حمزة كل جمعة فتصلي وتبكي عنده . وهذا الحديث ضعيف لا يثبت عنها رضي اللَّه عنها ، وقد قال الحاكم رحمه اللَّه : هذا الحديث رواته عن آخرهم ثقات فتعقبه الذهبي بقوله : هذا منكر جدًا سليمان (أحد رواته) ضعيف وقال البيهقي : إنه منقطع .

(١) الحاكم في «المستدرك» (٣٧٦/١) والبيهقي (٧٨/٤) .

(٢) الترمذي (حديث ١٠٥٥) .

(٣) فيه بيت شعر أسقط ، وذكره الصنعاني في «السبل» (٥٧٩) .

وعشنا بخير في الحياة وقبلنا ∴ أصاب المنايا رهط كسرى وتبعا =

ثم قالت : لو حضرتُك ما دُفِنْتَ إلا حيثُ مُتَّ ولو شهدتُكَ ما زُرْتُكَ .

الدليل الرابع للمجيزين : أخرجه مسلم [1] من حديث بريدة رضي اللَّه عنه قال : قال رسولُ اللَّه ﷺ : **«نهيتكم عن زيارة القبور فَزُورُوها ونهيتُكم عن لحومِ الأضاحي فوق ثلاث فَأَمْسِكُوا ما بَدَا لكم ونهيتكُم عن النبيذ إلا في سِقاء فاشربوا في الأسقية كلها ولا تَشْرَبوا مُسْكِرًا»** .

بعض أقوال أهل العلم في الباب

تقدم أن عائشة رضي اللَّه عنها كانت ترى جواز زيارة النساء للقبور بل وقد زارت هي نفسها أيضًا قبر أخيها .

*** قال الترمذي رحمه اللَّه (عقب حديث ١٠٥٦) :**

وقد رأى بعض أهل العلم أن هذا كان قبل أن يرخص النبي ﷺ في زيارة القبور فلما رخص دخل في رخصته الرجال والنساء ، وقال بعضهم : إنما يكره زيارة القبور للنساء لقلة صبرهن وكثرة جزعهن .

= والأبيات لتميم بن نويرة يرثي أخاه مالك بن نويرة لما قتله خالد ، وخزيمة كان ملكًا بالعراق والجزيرة وضم إليه العرب وهو صاحب الزباء ، وفي القاموس : الزباء : ملكة الجزيرة ، وتعد من ملوك الطوائف ، أي كنا كنديمي جذيمة وجليسيه ، ومالك هو ابن نويرة انتهى بتصرف من «تحفة الأحوذي» (٤/ ١٦٢) .

(١) مسلم (حديث ٩٧٧) .

● **وقال البيهقي رحمه اللّٰه (٤/ ٧٨ «السنن الكبرىٰ») :**

وقد روينا في الحديث الثابت عن أنس بن مالك : أن رسول اللّٰه ﷺ مر بامرأة عند قبر وهي تبكي فقال لها: «**اتقي اللّٰه واصبري**»، وليس في الخبر أنه نهاها عن الخروج إلىٰ المقبرة ، وفي ذلك تقوية لما روينا عن عائشة رضي اللّٰه عنها ، إلا أنه أصح ما روىٰ في ذلك صريحًا حديث أم عطية[1] وما يوافقه من الأخبار ، فلو تنزهن عن اتباع الجنائز والخروج إلىٰ المقابر وزيارة القبور أبرأ لدينهن ، وباللّٰه التوفيق .

● **وقال النووي في «المجموع» (٥/ ٣١١) :**

ومما يدل علىٰ أن زيارتهن ليست حرامًا حديث أنس رضي اللّٰه عنه أن النبي ﷺ مر بامرأة تبكي عند قبر فقال: «**اتقي اللّٰه واصبري**» رواه البخاري ومسلم ، وموضع الدلالة أنه ﷺ لم ينهها عن الزيارة ، وعن عائشة رضي اللّٰه عنها قالت : كيف أقول يا رسول اللّٰه ـ يعني إذا زرت القبور ـ قال : «**قولي : السلام علىٰ أهل الديار من المؤمنين والمسلمين ويرحم اللّٰه المستقدمين منا والمستأخرين وإنا إن شاء بكم للاحقون**» .

وانظر مزيدًا هناك أيضًا .

● **وقال ابن حزم رحمه اللّٰه («المحلىٰ» ٥/ ١٦٠) :**

ونستحب زيارة القبور ، وهو فرض[2] ولو مرة ولا بأس بأن يزور

---

(١) يعني بحديث أم عطية : (نهينا عن اتباع الجنائز ولم يعزم علينا) .

(٢) قول ابن حزم رحمه اللّٰه بأن ذلك فرض مما ينازع فيه، فهو راجع إلىٰ مسألة الإباحة بعد الحظر، وقد قدمنا الكلام علىٰ هذه المسألة في أبواب الطهارة من كتابنا «جامع أحكام النساء» وكذلك =

المسلم قبر حميمه المشرك الرجال والنساء سواء .

● **وقال الحافظ ابن حجر رحمه اللَّه («فتح الباري» ٣/ ١٤٨) :**

واختلف في النساء فقيل: دخلن في عموم الإذن وهو قول الأكثر، ومحله ما إذا أمنت الفتنة ويؤيد الجواز حديث : (مر النبي ﷺ بامرأة تبكي عند قبر . . .) .

● **قال الشوكاني رحمه اللَّه («نيل الأوطار» ٤/ ١١١) في خاتمة بحثه :**

قال القرطبي : واللعن المذكور في الحديث إنما هو للمكثرات من الزيارة لما تقتضيه الصيغة (يعني زوَّارات) من المبالغة ، ولعل السبب ما يفضي إليه ذلك من تضييع حق الزوج والتبرج وما ينشأ من الصياح ونحو ذلك ، وقد يقال : إذا أمن جميع ذلك فلا مانع من الإذن لهن لأن تذكر الموت يحتاج إليه الرجال والنساء . انتهى .

قال الشوكاني :

وهذا الكلام هو الذي ينبغي اعتماده في الجمع بين أحاديث الباب المتعارضة في الظاهر واللَّه أعلم .

● **وقال ابن القيم رحمه اللَّه (مع «عون المعبود» ٩/ ٥٨) :**

وقد اختلف في زيارة النساء للمقابر على ثلاثة أقوال :

أحدها : التحريم لهذه[1] الأحاديث .

= عند تفسير قول اللَّه تعالى : ﴿ فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللَّهُ ﴾ [البقرة: ٢٢٢] .

(١) يعني حديث «لعن اللَّه زورات القبور» وحديث فاطمة ، المتقدمين . =

الثاني : يكره من غير تحريم ، وهذا منصوص أحمد في إحدى الروايات عنه وحجة هذا القول حديث أم عطية المتفق عليه : نهينا عن اتباع الجنائز ولم يعزم علينا .

وهذا يدل على أن النهي للكراهة لا للتحريم .

الثالث : أنه مباح لهن غير مكروه وهو الرواية الأخرى عن أحمد . . ثم ذكر ـ رحمه الله ـ أدلة هذا القول ثم جنح إلى القول بالمنع في خاتمة بحثه والله أعلم .

فائدة :

قال القرطبي رحمه الله[1] : قال العلماء : ينبغي لمن أراد علاج قلبه وانقياده بسلاسل القهر إلى طاعة ربه ، أن يكثر من ذكر هاذم اللذات ، ومفرق الجماعات ، ومَوتم البنين والبنات ، ويواظب على مشاهدة المحتضرِين ، وزيارة قبور أموات المسلمين . فهذه ثلاثة أمور ، ينبغي لمن قسا قلبه ، ولزمه ذنبه ، أن يستعين بها على دواء دائه ، ويستصرخ بها على فتن الشيطان وأعوانه ؛ فإن انتفع بالإكثار من ذكر الموت ، وانجلت به قساوة قلبه فذاك ، وإن عظم عليه ران قلبه ، واستحكمت فيه دواعي الذنب ؛ فإن مشاهدة المحتضرين ، وزيارة قبور أموات المسلمين، تبلغ في دفع ذلك ما لا يبلغه الأول ؛ لأن ذكر الموت إخبار للقلب بما إليه المصير، وقائم له مقام التخويف والتحذير . وفي مشاهدة من احتُضِر ، وزيارة قبر من مات من المسلمين مُعايَنَةٌ ومشاهدة ؛ فلذلك كان أبلغ من الأوّل ؛ قال ﷺ : **«ليس الخبر كالمعاينة»** . رواه ابن عباس . فأما الاعتبار بحال المحتَضَرِين ، فغير ممكن في كل الأوقات، وقد لا يتفق لمن أراد علاج قلبه في ساعة من الساعات . وأما زيارة القبور فوجودها أسرع ، والانتفاع بها أليق وأجدر . فينبغي لمن عزم على الزيارة ، أن يتأدّب بآدابها ، ويحضر قلبه في إتيانها ، ولا يكون حظه منها التطواف على الأجداث فقط ؛ فإن حاله تشاركه فيها بهيمة . ونعوذ بالله من ذلك . بل يقصدر بزيارته وجه الله تعالى ، وإصلاح فساد قلبه ، أو نفع =

---

(١) القرطبي في «التفسير» (٢٠/١١٧) .

حاصل القول في هذا الباب والعلم عند الله تعالى

بالنظر في أدلة المجيزين والمانعين نرى الآتي :

أولاً : أحاديث الجواز أصح من أحاديث المنع فلا يثبت من أحاديث المنع إلا حديث : **«لعن اللَّه زوارات القبور»** على ما فيه .

ثانيًا : تقدم التنبيه على أن لفظ **«زوارات»** يقتضي كثرة الزيارة فلا يدخل فيه من زارت مرة بعد مرة كل حين .

= الميت بما يتلو عنده من القرآن والدعاء ، ويتجنب المشي على المقابر ، والجلوس عليها ويُسلم إذا دخل المقابر ، وإذا وصل إلى قبر ميته الذي يعرفه سلم عليه أيضًا ، وأتاه من تلقاء وجهه ، لأنه في زيارته كمخاطبته حيًّا، ولو خاطبه حيًّا لكان الأدب استقباله بوجهه ، فكذلك ها هنا . ثم يعتبر بمن صار تحت التراب ، وانقطع عن الأهل والأحباب ، بعد أن قاد الجيوش والعساكر ، ونافس الأصحاب والعشائر ، وجمع الأموال والذخائر ؛ فجاءه الموت في وقت لم يحتسبه ، وهول لم يرتقبه . فليتأمّل الزائر حال من مضى من إخوانه ، ودَرَج من أقرانه الذين بلغوا الآمال ، وجمعوا الأموال ؛ كيف انقطعت آمالهم ، ولم تغن عنهم أموالهم، ومحا التراب محاسن وجوههم ، وافترقت في القبور أجزاؤهم ، وترمّل من بعدهم نساؤهم، وشَمِل ذل اليتم أولادهم ، واقتسم غيرهم طريفهم وتلادهم . وليتذكر تردّدهم في المآرب ، وحرصهم على نيل المطالب ، وانخداعهم لمواتاة الأسباب ، وركونهم إلى الصحة والشباب. وليعلم أن ميله إلى اللهو واللعب كميلهم ، وغفلته عما بين يديه من الموت الفظيع ، والهلاك السريع ، كغفلتهم ، وأنه لابدّ صائر إلى مصيرهم ، وليُحضر بقلبه ذِكر من كان متردّدًا في أغراضه ، وكيف تهدّمت رجلاه . وكان يتلذذ بالنظر إلى ما خُوّلَه وقد سالت عيناه ، ويصول ببلاغة نطقه وقد أكل الدود لسانه ، ويضحك لمواتاة دهره وقد أبلى التراب أسنانه ، وليتحقق أن حاله كحاله ، ومآله كمآله . وعند هذا التذكُّر والاعتبار تزول عنه جميع الأغيار الدنيوية ، ويقبل على الأعمال الأخروية ، فيزهد في دنياه ، ويقبل على طاعة مولاه ، ويلين قلبه ، وتخشع جوارحه .

ثالثًا : حديث : «**لعن اللَّه زوارات القبور**» ذكر بعض أهل العلم أنه منسوخ بحديث : «**كنت نهيتكم عن زيارة القبور ألا فزوروها فإنها تذكركم الآخرة**» . والنساء يحتجن إلى تذكر الآخرة كالرجال .

رابعًا : ما فهمته عائشة رضي اللَّه عنها فهي إحدى النساء ـ بل هي أمهن وأمنا ـ اللواتي يعنيهن الأمر وكون رسول اللَّه علمها ما تقول إذا أتت المقبرة وكونها زارت قبر أخيها بعد موته ، كل هذا يدل على جواز زيارة النساء للقبور ويقوي القول القائل بهذا ، واللَّه أعلم .

تنبيهات

١ ـ إذا علم من حال النساء وأنهن ـ بذهابهن إلى القبور ـ يصحن وينحن ويعددن على الأموات ويفعلن البدعة والمحرمات ، فتحرم حينئذ زيارتهن للقبور فدرء المفاسد مقدم على جلب المصالح .

٢ ـ إذا علم من أحوالهن كذلك أنهن يذهبن إلى قبور بعض ما يطلقون عليهم الصالحين أو أولياء اللَّه يلتمسون عندهم تفريج الكربات وقضاء الحاجات وكشف الغمات فهذا شرك وتحرم عندئذ الزيارة بلا شك .

٣ ـ إذا ذهبت النساء متبرجات متعطرات فكذلك يحرم خروجهن .

٤ ـ إذا خصصت النساء يومًا لزيارة القبور فيه ـ كما يحدث من تخصيص أيام الجمع والأعياد ونحو ذلك فهذا من البدع التي ما أنزل اللَّه بها من سلطان .

وفقنا اللَّه لاتباع كتابه وسنة نبيه ﷺ .

***

س ـ وضح المراد بقوله : ﴿كَلاَّ﴾ في قوله تعالى : ﴿كَلاَّ سَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ [التكاثر: ٣] ؟

ج : (كلا) كلمة تحمل معنى النفي والردع والزجر كما قدمناه مرارًا من قبل .

وقال ابن القيم رحمه اللَّه («التفسير القيم») :

ومن تأمل حسن موقع ﴿كَلاَّ﴾ في هذا الموضع ، فإنها تضمنت ردعًا لهم ، وزجرًا عن التكاثر ، ونفيًا وإبطالاً لما يؤملونه ، من نفع التكاثر لهم ، وعزتهم وكمالهم به ، فتضمنت اللفظة نهيًا ونفيًا ، وأخبرهم سبحانه أنهم لابد أن يعلموا عاقبة تكاثرهم علمًا بعد علم ، وأنهم لابد أن يروا دار المكاثرين بالدنيا التي ألهتهم عن الآخرة رؤية بعد رؤية ، وأنه سبحانه لابد أن يسألهم عن أسباب تكاثرهم : من أين استخرجوها ؟ وفيم صرفوها ؟

***

س ـ قوله تعالى : ﴿كَلاَّ سَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ [التكاثر: ٣] تعلمون ماذا ؟

ج : تعلمون نتيجة انشغالكم بالتكاثر في الدنيا عن طاعة اللَّه عز وجل .

***

س ـ ما فائدة التكرير في قوله تعالى : ﴿ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ [التكاثر : ٤] ؟

ج : كرر قوله تعالى : **﴿ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾** [التكاثر : ٤] لإرادة التغليظ في التخويف والتهديد والردع والزجر ، والعرب إذا أرادوا التغليظ في التخويف والتهديد كرروا الكلام ، كما قال النبي ﷺ : **«ألا وقول الزور ..»** فما زال يكررها حتى قال الصحابة : ليته سكت .

• ومن العلماء من قال : قوله : **﴿كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾** [التكاثر : ٣] أيها الكفار ، وقوله : **﴿ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾** [التكاثر : ٤] أنتم أيضًا يا مؤمنون .

• ومن العلماء من قال : قوله تعالى : **﴿كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾** [التكاثر : ٣] هذا عند الموت وفي القبر ، وقوله تعالى : **﴿ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾** [التكاثر : ٤] عند قيام الساعة .

• ومن العلماء من قال : العلم الأول عند المعاينة ونزول الموت، والعلم الثاني في القبر[1] .

---

(١) **قال ابن القيم رحمه الله («التفسير القيم» ص ٥١٦ ـ ٥١٨) :**
ويدل على صحة هذا القول عدة أوجه :
أحدها : أن الفائدة الجديدة والتأسيس هو الأصل . وقد أمكن اعتباره ، مع فخامة المعنى وجلالته ، وعدم الإخلال بالفصاحة .
الثاني : توسط «ثم» بين العلمين ، وهي مؤذنة بتراخي ما بين المرتبين زمانًا وخطرًا .
الثالث : أن هذا القول مطابق للواقع . فإن المحتضر يعلم عند المعاينة حقيقة ما كان عليه ، ثم يعلم في القبر وما بعده ذلك علمًا يقينيًا ، هو فوق العلم الأول . =

. . . .

الرابع : أن علي بن أبي طالب رضي اللّه عنه وغيره من السلف فهموا من الآية عذاب القبر.
قال الترمذي : حدثنا أبو كريب حدثنا حكام بن سليم الرازي عن عمرو بن أبي قيس عن الحجاج بن منهال بن عمرو عن زر عن علي رضي اللّه عنه قال : «ما زلنا نشك في عذاب القبر حتى نزلت ﴿أَلْهَاكُمُ التَّكَاثُرُ﴾ » قال الواحدي : يعني أن معنى قوله : ﴿كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ [التكاثر: ٣] في القبر .
الخامس : أن هذا مطابق لما بعده من قوله : ﴿لَتَرَوُنَّ الْجَحِيمَ ۝٦ ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيْنَ الْيَقِينِ﴾ [التكاثر: ٦ ، ٧] فهذه الرؤية الثانية غير الأولى من وجهين : إطلاق الأولى ، وتقييد الثانية بعين اليقين ، وتقدم الأولى ، وتراخي الثانية عنها .
ثم ختم السورة بالإخبار المؤكد بواو القسم ولام التأكيد ، والنون الثقيلة عن سؤال النعيم .
فكل أحد يسأل عن نعيمه الذي كان فيه في الدنيا : هل ناله من حلاله ووجهه أم لا ؟ فإذا تخلص من هذا السؤال ، سئل سؤالاً آخر : هل شكر اللّه تعالى عليه ، فاستعان به على طاعته أم لا ؟
فالأول سؤال عن سبب استخراجه .
والثاني : عن محل صرفه . كما في «جامع الترمذي» من حديث عطاء بن أبي رباح عن ابن عمر عن النبي ﷺ قال : «**لا تزول قدما ابن آدم يوم القيامة من عند ربه حتى يسأل عن خمس : عن عمره : فيما أفناه ؟ وعن شبابه : فيما أبلاه ؟ وعن ماله : من أين اكتسبه ، وفيما أنفقه ؟ وفيما ذا عمل فيما علم ؟**» .
وفيه أيضًا : عن أبي برزة قال : قال رسول اللّه ﷺ : «**لا تزول قدما عبد يوم القيامة حتى يسأل عن عمره : فيما أفناه ؟ وعن علمه : فيما عمل فيه ؟ وعن ماله : من أين اكتسبه وفيما أبلاه ؟**» وقال : هذا حديث صحيح .
وفيه أيضًا : من حديث أبي هريرة قال : قال رسول اللّه ﷺ : «**إن أول ما يسأل عنه العبد يوم القيامة ـ يعني من النعيم ـ أن يقال له : ألم نُصِحَّ جسمك ؟ ونرويك من الماء البارد ؟**» .
وفيه أيضًا : من حديث الزبير بن العوام رضي اللّه عنه قال : لما نزلت ﴿لَتُسْأَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ﴾ [التكاثر : ٨] قال الزبير : يا رسول اللّه ، فأي النعيم نسأل عنه ، وإنما هو الأسودان : التمر والماء ؟ قال : «**أما إنه سيكون**» وقال : هذا حديث حسن .

. . . .

= وعن أبي هريرة نحوه . وقال : إنما هو الأسودان : العدو حاضر ، وسيوفنا على عواتقنا . فقال : **«إن ذلك سيكون»** .

وقوله ﷺ : **«إن ذلك سيكون»** إما أن يكون المراد به : أن النعيم سيكون ويحدث لكم ، وإما أن يرجع إلى السؤال ، أي : إن السؤال يقع عن ذلك ، وإن كان تمرًا وماء ، فإنه من النعيم .

ويدل عليه : قوله ﷺ في الحديث الصحيح ـ وقد أكلوا معه رُطبًا ولحمًا ، وشربوا من الماء البارد ـ **«هذا من النعيم الذي تسألون عنه يوم القيامة»** فهذا سؤال عن شكره والقيام بحقه .

وفي الترمذي من حديث أنس عن النبي ﷺ قال : **«يجاء بالعبد يوم القيامة ، كأنه بِذْج فيوقف بين يدي اللَّه تعالى ، فيقول اللَّه : أعطيتك وخَوَّلتك ، وأنعمت عليك ، فماذا صنعت ؟ فيقول: يارب جمعته ، وثمرته ، فتركته أوفر ما كان ، فارجعني آتيك به . فإذا أعيد لم يقدم خيرًا ، فيمضى به إلى النار»** .

وفيه من حديث أبي سعيد وأبي هريرة رضي اللَّه عنهما قالا : قال رسول اللَّه ﷺ : **«يؤتى بالعبد يوم القيامة ، فيقول اللَّه : ألم أجعل لك سمعًا وبصرًا ومالاً ، وولدًا ، وسخرت لك الأنعام والحرث ، وتركتك ترأس وترتع ، أفكنت تظن أنك ملاق يومك هذا ؟ فيقول : لا . فيقول له : اليوم أنساك كما نسيتني»** وقال : هذا حديث صحيح .

• وقبل هذا الكلام نقل ابن القيم رحمه اللَّه تعالى كلامًا فيما يجدر بنا ذكره فقال رحمه اللَّه ص ٥١٤ :

ثم توعد سبحانه من ألهاه التكاثر وعيدًا مؤكدًا ، إذا عاين تكاثره قد ذهب هباء منثورًا ، وعلم أن دنياه التي كاثر بها إنما كانت خدعًا وغرورًا ، فوجد عاقبة تكاثره عليه لا له ، وخسر هنالك تكاثره . كما خسره أمثاله . وبدا له من اللَّه ما لم يكن في حسابه ، وصار تكاثره الذي شغله عن اللَّه والدار الآخرة من أعظم أسباب عذابه ، فعذب بتكاثره في دنياه ، ثم عذب به في البرزخ ، ثم يعذب به يوم القيامة . فكان أشقى الناس بتكاثره . إذ أفاد منه العطب ، دون الغنيمة والسلامة . فلم يفز من تكاثره إلا بأن صار من الأقلين ، ولم يحظ من علوه به في الدنيا إلا بأن حصل مع الأسفلين .

فياللَّه تكاثرًا ما أثقله وزرًا ، وما أجلبه من غنًى جالبًا لكل فقر ، وخيرًا توصل به إلى كل شر، يقول صاحبه إذا انكشف عنه غطاؤه : يا ليتني قدمت لحياتي ، وعملت فيه بطاعة اللَّه =

. . . .

= قبل وفاتي ﴿رَبِّ ارْجِعُونِ ۝٩٩ لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ﴾ [المؤمنون: ٩٩، ١٠٠] فقيل له: ﴿كَلَّا إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا﴾ تلك كلمته يقولها. فلا يعول عليها. ورجعته يسألها، فلا يجاب إليها.

وتأمل قوله أولاً: ﴿رَبِّ﴾ استغاث بربه، ثم التفت إلى الملائكة الذين أمروا بإحضاره بين يدي ربه تبارك وتعالى، وقال: ﴿ارْجِعُونِ﴾ ثم ذكر سبب سؤال الرجعة. وهو أن يستقبل العمل الصالح فيما ترك خلفه من ماله وجاهه وسلطانه وقوته وأسبابه، فيقال له: ﴿كَلَّا﴾ لا سبيل لك إلى الرجعة، وقد عُمِّرت ما يتذكر فيه من تذكر.

ولما كان شأن الكريم الرحيم أن يجيب من استقاله، وأن يفسح له في المهلة ليتذكر ما فاته - أخبر سبحانه أن سؤال هذا المفرط الرجعة كلمة: هو قائلها، لا حقيقة تحتها، وأن سجيته وطبيعته تأبى أن تعمل صالحًا. لو أجيب. وإنما ذلك شيء يقوله بلسانه، وإنه لو رُدَّ لعاد لما نهي عنه، وإنه من الكاذبين.

فحكمة أحكم الحاكمين، وعزته وعلمه وحمده، يأبى إجابته إلى ما سأل. فإنه لا فائدة من ذلك. ولو رد لكانت حاله الثانية مثل حاله الأولى، كما قال تعالى: ﴿وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ وُقِفُوا عَلَى النَّارِ فَقَالُوا يَا لَيْتَنَا نُرَدُّ وَلَا نُكَذِّبَ بِآيَاتِ رَبِّنَا وَنَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ۝٢٧ بَلْ بَدَا لَهُم مَّا كَانُوا يُخْفُونَ مِن قَبْلُ وَلَوْ رُدُّوا لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ﴾ [الأنعام: ٢٧، ٢٨].

وقوله: ﴿كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ الْيَقِينِ﴾ [التكاثر: ٥] جوابه محذوف، دل عليه ما تقدم، أي: لما ألهاكم التكاثر، وإنما وجد هذا التكاثر وإلهاؤه عما هو أولى بكم لَمَّا فُقد منكم علم اليقين، وهو العلم الذي يصل به صاحبه إلى حد الضروريات، التي لا يشك ولا يماري في صحتها وثبوتها. ولو وصلت حقيقة هذا العلم إلى القلب وباشرته لما ألهاه شيء عن موجبه، ولترتب أثره عليه. فإن مجرد العلم بقبح الشيء وسوء عواقبه قد لا يكفي في تركه. فإذا صار له علم اليقين كان اقتضاء هذا العلم لتركه أشد. فإذا صار عين يقين، كجملة المشاهدات، كان تخلُّف موجبه عنه أندر شيء.

وفي هذا المعنى قال حسان بن ثابت رضي اللَّه عنه في أهل بدر:

سرنا، وساروا إلى بدر، لحتفهم .:. لو يعلمون يقين العلم ما ساروا

س ـ اذكر بمزيد إيضاح المراد بـ ﴿عِلْمَ الْيَقِينِ﴾ [التكاثر: ٥] ﴿عَيْنَ الْيَقِينِ﴾ [التكاثر: ٧] ؟

ج : أوجز القول في ذلك عطية سالم حفظه اللّه في «تتمته لأضواء البيان» بقوله : وقد قدمنا مراتب العلم الثلاث : علم اليقين ، وعين اليقين ، وحق اليقين .

فالعلم : ما كان من دلائل .

وعين اليقين : ما كان من مشاهدة .

وحق اليقين : ما كان عن ملابسة ومخالطة ، كما يحصل العلم بالكعبة، وجهتها فهو علم اليقين ، فإذا رآها فهو عين اليقين بوجودها. فإذا دخلها وكان في جوفها فهو حق اليقين بوجودها . واللّه تعالى أعلم.

* * *

س ـ اذكر بمزيد من الإيضاح معنى قوله تعالى : ﴿لَتَرَوُنَّ الْجَحِيمَ (٦) ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيْنَ الْيَقِينِ﴾ [التكاثر: ٦، ٧] ، ولماذا كرر ذكر الرؤية ؟

ج : كرر للتأكيد على أن الرؤية واقعة ، وكرر للتهديد ، وثم أوجه أخر .

قال صديق حسن خان في «فتح البيان» :

وقوله: ﴿لَتَرَوُنَّ الْجَحِيمَ﴾ [التكاثر: ٦] جواب قسم محذوف ، وفيه

زيادة وعيد وتهديد أي واللَّه لترون الجحيم في الآخرة ، قال الرازي : وليس هذا جواب لو لأن جواب لو يكون منفيًّا وهذا مثبت ، ولأنه عطف عليه ﴿ثُمَّ لَتُسْأَلُنَّ﴾ وهو مستقبل لابد من وقوعه ، قال وحذف جواب ﴿لو﴾ كثير ، والخطاب لكفار ، وقيل عام كقوله : ﴿وَإِن مِّنكُمْ إِلاَّ وَارِدُهَا﴾ [مريم: ٧١] .

قرأ الجمهور لترون بفتح التاء مبنيًّا للفاعل وقرئ بضمها مبنيًا للمفعول ، والرؤية هنا بصرية فلذلك تعدت إلى مفعول واحد .

ثم كرر الوعيد والتهديد للتأكيد فقال : ﴿ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيْنَ الْيَقِينِ﴾ [التكاثر: ٧] أي : ثم لترون الجحيم الرؤية التي هي نفس اليقين ، وهي المشاهدة والمعاينة ، وقيل : المعنى : لترون الجحيم بأبصاركم على البعد منكم ثم لترونها مشاهدة على القرب ، وقيل : المراد بالأول رؤيتها قبل دخولها ، وبالثاني رؤيتها حال دخولها ، وقيل: هو إخبار عن دوام بقائهم في النار أي : هي رؤية دائمة متصلة ، وقيل: المعنى : لو تعلمون اليوم علم اليقين وأنتم في الدنيا لترون الجحيم بعيون قلوبكم ، وهو أن تتصوروا أمر القيامة وأهوالها .

قال الرازي رحمه اللَّه تعالى :

في تكرار الرؤية وجوه : أحدها : أنه لتأكيد الوعيد أيضًا لعل القوم كانوا يكرهون سماع الوعيد فكرر لذلك ، ونون التأكيد تقتضي كون تلك الرؤية اضطرارية ، يعني لو خليتم ورأيكم ما رأيتموها لكنكم تحملون على رؤيتها شئتم أم أبيتم . وثانيها : أن أولهما الرؤية من

البعيد ﴿إِذَا رَأَتْهُم مِّن مَّكَانٍ بَعِيدٍ سَمِعُوا لَهَا تَغَيُّظًا﴾ [الفرقان: ١٢] وقوله : ﴿وَبُرِّزَتِ الْجَحِيمُ لِمَن يَرَىٰ﴾ [النازعات: ٣٦] ، والرؤية الثانية إذا صاروا إلىٰ شفير النار. **وثالثها** : أن الرؤية الأولىٰ عند الورود ، والثانية عند الدخول فيها ، وقيل : هذا التفسير ليس بحسن لأنه قال : ﴿ثُمَّ لَتُسْأَلُنَّ﴾ [التكاثر: ٨] والسؤال يكون قبل الدخول . **ورابعها** : الرؤية الأولىٰ الوعد ، والثانية المشاهدة . **وخامسها** : أن يكون المراد لترون الجحيم غير مرة فيكون ذكر الرؤية مرتين عبارة عن تتابع الرؤية واتصالها لأنهم مخلدون في الجحيم فكأنه قيل لهم ، علىٰ جهة الوعيد: لئن كنتم اليوم شاكِّين فيها غير مصدقين بها فسترونها رؤية دائمة متصلة فتزول عنكم الشكوك ، وهو كقولهِ : ﴿مَّا تَرَىٰ فِي خَلْقِ الرَّحْمَٰنِ مِن تَفَاوُتٍ ـ إلىٰ قوله ـ ثُمَّ ارْجِعِ الْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ﴾ [الملك: ٣، ٤] بمعنىٰ لو أعدت النظر فيها ما شئت لم تجد فطورًا ولم يرد مرتين فقط ، فكذا ههنا ، إن قيل : ما فائدة تخصيص الرؤية الثانية باليقين ؟ قلنا : لأنهم في المرة الأولىٰ رأوا لهبًا لا غير ، وفي المرة الثانية رأوا نفس الحفرة وكيفية السقوط فيها وما فيها من الحيوانات المؤذية ، ولا شك أن هذه الرؤية أجلىٰ ، والحكمة في النقل من العلم الأخفىٰ إلىٰ الأجلىٰ التقريع علىٰ ترك النظر لأنهم كانوا يقتصرون علىٰ الظن ولا يطلبون الزيادة .

* * *

س ـ من هم الذين سيرون الجحيم ؟

ج : قيل : هم الكفار ، بدليل قوله تعالىٰ : ﴿أَلْهَاكُمُ التَّكَاثُرُ﴾

[التكاثر: ١] وقيل : عموم الخلق (المؤمنون والكفار) لقوله تعالىٰ : ﴿ وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا ﴿٧١﴾ ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوا وَّنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا ﴾ [مريم: ٧١، ٧٢] فهي للكفار مقر ، وللمؤمنين ممر ، واللَّه أعلم .

* * *

س ـ من هم الذين سيُسألون عن النعيم ؟

ج : قال بعض أهل العلم : إن الذين يُسألون عن النعيم هم الكفار ، بدليل قوله تعالىٰ : ﴿ أَلْهَاكُمُ التَّكَاثُرُ ﴾ [التكاثر: ١] .

وقال آخرون: إن عموم الخلق سيُسألون عن النعيم[1] بدليل ما أخرجه مسلم من حديث أبي هريرة رضي اللَّه عنه. . . وفيه أن النبي ﷺ قال لأبي بكر وعمر: «والذي نفسي بيده لتسألن عن هذا النعيم يوم القيامة» .

وانتصر ابن القيم رحمه اللَّه تعالىٰ لهذا القول الأخير بشدة فقال رحمه اللَّه :

فكل أحد يُسأل عن نعيمه الذي كان فيه في الدنيا هل ناله من حلاله ووجهه أم لا ؟ فإذا تخلص من هذا السؤال سئل سؤالاً آخر: هل شكر اللَّه تعالىٰ عليه فاستعان به علىٰ طاعته أم لا؟ . . ثم قال رحمه اللَّه : وقد زعم طائفة من المفسرين : أن هذا الخطاب خاص بالكفار ، وأنهم هم المسئولون عن النعيم . وذكروا ذلك عن الحسن ومقاتل . واختار

---

(١) نقل القرطبي عن القشيري قوله : والجمع بين الأخبار أن الكل يُسألون ، ولكن سؤال الكفار توبيخ لأنه قد ترك الشكر ، وسؤال المؤمن سؤال تشريف .

الواحدي ذلك . واحتج بحديث أبي بكر لما نزلت هذه الآية ، قال رسول اللَّه ﷺ: أرأيت أكلة أكلتها معك ببيت أبي الهيثم بن التيهان من خبز شعير ولحم، وبسر قد ذَنَّب، وماء عذب أتخاف علينا أن يكون هذا من النعيم الذي نسأل عنه؟ فقال رسول اللَّه ﷺ: «**إنما ذلك للكفار**» ، ثم قرأ : ﴿**ذَلِكَ جَزَيْنَاهُم بِمَا كَفَرُوا وَهَلْ نُجَازِي إِلاَّ الْكَفُور**﴾ [سبأ: ١٧] .

وقال الواحدي : والظاهر يشهد بهذا القول . لأن السورة كلها خطاب للمشركين وتهديد لهم . والمعنى أيضًا يشهد بهذا القول ، وهو أن الكفار لم يؤدوا حق النعيم عليهم ، حيث أشركوا بربهم وعبدوا غيره، فاستحقوا أن يسألوا عما أنعم به عليهم ، توبيخًا لهم ، هل قاموا بالواجب فيه ، أم ضيعوا حق النعمة ؟ ثم يعذبون على ترك الشكر بتوحيد المنعم .

قال : وهذا معنى قول مقاتل ، وهو قول الحسن . قال : لا يسأل عن النعيم إلا أهل النار .

قلت : ليس في اللفظ ولا في السنة الصحيحة ، ولا في أدلة العقل ما يقتضي اختصاص الخطاب بالكفار ، بل ظاهر اللفظ ، وصريح السنة والاعتبار : يدل على عموم الخطاب لكل من اتصف بأنه ألهاه التكاثر . فلا وجه لتخصيص الخطاب ببعض المتصفين بذلك .

ويدل على ذلك : قول النبي ﷺ عند قراءة هذه السورة : «**يقول ابن آدم : مالي مالي ، وهل لك من مالك إلا ما أكلت فأفنيت ؟ أو لبست فأبليت**» ـ الحديث وهو في «صحيح مسلم» . وقائل ذلك قد يكون

مسلمًا. وقد يكون كافرًا .

ويدل عليه أيضًا : الأحاديث التي تقدمت ، وسؤال الصحابة النبي ﷺ ، وفهمهم العموم ، حتى قالوا له : وأي نعيم نسأل عنه ، وإنما هو الأسودان، فلو كان الخطاب مختصًا بالكفار لبين لهم ذلك. وقال: مالكم ولها ؟ إنما هي للكفار . فالصحابة فهموا العموم ، والأحاديث صريحة في التعميم . والذي أنزل عليه القرآن أقرهم على فهم العموم .

وأما حديث أبي بكر الذي احتج به أرباب هذا القول . فحديث لا يصح . والحديث الصحيح في تلك القصة يشهد ببطلانه . ونحن نسوقه بلفظه .

ففي «صحيح مسلم» عن أبي هريرة رضي اللَّه عنه قال : خرج رسول اللَّه ﷺ ذات يوم أو ليلة . فإذا هو بأبي بكر وعمر ، فقال : «**ما أخرجكما من بيوتكما في هذه الساعة ؟** » قالا : الجوع، يا رسول اللَّه. قال : «**وأنا والذي نفسي بيده ، لأخرجني الذي أخرجكما ، قوما**» ، فقاما معه . فأتى رجلاً من الأنصار ، فإذا هو ليس في بيته . فلما رأته امرأته قالت : مرحبًا وأهلاً . فقال لها رسول اللَّه ﷺ : «**أين فلان؟**» قالت : ذهب ليستعذب لنا من الماء ، إذ جاء الأنصاري ، فنظر إلى رسول اللَّه ﷺ وصاحبيه ، فقال : الحمد للَّه ما أجد اليوم أكرم أضيافًا مني . قال: فانطلق فجاءهم بعِذْق فيه بُسْر وتمر ورطب فقال : كلوا من هذا. فأخذ المدية ، فقال له رسول اللَّه ﷺ : «**إياك والحلوبة**» . فذبح لهم، فأكلوا من الشاة ، ومن ذلك العذق ، وشربوا . فلما أن شبعوا ورووا

قال رسول اللَّه ﷺ لأبي بكر وعمر : «**والذي نفسي بيديه لتسألن عن هذا النعيم يوم القيامة . أخرجكم من بيوتكم الجوع ، ثم لم ترجعوا حتّىٰ أصبتم هذا النعيم**» .

فهذا الحديث الصحيح صريح في تعميم الخطاب ، وأنه غير مختص بالكفار .

وأيضًا فالواقع يشهد بعدم اختصاصه ، وأن الإلهاء بالتكاثر واقع بين المسلمين كثيرًا ، بل أكثرهم قد ألهاه التكاثر . وخطاب القرآن عام لمن بلغه ، وإن كان أول من دخل فيه المعاصرون لرسول اللَّه ﷺ ، فهو متناول لمن بعدهم . وهذا معلوم بضرورة الدين ، وإن نازع فيه من لا يعتد بقوله من المتأخرين .

فنحن اليوم ومن قبلنا ومن بعدنا داخلون تحت قوله تعالىٰ : ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ** ﴾ [البقرة: ١٨٣] ونظائره ، كما دخل تحته الصحابة بالضرورة المعلومة من الدين .

فقوله : ﴿ **أَلْهَاكُمُ التَّكَاثُرُ** ﴾ [التكاثر: ١] خطاب لكل من اتصف بهـذا الوصف . وهـم في الإلهاء والتكاثر درجات لا يحصيها إلا اللَّه .

فإن قيل : فالمؤمنون لم يلههم التكاثر . ولهذا لم يدخلوا في الوعيد المذكور لمن ألهاه .

قيل: هذا هو الذي أوجب لأرباب هذا القول تخصيصه بالكفار ،

لأنه لم يمكنهم حمله على العموم ، ورأوا أن الكفار أحق بالوعيد ، فخصوهم به .

وجواب هذا : أن الخطاب للإنسان كقوله : ﴿وَكَانَ الإنسَانُ عَجُولاً﴾ [الإسراء: ١١] ﴿وَكَانَ الإنسَانُ كَفُوراً﴾ [الإسراء: ٦٧] ﴿إِنَّ الإنسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنُودٌ﴾ [العاديات: ٦] ﴿وَحَمَلَهَا الإنسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُوماً جَهُولاً﴾ [الأحزاب: ٧٢] ﴿إِنَّ الإنسَانَ لَكَفُورٌ﴾ [الحج: ٦٦] ونظائره كثيرة .

فالإنسان من حيث هو عار عن كل خير من العلم النافع ، والعمل الصالح ، وإنما اللَّه سبحانه هو الذي يكمله بذلك ، ويعطيه إياه . وليس له ذلك من نفسه . بل ليس له من نفسه إلا الجهل المضاد للعلم، والظلم المضاد للعدل ، وكل علم وعدل وخير فيه فمن ربه ، لا من نفسه . فإلهاء التكاثر طبيعته وسجيته ، التي هي له من نفسه . ولا خروج له عن ذلك إلا بتزكية اللَّه له ، وجعله مريدًا للآخرة ، مؤثرًا لها على التكاثر بالدنيا . فإن أعطاه ذلك وإلا فهو ملتهٍ بالتكاثر في الدنيا ولابد .

أما احتجاجهم بالوعيد على اختصاص الخطاب بالكفار . فيقال :

الوعيد المذكور مشترك ، وهو العلم عند معاينة الآخرة . فهذا أمر يحصل لكل أحد ، لم يكن حاصلاً له في الدنيا . وليس في قوله : ﴿سَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ [التكاثر: ٣] ما يقتضي دخول النار ، فضلاً عن التخليد فيها . وكذلك رؤية الجحيم لا يستلزم دخولها لكل من رآها . فإن أهل

الموقف يرونها ، ويشاهدونها عيانًا. وقد أقسم الرب تبارك وتعالى أن لابد أن يراها الخلق كلهم مؤمنهم وكافرهم ، وبرهم وفاجرهم ﴿ وَإِن مِّنكُمْ إِلاَّ وَارِدُهَا كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا ﴾ [مريم: ٧١] .

فليس في جملة هذه السورة ما ينفي عموم خطابها .

وأما ما ذكروه عن الحسن : لا يسأل عن النعيم إلا أهل النار . فباطل قطعًا . إما عليه وإما منه . والأحاديث الصحيحة الصريحة ترده. وبالله التوفيق .

ولا يخفى أن مثل هذه السورة مع عظم شأنها وشدة تخويفها ، وما تضمنته من تحذير الإنسان عن التكاثر الملهي ، وانطباق معناها على أكثر الخلق يأبى اختصاصها من أولها إلى آخرها بالكفار ، ولا يليق ذلك بها . ويكفي في ذلك تأمل الأحاديث المرفوعة فيها . والله أعلم .

وتأمل ما في هذا العتاب الراجع لمن استمر على إلهاء التكاثر له مدة حياته كلها ، إلى أن زار القبور ، ولم يستيقظ من نوم الإلهاء ، بل أرقد التكاثر قلبه فلم يستفق منه إلا وهو في عسكر الأموات .

وطابق بين هذا وبين حال أكثر الخلق يتعين لك أن العموم مقصود.

وتأمل تعليقه سبحانه الذم والوعيد على مطلق التكاثر من غير تقييد

بمتكاثر به ، ليدخل فيه التكاثر بجميع أسباب الدنيا ، على اختلاف أجناسها وأنواعها .

وأيضًا فإن التكاثر تفاعل ، وهو طلب كل من المتكاثرين أن يكاثر صاحبه . فيكون أكثر منه فيما يتكاثره به . والحامل له على ذلك: توهمه أن العزة للكاثر كما قيل :

ولست بالأكثر منهم غِنًى ∴ وإنما العزة للكاثر

فلو حصلت له الكثرة من غير تكاثر لم تضره ، كما كانت الكثرة حاصلة لجماعة من الصحابة ، ولم تضرهم . إذ لم يتكاثروا بها . وكل من كاثر إنسانًا في دنياه ، أو جاهه ، أو غير ذلك ، أشغلته مكاثرته عن مكاثرة أهل الآخرة . فالنفوس الشريفة العلوية ذات الهمم العالية إنما تكاثر بما يدوم عليها نفعه ، وتكمل به وتزكو ، وتصير مفلحة : فلا تحب أن يكثرها غيرها في ذلك ، وينافسها في هذه المكاثرة ، ويسابقها إليها . فهذا هو التكاثر الذي هو غاية سعادة العبد.

وضده : تكاثر أهل الدنيا بأسباب دنياهم. فهذا تكاثر مُلهٍ عن اللَّه وعن الدار الآخرة . وهو جارٌ إلى غاية القلة .

فعاقبة هذا التكاثر : قُلٌّ وفقر وحرمان .

والتكاثر بأسباب السعادة الأخروية تكاثر لا يزال يذكر باللَّه وبنعمه وعاقبته الكثرة الدائمة التي لا تزول ولا تفنى . وصاحب هذا التكاثر لا

يهون عليه أن يرىٰ غيره أفضل منه قولاً ، وأحسن منه عملاً ، وأغزر منه علمًا . وإذا رأىٰ غيره أكثر منه في خصلة من خصال الخير يعجز عن لحوقه فيها كاثره بخصلة أخرىٰ ، وهو قادر علىٰ المكاثرة بها . وليس هذا التكاثر مذمومًا ، ولا قادحًا في إخلاص العبد ، بل هو حقيقة المنافسة ، واستباق الخيرات .

وقد كانت هذه حال الأوس مع الخزرج رضي اللَّه عنهم في تصاولهم بين يدي رسول اللَّه ﷺ ، ومكاثرة بعضهم لبعض في أسباب مرضاته ونصره وكذلك كانت حال عمر مع أبي بكر رضي اللَّه عنهما . فلما تبين لعمر مدىٰ سبق أبي بكر له قال : «واللَّه لا أسابقك إلىٰ شيء أبدًا» .

* * *

س ـ ما هو النعيم المذكور في قوله تعالىٰ : ﴿ثُمَّ لَتُسْأَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ﴾ [التكاثر : ٨] ؟

ج : يُسأل العبد يوم القيامة عن عموم النعم التي أنعم اللَّه بها عليه .

- فيُسأل عن نعمة الطعام والشراب كما ورد في حديث رسول اللَّه ﷺ مع أبي بكر وعمر .
- ويسأل عن الصحة كما قال تعالىٰ : ﴿إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَٰئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولاً﴾ [الإسراء: ٣٦] وكما قال عليه الصلاة

والسلام : **«نعمتان مغبون فيهما كثير من الناس الصحة والفراغ»** .

● ويسأل عن نعمة الأمن كما قال تعالى : ﴿**فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ ۝ الَّذِي أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ وَآمَنَهُم مِّنْ خَوْفٍ**﴾ [قريش: ٣ ، ٤] ، وكما قال سبحانه : ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ هَمَّ قَوْمٌ أَن يَبْسُطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ فَكَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنكُمْ ..**﴾ [المائدة: ١١] .

● ويُسأل عن نعمة المال والجاه والسلطان والزوجات والولدان والعمران .

● ويُسأل عن سائر النعم كنعمة العلم ونعمة العقل وعموم النعم ، وقد ذكر القرطبي عشرة أقوال في هذا الباب، واختار القول بأن المسئول عنه عموم النعم ، قال : لأن اللفظ يعم ، والله أعلم .

* * *

س ـ أين يكون السؤال عن النعيم ؟

ج : **أجاب على ذلك الرازي رحمه الله تعالى بقوله :**

المسألة الثالثة : اختلفوا في أن هذا السؤال أن يكون ؟

فالقول الأول : أن هذا السؤال إنما يكون في موقف الحساب ، فإن قيل : هذا لا يستقيم ، لأنه تعالى أخبر أن هذا السؤال متأخر عن مشاهدة جهنم بقوله : ﴿**ثُمَّ لَتُسْأَلُنَّ**﴾ [التكاثر: ٨] وموقف السؤال متقدم على مشاهدة جهنم ؟ قلنا : المراد من قوله : ﴿**ثُمَّ**﴾ أي : ثم أخبركم أنكم تسألون يوم القيامة ، وهو كقوله : ﴿**فَكُّ رَقَبَةٍ ۝ أَوْ إِطْعَامٌ فِي**

يَوْمٍ ذِي مَسْغَبَةٍ﴾ إلى قوله : ﴿ثُمَّ كَانَ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا﴾ [البلد: ١٣ - ١٧].

القول الثاني : أنهم إذا دخلوا النار سئلوا عن النعيم توبيخًا لهم ، كما قال : ﴿كُلَّمَا أُلْقِيَ فِيهَا فَوْجٌ سَأَلَهُمْ خَزَنَتُهَا﴾ [الملك: ٨] وقال: ﴿مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرَ﴾ [المدثر: ٤٢] ولا شك أن مجيء الرسول نعمة من اللَّه ، فقد سئلوا عنه بعد دخولهم النار ، أو يقال : إنهم إذا صاروا في الجحيم وشاهدوها ، يقال لهم : إنما حل بكم هذا العذاب لأنكم في دار الدنيا اشتغلتم بالنعيم عن العمل الذي ينجيكم من هذه النار ، ولو صرفتم عمركم إلى طاعة ربكم لكنتم اليوم من أهل النجاة الفائزين بالدرجات ، فيكون ذلك من الملائكة سؤالاً عن نعيمهم في الدنيا ، واللَّه سبحانه وتعالى أعلم ، وصلى اللَّه على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .



سُورَةُ العَصْرِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

وَالْعَصْرِ ﴿١﴾ إِنَّ الْإِنسَانَ لَفِي خُسْرٍ ﴿٢﴾ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ ﴿٣﴾

س ـ وضح معنى ما يلي :

العصر ـ خسر ـ تواصوا ؟

ج :

الكلمة	معناها
العصر	الدهر (الزمان الذي تقع فيه حركات بني آدم) ـ عمر ابن آدم ـ وقت العصر ـ صلاة العصر ـ وقت العشي[1]
خسر	هلكة ونقصان[2]
تواصوا	أوصى بعضهم بعضًا

* * *

(١) واختار الطبري القول بالتعميم ، أي : أن كل ما ذكر يدخل فيما أقسم اللّه به .

(٢) نقل القرطبي عن إبراهيم قوله : إن الإنسان إذا عُمِّر في الدنيا وهرم لفي نقص وضعف =

س ـ اذكر بشيء من التوسع بعض أقوال العلماء في تفسير العصر ؟ وما هو وجه القسم بالعصر ؟

ج : لأهل العلم أقوال في المراد بالعصر تتلخص في الآتي:

الأول : أن المراد بالعصر : اسم للزمن كله .

الثاني : أن المراد بالعصر : الليل والنهار .

الثالث : أن المراد بالعصر : عمر الإنسان .

الرابع : أن المراد بالعصر : الغداة والعشي

الخامس : أن المراد بالعصر : وقت العصر (أي : وقت صلاة العصر) .

السادس : أن المراد بالعصر : صلاة العصر ، لكونها الصلاة الوسطى عند جمهور العلماء .

السابع : أن المراد بالعصر : عصر النبي ﷺ .

= وتراجع إلا المؤمنين ، فإنهم تكتب لهم أجورهم التي كانوا يعملونها في حال شبابهم ، نظيره قوله تعالى : ﴿ لَقَدْ خَلَقْنَا الإِنسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ۝٤ ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ ﴾ [التين: ٤، ٥] .

كذا قال إبراهيم رحمه الله .

والصواب : أن الأمر أعم مما ذُكر ، فمن معاني الخسران دخول النار يوم القيامة والعياذ بالله .

الثامن : أن العصر : ما بعد زوال الشمس إلى غروبها .

التاسع : أن المراد : العموم ، فكل ما ذكر يدخل في العصر الذي أقسم اللَّه به .

• **قال الطبري رحمه اللَّه** : والصواب من القول في ذلك: أن يقال: إن ربنا أقسم بالعصر ، والعصر اسم للدهر ، وهو العشي والليل والنهار ولم يخصص مما شمله هذا الاسم معنى دون معنى ، فكل ما لزمه هذا الاسم فداخل فيما أقسم به جل ثناؤه .

• **أما وجه القسم بالعصر** ، فعلى قول من قال إنه الزمن كله أو جزءٍ منه فلما في الدهر من الأعاجيب لأنه يحصل فيه السراء والضراء والصحة والسقم والغنى والفقر .

• وأن اللَّه عز وجل أقسم بالعصر كما أقسم بالضحى لما فيهما من دلائل القدرة .

• **قال الرازي في بيان سبب القسم بالعصر** :

والسبب فيه وجوه : **أحدها** : أنه أقسم تعالى بالعصر كما أقسم بالضحى لما فيهما جميعًا من دلائل القدرة فإن كل بكرة كأنها القيامة يخرجون من القبور وتصير الأموات أحياء وتقام الموازين وكل عشية تشبه تخريب الدنيا بالصعق والموت ، وكل واحد من هاتين الحالتين شاهد عدل ، ثم إذا لم يحكم الحاكم عقيب الشاهدين عد خاسرًا ،

فكذا الإنسان الغافل عنهما في خسر . **وثانيها** : قال الحسن رحمه اللَّه . إنما أقسم بهذا الوقت تنبيهًا علىٰ أن الأسواق قد دنا وقت انقطاعها وانتهاء التجارة والكسب فيها ، فإذا لم تكتسب ودخلت الدار وطاف العيال عليك يسألك كل أحد ما هو حقه فحينئذ تخجل فتكون من الخاسرين ، فكذا نقول : والعصر ، أي : عصر الدنيا قد دنت القيامة و[أنت] بعد لم تستعد وتعلم أنك تسأل غدًا عن النعيم الذي كنت فيه في دنياك، وتسأل في معاملتك مع الخلق وكل أحد من المظلومين يدعي ما عليك فإذا أنت خاسر ، ونظيره : ﴿**اقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ مُّعْرِضُونَ**﴾ [الأنبياء: ١] . **وثالثها** : أن هذا الوقت معظم ، والدليل عليه قوله عليه السلام : «**من حلف بعد العصر كاذبًا لا يكلمه اللَّه ولا ينظر إليه يوم القيامة**» ، فكما أقسم في حق الرابح بالضحىٰ ، فكذا أقسم في حق الخاسر بالعصر ، وذلك لأنه أقسم بالضحىٰ في حق الرابح وبشر الرسول أن أمره إلىٰ الإقبال ، وههنا في حق الخاسر توعده أن أمره إلىٰ الإدبار ، ثم كأنه يقول بعض النهار باقٍ فيحثه علىٰ التدارك في البقية بالتوبة ، وعن بعض السلف : تعلمت معنىٰ السورة في بائع الثلج كان يصيح ويقول : ارحموا من يذوب رأس ماله ، ارحموا من يذوب رأس ماله ، فقلت : هذا معنىٰ ﴿**إِنَّ الإِنسَانَ لَفِي خُسْرٍ**﴾ [العصر: ٢] يمر به العصر فيمضي عمره ولا يكتسب فإذا هو خاسر .

أما وجه القسم عند من قال : إن المراد صلاة العصر فلكونها أفضل الصلوات إذ هي الصلاة الوسطىٰ ، وقد قال فيها النبي ﷺ :

«الذي تفوته صلاة العصر كأنما وُتِرَ أهله وماله» [(١)] وقال عليه الصلاة والسلام : «من ترك صلاة العصر فقد حبط عمله» [(٢)] إلىٰ غير ذلك مما ورد فيها من فضائل والله تعالىٰ أعلم .

* * *

س ـ النجاة معلقة بأربعة أمور مذكورة في سورة العصر وضحها باختصار ؟

ج : هذه الأمور الأربعة هي : الإيمان والعمل الصالح والتواصي بالحق والتواصي بالصبر .

قال الرازي رحمه الله : هذه الآية فيها وعيد شديد وذلك لأنه تعالىٰ حكم بالخسار علىٰ جميع الناس إلا من كان آتيًا بهذه الأشياء الأربعة ، وهي الإيمان والعمل الصالح والتواصي بالحق والتواصي بالصبر ، فدل ذلك علىٰ أن النجاة معلقة بمجموع هذه الأمور ، وأنه كما يلزم المكلف تحصيل ما يخص نفسه فكذلك يلزمه في غيره أمور ، منها : الدعاء إلىٰ الدين ، والنصيحة ، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وأن يحب له ما يحب لنفسه ، ثم كرر التواصي ليضمن الأول الدعاء إلىٰ الله ، والثاني الثبات عليه ، والأول الأمر بالمعروف ، والثاني النهي عن المنكر ، ومنه قوله : ﴿ **وَانْهَ عَنِ الْمُنكَرِ وَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا أَصَابَكَ** ﴾ [لقمان: ١٧] .

---

(١) أخرجه البخاري (٥٥٢) ومسلم (حديث ٦٢٦) من حديث ابن عمر رضي الله عنهما مرفوعًا .

(٢) أخرجه البخاري (٥٥٣) من حديث بريدة رضي الله عنه مرفوعًا .

قال ابن القيم رحمه اللَّه تعالىٰ (في «مفتاح دار السعادة») [1] **: ـ**

قولُه تعالىٰ : **﴿ وَالْعَصْرِ ﴿١﴾ إِنَّ الإِنسَانَ لَفِي خُسْرٍ ﴿٢﴾ إِلاَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ ﴾** [العصر: ١ - ٣]، قال الشافعي رضي اللَّه عنه : لو فكَّرَ النَّاسُ كلُّهم في هذه الشورَةِ لكفَتَهُم .

وبيانُ ذلك أنَّ المراتب أربعٌ ، وباستكمالِها يحصُلُ للشخصِ غايةُ كمالِه :

إحداها : معرفةُ الحقِّ .

الثَّانية : عملُهُ به .

الثَّالثة : تعليمُهُ مَن لا يُحسِنُهُ .

الرَّابعَة : صَبرُهُ علىٰ تعلُّمِه ، والعَملِ به ، وتَعليمِه .

فَذَكَرَ تعالىٰ المراتبَ الأربعَ في هذه السُّورَة ، وأقسَمَ سُبحانهُ في هذه السُّورَةِ بالعَصرِ أنَّ كُلَّ أحدٍ في خُسرٍ ، إلاَّ الَّذينَ آمَنوا وعَملوا الصَّالحاتِ ، وهم الذينَ عَرفوا الحقَّ ، وصدَّقوا به .

فهذه مرتبةٌ .

وعملوا الصَّالحات ، وهم الذين عَمِلوا بما عَلِمُوه من الحقِّ .

فهذه مرتبةٌ أُخرىٰ .

---

(١) «مفتاح دار السعادة» (٢/٢٣٨ ـ ٢٣٩) .

وتَواصَوْا بالحقِّ ؛ وصَّى به بعضُهُم بعضًا ؛ تعليمًا وإرشادًا .

فهذه مرتبةٌ ثالثةٌ .

وتَواصَوْا بالصَّبرِ ؛ صَبَروا على الحقِّ ، ووصَّى بعضُهم بعضًا بالصَّبرِ عليه ، والثَّباتِ .

فهذه مرتبةٌ رابعةٌ .

وهذا نهايَةُ الكمالِ ؛ فإنَّ الكمالَ أنْ يكونَ الشخصُ كاملاً في نفسه، مُكمِّلاً لغيرِه ، وكمالُه بإصلاحِ قُوَّتيه العلميَّةِ والعَمليَّةِ ، فصلاحُ القُوَّةِ العلميَّةِ بالإيمانِ ، وصلاحُ القوَّةِ العَمليَّة بعملِ الصَّالحاتِ ، وتكميلِه غَيرَهُ ، وتعليمِه إيَّاهُ ، وصبرِهِ عليهِ ، وتوصيتِه بالصَّبرِ على العلمِ والعملِ .

فهذه السورَةُ على اختصارِها هي من أجمع سُوَرِ القرآن للخيرِ بحذافيرِه ، والحمدُ للَّهِ الذي جَعلَ كتابَهُ كافيًا عن كلِّ ما سواهُ ، شافيًا من كلِّ داءٍ ، هاديًا إلى كلِّ خيرٍ .

* * *

س ـ لماذا عقب الأمر بالتواصي بالحق بالأمر بالتواصي بالصبر ؟

ج : لأن العمل بالحق والتمسك به يتبعه ابتلاء ، والابتلاء يلزمه صبر ، ومن هذا قول لقمان لابنه : ﴿يَا بُنَيَّ أَقِمِ الصَّلاةَ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنكَرِ وَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا أَصَابَكَ﴾ [لقمان: ١٧] .

س - ما هو وجه تخصيص التواصي بالحق والتواصي بالصبر بعد قوله تعالى : ﴿ إِلاَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ﴾ [العصر : ٣] ؟

ج : تخصيص التواصي بالحق والتواصي بالصبر بالذكر مع أنهما داخلان في العمل الصالح للدلالة على أهميتهما ،وعظيم شأنهما .

قال القاسمي في «محاسن التأويل» :

الرابع : تخصيص التواصي بالحق والصبر ، مع اندارجهما في الأعمال الصالحة ، لإبراز كمال الاعتناء بهما .

قال الإمام : من تلك الأعمال الدعوة إلى الحق والوصية بالصبر. لكنه أراد تخصيص هذين الأمرين بالذكر ، لأنهما حفاظ كل خير ورأس كل أمر . والحق هو ما تقرر من حقيقة ثابتة أو شريعة صحيحة. وهو ما أرشد إليه دليل قاطع أو عيان ومشاهدة . فشرط النجاة من الخسران ، أن يعرف الناس الحق ويلزموه أنفسهم ، ويمكّنوه من قلوبهم، ثم يحمل الناس بعضهم بعضًا عليه ، بأن يدعو كلٌّ صاحبَه إلى الاعتقاد بالحقائق الثابتة ، التي لا ينازع فيها العقل ولا يختلف فيها النقل . وأن يبعدوا بأنفسهم وبغيرهم عن الأوهام والخيالات ، التي لا قَرَارَ للنفوس عليها ، ولا دليل يهدي إليها . ولا يكون ذلك إلا بإعمال الفكر وإجادة النظر في الأكوان ، حتى تستطيع النفس دفع ما يرد عليها من باطل الأوهام . وهذا إطلاق العقل من كل قيد ، مع اشتراط التدقيق في النظر . لا الذهاب مع الطيش والانخداع للعادة والوهم . ومن لم يأخذ نفسه بحمل الناس على الحق الصحيح بعد أن يعرفه فهو

من الخاسرين . كما ترىٰ في الآية بالنص الصريح الذي لا يقبل التأويل. والصبر قوة للنفس علىٰ احتمال المشقة في العمل الطيب ، واحتمال المكروه من الحرمان من اللذة ، إن كان في نيلها ما يخالف حقًّا أو ما لا تأذن به الشريعة الصحيحة التي لا اختلاف فيها . واحتمال الآلام إذا عرضت المصائب بدون جزع ولا خروج في دفعها عن حدود الحق والشرع . فشرط النجاة من الخسران أن تصبر ، وأن توصي غيرك بالصبر ، وتحمله علىٰ تكميل قواه بهذه الفضيلة الشريفة ، التي هي أم الفضائل بأسرها ، ولا يمكنك حمله علىٰ ذلك ، حتىٰ تكون بنفسك متحليًا بها . وإلا دخلت فيمن يقول ولا يفعل كما يقول . فلم تكن ممن يعمل الصالحات . انتهىٰ .

❊ ❊ ❊

س ـ علىٰ ماذا الصبر المذكور في قوله تعالىٰ : ﴿ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ ﴾ [العصر: ٣] ؟

ج : الصبر علىٰ العمل بطاعة اللَّه ، والصبر علىٰ نوائب الدهر ، وعلىٰ أقدار اللَّه سبحانه وتعالىٰ ، ومن ذلك أيضًا : الصبر علىٰ أذىٰ من يؤذي من يأمرونه بالمعروف وينهونه عن المنكر .

وقال القاسمي في «محاسن التأويل» :

﴿ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ ﴾ [العصر: ٣] أي : أوصي بعضهم بعضًا بما أنزل اللَّه في كتابه من أمره واجتناب ما نهىٰ عنه من معاصيه **﴿ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ ﴾** [العصر: ٣] أي : علىٰ ما يبلو اللَّه به عباده ، أو علىٰ الحق فإن

الوصول إلى الحق سهل ، وأما البقاء عليه والصبر معه بالاستقامة والجهاد لأجله فذاك الذي يظهر به مصداق الإيمان وحقيقته .

* * *

س ـ هل ثبت أن الصحابة كانوا إذا التقوا وتفرقوا لم يتفرقوا إلا بعد قراءتهم سورة العصر ؟

ج : أخرج الطبراني في «الأوسط»[1] من طريق حماد بن سلمة عن ثابت البناني عن أبي مدينة ، وكانت له صحبة ـ قال : كان الرجلان من أصحاب النبي ﷺ إذا التقيا لم يفترقا حتى يقرأ أحدهما على الآخر : ﴿ وَالْعَصْرِ ۝١ إِنَّ الإِنسَانَ لَفِي خُسْرٍ ﴾ [العصر: ١، ٢] ثم يُسلم أحدهما على الآخر .



(١) أخرجه الطبراني في الأوسط (٥١٢٠) و (٥٠٩٧) والبيهقي في «الشعب» (٩٠٥٧) وقال رواه غيره عن حماد عن ثابت عن عتبة بن عبد الغافر ، فأبدل أبو مدينة بعتبة بن عبد الغافر وأبو مدينة مختلف في صحبته ، وإن أثبت الطبراني أن له صحبة ، وعلى كل حال فإنه يحكي عن الصحابة الذين رآهم فقط ، مع أن في نفسي شيء من هذا الإسناد ، والله أعلم .

سُورَةُ الهُمَزَةِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ ﴿١﴾ الَّذِي جَمَعَ مَالًا وَعَدَّدَهُ ﴿٢﴾ يَحْسَبُ أَنَّ مَالَهُ أَخْلَدَهُ ﴿٣﴾ كَلَّا لَيُنبَذَنَّ فِي الْحُطَمَةِ ﴿٤﴾ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْحُطَمَةُ ﴿٥﴾ نَارُ اللَّهِ الْمُوقَدَةُ ﴿٦﴾ الَّتِي تَطَّلِعُ عَلَى الْأَفْئِدَةِ ﴿٧﴾ إِنَّهَا عَلَيْهِم مُّؤْصَدَةٌ ﴿٨﴾ فِي عَمَدٍ مُّمَدَّدَةٍ ﴿٩﴾

س ـ اذكر معنى هذه الكلمات :

ويلٌ ـ همزة ـ لمزة ـ عدَّده ـ أخلده ـ ينبذن ـ الحطمة ـ تطلع ـ الأفئدة ـ مؤصدة ـ عمد ممددة ؟

ج :

الكلمة	معناها
ويـــلٌ	الويل كلمة عذاب وهلاك أو توعد بالعذاب والهلاك ، وقيل : إن الويل واد في جهنم[1]

---

(١) وقد ورد في أن الويل واد في جهنم أحاديث لا يثبت منها شيء عن النبي ﷺ ، هذا ونورد هنا ما ذكر عطية سالم في «تتمته لأضواء البيان» ، فقد قال رحمه الله :

قوله تعالى : ﴿ وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ ﴾ [الهمزة: ١] .

اختلف في معنى كلمة ويل .

الكلمة	معناها
همــزة	الذي يهمز الناس ويعيبهم بالقول
لمــزة	الذي يلمز الناس ويعيبهم بالفعل

= فقيل : هو واد في جهنم :
وقيل : هي كلمة عذاب وهلاك .
وتقدم للشيخ رحمة اللّه تعالى علينا وعليه ، ذكر هذين المعنيين في سورة الجاثية عند قوله تعالى : ﴿وَيْلٌ لِكُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ﴾ [الجاثية: ٧] ، وبين أنها مصدر لا لفظ له من فعله، وأن المسوغ للابتداء بها مع أنها نكرة كونها في معرض الدعاء عليهم بالهلاك .
وقد استظهر رحمه اللّه تعالى هذا المعنى .
ومما يشهد لما استظهره رحمه اللّه ، ما جاء في حق أصحاب الجنة التي أصبحت كالصريم ، أنهم قالوا عند رؤيتهم إياها : ﴿قَالُوا يَا وَيْلَنَا إِنَّا كُنَّا طَاغِينَ﴾ [القلم: ٣١] فهي كلمة تقال عند نزول المصائب ، وعند التقبيح .
وقال الفخر الرازي : أصل الويل نفثة السخط والذم ، وأصلها وي لفلان ، ثم كثرت في كلامهم فوصلت باللام ، ويقال : ويح بالحآء للترحم . اهـ .
ومما يدل لقول الرازي أيضًا قول قارون : ﴿وَيْكَأَنَّ اللَّهَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ﴾ [القصص: ٨٢] .
ومثله للتعجب في قوله : ﴿قَالَتْ يَا وَيْلَتَىٰ أَأَلِدُ وَأَنَا عَجُوزٌ وَهَٰذَا بَعْلِي شَيْخًا﴾ [هود: ٧٢] .
وقوله : ﴿قَالَ يَا وَيْلَتَىٰ أَعَجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَٰذَا الْغُرَابِ فَأُوَارِيَ سَوْءَةَ أَخِي﴾ [المائدة: ٣١] .
فالظاهر : أنها كلمة تقال عند الشدة والهلكة ، أو شدة التعجب مما يدهش المستبعد .
والذي يشهد له القرآن : هو هذا المعنى ، وسبب الخلاف قد يرجع لمجيئها تارة مطلقة كقوله: ﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ﴾ [المرسلات: ١٥] ، هنا ﴿وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ﴾ [الهمزة: ١] . =

الكلمة	معناها
عـــدَّده	أحصى عدده ولم ينفقه في سبيل الله[١]
أخلـــده	جعله يُخلد في الدنيا ، أي : يعيش بلا موت
ينبـــذن	يقذفن ـ يطرحن ، وكلمة النبذ تفيد التحقير والإهمال والتصغير
الحطـــمة	اسم من أسماء النار[٢]
تطلـــع	يطلع ألمها ووهجها إلى القلوب ـ تصعد
مؤصـــدة	مغلقة ـ مقفلة ـ مطبقة
عمد ممددة	أوتاد الأطباق التي تطبق على أهل النار ، وممددة أي : مطوَّلة

❊ ❊ ❊

= ويجيء مع ذكر ما يتوعد به كقوله : ﴿ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُوا مِنَ النَّارِ ﴾ [ص: ٢٧] ، وقوله : ﴿فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْ عَذَابِ يَوْمٍ أَلِيمٍ﴾ [الزخرف: ٦٥] ، فذكر النار والعذاب الأليم .

وكذلك قوله : ﴿فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُوا مِن مَّشْهَدِ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ [مريم: ٣٧] ، فهي في هذا كله للوعيد الشديد ، مما ذكر معها من النار والعذاب الأليم ومشهد يوم عظيم ، وليست مقصودة بذاتها دون ما ذكر معها ، والعلم عند الله تعالى .

(١) وقيل : عدَّه كل وقتٍ وآخر تحفظًا عليه ، وقيل : عدده أي : كنزه ، وقيل : أعده للحاجة في دنياه متغافلاً عن الآخرة .

(٢) قال بعض العلماء : سميت الحطمة بالحطمة لأنها تحطم كل ما يلقى فيها .

س ـ اذكر بمزيدٍ من الإيضاح معنى قوله تعالى : ﴿هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ﴾ [الهمزة: ١] ؟

ج : قال بعض أهل العلم : إن الهمزة اللمزة الطعان المعياب (أي : الذي يطعن في الناس ويعيبهم) .

وذكر ابن الجوزي في «زاد المسير» جملة أقوال فقال رحمه الله :

قوله [عز وجل] : ﴿وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ﴾ [الهمزة: ١] اختلفوا في الهُمَزَة واللُّمَزَة هل هما بمعنى واحد ، أم مختلفان ؟ على قولين .

أحدهما : أنهما مختلفان . ثم فيهما سبعة أقوال :

أحدها : أن الهُمَزَة : المُغْتَاب ، واللُّمَزَة : العيَّاب ، قاله ابن عباس .

والثاني : أن الهُمَزَة : الذي يهمز الإنسان في وجهه . واللُّمَزَة : يَلْمِزه إذا أدبر عنه ، قاله الحسن ، وعطاء ، وأبو العالية .

والثالث : أن الهُمَزَة : الطعَّان في الناس ، واللُّمَزَة : الطعَّان في أنساب الناس ، قاله مجاهد .

والرابع : أن الهُمَزَة : بالعين ، واللُّمَزَة : باللسان ، قاله قتادة .

والخامس : أن الهُمَزَة : الذي يهمز الناس بيده ويضربهم ، واللُّمَزَة : الذي يَلْمِزهم بلسانه ، قال ابن زيد .

والسادس : أن الهُمَزة : الذي يهمز بلسانه ، واللُّمَزَة : الذي يلمز

بعينه ، قاله سفيان الثوري .

والسابع : أن الهُمَزة : المغتاب ، واللُّمَزة : الطاعن على الإنسان في وجهه ، قاله مقاتل .

والقول الثاني : أن الهُمَزة : العَيَّاب الطعان ، واللُّمَزَة مثله . وأصل الهمز واللمز : الدفع قاله ابن قتيبة ، وكذلك قال الزجاج : الهُمَزَة اللُّمَزَة : الذي يغتاب الناس ويعضههم قال ابن فارس : والعضيهة الكذب والبهتان قال الشاعر :

إذا لَقِيتُكَ عَنْ كُرْهٍ تُكَاشِرُني ∴ وإن تَغَيَّبْتُ كُنْتَ الهَامِزَ اللُّمَزَة

وقال الطبري رحمه اللَّه : (لكل همزة) يقول : لكل مغتاب للناس يغتابهم ويغضبهم كما قال زياد الأعجم :

تُدلي بودِّي إذا لاقَيْتني كَـذبا ∴ وإن أُغَيَّبْ فأنتَ الهامز اللمزة

ويعني باللمزة الذي يعيب الناس ويطعن فيهم .

● **وقال عطية سالم في «تتمته لأضواء البيان» بعد أن ذكر كلام الطبري رحمه اللَّه :**

وقد جاء في القرآن كل من الكلمتين مفردة عن الأخرى ، بما يدل على المغايرة .

ففي الهمزة قوله : ﴿**وَلَا تُطِعْ كُلَّ حَلَّافٍ مَّهِينٍ ﴿١٠﴾ هَمَّازٍ مَّشَّاءٍ بِنَمِيمٍ**﴾ [القلم: ١٠، ١١] مما يدل على الكذب والنميمة .

ففي الهمزة قوله تعالى: ﴿وَلَا تَلْمِزُوا أَنفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ﴾ [الحجرات: ١١] .

وقوله : ﴿وَمِنْهُم مَّن يَلْمِزُكَ فِي الصَّدَقَاتِ﴾ [التوبة: ٥٨] مما يدل على أنها أقرب للتنقص والعيب في الحضور لا في الغيبة ، فتغاير الهمز في المعنى ، وفي الصفة ، والجمع بينهما جمع بين القبيحين ، فكان مستحقًّا لهذا الوعيد الشديد بكلمة ويل .

وقد قيل : الهمز باليد ، وقيل : باللسان في الحضرة ، والهمز في الغيبة .

وقيل : الهمز باليد ، واللمز باللسان ، والغمز بالعين ، وكلها معانٍ متقاربة تشترك في تنقص الآخرين .

وذكر الرازي جملة وجوه في تفسير الآية نحو ما ذُكر ثم قال :

واعلم أن جميع هذه الوجوه متقاربة راجعة إلى أصل واحد وهو الطعن وإظهار العيب ، ثم هذا على قسمين فإنه إما أن يكون بالجد كما يكون عند الحسد والحقد ، وإما أن يكون بالهزل كما يكون عند السخرية والإضحاك ، وكل واحد من القسمين ، إما أن يكون في أمر يتعلق بالدين ، وهو ما يتعلق بالصورة أو المشي ، أو الجلوس وأنواعه كثيرة وهي غير مضبوطة ، ثم إظهار العيب في هذه الأقسام الأربعة قد يكون لحاضر ، وقد يكون لغائب ، وعلى التقديرين فقد يكون باللفظ ، وقد يكون بإشارة الرأس والعين وغيرهما ، وكل ذلك داخل تحت النهي والزجر ، إنما البحث في أن اللفظ بحسب اللغة موضوع لماذا ،

فما كان اللفظ موضوعًا له كان منهيًّا بحسب اللفظ، وما لم يكن اللفظ موضوعًا له كان داخلاً تحت النهي بحسب القياس الجلي ، ولما كان الرسول أعظم الناس منصبًا في الدين كان الطعن فيه عظيمًا عند اللَّه ، فلا جرم قال : ﴿وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ ﴾ [الهمزة: ١] .

وقال صديق حسن خان في «فتح البيان» :

وحاصل هذه الأقاويل يرجع إلىٰ أصل واحد وهو الطعن وإظهار العيب ، ويدخل في ذلك من يحاكي الناس في أقوالهم وأفعالهم وأصواتهم ليضحكوا منه ، والأول أولىٰ .

❊ ❊ ❊

س ـ لماذا ذُكر من خصال الهمزة اللمزة (أنه جمع مالاً وعدده) مع أن هناك من الخصال ما هو أسوأ من ذلك ؟

ج : **قال القاسمي في محاسن التأويل :**

﴿الَّذِي جَمَعَ مَالاً وَعَدَّدَهُ﴾ [الهمزة: ٢] أي : أحصىٰ عدده ولم ينفقه في وجوه البر .

قال الإمام : أي : أن الذي يحمله على الحط من أقدار الناس ، هو جمعه المال وتعديده ، أي : عده مرة بعد أخرىٰ ، شغفًا به وتلذذًا بإحصائه . لأنه لا يرىٰ عزًّا ولا شرفًا ولا مجدًا في سواه . فكلما نظر إلىٰ كثرة ما عنده منه ، انتفخ وظن أنه من رفعة المكانة ، بحيث يكون كل ذي فضل ومزية دونه . فهو يهزأ به ويهمزه ويلمزه . ثم لا يخشىٰ

أن تصيبه عقوبة على الهمز واللمز وتمزيق العرض . لأن غروره بالمال أنساه الموت ، وصرف عنه ذكر المآل فهو ﴿يَحْسَبُ أَنَّ مَالَهُ أَخْلَدَهُ﴾ [الهمزة: ٣] أي : يظن أن ماله الذي جمعه وأحصاه ، وبخل بإنفاقه ، مخلده في الدنيا ، فمزيل عنه الموت .

قلت : ويؤيد هذا التأويل : قوله تعالى : ﴿كَلاَّ إِنَّ الإِنسَانَ لَيَطْغَى ۝٦ أَن رَّآهُ اسْتَغْنَى﴾ [العلق: ٦، ٧] ، وقوله تعالى : ﴿وَلَوْ بَسَطَ اللَّهُ الرِّزْقَ لِعِبَادِهِ لَبَغَوْا فِي الأَرْضِ﴾ [الشورى: ٢٧] ، وقوله تعالى : ﴿وَإِذَا أَنْعَمْنَا عَلَى الإِنسَانِ أَعْرَضَ وَنَأَى بِجَانِبِهِ﴾ [الإسراء: ٨٣] .

- **وقال القاسمي أيضًا :**

تنبيه : قال القاشانيّ في بيان آفات رذيلتي الهمز واللمز اللتين نزلت في وعيدهما السورة ، ما مثاله : الهمز ، أي : الكسر من أعراض الناس واللمز ، أي : الطعن فيهم ، رذيلتان مركبتان من الجهل والغضب والكبر . لأنهما يتضمنان الإيذاء وطلب الترفع على الناس . وصاحبهما يريد أن يتفضل على الناس ، ولا يجد في نفسه فضيلة يترفع بها . فينسب العيب والرذيلة إليهم ، ليظهر فضله عليهم . ولا يشعر أن ذلك عين الرذيلة . فهو مخدوع من نفسه وشيطانه موصوف برذيلتي القوة النطقية والغضبية .

ثم قال : وفي قوله تعالى : ﴿وَعَدَّدَهُ﴾ [الهمزة:٢] إشارة أيضًا إلى الجهل . لأن الذي جعل المال عدة للنوائب ، لا يعلم أن نفس ذلك المال يجر إليه النوائب ، لاقتضاء حكمة اللَّه تفريقه في النائبات ، فكيف يدفعها ؟ وكذا في قوله : ﴿يَحْسَبُ أَنَّ مَالَهُ أَخْلَدَهُ﴾ [الهمزة: ٣] أي :

لا يشعر أن المقتنيات المخلدة لصاحبها هي العلوم والفضائل النفسانية الباقية ، لا العروض والذخائر الجسمانية الفانية . ولكنه مخدوع بطول الأمل ، مغرور بشيطان الوهم عن بغتة الأجل . والحاصل : أن الجهل الذي هو رذيلة القوة الملكية ، أصل جميع الرذائل، ومستلزم لها . فلا جرم أنه يستحق صاحبه ، المغمور فيها ، العذاب الأبديّ المستولي على القلب المبطل لجوهره .

❊ ❊ ❊

س ـ وضح المراد بقوله تعالى : ﴿ يَحْسَبُ أَنَّ مَالَهُ أَخْلَدَهُ ﴾ [الهمزة: ٣] ؟

ج : المعنى ـ والله أعلم ـ : أيظن صاحب المال أن ماله سيخلده في الدنيا .

❊ ❊ ❊

س ـ لماذا خصت الأفئدة بالذكر في قوله تعالى : ﴿ الَّتِي تَطَّلِعُ عَلَى الْأَفْئِدَةِ ﴾ [الهمزة: ٧] ؟

ج : قال صديق حسن خان في «فتح البيان» :

وخص الأفئدة بالذكر مع كونها تغشى جميع أبدانهم لأنها محل العقائد الزائغة والنيات الخبيثة ومنشأ الأعمال السيئة .

● أو لكون الألم إذا وصل إليها مات صاحبها لأن الفؤاد ألطف ما في الجسد وأشد تألمًا بأدنى أذى يمسه ، أي : أنهم في حال من يموت

وهم لا يموتون كما قال تعالى : ﴿لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَىٰ﴾ [طه: ٧٤] .

● وقيل : المعنى : أنها تعلم بمقدار ما يستحقه كل واحد من العذاب ، وذلك بأمارات عرفها اللّه بها [١] .

* * *

س ـ اذكر بمزيد من الإيضاح معنى قوله تعالى : ﴿فِي عَمَدٍ مُّمَدَّدَةٍ﴾ [الهمزة: ٩] ؟

ج : قوله تعالى : ﴿فِي عَمَدٍ مُّمَدَّدَةٍ﴾ [الهمزة: ٩] : من العلماء من قال : إن (في) هنا بمعنى الباء فالمعنى : بعمد ممدة ، والعمد جمع عمود ، والممد هو الطويل ، فالمعنى : أنها (أي : النار) على أهلها مؤصدة (أي : مغلقة مطبقة) بأعمدة طويلة .

● أو أن النار أغلقت عليهم وأطبقت ثم أُحكم قفلها بأعمدة طويلة ونحو هذه يفعله أصحاب بعض المحلات في دنياهم ، فبعد أن يغلقوا الأبواب بالمفاتيح يحكمون الغلق بأعمدة حديدية مستعرضة لحماية الأبواب من اللصوص .

● **وقال ابن الجوزي في «زاد المسير» :**

قال المفسرون : وهي أوتاد الأطباق التي تطبق على أهل النار ، و (في) بمعنى الباء ، والمعنى : مطبقة بعمد .

● وقول آخر : إن أهل الكفر موضوعون في عمدة ممددة ، أي :

---

(١) وعامة هذا الكلام منقول من «تفسير الرازي» .

داخل أعمدة طويلة داخل النار .

● ومن العلماء من قال : إنهم موضوعون في أعمدة طويلة وقد مُدَّت هذه الأعمدة حتى سُدت بها أبواب النار ، والعياذ باللَّه .

● ومنهم من قال : إن النار عليهم مغلقة ، ومع كونها مغلقة عليهم فهم مربوطون (موثقون) في أعمدة داخل النار ، ولتقريب الفهم فقد يكون الرجل سجينًا في الدنيا داخل غرفة ، فالغرفة مغلقة عليه من الخارج ، وهو بداخلها أيضًا مقيد في أوتاد وفي أعمدة ، فهي قيود من بعد قيود ، وسجون داخل سجون أجارنا اللَّه منها .

ولخص عطية سالم في «تتمته لأضواء البيان» نحو ما ذُكر بقوله :

قيل : مؤصدة في عمد ، بأن العمد صارت وصدًا للباب كالقفل والغلق له ، وقيل : في عمد : أنهم يدخلون في عمد كالقصبة مجوفة الداخل ، وقيل : في عمد : أي: توضع أرجلهم في العمد على صورة القيد في الخشبة الممتدة يشد فيها عدد من الأشخاص في أرجلهم .

وكنت سمعت[1] من الشيخ رحمة اللَّه تعالى علينا وعليه في ذلك أن العمد بمعنى القصبة المجوفة تضيق عليهم ، كما في قوله : ﴿ **وَإِذَا أُلْقُوا مِنْهَا مَكَانًا ضَيِّقًا مُقَرَّنِينَ دَعَوْا هُنَالِكَ ثُبُورًا** ﴾ [الفرقان: ١٣] ، وقد نص عليه في إملائه رحمة اللَّه تعالى علينا وعليه .

وقال الطبري رحمه اللَّه تعالى : وأولى الأقوال بالصواب في ذلك

---

(١) يعني شيخه محمد الأمين الشنقيطي رحمه اللَّه تعالى وهو مؤلف «أضواء البيان» .

قول من قال : معناه أنهم يعذبون بعمد في النار ، والله أعلم كيف تعذيبه إياهم بها ، ولم يأتنا خبر تقوم به الحجة بصفة تعذيبهم بها ، ولا وضع لنا عليها دليل تدرك به صفة ذلك ، فلا قول فيه غير الذي قلنا يصح عندنا ، والله أعلم .



سُورَةُ الفِيلِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ ﴿١﴾ أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِي تَضْلِيلٍ ﴿٢﴾ وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ ﴿٣﴾ تَرْمِيهِم بِحِجَارَةٍ مِّن سِجِّيلٍ ﴿٤﴾ فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَّأْكُولٍ ﴿٥﴾

س ـ اذكر معنى ما يلي :

ألم تر ـ كيدهم ـ تضليل ـ أبابيل ـ سجيل ـ عصف ؟

ج :

الكلمة	معناها
ألم تر	ألم تنظر بعين قلبك ـ ألم تعلم ـ ألم تُخبر
كيدهم	مكرهم ـ تدبيرهم
تضليل	إبطال وتضييع وخسارة وهلاك
أبابيل	جماعات جماعات ، فرق يتبع بعضها بعضًا ـ كثيرة ـ شتى متتابعة (جماعة من ههنا وجماعة من ههنا)
سجيل	طين (والمراد به الطين المتحجر شديد القوة)
عصف	التبن[1] ـ الروث

---

(١) من العلماء من قال : العصف هو التبن الذي أكل منه ، ومنهم من قال : إنه التبن (أو =

الكلمة	معناها
مأكـــول	أُكل منه ـ أُكل وأصبح روثًا

* * *

= ورق الزرع) إذا أكلته البهائم فصار روثًا ييبس الروث فتفرقت أجزاؤه .

قال الطبري رحمه اللَّه :

وقوله: ﴿فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَأْكُولٍ﴾ [الفيل: ٥] يعني تعالى ذكره: فجعل اللَّه اصحاب الفيل كزرع أكلته الدواب فراثته فيبس وتفرقت أجزاؤه شبَّه تقطع أوصالهم بالعقوبة التي نزلت بهم، وتفرُّق آراب أبدانهم بها بتفرُّق أجزاء الروث الذي حدث عن أكل الزرع، وكان بعضهم يقول: العصف هو القشر الخارج الذي يكون على حب الحنطة من خارج كهيئة الغلاف لها .

وقال الرازي رحمه اللَّه :

أما قوله تعالى : ﴿فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَأْكُولٍ﴾ [الفيل: ٥] ففيه مسائل :

المسألة الأولى : ذكروا في تفسير العصف وجوهًا ذكرناها في قوله : ﴿وَالْحَبُّ ذُو الْعَصْفِ﴾ [الرحمن : ١٢] وذكروا ههنا وجوهًا :

أحدها : أنه ورق الزرع الذي يبقى في الأرض بعد الحصاد وتعصفه الرياح فتأكله المواشي .

وثانيها : قال أبو مسلم : العصف : التين ، لقوله : ﴿ذُو الْعَصْفِ وَالرَّيْحَانُ﴾ [الرحمن: ١٢] لأنه تعصف به الريح عند الذر فتفرقه عن الحب ، وهو إذا كان مأكولاً فقد بطل ولا رجعة له ولا منفعة فيه .

وثالثها : قال الفراء : هو أطراف الزرع قبل أن يدرك السنبل .

ورابعها : هو الحب الذي أكل لبه وبقي قشره .

المسألة الثانية : ذكروا في تفسير المأكول وجوهًا :

أحدها : أنه الذي أكل ، وعلى هذا الوجه ففيه احتمالان :

أحدهما : أن يكون المعنى كزرع وتبن قد أكلته الدواب ، ثم ألقته روثًا ، ثم يجف وتتفرق أجزاؤه ، شبه تقطع أوصالهم بتفرق أجزاء الروث ، إلا أن العبارة عنه جاءت على ما عليه آداب القرآن ، كقوله : ﴿كَانَا يَأْكُلَانِ الطَّعَامَ﴾ [المائدة: ٧٥] وهو قول مقاتل ، وقتادة وعطاء =

عن ابن عباس .

س ـ ما المراد بالاستفهام في قوله تعالىٰ : ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ﴾ [الفيل: ١] ؟ وفي قوله : ﴿أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِي تَضْلِيلٍ﴾ [الفيل: ٢] ؟

ج : المراد بالاستفهام : التقرير ، أي : تقرير علمه ﷺ بما حدث لأصحاب الفيل ، فالمعنىٰ : قد علمت يا محمد وقد علم الناس الموجودون في عصرك ومن بعدهم بما بلغهم من الأخبار المتواترة ، قد علمتم الذي حدث لأصحاب الفيل والعقوبة التي أنزلها اللّٰه سبحانه وتعالىٰ بهم .

* * *

س ـ ما هو السبب الذي من أجله حلَّت عقوبة اللّٰه تعالىٰ بأصحاب الفيل ؟

ج : السبب هو مسير أبرهة الحبشي بجنده معه الفيل إلىٰ بيت اللّٰه الحرام لتخريبه وهدم الكعبة التي فيه حتىٰ تنصرف وجوه الناس إلىٰ بلاده ، والأسانيد بذلك وإن كانت منقطعة إلا أن أهل السير تلقفوها

= **والاحتمال الثاني** : علىٰ هذا الوجه أن يكون التشبيه واقعًا بورق الزرع إذا وقع فيه الأكال، وهو أن يأكله الدود .

الوجه الثاني : في تفسير قوله : ﴿مَّأْكُولٍ﴾ هو أنه جعلهم كزرع قد أكل حبه وبقي تبنه ، وعلىٰ هذا التقدير يكون المعنىٰ : كعصف مأكول الحب ، كما يقال : فلان حسن ، أي : حسن الوجه ، فأجرىٰ مأكول علىٰ العصف من أجل أنه أكل حبه ، لأن هذا المعنىٰ معلوم ، وهذا قول الحسن .

الوجه الثالث : في التفسير : أن يكون معنىٰ ﴿مَّأْكُولٍ﴾ : أنه مما يؤكل ، يعني : تأكله الدواب يقال لكل شيء يصلح للأكل : هو مأكول ، والمعنىٰ : جعلهم كتبن تأكله الدواب ، وهو قول عكرمة والضحاك .

ونقلوها في كتبهم وكذلك كثير من المفسرين .

قال الطبري رحمه اللَّه في «تفسيره» :

وكان الذي دعاه إلى ذلك فيما حدثنا ابن حميد[1] قال ثنا سلمة بن الفضل قال : ثنا ابن إسحاق[2]: أن أبرهة بنى كنيسة بصنعاء وكان نصرانيًّا ، فسماها القُلَّيْس ، لم يُر مثلها في زمانها بشيء من الأرض ، وكتب إلى النجاشي ملك الحبشة : إني قد بنيت لك أيها الملك كنيسة، لمُ يبن مثلها لملك كان قبلك ، ولستُ بمُنتهٍ حتى أصرف إليها حاجّ العرب فلما تحدّثت العرب بكتاب أبرهة ذلك للنجاشي ، غضب رجل من النَّسأةً أحد بني فقيم ، ثم أحد بني مالك ، فخرج حتى أتى القُليس، فقعد فيها ، ثم خرج فلحق بأرضه ، فأخبر أبرهة بذلك ، فقال: من صنع هذا ؟ فقيل : صنعه رجل من أهل هذا البيت الذي تحجّ العرب إليه بمكة ، لما سمع من قولك : أصرف إليه حاجّ العرب، فغضب ، فجاء فقعد فيها ، أي : إنها ليست لذلك بأهل ، فغضب عند ذلك أبرهة ، وحلف ليسيرنّ إلى البيت فيهدمه ، وعند أبرهة رجال من العرب قد قَدموا عليه يلتمسون فضله ، منهم محمد بن خُزَاعِي بن حزَابة الذَّكواني ، ثم السُّلَمى ، في نفر من قومه ، معه أخ له يقال له قيس بن خزاعِي ؛ فبينما هم عنده ، غَشيهم عبد لأبرهة ، فبعث إليهم فيه بغذائه ، وكان يأكل الخُصَى ؛ فلما أتى القوم بغذائه ، قالوا : واللَّه لئن أكلنا هذا لا تزال تسبُّنا به العرب ما بقينا ، فقام محمد

---

(١) ابن حميد فيه كلام لكن الأثر عند ابن إسحاق والآفة من إعضال الأثر .

(٢) وانظر «سيرة ابن إسحاق» أيضًا (١/ ٤٠) طبعة دار الفكر .

ابن خزاعِي ، فجاء أبرهة فقال : أيها الملك إن هذا يوم عيد لنا لا نأكل فيه إلا الجُنوب والأيدي ، فقال له أبرهة : فسنبعث إليكم ما أحببتم ، فإنما أكرمتكم بغذائي لمنزلتكم عندي .

ثم إن أبرهة توّج محمد بن خُزَاعِي ، وأمَّره على مضر ، وأمره أن يسير في الناس يدعوهم إلى حجّ القُلَّيس كنيسته التي بناها ، فسار محمد ابن خزاعِي حتى إذا نزل ببعض أرض بني كنانة ، وقد بلغ أهلها تهامة أمره . وما جاء له ، بعثوا إليه رجلاً من هُذَيل يقال له : عُرْوة بن حياض الملاصي ، فرماه بسهم فقتله ؛ وكان مع محمد بن خزاعى أخوه قيس بن خزاعى ، فهرب حين قُتل أخوه ، فلحق بأبرهة ، فأخبره بقتله، فزاد ذلك أبرهة غضبًا وحنقًا ، وحلف ليغزون بني كنانة ، وليهدمنّ البيت .

ثم إن أبرهة حين أجمع السير إلى البيت أمر الحُبْشان فتهيأتْ وتجهَّزت ، وخرج معه بالفيل ، وسمعت العرب بذلك ، فأعظموه ، وفُظِعوا به ، ورأوا جهاده حقًّا عليهم ، حين سمعوا أنه يريد هدم الكعبة ، بيت اللَّه الحرام ، فخرج رجل كان من أشراف أهل اليمن وملوكهم يقال له : ذو نَفْر ، فدعا قومه ومن أجابه من سائر العرب ، إلى حرب أبرهة ، وجهاده عن بيت اللَّه ، وما يريد من هدمه وإخرابه ، فأجابه من أجابه إلى ذلك ، وعَرَض له وقاتله ، فهُزم وتفرَّق أصحابه ، وأُخِذَ له ذو نفر أسيرًا ، فلما أراد قتله ، قال ذو نفر : أيها الملك لا تقتلني ، فإنه عسى أن يكون بقائي معك خير لك من قتلي ، فتركه من القتل ، وحبسه عنده في وثاق وكان أبرهة رجلاً حليمًا .

ثم مضى أبرهة على وجهه ذلك يريد ما خرج له ، حتى إذا كان بأرض خثعم عرض له نُفَيل بن حبيب الخثعميّ في قبيلَتي خثعم : شَهران ، وناهس ، ومن معه من قبائل العرب ، فقاتله فهزمه أبرهة ، وأُخِذ له أسيرًا ؛ فأُتِي به ، فلما همّ بقتله ، قال له نفيل : أيها الملك لا تقتلني ، فإني دليلك بأرض العرب ، وهاتان يداي لك على قبيلتي خثعم : شهران ، وناهس ، بالسمع والطاعة ؛ فأعفاه وخلَّى سبيله ، وخرج به معه يدله على الطريق ، حتى إذا مرّ بالطائف ، خرج إليه مسعود بن معتب في رجال ثقيف ، فقال : أيها الملك ، إنما نحن عبيدك ، سامعون لك مطيعون ، ليس لك عندنا خلاف ، وليس بيتنا هذا بالبيت الذي تريد ، يعنون اللات ، إنما تريد البيت الذي بمكة ، يعنون الكعبة ، ونحن نبعث معك من يدلك ، فتجاوز عنهم ، وبعثوا معه أبا رِغال ؛ فخرج أبرهة ومعه أبو رغال حتى أنزله المغمِّس ، فلما أنزله به مات أبو رِغال هناك ، فرَجَمت العرب قبره ، فهو القبر الذي ترجم الناس بالمغمِّس .

ولما نزل أبرهة المغمس ، بعث رجلاً من الحبشة يقال له : الأسود بن مقصود على خيل له ، حتى انتهى إلى مكة ، فساق إليه أموال أهل مكة من قريش وغيرهم، وأصاب فيها مئتي بعير لعبد المطلب ابن هاشم ، وهو يومئذ كبير قريش وسيِّدها ، وهمّت قريش وكنانة وهُذَيل ومن كان معهم بالحرم من سائر الناس بقتاله ، ثم عرفوا أنهم لا طاقة لهم به ، فتركوا ذلك ، وبعث أبرهة حُناطة الحميريّ إلى مكة، وقال له : سل عن سيد هذا البلد وشريفهم ، ثم قل له : إن الملك

يقول لكم : إني لم آت لحربكم ، إنما جئت لهدم البيت ، فإن لم تعرضوا دونه بحرب فلا حاجة لي بدمائكم ، فإن لم يُرِد حربي فأتني به .

فلما دخل حناطة مكة ، سأل عن سيد قريش وشريفها ، فقيل : عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قُصَيّ ، فجاءه ، فقال له ما أمره به أبرهة ، قال له عبد المطلب : واللَّه ما نريد حربه ، وما لنا بذلك من طاقة ، هذا بيت اللَّه الحرام ، وبيت خليله إبراهيم عليه السلام ، أو كما قال ، فإن يمنعه فهو بيته وحرَمه ، وإن يُخْلِ بينه وبينه ، فواللَّه ما عندنا له من دافع عنه ، أو كما قال ؛ فقال له حناطة : فانطلق إلى الملك ، فإنه قد أمرني أن آتيه بك ، فانطلق معه عبد المطلب ، ومعه بعض بنيه ، حتى أتى العسكر ، فيسأل عن ذي نفر ، وكان له صديقًا ، فدلّ عليه ، فجاءه وهو في محبسه فقال : يا ذا نفر هل عندك غَناء فيما نزل بنا ؟ فقال له ذو نفر ، وكان له صديقًا : وما غناء رجل أسير في يدي ملك ينتظر أن يقتله غدوًا أو عشيًا ، ما عندي غناء في شيء مما نزل بك إلا أن أنيسًا سائق الفيل لي صديق ، فسأرسل إليه فأوصيه بك ، وأعظم عليه حقك وأسأله أن يستأذن لك على الملك ، فتكلمه بما تريد ، ويشفع لك عنده بخير إن قدر على ذلك ، قال حسبي ، فبعث ذو نفر إلى أنيس ، فجاء به ، فقال : يا أنيس إن عبد المطلب سيِّدُ قريش ، وصاحب عير مكة ، يُطعم الناس بالسهل ، والوحوش في رءوس الجبال ، وقد أصاب الملك له مئتي بعير ، فاستأذن له عليه وانفعه عنده بما استطعت ، فقال : أفعل .

فكلَّم أنيس أبرهة ، فقال : أيها الملك ، هذا سيِّد قريش ببابك يستأذن عليك ، وهو صاحب عير مكة يُطعم الناس بالسهل ، والوحوش في رءوس الجبال ، فأْذَنْ له عليك ، فليكلمك بحاجته ، وأحسن إليه . قال : فأذن له أبرهة وكان عبد المطلب رجلاً عظيمًا وسيمًا جسيمًا ؛ فلما رآه أبرهة أجلَّه وأكرمه أن يجلس تحته ، وكرِه أن تراه الحبشة يجلسه معه على سرير ملكه ، فنزل أبرهة عن سريره ، فجلس على بساطه ، فأجلسه معه عليه إلى جنبه ، ثم قال لترجمانه : قل له ما حاجتك إلى الملك ؟ فقال له ذلك الترجمان ، فقال له عبد المطلب : حاجتي إلى الملك أن يردّ عليّ مئتي بعير أصابها لي ؛ فلما قال له ذلك، قال أبرهة لترجمانه : قل له : قد كنت أعجبتني حين رأيتك ، ثم زهدت فيك حين كلَّمتَني ، أتكلمني في مئتي بعير أصبتها لك ، وتترك بيتًا هو دينك ودين آبائك ، قد جئت لهدمه فلا تكلمني فيه ؟ قال له عبد المطلب : إني أنا ربّ الإبل وإن للبيت ربًّا سيمنعه ، قال : ما كان ليُمنَع مني ، قال : فأنت وذاك ، اردد إليّ إبلي .

وكان فيما زعم بعض أهل العلم قد ذهب مع عبد المطلب إلى أبرهة حين بعث إليه حناطة يعمر بن نفاثة بن عديّ بن الديل بن بكر بن عبد مناف بن كنانة ، وهو يومئذ سيِّد بني كنانة ، وخويلد بن واثلة الهُذَليّ وهو يومئذ سيد هُذَيل ، فعرضوا على أبرهة ثلث أموال تهامة ، على أن يرجع عنهم ، ولا يهدم البيت ، فأبى عليهم ، واللَّه أعلم .

وكان أبرهة ، قد ردّ على عبد المطلب الإبل التي أصاب له ،

فلما انصرفوا عنه انصرف عبد المطلب إلى قريش ، فأخبرهم الخبر ، وأمرهم بالخروج من مكة ، والتحرّز في شعف الجبال والشعاب تخوّفًا عليهم من مَعَرة الجيش ؛ ثم قام عبد المطلب ، فأخذ بحلْقة الباب ، باب الكعبة ، وقام معه نفر من قريش يدعون اللَّه ، ويستنصرونه على أبرهة وجنده ، فقال عبد المطلب : وهو آخذ بحلقة باب الكعبة :

يا رَبِّ لا أرْجُو لَهُمْ سِوَاكا
يا رَبِّ فامْنَعْ مِنْهُمْ حِماكا
إنَّ عَدُوَّ الْبَيْتِ مَنْ عاداكا
امْنَعْهُمُ أنْ يُخَرِّبُوا قُراكا [١]

وقال أيضًا :

لا هُمَّ إنَّ الْعَبْدَ يَمْنَـ ـعُ رَحْلَهُ فامْنَعْ حِلالكْ
لا يَغْلِبَنَّ صَلِيبُهُمْ ومِحَالُهُمْ غَدْوًا مِحَالكْ
فَلَئِنْ فَعَلْتَ فَرُبَّمَا أوْلى فأمْرٌ ما بَدَا لَكْ
وَلَئِنْ فَعَلْتَ فَإنَّهُ أمْرٌ تُتِمُّ بِهِ فِعَالَكْ [٢]

---

(١) هذان البيتان ينسبان إلى عبد المطلب جد النبي ﷺ زعموا أنه قالهما في حرب الفيل . وقد ذكرها الثعلبي المفسر في «العرائس» المعروف بقصص الأنبياء (طبعة الحلبي (٤٤٢) .

(٢) بعض هذه الأبيات ينسب إلى عبد المطلب جد النبي ﷺ ، وكان رئيس مكة وهو القائم بأمر البيت ، قالها عند قصد الحبشة لغزو مكة ، وهدم الكعبة . وقد أورد ابن إسحاق منها ثلاثة أبيات وهي :
=

وقال أيضًا :

وكُنْتُ إذَا أتى باغٍ بِسَلْمٍ ∴ نُرَجِّي أن تَكُونَ لَنا كَذلِكْ
فَولّوْا لَمْ يَنالُوا غيرَ خِزْيٍ ∴ وكانَ الحَيْنُ يُهْلِكُهُمْ هُنَالِكْ
وَلَمْ أسْمَعْ بأرْجَسَ مِنْ رجالٍ ∴ أرَادُوا العِزَّ فانْتَهَكُوا حَرامَكْ
جَرُّوا جُمُوعَ بِلادِهِمْ ∴ والفِيلَ كَيْ يَسبُوا عِيالَكْ

ثم أرسل عبد المطلب حلقة باب الكعبة ، وانطلق هو ومن معه من قريش إلى شَعَف الجبال ، فتحرّزوا فيها ينتظرون ما أبرهة فاعل بمكة إذا دخلها ، فلما أصبح أبرهة تهيأ لدخول مكة ، وهيأ فيله ، وعبأ جيشه ؛ وكان اسم الفيل محمودًا ، وأبرهة مُجْمِعٌ لهدم البيت ، ثم الانصراف إلى اليمن فلما وجَّهوا الفيل أقبل نفيل بن حبيب الخثعميّ ، حتى قام إلى جنبه ، ثم أخذ بأذنه فقال : ابرك محمود ، وارجع راشدًا من حيث جئت فإنك في بلد اللَّه الحرام ، ثم أرسل أذنه ، فبرَكَ الفيل ، وخرج نُفَيل بن حبيب يشتدّ حتى أصعد في الجبل ، وضربوا

= لا هُمَّ إنَّ العَبْدَ يَمْنَعُ رَحْلَهُ فامْنَع حلالَكْ
لا يَغْلِبَنَّ صَلِيبُهُمْ ومحَالُهُمْ غَدْوا محَالَكْ
إنْ كُنْتَ تارِكَهُمْ وقِبْلَتَنا فأمْرٌ ما بَدَا لَكْ

قال ابن هشام : هذا ما صح له منها . وقال السهيلي في «الروض الأنف» تعليقًا على قول عبد المطلب هذا : وفي الرجز بيت ثالث لم يقع في الأصل ، وهو قوله :

وانْصُرْ على آلِ الصَّلِيبِ وعابِدِيهِ اليَوْمَ آلَكْ

وقوله : حلالك : هم القوم الحالون في المكان . اهـ . وقيل : إن البيت الثالث مما رواه الواقدي ، ولم يروه ابن إسحاق . اهـ . من حاشية المعلق .

الفيل ليقوم فأبى ، وضربوا في رأسه بالطبرزين ليقوم ، فأبى ، فأدخلوا محاجن لهم في مراقه ، فبزغوه بها ليقوم فأبى ، فوجَّهوه راجعًا إلى اليمن ، فقام يهرول ووجَّهوه إلى الشام ، ففعل مثل ذلك ، ووجَّهوه إلى المشرق ، ففعل مثل ذلك ، ووجَّهوه إلى مكة فبرك ، وأرسل اللَّه عليهم طيرًا في البحر أمثال الخطاطيف ، مع كلّ طير ثلاثة أحجار يحملها : حجر في منقاره ، وحجران في رجليه مثل الحمص والعدس ، لا يصيب منهم أحدًا إلا هلك ، وليس كلهم أصابت ، وخرجوا هاربين يبتدرون الطريق الذي منه جاءوا ، ويسألون عن نُفَيل بن حبيب ، ليدلهم على الطريق إلى اليمن ، فقال نُفَيل بن حبيب حين رأى ما أنزل اللَّه بهم من نقمته .

أيْنَ المفَرُّ والإلَهُ الطَّالِبْ ∴ والأشْرَمُ المَغْلُوبُ غَيْرُ الغالِبْ

فخرجوا يتساقطون بكلّ طريق ، ويهلكون على كلّ منهل ، فأصيب أبرهة في جسده ، وخرجوا به معهم ، فسقطت أنامله أنملة أنملة، كلما سقطت أنملة اتبعتها مِدّة تمُثُّ قيحًا ودمًا ، حتى قدِموا به صنعاء . وهو مثل فرخ الطير ، فما مات حتى انصدع صدره عن قلبه فيما يزعمون .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، عن يعقوب بن عتبة بن المُغيرة بن الأخنس ، أنه حدّث ، أن أوّل ما رُؤيت الحصبة والجدريّ بأرض العرب ذلك العام ، وأنه أوّل ما رؤي بها مُرار الشجر الحرملُ والحنظلُ والعُشرُ ذلك العام .

حدثنا بشر ، قال: ثنا يزيد ، قال: ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ﴾ [الفيل: ١] أقبل أبرهة الأشرم من الحبشة يومًا ومن معه من عداد أهل اليمن إلى بيت اللَّه ليهدمه من أجلّ بيعة لهم أصابها العرب بأرض اليمن ، فأقبلوا بفيلهم حتى إذا كانوا بالصِّفَّاح برك ، فكانوا إذا وجَّهوه إلى بيت اللَّه ألقى بجرانه على الأرض وإذا وجَّهوه إلى بلدهم انطلق وله هَرْولة ، حتى إذا كان بنخلة اليمانية بعث اللَّه عليهم طيرًا بيضًا أبابيل . والأبابيل : الكثيرة ، مع كلّ طير ثلاثة أحجار : حجران في رجليه ، وحجر في منقاره ، فجعلت ترميهم بها حتى جعلهم اللَّه عزّ وجلّ كعصف مأكول، قال : فنجا أبو يكسوم وهو أبرهة ، فجعل كلما قدم أرضًا تساقط بعض لحمه ، حتى أتى قومه . فأخبرهم الخبر ثم هلك .

* * *

س ـ من المعلوم أن النصارى أهل كتاب ، وأن أهل مكة كانوا أهل شرك ، وأهل الكتاب خير من أهل الشرك ، وكانت الكعبة مملوءة بالأصنام ، فكيف أهلك اللَّه سبحانه وتعالى النصارى الذين هم أهل كتاب ولم يسلطهم على الوثنيين ؟

ج : ذلك ـ واللَّه أعلم ـ لأن هؤلاء النصارى إنما أرادوا تدمير بيت اللَّه الحرام وتوجيه الناس إلى بلادهم ، فهمتهم ووجهتهم كانت للنيل من الكعبة البيت الحرام وتدميرها وصرف الناس عن تلك الكعبة التي حرمها اللَّه سبحانه وتعالى وجعلها قيامًا للناس .

• وسبب آخر لذلك أن إهلاك أصحاب الفيل كانت تقدمة لمبعث رسول اللَّه ﷺ ، فقد ولد النبي ﷺ في هذا العام .

• وذكر الرازي وجهًا آخر فقال :

السؤال السابع : أليس أن كفار قريش كانوا ملأوا الكعبة من الأوثان من قديم الدهر ، ولا شك أن ذلك كان أقبح من تخريب جدران الكعبة ، فلم سلط اللَّه العذاب على من قصد التخريب ، ولم يسلط العذاب على من ملأها من الأوثان ؟ .

والجواب : لأن وضع الأوثان فيها تعد على حق اللَّه تعالى ، وتخريبها تعد على حق الخلق، ونظيره قاطع الطريق والباغي والقاتل يقتلون مع أنهم مسلمون ، ولا يقتل الشيخ الكبير والأعمى وصاحب الصومعة والمرأة ، وإن كانوا كفار، لأنه لا يتعدى ضررهم إلى الخلق.

❊ ❊ ❊

س ـ في أي مناسبة ذكر رسول اللَّه ﷺ حابس الفيل ؟

ج : ذكر النبي ﷺ حابس الفيل عندما امتنعت ناقته من دخول مكة فقال الصحابة : خلأت القصواء ، فقال عليه الصلاة والسلام : «**ما خلأت القصواء وما ذاك لها بخلق ولكن حبسها حابس الفيل**» .

وذلك واضح فيما أخرجه البخاري[1] من حديث المسور بن مخرمة ومروان يُصدِّق كل واحد منهما حديث صاحبه قالا : خرج رسول اللَّه

(١) اخرجه البخاري (٢٧٣١ و ٢٧٣٢) .

ﷺ زمن الحديبية حتى إذا كانوا ببعض الطريق قال النبي ﷺ : «**إن خالد بن الوليد بالغميم في خيل لقريشٍ طليعة فخذوا ذات اليمين**» فوالله ما شعر بهم خالد حتى إذا هم بقترة الجيش فانطلق يركض نذيرًا لقريش ، وسار النبي ﷺ حتى إذا كان بالثنية التي يُهبط عليهم منها بركت به راحلته فقال الناس : حل حل فألحت فقالوا : خلأت القصواء ، فقال النبي ﷺ : «**ما خلأت القصواء ...**» الحديث .



سُورَةُ قُرَيْشٍ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

لِإِيلَٰفِ قُرَيْشٍ ﴿١﴾ إِۦلَٰفِهِمْ رِحْلَةَ ٱلشِّتَآءِ وَٱلصَّيْفِ ﴿٢﴾ فَلْيَعْبُدُوا۟ رَبَّ هَٰذَا ٱلْبَيْتِ ﴿٣﴾ ٱلَّذِىٓ أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ وَءَامَنَهُم مِّنْ خَوْفٍۭ ﴿٤﴾

س ـ اذكر معنى ما يلي :

لإيلاف ـ إيلافهم ؟

ج :

الكلمة	معناها
لإيـلاف	قال بعض العلماء: إن الإيلاف من التأليف أي الاجتماع فالمعنى: لاجتماع قريش ، وقال آخرن : إنه من الإلف والتعود
إيلافهم	تعودهم

* * *

س ـ وضح معنى قوله تعالى : ﴿ لِإِيلَافِ قُرَيْشٍ ﴿١﴾ إِيلَافِهِمْ رِحْلَةَ الشِّتَاءِ وَالصَّيْفِ ﴾ [قريش: ١، ٢] ؟

ج : لأهل العلم في ذلك أقوال ، منها ما يلي : ـ

الأول : أن اللَّه عز وجل أنعم على قريش بنعم لإلفتهم وعدم تفريق جماعتهم ، من هذه النعم إيلافهم رحلة الشتاء والصيف ، أي : كونهم يألفون رحلة الشتاء والصيف ، فالمعنى : لتأليف قريش وجمعها وعدم فرقتها أنعمنا عليهم بأنهم يألفوا رحلة الشتاء والصيف ويتعودونها ولا تشق عليهم ولا يعترضهم أحد بسوء لكونهم أهل الحرم ، كما قال تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا آمِنًا وَيُتَخَطَّفُ النَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ﴾ [العنكبوت: ٦٧] .

الثاني : أن السورة مرتبطة بما قبلها ، والمعنى: أننا أهلكنا أصحاب الفيل لإيلاف قريش حتى تجتمع كلمتها، وذلك لأن قريشًا كانت تخرج في تجارتها فلا يُغار عليها في الجاهلية ويقولون هم أهل بيت اللَّه عز وجل ، حتى جاء صاحب الفيل ليهدم الكعبة فأهلكه اللَّه سبحانه وتعالى لإيلاف قريش ، أي : لجمع كلمتهم وليألفوا الخروج ولا يجترئ عليهم أحد .

والمعنى : فجعل اللَّه أصحاب الفيل كعصف مأكول لتبقى قريش ويبقى لها ما قد ألفته من رحلة الشتاء والصيف .

الثالث : أن المراد : التعجب ، فالمعنى : اعجبوا لإيلاف قريش

وتعودهم لرحلة الشتاء والصيف وتركهم عبادة رب هذا البيت .

* * *

س ـ ما المراد برحلة الشتاء والصيف ؟

ج : جمهور العلماء على أن الرحلتين كانتا للتجارة ، وكانوا يخرجون إلى الشام في الصيف وإلى اليمن في الشتاء لشدة برد الشام .

* * *

س ـ يشرع تذكير العبد بنعم اللَّه عليه بين يدي حثِّه على العبادة دلِّل على ذلك .

ج : من الأدلة على ذلك ما يلي :ـ

● قوله تعالى : ﴿لِإِيلَافِ قُرَيْشٍ ۝١ إِيلَافِهِمْ رِحْلَةَ الشِّتَاءِ وَالصَّيْفِ ۝٢ فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ ۝٣ الَّذِي أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ وَآمَنَهُم مِّنْ خَوْفٍ﴾ [قريش: ١ - ٤] .

● وقوله تعالى : ﴿يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ وَاصْطَفَاكِ عَلَىٰ نِسَاءِ الْعَالَمِينَ ۝٤٢ يَا مَرْيَمُ اقْنُتِي لِرَبِّكِ وَاسْجُدِي وَارْكَعِي مَعَ الرَّاكِعِينَ﴾ [آل عمران: ٤٢، ٤٣] .

وقوله تعالى : ﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ ۝١ وَوَضَعْنَا عَنكَ وِزْرَكَ ۝٢ الَّذِي أَنقَضَ ظَهْرَكَ ۝٣ وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ﴾ [الشرح: ١ - ٤] ثم قال

تعالىٰ : ﴿ فَإِذَا فَرَغْتَ فَانصَبْ ۝٧ وَإِلَىٰ رَبِّكَ فَارْغَبْ ﴾ [الشرح: ٧، ٨] .

• وقوله تعالىٰ : ﴿ أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَىٰ ۝٦ وَوَجَدَكَ ضَالاً فَهَدَىٰ ۝٧ وَوَجَدَكَ عَائِلاً فَأَغْنَىٰ ۝٨ فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلا تَقْهَرْ ۝٩ وَأَمَّا السَّائِلَ فَلا تَنْهَرْ ۝١٠ وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ ﴾ [الضحى: ٦ - ١١] .

ومن ذلك حديث الأقرع والأبرص والأعمىٰ الذين ابتلاهم اللَّه عز وجل[١] .

* * *

س ـ ما هو الخوف الذي حفظ اللَّه سبحانه وتعالىٰ قريشًا منه وجعلهم في مأمنٍ ؟

ج : من ذلك أن بلادهم كانت آمنة مطمئنة لها حرمتها ولا يعتدىٰ عليها كما قال سبحانه : ﴿ أَوَ لَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا آمِنًا وَيُتَخَطَّفُ النَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ ﴾ [العنكبوت: ٦٧] وكما قال عز وجل : ﴿ وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِّن كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللَّهِ فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ ﴾ [النحل: ١١٢] .

* * *

س ـ ما هو الشيء الذي فعله اللَّه عز وجل لتأليف قريش ؟

ج : **لأهل العلم قولان :**

---

(١) الحديث في «الصحيحين» ، وقد تقدم .

أحدهما : أنه سبحانه أهلك أبرهة وأصحاب الفيل الذين معه حتى يزداد العرب والناس توقيرًا لقريش وهيبة لها .

الثاني : أنه سبحانه جعل القرشيين يألفون رحلة الشتاء الصيف ويتعودونها . والله أعلم .

* * *

س ـ اذكر بعض ما ورد في فضل قريش ؟

ج : **من ذلك ما يلي :**

١ ـ ما أخرجه البخاري ومسلم[١] من حديث ابن عمر رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال : «**لا يزال هذا الأمر[٢] في قريش ما بقي منهم اثنان**» .

٢ ـ وأخرج مسلم[٣] من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال: قال النبي ﷺ : «**الناس تبع لقريش في الخير والشر**» .

٣ ـ وفي «صحيح مسلم»[٤] من حديث واثلة بن الأسقع رضي الله عنه قال : سمعتُ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول : «**إن الله اصطفى كِنَانَةَ من ولدِ إسماعيل ، واصطفى قريشًا من كِنَانة ، واصطفى من**

---

(١)أخرجه البخاري (٣٥٠١) ومسلم (١٨٢٠) .

(٢)يعني : أمر الخلافة .

(٣)مسلم (حديث ١٨١٩) .

(٤)مسلم (حديث ٢٢٧٦) وأحمد (١٠٧/٤) والترمذي (٣٦٠٦) وقال : هذا حديث حسن صحيح .

قريشٍ بني هاشم ، واصطفاني من بني هاشم» .

وفي «صحيح مسلم»[١] من حديث جابر بن سمرة رضي اللَّه عنه قال حصين عن جابر بن سمرة قال: دخلت مع أبي على النبي صلى اللَّه عليه وآله وسلم فسمعته يقول : **«إن هذا الأمر لا ينقضي حتى يمضي فيهم اثنا عشر خليفة»**[٢] قال : ثم تكلم بكلام خفيَ عليَّ . قال فقلت لأبي ما قال ؟ قال : **«كلهم من قريش»** .

وفي «صحيح البخاري»[٣] من طريق الزهري قال : كان محمد بن جبير بن مطعم يحدث أنه بلغ معاوية وهو عنده في وفد من قريش أن عبد اللَّه بن عمرو بن العاص يحدث أنه سيكون ملك من قحطان فغضب معاوية فقام فأثنى على اللَّه بما هو أهله ثم قال : أما بعد فإنه بلغني أن رجالاً منكم يتحدثون أحاديثَ ليست في كِتَابِ اللَّه ، ولا تُؤْثَرُ عن رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وآله وسلم فأولئك جهالُكم ، فإياكم والأمانيَّ التي تُضِلُّ أهلَهَا ، فإني سمعتُ رسولَ اللَّه صلى اللَّه عليه وآله وسلم يقول: **«إن هذا الأمرَ في قريشٍ ، لا يعاديهم أحدٌ إلا كبَّه اللَّه على وجْهِهِ ما أقاموا الدِّين»** .

وأخرج الطيالسي[٤] بإسناد صحيح لغيره من حديث أنس رضي اللَّه عنه أن النبي ﷺ ، قال : **«الأئمة من قريش إذا حكموا عدلوا ، وإذا**

---

(١) أخرجه مسلم (حديث ١٨٢١) .

(٢) في بعض روايات مسلم : **«لا يزال هذا الدين عزيزاً منيعًا إلى اثنى عشر خليفة»** .

(٣) حديث (٣٥٠٠) .

(٤) مسند الطيالسي (حديث ١٣٣) .

عاهدوا وفوا ، وإن استرحموا رحموا فمن لم يفعل ذلك منهم فعليه لعنة اللَّه والملائكة والناس أجمعين لا يقبل منهم صرف ولا عدل» .

وأخرج الطيالسي(١) أيضًا من حديث جبير بن مطعم رضي اللَّه عنه قال : قال رسول اللَّه ﷺ : **«للقرشي مثل قوة الرجلين من غيرَهم»** فقيل للزهري : بم ذاك ؟ قال : بنبل الرأي .

وأخرج البخاري ومسلم(٢) من حديث أبي هريرة رضي اللَّه عنه قال: قال النبي صلى اللَّه عليه وآله وسلم : **«قريش والأنصار وجهينة ومُزينة وأسلم وغِفار وأشجع مواليَّ ليس لهم مولى دون اللَّه ورسوله»** .

ولنساء قريش أيضًا فضيلة .

فقد أخرج البخاري ومسلم(٣) من حديث أبي هريرة رضي اللَّه عنه عن النبي ﷺ قال : **«خير نساء ركبن الإبل صالح نساء قريش أحناه على ولدٍ في صغره ، وأرعاه على زوج في ذات يده»** .

❊ ❊ ❊

س ـ اللَّه سبحانه وتعالى يدافع عن أوليائه عمومًا ويدافع عن نبيه محمد ﷺ خصوصًا وضح ذلك ؟

ج : نعم فرب العزة سبحانه وتعالى يدافع عن الذين آمنوا ، قال

---

(١) الطيالسي (٩٥١) وابن أبي عاصم في «السُّنة» (١٥٠٨) وأحمد (٤/ ٨١ و ٨٣) وغيرهم ، وإسناد صحيح .

(٢) أخرجه البخاري (٣٥١٢) ومسلم (٢٥٢٠) .

(٣) أخرجه البخاري (٥٠٨٢) ومسلم (٢٥٢٧) وأحمد (٢/ ٢٦٩ و ٢٧٥) .

سبحانه : ﴿إِنَّ اللَّهَ يُدَافِعُ عَنِ الَّذِينَ آمَنُوا﴾ [الحج: ٣٨] ، وقال تعالىٰ : ﴿اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا﴾ [البقرة: ٢٥٧] ، وقال تعالىٰ: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ مَوْلَى الَّذِينَ آمَنُوا﴾ [محمد: ١١] وقال تعالىٰ : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَنصُرُوا اللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ﴾ [محمد: ٧] ، وقال تعالىٰ : ﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوا وَّالَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ﴾ [النحل: ١٢٨] إلىٰ غير ذلك من الآيات .

ويدافع سبحانه عن نبيه ﷺ علىٰ وجه الخصوص ، قال تعالىٰ : ﴿وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ﴾ [المائدة: ٦٧] إلىٰ غير ذلك من الآيات ، ونسوق هنا ما ذكره الرازي رحمه الله ، قال رحمه الله :

المسألة الثالثة : الكفار لما شتموه ، فهو تعالىٰ أجاب عنه من غير واسطة، فقال: ﴿إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ﴾ [الكوثر: ٣] وهكذا سنة الأحباب، فإن الحبيب إذا سمع من يشتم حبيبه تولىٰ بنفسه جوابه ، فههنا تولىٰ الحق سبحانه جوابهم ، وذكر مثل ذلك في مواضع حين قالوا : ﴿هَلْ نَدُلُّكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ يُنَبِّئُكُمْ إِذَا مُزِّقْتُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ إِنَّكُمْ لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ ﴿٧﴾ أَفْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَم بِهِ جِنَّةٌ﴾ [سبأ: ٧ ، ٨] فقال سبحانه : ﴿بَلِ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ فِي الْعَذَابِ وَالضَّلَالِ الْبَعِيدِ﴾ [سبأ: ٨] ، وحين قالوا هو مجنون أقسم ثلاثًا ، ثم قال: ﴿مَا أَنتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ﴾ [القلم: ٢] ، ولما قالوا : ﴿لَسْتَ مُرْسَلًا﴾ [الرعد: ٤٣] أجاب فقال : ﴿يس ﴿١﴾ وَالْقُرْآنِ الْحَكِيمِ ﴿٢﴾ إِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾ [يس: ١ - ٣] فصدقه ، ثم ذكر وعيد خصمائه ، وقال : ﴿إِنَّكُمْ لَذَائِقُوا الْعَذَابِ الْأَلِيمِ﴾ [الصافات: ٣٨] ، وحين قال حاكيًا : ﴿أَمْ يَقُولُونَ شَاعِرٌ﴾ [الطور: ٣٠] قال : ﴿وَمَا

عَلَّمْنَاهُ الشِّعْرَ﴾ [يس: ٦٩] ، ولما حكي عنهم قولهم : ﴿إِنْ هَذَا إِلاَّ إِفْكٌ افْتَرَاهُ وَأَعَانَهُ عَلَيْهِ قَوْمٌ آخَرُونَ﴾ [الفرقان: ٤] سمَّاهم كاذبين بقوله : ﴿فَقَدْ جَاءُوا ظُلْمًا وَزُورًا﴾ [الفرقان: ٤] ، ولما قالوا : ﴿مَا لِهَذَا الرَّسُولِ يَأْكُلُ الطَّعَامَ وَيَمْشِي فِي الأَسْوَاقِ﴾ [الفرقان: ٧] أجابهم فقال : ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ إِلاَّ إِنَّهُمْ لَيَأْكُلُونَ الطَّعَامَ وَيَمْشُونَ فِي الأَسْوَاقِ وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً أَتَصْبِرُونَ وَكَانَ رَبُّكَ بَصِيراً﴾ [الفرقان: ٢٠] فما أجل هذه الكرامة .



سُورَةُ المَاعُونِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

أَرَءَيْتَ ٱلَّذِى يُكَذِّبُ بِٱلدِّينِ ﴿١﴾ فَذَٰلِكَ ٱلَّذِى يَدُعُّ ٱلْيَتِيمَ ﴿٢﴾ وَلَا يَحُضُّ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلْمِسْكِينِ ﴿٣﴾ فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ ﴿٤﴾ ٱلَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ ﴿٥﴾ ٱلَّذِينَ هُمْ يُرَآءُونَ ﴿٦﴾ وَيَمْنَعُونَ ٱلْمَاعُونَ ﴿٧﴾

س ـ وضح معنى ما يلي :

الدين ـ يدع ـ يحض ـ يراءون ـ الماعون ؟

ج :

الكلمة	معناها
الدين	المعاد ـ الجزاء والثواب والحساب
يدع	يدفع[٢] ـ يقهر ـ يظلم ـ يطرد ـ يُبعد
يحض	يأمر ـ يحث غيره
يراءون	يعمل الأعمال كي يراه الناس ، فيحسن سمته ويظهر عمله طلبًا للرياء والسمعة والشهرة

(١) ومنه قوله تعالى : ﴿يَوْمَ يُدَعُّونَ إِلَىٰ نَارِ جَهَنَّمَ دَعًّا﴾ [الطور: ١٣] .

(٢) أي : يدفع اليتيم عن حقه ويدفعه عن بابه .

الكلمة	معناها
الماعون	هو ما يستعين به الناس ويستعيرونه من بعضهم ، فيدخل فيه الدلو والقدر والفأس ومتاع البيت ، وعموم ما ينتفع به الناس وقيل : المراد به الزكاة

* * *

س ـ هل هناك علاقة بين التكذيب بيوم الدين وبين دع اليتيم وترك الحض على إطعام المسكين ؟

ج ـ نعم هناك علاقة بينهما تتلخص في أن المكذب بيوم الدين يحمله تكذيبه على عدم إكرام اليتيم ويحمله تكذيبه على طرد الأيتام عن بابه ويحمله تكذيبه على عدم إطعام المساكين .

أما المؤمن بيوم الدين فيحمله إيمانه على إكرام اليتيم وإطعام المسكين كما في قوله تعالى : ﴿**إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكُورًا** ﴿٩﴾ **إِنَّا نَخَافُ مِن رَّبِّنَا يَوْمًا عَبُوسًا قَمْطَرِيرًا**﴾ [الإنسان: ٩، ١٠] .

● **وقد أورد عطية سالم رحمه الله** نحو هذا الكلام في «تتمته لأضواء البيان» ثم طرح سؤالاً آخر فقال :

وهنا سؤال : **لما خصَّ المكذبين بيوم الدين عمن يرتكب هذين**

الأمرين دع اليتيم ، وهو دفعه وزجره وعدم الحض على إطعام المساكين وبالتالي عدم إطعامه هو من عنده ؟

وأجاب على ذلك بقوله :

والجواب أنهما نموذجان فقط ، ومثالان فقط .

والأول منهما : مثال للفعل القبيح .

والثاني : مثال للترك المذموم .

ولأنهما عملان إن لم يكونا إسلاميين فهما إنسانيان قبل كل شيء .

وفي الآية الأخرى توجيه للجواب ، وهو أن المؤمن يخاف من اللَّه يومًا عبوسًا ، وعبر بالعبوس في حق يوم القيامة ، لئلا يعبس هو في وجه اليتيم والمسكين لضعفهما .

ومن جانب آخر فإن كان التكذيب بيوم الدين ، يحمل على كل الموبقات ، إلا أنها قد تجد ما يمنع منها ، كالقتل والزنى والخمر لتعلق حق الآخرين ، وكذلك السرقة والنهب .

أما إيذاء اليتيم وضياع المسكين ، فليس هناك من يدفع عنه ، ولا يمنع إيذاء هؤلاء عنهما ، وليس لديهما الجزاء الذي ينتظره أولئك منهم على الإحسان إليهم .

وجبلت النفوس على ألا تبذل إلا بعوض ، ولا تكف إلا عن خوف ، فالخوف مأمون من جانبي اليتيم والمسكين ، والجزاء غير

مأمول منهما ، فلم يبق دافع للإحسان إليهما ، ولا رادع عن الإساءة لهما إلا الإيمان بيوم الدين والجزاء ، فيحاسب الإنسان على مثقال الذرة من الخير .

وقيل : إن دع اليتيم : هو طرده عن حقه ، وعدم الحض على طعام المسكين : عدم إخراج الزكاة .

ولكن في الآية ما يمنع ذلك ، لأن الزكاة إنما يطالب بها المؤمن والسياق فيمن يكذب بيوم الدين فلا زكاة .

* * *

س ـ هل كل من يدع اليتيم يكفر ؟

ج : ليس كل من يدع اليتيم يكفر ، وذلك لقول اللَّه تعالى : ﴿ **إِنَّ اللَّهَ لا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَن يَشَاءُ** ﴾ [النساء: ٤٨] ، ولكن المراد بيان خصال الكفار ، وأن منها : أن الكافر يدع اليتيم ولا يحض على طعام المسكين ، فالكافر لما كان غير مقرٍّ بالحساب وبالمعاد فليس له حاجة في إكرام اليتيم وليس عنده خوف من نهره ودفعه وإهانته ما دام لا يطمع في ثواب اللَّه ولا يخاف عقابه .

ولما كان من خصال أهل الكفر أنهم يدعون اليتيم ويدفعونه عن الأبواب كان من اللائق بأهل الإيمان أن لا يتشبهوا بهم في هذا ، بل على أهل الإيمان إكرام اليتيم والحث على ذلك وعليهم إطعام المسكين كذلك .

س ـ ما المراد بالسهو عن الصلاة[1] في قوله تعالىٰ : ﴿ الَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ ﴾ [الماعون: ٥] ؟ ومن هم الذين توعدهم اللَّه بالويل؟

ج : لأهل العلم في ذلك أقوال :

أحدها : أن المراد تضييع الأوقات ، فالمعنىٰ : أنهم يؤخرونها عن وقتها فلا يصلونها إلا بعد خروج وقتها .

الثاني : أن المراد بالسهو عن الصلاة تركها .

الثالث : أن المراد الغفلة واللهو عنها ، فلا يبالون صلوا أم لم يصلوا ولا يبالون دخل الوقت أم لم يدخل .

وعلىٰ ذلك فالذين توعدهم اللَّه بالويل هم[2] أهل النفاق ، الذين يصلون أمام الناس فإذا خلوا تركوا الصلاة وضيعوها ، وقد قال تعالىٰ : ﴿ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلَاةِ قَامُوا كُسَالَىٰ يُرَاءُونَ النَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ [النساء: ١٤٢] .

وهم أيضًا الغافلون عن الصلاة اللاهون عنها الذين لا يبالون

---

(١) **قال الطبري رحمه اللَّه** : وأولىٰ الأقوال في ذلك عندي بالصواب بقوله : ﴿سَاهُونَ﴾ [الماعون: ٥] لاهون يتغافلون عنها ، والتشاغل بغيرها وتضييعها أحيانًا وتضييع وقتها أخرىٰ، وإذا كان ذلك كذلك صح بذلك قول من قال عني بذلك ترك وقتها ، وقول من قال عني به تركها لما ذكرت من أن في السهو عنها المعاني التي ذكرت .

(٢) **وقال عطية سالم في «تتمته لأضواء البيان»** : اختلف في المصلين الذين توجه إليهم الوعيد بالويل هاهنا ، والجمهور علىٰ أنهم الذين يسهون عن أدائها ويتساهلون في أمر المحافظة عليها وقيل عن الخشوع فيها وتدبر معانيها ، ولكن الصحيح أنه الأول .

أصلوا أم لم يصلوا ، وهل خرج وقت الصلاة أم لم يخرج ، والله أعلم .

* * *

س ـ هل هناك فرق بين قول : ﴿الَّذِينَ هُمْ عَن صَلاتِهِمْ سَاهُونَ﴾ [الماعون: ٥] **وقول : (الذين هم في صلاتهم ساهون) ؟**

ج : نعم هناك فرق بينهما ، ومن ثمَّ جاء عن بعض السلف أنهم قالوا : الحمد للَّه الذي قال عن صلاتهم ولم يقل في صلاتهم . ووجه الفرق : أن السهو عن الصلاة تركها بالكلية أو تأخيرها ـ على ما قدمنا ـ أما السهو في الصلاة فلم يسلم منه أحد ، بل قد سها النبي ﷺ في صلاته، وعقد الفقهاء في كتب الفقه أبوابًا للسهو في الصلاة وشرع سجود السهو لمن سها في صلاته .

* * *

بحث مختصر في الرياء

س ـ وضح معنى قوله تعالى : ﴿ الَّذِينَ هُمْ يُرَاءُونَ﴾ [الماعون: ٦] **؟ واذكر بعض الأدلة الواردة في ذم الرياء ؟ وما حكم الرياء في العمل ؟**

ج : **قال الطبري رحمه اللَّه** : وقوله : الذين هم يراءون ، يقول : الذين هم يراءون الناس بصلاتهم إذا صلوا لأنهم لا يصلون رغبة في ثواب ولا رهبة من عقاب ، وإنما يصلونها ليراهم المؤمنون فيظنونهم

منهم فيكفون عن سفك دمائهم وسبي ذراريهم ، وهم المنافقون الذين كانوا على عهد رسول اللّه ﷺ يستبطنون الكفر ويظهرون الإسلام .

أما الوارد في ذم الرياء فمنه ما يلي : ـ

- قوله تعالى : ﴿**مَن كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَالَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لا يُبْخَسُونَ ﴿١٥﴾ أُولَئِكَ الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي الآخِرَةِ إِلاَّ النَّارُ وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا فِيهَا وَبَاطِلٌ مَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ**﴾ [هود: ١٥ ، ١٦] .

- وقوله تعالى : ﴿**إِنَّ الْمُنَافِقِينَ يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلاةِ قَامُوا كُسَالَى يُرَاءُونَ النَّاسَ وَلا يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلاَّ قَلِيلاً**﴾ [النساء: ١٤٢] فأفادت الآية الكريمة أن الرياء من صفات المنافقين .

- وقال تعالى : ﴿**وَلا تَكُونُوا كَالَّذِينَ خَرَجُوا مِن دِيَارِهِم بَطَرًا وَرِئَاءَ النَّاسِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ**﴾ [الأنفال: ٤٧] .

- وقوله تعالى : ﴿**فَمَن كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلاً صَالِحًا وَلا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا**﴾ [الكهف: ١١٠] .

فنهى اللّه فيها عن الشرك بعمومه ، ويدخل فيه الرياء .

- قوله تعالى في الحديث القدسي[١] : «**أنا أغنى الشركاء عن الشرك، من عمل عملاً أشرك فيه معي غيري تركته وشركه**» .

---

(١) أخرج مسلم (حديث ٢٩٨٥) من حديث أبي هريرة رضي اللّه عنه قال : قال رسول اللّه ﷺ: قال اللّه تبارك وتعالى : «**أنا أغنى الشركاء ...**» الحديث .

قال النووي رحمه اللّه : هكذا وقع في بعض الأصول «وشركه» وفي بعضها «وشريكه» وفي =

وأخرج الإمام أحمد [١] رحمه الله من حديث محمود بن لبيد رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : **«إن أخوف ما أخاف عليكم الشرك الأصغر»** قالوا : وما الشرك الأصغر يا رسول الله ؟ قال : **«الرياء ، يقول الله عز وجل لهم يوم القيامة - إذا جزى الناس بأعمالهم : اذهبوا إلى الذين كنتم تراءون في الدنيا فانظروا هل تجدون عندهم جزاء»** .

● وفي «الصحيحين»[٢] من حديث جندب رضي الله عنه قال :

= بعضها «وشركته» ومعناه : أنا غني عن المشاركة وغيرها فمن يعمل شيئًا لي ولغيري لم أقبله بل أتركه لذلك الغير ، والمراد أن عمل المرائي باطل لا ثواب فيه ، ويأثم به .

قلت: وفي معنى هذا الحديث ما أخرجه الترمذي (٣١٥٤) وحسنه من طريق زياد بن ميناء عن أبي سعد بن أبي فضالة الأنصاري - وكان من الصحابة - قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم يقول : **«إذا جمع الله الناس ليوم القيامة ليوم لا ريب فيه نادى مناد : من كان أشرك في عمل عمله لله أحدًا فليطلب ثوابه من عند غير الله فإن الله أغنى الشركاء عن الشرك»** . وزياد بن ميناء قال فيه ابن المديني : مجهول ، إلا أنه - أعني ابن المديني - قال عن إسناد الحديث : إسناد صالح يقبله القلب . هذا وقد وردت آيات كثيرة في الكتاب العزيز تحذر من الشرك وتبين أنه يحبط الأعمال .

قال تعالى : **﴿وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾** [الزمر: ٦٥] .

وقال تعالى بعد أن ذكر جملة من الأنبياء في سورة الأنعام : **﴿ذَٰلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَلَوْ أَشْرَكُوا لَحَبِطَ عَنْهُم مَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾** [الأنعام: ٨٨] .

(١) أحمد في «المسند» (٥/٤٢٨) وإسناده صحيح .

(٢) البخاري (حديث ٦٤٩٩) ومسلم (حديث ٢٩٨٧) .

قال النبي ﷺ : «من سمَّع سمع اللَّه به ، ومن يُرائي يرائي اللَّه به»[1] .

---

(١) قال النووي : قال العلماء : معناه من راءىٰ بعمله وسمَّعه الناس ليكرموه ويعظموه ويعتقدوا خيره سمع اللَّه به يوم القيامة الناس وفضحه ، وقيل : معناه من سمع بعيوب الناس وأذاعها أظهر اللَّه عيوبه ، وقيل : أسمعه المكروه ، وقيل : أراه اللَّه ثواب ذلك من غير أن يعطيه إياه ليكون حسرة عليه ، وقيل : من أراد بعمله الناس أسمعه اللَّه الناس وكان ذلك حظه منه .

● والحديث أخرجه البخاري تحت باب (الرياء والسمعة) ، وقال الحافظ ابن حجر في شرحه (مع «الفتح» ١١/ ٣٣٦) : الرياء بكسر الراء وتخفيف التحتانية والمد ، وهو مشتق من الرؤية ، والمراد به إظهار العبادة لقصد رؤية الناس لها فيحمدوا صاحبها ، والسمعة بضم المهملة وسكون الميم مشتقة من سمع ، والمراد بها نحو ما في الرياء لكنها تتعلق بحاسة السمع والرياء بحاسة البصر .

وقال الغزاليّ : المعنى : طلب المنزلة في قلوب الناس بأن يريهم الخصال المحمودة ، والمرائي هو العامل .

وقال ابن عبد السلام : الرياء أن يعمل لغير اللَّه ، والسُّمعة أن يخفي عمله للَّه ثم يحدث به الناس .

ثم نقل الحافظ ابن حجر عن الخطابيّ قوله في شرح الحديث : معناه من عمل عملاً علىٰ غير إخلاص ، وإنما يريد أن يراه الناس ويسمعوه جُوزي علىٰ ذلك بأن يشهره اللَّه ويفضحه ويُظهر ما كان يُبطنه ، وقيل : من قصد بعمله الجاه والمنزلة عند الناس ولم يرد به وجه اللَّه فإن اللَّه يجعله حديثًا عند الناس الذين أراد نيل المنزلة عندهم ، ولا ثواب له في الآخرة ، ومعنىٰ يُرائي يطلعهم علىٰ أنه فعل ذلك لهم لا لوجهه ، ومنه قوله تعالىٰ : ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَالَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ﴾ [هود: ١٥] إلىٰ قوله : ﴿مَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [هود: ١٦] .

● وقيل: المراد: من قصد بعمله أن يسمعه الناس ويروه ليعظموه وتعلو منزلته عندهم حصل له ما قصد وكان ذلك جزاؤه علىٰ عمله ولا يُثاب عليه في الآخرة ، وقيل : المعنىٰ : من سمَّع بعيوب الناس وأذاعها أظهر اللَّه عيوبه وسمعه المكروه ، وقيل : المعنىٰ : من نسب إلىٰ نفسه عملاً صالحًا لم يفعله وادعىٰ خيرًا لم يصنعه فإن اللَّه يفضحه ويظهر كذبه ، وقيل : المعنىٰ : من يُرائي الناس بعمله أراه اللَّه ثواب ذلك العمل وحرمه إياه ، وقيل: معنىٰ «سمَّع اللَّه به»: =

• ومن ذلك ما أخرجه مسلم[١] في «صحيحه» من طريق سليمان ابن يسار قال : تفرق الناس عن أبي هريرة فقال له ناتل أهل الشام : أيها الشيخ حدثنا حديثًا سمعته من رسول اللَّه ﷺ ، قال: نعم سمعت رسول اللَّه ﷺ يقول : «**إن أوَّل الناس يُقْضَىٰ يوم القيامة عليه رجلٌ استُشْهِدَ فَأُتِيَ به فعرَّفه نِعَمَهُ فَعَرَفها قال : فما عَملتَ فيها ؟ قال : قاتلتُ فيك حتىٰ استُشْهِدْتُ قال : كَذَبْتَ ولكنَّك قاتلتَ لأَنْ يُقَالَ جَرِيءٌ فقد قيل ثم أُمِرَ به فَسُحِبَ علىٰ وجهه حتىٰ أُلقِيَ في النَّار ، ورجلٌ تعلَّم العلم وعلَّمه وقرأ القرآن فأُتي به فعرَّفه نِعَمَهُ فعَرَفها قال : فما عَملتَ فيها ؟ قال : تعلمتُ العلم وعلمته وقرأت فيكَ القرآن قال : كذبت ولكنَّك تعلَّمت العِلْمَ ليقال عالم وقرأتَ القرآن ليقال هو قارئٌ فقد قِيلَ ثـم أُمِرَ بـه فَسُحِبَ علىٰ وجهه حتىٰ أُلقِي في النَّار ، ورجل وسع اللَّه عليه وأعطاه من أصناف المال كلِّه فأُتي به فعرَّفه نِعَمَهُ فعرفها قال : فما عملت فيها ؟ قال : ما تركتُ من سبيل تحب أن يُنْفَق فيها إلا أنفقتُ فيها لكَ قال : كذبت ولكنك فعلت ليقال هوَ جَوَادٌ فقد قيلَ ، ثم أُمِرَ به فَسُحِبَ علىٰ وجهه ثم أُلقِيَ في النَّار**»[٢] .

= شهره أو ملأ أسماع الناس بسوء الثناء عليه في الدنيا أو في القيامة بما ينطوي عليه من خبث السريرة. قلت (الحافظ): ورد في عدة أحاديث التصريح بوقوع ذلك في الآخرة، فهو المعتمد.

• **وقال عطية سالم في «تتمته لأضواء البيان»** : والتسميع هو العمل ليسمع الناس به كما في حديث (الوليمة في اليوم الأول ، والثاني والثالث سمعة ، ومن سمع سمع به) فالرياء مرجعه إلىٰ الرؤية ، والتسميع مرجعه إلىٰ السماع .

(١) أخرجه مسلم (حديث ١٩٠٥) .

(٢) **قال النووي رحمه اللَّه :**

وقولـه صلىٰ اللَّه عليه وعلىٰ آله وسـلم في الغازي والعالم والجواد وعقابهـم علىٰ فعلهم ذلك =

وأخرج الترمذي[١] بإسناد صحيح[٢] لغيره من طريق عقبة بن مسلم أن شُفيًّا الأصبحي حدثه أنه دخل المدينة فإذا هو برجل قد اجتمع عليه الناس ، فقال : من هذا ؟ فقالوا : أبو هريرة ، فدنوت منه حتى قعدت بين يديه وهو يحدث الناس ، فلما سكت وخلا قلت له : أنشدك بحقٍّ وبحقٍّ لما حدثتني حديثًا سمعته من رسول اللَّه ﷺ عقلته وعلمته ،

= لغير اللَّه ، وإدخالهم النار دليل على تغليظ تحريم الرياء وشدة عقوبته وعلى الحث على وجوب الإخلاص في الأعمال كما قال اللَّه تعالى : ﴿**وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ**﴾ [البينة: ٥] وفيه أن العمومات الواردة في فضل الجهاد إنما هي لمن أراد اللَّه تعالى بذلك مخلصًا ، وكذلك الثناء على العلماء وعلى المنفقين في وجوه الخيرات كله محمول على من فعل ذلك للَّه تعالى مخلصًا .

قلت : وقد أخرج البخاري (٢٨٩٨) تحت باب لا يقول فلان شهيد ، في كتاب الجهاد ومسلم (١١٢) من حديث سهل بن سعد رضي اللَّه عنه أن رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم التقي هو والمشركون فاقتتلوا فلما مال رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم إلى عسكره ، ومال الآخرون إلى عسكرهم وفي أصحاب رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم رجل لا يدع لهم شاذة ولا فاذة إلا اتبعها يضربها بسيفه ، فقالوا : ما أجزأ اليوم منا أحد كما أجزأ فلان ، فقال رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم : «**أما إنه من أهل النار**» فقال رجل من القوم : أنا صاحبه قال : فخرج معه كلما وقف وقف معه ، وإذا أسرع أسرع معه قال : فجرح الرجل جرحًا شديدًا فاستعجل الموت فوضع نصل سيفه بالأرض وذبابه بين ثدييه ثم تحامل على سيفه فقتل نفسه فخرج الرجل إلى رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم فقال : أشهد أنك رسول اللَّه قال : «**وما ذاك ؟**» قال : الرجل الذي ذكرت آنفًا إنه من أهل النار فأعظم الناس ذلك فقلت أنا لكم به فخرجت في طلبه ثم جرح جرحًا شديدًا فاستعجل الموت فوضع نصل سيفه بالأرض وذبابه بين ثدييه ثم تحامل عليه فقتل نفسه ، فقال رسول اللَّه ﷺ عند ذلك : «**إن الرجل ليعمل عمل أهل الجنة فيما يبدو للناس وهو من أهل النار وإن الرجل ليعمل عمل أهل النار فيما يبدو للناس وهو من أهل الجنة**» .

(١) الترمذي (٢٣٨٢) ، وانظر «سنن النسائي» (٦/ ٢٣) .

(٢) فيشهد له حديث أبي هريرة المتقدم .

فقال أبو هريرة : أفعل ، لأحدثنك حديثًا حدثنيه رسول اللَّه ﷺ عقلته وعلمته ، ثم نشغ [١] أبو هريرة نشغةً ، فمكث قليلاً ثم أفاق ، فقال : لأحدثنك حديثًا حدثنيه رسول اللَّه ﷺ في هذا البيت ما معنا أحد غيري وغيره ، ثم نشغ أبو هريرة نشغةً أخرىٰ ، ثم أفاق فمسح وجهه فقال : لأحدثنك حديثًا حدثنيه رسول اللَّه ﷺ وأنا وهو في هذا البيت ما معنا أحدٌ غيري وغيره ، ثم نشغ أبو هريرة نشغةً أخرىٰ ثم أفاق ومسح وجهه فقال : أفعل ، لأحدثنك حديثًا حدثنيه رسول اللَّه ﷺ وأنا معه في هذا البيت ما معه أحدٌ غيري وغيره ، ثم نشغ أبو هريرة نشغةً شديدةً ، ثمَّ مال خارًّا علىٰ وجهه فأسندته عليَّ طويلاً ، ثم أفاق فقال : حدثني رسول اللَّه ﷺ «**أن اللَّه تبارك وتعالىٰ إذا كان يوم القيامة ينزل إلىٰ العباد ليقضي بينهم وكل أمة جاثيةٌ**». **فأول من يدعو به رجلٌ جمع القرآن ، ورجلٌ يقتتل في سبيل اللَّه ، ورجل كثير المال ، فيقول اللَّه للقارئ : ألم أعلمك ما أنزلت علىٰ رسولي ؟ قال : بلىٰ يا رب . قال : فماذا عملت فيما علمت ؟ قال : كنت أقوم به آناء الليل وآناء النهار. فيقول اللَّه له : كذبت . وتقول له الملائكة: كذبت . ويقول اللَّه : بل أردت أن يقال إن فلانًا قارئ فقد قيل ذاك. ويؤتىٰ بصاحب المال فيقول اللَّه له : ألم أوسع عليك حتىٰ لم أدعك تحتاج إلىٰ أحدٍ ؟ قال : بلىٰ يا رب . قال : فماذا عملت فيما آتيتك ؟ قال : كنت أصل الرِّحم وأتصدق ، فيقول اللَّه له : كذبت ، وتقول له الملائكة : كذبت ، ويقول اللَّه تعالىٰ : بل أردت أن يقال فلان جواد فقد قيل ذاك . ويؤتىٰ بالذي**

---

(١) نشغ نشغة : أي : شهق حتىٰ كاد يغمىٰ عليه .

قتل في سبيل اللَّه ، فيقول اللَّه له : فيماذا قتلت ؟ فيقول : أمرت بالجهاد في سبيلك فقاتلت حتىٰ قتلت . فيقول اللَّه تعالىٰ له كذبت ، وتقول له الملائكة : كذبت . ويقول اللَّه : بل أردت أن يقال فلان جريءٌ فقد قيل ذاك ، ثم ضرب رسول اللَّه ﷺ علىٰ ركبتي فقال : «**يا أبا هريرة ، أولئك الثلاثة أول خلق اللَّه تسعر بهم النار يوم القيامة**» . وقال الوليد أبو عثمان : فأخبرني عقبة بن مسلمٍ أن شفيًّا هو الذي دخل علىٰ معاوية فأخبره بهذا : قال أبو عثمان : وحدثني العلاء بن أبي حكيم أنه كان سيافًا لمعاوية فدخل عليه رجل فأخبره بهذا عن أبي هريرة ، فقال معاوية : قد فعل بهؤلاءِ هذا فكيف بمن بقي من الناس ؟ ثم بكىٰ معاوية بكاء شديدًا حتىٰ ظننا أنه هالكٌ ، وقلنا قد جاءنا هذا الرجل بشرٍّ ، ثم أفاق معاوية ومسح عن وجهه وقال : صدق اللَّه ورسوله : ﴿**مَن كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَالَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لا يُبْخَسُونَ ﴿١٥﴾ أُوْلَٰئِكَ الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي الآخِرَةِ إِلاَّ النَّارُ وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا فِيهَا وَبَاطِلٌ مَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ**﴾ [هود: ١٥، ١٦] .

قال أبو عيسىٰ : هذا حديثٌ حسنٌ غريبٌ .

أما حكم الرياء في العمل فيتلخص في الآتي :

● ذهب فريق من أهل العلم إلىٰ أن الرياء محبط للعمل الذي هو فيه فقط فإن راءىٰ في الصلاة أحبطها ولا يتعدىٰ ذلك إلىٰ الصوم ، وإن راءىٰ في صلاة نافلةٍ لا يتعدىٰ إحباطها إلىٰ صلاة فريضة وهكذا .

واستدل هؤلاء بالحديث القدسي : «**من عمل عملاً أشرك فيه معي**

غيري تركته وشركه» .

ومن أهل العلم من قال : إن الرياء لا يخلو من ذم ، وذلك للذم الوارد في المرائين ، واللَّه تعالىٰ أعلم .

❊ ❊ ❊

س ـ إذا بدأ الرجل عمله خالصًا للَّه ثم طرأ عليه شبح الرياء فهل يسلم له عمله أو يحبطه ما طرأ عليه من الرياء ؟

ج : **أجاب علىٰ ذلك عطية سالم في «تتمته لأضواء البيان»** فقال :

فقالوا : إن كان خاطرًا ودفعه عنه فلا يضره ، وإن استرسل معه . فقد رجح أحمد وابن جرير ، عدم بطلان العمل نظرًا لسلامة القصد ابتداء .

ودليلهم في ذلك : ما روىٰ أبو داود في «مراسيله» عن عطاء الخراساني أن رجلاً قال : يا رسول اللَّه ، إن بني سلمة كلهم يقاتل ، فمنهم من يقاتل للدنيا ، ومنهم من يقاتل نجدة ، ومنهم من يقاتل ابتغاء وجه اللَّه تعالىٰ قال : **«كلهم إذا كان أصل أمره ، أن تكون كلمة اللَّه هي العليا»** .

وذكر عن ابن جرير : أن هذا في العمل الذي يرتبط آخره بأوله ، كالصلاة والصيام .

أما ماكان مثل القراءة والعلم، فإنه يلزمه تجديد النية الخالصة للَّه، أي لأن كل جزء من القراءة ، وكل جزء من طلب العلم مستقل بنفسه،

فلا يرتبط بما قبله .

* * *

س ـ إذا بدأ الشخص عملاً للَّه سبحانه وتعالىٰ فرآه الناس علىٰ هذا العمل ففرح برؤيتهم له علىٰ هذه الحال ، هل يدخل هذا في باب الرياء ؟

ج : **لا يدخل هذا في الرياء ، بل هو من عاجل بشرىٰ المؤمن، وذلك لما أخرجه مسلم من حديث أبي ذر رضي اللَّه عنه قال : قيل لرسول اللَّه ﷺ : أرأيت الرجل يعمل العمل من الخير ويحمده الناس عليه ؟ قال : «تلك عاجل بشرىٰ المؤمن»[1] .**

* * *

س ـ هل يُعدُّ إظهار العمل الصالح رياءً في كل الأحوال ؟

ج : **لا يُعدُّ إظهار العمل الصالح رياءً في كل الأحوال ، فإذا كان العمل الصالح فريضة فلا بأس بإظهاره بل ويجب إظهار الفريضة في عدة أحيان ففرض الصلاة يظهر وكذلك الحج والنطق بالشهادتين وغير ذلك .**

قال القرطبي رحمه اللَّه : ولا يكون الرجل مرائيًا بإظهار العمل الصالح إن كان فريضة فمن حق الفرائض الإعلان بها وتشهيرها .

قلت : وإذا أظهر العمل الصالح بقصد التأسي بالعامل فلا بأس بذلك ، وقد قال تعالىٰ : **﴿إِن تُبْدُوا الصَّدَقَاتِ فَنِعِمَّا هِيَ وَإِن تُخْفُوهَا**

---

(١) أخرجه مسلم (٢٦٤٢) .

وَتُؤْتُوهَا الْفُقَرَاءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَيُكَفِّرُ عَنكُم مِّن سَيِّئَاتِكُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ [البقرة: ٢٧١] .

* * *

س ـ هل يلزم أن يكون المرائي في صلاته منافقًا ؟

ج : **أجاب علىٰ ذلك عطية سالم في «تتمته لأضواء البيان» بقوله :**

والمرائي في صلاته قد يكون منافقًا ، وقد يكون غير منافق .

فالرياء أعم من جهة ، والنفاق أعم من جهة أخرىٰ ، أي قد يرائي في عمل ما ، ويكون مؤمنًا بالبعث والجزاء وبكل أركان الإيمان ، ولا يرائي في عمل آخر ، بل يكون مخلصًا فيه كل الإخلاص .

والمنافق دائمًا ظاهره مخالف لباطنه في كل شيء ، لا في الصلاة فقط .

ولكن جاء النص: بأن المراءاة في الصلاة ، من أعمال المنافقين.

وجاء النص أيضًا . بأن منع الماعون من طبيعة الإنسان إلا المصلين، كما في قوله تعالىٰ : ﴿ إِنَّ الإِنسَانَ خُلِقَ هَلُوعًا ﴿١٩﴾ إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعًا ﴿٢٠﴾ وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعًا ﴿٢١﴾ إِلاَّ الْمُصَلِّينَ﴾ [المعارج: ١٩ - ٢٢] .

* * *

س ـ ما المراد بـ ﴿ الْمَاعُونَ ﴾ [الماعون: ٧] بشيء من الإيضاح ؟

ج : **لأهل العلم في ذلك أقوال ، منها ما يلي :**

أحدها : أن المراد بالماعون الزكاة المفروضة .

الثاني : أن المراد المتاع الذي يتعاطاه الناس فيما بينهم ويستعيرونه من بعضهم كالدلو والقدر والفأس ونحو ذلك .

الثالث : أن المراد عموم ما ذكر فيدخل فيه منع الزكاة المفروضة ويدخل فيه أيضًا منع العارية التي تستعار .

قال الطبري رحمه اللَّه : وأولى الأقوال في ذلك عندنا بالصواب إذ كان الماعون هو ما وصفنا قبل ، وكان اللَّه قد أخبر عن هؤلاء القوم وأنهم يمنعونه الناس خبرًا عامًا من غير أن يخص من ذلك شيئًا أن يُقال: إن اللَّه وصفهم بأنهم يمنعون الناس ما يتعاورونه بينهم ويمنعون أهل الحاجة والمسكنة ما أوجب اللَّه لهم في أموالهم من الحقوق لأن كل ذلك من المنافع التي ينتفع بها الناس بعضهم من بعض .

* * *

س ـ ما حكم العارية (الشيء الذي يُعار) ؟

ج : أكثر أهل العلم على أنه مستحب لما فيه من التعاون على الخير وعلى البر ، ولما يجلبه ذلك من مودة بين المسلمين .

أما من استدل للوجوب بقوله تعالى : ﴿ **الَّذِينَ هُمْ يُرَاءُونَ ﴿٦﴾ وَيَمْنَعُونَ الْمَاعُونَ** ﴾ [الماعون: ٦ ، ٧] فأجيب على استدلاله بأن الوعيد في الآية الكريمة منصبٌ على الصفات الثلاث : السهو عن الصلاة ،

والرياء في العمل ، ومنع الماعون ، والله تعالى أعلم .

* * *

أهمية العمل بمجموع النصوص وجملتها والتحذير من الأخذ بدليل واحد وترك باقي الأدلة :

س - يستفاد من هذه السورة منهج علمي يتمثل في جمع النصوص عند إرادة البحث في مسألة ، وضح ذلك ، ومثل له من هذه السورة ومن غيرها ؟

ج : أما المثال من هذه السورة **فقد ذكره عطية سالم في «تتمته لأضواء البيان»** فقال رحمه الله :

في هذه السورة بيان منهج علمي يلزم كل باحث ، وهو جمع أطراف النصوص وعدم الاقتصار على جزء منه ، وذلك في قوله تعالى: ﴿**فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ**﴾ [الماعون: ٦] وهي آية مستقلة ، ولو أخذت وحدها لكانت وعيدًا للمصلين .

كما قال الشاعر الماجن في قوله :

دع المساجد للعباد تسكنها .:. وسر إلى خانة الخمار يسقينا

ما قال ربك ويل للألى سكروا .:. وإنما قال ويل للمصلينا

ولذا لابد من ضميمة ما بعدها للتفسير والبيان ، ﴿**الَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ**﴾ [الماعون: ٥] ، ثم فسر هذا التفسير أيضًا بقوله :

﴿الَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ ۝ الَّذِينَ هُمْ يُرَاءُونَ ۝ وَيَمْنَعُونَ الْمَاعُونَ﴾ [الماعون: ٦ - ٧] .

ومثل هذه الآية من الحديث ، ما جاء عند ابن ماجه ما نصه بسنده عن ابن عمر رضي اللَّه عنهما قال : قيل للنبي ﷺ : إن مسيرة المسجد تعطلت : فقال النبي ﷺ : **«من عمّر مسيرة المسجد كتب له كفلان من الأجر»** .

هذا الحديث وإن كان في الزوائد ، قال عنه : في إسناده ليث بن أبي سليم ضعيف ، إلا أنه نص فيما تمثل له لأن من اقتصر على وجوبه ﷺ اعتبر مسيرة المسجد أفضل ، ومن جمع طرفي الحديث عرف المقصود منه .

ويتفرع على هذا ما أخذه مالك رحمه اللَّه في باب الشهادة : أن الشخص لا يحق له أن يشهد على مجرد قول سمعه ، إلا إذا استشهدوه عليه ، وقالوا : اشهد عليه ، أو إلا إذا سمع الحديث من أوله مخافة أن يكون في أوله ما هو مرتبط بآخره ، كما لو قال المتكلم للآخر : لي عندك فرس ، ولك عندي مائة درهم ، فيسمع قوله : لك عندي مائة درهم ، ولم يسمع ما قبلها ، فإذا شهد على ما سمع كان إضرارًا بالمشهود عليه ، وهذه السورة تدل لهذا المأخذ ، واللَّه تعالى أعلم .

ونورد هنا أمثلة أخرى للشذوذ الناجم عن الأخذ ببعض الأدلة وترك البعض الآخر في مجالات متنوعة .

• ففي مجال العقائد :

• الخوارج والمرجئة :

عَمَد الخوارج إلىٰ جملة أدلة من الكتاب والسنة وفهموها علىٰ غير وجهها ، وأهدروا آيات وأحاديث أُخر فوصلوا إلىٰ ما وصلوا إليه من تضليل المسلمين وتكفيرهم والابتداع في الدين ، وإذا جآء المناظر يناظرهم أوردوا له الآيات والأحاديث التي تشهد في ظاهرها لمنهجهم وتركوا ما سواها وها هي بعض الأدلة التي يستندون عليها :

١ ـ قوله تعالىٰ : ﴿ **بَلَىٰ مَن كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَاطَتْ بِهِ خَطِيئَتُهُ فَأُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ** ﴾ [البقرة: ٨١] .

٢ ـ قوله تعالىٰ : ﴿ **وَمَن يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُ يُدْخِلْهُ نَارًا خَالِدًا فِيهَا وَلَهُ عَذَابٌ مُّهِينٌ** ﴾ [النساء: ١٤] .

٣ ـ قوله تعالىٰ : ﴿ **وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَىٰ مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ** ﴾ [آل عمران: ١٣٥] . إلىٰ غير ذلك من الآيات .

أما الأحاديث : فاحتجوا بقوله ﷺ : «**لا يدخل الجنة قتات**»[1] .

• وقوله ﷺ : «**لا يدخل الجنة قاطع**»[2] .

---

(١) أخرجه البخاري (مع الفتح ١٠/ ٤٧٢) ، ومسلم (ص ١٠١) من حديث حذيفة رضي الله عنه .

(٢) أخرجه البخاري في كتاب الأدب من «صحيحه» ، ومسلم من حديث جبير بن مطعم مرفوعًا ، وقال مسلم في آخره : قال ابن أبي عمر : قال سفيان : يعني قاطع رحم .

• وقوله ﷺ : **«لا يدخل الجنة من لا يأمن جاره بوائقه»**[١] .

• وقوله ﷺ : **«من ادّعي إلى غير أبيه وهو يعلم أنه غير أبيه فالجنة عليه حرام»**[٢] .

• وقوله ﷺ : **«من قتل نفسًا معاهدة بغير حقها حرم اللَّه عليه الجنة»**[٣] .

• وقوله ﷺ : **«لا يدخل النار أحد في قلبه مثقال حبة خردل من إيمان ، ولا يدخل الجنة أحد في قلبه مثقال حبة خردل من كبرياء»**[٤] ، إلى غير ذلك من الأحاديث فبنوا على ذلك قواعدهم الباطلة في تكفير المسلمين .

فكفروا مرتكب المعصية المُصرَّ عليها !!!

وكفَّروا القتات !!! وكفَّروا قاطعَ الرحم !!!

وكفَّروا قاتل النفس المعاهدة بغير حقٍّ !!!

وكفَّروا من لا يأمن جارُهُ بوائِقَهُ !!!

وكفَّروا . . . وكفَّروا . . . وكفَّروا . . . !!!

• وتركوا قوله تعالى : **﴿إِنَّ اللَّهَ لا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ**

---

(١) أخرجه مسلم من حديث أبي هريرة رضي اللَّه عنه مرفوعًا .

(٢) أخرجه مسلم من حديث أبي بكرة رضي اللَّه عنه مرفوعًا ، والبخاري من حديث سعد مرفوعًا .

(٣) أخرجه البخاري من حديث عبد اللَّه بن عمرو مرفوعًا .

(١) أخرجه مسلم من حديث ابن مسعود رضي اللَّه عنه مرفوعًا .

ذَلِكَ لِمَن يَشَاءُ﴾ [النساء: ٤٨] .

• وتركوا حديث رسول اللَّه ﷺ : «**يخرجُ من النَّارِ من قال : لا إله إلا اللَّه ، وكان في قلبه من الخير ما يزن شعيرة ، ثم يخرج من النار من قال : لا إله إلا اللَّه ، وكان في قلبه من الخير ما يزن برة ، ثم يخرج من النار من قال: لا إله إلا اللَّه ، وكان في قلبه ما يزن من الخير ذرة**»(١) .

وتركوا غير ذلك من الأحاديث والآيات فضلُّوا وأَضَلُّوا !!!!

• أما المرجئة فعمدوا إلى حديث رسول اللَّه ﷺ : «**من شَهِدَ أن لا إله إلا اللَّه وأن محمداً رسول اللَّه حرَّمه اللَّه على النار**»(٢) .

• وحديث عثمان رضي اللَّه عنه في «صحيح مسلم» : «**من مات وهو يعلم أن لا إله إلا اللَّه دخل الجنة**»(٣) .

• وإلى قول النبي ﷺ : « ... **فإن اللَّه حرم على النار من قال لا إله إلا اللَّه يبتغي بذلك وجه اللَّه**»(٤) .

• وحديث : «**من صلى البردين دخل الجنة**»(٥) .

• وحديث: «**من اغبرَّت قدماه في سبيل اللَّه حرمه اللَّه على النار**»(٦) .

---

(١) أخرجه البخاري من حديث أنس رضي اللَّه عنه مرفوعًا .

(٢) أخرجه مسلم من حديث عبادة بن الصامت رضي اللَّه عنه مرفوعًا .

(٣) أخرجه مسلم (١/ ٢٢١) من حديث عثمان رضي اللَّه عنه مرفوعًا .

(٤) أخرجه البخاري من حديث محمود بن الربيع في قصة عتبان بن مالك رضي اللَّه عنه وذهاب الرسول ﷺ إليه ليصلي في بيته .

(٥) أخرجه البخاري ومسلم من حديث أبي موسى رضي اللَّه عنه مرفوعًا .

(٦) أخرجه البخاري من حديث أبي عبس رضي اللَّه عنه مرفوعًا .

● وقوله ﷺ : «**لا يجتمع كافر وقاتله في النار أبدًا**»[١] .

وغير ذلك من الأحاديث التي على هذا النحو والمنوال !!!

وأخذوا أيضًا بقوله تعالى : ﴿**فَأَثَابَهُمُ اللَّهُ بِمَا قَالُوا جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ**﴾ [المائدة: ٨٥] .

فقالوا : إن اللّه عزَّ وجل قال : فأثابهم اللّه بما قالوا ، واقتصر هنا على القول إلى غير ذلك من الآيات التي على هذا النحو .

● فحكموا لمن اقتصر على قول لا إله إلا اللّه بالإيمان والنجاة من النيران وإن لم يعمل خيرًا قط !!!

● وبالغ بعضهم مبالغة شديدة وقال : إن من قالها فهو على إيمان كإيمان جبرائيل وإسرافيل !!!

● وضل آخرون منهم ضلالاً بعيدًا إذ قال : إن من قال لا إله إلا اللّه فهو مؤمن وإن اعتقد التثليث بقلبه !!!

وهذا نوع من أنواع الكفر الصُّراح .

وتغافلوا عن قوله تعالى في جُلِّ آيات الكتاب : ﴿**إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ**﴾ [الكهف: ١٠٧] .

فردف الإيمان بالعمل .

وتركوا قول اللّه جل ذكره : ﴿**إِنَّ الْمُنَافِقِينَ يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ**

---

(١) أخرجه مسلم من حديث أبي هريرة رضي اللّه عنه .

خَادِعُهُمْ وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلاةِ قَامُوا كُسَالَىٰ يُرَاءُونَ النَّاسَ وَلا يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلاَّ قَلِيلاً ... ﴾ إلى قوله تعالى : ﴿ **إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرْكِ الأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ وَلَن تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا** ﴾ [النساء: ١٤٢ - ١٤٥] .

فالآية الكريمة تفيد أنهم يصلون ولكنهم إذا قاموا إلى الصلاة قاموا كسالى ، ويزكون إلا أنهم كما قال تعالى : ﴿ **وَلا يُنفِقُونَ إِلاَّ وَهُمْ كَارِهُونَ** ﴾ [التوبة: ٥٤] .

● وتركوا قوله تعالى : ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا زَحْفًا فَلا تُوَلُّوهُمُ الأَدْبَارَ (١٥) وَمَن يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُ إِلاَّ مُتَحَرِّفًا لِّقِتَالٍ أَوْ مُتَحَيِّزًا إِلَىٰ فِئَةٍ فَقَدْ بَاءَ بِغَضَبٍ مِّنَ اللَّهِ وَمَأْوَاهُ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ** ﴾ [الأنفال: ١٥، ١٦] .

فنسوا أن هؤلاء مجاهدون خرجوا للجهاد في سبيل اللَّه إلا أن زحف الكفار أرهبهم وشعاع السيوف أزعجهم فرجعوا وولوا الأدبار فجاء فيهم الوعيد الشديد !!

● نسوا حديث رسول اللَّه ﷺ : «**أتدرون من المفلس ؟** » قالوا : المفلس فينا من لا درهم له ولا متاع ، فقال : «**إن المفلس من أمتي يأتي يوم القيامة بصلاة وصيام وزكاة ، ويأتي وقد شتم هذا وقذف هذا وأكل مال هذا وسفك دم هذا وضرب هذا ، فيعطى هذا من حسناته وهذا من حسناته فإن فنيت حسناته قبل أن يقضي ما عليه أُخذ من خطاياهم فطرحت عليه ثم طرح في النار**»[١] فها هو قد طرح في النار وقد قال لا إله إلا اللَّه

(١) أخرجه مسلم من حديث أبي هريرة رضي اللَّه عنه مرفوعًا .

وأتى بصلاة وصيام وزكاة ولكن ولات حين . . . . . . !!! .

• وتركوا حديث رسول اللَّه ﷺ : **«سباب المسلم فسوق وقتاله كفر»**[1] .

وتركوا الوعيد الذي جاء في الكتاب العزيز والسنة النبوية لأكلة الربا والزناة وأكلة السحت والمصورين والمسبلين والغشاشين وقطاع الأرحام وقطاع الطرق والمتبرجات وأكلة أموال اليتامى ظلمًا وشهود الزور والمغتابين واللصوص و . . . و . . . . . و . . . . . !!!! .

فضَلَّت المرجئة وأضلوا كثيرًا وضلوا عن سواء السبيل ! .

وهذا مصير من أخذ بجانب من الأدلة وترك جانبًا آخر !! .

هذا مصير المتميع الذي أخذ أحاديث ظن أنها توافق تميعه !! .

وذاك مصير المتشدد الذي أخذ أحاديث ظن أنها تزكي تشدده !! .

ولكن أهل السنة والجماعة ـ وفقهم اللَّه وسدد على الطريق خطاهم ـ أخذوا بهذه النصوص وتلك وجمعوا بينها ووفَّقوا ، وألفوا بينها وسُدِّدوا ، فرفعوا الإِشكال للمسلمين ، وأزالوا الشُّبَه ، وكشفوا الحُجب ، فجزاهم اللَّه خيرًا ورفعهم اللَّه قدرًا .

فهب أن هناك قاطعًا للرحم يقول : لا إله إلا اللَّه ، فهل نطبق عليه رأي الخوارج ونقول : إن الجنة عليه حرام !! أم قول المرجئة : إنه من أهل الإِيمان في فسيح الجنان !! هل نأخذ بحديث : **«من قال لا**

---

(١) أخرجه البخاري من حديث ابن مسعود رضي اللَّه عنه مرفوعًا .

إله إلا اللَّه دخل الجنة» ونترك حديث : «لا يدخل الجنة قاطع» كما فعلت المرجئة ؟ !! أو نعكس كما فعلت الخوارج ؟!! أو نأخذ بهما معًا .

لا شك أننا مأمورون بالأخذ بهما معًا .

ولنوضح كيف يجتهد أهل السنة في ذلك ، وإن كان الباب ليس بباب ذلك .

وقبل أن نشرع في الجمع بين هذه الأدلة نقرر قواعد بأدلتها :

● **القاعدة الأولى** : ألا وهي أن الجنة درجات وكذلك النار دركات، ولتقرير هذه القاعدة نسوق ما ييسره اللَّه تبارك وتعالى من أدلة، وإن أصبنا فمن اللَّه وحده فله الفضل وله الثناء الحسن ، وإن أخطأنا فمن أنفسنا ومن الشيطان ، واللَّه ورسوله بريئان منه .

قال اللَّه تبارك وتعالى : ﴿ .. **وَمَن يَأْتِهِ مُؤْمِنًا قَدْ عَمِلَ الصَّالِحَاتِ فَأُوْلَئِكَ لَهُمُ الدَّرَجَاتُ الْعُلَى ﴿٧٥﴾ جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ جَزَاءُ مَن تَزَكَّى** ﴾ [طه: ٧٥، ٧٦] .

● قال تعالى : ﴿ **وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ ﴿١٠﴾ أُوْلَئِكَ الْمُقَرَّبُونَ** ﴾ [الواقعة: ١٠، ١١] .

وقال سبحانه في آخر السورة : ﴿ **فَأَمَّا إِن كَانَ مِنَ الْمُقَرَّبِينَ ﴿٨٨﴾ فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّةُ نَعِيمٍ ﴿٨٩﴾ وَأَمَّا إِن كَانَ مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ ﴿٩٠﴾ فَسَلامٌ لَّكَ مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ** ﴾ [الواقعة: ٨٨ - ٩١] .

● وقال النبي ﷺ : «**من آمن باللَّه وبرسوله وأقام الصلاة وصام**

رمضان كان حقًّا على اللَّه أن يدخله الجنة جاهد في سبيل اللَّه أو جلس في أرضه التي وُلِدَ فيها» ، فقالوا : يا رسول اللَّه ! أفلا نبشر الناس ؟! قال : «إن في الجنة مائة درجة أعدها اللَّه للمجاهدين في سبيل اللَّه ، ما بين الدرجتين كما بين السماء والأرض ، فإذا سألتم اللَّه فاسألوه الفردوس ، فإنه أوسط الجنة وأعلى الجنة ـ أراه قال ـ وفوقه عرش الرحمن ومنه تفجر أنهار الجنة»[1] .

• وقول النبي ﷺ : «إن أهل الجنة ليرون من فوقهم كما ترون الكوكب الدّري في أفق السماء وإن أبا بكر وعُمر منهم وأنعما»[2] .

وأما الأدلة على أن النار دركات فمنها :

١ ـ قوله تعالى : ﴿ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرْكِ الأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ ﴾ [النساء: ١٤٥] .

٢ ـ قوله تعالى : ﴿ وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ ﴾ [غافر: ٤٦] .

٣ ـ قوله تعالى في شأن أصحاب المائدة : ﴿ فَمَن يَكْفُرْ بَعْدُ مِنكُمْ فَإِنِّي أُعَذِّبُهُ عَذَابًا لاَّ أُعَذِّبُهُ أَحَدًا مِّنَ الْعَالَمِينَ ﴾ [المائدة: ١١٥] .

٤ ـ قول العباس بن عبد المطلب لرسول اللَّه ﷺ : يا رسول اللَّه هل نفعت أبا طالب بشيء فإنه كان يحوطك ويغضب لك ؟ قال : «نعم

---

(١) أخرجه البخاري من حديث أبي هريرة رضي اللَّه عنه .

(٢) أخرجه أحمد من حديث أبي سعيد رضي اللَّه عنه بسند حسن لشواهده .

هو في ضحضاح من نار ولولا أنا لكان في الدرك الأسفل من النار»[١] إلى غير ذلك من الآيات والأحاديث في هذا الباب .

• **القاعدة الثانية** : ألا وهي أن هناك من يدخل الجنة قبل غيره ومن أدلة ذلك ما يلي :

• قول اللَّه تعالى : ﴿**وَبَيْنَهُمَا حِجَابٌ وَعَلَى الأَعْرَافِ رِجَالٌ يَعْرِفُونَ كُلاًّ بِسِيمَاهُمْ وَنَادَوْا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ أَن سَلامٌ عَلَيْكُمْ لَمْ يَدْخُلُوهَا وَهُمْ يَطْمَعُونَ ﴿٤٦﴾ وَإِذَا صُرِفَتْ أَبْصَارُهُمْ تِلْقَاءَ أَصْحَابِ النَّارِ قَالُوا رَبَّنَا لا تَجْعَلْنَا مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿٤٧﴾ وَنَادَى أَصْحَابُ الأَعْرَافِ رِجَالاً يَعْرِفُونَهُم بِسِيمَاهُمْ قَالُوا مَا أَغْنَى عَنكُمْ جَمْعُكُمْ وَمَا كُنتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ ﴿٤٨﴾ أَهَؤُلاءِ الَّذِينَ أَقْسَمْتُمْ لا يَنَالُهُمُ اللَّهُ بِرَحْمَةٍ ادْخُلُوا الْجَنَّةَ لا خَوْفٌ عَلَيْكُمْ وَلا أَنتُمْ تَحْزَنُونَ**﴾ [الأعراف: ٤٦ - ٤٩] .

• وقول اللَّه تعالى : ﴿**وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمَانٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَا أَلَتْنَاهُم مِّنْ عَمَلِهِم مِّن شَيْءٍ**﴾ [الطور: ٢١] .

• وقول رسول اللَّه ﷺ : «**أول زمرة تدخل الجنة على صورة القمر ليلة البدر والذين على إثرهم كأشد كوكب إضاءة ..** »[٢] .

• حديث أبي هريرة رضي اللَّه عنه ، عن رسول اللَّه ﷺ الذي أخرجه البخاري في كتاب التوحيد[٣] وهو حديث طويل جاء فيه : «...

---

(١) أخرجه مسلم من حديث العباس بن عبد المطلب رضي اللَّه عنه .

(٢) أخرجه البخاري من حديث أبي هريرة رضي اللَّه عنه .

(٣) أخرجه البخاري في كتاب التوحيد باب (وجوه يومئذ ناضرة . .) .

ويبقى رجل مقبل بوجهه على النار هو آخر أهل النار دخولاً لها» .

• قول رسول اللَّه ﷺ : «**يدخل فقراء المسلمين الجنة قبل أغنيائهم بنصف يوم وهو خمسمائة عام**»[١] إلى غير ذلك من الآيات والأحاديث .

فمما تقدم يتبين لنا أن قول رسول اللَّه ﷺ : «**لا يدخل الجنة من فعل كذا .. وكذا**» وقوله : «**لا يدخل النار من فعل كذا وكذا و ..**» إذا كان المقول فيه من أهل التوحيد فقد يحمل على أحد وجهين :

أولهما : أنه لا يدخل مع الداخلين الأولين بل يأخذ حظه من العذاب ـ إلا إذا عفا اللَّه عنه ـ ثم يدخل الجنة .

ثانيهما : أنه قد لا يدخل نوعًا من الجنان التي أعدت لمن ترك هذا الفعل ، وقد جاء ما يشهد لذلك في حديث : «**من شرب الخمر في الدنيا حرمها في الآخرة**»[٢] .

وكذلك الحال بالنسبة لجهنم أعاذنا اللَّه منها برحمته فقوله ﷺ : «**حرم على النار من قال : لا إله إلا اللَّه**» قد يحمل على نار مخصوصة ألا وهي نار المشركين .

هذا وقد ذهب بعض أهل العلم إلى إمرار هذه الأحاديث على ظاهرها حتى تكون أبلغ في الزجر ، واللَّه تعالى أعلم .

---

(١) أخرجه أحمد والترمذي وابن ماجة من حديث أبي هريرة رضي اللَّه عنه بإسناد حسن .

(٢) أخرجه مسلم (٢٢٠٣) من حديث ابن عمر رضي اللَّه عنهما مرفوعًا : «**من شرب الخمر في الدنيا لم يشربها في الآخرة إلا أن يتوب**» وله ألفاظ أخر .

• وفي أبواب الشفاعة :

يعمد قوم إلى قوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ يَوْمٌ لاَّ بَيْعٌ فِيهِ وَلا خُلَّةٌ وَلا شَفَاعَةٌ ... ﴾ [البقرة: ٢٥٤] .

• وإلى قوله تعالى : ﴿ وَأَنذِرْ بِهِ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَن يُحْشَرُوا إِلَىٰ رَبِّهِمْ لَيْسَ لَهُم مِّن دُونِهِ وَلِيٌّ وَلا شَفِيعٌ لَّعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴾ [الأنعام: ٥١] .

• وإلى قوله تعالى : ﴿ .. وَذَكِّرْ بِهِ أَن تُبْسَلَ نَفْسٌ بِمَا كَسَبَتْ لَيْسَ لَهَا مِن دُونِ اللَّهِ وَلِيٌّ وَلا شَفِيعٌ ... ﴾ [الأنعام: ٧٠] .

• وإلى قوله تعالى : ﴿ وَاتَّقُوا يَوْمًا لاَّ تَجْزِي نَفْسٌ عَن نَّفْسٍ شَيْئًا وَلا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَاعَةٌ وَلا يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلا هُمْ يُنصَرُونَ ﴾ [البقرة: ٤٨] .

والآيات التي على هذه الشاكلة فيفهمون منها بفهمهم الرديء أنه لا شفاعة في الآخرة ويقررون ذلك وينتصرون له بنحو قوله تعالى : ﴿ وَأَن لَّيْسَ لِلإِنسَانِ إِلاَّ مَا سَعَىٰ ﴾ [النجم: ٣٩] .

وبنحو قوله تعالى : ﴿ مَن يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ ﴾ [النساء: ١٢٣] .

والآيات والأحاديث التي على هذا النحو .

• ويغفلون عن مثل قوله تعالى : ﴿ مَن ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِندَهُ إِلاَّ بِإِذْنِهِ ﴾ [البقرة: ٢٥٥] .

فأثبتت الآية الشفاعة وإن كانت مقيدة بإذن اللَّه سبحانه وتعالى .

• وقوله تعالى : ﴿ وَكَم مِّن مَّلَكٍ فِي السَّمَوَاتِ لا تُغْنِي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئًا

إِلاَّ مِنْ بَعْدِ أَن يَأْذَنَ اللَّهُ لِمَن يَشَاءُ وَيَرْضَىٰ ﴾ [النجم: ٢٦] .

• وقوله تعالىٰ : ﴿ وَلا يَشْفَعُونَ إِلاَّ لِمَنِ ارْتَضَىٰ وَهُم مِّنْ خَشْيَتِهِ مُشْفِقُونَ ﴾ [الأنبياء: ٢٨] .

• وقوله تعالىٰ : ﴿ وَخَشَعَتِ الأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَٰنِ فَلا تَسْمَعُ إِلاَّ هَمْسًا ﴿١٠٨﴾ يَوْمَئِذٍ لاَّ تَنفَعُ الشَّفَاعَةُ إِلاَّ مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَٰنُ وَرَضِيَ لَهُ قَوْلاً ﴾ [طه: ١٠٨، ١٠٩] .

إلىٰ غير ذلك من الآيات ، وكذلك الأحاديث الواردة عن رسول اللَّه ﷺ في بيان أنواع الشفاعات كالشفاعة العظمىٰ ، والشفاعة لأهل الكبائر ، والشفاعة لخروج أقوامٍ من النار ، والشفاعة لتخفيف العذاب عن بعض أهل النار، والشفاعة لرفعة درجات بعض أهل الجنة، وشفاعة الذين ماتوا صغارًا لآبائهم وأمهاتهم ، وشفاعة المؤمنين ، وشفاعة القرآن ، وشفاعة الشهداء و . . . و . . .[١].

• أما أهل السنة والجماعة ـ زادهم اللَّه رشدًا ـ فيوفقون بين تلك الأخبار كلها ، ويعملون بالآيات والأحاديث جميعها ، فيضعون الضوابط لمسألة الشفاعة ، من هذه الضوابط لهذه المسألة : أنه لا شفاعة في كافر[٢]، لقوله تعالىٰ : ﴿ مَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلا

---

[١] وكل ذلك قد صحت فيه أحاديث عن رسول اللَّه ﷺ .

[٢] اللهم إلا ما جاء في أبي طالب ، وقول العباس له : يا رسول اللَّه أبو طالب كان يحوطك ويمنعك من الناس فهل نفعته بشيء ؟ فقال النبي ﷺ : «**نعم هو في ضحضاح من نارٍ يغلي منهما دماغه ولولا أنا لكان في الدرك الأسفل من النار**» ، إن جاز أن تسمى هذه الشفاعة ، وإلا فالكفار متفاوتون في العذاب علىٰ ما تقدم ، فالكافر الداعي إلىٰ كفره يعذب أكثر من غير =

شَفِيعٍ يُطَاعُ﴾ [غافر: ١٨] .

وإنه لا يشفع أحدٌ إلا بإذن اللَّه ولا يُشَفَّعُ إلا فيمن شاء اللَّه له أن يشفع فيه ، إلى غير ذلك من الضوابط التي وضعها أهل السنة والجماعة - نصرهم اللَّه وقوى شوكتهم وأظهر حجتهم - في ذلك .

- **وفي مجال الفقه :**

- **ففي مجال الصوم :**

يقوم شخص بالنظر فيما ورد عن رسول اللَّه ﷺ حيث قال عليه السلام : «**لا تصوموا يوم السبت إلا فيما فرض عليكم ، وإن لم يجد أحدكم إلا عود عنب أو لحاء شجرة فليمصه**»[1] ، فيحرم صوم يوم السبت ويغفل عن النظر في سائر الأحاديث التي وردت في هذا الباب نحو قول النبي ﷺ : «**لا يصومن أحدكم يوم الجمعة إلا أن يصوم يومًا قبله أو يومًا بعده**»[2] .

= الداعي ، قال تعالى : **﴿الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَن سَبِيلِ اللَّهِ زِدْنَاهُمْ عَذَابًا فَوْقَ الْعَذَابِ بِمَا كَانُوا يُفْسِدُونَ﴾** [النحل: ٨٨] ، فعذبوا لكفرهم وعذبوا لصدهم عن سبيل اللَّه .

وقال تعالى : **﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا اتَّبِعُوا سَبِيلَنَا وَلْنَحْمِلْ خَطَايَاكُمْ وَمَا هُم بِحَامِلِينَ مِنْ خَطَايَاهُم مِّن شَيْءٍ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴿١٢﴾ وَلَيَحْمِلُنَّ أَثْقَالَهُمْ وَأَثْقَالاً مَّعَ أَثْقَالِهِمْ وَلَيُسْأَلُنَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَمَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ﴾** [العنكبوت: ١٢، ١٣] ، فحملوا أثقالاً لكفرهم وأثقالاً لافترائهم على اللَّه عز وجل .

(١) أخرجه عبد بن حميد في «المنتخب» بتحقيقي (حديث ٥٠٧) وغيره من حديث عبد اللَّه بن بسر رضي اللَّه عنه ، وروى عنه عن أخته الصماء مرفوعًا أيضًا وسنده صحيح .

(٢) أخرجه البخاري ومسلم من حديث أبي هريرة رضي اللَّه عنه .

• وقول النبي ﷺ لعبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما: «**صم يومًا وأفطر يومًا فإن ذلك أحب الصيام إلى الله عز وجل**»[١].

وهذا وذاك يستلزم أن يوافق السبت وهذا وذاك أيضًا من ناحية الصحة أصح من حديث: «**لا تصوموا يوم السبت إلا فيما افترض عليكم**» وإن كان الأخير غير مدفوع عن الصحة.

وفي الباب أيضًا: صوم رسول الله ﷺ من غرة كل شهر ثلاثة أيام[٢].

والأحاديث الواردة في فضل صوم يوم عاشوراء وقول النبي ﷺ: «**إني أحتسب على الله أن يكفر السنة التي قبله**»[٣].

والحديث الوارد في فضل صوم يوم عرفة وأنه يكفر السنة التي قبله والتي بعده[٤].

فكيف يصنع هذا الذي أخذ بحديث: «**لا تصوموا يوم السبت إلا فيما افترض عليكم**» مع هذه النصوص؟ هل يقول: نترك صوم يوم عاشوراء وصوم يوم عرفة إذا وافقا يوم السبت؟ أم ماذا يصنع صاحب هذا الفقه السقيم؟!!.

أظن أولى له ثم أولى أن يجمع بين الأحاديث ويؤلف بينها على ما

---

(١) أخرجه البخاري ومسلم.

(٢) أخرجه أبو داود بإسناد حسن

(٣) أخرجه أبو داود.

(٤) أخرجه مسلم أيضًا.

جمع وألف سلفه الصالح رحمهم اللّٰه وجعل الجنان مثواهم .

● وفي مجال الأشربة مثلاً :

● يعمد شخص إلىٰ ما ورد في «صحيح مسلم» عن أنس رضي اللّٰه عنه عن النبي ﷺ أنه نهىٰ أن يشرب الرجل قائمًا [١] .

● وحديث أبي سعيد الخدري رضي اللّٰه عنه ، وفيه أن النبي ﷺ زجر عن الشرب قائمًا [٢] . والأحاديث التي في هذا المعنىٰ .

● ويترك ما ورد من حديث علي رضي اللّٰه عنه ، أنه صلىٰ الظهر ثم قعد في حوائج الناس في رحبة الكوفة حتىٰ حضرت صلاة العصر ، ثم أُتي بماء فشرب وغسل وجهه ويديه ـ وذكر رأسه ورجليه ـ ثم قام فشرب فضله وهو قائم ، ثم قال : إن ناسًا يكرهون الشرب قائمًا ، وإن النبي ﷺ صنع مثل ما صنعت [٣] .

وما ورد من حديث ابن عباس رضي اللّٰه عنهما قال : شرب النبي ﷺ من زمزم وهو قائم [٤] ، إلىٰ غير ذلك من الأحاديث التي وردت في هذا الباب ، ولا يحاول التوفيق بينها فيقع في إجحاف وعدم إنصاف ولا حول ولا قوة إلا باللّٰه [٥] .

---

(١) أخرجه مسلم (٢٠٢٤) .

(٢) أخرجه مسلم (حديث ٢٠٢٥) .

(٣) أخرجه البخاري (٥٦١٦) .

(٤) أخرجه البخاري ومسلم .

(٥) وأوجه الجمع قد أوردها ابن حجر في «فتح الباري» (١٠/ ٨٤) وغيره فراجعها إن شئت ، والذي اختاره هو وجنح إليه أن أحاديث النهي تحمل علىٰ كراهة التنزيه ، وأحاديث الجواز =

● وكذلك يحدث الخلل في جوانب فقه الآداب والأخلاق[(١)] والتعاملات بين الناس إذا أخذ الشخص بجانب من الأدلة وترك جانبًا .

● **ففي أبواب الحياء مثلاً :**

ينظر شخص في الباب فيرىٰ حديث رسول اللَّه ﷺ : «**الحياء من الإيمان**»[(٢)] ، وقوله ﷺ : «**الحياء لا يأتي إلا بخير**»[(٣)] ، وكون النبي ﷺ : «**كان أشد حياءً من العذراء في خدرها**»[(٤)] ، وقول النبي ﷺ : «**إن مما أدرك الناس من كلام النبوة الأولىٰ إذا لم تستح فاصنع ما شئت**»[(٥)] ، وثناء النبي ﷺ علىٰ عثمان لحيائه[(٦)] ، وغير ذلك من الأحاديث الواردة في الباب ، فيكتسى المطلع عليها بجلباب الحياء ، وما أجمله من جلباب وما أحسنه من رداء ، إلا أنه يبالغ في هذا حتىٰ يصده حياؤه عن طلب العلم والتفقه في الدين فيُحرم العلم والفقه ، كما قال قائل السلف رحمهم اللَّه : «لا

= علىٰ بيانه ، وقال : وهذا أحسن المسالك وأسلمها وأبعدها من الاعتراض .

(١) فقه الآداب والأخلاق من المسائل التي لم نرها خُدمت للآن خدمة نستحقها كما خدمت أبواب فقه العبادات ، وإنا إن شاء اللَّه نجهز للخوض في هذا الباب وخدمته بما يعين اللَّه في مرجع كبير مستقل إن شاء اللَّه يتعرض لفقه الأخلاق (حياء ـ صدق ـ هجر ـ صلة رحم ـ آداب عامة ـ . . .) إلىٰ غير ذلك بمشيئة اللَّه تبارك وتعالىٰ ونسأل اللَّه أن ييسر ذلك .

(٢) أخرجه البخاري ومسلم من حديث عبد اللَّه بن عمر رضي اللَّه عنهما مرفوعًا .

(٣) أخرجه البخاري ومسلم من حديث عمران بن حصين رضي اللَّه عنه مرفوعًا .

(٤) أخرجه البخاري ومسلم من حديث أبي سعيد الخدري رضي اللَّه عنه مرفوعًا

(٥) أخرجه البخاري (٦١٢٠) من حديث ابن مسعود رضي اللَّه عنه مرفوعًا .

(٦) في صحيح مسلم (حديث ٢٤٠١) من حديث عائشة رضي اللَّه عنها أن النبي ﷺ قال في شأن عثمان : «**ألا أستحي من رجل تستحي منه الملائكة**»

ينال العلم مستحي ولا مستكبر»[١] وينسى ما أخرجه البخاري ومسلم عن أم سلمة رضي اللَّه عنها [٢] أنها قالت : يا رسول اللَّه إن اللَّه لا يستحي من الحق هل على المرأة من غسل إذا هي احتملت ، فقال رسول اللَّه ﷺ : **«نعم ، إذا رأت الماء»** .

وما أخرجه مسلم من حديث أنس رضي اللَّه عنه قال : جاءت أم سليم إلى رسول اللَّه ﷺ فقالت له - وعائشة عنده - : يا رسول اللَّه المرأة ترى ما يرى الرجل في المنام ، فترى من نفسها ما يرى الرجل من نفسه ، فقالت عائشة : يا أم سليم فضحت النساء تربت يمينك ، فقال لعائشة : **«بل أنت فتربت يمينك ، نعم فلتغتسل يا أمَّ سليم إذا رأت ذاك»** .

وفي الباب أيضًا: ما أخرجه مالك في «الموطأ» (١/ ٢٩٢) من حديث عائشة بنت طلحة أنها أخبرت أبا النضر أنها كانت عند عائشة زوج النبي ﷺ فدخل عليها زوجها هناك - وهو عبد اللَّه بن عبد الرحمن بن أبي بكر الصديق - وهو صائم فقالت له عائشة : ما يمنعك أن تدنو من أهلك فتقبلها وتلاعبها ؟ فقال : أقبلها وأنا صائم ؟ قالت : نعم . وإسناده صحيح . فعائشة أم المؤمنين العالمة الفقيهة لم يمنعها الحياء أن تعلم ابن أخيها أن القبلة للصائم جائزة .

وفي الباب أيضًا : ما أخرجه مسلم من حديث عائشة رضي اللَّه

---

(١) انظر البخاري مع «الفتح» (١/ ٢٢٨) .

(٢) ما دمنا ذكرنا من أخرج الحديث في الأصل فلا معنى لإعادته في الحاشية .

عنها قالت : إن رجلاً سأل رسول اللَّه ﷺ عن الرجل يجامع أهله ثم يكسل هل عليهما الغسل ؟ وعائشة جالسة ، فقال رسول اللَّه ﷺ : «**إني لأفعل ذلك أنا وهذه ثم نغتسل**» فلم يمنع النبيَّ ﷺ حياؤه أن يبين للمسلمين ما أشكل عليهم من أمر دينهم .

ونحوه في مسلم من حديث أبي موسىٰ رضي اللَّه عنه قال : اختلف في ذلك رهطٌ من المهاجرين والأنصار ، فقال الأنصاريون : لا يجب الغسل إلا من الدِفق أو من الماء ، وقال المهاجرون : بل إذا خالط فقد وجب الغسل ، قال : قال أبو موسىٰ : فأنا أشفيكم من ذلك ، فقمت فاستأذنت علىٰ عائشة فأُذِن لي ، فقلت لها : يا أماه (أو يا أم المؤمنين) إني أريد أن أسألك عن شيء وإني أستحييك فقالت : لا تستحِ أن تسألني عما كنت سائلاً عنه أمك التي ولدتك ، فإنما أنا أمك . قلت : فما يوجب الغسل ؟ قالت : علىٰ الخبير سقطت ، قال رسول اللَّه ﷺ : «**إذا جلس بين شعبها الأربع ومس الختان الختان فقد وجب الغسل**» . فها هي أم المؤمنين عائشة الفقيهة تعلم الناس أمر دينهم ولا تستحي من ذلك ، وأيضًا فنعم النساء نساء الأنصار لم يمنعهن الحياء من الفقه في الدين .

فهكذا لا ينبغي أن يفهم شخص أن الحياء يصد عن الفقه في الدين ، وكذلك لا ينبغي أن تتمادىٰ بشخص مسائله حتىٰ يخرج إلىٰ الخير المذموم ، فيتحدث فيما يتعلق بأمور تخدش الحياء حيث لا حاجة إليها ، ومن يرد اللَّه به خيرًا يفقهه في الدين .

• وفي مجال الحب والبغض :

يعمد الروافض البُعداء البغضاء إلى حديث لرسول اللَّه ﷺ قاله عليه السلام في شأن علي رضي اللَّه عنه وفيه : «**من كنت مولاه فعليٌّ مولاه**»[(١)].

• وقول علي رضي اللَّه عنه : والذي فلق الحبة وبرأ النسمة إنه لعهد النبيِّ الأمي ﷺ إليَّ : «أن لا يحبني إلا مؤمن ولا يبغضني إلا منافق»[(٢)] وغير ذلك من الأحاديث التي وردت في هذا الباب فيبغضون كل من كان بينه وبين عليٍّ شيء من أصحاب النبي ﷺ ، وينسون الأحاديث التي وردت في فضل هؤلاء الصحابة ، كقول النبي ﷺ : «**من حفر رومة فله الجنة**»[(٣)]. وحفرها عثمان ، وقول النبي ﷺ : «**من جهز العسرة فله الجنة**» وجهزه عثمان .

وقول النبي ﷺ : «**إن لكل نبي حواريّ وحواريَّ الزبير**»[(٤)].

وقول النبي ﷺ : «**لو كنت متخذاً خليلاً لاتخذت أبا بكر خليلاً**»[(٥)].

وقول النبي ﷺ في شأن أبي بكر وعمر وعثمان لما صعد بهم

---

(١) أخرجه أحمد وغيره بإسناد صحيح لشواهده .

(٢) أخرجه مسلم (حديث ٧٨) .

(٣) أخرجه البخاري معلقًا ، وهو صحيح لشواهده .

(٤) أخرجه البخاري ومسلم من حديث جابر بن عبد اللَّه رضي اللَّه عنهما ومن حديث عليٍّ أيضًا .

(٥) أخرجه البخاري وغيره من حديث ابن عباس رضي اللَّه عنهما وغيره وله طرق أخرى عن رسول اللَّه ﷺ .

أحدًا ، فرجف أحد فقال النبي ﷺ : **«اثبت أحدُ فإن عليك نبي وصديق وشهيدان»**[١] .

إلى غير ذلك من الأحاديث .

ويجهلون أن المحبة الواردة في حديث رسول اللَّه ﷺ : **«لا يحبك إلا مؤمن ولا يبغضك إلا منافق»** ، إنما هي المحبة الشرعية والبغض الشرعي ، بمعنى أنه لا يحبك لنصرتك رسول اللَّه ﷺ وجهادك معه إلا مؤمن ، ولا يبغضك لذلك إلا منافق ، ونحو هذا .

- **كذلك في مجال التحدث بالنعم أو ترك ذلك :**

يأخذ شخص بالعمومات الواردة في الحسد ، وبقول يعقوب ليوسف عليهما السلام : ﴿ **قَالَ يَا بُنَيَّ لا تَقْصُصْ رُءْيَاكَ عَلَىٰ إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُوا لَكَ كَيْدًا إِنَّ الشَّيْطَانَ لِلإِنسَانِ عَدُوٌّ مُّبِينٌ** ﴾ [يوسف: ٥] .

وبما ورد عن رسول اللَّه ﷺ : **«استعينوا على قضاء حوائجكم بالكتمان ، فإن كل ذي نعمة محسود»** وبنحو ذلك فيمتنع عن تحديث الناس بأوجه الخير والنعم التي هو فيها ، سترًا لها ، وينسى في الباب قوله تعالى : ﴿ **وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ** ﴾ [الضحى: ١١] وحديث رسول اللَّه ﷺ : **«إن اللَّه يحب أن يرىٰ أثر نعمته على عبده»** .

والفقيه هو من آتاه اللَّه رشده ، وعلم متى يتحدث بالنعم ومتى يكتمها ، يعلم أنه يتحدث بالنعم عند من يدعو له بالبركة ، ويكتمها

---

(١) أخرجه البخاري وغيره من حديث أنس بن مالك رضي اللَّه عنه .

عند الحساد ذوي القلوب المريضة .

وثمَّ أبواب أُخر ، وقد أوضحنا ذلك في رسالتنا «مفاتيح الفقه في الدين» .



سُورَةُ الكَوْثَرِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

إِنَّآ أَعْطَيْنَٰكَ ٱلْكَوْثَرَ ﴿١﴾ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنْحَرْ ﴿٢﴾ إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ ٱلْأَبْتَرُ ﴿٣﴾

س ـ وضح معنى ما يلي : ـ

الكوثر ـ انحر ـ شانئك ـ الأبتر ؟

ج :

الكلمة	معناها
الكوثر	الكوثر نهر أعطاه اللَّه لنبيه محمد ﷺ في الجنة وقال بعض العلماء : إن المراد بالكوثر الخير الكثير الذي أعطاه اللَّه لنبيه ﷺ ، ويدخل في هذا الخير النهر والحوض
انحر	النحر هو بمثابة الذبح للإبل ، فالذبح للبقر والغنم والنحر للإبل[1]، والنحر هو طعن الإبل في اللبة عند

(١) ولمزيد انظر تفسير قوله تعالى : ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تَذْبَحُوا بَقَرَةً﴾ [البقرة: ٦٧] في تفسيري «التسهيل لتأويل التنزيل» .

الكلمة	معناها
	المنحر ملتقى الرقبة بالصدر
شانئك	عدوك ـ مبغضك[١]
الأبتـــر	المنقطع (والمراد هنا : الأذل المنقطع دابره بعد موته) والأبتر الذي إذا مات انقطع ذكره

* * *

س ـ ما المراد بالكوثر (ببعض التفصيل) ؟

ج : ذهب أكثر أهل العلم إلى أن المراد بالكوثر : نهر في الجنة أعطاه اللَّه لنبيه ﷺ ، وستأتي الأحاديث صريحة في ذلك .

● ومن العلماء من قال : إن الكوثر هو حوض رسول اللَّه ﷺ وهذا القول قول قوي أيضًا ويجمع بينه وبين الأول أن النهر حوض[٢] كما في «صحيح مسلم» من حديث أنس رضي اللَّه عنه . . . وفيه أن النبي ﷺ قال : «**أتدرون ما الكوثر ؟** » فقلنا : اللَّه ورسوله أعلم ، قال: «**فإنه نهر وعدنيه ربي عز وجل عليه خير كثير وهو حوض ترد عليه أمتي يوم القيامة آنيته عدد النجوم ..**» الحديث[٣] .

---

(١) ومنه قوله تعالى : ﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلَّا تَعْدِلُوا﴾ [المائدة: ٨] .

(٢) وقد جمع الرازي بأن قال: ووجه التوفيق بين هذا القول وبين القول الأول أن يقال: لعل النهر ينصب في الحوض أو لعل الأنهار إنما تسيل من ذلك الحوض فيكون ذلك الحوض كالمنبع .

(٣) أخرجه مسلم (حديث رقم ٤٠٠) .

• وقد صحح القرطبي رحمه اللَّه القول القائل بأن الكوثر هو النهر أو الحوض ، قال : لأنه ثابت عن النبي ﷺ نص في الكوثر .

وقال الطبري في «تفسيره» بعد أن ذكر جملة أقوال للعلماء في الكوثر : وأولى هذه الأقوال بالصواب عندي قول من قال : هو اسم للنهر الذي أعطيه رسول اللَّه ﷺ في الجنة ، وصفه اللَّه بالكثرة لعظم قدره ، وإنما قلنا ذلك أولى الأقوال في ذلك لتتابع الأخبار عن رسول اللَّه ﷺ بأن ذلك كذلك .

قلت : وقد ذكر بعض العلماء أقوالاً أخر في الكوثر[1] ، فمنهم من قال : إن الكوثر هو الخير الكثير الذي أعطاه اللَّه لنبيه ﷺ فيدخل فيه النهر والحوض والنبوة والقرآن وكثرة الأتباع والأصحاب والأمة وتخفيف الشرائع و . . . . إلى غير ذلك ، والأولى هو ما قدمناه وهو الذي عليه جماهير العلماء أن الكوثر هو النهر وهو الذي فسره به رسول اللَّه ﷺ .

قال صديق حسن خان في «فتح البيان» ـ بعد أن أورد جملة أحاديث تبين أن الكوثر نهر أُعطِيَه النبي ﷺ في الجنة ـ : فهذه الأحاديث تدل على أن الكوثر هو النهر الذي في الجنة فيتعين المصير إليها وعدم التعويل على غيرها ، وإن كان معنى الكوثر هو الخير الكثير في لغة العرب ، فمن فسره بما هو أعم مما ثبت عن النبي ﷺ فهو تفسير ناظر إلى المعنى اللغوي .

* * *

---

(١) ذكر القرطبي منها ستة عشر قولاً .

س - وضح بشيء من التفصيل معنى قوله تعالى : ﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ﴾ [الكوثر: ٢] .

ج : أصح الأقوال في ذلك : أن اللَّه سبحانه وتعالى أمر نبيه أن يصلي ويجعل صلاته خالصة للَّه سبحانه وتعالى ، وبأن ينحر البدن والغنم ويجعل نحره خالصًا للَّه على اسم اللَّه سبحانه وتعالى، كما قال تعالى: **﴿قُلْ إِنَّ صَلاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ﴾** [الأنعام: ١٦٢، ١٦٣] .

ولأهل العلم أقوال أُخر في ذلك منها ما يلي :

- أن المراد : وضع اليد اليمنى على اليسرى في الصلاة .
- ومنها : أن المراد : أن يرفع يديه إلى النحر عند افتتاح الصلاة.
- ومنها : أن المراد : بالصلاة صلاة الغداة (أي : الفجر) بمزدلفة ونحر البدن بمنى .
- ومنها : أن المراد : صلاة العيد ونحر النسك بعد الصلاة .

ومنها : ما قدمناه أن المراد : عموم الصلاة وعموم النحر ، والمعنى : اجعل صلاتك للَّه ونحرك للَّه لا كمن يكفر ويشرك باللَّه وينحر لغير اللَّه، وهذا اختيار الطبري رحمه اللَّه تعالى .

قال الطبري رحمه اللَّه تعالى :

- وأولى هذه الأقوال عندي بالصواب، قول من قال: معنى ذلك: فاجعل صلاتك كلها لربك خالصًا دون ما سواه من الأنداد والآلهة ،

وكذلك نحرك اجعله له دون الأوثان ، شكرًا له على ما أعطاك من الكرامة والخير الذي لا كفء له ، وخصك به من إعطائه إياك الكوثر .

وإنما قلت : ذلك أولى الأقوال بالصواب في ذلك ، لأن اللَّه جلّ ثناؤه أخبر نبيه ﷺ بما أكرمه من عطيته وكرامته ، وإنعامه عليه بالكوثر، ثم أتبع ذلك قوله : ﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ﴾ [الكوثر: ٢] فكان معلومًا بذلك أنه خصه بالصلاة له ، والنحر على الشكر له ، على ما أعلمه من النعمة التي أنعمها عليه بإعطائه إياه الكوثر ، فلم يكن لخصوص بعض الصلاة بذلك دون بعض وبعض النحر دون بعض وجه، إذ كان حثًّا على الشكر على النِّعم .

فتأويل الكلام إذن : إنا أعطيناك يا محمد الكوثر ، إنعامًا منا عليك به ، وتكرمة منا لك ، فأخلص لربك العبادة ، وأفرد له صلاتك ونسكك ، خلافًا لما يفعله من كفر به ، وعبد غيره ، ونحر للأوثان .

وقال الحافظ ابن كثير رحمه اللَّه تعالى :

وقوله تعالى : ﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ﴾ [الكوثر: ٢] أي كما أعطيناك الخير الكثير في الدنيا والآخرة ، ـ ومن ذلك النهر الذي تقدم صفته ـ فأخلص لربك صلاتك المكتوبة والنافلة ونحرك ، فاعبده وحده لا شريك له وانحر على اسمه وحده لا شريك له كما قال تعالى : ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ﴾ [الأنعام: ١٦٢، ١٦٣] .

ونقل ابن كثير نحو هذا القول عن عدد من السلف ثم قال : وهذا

بخلاف ما كان عليه المشركون من السجود لغير اللَّه والذبح على اسمه كما قال تعالى : ﴿وَلَا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَإِنَّهُ لَفِسْقٌ﴾ [الأنعام: ١٢١] .

ثم نقل ابن كثير رحمه اللَّه أقوالاً أُخر في تأويل قوله تعالى : ﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ﴾ [الكوثر: ٢] ، ولكنه صحح القول الأول الذي ذكرناه عنه .

***

س ـ اذكر بشيء من الإيضاح معنى ﴿الْأَبْتَرُ﴾ وقوله تعالى : ﴿إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ﴾ [الكوثر: ٣] ؟

ج : الأبتر هو المنقطع ، والبتر هو القطع ، ومن ذلك قول النبي ﷺ : «اقتلوا ذا الطفيتين والأبتر» ، يعني قصير الذيل ، فالأبتر هو المنقطع ، وقوله تعالى : ﴿إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ﴾ [الكوثر: ٣] والعلم عند اللَّه تعالى ـ كما ذكر بعض المفسرين ـ : أن القرشيين كانوا يصفون الرسول بأنه أبتر لكونه لم يولد له ولد ولم يعش له ولد فكانوا يقولون: إذا مات محمد انقطع ذكره وانتهى أمره ، فكذبهم اللَّه سبحانه وتعالى بقوله : ﴿إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ﴾ [الكوثر: ٣] أي : إن مبغضك يا محمد وعدوك هو الأقل والأذل والمنقطع دابره والذي لا عقب له .

● **قال الحافظ ابن كثير رحمه اللَّه :**

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ﴾ [الكوثر: ٣] أي: إن مبغضك

يا محمد ومبغض ما جئت به من الهدىٰ والحق والبرهان الساطع والنور المبين هو الأبتر الأقل الأذل المنقطع ذكره . . . ثم قال رحمه اللَّه : فتوهموا لجهلهم أنه إذا مات بنوه انقطع ذكره وحاشا وكلا بل قد أبقىٰ اللَّه ذكره علىٰ رءوس الأشهاد، وأوجب شرعه علىٰ رقاب العباد مستمرًا علىٰ دوام الآباد إلىٰ يوم المحشر والمعاد وصلوات اللَّه وسلامه عليه دائمًا إلىٰ يوم التناد .



سورة الكافرون

بسم الله الرحمن الرحيم

قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ ﴿١﴾ لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ ﴿٢﴾
وَلَا أَنتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ ﴿٣﴾ وَلَا أَنَا عَابِدٌ مَّا عَبَدتُّمْ ﴿٤﴾
وَلَا أَنتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ ﴿٥﴾ لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ ﴿٦﴾

س ـ هل صح حديث في فضل سورة الكافرون ؟

ج : **وردت عدة أحاديث من عدة طرق عن النبي ﷺ تُفيد أن سورة قل يا أيها الكافرون تعدل ربع القرآن لكن في كل هذه الأحاديث مقال ، ولا نرىٰ شيئًا منها ثابتًا عن رسول اللَّه ﷺ . وقد تساهل بعض أهل العلم في تحسينها بمجموع طرقها ، فاللَّه أعلم .**

* * *

س ـ كان النبي ﷺ كثيرًا ما يقرأ سورة الكافرون في الصلاة اذكر بعض المواطن التي كان النبي ﷺ يقرأها فيها ؟

ج : **كان عليه الصلاة والسلام يقرأ بها في ركعتي الفجر[1] وفي**

(١) أي في الركعة الأولىٰ من ركعتي الفجر (النافلة) (كما في «صحيح مسلم» ٧٢٦) من حديث أبي هريرة ، والركعة الثانية من ركعتي الوتر (اللتين قبل الركعة الأخير كما في «المسند» ٤٠٦/٣) ، وكذلك في الركعة الأولىٰ من ركعتي الطواف كما في مسلم (ص ٨٨٦) .

ركعتي الوتر وفي ركعتي الطواف وفي ركعتي المغرب .

* * *

س ـ لماذا قُدِّم قِسم الكفار ونصيبُهم في قوله : ﴿لا أَعْبُدُ ما تَعْبُدُونَ﴾ [الكافرون: ٢] **على قسم النبي ﷺ ونصيبه في قوله : ﴿وَلا أَنتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ﴾** [الكافرون: ٣] ؟

ج: أجاب على ذلك ابن القيم رحمه اللَّه «التفسير القيم» بقوله :

وأما المسألة العاشرة : وهي تقديم قسمهم ونصيبهم على قسمه ونصيبه ، وفي أول السورة قدم ما يختص به على ما يختص بهم .

فهذا من أسرار الكلام ، وبديع الخطاب الذي لا يدركه إلا فحول البلاغة وفرسانها ، فإن السورة لما اقتضت البراءة واقتسام ديني التوحيد والشرك بينه وبينهم ، ورضى كل بقسمه ، وكان المحق هو صاحب القسمة ، وقد أبرز النصيبين وميَّز القسمين ، وعلم أنهم راضون بقسمهم الدون ، الذي لا أردأ منه ولا أدون ، وأنه هو قد استولى على القسم الأشرف والحظ الأعظم ، بمنزلة من اقتسم هو وغيره سمًّا وشفاء ، فرضي مقاسمه بالسم ، فإنه يقول له : لا تشاركني في قسمي ، ولا أشاركك في قسمك ، لك قسمك ، ولي قسمي .

فتقدم ذكر قسمه هنا أحسن وأبلغ ، كأنه يقول : هذا هو قسمك الذي آثرته بالتقديم وزعمت أنه أشرف القسمين ، وأحقهما بالتقديم ، فكان في تقديم ذكر قسمه من التهكم بهم ، والنداء على سوء

اختيارهم، وقبح ما رضوه لأنفسهم من الحسن والبيان ، ما لا يوجد في ذكر تقديم قسم نفسه ، والحاكم في هذا هو الذوق . والفَطِن يكتفي بأدنى إشارة ، وأما غليظ الفهم فلا ينجع فيه كثرة البيان .

ووجه ثان : وهو : أن مقصود السورة براءته ﷺ من دينهم ومعبودهم ، هذا هو لبها ومغزاها ، وجاء ذكر براءتهم من دينه ومعبوده بالقصد الثاني ، مكملاً لبراءته ومحققًا لها ، فلما كان المقصود براءته من دينهم بدأ به في أول السورة ، ثم جاء قوله : ﴿لَكُمْ دِينُكُمْ﴾ [الكافرون: ٦] مطابقًا لهذا المعنى ، أي لا أشارككم في دينكم ، ولا أوافقكم عليه ، بل هو دين باطل تختصون أنتم به ولا أشارككم فيه أبدًا. فطابق آخر السورة أولها ، فتأمل .

* * *

س ـ اذكر بعض الآيات في معنى قوله تعالى : ﴿لا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ ۝ وَلا أَنتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ﴾ [الكافرون: ٢، ٣] ؟

ج : من ذلك قوله تعالى : ﴿وَإِن كَذَّبُوكَ فَقُل لِّي عَمَلِي وَلَكُمْ عَمَلُكُمْ أَنتُم بَرِيئُونَ مِمَّا أَعْمَلُ وَأَنَا بَرِيءٌ مِّمَّا تَعْمَلُونَ﴾ [يونس: ٤١] .

وقوله تعالى : ﴿لَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ﴾ [الشورى: ١٥] .

* * *

س ـ كيف قيل : ﴿وَلا أَنتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ﴾ [الكافرون: ٣] وقد أسلم قوم منهم ؟

ج : هذا محمول على من كتب عليه أنه سيموت على الكفر ، فالخطاب في قوله : ﴿ وَلَا أَنتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ ﴾ [الكافرون: ٣] متنزل على من سبق في علم اللَّه أنه يموت على الكفر كما قال تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ حَقَّتْ عَلَيْهِمْ كَلِمَتُ رَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾ [يونس: ٩٦] ، وكما قال تعالى في شأن أبي لهب : ﴿ سَيَصْلَىٰ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ ﴾ [المسد : ٣] ، وقد كان فقد مات أبو لهب على الكفر واللَّه تعالى أعلم .

● ومن العلماء من قال : إن الخطاب عام للكفار جميعهم لكنه خطاب لهم ما داموا كفارًا ، فالمعنى : لا أنتم عابدون ما أعبد ما دمتم على كفركم .

● **وهناك وجه أثاره عطية سالم رحمه اللَّه** «في تتمته لأضواء البيان» فحواه : أن (ما) إذا دخلت على اسم الفاعل تعينه للحاضر فقال رحمه اللَّه :

وقد ذكر أبو حيان وجهًا عن الزمخشري : أن ما يتعلق بالكفار خاص بالحاضر ، لأن ما إذا دخلت على اسم الفاعل تعينه للحاضر .

وناقشه أبو حيان ، بأن ذلك في مغالب لا على سبيل القطع .

والذي يظهر من سياق السورة ، قد يشهد لما ذهب إليه الزمخشري ، وهو أن السورة تتكلم عن الجانبين على سبيل المقابلة جهة الرسول ﷺ ، وجهة الكفار في عدم عبادة كل منهما معبود الآخر.

ولكنها لم تساو في اللفظ بين الطرفين ، فمن جهة الرسول ﷺ جاء في الجملة الأولى ﴿لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ﴾ [الكافرون: ٢] عبر عن كل منهما بالفعل المضارع الدال على الحال : أي : لا أعبد الآن ما تعبدون الآن بالفعل . ثم قال : ﴿وَلَا أَنتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ﴾ [الكافرون: ٣] فعبر عنهم بالاسمية وعنه هو بالفعلية ، أي : ولا أنتم متصفون بعبادة ما أعبد الآن .

وفي الجملة الثانية قال : ولا أنا عابد ما عبدتم ولا أنتم عابدون ما أعبد . فعبر عنه بأنه ليس متصفًا بعبادة ما يعبدون ولا هم عابدون ما يعبده فكان وصفه هو ﷺ في الجملتين بوصفين مختلفين بالجملة الفعلية تارة وبالجملة الاسمية تارة أخرى ، فكانت إحداهما لنفي الوصف الثابت ، والأخرى لنفي حدوثه فيما بعد .

أما هم فلم يوصفوا في الجملتين إلا بالجملة الاسمية الدالة على الوصف الثابت ، أي : في الماضي إلى الحاضر ، ولم يكن فيما وصفوا به جملة فعلية من خصائصها التجدد والحدوث ، فلم يكن فيها ما يتعرض للمستقبل فلم يكن إشكال ، والله تعالى أعلم .

فإن قيل : إن الوصف باسم الفاعل يحتمل الحال والاستقبال ، فيبقى الإشكال محتملاً .

قيل : ما ذكره الزمخشري من أن دخول ما عليه تعينه للحال ، يكفي في نفي هذا الاحتمال ، فإن قيل : قد ناقشه أبو حيان .

وقال : إنها أغلبية وليست قطعية .

قلنا : يكفي في ذلك حكم الأغلب ، وهو ما يصدقه الواقع ، إذ آمن بعضهم وعبد معبوده ﷺ .

وقال الرازي رحمه اللَّه :

السؤال الثالث : قوله ههنا : ﴿ قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ ﴾ [الكافرون: ١] خطاب مع الكل أو مع البعض ؟ .

الجواب : لا يجوز أن يكون قوله : ﴿لا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ﴾ [الكافرون: ٢] خطابًا مع الكل ، لأن في الكفار من يعبد اللَّه كاليهود والنصارىٰ فلا يجوز أن يقول لهم : ﴿لا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ﴾ [الكافرون: ٢] ولا يجوز أيضًا أن يكون قوله : ﴿وَلا أَنتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ﴾ [الكافرون: ٣] خطابًا مع الكل ، لأن في الكفار من آمن وصار بحيث يعبد اللَّه ، فإذن وجب أن يقال إن قوله : ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ﴾ [الكافرون: ١] خطاب مشافهة مع أقوام مخصوصين وهم الذين قالوا نعبد إلهك سنة وتعبد آلهتنا سنة ، والحاصل : أنا لو حملنا الخطاب علىٰ العموم دخل التخصيص ، ولو حملنا : علىٰ أنه خطاب مشافهة لم يلزمنا ذلك ، فكان حمل الآية علىٰ هذا المحمل أولىٰ .

* * *

س ـ لماذا جاء النفي في حق الكفار باسم الفاعل كما في قوله : ﴿ عَابِدُونَ ﴾ في المرتين وفي حق النبي ﷺ بالفعل مرة كما في قوله : ﴿ لا أَعْبُدُ ﴾ وباسم الفاعل مرة أخرىٰ كما في قوله : ﴿ وَلا أَنَا عَابِدٌ ﴾ ؟

ج : **أورد ذلك ابن القيم فقال :**

وأما **المسألة الرابعة** وهي : أنه لم يأت النفي في حقهم إلا باسم الفاعل ، وفي جهته جاء بالفعل تارة ، وباسم الفاعل أخرىٰ .

فذلك - واللَّه أعلم - لحكمة بديعة وهي : أن المقصود الأعظم براءته من معبوديهم بكل وجه وفي كل وقت . فأتىٰ أولاً بصيغة الفعل الدالة علىٰ الحدوث والتجدد ، ثم أتىٰ في هذا النفي بعينه بصيغة اسم الفاعل في الثاني : أن هذا ليس وصفي ولا شأني ، فكأنه قال : عبادة غير اللَّه لا تكون فعلاً لي ولا وصفًا لي . فأتىٰ بنفيين لمنفيين مقصودين بالنفي . وأما في حقهم فإنما أتىٰ بالاسم الدال علىٰ الوصف والثبوت دون الفعل . أي : إن الوصف الثابت اللازم العائد للَّه منتف عنكم ، فليس هذا الوصف ثابتًا لكم ، وإنما ثبت لمن خص اللَّه وحده بالعبادة، ولم يشرك معه فيها أحدًا . وأنتم لما عبدتم غيره فلستم من عابديه . وإن عبدوه في بعض الأحيان ، فإن المشرك يعبد اللَّه ويعبد معه غيره ، كما قال أهل الكهف : ﴿**وَإِذِ اعْتَزَلْتُمُوهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ إِلاَّ اللَّهَ**﴾ [الكهف: ١٦] أي : اعتزلتم معبوديهم ، إلا اللَّه ، فإنكم لم تعتزلوه . وكذا قال المشركون عن معبوديهم : ﴿**مَا نَعْبُدُهُمْ إِلاَّ لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَىٰ**﴾ [الزمر: ٣] فهم كانوا يعبدون معه غيره ، فلم ينف عنهم الفعل لوقوعه منهم ، ونفىٰ الوصف لأن من عبد غير اللَّه لم يكن ثابتًا علىٰ عبادة اللَّه موصوفًا بها .

فتأمل هذه النكتة البديعة ، كيف تجد في طيها أنه لا يوصف بأنه

عابد للّه ، وأنه عبده المستقيم على عبادته : إلا من انقطع إليه بكليته ، وتبتل إليه تبتيلاً ، ولم يلتفت إلى غيره ، ولم يشرك به أحدًا في عبادته، وأنه إن عبده وأشرك معه غيره ، فليس عابدًا للّه ، ولا عبدًا له .

وهذا من أسرار هذه السورة العظيمة الجليلة ، التي هي إحدى سورتي الإخلاص ، التي تعدل ربع القرآن ، كما جاء في بعض السنن. وهذا لا يفهمه كل أحد ، ولا يدركه إلا من منحه اللّه فهمًا من عنده . فله الحمد والمنة .

* * *

س ـ لماذا كرر الفعل بلفظ المستقبل حين أخبر عن نفسه بلفظ ﴿وَلَا أَنَا عَابِدٌ﴾ وبلفظ الماضي حين أخبر عنهم في قوله ﴿مَّا عَبَدتُّمْ﴾ ؟

ج : **أجاب على ذلك ابن القيم رحمه اللّه بقوله :**

وأما **المسألة الثالثة** ، وهي : تكرير الأفعال بلفظ المستقبل حين أخبر عن نفسه وبلفظ الماضي حين أخبر عنهم .

ففي ذلك سر ، وهو الإشارة والإيماء إلى عصمة اللّه لنبيه عن الزيغ والانحراف عن عبادة معبوده ، والاستبدال به غيره ، وأن معبوده الحق واحد في الحال والمآل على الدوام ، لا يرضى به بدلاً ، ولا يبغي عنه حولاً ، بخلاف الكافرين فإنهم يعبدون أهواءهم ، ويتبعون شهواتهم في الدين وأغراضهم . فهم بصدد أن يعبدوا اليوم معبودًا ، وغدًا غيره . فقال : ﴿**لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ**﴾ [الكافرون: ٢] يعني : الآن

﴿وَلا أَنتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ﴾ [الكافرون: ٣] أي: الآن أيضًا. ثم قال: ﴿وَلا أَنتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ﴾ [الكافرون: ٣] يعني: ولا أنا فيما يستقبل يصدر مني عبادة لما عبدتم أيها الكافرون، وأشبهت «ما» هنا رائحة الشرط، فلذلك وقع بعدها الفعل بلفظ الماضي، وهو مستقبل في المعنى، كما يجيء ذلك بعد حرف الشرط، كأنه يقول: مهما عبدتم من شيء فلا أعبده أنا.

فإن قيل: وكيف يكون فيها الشرط، وقد عمل فيها الفعل، ولا جواب لها وهي موصولة. فما أبعد الشرط منها؟

قلنا: لم نقل: إنها نفسها شرط، ولكن فيها رائحة منه، وطرف من معناه لوقوعها على غير معين وإبهامها في المعبودات وعمومها. وأنت إذا ذقت معنى هذا الكلام وجدت معنى الشرط باديًا على صفحاته. فإذا قلت لرجل مّا ـ تخالفه في كل ما يفعل ـ: أنا لا أفعل ما تفعل. ألست ترى معنى الشرط قائمًا في كلامك وقصدك، وأن روح هذا الكلام: مهما فعلت من شيء فإني لا أفعله؟

وتأمل ذلك في مثل قوله تعالى: ﴿قَالُوا كَيْفَ نُكَلِّمُ مَن كَانَ فِي الْمَهْدِ صَبِيًّا﴾ [مريم: ٢٩] كيف تجد معنى الشرطية فيه؟ حتى وقع الفعل بعد «من» بلفظ الماضي، والمراد به: المستقبل، وأن المعنى: من كان في المهد صبيًّا كيف نكلمه؟ وهذا هو المعنى الذي حام حوله من قال من المفسرين والمعربين: أن «كان» نبيًّا. بمعنى «يكون» لكنهم لم يأتوا إليه من بابه، بل ألقوه عطلاً من تقدير وتنزيل، وعزب فَهْم

غيرهم عن هذا ، للطفه ودقته . فقالوا : «كان» زائدة .

والوجه ما أخبرتك به . فخذه عفوًا ، لك غنمه ، وعلىٰ سواك غرمه . هل علىٰ «من» في الآية قد عمل فيها الفعل وليس لها جواب ، ومعنىٰ الشرطية قائم فيها فكذلك في قوله : ﴿وَلَا أَنَا عَابِدٌ مَّا عَبَدتُّمْ﴾ [الكافرون: ٤] وهذا كله مفهوم من كلام فحول النحاة كالزجاج وغيره .

فإذا ثبت هذا فقد صحت الحكمة التي من أجلها جاء الفعل بلفظ الماضي من قوله : ﴿وَلَا أَنَا عَابِدٌ مَّا عَبَدتُّمْ﴾ [الكافرون: ٤] بخلاف قوله: ﴿وَلَا أَنتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ﴾ [الكافرون: ٣ - ٥] لبعد «ما» فيها عن معنىٰ الشرط ، تنبيهًا من اللَّه علىٰ عصمة نبيه أن يكون له معبود سواه ، وأن يتنقل في المعبودات تنقل الكافرين .

* * *

س ـ لماذا جاء التعبير بلفظ ﴿مَا﴾ في قوله تعالىٰ : ﴿وَلَا أَنتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ﴾ [الكافرون: ٣ - ٥] وما توضع لغير العاقل ؟

ج : ﴿مَا﴾ قد تأتي بمعنىٰ (من) كما في قوله تعالىٰ : ﴿وَالسَّمَاءِ وَمَا بَنَاهَا ۝٥ وَالْأَرْضِ وَمَا طَحَاهَا ۝٦ وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا﴾ [الشمس: ٥ - ٧] هذا وجه **ووجوه أُخر ذكرها الرازي بقوله :**

المسألة الثانية : في الآية سؤال وهو أن كلمة (ما) لا تتناول من يعلم فهب أن معبودهم كان كذلك ، فصح التعبير عنه بلفظ (ما) لكن معبود محمد عليه الصلاة والسلام هو أعلم العالمين فكيف قال : ﴿وَلَا

أَنتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ﴾ [الكافرون: ٣ - ٥] ؟ أجابوا عنه من وجوه :

أحدها : أن المراد منه الصفة كأنه قال لا أعبد الباطل وأنتم لا تعبدون الحق .

وثانيها : أن (ما) مصدرية في الجملتين كأنه قال : لا أعبد عبادتكم ولا تعبدون عبادتي في المستقبل ، ثم قال ثانيًا : لا أعبد عبادتكم ولا تعبدون عبادتي في الحال .

وثالثها : أن يكون (ما) بمعنى الذي ، وحينئذ يصح الكلام .

ورابعها : أنه لما قال أولاً : ﴿لا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ﴾ [الكافرون: ٢] حمل الثاني عليه ليتسق الكلام كقوله :- ﴿وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا﴾ [الشورى: ٤٠] .

أما ابن القيم رحمه اللَّه فقد استفاض في هذا فقال رحمه اللَّه :

«ما» على بابها لأنها واقعة على معبوده ﷺ على الإطلاق ، لأن امتناعهم من عبادة اللَّه ليس لذاته ، بل كانوا يظنون أنهم يعبدون اللَّه ، ولكنهم كانوا جاهلين به . فقوله : ﴿وَلا أَنتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ﴾ [الكافرون: ٣ - ٥] أي : لا أنتم تعبدون معبودي . ومعبوده هو كان ﷺ عارفًا به دونهم ، وهم جاهلون به . هذا جواب بعضهم .

وقال آخرون: إن «ما» هنا مصدرية. لا موصولة ، أي : لا تعبدون عبادتي . ويلزم من تبرئتهم من عبادته تبرئتهم من المعبود ، لأن العبادة متعلقة به ، وليس هذا شيء . إذ المقصود: براءته من معبوديهم ،

وإعلامه أنهم بريئون من معبوده تعالىٰ . فالمقصود المعبود لا العبادة .

وقيل : إنهم كانوا يقصدون مخالفته ﷺ حسدًا له ، وأنفة من اتباعه . فهم لا يعبدون معبوده لا كراهية لذلك المعبود ، ولكن كراهية لاتباعه ﷺ ، وحرصًا علىٰ مخالفته في العبادة . وعلىٰ هذا لا يصح في النظم البديع والمعنىٰ الرفيع إلا لفظ «ما» لإبهامها ومطابقتها الغرض الذي تضمنته الآية .

وقيل في ذلك وجه رابع ، وهو : قصد ازدواج الكلام في البلاغة والفصاحة مثل قوله : ﴿ **نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ** ﴾ [التوبة: ٦٧] و ﴿ **فَمَنِ اعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ** ﴾ [البقرة: ١٩٤] فكذلك ﴿ **لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ** ﴾ [الكافرون: ٢] ومعبودهم لا يعقل . ثم ازدواج مع هذا الكلام قوله : ﴿ **وَلَا أَنتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ** ﴾ [الكافرون: ٣] فاستوىٰ اللفظان ، وإن اختلف المعنيان ، ولهذا لا يجيء في الأفراد مثل هذا ، بل لا يجيء إلا «من» كقوله : ﴿ **أَمَّن يَهْدِيكُمْ فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ** ﴾ [النمل: ٦٣] ، ﴿ **قُلْ مَن يَرْزُقُكُم** ﴾ [يونس: ٣١] ، ﴿ **أَمَّن يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ** ﴾ [يونس: ٣١] ، ﴿ **أَمَّن يَهْدِيكُمْ فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ** ﴾ [النمل: ٦٣]، ﴿ **أَمَّن يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ** ﴾ [النمل: ٦٢] ، ﴿ **أَمَّن يَبْدَأُ الْخَلْقَ** ﴾ [النمل: ٦٤] إلىٰ أمثال ذلك .

وعندي فيه وجه خامس ، أقرب من هذا وهو : أن المقصود هنا ذكر المعبود الموصوف بكونه أهلاً للعبادة مستحقًّا لها ، فأتىٰ بـ «ما» الدالة علىٰ هذا المعنىٰ . كأنه قيل : ولا أنتم عابدون معبودي

الموصوف بأنه المعبود الحق . ولو أتى بلفظة «من» لكانت إنما تدل على الذات فقط ، ويكون ذكر الصلة تعريفًا ، لا لأنه هو جهة العبادة .

ففرق بين أن يكون كونه تعالى أهلاً لأن يعبد ، وبين أن يكون تعريفًا محضًا أو وصفًا مقتضيًا لعبادته . فتأمله فإنه بديع جدًّا . وهذا معنى قول النحاة إن «ما» تأتي لصفات من يعلم .

ونظيره ﴿ **فَانكِحُوا مَا طَابَ لَكُم مِّنَ النِّسَاءِ** ﴾ [النساء : ٣] لما كان المراد الوصف ، وأن السبب الداعي إلى الأمر بالنكاح ، وقصده ـ وهو الطيب ـ فتنكح المرأة الموصوفة به : أتى بـ «من» ، وهذا باب لا ينخرم ، وهو من ألطف مسالك العربية .

* * *

س ـ ما فائدة تكرير قوله تعالى : ﴿ وَلَا أَنتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ ﴾ [الكافرون: ٥] ؟

ج : لأهل العلم في ذلك أقوال :

أحدها : أن ذلك للتأكيد (١) كما في قوله تعالى : ﴿ **فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا (٥) إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا (٦)** ﴾ [الشرح: ٥، ٦] وكما في قوله تعالى : ﴿ **لَتَرَوُنَّ الْجَحِيمَ (٦) ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيْنَ الْيَقِينِ** ﴾ [التكاثر: ٦، ٧] .

● وكما في قوله تعالى : ﴿ **كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ (٣) ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ**

---

(١) قال بعض العلماء : ومن فوائد التأكيد هنا أن تنقطع أطماعهم في إيمان النبي ﷺ بآلهتهم .

تَعْلَمُونَ﴾ [التكاثر: ٣، ٤] .

• وكما في قوله تعالى : ﴿كَلَّا سَيَعْلَمُونَ ﴿٤﴾ ثُمَّ كَلَّا سَيَعْلَمُونَ﴾ [النبأ: ٤، ٥] .

• وكما في قوله تعالى : ﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ﴾ [المرسلات: ١٩] وتكرارها مرارًا في نفس السورة .

• وكما في قول النبي ﷺ «فلا آذن ثم لا آذن» .

• **أما من الشعر فذكر عطية سالم رحمه اللَّه عدة أمثلة لذلك فقال رحمه اللَّه :**

ونظيره في الشعر أكثر من أن يحصر ، من ذلك ما أورده القرطبي رحمه اللَّه :

هل لا سألتِ جموع كندة .:. يوم ولو أين أبنا

قول الآخر :

يا علقمة يا علقمة يا علقمة .:. خير تميم كلها وأكرمه

وقول الآخر :

يا أقرع بن حابس يا أقرع .:. إنك إن يصرع أخوك تصرع

وقول الآخر :

ألا يا سلمى ثم اسلمي ثمت اسلمي .:. ثلاث تحيات وإن لم تكلم

وقد جاءت في أبيات لبعض تلاميذ الشيخ رحمه اللَّه تعالى ،

ضمن مساجلة له معه قال فيها :

تاللّه إنك قد ملأت مسامعي ∴ دراً عليه قد انطوت أحشائي

زدني وزدني ثم زدني ولتكن ∴ منك الزيادة شافيًا للداء

فكرر قوله : زدني ثلاث مرات .

الثاني : أن قوله : ﴿ لا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ ۝٢ وَلا أَنتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ ۝٣ ﴾ [الكافرون: ٢، ٣] في الماضي ، وقوله : ﴿ وَلا أَنَا عَابِدٌ مَّا عَبَدتُّمْ ۝٤ وَلا أَنتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ ﴾ [الكافرون: ٤، ٥] (في المستقبل) .

● قال الطبري رحمه اللّه تعالىٰ :

القول في تأويل قوله جل ثناؤه وتقدّست أسماؤه : ﴿ قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ ۝١ لا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ ۝٢ وَلا أَنتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ ۝٣ وَلا أَنَا عَابِدٌ مَّا عَبَدتُّمْ ۝٤ وَلا أَنتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ ۝٥ لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ ﴾ [الكافرون: ١ - ٦] يقول تعالىٰ ذكره لنبيه محمد ﷺ وكان المشركون من قومه فيما ذكر عرضوا عليه أن يعبدوا اللّه سنة على أن يعبد نبيّ اللّه ﷺ آلهتهم سنة فأنزل اللّه معرفة جوابهم في ذلك : قل يامحمد لهؤلاء المشركين الذين سألوك عبادة آلهتهم سنة على أن يعبدوا إلهك سنة : يا أيها الكافرون باللّه لا أعبد ما تعبدون من الآلهة والأوثان الآن ولا أنتم عابدون ما أعبد الآن ، ولا أنا عابد فيما أستقبل ما عبدتم فيما مضىٰ ولا أنتم عابدون فيما تستقبلون أبدًا ما أعبد أنا الآن وفيما

أستقبل ، وإنما قيل ذلك كذلك لأن الخطاب من اللَّه كان لرسول اللَّه ﷺ في أشخاص بأعيانهم من المشركين قد علم أنهم لا يؤمنون أبدًا وسبق لهم ذلك في السابق من علمه فأمر نبيه ﷺ أن يؤيسهم من الذي طمعوا فيه وحدثوا به أنفسهم وأن ذلك غير كائن منه ولا منهم في وقت من الأوقات ، وآيس نبي اللَّه ﷺ من الطمع في إيمانهم ومن أن يفلحوا أبدًا فكانوا كذلك لم يفلحوا ولم ينجحوا إلى أن قتل بعضهم يوم بدر بالسيف وهلك بعض قبل ذلك كافرًا .

وقال ابن القيم رحمه اللَّه «التفسير القيم» :

فائدة تكرار الأفعال فقيل فيها وجوه :

أحدها : أن قوله : ﴿**لا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ** ﴿٢﴾﴾ [الكافرون: ٢] نفي للحال والمستقبل ، وقوله : ﴿**وَلا أَنتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ** ﴿٣﴾﴾ [الكافرون: ٣] مقابلة ، أي : لا تفعلون ذلك . وقوله : ﴿**وَلا أَنَا عَابِدٌ مَّا عَبَدتُّمْ**﴾ [الكافرون: ٤] أي : لم يكن مني ذلك قط قبل نزول الوحي ، ولهذا أتى في عبادتهم بلفظ الماضي فقال : «ما عبدتم» فكأنه قال : لم أعبد قط ما عبدتم . وقوله : ﴿**وَلا أَنتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ**﴾ [الكافرون: ٥] مقابلة ، أي : لم تعبدوا قط في الماضي ما أعبده أنا دائمًا .

وعلى هذا فلا تكرار أصلاً . وقد استوفت الآيات أقسام النفي ماضيًا وحالاً ومستقبلاً عن عبادته وعبادتهم بأوجز لفظ وأخصره وأبينه ، وهذا إن شاء اللَّه أحسن ما قيل فيها . فلنقتصر عليه ولانتعداه إلى غيره . فإن الوجوه التي قيلت في مواضعها ، فعليك بها .

قال الرازي رحمه الله :

المسألة الأولى : في هذه الآية قولان : **أحداهما** : أنه لا تكرار فيها والثاني : أن فيها تكرارًا . **أما الأول** : فتقريره من وجوه .
أحدها : أن الأول للمستقبل والثاني للحال ، والدليل على أن الأول للمستقبل أن لا لا تدخل إلا على مضارع في معنى الاستقبال ، ألا ترى أن لن تأكيد فيما ينفيه لا ، وقال الخليل في لن أصله لا أن ، إذا ثبت هذا فقوله : ﴿لا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ﴾ [الكافرون: ٢] أي لا أفعل في المستقبل ما تطلبونه مني من عبادة آلهتكم ولا أنتم فاعلون في المستقبل ما أطلبه منكم من عبادة إلهي ، ثم قال : ﴿وَلا أَنَا عَابِدٌ مَّا عَبَدتُّمْ﴾ [الكافرون: ٤] أي ولست في الحال بعابد معبودكم ولا أنتم في الحال بعابدين لمعبودي . الوجه الثاني : أن تقلب الأمر فتجعل الأول للحال والثاني للاستقبال والدليل على أن قول : ﴿ وَلا أَنَا عَابِدٌ مَّا عَبَدتُّمْ ﴾ [الكافرون: ٤] للاستقبال أنه رفع لمفهوم قولنا : أنا عابد ما عبدتم ، ولا شك أن هذا للاستقبال بدليل أنه لو قال أنا قاتل زيدًا فهم منه الاستقبال . الوجه الثالث : قال بعضهم : كل واحد منهما يصلح للحال وللاستقبال ، ولكنا نخص أحداها بالحال ، والثاني بالاستقبال دفعًا للتكرار ، فإن قلنا : إنه أخبر عن الحال ، ثم عن الاستقبال ، فهو الترتيب ، وإن قلنا : أخبر أولاً عن الاستقبال ، فلأنه هو الذي دعوه إليه ، فهو الأهم فبدأ به ، فإن قيل : ما فائدة الإخبار عن الحال وكان معلومًا أنه ما كان يعبد الصنم ، وأما الكفار فكانوا يعبدون الله في بعض

الأحوال ؟ قلنا : أما الحكاية عن نفسه فلئلا يتوهم الجاهل أنه يعبدها سرًّا خوفًا منها أو طمعًا إليها وأما نفيه عبادتهم . فلأن فعل الكافر ليس بعبادة أصلاً . الوجه الرابع : وهو اختيار أبي مسلم أن المقصود من الأولين المعبود وما بمعنى الذي ، فكأنه قال لا أعبد الأصنام ولا تعبدون اللَّه ، وأما في الآخيرين فما مع الفعل في تأويل المصدر أي لا أعبد عبادتكم المبنية على الشرك وترك النظر ، ولا أنتم تعبدون عبادتي المبنية على اليقين ، فإن زعمتم أنكم تعبدون إلهي ، كان ذلك باطلاً لأن العبادة فعل مأمور به وما تفعلونه أنتم فهو منهي عنه ، وغير مأمور به . الوجه الخامس : أن تحمل الأولى على نفي الاعتبار الذي ذكروه ، والثانية على النفي العام المتناول لجميع الجهات فكأنه أولاً قال : ﴿لا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ﴾ [الكافرون:٢] رجاء أن تعبدوا اللَّه ، ولا أنتم تعبدون اللَّه رجاء أن أعبد أصنامكم ، ثم قال ولا أنا عابد صنمكم لغرض من الأغراض ، ومقصود من المقاصد البتة بوجه من الوجوه ﴿وَلا أَنتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ﴾ [الكافرون: ٥] بوجه من الوجوه، واعتبار من الاعتبارات ، ومثاله من يدعو غيره إلى الظلم لغرض التنعيم ، فيقول لا أظلم لغرض التنعيم بل لا أظلم أصلاً لا لهذا الغرض ولا لسائر الأغراض . القول الثاني : وهو أن نسلم حصول التكرار ، وعلى هذا القول العذر عنه من ثلاثة أوجه : **الأول** : أن التكرير يفيد التوكيد وكلما كانت الحاجة إلى التأكيد أشد كان التكرير أحسن ، ولا موضع أحوج إلى التأكيد من هذا الموضع ، لأن أولئك الكفار رجعوا إلى رسول اللَّه ﷺ في هذا المعنى مرارًا ، وسكت رسول اللَّه عن الجواب ، فوقع

في قلوبهم أنه عليه السلام قد مال إلى دينهم بعض الميل ، فلا جرم دعت الحاجة إلى التأكيد والتكرير في هذا النفي والإبطال .
الوجه الثاني : أنه كان القرآن ينزل شيئًا بعد شيء ، وآية بعد آية جوابًا عما يسألون فالمشركون قالوا استلم بعد آلهتنا حتى تؤمن بإلهك فأنزل اللّه ﴿وَلا أَنَا عَابِدٌ مَّا عَبَدتُّمْ ۝٤ وَلا أَنتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ﴾ [الكافرون: ٤ - ٥] ثم قالوا بعد مدة تعبد آلهتنا شهرًا ونعبد إلهك شهرًا فأنزل اللّه ﴿وَلا أَنَا عَابِدٌ مَّا عَبَدتُّمْ ۝٤ وَلا أَنتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ﴾ [الكافرون: ٤ - ٥] ولما كان هذا الذي ذكرناه محتملاً لم يكن التكرار على هذا الوجه مضرًّا البتة الوجه الثالث : أن الكفار ذكروا تلك الكلمة مرتين تعبد آلهتنا شهرًا ونعبد إلهك شهرًا وتعبد آلهتنا سنة ونعبد إلهك سنة . فأتى الجواب على التكرير على وفق قولهم وهو ضرب من التهكم فإن من كرر الكلمة الواحدة لغرض فاسد يجازى بدفع تلك الكلمة على سبيل التكرار استخفافًا واستحقارًا لقوله.

❊ ❊ ❊

س - وضح المراد بقوله تعالى : ﴿ لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ ﴾ [الكافرون: ٦] ؟

ج : **قال الطبري رحمه اللّه تعالى** : وقوله : ﴿لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ﴾ [الكافرون: ٦] يقول تعالى ذكره : لكم دينكم فلا تتركونه أبدًا لأنه قد ختم عليكم وقضى أن لا تنفكوا عنه وأنتم تموتون عليه ، ولي دين الذي أنا عليه لا أتركه أبدًا لأنه قد مضى في سابق علم اللّه أني لا أنتقل

عنه إلىٰ غيره .

قلت (مصطفىٰ) : وهذا مُصيَّر من الطبري رحمه اللَّه إلىٰ أنه اختار أن الخطاب في قوله تعالىٰ : ﴿لَكُمْ دِينُكُمْ﴾ لمن سبق في علم اللَّه أنهم يموتون علىٰ الكفر .

أما الرازي رحمه اللَّه تعالىٰ فقال :

أما قوله تعالىٰ : ﴿ لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ ﴾ [الكافرون: ٦] ففيه مسائل :

المسألة الأولىٰ : قال ابن عباس : لكم كفركم باللَّه ولي التوحيد والإخلاص له ، فإن قيل : فهل يقال إنه أذن لهم في الكفر ؟ قلنا : كلا فإنه عليه السلام ما بعث إلا للمنع من الكفر فكيف يأذن فيه، ولكن المقصود منه أحد أمور : أحدها : أن المقصود منه التهديد ، كقوله : ﴿اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ﴾ [فصلت: ٤٠] . وثانيها : كأنه يقول : إني نبي مبعوث إليكم لأدعوكم إلىٰ الحق والنجاة ، فإذا لم تقبلوا مني ولم تتبعوني فاتركوني ولا تدعوني إلىٰ الشرك. وثالثها . ﴿لَكُمْ دِينُكُمْ﴾ [الكافرون: ٦] فكونوا عليه إن كان الهلاك خيرًا لكم ﴿وَلِيَ دِينِ﴾ لأني لا أرفضه . القول الثاني في تفسير الآية : أن الدين هو الحساب أي: لكم حسابكم ولي حسابي ، ولا يرجع إلىٰ كل واحد منا من عمل صاحبه أثر البتة . أن يكون علىٰ تقدير حذف المضاف أي : لكم جزاء دينكم ولي جزاء ديني وحسبهم جزاء دينهم وبالاً وعقابًا كما حسبك جزاء دينك تعظيمًا وثوابًا . القول الرابع : الدين العقوبة ﴿وَلَا تَأْخُذْكُم

بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ ﴾ [النور: ٢] يعني : الحد ، فلكم العقوبة من ربي ، ولي العقوبة من أصنامكم ، لكن أصنامكم جمادات ، فأنا لا أخشى عقوبة الأصنام ، وأما أنتم فيحق لكم عقلاً أن تخافوا عقوبة جبار السموات والأرض. القول الخامس : الدين الدعاء، ﴿ فَادْعُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ ﴾ [غافر: ١٤] ، أي لكم دعاؤكم ﴿ وَمَا دُعَاءُ الْكَافِرِينَ إِلاَّ فِي ضَلالٍ ﴾ [غافر: ٥٠] ﴿ إِن تَدْعُوهُمْ لا يَسْمَعُوا دُعَاءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا مَا اسْتَجَابُوا لَكُمْ ﴾ [فاطر: ١٤] ثم ليتها تبقى على هذه الحالة فلا يضرونكم ، بل يوم القيامة يجدون لسانًا فيكفرون بشرككم ، وأما ربي فيقول : ﴿ وَيَسْتَجِيبُ الَّذِينَ آمَنُوا ﴾ [الشورى: ٢٦] ﴿ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ ﴾ [غافر: ٦٠] ﴿ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ﴾ [البقرة: ١٨٦] . القول السادس : الدين العادة، قال الشاعر :

يقول لها وقد دارت وضيني ∴ أهذا دينها أبدًا وديني

معناه لكم عادتكم المأخوذة من أسلافكم ومن الشياطين ، ولي عادتي المأخوذة من الملائكة والوحي ، ثم يبقى كل واحد منا على عادته ، حتى تلقوا الشياطين والنار ، وألقى الملائكة والجنة .

قوله : ﴿ لَكُمْ دِينُكُمْ ﴾ [الكافرون: ٦] يفيد الحصر ، ومعناه : لكم دينكم لا لغيركم ، ولي ديني لا لغيري ، وهو إشارة إلى قوله : ﴿ وَأَن لَّيْسَ لِلإِنسَانِ إِلاَّ مَا سَعَىٰ ﴾ [النجم: ٣٩] ، ﴿ أَلاَّ تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ﴾ [النجم: ٣٨] أي : أنا مأمور بالوحي والتبليغ ، وأنتم مأمورون بالامتثال والقبول ، فأنا لما فعلت ما كلفت به خرجت

عن عهدة التكليف ، وأما إصراركم على كفركم ، فذلك مما لا يرجع إليَّ منه ضرر البتة .

وقال ابن القيم رحمه اللَّه «التفسير القيم» :

وأما المسألة التاسعة : وهي : ما هي الفائدة في قوله : ﴿لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ﴾ [الكافرون: ٦] وهل أفاد هذا معنى زائدًا على ما تقدم ؟

فيقال : في ذلك من الحكمة ـ واللَّه أعلم ـ أن النفي الأول أفاد البراءة وأنه لا يتصور منه ، ولا ينبغي له : أن يعبد معبوديهم ، وهم أيضًا لا يكونون عابدين لمعبوده ، وأفاد آخر السورة إثبات ما تضمنه النفي من جهتهم من الشرك والكفر الذي هو حظهم وقسمهم ونصيبهم، فجرى ذلك مجرى من اقتسم هو وغيره أرضًا فقال له : لا تدخل في حدي ، ولا أدخل في حدك ، لك أرضك ، ولي أرضي ، فتضمنت الآية أن هذه البراءة اقتضت أنا اقتسمنا خطتنا بيننا ، فأصابنا التوحيد والإيمان ، فهو نصيبنا وقسمنا الذي نختص به لا تشركونا فيه ، وأصابكم الشرك باللَّه والكفر به ، فهو نصيبكم وقسمكم الذي تختصون به لا نشرككم فيه ، فتبارك من أحيا قلوب من شاء من عباده بفهم كلامه .

وهذه المعاني ونحوها إذا تجلت للقلوب . رافلة في حللها ، فإنها تسبي القلوب وتأخذ بمجامعها ، ومن لم يصادف من قلبه حياة فهي خود تُزفُّ إلى ضرير مقعد ، فالحمد للَّه على مواهبه التي لا منتهى

لها ، ونسأله إتمام نعمته

* * *

س ـ هل في قوله تعالى : ﴿لكُم دِينُكُم ولِيَ دِين﴾ [الكافرون: ٦] إقرار للمشركين على دينهم الذي هم عليه ؟

ج : **ليس فيها إقرار لهم ، وإنما هي كقوله تعالى : ﴿وَقُلِ الْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ فَمَن شَاءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَاءَ فَلْيَكْفُرْ إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا ...﴾** [الكهف: ٢٩] .

* * *

س ـ هل هذا الإخبار الموجود في قوله تعالى : ﴿لكُم دِينُكُم ولِيَ دِين﴾ [الكافرون: ٦] هل هو إقرار فتكون الآية منسوخة أو لا نسخ في الآية ولا تخصيص ؟

ج : **طرح هذا السؤال ابن القيم في «بدائع الفوائد» وفي «التفسير القيم» وأجاب عليه ، فقال :**

وأما المسألة الحادية عشرة ، وهي : أن هذا الإخبار بأن لهم دينهم وله دينه . هل هو إقرار ؟ فيكون منسوخًا ، أو لا نسخ في الآية ولا تخصيص ؟

فهذه مسألة شريفة من أهم المسائل المذكورة ، وقد غلط في السورة خلائق وظنوها منسوخة بآية السيف ، لاعتقادهم أن هذه الآية اقتضت التقرير لهم على دينهم ، وظن آخرون أنها مخصوصة بمن

يقرون على دينهم وهم أهل الكتاب ، وكلا القولين غلط محض ، فلا نسخ في السورة ولا تخصيص ، بل هي محكمة ، وعمومها نص محفوظ ، وهي من السور التي يستحيل دخول النسخ في مضمونها ، فإن أحكام التوحيد الذي اتفقت عليه دعوة الرسل يستحيل دخول النسخ فيه ، وهذه السورة أخلصت التوحيد ، ولهذا تسمى سورة الإخلاص كما تقدم .

ومنشأ الغلط : ظنهم أن الآية اقتضت إقرارهم على دينهم ، ثم رأوا أن هذا الإقرار زال بالسيف ، فقالوا : هو منسوخ .

وقالت طائفة : زال عن بعض الكفار ، وهم من لا كتاب لهم . فقالوا : هذا مخصوص بأهل الكتاب .

ومعاذ اللَّه أن تكون الآية اقتضت تقريرًا لهم أو إقرارًا على دينهم أبدًا ، فلم يزل رسول اللَّه ﷺ من أول الأمر وأشده عليه وعلى أصحابه أشد في الإنكار عليهم ، وعيب دينهم ، وتقبيحه والنهي عنه ، والتهديد والوعيد لهم كل وقت ، وفي كل ناد ، وقد سألوه أن يكف عن ذكر آلهتهم . وعيب دينهم ، ويتركونه وشأنه ، فأبى إلا مُضيًّا على الإنكار عليهم وعيب دينهم ، فكيف يقال : إن الآية اقتضت تقريره لهم ؟ معاذ اللَّه من هذا الزعم الباطل ، إنما الآية اقتضت براءته المحضة كما تقدم ، وأن ما أنتم عليه من الدين لا نوافقكم عليه أبدًا ، فإنه دين باطل، فهو مختص بكم ، لا نشارككم فيه ، ولا أنتم تشاركوننا في ديننا الحق . وهذا غاية البراءة والتنصل من موافقتهم في دينهم ، فأين

الإقرار ؟ حتى يدعوا النسخ أو التخصيص ؟

أفترى إذا جوهدوا بالسيف كما جوهدوا بالحجة لا يصح أن يقال: ﴿لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ﴾ [الكافرون: ٦] ؟ بل هذه آية قائمة محكمة ثابتة بين المؤمنين والكافرين إلى أن يطهر اللَّه منهم عباده وبلاده .

وكذلك حكم هذه البراءة بين أتباع رسول اللَّه ﷺ أهل سنته وبين أهل البدع المخالفين لما جاء به ، الداعين إلى غير سنته ، إذا قال لهم خلفاء الرسول وورثته : لكم دينكم ولنا ديننا . لا يقتضي هذا إقرارهم على بدعتهم ، بل يقولون لهم هذا : براءة منهم ومن بدعتهم . وهم مع هذا منتصبون للرد عليهم ولجهادهم بحسب الإمكان .

فهذا ما فتح اللَّه العظيم به من هذه الكلمات اليسيرة ، والنبذة المثيرة إلى عظمة هذه السورة ، وجلالتها ومقصودها ، وبديع نظمها من غير استعانة بتفسير ، ولا تتبع لهذه الكلمات من مظان توجد فيه ، بل هي استجلاء مما علمه اللَّه وألهمه ، بفضله وكرمه ، واللَّه يعلم أني لو وجدتها في كتاب لأضفتها إلى قائلها ، وبالغت في استحسانها . وعسى اللَّه ، المانُّ بفضله الواسع العطاء الذي عطاؤه على غير قياس المخلوقين : أن يعين على تعليق تفسير على هذا النمط وهذا الأسلوب .



س ـ مسألة الحلول الوسط وأنصاف الحلول في أبواب العقائد لا

تجوز ولا تقبل فهل يُستدل بشيء من هذه السورة لهذا المعنى ؟

ج : **نعم استنبط ذلك بعض العلماء من قوله تعالى : ﴿لا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ ۝٢ وَلا أَنتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ﴾** [الكافرون: ٢، ٣] .

قال عطية سالم رحمه الله في «تتمته لأضواء البيان» :

في هذه السورة منهج إصلاحي ، وهو عدم قبول ولا صلاحية أنصاف الحلول ، لأن ما عرضوه عليه ﷺ من المشاركة في العبادة ، يعتبر في مقياس المنطق حلاً وسطًا لاحتمال إصابة الحق في أحد الجانبين ، فجاء الرد حاسمًا وزاجرًا وبشدة ، لأن فيه أي فيما عرضوه مساواة للباطل بالحق ، وفيه تعليق المشكلة ، وفيه تقرير الباطل ، إن هو وافقهم ولو لحظة .

* * *

س ـ لماذا أطلق بعض العلماء على هذه السورة سورة الإخلاص ، وقالوا : إن من قرأها كتبت له براءة من الشرك مع أن هناك سورة الإخلاص الأخرى ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ ؟

ج : **أجاب على ذلك ابن القيم رحمه الله بقوله :**

وأما المسألة السادسة ، وهي : اشتمال هذه السورة على النفي المحض ، فهذا هو خاصة هذه السورة العظيمة ، فإنها سورة البراءة من الشرك ، كما جاء في وصفها : أنها براءة من الشرك . فمقصودها الأعظم : هو البراءة المطلوبة بين الموحدين والمشركين ، ولهذا أتى

بالنفي في الجانبين ، تحقيقًا للبراءة المطلوبة . وهذا مع أنها متضمنة للإثبات صريحًا . فقوله : ﴿ لا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ ﴿٢﴾ ﴾ [الكافرون: ٢] براءة محضة ﴿ وَلا أَنتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ ﴾ [الكافرون: ٣] إثبات أن له معبودًا يعبده وحده ، وأنتم بريئون من عبادته ، فتضمنت النفي والإثبات ، وطابقت قول إبراهيم إمام الحنفاء ﴿ إِنَّنِي بَرَاءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ ﴿٢٦﴾ إِلاَّ الَّذِي فَطَرَنِي ﴾ [الزخرف: ٢٦ - ٢٧] وطابقت قول الفئة الموحدة ﴿ وَإِذِ اعْتَزَلْتُمُوهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ إِلاَّ اللَّهَ ﴾ [الكهف: ١٦] فانتظمت حقيقة « لا إلـه إلا اللَّه» ولهذا كان النبي ﷺ يقرنها بسورة ﴿ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ﴾ في سنة الفجر وسنة المغرب .

فإن هذين السورتين سورتا الإخلاص ، وقد اشتملتا على نوعي التوحيد الذي لا نجاة للعبد ولا فلاح له إلا بهما ، وهما توحيد العلم والاعتقاد المتضمن تنزيه اللَّه عما لا يليق به من الشرك والكفر والولد والوالد ، وأنه إله (أحد صمد لم يولد) فيكون له فرع (ولم يولد) فيكون له أصل ﴿ وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ ﴾ [الإخلاص: ٤] فيكون له نظير . ومع هذا فهو الصمد الذي اجتمعت له صفات الكمال كلها .

فتضمنت السورة إثبات ما يليق بجلاله من صفات الكمال ، ونفي ما لا يليق به من الشرك أصلاً وفرعًا ونظيرًا . فهذا توحيد العلم والاعتقاد .

والثاني : توحيد القصد والإرادة وهو : ألا يعبد إلا إياه ، فلا يشرك به في عبادته سواه ، بل يكون وحده هو المعبود .

وسورة ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ﴾ مشتملة على هذا التوحيد .

فانتظمت السورتان نوعي التوحيد وأخلصتا له ، فكان ﷺ يفتتح بهما النهار في سنة الفجر ، ويختتمه بهما في سنة المغرب . وفي السنن «أنه كان يوتر بهما» فيكونان خاتمة عمل الليل كما كانا خاتمة عمل النهار .



سُورَةُ النَّصر

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

إِذَا جَآءَ نَصْرُ ٱللَّهِ وَٱلْفَتْحُ ﴿١﴾ وَرَأَيْتَ ٱلنَّاسَ يَدْخُلُونَ فِى دِينِ ٱللَّهِ أَفْوَاجًا ﴿٢﴾ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَٱسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُۥ كَانَ تَوَّابًۢا ﴿٣﴾

س ـ اذكر معنى ما يلي :

أفواجًا ـ استغفره ؟

ج :

الكلمة	معناها
أفواجًا	فوجًا فوجًا أي جماعات جماعات
استغفره	سَلْه أن يغفر لك ذنوبك

* * *

س ـ ما هي آخر سورة نزلت في كتاب اللَّه عز وجل ؟

ج : ذهب فريق كبير من أهل العلم إلى أن آخر سورة نزلت من القرآن هي سورة النصر ، وذلك لما أخرجه مسلم[1] من طريق عبيد اللَّه

(١) أخرجه مسلم (حديث ٣٠٢٤) .

ابن عبد اللَّه بن عتبة قال : قال لي ابن عباس : تعلم (وقال هارون : تدري) آخر سورة نزلت من القرآن ، نزلت جميعًا ؟ قلت : نعم . إذا جآء نصر اللَّه والفتح قال : صدقت

* * *

س ـ ما الفرق بين النصر والفتح ؟

ج : **طـرح الرازي في تفسيره هـذا السؤال وأجاب عليـه فقال رحمه اللَّه :**

السؤال الأول : مـا الفرق بين النصر والفتح حتى عطـف الفتح على النصر ؟ **الجواب** من وجوه : **أحدها** : النصر هو الإعانة على تحصيل المطلوب ، والفتح هو تحصيل المطلوب الذي كان متعلقًا ، وظاهر أن النصر كالسبب الفتح ، فلهذا بدأ يذكر النصر وعطف الفتح عليه . **وثانيها** : يحتمل أن يقال : النصر كمال الدين ، والفتح الإقبال الدنيوي الذي هو تمام النعمة ، ونظير هذه الآية قوله : ﴿**الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي**﴾ [المائدة: ٣] . **وثالثها** : النصر هو الظفر في الدنيا على المنى ، والفتح بالجنة ، كما قال : ﴿**وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا**﴾ [الزمر: ٧٣] وأظهر الأقوال في النصر أنه الغلبة على قريش أو على جميع العرب .

• **وأورد صديق حسن خان في «فتح البيان»** طرفًا من هذا الكلام وقال : ويقال الأمر أوضح من هذا وأظهر ، فإن النصر هو التأييد الذي يكون به قهر الأعداء وغلبهم والاستعلاء عليهم ، والفتح هو فتح مساكن

الأعداء ودخول منازلهم .

قلت (مصطفى) : والذي يظهر لي ـ والعلم عند اللَّه تعالى ـ أن المراد بالنصر : النصر على الأعداء في المعارك والفتح تحصيل ثمرة هذا النصر واللَّه أعلم .

***

س ـ ما المراد بالفتح المذكور في قوله تعالى : ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ﴾ [النصر: ١] ؟

ج: المراد بالفتح هنا: فتح مكة، **قال الحافظ ابن كثير رحمه اللَّه:** والمراد بالفتح ههنا : فتح مكة قولاً واحدًا [١]، فإن أحياء العرب كانت تتلوم بإسلامها فتح مكة ، يقولون : إن ظهر على قومه فهو نبي ، فلما فتح اللَّه عليه مكة دخلوا في دين اللَّه أفواجًا فلم تمض سنتان حتى استوسقت جزيرة العرب إيمانًا، ولم يبق في سائر قبائل العرب إلا مظهر للإسلام وللَّه الحمد، وقد روى البخاري في «صحيحه» عن عمرو بن سلمة قال: لما كان الفتح بادر كل قوم بإسلامهم إلى رسول اللَّه ﷺ وكانت العرب تتلوم بإسلامها فتح مكة يقولون دعوه وقومه فإن ظهر عليهم فهو نبي [٢].

---

(١) تبين لي أن هناك أقوالاً أخر ، منها : أن المراد عموم الفتوحات التي فتح اللَّه لنبيه ﷺ ، وإن كان ما ذكره الحافظ ابن كثير أولى .

(٢) أخرجه البخاري (حديث ٤٣٠٢) فقال : حدّثنا سليمانُ بن حرب حدَّثنا حمّادُ بن زيد عن أيوب عن أبي قلابةَ عن عمرو بن سَلَمَةَ قال : «قال لي أبو قلابةَ : الا تَلقاهُ فتسألَهُ ؟ قال : فلقيتُهُ فسألتهُ فقال : كنّا بما ممرٌ الناسِ ، وكان يَمرُ بنا الرُّكبان فنسألهم : ما للناس ، ما للناس ؟ ما هذا الرجلُ ؟ فيقولون : يَزعمُ أنَّ اللَّه أرسلَهُ ، أوحىٰ إليه ، أو أوحى اللَّه بكذا،=

س ـ متى كانت غزوة الفتح ؟

ج : كانت غزوة الفتح في رمضان[١] سنة ثمان من الهجرة ففي «الصحيح»[٢] من طريق عبيد اللَّه بن عبد اللَّه بن عتبة أن ابن عباس أخبره أن رسول اللَّه ﷺ : «غزا غزوة الفتح في رمضان» قال : وسمعت ابن المسيب يقول مثل ذلك .

وأخرج البخاري بإسناده[٣] إلى عبيد اللَّه بن عبد اللَّه عن ابن عباس رضي اللَّه عنهما أن النبي ﷺ خرج في رمضان من المدينة ومعه عشرة آلاف وذلك على رأس ثمان سنين ونصف من مقدمه المدينة فسار هو ومن معه من المسلمين إلى مكة يصوم ويصومون حتى بلغ الكديد ، وهو ماءٌ بين عُسفان وقُديد ـ أفطروا .

❊ ❊ ❊

= فكنتُ أحفظُ ذاك فكأنما يقرُّ في صدري ، وكانتِ العربُ تَلوَّمُ بإسلامهم الفتحَ فيقولون اتركوهُ وقومهُ ، فإنه إن ظهر عليهم فهو نبيٌّ صادق . فلما كانت وقعة أهل الفتح بادرَ كلُّ قوم بإسلامهم، وبدَرَ أبي قَومي بإسلامِهم ، فلما قدِمَ قال : جئتُكم واللَّه من عندِ النبيِّ ﷺ حقًّا ، فقال : صلُّوا صلاةَ كذا في حين كذا ، وصلّوا صلاةَ كذَا في حينِ كذا ، فإذا حَضرَت الصلاةُ فليؤذِنْ أحدُكم ، وليؤمَّكم أكثرُكم قرآنًا ، فنظَروا ، فلم يكن أحدٌ أكثرَ قرآنًا مني ، لما كنتُ أتلقَّى من الرُّكبان ، فقدَّمُوني بينَ أيديهم وأنا ابنُ ست أو سبع سِنينَ ، وكانت عليَّ بُردةٌ كنتُ إذا سجدتُ تَقَلصَت عني ، فقالتِ امرأةٌ منَ الحيِّ : الا تغَطون عنّا استَ قارِئكم ، فاشتَروا ، فقطعوا لي قميصًا ، فما فرحت بشيء فَرحي بذلك القميص» .

(١) قال الحافظ ابن حجر رحمه اللَّه («فتح الباري» ٤/ ٢١٤) : والذي اتفق عليه أهل السير أنه خرج في عاشر رمضان ودخل مكة لتسع عشرة ليلة خلت منه .

(٢) أخرجه البخاري (حديث ٤٢٧٥) .

(٣) أخرجه البخاري (حديث ٤٢٧٦) .

س - وضح المراد بحديث رسول الله ﷺ : «لا هجرة بعد الفتح» وبيِّن من أخرجه ؟

ج : أما قول النبي ﷺ : «لا هجرة بعد الفتح» فالمراد بالهجرة : الهجرة إلى المدينة ، والمراد بقوله : «لا هجرة» أي : لا هجرة واجبة أو لا بيعة على الهجرة إلى المدينة بعد الفتح أو قد ذهب الذين هاجروا قبل الفتح بثواب الهجرة ومن هاجر إلى المدينة بعد الفتح فثوابه دون ثواب من هاجر قبل الفتح ، والمراد بالفتح : فتح مكة ، وهذه بعض الأقوال في ذلك :

أخرج البخاري[1] من طريق عطاء بن أبي رباح قال : زرت عائشة مع عبيد بن عمير فسألها عن الهجرة فقالت : لا هجرة اليوم ، كان المؤمن يفرُّ أحدهم بدينه إلى الله وإلى رسوله ﷺ مخافة أن يُفتن عليه فأما اليوم فقد أظهر الله الإسلام فالمؤمن يعبد ربَّه حيث شاء ولكن جهاد ونيةٌ[2].

---

(١) أخرجه البخاري (٤٣١١) .

(٢) وقال الحافظ ابن حجر رحمه الله (فتح الباري ٧/ ٢٧٠) .

قوله : (كان المؤمنون يفر أحدهم بدينه إلخ) أشارت عائشة إلى بيان مشروعية الهجرة وأن سببها خوف الفتنة ، والحكم يدور مع علته ، فمقتضاه : أن من قدر على عبادة الله في أي موضع اتفق لم تجب عليه الهجرة منه وإلا وجبت ، ومن ثم قال الماوردي : إذا قدر على إظهار الدين في بلد من بلاد الكفر فقد صارت البلد به دار إسلام ، فالإقامة فيها أفضل من الرحلة منها لما يترجى من دخول غيره في الإسلام ، وقد تقدمت الإشارة إلى ذلك في أوائل الجهاد في «باب وجوب النفير» في الجمع بين حديث ابن عباس «لا هجرة بعد الفتح» وحديث عبد الله بن السعدي «لا تنقطع الهجرة» ، وقال الخطابي : كانت الهجرة أي: إلى النبي ﷺ في =

....

= أول الإسلام مطلوبة ، ثم افترضت لما هاجر إلى المدينة إلى حضرته للقتال معه وتعلم شرائع الدين ، وقد أكد الله ذلك في عدة آيات حتى قطع الموالاة بين من هاجر ومن لم يهاجر فقال تعالى : ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يُهَاجِرُوا مَا لَكُم مِّن وَلَايَتِهِم مِّن شَيْءٍ حَتَّىٰ يُهَاجِرُوا﴾ [الأنفال: ٧٢] ، فلما فتحت مكة ودخل الناس في الإسلام من جميع القبائل سقطت الهجرة الواجبة وبقي الاستحباب . وقال البغوي في «شرح السنة» : يحتمل الجمع بينهما بطريق أخرى بقوله: «**لا هجرة بعد الفتح**» أي من مكة إلى المدينة ، وقوله: «**لا تنقطع**» أي : من دار الكفر في حق من أسلم إلى دار الإسلام ، قال : ويحتمل وجهًا آخر وهو أن قوله: «**لا هجرة**» أي إلى النبي ﷺ حيث كان بنية عدم الرجوع إلى الوطن المهاجر منه إلا بإذن ، وقوله : «**لا تنقطع**» أي هجرة من هاجر على غير هذا الوصف من الأعراب ونحوهم . قلت : الذي يظهر أن المراد بالشق الأول وهو المنفي ما ذكره في الاحتمال الأخير ، وبالشق الآخر المثبت ما ذكره في الاحتمال الذي قبله ، وقد أفصح ابن عمر بالمراد فيما أخرجه الإسماعيلي بلفظ : «انقطعت الهجرة بعد الفتح إلى رسول الله ﷺ، ولا تنقطع الهجرة ما قوتل الكفار» أي: ما دام في الدنيا دار كفر ، فالهجرة واجبة منها على من أسلم وخشي أن يفتن عن دينه ، ومفهومه أنه لو قدر أن يبقى في الدنيا دار كفر أن الهجرة تنقطع لانقطاع موجبها والله أعلم . وأطلق ابن التين أن الهجرة من مكة إلى المدينة كانت واجبة وأن من أقام بمكة بعد هجرة النبي ﷺ إلى المدينة بغير عذر كان كافرًا ، وهو إطلاق مردود ، والله أعلم .

وقال (الحافظ رحمه الله الفتح ٦/ ٢٢٠) :

قوله : (باب لا هجرة بعد الفتح) : أي: فتح مكة ، أو المراد ما هو أعم من ذلك إشارة إلى أن حكم غير مكة في ذلك حكمها فلا تجب الهجرة من بلد قد فتحه المسلمون ، أما قبل فتح البلد فمن به من المسلمين أحد ثلاثة : الأول قادر على الهجرة منها لا يمكنه إظهار دينه ولا أداء واجباته فالهجرة منه واجبة ، الثاني قادر لكنه يمكنه إظهار دينه وأداء واجباته فمستحبة لتكثير المسلمين بها ومعونتهم وجهاد الكفار والأمن من غدرهم والراحة من رؤية المنكر بينهم، الثالث عاجز يعذر من أسر أو مرض أو غيره فتجوز له الإقامة فإن حمل على نفسه وتكلف الخروج منها أجر .

وقال أيضًا (٦/ ٤٦) :

قوله: (لا هجرة بعد الفتح) أي: فتح مكة، قال الخطابي وغيره: كانت الهجرة فرضًا في أول =

وأخرج البخاري من حديث مجاشع رضي اللَّه عنه قال : أتيت النبي ﷺ بأخي بعد الفتح فقلت : يا رسول اللَّه جئتك بأخي لتبايعه على الهجرة قال : «ذهب أهل الهجرة بما فيها» ، فقلت : على أي شيء تبايعه ؟ قال : «أبايعه على الإسلام والإيمان والجهاد» فلقيت معبدًا بعدُ ـ وكان أكبرهما فسألته ، فقال : «صدق مجاشع» .

قلت : أما الهجرة من مواطن الفساد إلى مواطن الصلاح فماضية إلى يوم القيامة .

قال اللَّه سبحانه : ﴿ وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي آيَاتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ وَإِمَّا يُنسِيَنَّكَ الشَّيْطَانُ فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ الذِّكْرَىٰ مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴾ [الأنعام: ٦٨] .

• وقال تعالى : ﴿ وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ آيَاتِ اللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَقْعُدُوا مَعَهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ

= الإسلام على من أسلم لقلة المسلمين بالمدينة وحاجتهم إلى الاجتماع ، فلما فتح اللَّه مكة دخل الناس في دين اللَّه أفواجًا فسقط فرض الهجرة إلى المدينة وبقي فرض الجهاد والنية على من قام به أو نزل به عدو انتهى . وكانت الحكمة أيضًا في وجوب الهجرة على من أسلم ليسلم من أذى ذويه من الكفار فإنهم كانوا يعذبون من أسلم منهم إلى أن يرجع عن دينه ، وفيهم نزلت ﴿ إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنفُسِهِمْ قَالُوا فِيمَ كُنتُمْ قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الْأَرْضِ قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا ﴾ [النساء: ٩٧] الآية ، وهذه الهجرة باقية الحكم في حق من أسلم في دار الكفر وقدر على الخروج منها ، وقد روى النسائي من طريق بهز بن حكيم بن معاوية عن أبيه عن جده مرفوعًا : «لا يقبل اللَّه من مشرك عملاً بعد ما أسلم أو يفارق المشركين» ولأبي داود من حديث سمرة مرفوعًا : «أنا بريء من كل مسلم يقيم بين أظهر المشركين» وهذا محمول على من لم يأمن على دينه .

إِنَّكُمْ إِذًا مِّثْلُهُمْ﴾ [النساء: ١٤٠] .

● وحديث قاتل التسعة والتسعين[١] الذي قتل الراهب فأتم به المئة فذهب إلى العالم فأفتاه بأن يترك أرضه أرض السوء ويذهب إلى أرض أهلها صالحون فيعبد اللَّه معهم .

● وقال النبي ﷺ : **«أنا بريء من المسلم يعيش بين ظهراني المشركين »**[٢] وقال عليه الصلاة والسلام: **« المهاجر من هجر ما نهي اللَّه عنه»**[٣].

● ويوحي اللَّه عز وجل إلى عيسى عليه السلام بين يدي الساعة إني أخرجت عبادًا لي لا يدان لأحدٍ بقتالهم[٤].

وقوله ﷺ : **«لا هجرة بعد الفتح»**[٥] أخرجه البخاري ومسلم من حديث ابن عباس رضي اللَّه عنهما مرفوعًا .

❊ ❊ ❊

(١) أخرجه البخاري (٣٤٧٠) ومسلم (٢٧٦٦) من حديث أبي سعيد الخدري رضي اللَّه عنه مرفوعًا ، وقد تقدم .

(٢) أخرجه الترمذي (٤/ ١٥٥ ـ ١٥٦) (حديث ١٦٠٥) وأبو داود (٣/ ١٠٥) والنسائي (٨/ ٣٥ ـ ٣٦) والبيهقي (٨/ ١٣٠) وغيرهم ، والراجح فيه أنه مرسل ، وقد صوَّب الإرسال عددٌ من أهل العلم ، انظر : «العلل الكبير» للترمذي (٢٦٤ ـ ٢٦٥) و«التلخيص الحبير» (٤/ ١١٩) وأبو حاتم في «العلل» (٩٤٢) .

(٣) حديث **«المهاجر من هجر ما نهى اللَّه عنه»** أخرجه البخاري (حديث ١٠) من حديث عبد اللَّه ابن عمرو رضي اللَّه عنهما مرفوعًا .

(٤) أخرجه مسلم (حديث ٢١٣٧ ص ٢٢٥٠) من حديث النواس بن سمعان رضي اللَّه عنه .

(٥) البخاري حديث (٢٨٢٥) ومسلم (١٨٦٤) .

س ـ هل أذنب النبي ﷺ ذنبًا حتى يؤمر بالاستغفار ؟

ج : **طرح القرطبي رحمه اللَّه تعالى هذا السؤال، وأجاب عليه فقال:**

فإن قيل : فماذا يغفر للنبيّ ﷺ حتى يؤمر بالاستغفار ؟ قيل له : كان النبيّ ﷺ يقول في دعائه : **«رَبِّ اغفر لي خَطيئتي وجَهْلِي ، وإسْرافي في أمْرِي كُلِّه ، وما أنت أعلم به مني . اللهم اغفْر لي خَطَئي وعَمْدِي ، وجهلي وهَزْلي ، وكل ذلك عندي . اللهم اغفر لي ما قدّمت وما أخرتُ ، وما أعلَنْت وما أسْرَرْت ، أنت المقدِّم وأنت المؤَخر ، إنكَ على كلِّ شيءٍ قَدير»** . فكان ﷺ يستقصر نفسه لعظم ما أنعم اللَّه به عليه ، ويرى قصوره عن القيام بحق ذلك ذُنُوبًا . ويحتمل أن يكون بمعنى : كُنْ متعلَقًا به ، سائلاً راغبًا ، متضرعًا على رؤية التقصير في أداء الحقوق ، لئلا ينقطع إلى رؤية الأعمال. وقيل : الاستغفار تَعَبُّد يجب إتيانه ، لا للمغفرة ، بل تعبدًا . وقيل: ذلك تنبيه لأمته، لكيلا يأمنوا ويتركوا الاستغفار . وقيل: ﴿ وَاسْتَغْفِرْهُ ﴾ أي : استغفر لأمتك ﴿ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا ﴾ [النصر: ٣] أي: على المسبحين والمستغفرين ، يتوب عليهم ويرحمهم ، ويقبل توبتهم . وإذا كان عليه السلام وهو معصوم يؤمر بالاستغفار ، فما الظن بغيره ؟ روى مسلم عن عائشة قالت: كان رسول اللَّه ﷺ يكثر من قول: **«سُبحانَ اللَّه وبحَمْده ، أَسْتَغْفِرُ اللَّهَ وأَتُوبُ إليه»** . فقال : **«خَبَّرَنِي رَبِّي أني سأرى علامة في أمتي ، فإذا رأيتها أكثرت من قول سُبْحَان اللَّه وبحَمْده ، أستغفر اللَّه وأتوب إليه ، فقد رأيتها : ﴿ إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ ﴾** [النصر: ١] ـ فتح مكة ـ **﴿ وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا ۝٢ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ**

وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا ﴾ [النصر: ٢ - ٣] » .

وقال الرازي رحمه اللَّه :

المسألة الخامسة : في قوله: ﴿وَاسْتَغْفِرْهُ﴾ وجوه: **أحدها** : لعله عليه السلام كان يتمنى أن ينتقم ممن آذاه ، ويسأل اللَّه أن ينصره ، فلما سمع ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ﴾ [النصر: ١] استبشر ، لكن لو قرن بهذه البشارة شرط أن لا ينتقم لتنغصت عليه تلك البشارة ، فذكر لفظ الناس وأنهم يدخلون في دين اللَّه وأمره بأن يستغفر للداخلين، لكن من المعلوم أن الاستغفار لمن لا ذنب لا يحسن ، فعلم النبي ﷺ بهذا الطريق أنه تعالى ندبه إلى العفو وترك الانتقام ، لأنه لما أمره بأن يطلب لهم المغفرة فكيف يحسن منه أن يشتغل بالانتقام منهم ؟ ثم ختم بلفظ الثواب كأنه يقول إن قبول التوبة حرفته فكل من طلب منه التوبة أعطاه ، كما أن البياع حرفته بيع الأمتعة التي عنده فكل من طلب منه شيئًا من تلك الأمتعة باعه منه ، سواء كان المشتري عدوًا أو وليًا ، فكذا الرب سبحانه يقبل التوبة سواء كان التائب مكيًا أو مدنيًا، ثم إنه عليه السلام امتثل أمر الرب تعالى فحين قالوا له: أخ كريم وابن أخ كريم قال لهم: ﴿لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ﴾ [يوسف: ٩٢]، أي : أمرني أن أستغفر لكم فلا يجوز أن يردني . **وثانيها** : أن قوله : ﴿وَاسْتَغْفِرْهُ﴾ [النصر: ٣] إما أن يكون المراد واستغفر اللَّه لنفسك أو لأمتك ، فإن كان المراد هو الأول فهو يتفرع على أنه هل صدرت عنه معصية أم لا ؟ فمن قال صدرت المعصية عنه ذكر في فائدة الاستغفار وجوهًا : **أحدها** :

أنه لا يمتنع أن تكون كثرة الاستغفار منه تؤثر في جعل ذنبه صغيرة . **وثانيها** : لزمه الاستغفار لينجو عن ذنب الإصرار . **وثالثها** : لزمه الاستغفار ليصير الاستغفار جابرًا للذنب الصغير فلا ينتقص من ثوابه شيء أصلاً . وأما من قال: ما صدرت المعصية عنه فذكر في هذا الاستغفار وجوهًا : **أحدها** : أن استغفار النبي جارٍ مجرىٰ التسبيح وذلك لأنه وصف اللَّه بأنه غفار . **وثانيها** : تعبده اللَّه بذلك ليقتدي به غيره إذ لا يأمن كل مكلف عن تقصير يقع منه في عبادته ، وفيه تنبيه علىٰ أنه مع شدة اجتهاده وعصمته ما كان يستغني عن الاستغفار فكيف من دونه. **وثالثها** : أن الاستغفار كان عن ترك الأفضل. **ورابعها** : أن الاستغفار كان بسبب أن كل طاعة أتىٰ بها العبد فإذا قابلها بإحسان الرب وجدها قاصرة عن الوفاء بأداء شكر تلك النعمة ، فليستغفر اللَّه لأجل ذلك . **وخامسها** : الاستغفار بسبب التقصير الواقع في السلوك لأن السائر إلىٰ اللَّه إذا وصل إلىٰ مقام في العبودية ، ثم تجاوز عنه فبعد تجاوزه عنه يرىٰ ذلك المقام قاصرًا فيستغفر اللَّه عنه ، ولما كانت مراتب السير إلىٰ اللَّه غير متناهية لا جرم كانت مراتب هذا الاستغفار غير متناهية . أما الاحتمال **الثاني** : وهو أن يكون المراد واستغفره لذنب أمتك فهو أيضًا ظاهر ، لأنه تعالىٰ أمره بالاستغفار لذنب أمته في قوله : ﴿**وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ**﴾ [محمد: ١٩] فههنا لما كثرت الأمة صار ذلك الاستغفار أوجب وأهم ، وهكذا إذا قلنا: المراد ههنا أن يستغفر لنفسه ولأمته .

* * *

س ـ مزيد الفضل يستلزم مزيدًا من الشكر دلل على ذلك ؟

ج : **من الأدلة على ذلك :**

قوله تعالى : ﴿ **إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ ۝١ وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا ۝٢ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ** ﴾ [النصر: ١ -٣] .

وقوله تعالى : ﴿ **إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ ۝١ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ** ﴾ [الكوثر: ١، ٢] .

وقولـه تعالى : ﴿ **يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ وَاصْطَفَاكِ عَلَىٰ نِسَاءِ الْعَالَمِينَ ۝٤٢ يَا مَرْيَمُ اقْنُتِي لِرَبِّكِ وَاسْجُدِي وَارْكَعِي مَعَ الرَّاكِعِينَ** ﴾ [آل عمران: ٤٢، ٤٣] .

وقوله تعالى : ﴿ **أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَىٰ ۝٦ وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَىٰ ۝٧ وَوَجَدَكَ عَائِلًا فَأَغْنَىٰ ۝٨ فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ ۝٩ وَأَمَّا السَّائِلَ فَلَا تَنْهَرْ** ﴾ [الضحى: ٦ - ١٠] .

وقوله تعالى : ﴿ **وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُودَ مِنَّا فَضْلًا ...** ﴾ [سبأ: ١٠] إلى قوله : ﴿ **اعْمَلُوا آلَ دَاوُودَ شُكْرًا** ﴾ [سبأ: ١٣] .

وقد صلى النبي ﷺ بمكة يوم الفتح ثمان ركعات[١] .

* * *

س ـ يشرع الاستغفار عند انتهاء الأعمال ، اذكر بعض الأدلة على ذلك؟

---

(١) انظر تفسير سورة الضحى .

ج : من الأدلة على ذلك ما يلي :

١ ـ أن النبي ﷺ كان إذا انصرف من صلاته استغفر ثلاثًا [١].

٢ ـ قوله سبحانه : ﴿ثُمَّ أَفِيضُوا مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ النَّاسُ وَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ﴾ [البقرة: ١٩٩] .

٣ ـ قوله تعالى : ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ ۝١ وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا ۝٢ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا﴾ [النصر: ١ - ٣] مع قول النبي ﷺ بعد نزولها : «سبحانك اللهم ربنا وبحمدك اللهم اغفر لي»[٢].

٤ ـ ومن ذلك دعاء ختام المجلس وفيه : «أستغفرك وأتوب إليك»[٣].

* * *

س ـ ماذا كان النبي ﷺ يقول في ركوعه وسجوده بعد نزول هذه السورة عليه ؟

ج : كان النبي ﷺ يقول في ركوعه وسجوده[٤] بعد نزول هذه

---

(١) أخرجه مسلم (٥/٨٩ مع النووي) والنسائي (٣/٦٨) والترمذي (مع «التحفة» ٢/١٩٥) وأبو داود (٣٦١) وأبو عوانة (٢/ ٢٦٤) وابن ماجة (٩٢٨) من حديث ثوبان رضي الله عنه مرفوعًا .

(٢) صحيح وقد تقدم .

(٣) أخرجه أبو داود (٥/ ١٨٢) والدارمي (٢/ ٢٨٣) وغيرهما من حديث أبي بزرة الأسلمي رضي الله عنه مرفوعًا وإسناده حسن .

(٤) ولا يمتنع أنه كان يقول غير ذلك أيضًا صلوات الله وسلامه عليه، والحديث أخرجه البخاري =

السورة : «سبحانك اللهم ربنا وبحمدك اللهم اغفر لي» .

ففي «الصحيح»[1] من حديث عائشة رضي اللَّه عنها قالت : ما رأيت النبي ﷺ منذ نزل عليه ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ﴾ يُصل صلاة إلا دعا، أو قال فيها : «سبحانك ربي وبحمدك اللهم اغفر لي» .

* * *

س ـ من الذي فهم أن هذه السورة نعت إلى النبي ﷺ نفسه (أي : أن أجل النبي ﷺ قد اقترب) وهل من وجه آخر في تفسير هذه السورة ؟

ج : فهم ذلك عبد اللَّه بن عباس وأمير المؤمنين عمر رضي اللَّه عنهم ففي «الصحيح» [2] من حديث ابن عباس رضي اللَّه عنهما قال : «كان عمرُ يدخلني مع أشياخ بدر ، فقال بعضُهُم : لِمَ تُدخِلُ هذا الفتى معنا ، ولنا أبناء مثله ؟ فقال : إنهُ ممن قد علمتم . فدعاهم ذاتَ يوم ودَعاني معهم ، قال : وما رأيتُهُ دعاني يومئذ إلا ليريَهم مني ، فقال : ما تقولنَ في ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ ۝١ وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا﴾ [النصر: ١، ٢] ؟ حتى خَتم السورة . فقال بعضُهم : أمِرْنا أن نحمدَ اللَّه ونستغفرَهُ إذا نصرنا وفتحَ علينا . وقال بعضهم : لا ندري ، أو لم يقلْ بعضُهم شيئًا . فقال لي : يا ابن عباس أكذاك تقول ؟ قلت : لا ، قال : فما تقولُ ؟ قلتُ : هو أجَلُ رسولِ اللَّه

= (مع الفتح ٢/ ٢٨١) ومسلم (٤/ ٢٠١) .

(١) لفظ مسلم ص ٣٥١ ترتيب محمد فؤاد .

(٢) أخرجه البخاري (حديث ٤٢٩٤) .

ﷺ أعلَمهُ اللَّه لهُ إذا جاء نصرُ اللَّه ، والفتحُ فتح مكةَ فذاكَ علامة أَجَلِكَ ، فسبِّحْ بحمد ربِّكَ واستغفِرهُ ، إنهُ كان تَوّابًا . قال عمرُ : ما أعلمُ منها إلاّ ما تعلم» .

ونعم هناك وجه آخر في تفسير السورة ألا وهو تفسير السورة على ظاهرها ، فالمعنى : إذا فتح اللَّه عليك يا محمد الفتوحات ، ومنها فتح مكة، وجاء الناس يدخلون في دين اللَّه جماعات جماعات فسبح بحمد ربك واستغفره أي : فصلِّ وقل : سبحانك اللهم ربنا وبحمدك اللهم اغفر لي[1] .

قال الحافظ ابن كثير رحمه اللَّه : فالذي فسر به بعض الصحابة من جلساء عمر رضي اللَّه عنهم أجمعين من أنه قد أُمرنا إذا فتح اللَّه علينا المدائن والحصون أن نحمد اللَّه ونشكره ونسبحه يعني نصلي له ونستغفره معنى مليح صحيح ، وقد ثبت له شاهد من صلاة النبي ﷺ يوم فتح مكة وقت الضحى ثمان ركعات فقال قائلون : هي صلاة الضحى ، وأجيبوا بأنه لم يكن يواظب عليها فكيف صلاها ذلك اليوم وقد كان مسافرًا لم ينو الإقامة بمكة ؟



(١) أي : كما كان النبي ﷺ يقول بعد نزول هذه السورة عليه .

سُورَةُ المَسَدِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ ﴿١﴾ مَا أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ ﴿٢﴾ سَيَصْلَىٰ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ ﴿٣﴾ وَامْرَأَتُهُ حَمَّالَةَ الْحَطَبِ ﴿٤﴾ فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍ ﴿٥﴾

س ـ اذكر معنى كل مما يلي :

تبت ـ ذات لهب ـ جيدها ـ مسد ؟

ج :

الكلمة	معناها
تبت	هلكت[1] ـ خسرت[2]
ذات لهب	لها لهب وشرر وإحراق شديد ـ ذات اشتعال وتوقد
جيدها	عنقها ـ رقبتها
مسد	نار ـ ليف ـ حديد ، وقال البعض : إنها السلسلة التي قال الله فيها : ﴿ثُمَّ فِي سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا فَاسْلُكُوهُ﴾ [الحاقة: ٣٢]

(١) ومنه قوله تعالى : ﴿وَمَا كَيْدُ فِرْعَوْنَ إِلاَّ فِي تَبَابٍ﴾ [غافر: ٣٧] .

(٢) ومنه قوله تعالى : ﴿وَمَا زَادُوهُمْ غَيْرَ تَتْبِيبٍ﴾ [هود: ١٠١] اي : تخسير .

س ـ ما هو سبب نزول قوله تعالى : ﴿تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ ...﴾ [المسد: ١] ؟

ج : سبب نزولها ما أخرجه البخاري ومسلم[١] من حديث ابن عباس رضي اللَّه عنهما قال : لما نزلت ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الأَقْرَبِينَ﴾ [الشعراء: ٢١٤] صعد النبي صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم على الصفا فجعل ينادي : «**يا بني عدي**» لبطون قريش حتى اجتمعوا فجعل الرجل إذا لم يستطع أن يخرج أرسل رسولاً لينظر ما هو فجاء أبو لهب وقريش فقال : «**أرأيتكم لو أخبرتكم أن خيلاً بالوادي تريد أن تغير عليكم أكنتم مصدقي ؟** » قالوا : نعم ، ما جربنا عليك إلا صدقًا قال : «**إني نذير لكم بين يدي عذاب شديد**» . فقال أبو لهب : تبًّا لك سائر اليوم ألهذا جمعتنا . فنزلت ﴿تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ ۝١ مَا أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ﴾ [المسد: ١ ، ٢] .

* * *

س ـ لماذا خُصت اليدان بالتباب في قوله تعالى : ﴿تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ﴾ [المسد: ١] ؟

ج : قال بعض أهل العلم : وخص اليدين بالتباب لأن أكثر العمل يكون بهما ، وقيل : المراد باليدين نفسه ، وقد يعبر باليد عن النفس كما في قوله تعالى : ﴿بِمَا قَدَّمَتْ يَدَاكَ﴾ [الحج: ١٠] أي نفسك .

---

(١) أخرجه البخاري (مع «الفتح» ١٠/١١٨) ومسلم (٣/٨٣) وأحمد (١/٢٨١) .

وإذا كان المعنى قد تعين بنص القرآن في الهلاك والخسران ، فما معنى إسناد التب لليدين ؟

الجواب : أن ذلك من باب إطلاق البعض وإرادة الكل كما تقدم في قوله تعالى : ﴿ نَاصِيَةٍ كَاذِبَةٍ ﴾ [العلق: ١٦] مع أن الكاذب هو صاحبها .

وقد قدمنا هناك أن مثل هذا الأسلوب لابد فيه من زيادة اختصاص للجزء المنطوق في المعنى المراد .

فلما كان الكذب يسوِّد الوجه ويذل الناصية ، وعكسه الصدق يبيّض الوجه ويعز الناصية ، أسند هناك الكذب إلى الناصية لزيادة اختصاصها بالكذب عن اليد مثلاً .

ولما كان الهلاك والخسران غالبًا بما تكسبه الجوارح واليد أشد اختصاصًا في ذلك أسند إليها التب .

ومما يدل على أن المراد صاحب اليدين ، ما جاء بعدها ، قوله تعالى : ﴿وَتَبَّ﴾ أي أبو لهب نفسه .

وسواء كان قوله تعالى : ﴿تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ﴾ [المسد: ١] على سبيل الإخبار أو الإنشاء ، فإنه محتمل من حيث اللفظ .

ولكن قوله تعالى بعده : ﴿وَتَبَّ﴾ فهو إخبار ، فيكون الأول للإنشاء كقوله : ﴿قُتِلَ الإِنسَانُ مَا أَكْفَرَهُ﴾ [عبس: ١٧] .

ثم جاء الثاني تصديقًا له، وجاءت قراءة ابن مسعود (وقد تب) .

س ـ ما اسم أبي لهب ؟ وما اسم امرأته ؟

ج : اسمه عبد العزىٰ بن عبد المطلب ، وهو عم النبي ﷺ واسم امرأته العوراء بنت جميل .

***

س ـ هل الاسم أفضل أم الكنية ؟

ج : الظاهر أنهما علىٰ العموم يستويان ، لكن إذا كان الأحب إلىٰ شخصٍ من المسلمين أن يُدعىٰ بالكنية دُعي بها فهو أفضل ، وإذا كان الأحب له أن يدعىٰ باسمه فالأفضل أن يدعىٰ به .

وقد ذهب البعض إلىٰ أن الاسم أفضل من الكنية لأن اللَّه سبحانه وتعالىٰ ما ذكر الأنبياء عليهم الصلاة والسلام إلا بأسمائهم ، ولم يذكر الكنية إلا لرجل كافر وهو أبو لهب ، ولكن هذا الاستدلال ضعيف عندي ، وذلك لأن اللَّه عز وجل ذكر بعض الكفار بأسمائهم أيضًا ، قال سبحانه : ﴿إِنَّ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا كَانُوا خَاطِئِينَ﴾ [القصص:٨] ، وقال تعالىٰ : ﴿إِنَّ قَارُونَ كَانَ مِن قَوْمِ مُوسَىٰ فَبَغَىٰ عَلَيْهِمْ﴾ [القصص: ٧٦] ، ووجه آخر : أن من الصحابة من لم يكد يعرف إلا بكنيته كأبي هريرة وأبي بكر وأبي ذر وأبي أمامة رضي اللَّه عنهم ، ومنهم من اشتهر باسمه كعمر وعثمان وعلي رضي اللَّه عنهم .

وكذلك رسولنا ﷺ كنيته أبو القاسم واسمه محمد ﷺ فالظاهر لي ما قدمت ذكره ، واللَّه أعلم .

س ـ ما فائدة تكرار قوله : ﴿وتب﴾ [المسد: ١] ؟

ج : **قال بعض العلماء** : إن التب الأول دعاء عليه ، والتب الثاني خبر، فالمعنى: أهلكه اللَّه وقد هلك، أو خسرت يداه وقد خسر ، أي: وقد تحققت خسارته ، أو أن المعنى : خسر أبو لهب وخسرت يداه .

وقال بعض العلماء : كلاهما إخبار أراد بالأول هلاك عمله ، وبالثاني هلاك نفسه .

وقال عطية سالم في «تتمته لأضواء البيان» : ـ

والسؤال الثاني : وهو مجيء قوله تعالى ﴿**وَتَبَّ**﴾ بعد قوله : ﴿**تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ**﴾ [المسد: ١] مع أنها كافية سواء كانت إنشاءً للدعاء عليه أو إخبارًا بوقوع ذلك منه .

والجواب ، واللَّه تعالى أعلم : أن الأول لما كان محتملاً الخبر، وقد يمحو اللَّه ما يشاء ويثبت ، أو إنشاء وقد لا ينفذ كقوله : ﴿**قُتِلَ الإِنسَانُ مَا أَكْفَرَهُ**﴾ [عبس: ١٧] ، أو يحمل على الذم فقط والتقبيح ، فجاء ﴿**وَتَبَّ**﴾ لبيان أنه واقع به لا محالة ، وأنه ممن حقت عليهم كلمات ربك لييأس ﷺ والمسلمون من إسلامه ؛ وتنقطع الملاطفة معه ، واللَّه تعالى أعلم .

* * *

س ـ ما المراد بـ ﴿مَا﴾ في قوله تعالى : ﴿مَا أَغْنَى عَنْهُ مَالُهُ﴾ [المسد: ٢] ؟

ج : قال بعض العلماء : إنها استفهامية ، والمعنى : ماذا أغنى ماله وكسبه ؟ أو ما هو الشيء الذي أغناه عنه ماله وكسبه ؟ . وقال آخرون : إنها نافية ، فالمعنى : لم يُغْنِ عنه ماله ولا كسبه شيئًا .

* * *

س - وضح المراد بقوله : ﴿ مَا أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ ﴾ [المسد: ٢] ؟

ج : أما المال فمعروف ، وأما قوله : ﴿وَمَا كَسَبَ﴾ [المسد: ٢] فذهب كثير من العلماء إلى أن المراد بذلك بنوه أي أولاده ، فالمعنى ما أغنى ماله ولا أغنى عنه ولده ، وقد ورد عن ابن عباس تفسير الكسب بالأولاد .

ويؤيد هذا المعنى قول النبي ﷺ : «**يتبع الميت ثلاثة فيرجع اثنان ويبقى واحد ، يتبعه أهله وماله وعمله فيرجع أهله وماله ويبقى عمله**»[1] .

وقد روت عائشة عن رسول اللَّه ﷺ : «**إن أطيب ما أكل الرجل من كسبه وإن ولده من كسبه**»[2] .

● ومن العلماء من قال : إن الكسب عام فيدخل فيه الولد ويدخل فيه كل ما اكتسبه من زرع وماشية وميراث وتجارات .

---

(١) أخرجه مسلم (حديث ٢٩٦٠) .

(٢) أخرجه أحمد في «المسند» (٦/ ٤٢ و ٢٢٠) بإسناد صحيح ، وانظر «علل ابن أبي حاتم» (١/ ٤٧٢) و«إرواء الغليل» (٦/ ٦٥) .

● ومنهم من قال : إن المراد بالكسب هنا العمل أي : لم ينفعه العمل السيئ الذي عمله معاديًا به رسول اللَّه ﷺ ، أو العمل الذي ظن أنه منه على شيء كما قال تعالى : ﴿ وَقَدِمْنَا إِلَىٰ مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَّنثُورًا ﴾ [الفرقان: ٢٣] .

* * *

س ـ لقد كان رسول اللَّه ﷺ مع قومه ملاطفًا حليمًا فكيف دعا على عمه بهذا الدعاء ﴿ تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ ﴾ [المسد: ١] ؟

ج : **طرح هذا السؤال عطية سالم في «تتمته لأضواء البيان» وأجاب عليه بقوله :**

والجواب : أنه كان يلاطفهم ما دام يطمع في إسلامهم ، فلما يئس من ذلك ، كان هذا الدعاء في محله ، كما وقع من إبراهيم عليه السلام ، كان يلاطف أباه ﴿ يَا أَبَتِ لَا تَعْبُدِ الشَّيْطَانَ ﴾ [مريم: ٤٤] . ﴿ يَا أَبَتِ إِنِّي قَدْ جَاءَنِي مِنَ الْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَاتَّبِعْنِي أَهْدِكَ صِرَاطًا سَوِيًّا ﴿٤٣﴾ ﴾ [مريم: ٤٣] ، فلما يئس منه ، تبرأ منه ، كما قال تعالى : ﴿ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ أَنَّهُ عَدُوٌّ لِّلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَأَوَّاهٌ حَلِيمٌ ﴾ [التوبة: ١١٤] .

* * *

س ـ في قوله تعالى : ﴿ تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ ﴾ إلى قوله : ﴿ سَيَصْلَىٰ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ ﴾ [المسد: ١ - ٣] دليل من دلائل النبوة ، وضح ذلك ؟

ج : **إيضاحه : أن الله** سبحانه وتعالى أخبر أن أبا لهب سيصلى نارًا ذات لهب ، وقد مات أبو لهب وزوجته على الكفر ولم يُسلما فحقت عليهما النار ، فوجهه أن الله عز وجل أخبر عنهما بخبرٍ وهو (أنهما سيصليان النار) وقد فعلا ما يوجب لهما ذلك بموتهما على الكفر .

قال الحافظ ابن كثير رحمه الله : قال العلماء : وفي هذه السورة معجزة ظاهرة ودليل واضح على النبوة فإنه منذ نزل قوله تعالى : ﴿**سَيَصْلَىٰ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ ۝٣ وَامْرَأَتُهُ حَمَّالَةَ الْحَطَبِ ۝٤ فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍ**﴾ [المسد: ٣ - ٥] ، فأخبر عنهما بالشقاء وعدم الإيمان لم يقيض لهما أن يؤمنا ولا واحد منهما لا باطنًا ولا ظاهرًا ، لا مُسرًّا ولا معلنًا ، فكان هذا من أقوى الأدلة الباهرة الباطنة على النبوة الظاهرة .

● **وقال السعدي في «تيسير الكريم الرحمن»** : في هذه السورة آية باهرة من آيات الله فإن الله أنزل هذه السورة ، وأبو لهب وأمرأته لم يهلكا وأخبر أنهما سيعذبان في النار ، ولابد ومن لازم ذلك أنهما لا يسلمان فوقع كما أخبر عالم الغيب والشهادة .

* * *

س ـ لماذا وصفت امرأة أبي لهب بأنها حمالة الحطب ؟

ج : **في ذلك عدة أقوال ، منها ما يلي :ـ**

الأول : أنها كانت تحمل الشوك وتضعه في طريق النبي ﷺ .

الثاني : أنها كانت تُعيِّر النبي ﷺ بالفقر وكانت تحتطب فَعُيِّرَتْ بذلك .

الثالث : أنها كانت تمشي بين الناس بالنميمة[1] .

الرابع : أن المراد بحمل الحطب حمل الخطايا والذنوب كما قال تعالى : ﴿وَهُمْ يَحْمِلُونَ أَوْزَارَهُمْ عَلَىٰ ظُهُورِهِمْ﴾ [الأنعام: ٣١] .

الخامس : أنها حمالة حطب في النار ، واللَّه أعلم .

* * *

س ـ ما المراد بحبل المسد المذكور في قوله تعالى : ﴿فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍ﴾ [المسد: ٥] ؟

ج : **لأهل العلم في ذلك أقوال :**

أحدها : أن امـرأة أبي لهب كانت لها قلادة فاخرة من جوهر تلبسها في عنقها فأقسمت باللات والعزىٰ لتنفقنها في أذىٰ النبي ﷺ ، فتوعدها اللَّه عز وجل بحبل من نار مكان هذه القلادة .

---

(١) قال القاسمي في «محاسن التأويل» (ص ٦٢٩٢) .

قال الزمخشريّ : ويقال للمشَّاء بالنمائم المفسد بين الناس ، يحمل الحطب بينهم ، أي : يوقد بينهم ويورث الشر ، قال :

من البيض لم تُصْطَدْ على ظهر لأمة ∴ ولَمْ تَمْشِ بين الحيّ بالحَطَبِ الرَّطْبِ

يمدحها بأنها من البيض الوجوه وأنها بريئة من أن تُصْطَادَ على سوء ولؤم فيها . ومن أن تمشي بالسعاية والنميمة بين الناس . وإنما جعل رطبًا ليدل على التدخين الذي هو زيادة الشر. ويقال : فلان يحطب على فلان ، إذا أغرىٰ به .

الثاني : أنها كانت تحتطب وتجعل حبلاً من ليف في عنقها فخنقها اللَّه به فماتت .

الثالث : أنه كانت تحتطب وتربط الحبل في عنقها وتأخذ الحطب فتجعله في طريق الرسول ﷺ فتوعدها اللَّه مكان هذا الحبل حبلاً من نار .

أما المسد ؛ فقال بعض العلماء : إنه الليف ، وقال آخرون : إنه حبل من جلود الإبل أو من أوبارها ، وقال آخرون : إنه حبل من نارٍ (يوم القيامة) ، وقال آخرون : إنه السلسلة التي ذكرها اللَّه سبحانه بقوله : ﴿ثُمَّ فِي سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا فَاسْلُكُوهُ﴾ [الحاقة: ٣٢] .

وقال الرازي في «تفسيره» :

قوله تعالى : ﴿فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍ﴾ [المسد: ٥] : قال الواحدي : المسد في كلام العرب القتل ، يقال : مسد الحبل يمسده مسداً إذا أجاد فتله ، ورجل ممسود إذا كان مجدول الخلق ، والمسد ما مسد أي فتل من أي شيء كان ، فيقال لما فتل من جلود الإبل ، ومن الليف والخوص مسد . ولما فتل من الحديد أيضًا مسد ، إذا عرفت هذا فنقول ذكر المفسرون وجوهًا : **أحدها** : في جيدها حبل مما مسد من الحبال لأنها كانت تحمل تلك الحزمة من الشوك وتربطها في جيدها كما يفعل الحطابون ، والمقصود : بيان خساستها تشبيهًا لها بالحطابات إيذاء لها ولزوجها . **وثانيها** : أن يكون المعنى : أن حالها يكون في نار جهنم على الصورة التي كانت عليها حين كانت

تحمل الحزمة من الشوك ، فلا تزال على ظهرها حزمة من حطب النار من شجرة الزقوم وفي جيدها حبل من سلاسل النار .

فإن قيل : الحبل المتخذ من المسد كيف يبقى أبدًا في النار ؟ قلنا : كما يبقى الجلد واللحم والعظم أبدًا في النار .

ومنهم من قال : ذلك المسد يكون من الحديد ، وظن من ظن أن المسد لا يكون من الحديد خطأ ، لأن المسد هو المفتول سواء كان من الحديد أو من غيره ، والله سبحانه وتعالى أعلم ، والحمد لله رب العالمين .



سُورَةُ الإخلَاصِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ﴿١﴾ اللَّهُ الصَّمَدُ ﴿٢﴾ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ﴿٣﴾ وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ ﴿٤﴾

س ـ اذكر بعض المواطن التي يشرع ويستحب فيها قراءة سورة قل هو اللّه أحد ؟

ج : من هذه المواطن ما يلي :

الركعة الثانية : من ركعتي سنة الفجر وسنة المغرب ، وذلك بعد قراءة الفاتحة .

الركعة الأخيرة من الوتر بعد قراءة الفاتحة .

الركعة الثانية : من ركعتي الطواف (بعد قراءة الفاتحة) .

دبر الصلوات .

عند النوم .

عند المرض .

في عموم الصلوات .

أذكار الصباح والمساء .

* * *

س ـ اذكر بعض الأحاديث الواردة في فضل سورة قول هو اللَّه أحد؟

ج : من ذلك ما يلي :

• ما أخرجه البخاري ومسلم[١] من حديث عائشة رضي اللَّه عنها أن النبي ﷺ بعث رجلاً على سرية وكان يقرأ لأصحابه في صلاته فيختم بقل هو اللَّه أحد ، فلما رجعوا ذكروا ذلك للنبي ﷺ فقال : «**سلوه لأي شيء يصنع ذلك ؟** » فسألوه . فقال : لأنها صفة الرحمن وأنا أحب أن أقرأ بها ، فقال النبي ﷺ : «**أخبروه أن اللَّه يحبه**» .

• وأخرج البخاري[٢] من حديث أبي سعيد الخدري رضي اللَّه عنه أن رجلاً سمع رجلاً يقرأ ﴿**قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ**﴾ يرددها فلما أصبح جاء إلى النبي ﷺ فذكر له ذلك فكأن الرجل يتقالها فقال رسول اللَّه ﷺ : «**والذي نفسي بيده إنها لتعدل ثلث القرآن**» .

• وأخرج مسلم من حديث أبي الدرداء رضي اللَّه عنه عن النبي ﷺ قال : «**أيعجز أحدكم أن يقرأ في ليلة ثلث القرآن ؟** » قالوا : وكيف يقرأ ثلث القرآن ؟ «**قال : «قل هو اللَّه أحد تعدل ثلث القرآن**»[٣] .

---

(١) أخرجه البخاري حديث (٧٣٧٥) ومسلم (حديث ٨١٣) .

(٢) أخرجه البخاري (حديث ٧٣٧٤) .

(٣) قال النووي في «شرح مسلم» : قال القاضي : قال المازري : قيل : معناه أن القرآن على =

وفي رواية لمسلم : «**إن اللَّه جزأ القرآن ثلاثة أجزاء فجعل قل هو اللَّه أحد جزءًا من أجزاء القرآن**» .

● وأخرج مسلم[1] من حديث أبي هريرة رضي اللَّه عنه قال : قال رسول اللَّه ﷺ «**احشدوا فإني سأقرأ عليكم ثلث القرآن**» فحشد من حشد ثم خرج نبي اللَّه ﷺ فقرأ قل هو اللَّه أحد ثم دخل فقال بعضنا لبعض : إني أرى هذا خبر جاءه من السماء فذاك الذي أدخله ، ثم خرج نبي اللَّه ﷺ فقال : «**إني قلت لكم : سأقرأ عليكم ثلث القرآن ، ألا إنها تعدل ثلث القرآن**» .

* * *

= ثلاثة أنحاء قصص وأحكام وصفات للَّه تعالى ، و ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ متمحضة للصفات فهي ثلث ، وجزء من ثلاثة أجزاء .

قلت : والحديث أخرجه مسلم (حديث ٨١١) .

(١) الحديث عند مسلم (٨١٢) .

قال القاسمي في «محاسن التأويل» (ص ٦٣٠١) :

وقد ذكروا في ذلك وجوهًا ـ منها ما قاله أبو العباس بن سريج : أن القرآن أنزل على ثلاثة أقسام . ثلث منها الأحكام ، وثلث منها وعد ووعيد ، وثلث منها الأسماء والصفات . وهذه السورة جمعت الأسماء والصفات .

وقال الغزاليّ في (جواهر القرآن) : مهمات القرآن هي معرفة اللَّه ومعرفة الآخرة ومعرفة الصراط المستقيم . فهذه المعارف الثلاثة هي المهمة ، والباقي توابع ، وسورة الإخلاص تشتمل على واحدة من الثلاث : وهي معرفة اللَّه وتقديسه وتوحيده عن مشارك في الجنس والنوع ، وهو المراد بنفي الأصل والفرع والكفؤ .

قال : والوصف بالصمد يشعر بأنه السيد الذي لا يقصد في الوجود للحوائج سواه . نعم ، ليس فيها حديث الآخرة والصراط المستقيم . فلذلك تعدل ثلث القرآن أي ثلث الأصول من =

. . . .

= القرآن كما قيل (الحج عرفة) أي هو الأصل والباقي تبع .

وقال ابن القيم في (زاد المعاد) : كان النبيّ ﷺ يقرأ في سنة الفجر والوتر الإخلاص والكافرون وهما الجامعتان لتوحيد العلم والعمل ، وتوحيد المعرفة والإرادة ، وتوحيد الاعتقاد والقصد . فسورة الإخلاص متضمنة لتوحيد الاعتقاد والمعرفة ، وما يجب إثباته للرب تعالى من الأحدية المنافية لمطلق الشركة بوجه من الوجوه . والصمدية المثبتة له جميع صفات الكمال الذي لا يلحقه نقص بوجه من الوجوه ، ونفي الولد والوالد الذي هو من لازم الصمدية وغناه وأحديته . ونفيُ الكفؤ المتضمن لنفي التنبيه والتمثيل والتنظير : فتضمنت هذه السورة إثبات كل كمال له ، ونفي كل نقص عنه ، ونفي إثبات شبيه أو مثل له في كماله ونفي مطلق الشريك عنه . وهذه الأصول هي مجامع التوحيد العلميّ الاعتقاديّ الذي يباين صاحبه جميع فوق الضلال والشرك . ولذلك كانت تعدل ثلث القرآن . فإن القرآن مداره على الخبر والإنشاء. والإنشاء ثلاثة : أمر ، ونهي ، وإباحة . والخبر نوعان : خبر عن الخالق تعالى وأسمائه وصفاته وأحكامه ، وخبر عن خلقه ـ فأخلصت سورة الإخلاص الخبر عنه وعن أسمائه وصفاته فعدلت ثلث القرآن . وخلصت قارئها المؤمن من الشرك العلميّ . كما خلصت سورة قل يا أيها الكافرون من الشرك العملي الإراديّ القصديّ . ولما كان العلم قبل العمل وهو إمامه وقائده وسائقه والحاكم عليه ومنزله منازله ، كانت سورة ﴿ **قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ** ﴾ تعدل ثلث القرآن ، والأحاديث بذلك تكاد تبلغ مبلغ التواتر . و ﴿ **قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ** ﴾ تعدل ربع القرآن ، وفي الترمذي: من رواية ابن عباس رضي اللّه عنهما ، يرفعه: ﴿ **إِذَا زُلْزِلَتِ** ﴾ تعدل نصف القرآن و ﴿ **قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ** ﴾ تعدل ثلث القرآن و ﴿ **قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ** ﴾ تعدل ربع القرآن . رواه الحاكم في «المستدرك» ، وقال : صحيح الإسناد .

ولما كان الشرك العمليّ الإراديّ أغلب على النفوس لأجل متابعتها هواها ، وكثير منها ترتكبه مع علمها بمضرته وبطلانه ، لما لها فيه من نيل الأغراض . وإزالتُه وقلعُه منها أصعب وأشد من قلع الشرك العلميّ وإزالته . لأن هذا يزول بالعلم والحجة ولا يمكن صاحبه أن يعلم الشيء على غير ما هو عليه ، بخلاف شرك الإرادة والقصد ، فإن صاحبه يرتكب ما يدلّه العلم على بطلانه وضرره لأجل غلبة هواه واستيلاء سلطان الشهوة والغضب على نفسه . فجاء من التأكيد والتكرار في سورة ﴿ **قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ** ﴾ المتضمنة لإزالة الشرك العمليّ ما لم =

س ـ هل صح لهذه السورة سبب نزول ؟

قد ورد لهذه السورة عدة أسباب للنزول ولا يصح منها شيء.

* * *

س ـ اذكر بعض أقوال أهل العلم في تفسير الصمد ؟

ج : لأهل العلم في ذلك أقوال منها ما يلي :

الأول : أن المراد بالصمد ذكر في الآيات التي تليها ألا وهي قوله: ﴿لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝٣ وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾ [الإخلاص: ٣، ٤] ، فالصمد هو الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوًا أحد .

الثاني : أن الصمد : هو الذي يصمد إليه الخلق في حوائجهم ومسائلهم ، أي : يقصده الخلق في حوائجهم ومسائلهم إذ لا يقدر على قضائها لهم غيره سبحانه وتعالى .

الثالث : أن الصمد : المصمت الذي لا جوف له .

الرابع : أن الصمد : هو السيد الذي انتهت إليه السيادة في كل

= يجئ مثله في سورة ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ .

ولما كان القرآن شطرين : شطرًا في الدنيا وأحكامها ومتعلقاتها والأمور الواقعة فيها من أفعال المكلفين وغيرها . وشطرًا في الآخرة وما يقع فيها . وكانت سورة ﴿إِذَا زُلْزِلَتِ﴾ قد أخلصت من أولها وآخرها لهذا الشطر ، فلم يذكر فيها إلا الآخرة ، وما يكون فيها من أحوال الأرض وسكانها ، كانت تعدل نصف القرآن . فأحْرِ بهذا الحديث أن يكون صحيحًا . والله أعلم .

شيء فلا سيد فوقه ، وهو السيد الذي قد كمل في سؤدده ، والشريف الذي قد كمل في شرفه ، والعظيم الذي قد كمل في عظمته ، والحليم الذي قد كمل في حلمه ، والغني الذي قد كمل في غناه ، والجبار الذي قد كمل في جبروته ، والعالم الذي قد كلم في علمه ، والحكيم الذي قد كمل في حكمته ، وهو الذي قد كمل في أنواع الشرف والسؤدد ، وهو اللَّه سبحانه وتعالى ، هذه صفته لا تنبغي إلا له .

الخامس : أن الصمد : الذي لا يأكل ولا يشرب .

السادس : أن الصمد : الباقي بعد فناء خلقه .

السابع : أن الصمد : الذي لا تصلح العبادة إلا له .

الثامن : أن الصمد : هو المستغني عن كل أحد والمحتاج إليه كل أحد .

التاسع : أن الصمد : الذي يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد .

وثمَّ أقوال أخر ، والجمع بين هذه الأقوال ممكن .

وقال الحافظ ابن كثير رحمه اللَّه تعالى (بعد إيراده جملة من هذه الأقوال) :

وقد قال الحافظ أبو القاسم الطبراني في «كتاب السنة» له بعد إيراده كثيرًا من هذه الأقوال في تفسير الصمد : وكل هذه الأقوال صحيحة وهي صفات ربنا عز وجل هو الذي يُصمد إليه في الحوائج ،

وهو الذي قد انتهى سؤدده ، وهو الصمد الذي لا جوف له ولا يأكل ولا يشرب ، وهو الباقي بعد خلقه ، وقال البيهقي نحو ذلك .

* * *

س ـ اذكر جملة من الأدلة التي تنزه اللَّه سبحانه وتعالى عن الولد ؟

ج : من هذه الأدلة ما يلي :

● قوله تعالى : ﴿مَا كَانَ لِلَّهِ أَن يَتَّخِذَ مِن وَلَدٍ سُبْحَانَهُ﴾ [مريم: ٣٥] .

● قوله تعالى : ﴿أَلا إِنَّهُم مِّنْ إِفْكِهِمْ لَيَقُولُونَ ﴿١٥١﴾ وَلَدَ اللَّهُ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾ [الصافات: ١٥١، ١٥٢] .

● قوله تعالى : ﴿وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا ﴿٨٨﴾ لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئًا إِدًّا ﴿٨٩﴾ تَكَادُ السَّمَوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنشَقُّ الأَرْضُ وَتَخِرُّ الْجِبَالُ هَدًّا ﴿٩٠﴾ أَن دَعَوْا لِلرَّحْمَنِ وَلَدًا ﴿٩١﴾ وَمَا يَنبَغِي لِلرَّحْمَنِ أَن يَتَّخِذَ وَلَدًا﴾ [مريم: ٨٨ - ٩٢] .

● قوله تعالى : ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ﴿١﴾ اللَّهُ الصَّمَدُ ﴿٢﴾ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ﴿٣﴾ وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾ [الإخلاص: ١ - ٤] .

● قوله تعالى : ﴿إِنَّمَا اللَّهُ إِلَهٌ وَاحِدٌ سُبْحَانَهُ أَن يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ﴾ [النساء: ١٧١] .

● قوله تعالى : ﴿ أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُن لَّهُ صَاحِبَةٌ ﴾ [الأنعام: ١٠١] .

• قوله تعالى : ﴿مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِن وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ﴾ [المؤمنون: ٩١] .

• قوله تعالى : ﴿ وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا ﴾ [الإسراء: ١١١].

• قوله تعالى : ﴿وَقَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ بَل لَّهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ﴾ [البقرة: ١١٦] .

• قوله تعالى : ﴿ قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ هُوَ الْغَنِيُّ ﴾ [يونس: ٦٨] .

• قوله تعالى : ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَل لَّهُ عِوَجًا ﴿١﴾ قَيِّمًا لِّيُنذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا مِّن لَّدُنْهُ وَيُبَشِّرَ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا حَسَنًا ﴿٢﴾ مَاكِثِينَ فِيهِ أَبَدًا ﴿٣﴾ وَيُنذِرَ الَّذِينَ قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا ﴿٤﴾ مَا لَهُم بِهِ مِنْ عِلْمٍ وَلا لآبَائِهِمْ كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ إِن يَقُولُونَ إِلاَّ كَذِبًا﴾ [الكهف: ١ - ٥] .

وقوله تعالى : ﴿لَوْ أَرَادَ اللَّهُ أَن يَتَّخِذَ وَلَدًا لاَّصْطَفَىٰ مِمَّا يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ سُبْحَانَهُ هُوَ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ﴾ [الزمر: ٤] .

وقوله تعالى : ﴿وَأَنَّهُ تَعَالَىٰ جَدُّ رَبِّنَا مَا اتَّخَذَ صَاحِبَةً وَلا وَلَدًا﴾ [الجن: ٣] .

وقوله تعالى : ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ ذَلِكَ قَوْلُهُم بِأَفْوَاهِهِمْ يُضَاهِئُونَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن قَبْلُ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ

أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ﴾ [التوبة: ٣٠] .

وقوله تعالى : ﴿ تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا ۝١ الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا﴾ [الفرقان: ١، ٢] .

وقوله تعالى: ﴿وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ بَلْ عِبَادٌ مُكْرَمُونَ﴾ [الأنبياء: ٢٦] .

ومن ذلك ما أخرجه البخاري[1] من حديث أبي هريرة رضي اللَّه عنه قال : قال رسول اللَّه ﷺ : **«قال اللَّه تعالى : كذَّبني ابنُ آدم ، ولم لكن له ذلك وشتمني ولم يكن له ذلك فأما تكذيبه إياي فقوله : لن يُعيدني كما بدأني وليس أولُ الخلق بأهوَنَ عليَّ من إعادته ، وأما شَتْمُهُ إياي فقوله اتخذ اللَّه ولدًا ، وأنا الأحدُ الصَّمدُ لم أَلِدْ ولم أُولَد ، ولم يكُن لي كُفُوًا أحدٌ»** .

* * *

س وضح معنى قوله تعالى : ﴿ وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ ﴾ [الإخلاص: ٤] ؟

ج : الكفؤ هو المثيل والشبيه والنظير ، والمعنى ـ واللَّه أعلم ـ : ولم يكن له أحدٌ شبيهًا ولا مثيلاً ولا نظيرًا أي لم يكافئه أحد ولم يشابهه أحد سبحانه وتعالى .

---

(١) أخرجه البخاري (مع «الفتح» (٨/ ٧٣٩) والنسائي (٤/ ١١٢) .

سُورَةُ الفَلَقِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ ﴿١﴾ مِن شَرِّ مَا خَلَقَ ﴿٢﴾ وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ ﴿٣﴾ وَمِن شَرِّ النَّفَّاثَاتِ فِي الْعُقَدِ ﴿٤﴾ وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ ﴿٥﴾

س ـ اذكر معنى ما يلي : ـ

أعوذ ـ الفلق ـ غاسق ـ وقب ـ النفاثات ـ العقد ؟

ج :

الكلمة	معناها
أعـوذ	ألجأ ـ أستجير ـ أعتصم ـ ألوذ
الفلـق	الصبح [١] ـ كل ما انفلق عن شيء كالصبح والحب والنوى[٢]

(١) ومنه قوله تعالى : ﴿فَالِقُ الإِصْبَاحِ﴾ [الأنعام: ٩٦] ، وقول عائشة : كان النبي ﷺ لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح .

(٢) ومنه قوله تعالى : ﴿إِنَّ اللَّهَ فَالِقُ الْحَبِّ وَالنَّوَىٰ﴾ [الأنعام: ٩٥] .

ومن العلماء من قال : إن الفلق سجن في جهنم ، ولكن لا يثبت في ذلك خبر عن النبي ﷺ.

الكلمة	معناها
غاسق	مظلم ـ وقيل : الغاسق القمر ، وقيل : الليل[١]
وقب	دخل ـ أقبل بظلامه
النفاثات	السواحر اللواتي ينفثن (أي: يتفلن عند سحرهن) في العقد
العقد	عقد الخيط

* * *

س ـ اذكر بعض ما ورد في فضل المعوذتين والمواطن التي تقرءان فيها ؟

ج : من ذلك ما أخرجه مسلم في «صحيحه» من حديث عقبة بن عامر رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : **«ألم تر آيات أُنزلت الليلة لم يُر مثلهن قط قل أعوذ برب الفلق وقل أعوذ برب الناس»**[٢] .

وفي لفظ آخر عند مسلم : **«أُنزل أو أُنزلت عليَّ آيات لم يُرَ مثلهن قط المعوذتين»** .

وعند أبي داود والنسائي من حديث عقبة بن عامر أيضًا : قال أمرني رسول الله ﷺ أن أقرأ المعوذات دبر كل صلاة[٣] .

---

(١) ومنه قوله تعالى : ﴿ **أَقِمِ الصَّلاةَ لِدُلُوكِ الشَّمْسِ إِلَىٰ غَسَقِ اللَّيْلِ** ﴾ [الإسراء: ٧٨] .

(٢) مسلم مع النووي (٦/ ٩٦) .

(٣) أبو داود (٢/ ١٨١) والنسائي (٣/ ٦٩) بإسناد حسن .

وأخرجه الترمذي وأبو داود والنسائي[١] من حديث عبد اللَّه بن خبيب قال : خرجنا في ليلة مطر وظلمة نطلب النبي ﷺ ليصلّي لنا فأدركناه فقال : «قل» فلم أقل شيئًا ثم قال : «قل» فلم أقل شيئًا ثم قال: «قل» قلت : يا رسول اللَّه ما أقول ؟ قال : «قل هو اللَّه أحد» .

● وفي «الصحيحين»[٢] من حديث عائشة رضي اللَّه عنها أن النبي ﷺ كان إذا أوىٰ إلىٰ فراشه نفث في كفيه بقل هو اللَّه أحد والمعوذتين جميعًا ثم يمسح بهما وجهه وما بلغت يداه من جسده ، قالت عائشة : فلما اشتكىٰ كان يأمرني أن أفعل ذلك به .

● وفي «صحيح مسلم» من حديث عائشة رضي اللَّه عنها قالت : كان رسول اللَّه ﷺ إذا مرض أحد من أهله نفث عليه بالمعوذات فلما مرض مرضه الذي مات فيه جعلت أنفث عليه وأمسحه بيد نفسه لأنها كانت أعظم بركة من يدي[٣] .

* * *

س ـ اذكر علىٰ وجه الإجمال أنواع الشرور المستعاذ باللَّه منها في هاتين السورتين (الفلق والناس) ؟

ج : **قال ابن القيم رحمه اللَّه «التفسير القيم» :**

الفصل الثالث: في أنواع الشرور المستعاذ منها في هاتين السورتين.

---

(١) أخرجه الترمذي (٣٥٧٥) وقال : هذا حديث حسن صحيح غريب ، وأبو داود (٥٠٨٢) والنسائي (٨/ ٢٥٠) .

(٢) أخرجه البخاري (مع «الفتح» ١٠/ ٢٠٩) ومسلم في الطب (٥:٣) .

(٣) مسلم (حديث ٢١٩٢) .

الشر الذي يصيب العبد لا يخلو من قسمين :

إما ذنوب وقعت منه يعاقب عليها . فيكون وقوع ذلك بفعله وقصده وسعيه . ويكون هذا الشر هو الذنوب وموجباتها . وهو أعظم الشرين وأدومهما ، وأشدهما اتصالاً بصاحبه .

وإما شر واقع به من غيره . وذلك الغير إما مكلف أو غير مكلف، والمكلف إما نظيره ، وهو الإنسان ، أو ليس نظيره ، وهو الجني . وغير المكلف : مثل الهوام وذوات الحُمَة وغيرها .

فتضمنت هاتان السورتان الاستعاذة من هذه الشرور كلها بأوجز لفظ وأجمعه ، وأدله على المراد ، وأعمه استعاذة ، بحيث لم يبق شر من الشرور إلا دخل تحت الشر المستعاذ منه فيهما .

ثم قال رحمه اللّه :

والشر المستعاذ منه نوعان .

أحدهما : موجود ، يطلب رفعه ، والثاني : معدوم ، يطلب بقاؤه على العدم ، وأن لا يوجد . كما أن الخير المطلق نوعان . أحدهما : موجود فيطلب دوامه وثباته وأن لا يسلبه . والثاني : معدوم فيطلب وجوده وحصوله . فهذه أربعة هي أمهات مطالب السائلين من رب العالمين . وعليها مدار طلباتهم .

وقد جاءت هذه المطالب الأربعة في قوله تعالى حكاية عن دعاء

عباده في آخر آل عمران في قولهم : ﴿رَبَّنَا إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِي لِلإِيمَانِ أَنْ آمِنُوا بِرَبِّكُمْ فَآمَنَّا رَبَّنَا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّئَاتِنَا﴾ [آل عمران: ١٩٣] فهذا الطلب لدفع الشر الموجود . فإن الذنوب والسيئات شر ، كما تقدم بيانه . ثم قال : ﴿وَتَوَفَّنَا مَعَ الأَبْرَارِ﴾ [آل عمران: ١٩٣] فهذا طلب لدوام الخير الموجود وهو الإيمان حتى يتوفاهم عليه . فهذان قسمان . ثم قال : ﴿رَبَّنَا وَآتِنَا مَا وَعَدتَّنَا عَلَىٰ رُسُلِكَ﴾ [آل عمران: ١٩٤] فهذا طلب للخير المعدوم أن يؤتيهم إياه . ثم قال : ﴿وَلاَ تُخْزِنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ [آل عمران: ١٩٤] فهذا طلب أن لا يوقع بهم الشر المعدوم ، وهو خزي يوم القيامة .

فانتظمت الآيتان المطالب الأربعة أحسن انتظام ، مرتبة أحسن ترتيب ، قدُم فيها النوعان اللذان في الدنيا ، وهما المغفرة ودوام الإسلام إلى الموت ، ثم أتبعا بالنوعين اللذين في الآخرة ، وهما أن يعطوا ما وعدوه على ألسنة رسله ، وأن لا يخزيهم يوم القيامة .

فإذا عرف هذا . فقوله ﷺ في تشهد الخطبة : **«ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا»**[1] يتناول الاستعاذة من شر النفس ، الذي هو معدوم لكنه فيها بالقوة . فيسأل دفعه وأن لا يوجد .

---

(١) هذا اللفظ جاء في حديث ابن مسعود رضي الله عنه حينما علمه رسول الله ﷺ خطبة الحاجة فعلمه إياها وفيها **«ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا»** وهو حديث صحيح أخرجه الترمذي رقم ١١٠٥ وابن ماجة ١٨٩٢ وعندهما الاستعاذة من شرور الأنفس وسيئات الأعمال، وأخرجه أبو داود رقم ٢١١٨ وق ٦/ ٨٩ وحمَ ١/ ٢٩٢ مقتصرين على الاستعاذة من شرور الأنفس .

وأما قوله : «من سيئات أعمالنا» ففيه قولان .

أحدهما : أنه استعاذة من الأعمال السيئة التي قد وجدت . فيكون الحديث قد تناول نوعي الاستعاذة من الشر المعدوم الذي لم يوجد ، ومن الشر الموجود . فطلب دفع الأول ورفع الثاني .

والقول الثاني : أن سيئات الأعمال هي عقوباتها وموجباتها السيئة التي تسوء صاحبها . وعلى هذا يكون من استعاذة الدفع أيضًا دفع المسبب . والأول دفع السبب . فيكون قد استعاذ من حصول الألم وأسبابه .

وعلى الأول : تكون إضافة السيئات إلى الأعمال من باب إضافة النوع إلى جنسه . فإن الأعمال جنس وسيئاتها نوع منها .

وعلى الثاني: تكون من باب إضافة المسبب إلى سببه ، والمعلول إلى علته . كأنه قال : من عقوبة عملي . والقولان محتملان .

فتأمل أيهما أليق بالحديث وأولى به . فإن مع كل واحد منهما نوعًا من الترجيح . فيترجح الأول بأن منشأ الأعمال السيئة من شر النفس . فشر النفس يولد الأعمال السيئة ، فاستعاذ من صفة النفس ، ومن الأعمال التي تحدث عن تلك الصفة . وهذان جماع الشر ، وأسباب كل ألم . فمتى عوفي منهما عوفي من الشر بحذافيره .

ويترجح الثاني بأن سيئات الأعمال هي العقوبات التي تسوء

العامل ، وأسبابها شر النفس . فاستعاذ من العقوبات والآلالم وأسبابها .

والقولان في الحقيقة متلازمان ، والاستعاذة من أحدهما تستلزم الاستعاذة من الآخر .

* * *

س ـ قال اللَّه سبحانه : ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ﴾ [الفلق: ١] وقال سبحانه : ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ﴾ [الناس: ١] فعند امتثالنا للأمر هل نقول : أعوذ برب الفلق ، وأعوذ برب الناس أو نقول : ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ﴾ [الفلق: ١] و ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ﴾ [الناس: ١] ؟

ج : بل نقول : ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ﴾ [الفلق: ١] و ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ﴾ [الناس: ١] وقد أخرج البخاري [(١)] من طريق ذر قال : سألت أُبي بن كعب قلت : أبا المنذر إن أخاك ابن مسعود يقول : كذا وكذا فقال أبي : سألت رسول اللَّه ﷺ فقال لي : «**قيل لي فقلت**»[(٢)] قال : فنحن نقول كما قال رسول اللَّه ﷺ .

---

(١) أخرجه البخاري (مع الفتح ٨/ ٧٤١) .

(٢) **قال ابن القيم رحمه اللَّه تعالى :**

قلت : مفعول القول محذوف ، وتقديره : قيل لي قل ، أو قيل لي هذا اللفظ . فقلت كما قيل لي .

وتحت هذا من السر : أن النبي ﷺ ليس له في القرآن إلا إبلاغه ، لا أنه هو أنشأه من قبل نفسه ، بل هو المبلغ له عن اللَّه . وقد قال اللَّه له : ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ﴾ [الفلق: ١] فكان مقتضى البلاغ التام أن يقول: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ﴾ [الفلق: ١] كما قال اللَّه . =

س ـ اذكر معنى الفلق بمزيل من الإيضاح ؟

ج : **قال ابن القيم رحمه الله « التفسير القيم » :**

واعلم أن الخلق كله فلق . وذلك أن «فلقا» فَعَل بمعنى مفعول ، كقَبَض وسَلَب وقنص : بمعنى مقبوض ومسلوب ومقنوص . والله عز وجل : ﴿فَالِقُ الإِصْبَاحِ﴾ [الأنعام: ٩٦] ، و ﴿فَالِقُ الْحَبِّ وَالنَّوَىٰ﴾ [الأنعام: ٩٥] ، وفالق الأرض عن النبات ، والجبال عن العيون ، والسحاب عن المطر ، والأرحام عن الأجنَّة ، والظلام عن الإصباح . ويسمى الصبح المتصدع عن الظلمة : فلقًا وفرَقًا . يقال : هو أبيض من فَرَق الصبح وفلقه .

وكما أن في خلقه فلقًا وفَرَقًا . فكذلك أمره كله فُرقان ، يفرق بين الحق والباطل . فيفرق ظلام الباطل بالحق ، كما يفرق ظلام الليل بالإصباح ، ولهذا سمي كتابه «الفرقان»[1] ونَصْره فرقانًا ، لتضمنه الفرق بين أوليائه وأعدائه . ومنه فَلْقه البحر لموسى ، وسماه فلقًا .

= وهذا هو المعنى الذي أشار النبي ﷺ إليه بقوله : «قيل لي ، فقلت» أي إني لست مبتدئًا ، بل أنا مبلغ ، أقول كما يقال لي ، وأبلغ كلام ربي أنزله إليّ .
فصلوات الله وسلامه عليه ، لقد بلغ الرسالة ، وأدى الأمانة ، وقال كما قيل له . فكفانا من المعتزلة والجهمية وإخوانهم ممن يقول : هذا القرآن العربي وهذا النظم كلامه ابتدأ هو به . ففي هذا الحديث أبين الرد لهذا القول ، وأنه ﷺ بلغ القول الذي أمر بتبليغه على وجهه ولفظه ، حتى إنه لما قيل له : «قل» قال هو : «قل» لأنه مبلغ محض . وما على الرسول إلا البلاغ .

(١) وذلك في قوله تعالى ﴿ تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا ﴾ [الفرقان: ١] .

فظهرت حكمة الاستعاذة برب الفلق في هذه المواضع . وظهر بهذا إعجاز القرآن ، وعظمته وجلالته ، وأن العباد لا يقدرون قدره ، وأنه ﴿ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴾ [فصلت: ٤٢] .

* * *

س ـ ما هو السر في الاستعاذة برب الفلق في هذا الموضع ؟

ج : **قال ابن القيم رحمه اللَّه « التفسير القيم »** :

فصل : ومن ههنا : تعلم السر في الاستعاذة برب الفلق في هذا الموضع .

فإن الفلق : هو الصبح الذي هو مبدأ ظهور النور ، وهو الذي يطرد جيش الظلام ، وعسكر المفسدين في الليل . فيأوي كل خبيث وكل مفسد وكل لص وكل قاطع طريق إلىٰ سِرْب أو كِنٍّ أو غار ، وتأوي الهوام إلىٰ أجحرتها ، والشياطين التي انتشرت بالليل إلىٰ أمكنتها ومحالها . فأمر اللَّه عباده أن يستعيذوا برب النور الذي يقهر الظلمة ويزيلها ، ويقهر عسكرها وجيشها . ولهذا ذكر سبحانه في كل كتاب : أنه يخرج عباده من الظلمات إلىٰ النور ، ويدع الكفار في ظلمات كفرهم . قال اللَّه تعالىٰ : ﴿ **اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَوْلِيَاؤُهُمُ الطَّاغُوتُ يُخْرِجُونَهُم مِّنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ** ﴾ [البقرة: ٢٥٧] ، وقال تعالىٰ : ﴿ **أَوَ مَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا** ﴾ [الأنعام: ١٢٢] ، وقال في أعمال الكفار : ﴿ **أَوْ كَظُلُمَاتٍ فِي بَحْرٍ لُّجِّيٍّ يَغْشَاهُ مَوْجٌ**

مِّن فَوْقِهِ مَوْجٌ مِّن فَوْقِهِ سَحَابٌ ظُلُمَاتٌ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ إِذَا أَخْرَجَ يَدَهُ لَمْ يَكَدْ يَرَاهَا وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِن نُّورٍ ﴾ [النور: ٤٠] ، وقد قال قبل ذلك في صفات أهل الإيمان ونورهم : ﴿ اللَّهُ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ يُوقَدُ مِن شَجَرَةٍ مُّبَارَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَّا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ نُّورٌ عَلَىٰ نُورٍ يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَن يَشَاءُ ﴾ [النور: ٣٥] .

فالإيمان كله نور ، ومآله إلىٰ نور ، ومستقره في القلب المضيء المستنير ، والمقترن بأهله الأرواح المستنيرة المضيئة المشرقة . والكفر والشرك كله ظلمة ، ومآله إلىٰ الظلمات ومستقره في القلوب المظلمة ، والمقترن بأهل الأرواح المظلمة .

فتأمل الاستعاذة برب الفلق من شر الظلمة ، ومن شر ما يحدث فيها ونَزِّل هذا المعنىٰ علىٰ الواقع يشهد بأن القرآن ، بل هاتان السورتان، من أعظم أعلام النبوة ، وبراهين صدق رسالة محمد ﷺ ، ومضادته لما جاء به الشياطين من كل وجه ، وأن ما جاء به ما تنزلت به الشياطين ، وما ينبغي لهم وما يستطيعون فما فعلوه . ولا يليق بهم ، ولا يتأتىٰ منهم ، ولا يقدرون عليه .

وفي هذا أبين جواب وأشفاه لما يورده أعداء الرسول عليه من الأسئلة الباطلة التي قَصَّر المتكلمون غاية التقصير في دفعها ، وما شفوا في جوابها . وإنما اللَّه سبحانه هو الذي شَفَىٰ وكفىٰ في جوابها . فلم يحوجنا إلىٰ متكلم ، ولا إلىٰ أصولي ، ولا إلىٰ نَظَّار . فله الحمد

والمنّة . لا نُحصي ثناء عليه .

وقال صديق حسن خان في «فتح البيان» :

وقد قيل في وجه تخصيص الفلق الإيماء إلى أن القادر على إزالة هذه الظلمات الشديدة عن كل هذا العالم يقدر أيضًا أن يدفع عن العائذ كل ما يخافه ويخشاه وقيل طلوع الصبح كالمثال لمجيء الفرج فكما أن الإنسان في الليل يكون منتظرًا لطلوع الصباح كذلك الخائف يكون مترقبًا لطلوع صباح النجاح ، وقيل غير هذا مما هو مجرد بيان مناسبة ليس فيها كثير فائدة تتعلق بالتفسير .

* * *

س ـ لماذا يستعاذ من الفاسق إذا وقب ؟

ج : لأن الشياطين تنتشر ليلاً كما قال عليه الصلاة والسلام : «**إذا كان جنح الليل أو أمسيتم فكفوا صبيانكم واذكروا اسم اللَّه**» . . الحديث وفيه : «**فإن الشياطين تنتشر حينئذٍ**»[1] .

وكذلك الهوام والسباع تخرج من أماكنها ، وأهل الشر والفساد ينبعثون كذلك .

وعلى قول من قال : إن الفاسق إذا وقب هو الثريا ، فقالوا : إن الثريا إذا سقطت كثرت الأسقام والطواعين . واللَّه أعلم .

---

(١) أخرجه البخاري (مع «الفتح» ١٠/٨٨) ومسلم (١٣/١٨٣) من حديث جابر رضي اللَّه عنهما مرفوعًا .

وقال ابن القيم رحمه الله « التفسير القيم » :

والسبب الذي لأجله أمر الله بالاستعاذة من شر الليل وشر القمر إذا وقب هو : أن الليل إذا أقبل فهو محل سلطان الأرواح الشريرة الخبيثة. وفيه تنتشر الشياطين. وفي «الصحيح» : أن النبي ﷺ أخبر أن الشمس إذا غربت انتشرت الشياطين ، ولهذا قال : **«فاكفتوا صبيانكم ، واحبسوا مواشيكم حتى تذهب فَحْمة العشاء»** [١] ، وفي حديث آخر : **«فإن الله يبث من خلقه ما يشاء»**[٢] .

والليل هو محل الظلام . وفيه تتسلط شياطين الإنس والجن ما لا تتسلط بالنهار . فإن النهار نور ، والشياطين إنما سلطانهم في الظلمات

(١) أخرج البخاري (فتح ٦/٣٣٦ و ٣٥٥ و . . .) ومسلم ص ١٥٩٤ .
من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : **«إذا استجنح الليل ـ أو كان جنح الليل ـ فكفوا صبيانكم فإن الشياطين تنتشر حينئذ فإذا ذهب ساعة من العشاء فخلُّوهم وأغلق بابك واذكر اسم الله وأوكِ سقاءك واذكر اسم الله وخمِّر إناءك واذكر اسم الله ولو أن تعرض عليه شيئًا»** .
وفي بعض الفاظه : **«واكفتوا صبيانكم عند المساء فإن للجن انتشاراً وخطفة»** .
وفي لفظ عند مسلم عن النبي ﷺ : **«لا ترسلوا فواشيكم وصبيانكم إذا غابت الشمس حتى تذهب فحمة العشاء فإن الشياطين تنبعث إذا غابت الشمس حتى تذهب فحمة العشاء»** .
(الفواشي : كل شيء منتشر من المال كالإبل والغنم وسائر البهائم وغيرها ، وهي جمع فاشية لأنها تفشو ، أي : تنتشر في الأرض) .
تنبيه : هذا الحديث غفل عن العمل به كثير من الناس فحري أن يقوم به أهل السنة .
(٢) في أحد الفاظ الحديث عند أحمد (٣/٣٠٦) : **«فإن الله عز وجل يبث في ليلة من خلقه ما شاء»** ، وسندها صحيح لغيرها . ولها شاهد عند أحمد (٣/٣٥٥) .
وفي «صحيح مسلم» : **«فإن في السنة ليلة ينزل فيها وباء لا يمر بإناء ليس عليه غطاء أو سقاء ليس عليه وكاء إلا نزل فيه من ذلك الوباء»** .

والمواضع المظلمة ، وعلى أهل الظلمة .

وروي أن سائلاً سأل مسيلمة : كيف يأتيك الذي يأتيك ؟ فقال : في ظلماء حِنْدس . وسئل النبي ﷺ : «كيف يأتيك ؟» فقال : «في مثل ضوء النهار »[1] ، فاستدل بهذا على نبوته ، وأن الذي يأتيه ملك من عن اللَّه ، وأن الذي يأتي مسيلمة شيطان .

ولهذا كان سلطان السحر وعظم تأثيره إنما هو بالليل دون النهار ، فالسحر الليلي عندهم : هو السحر القوي التأثير . ولهذا كانت القلوب المظلمة هي محال الشياطين وبيوتهم ومأواهم ، والشياطين تجول فيها، وتتحكم كما يتحكم ساكن البيت فيه . وكلما كان القلب أظلم كان للشيطان أطوع ، وهو فيه أثبت وأمكن .

---

(١) أخرج الإمام أحمد في «مسنده» (١/٢٦٦ ، ٢٧٩ ، ٢٩٤ ، ٣١٢) من طريق حماد بن سلمة عن عمار بن أبي عمار عن ابن عباس أن رسول اللَّه ﷺ أقام بمكة خمس عشرة سنة ثمان سنين أو سبع يرى الضوء ويسمع الصوت وثمانيًا أو سبعًا يوحى إليه وأقام بالمدينة عشرًا . وإسناده صحيح ، وقد رواه عفان عن حماد بن سلمة عن عمار مرسلاً . ورواه عفان متصلاً أيضًا (١/٢٧٩) .

تنبيه : في البخاري (فتح ١/١٨) : سئل رسول اللَّه ﷺ : يا رسول اللَّه كيف يأتيك الوحي ؟ فقال ﷺ : **«أحيانًا يأتيني مثل صلصلة الجرس وهو أشده عليَّ فيفصم عني وقد وعيت عنه ما قال ، وأحيانًا يتمثل لي الملك رجلاً فيكلمني فأعي ما يقول»** .

قال الحافظ في («الفتح» ١/ ١٩) : وأورد على ما اقتضاه الحديث وهو أن الوحي منحصر في الحالتين حالات أخرى إما من صفة الوحي كمجيئه كدوي النحل والنفث في الروع والإلهام والرؤيا الصالحة والتكليم ليلة الإسراء بلا واسطة ، وإما من صفة حامل الوحي كمجيئه في صورته التي خلق عليها له ستمائة جناح ورؤيته على كرسي بين السماء والأرض وقد سد الأفق. والجواب منع الحصر في الحالتين المقدم ذكرهما وحملهما على الغالب أو حمل ما =

س ـ وضح المراد بقوله تعالى: ﴿مِن شَرِّ مَا خَلَقَ﴾ [الفلق: ٢] ؟

ج : ﴿مَا﴾ في قوله تعالى : ﴿مِن شَرِّ مَا خَلَقَ﴾ [الفلق: ٢] اسم موصول بمعنى الذي ، فالمعنى : من شر الذي خلق .

قال ابن القيم رحمه الله «التفسير القيم» :

وقد دخل في قوله تعالى : ﴿مِن شَرِّ مَا خَلَقَ﴾ [الفلق: ٢] الاستعاذة من كل شر في أي مخلوق قام به الشر : من حيوان ، أو غيره ، إنسيًّا كان أو جنيًّا ، أو هامة أو دابة أو ريحًا ، أو صاعقة ، أي نوع كان من أنواع البلاء .

فإن قلت : فهل في «ما» ههنا عموم ؟

قلت : فيها عموم تقييدي وصفي ، لا عموم إطلاقي . والمعنى: من شر كل مخلوق فيه شر . فعمومها من هذا الوجه . وليس المراد الاستعاذة من شر كل ما خلقه الله . فإن الجنة وما فيها ليس فيها شر . وكذلك الملائكة والأنبياء فإنهم خير محض : والخير كله حصل على أيديهم ، فالاستعاذة من شر ما خلق : تعم شر كل مخلوق فيه شر . وكل شر في الدنيا والآخرة ، وشر شياطين الإنس والجن وشر السباع والهوام ، وشر النار والهواء ، وغير ذلك . وفي «الصحيح» : عن النبي ﷺ أنه قال : «**من نزل منزلاً فقال : أعوذ بكلمات الله التامات من شر**

= يغايرهما على أنه وقع بعد السؤال . . . .» .

ولمزيد راجع «الفتح» .

ما خلق . لم يضره شيء ، حتى يرتحل منه»[١] رواه مسلم . وروى أبو داود في «سننه» عن عبد اللَّه بن عمر قال : كان رسول اللَّه ﷺ إذا سافر فأقبل الليل ، قال : **«يا أرض ، ربي وربك اللَّه ، أعوذ باللَّه من شرك ، وشر ما فيك وشر ما خلق فيك ، وشر ما يَدُبُّ عليك ، أعوذ باللَّه من أسَد وأسْود ، ومن الحية والعقرب ، ومن ساكن البلد ومن والد وما ولد»**[٢] .

وفي الحديث الآخر : **«أعوذ بكلمات اللَّه التامات التي لا يجاوزهن بَرٌّ ولا فاجر : من شر ما خلق ، وذرأ وبرأ ، ومن شر ما نزل من السماء وما يعرج فيها ، ومن شر ما ذرأ في الأرض وما يخرج منها ، ومن شر فتن الليل والنهار ، ومن شر كل طارق ، إلا طارقًا يطرق بخير يا رحمن»**[٣] .

---

(١) تقدم تخريجه .

(٢) سنده ضعيف أخرجه أبو داود رقم (٢٦٠٣) وأحمد (٢/ ١٣٢ ، ٣/ ١٢٤) وفي إسناده الزبير ابن الوليد لم يذكر في الرواة عنه إلا شريح بن عبيد ولم يوثقه إلا ابن حبان ، فعلى هذا فهو مجهول ، وقد قال الحافظ في «التقريب» فيه : مقبول ، ومعناه : إذا توبع وإلا فلين .

(٣) أخرجه مالك بسند ضعيف لإرساله ، فروى مالك في «الموطأ» (كتاب الشعر باب ما يؤمر به من التعوذ ص ٩٥٠) عن يحيى بن سعيد أنه قال : أسري برسول اللَّه ﷺ فرأى عفريتًا من الجن يطلبه بشعلة من نار كلما التفت رسول اللَّه ﷺ رآه فقال له جبريل : أفلا أعلمك كلمات تقولهن إذا قلتهن طفئت شعلته وَخَرَّ لفِيه ؟ فقال رسول اللَّه ﷺ : **«بلى»** فقال جبريل : فقل أعوذ بوجه اللَّه الكريم وبكلمات اللَّه التامات التي لا يجاوزهن بر ولا فاجر من شر ما ينزل من السماء وشر ما يعرج فيها وشر ما ذرأ في الأرض وشر ما يخرج منها ومن فتن الليل والنهار ومن طوارق الليل والنهار إلا طارقًا يطرق بخير يا رحمن .

وأخرج مالك أيضًا (ص ٩٥١) عن سمي مولى أبي بكر عن القعقاع بن حكيم أن كعب الأحبار قال : لولا كلمات أقولهن لجعلتني يهود حمارًا فقيل له وما هي فقال : أعوذ بوجه اللَّه العظيم الذي ليس شيء أعظم منه ، وبكلمات اللَّه التامات التي لا يجاوزهـن بر ولا فاجر ، =

س ـ أمر اللَّه سبحانه وتعالىٰ بالاستعاذة من كل ما خلق ، وذلك في قوله تعالىٰ : ﴿مِن شَرِّ مَا خَلَقَ﴾ [الفلق: ٢] فما فائدة الاستعاذة بعد ذلك من الغاسق والنفاثات والحاسد ؟

ج : هذا من عطف الخاص على العام ، وذلك تنبيهًا علىٰ أهمية هذا الخاص وبيان عظم شره ، فالمراد التنبيه علىٰ أن هذه الشرور من أعظم أنواع الشرور .

***

س ـ اذكر بمزيد من الإيضاح معنىٰ قوله تعالىٰ : ﴿وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ﴾ [الفلق: ٣] ؟

ج : **أجمل العلامة ابن القيم رحمه اللَّه تعالىٰ القول في هذا فقال**(١) :

الشر الثاني : شر الغاسق إذا وَقَب . فهذا خاص بعد عام . وقد قال أكثر المفسرين : إنه الليل .

قال ابن عباس : الليل إذا أقبل بظلمته من المشرق ، ودخل في كل شيء وأظلم ، والغسق: الظلمة . يقال: غسق الليل ، وأغسق: إذا أظلم ، ومنه قوله تعالىٰ : ﴿أَقِمِ الصَّلَاةَ لِدُلُوكِ الشَّمْسِ إِلَىٰ غَسَقِ اللَّيْلِ﴾ [الإسراء: ٧٨] ، وكذلك قال الحسن ومجاهد: الغاسق إذا وقب: الليل إذا

وبأسماء اللَّه الحسنىٰ كلها ما علمت منها وما لم أعلم من شر ما خلق وبرأ وذرأ . وهذا مقطوع من كلام كعب .

(١) «التفسير القيم» .

أقبل ودخل . والوقوب : الدخول ، وهو دخول الليل بغروب الشمس . وقال مقاتل : يعني ظلمة الليل إذا دخل سواده في ضوء النهار .

وفي تسمية الليل غاسقًا قول آخر : أنه من البرد ، والليل أبرد من النهار ، والغسق : البرد . وعليه حمل ابن عباس قوله تعالى : ﴿فَلْيَذُوقُوهُ حَمِيمٌ وَغَسَّاقٌ﴾ [ص: ٥٧] ، وقوله : ﴿لا يَذُوقُونَ فِيهَا بَرْدًا وَلا شَرَابًا ﴿٢٤﴾ إِلاَّ حَمِيمًا وَغَسَّاقًا﴾ [النبأ: ٢٤، ٢٥] قال : هو الزمهرير يحرقهم ببرده . كما تحرقهم النار بحرها . وكذلك قال مجاهد ومقاتل : هو الذي انتهى برده .

ولا تنافي بين القولين . فإن الليل بارد مظلم . فمن ذكر برده فقط، أو ظلمته فقط : اقتصر على أحد وصفيه .

والظلمة في الآية أنسب لمكان الاستعاذة . فإن الشر الذي يناسب الظلمة أولى بالاستعاذة من البرد الذي في الليل . ولهذا استعاذ برب الفلق الذي هو الصبح والنور : من شر الغاسق ، الذي هو الظلمة . فناسب الوصف المستعاذ به المعنى المطلوب بالاستعاذة . كما سنزيده تقريرًا عن قريب إن شاء اللَّه .

فإن قيل : فما تقولون فيما رواه الترمذي من حديث ابن أبي ذئب عن الحارث بن عبد الرحمن عن أبي سلمة عن عائشة قالت : أخذ النبي ﷺ بيدي ، فنظر إلى القمر ، فقال : «يا عائشة ، استعيذي باللَّه من

شر هذا . **فإن هذا هو الغاسق إذا وقب»**[1] قال الترمذي : هذا حسن صحيح . وهذا أولى من كل تفسير . فيتعين المصير إليه ؟

قيل : هذا التفسير حق ، ولا يناقض التفسير الأول ، بل يوافقه ، ويشهد لصحته . فإن اللَّه تعالى قال : ﴿**وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ آيَتَيْنِ فَمَحَوْنَا آيَةَ اللَّيْلِ وَجَعَلْنَا آيَةَ النَّهَارِ مُبْصِرَةً**﴾ [الإسراء: ١٢] ، فالقمر هو آية الليل ، وسلطانه فيه . فهو أيضًا غاسق إذا وقب ، كما أن الليل غاسق إذا وقب ، والنبي ﷺ أخبر عن القمر بأنه غاسق إذا وقب . وهذا خبر صدق . وهو أصدق الخبر ، ولم ينف عن الليل اسم الغاسق إذا وقب. وتخصيص النبي ﷺ له بالذكر لا ينفي شمول الاسم لغيره .

ونظير هذا : قوله في المسجد الذي أسس على التقوى ـ وقد سئل عنه ـ فقال : «**هو مسجدي هذا**»[2] ، ومعلوم أن هذا لا ينفي كون مسجد قباء[3] مؤسسًا على التقوى مثل ذاك .

ونظيره أيضًا : قوله في علي وفاطمة والحسن والحسين رضي اللَّه

---

(١) حديث حسن أخرجه الترمذي (٩/ ٣٠٢) وأحمد (٦/ ٦١ و ٢٠٦ و ٢٣٧) وقد حسن الحافظ ابن حجر إسناده في «الفتح» (٨/ ٧٤١) .

(٢) أخرج مسلم (ص ١٠١٥) من حديث أبي سعيد الخدري رضي اللَّه عنه قال: قلت يارسول اللَّه أي المسجدين الذي اسس على التقوى قال : «**فأخذ كفًا من حصباء فضرب به الأرض ثم قال: هو مسجدكم هذا**» لمسجد المدينة ، وأخرجه أحمد (٥/ ٣٣١ ، ٣٣٥ و ١١٦ ، ٣/ ٨ و ٢٣ ، ٢٤ و ٨٩ و ٩١) .

(٣) ورد في مسجد قباء من الفضل : ما أخرجه البخاري (فتح ٣/ ٦٩) ومسلم (ص ١٠١٦ ـ ١٠١٧) أن رسول اللَّه ﷺ كان يأتيه راكبًا وماشيًا وذلك كل سبت .

عنهم أجمعين : «**اللهم هؤلاء أهل بيتي**»[١] فإن هذا لا ينفي دخول غيرهم من أهل بيته في لفظ أهل البيت ، ولكن هؤلاء أحق من دخل في لفظ أهل بيته .

ونظير هذا قوله : «**ليس المسكين بهذا الطواف الذي ترده اللقمة واللقمتان ، والتمرة والتمرتان ، ولكن المسكين الذي لا يسأل الناس شيئًا ، ولا يُفطَن له فيتَصدَّق عليه**»[٢] وهذا لا ينفي اسم المسكنة عن الطواف ، بل ينفي اختصاص الاسم به ، وتناول المسكين لغير السائل أولى من تناوله له .

ونظير هذا قوله : «**ليس الشديد بالصُّرَعة ، ولكن الذي يملك نفسه عند الغضب**»[٣] ، فإنه لا يقتضي نفي الاسم عن الذي يصرع الرجال ، ولكن يقتضي أن ثبوته للذي يملك نفسه عند الغضب أولى .

ونظيره : الغسق ، والوقوب ، وأمثال ذلك .

فكذلك قوله في القمر : «**هذا هو الغاسق إذا وقب**» لا ينفي أن

---

(١) صحيح .

أخرجه أحمد وغيره من عدة طرق عن النبي ﷺ انظر «مسند أحمد» (١/ ١٨٥ ، ٤/ ١٠٧ ، ٦/ ٢٩٢ و ٣٠٤) ؛ و«تفسير ابن كثير» عند تفسير قول الله تعالى : ﴿**إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا**﴾ [الأحزاب: ٣٣] .

(٢) صحيح .

أخرجه البخاري في مواضع من «صحيح» (انظر «الفتح» ٣/ ٣٤٠ ـ ٣٤١) ومسلم (ص ٧١٩).

(٣) صحيح .

أخرجه البخاري (فتح ١٠/ ٥١٨) ومسلم (ص ١٤ : ٢) .

يكون الليل غاسقًا ، بل كلاهما غاسق .

فإن قيل : فما تقولون في القول الذي ذهب إليه بعضهم : أن المراد به القمر إذا خُسف واسْوَدَّ . وقوله : «**وقب**» أي دخل في الخسوف ، أو غاب خاسفًا ؟

قيل : هذا القول ضعيف . ولا نعلم به سلفًا . والنبي ﷺ لما أشار إلى القمر ، وقال : «**هذا الغاسق إذا وقب**» لم يكن خاسفًا إذ ذاك . وإنما كان مستنيرًا ، ولو كان خاسفًا لذكرته عائشة . وإنما قالت : نظر إلى القمر ، وقال : «**هذا هو الغاسق**» ، ولو كان خاسفًا لم يصح أن يحذف ذلك الوصف منه . فإن ما أطلق عليه اسم الغاسق باعتبار صفة لا يجوز أن يطلق عليه بدونها ، لما فيه من التلبيس .

وأيضًا : فإن اللغة لا تساعد على هذا . فلا نعلم أحدًا قال : الغاسق : القمر في حال خسوفه .

وأيضًا : فإن الوقوب لا يقول أحد من أهل اللغة. إنه الخسوف ، وإنما هو الدخول ، من قولهم : وقبت العين : إذا غارت ، وركُية وَقْباء : غار ماؤها . فدخل في أعماق التراب . ومنه الوَقْب للثقب الذي يدخل فيه المحور ، وتقول العرب : وَقَب يَقِب وُقُوبًا إذا دخل .

فإن قيل : فما تقولون في القول الذي ذهب إليه بعضهم : أن الغاسق هو الثريا إذا سقطت ، فإن الأسقام تكثر عند سقوطها وغروبها ، وترتفع عند طلوعها ؟

قيل : إن أراد صاحب هذا القول اختصاص الغسق بالنجم إذا غرب فباطل . وإن أراد : أن اسم الغاسق يتناول ذلك بوجه ما : فهذا يحتمل أن يدل اللفظ عليه بفحواه ومقصوده وتنبيهه . وأما أن يختص اللفظ به فباطل .

قال عطية سالم في «تتمته لأضواء البيان» :

قوله تعالى : ﴿وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ﴾ [الفلق: ٣] .

الغاسق : قيل الليل ، لقوله تعالى : **﴿أَقِمِ الصَّلَاةَ لِدُلُوكِ الشَّمْسِ إِلَىٰ غَسَقِ اللَّيْلِ﴾** [الإسراء: ٧٨] .

ووقب : أي دخل .

وعليه قول الشاعر :

إن هذا الليل قد غسقا .:. واشتكيت الهم والأرقا

وقول الآخر :

يا طيف هند قد أبقيت لي أرقا .:. إذ جئتنا طارقًا والليل قد غسقا

قال القرطبي : وهذا قول ابن عباس والضحاك وقتادة والسدي وغيرهم .

وقيل : الغاسق : القمر إذا كان في آخر الشهر ، لحديث عائشة عند الترمذي أن الرسول ﷺ قال لهما : **«تعوذي من هذا فإنه الغاسق إذا وقب»** ، أي : القمر .

وقائل هذا القول يقول : إنه أنسب لما يجيء بعده من السحر ، لأنه أكثر ما يكون عندهم في آخر الشهر .

ونقل القرطبي عن ثعلب ، عن ابن الأعرابي ، أن أهل الريب يتحينون وجبة القمر ، أي سقوطه وغيوبته .

وأنشد قول الشاعر :

أراحني اللَّه من أشياء أكرهها

منها العجوز ومنها الكلب والقمر

هـذا يـوح وهـذا يستضاء بـه

وهــذه ضمــرز قوامــة السحــر

والضمرز : الناقة المسنة ، والمرأة الغليظة .

والصحيح الأول ، الذي هو الليل بشهادة القرآن .

والثاني : تابع له ، لأن القمر في ظهوره واختفائه مرتبط بالليل ، فهو بعض ما يكون في الليل ، وفي الليل تنتشر الشياطين وأهل الفساد، من الإنسان والحيوان ويقل فيه المغيث إلا اللَّه .

هذا وقد قال الطبري رحمه اللَّه تعالى بعد أن ذكر جملة أقوال لأهل العلم في تفسير ﴿غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ﴾ [الفلق: ٣] .

وأولى الأقوال في ذلك عندي بالصواب أن يُقال : إن اللَّه أمر نبيه ﷺ أن يستعيذ من شر غاسق ، وهو الذي يُظلم ، يقال : قد غسق

الليل يغسق غسوقًا إذا أظلم ﴿إِذَا وَقَبَ﴾ يعني إذا دخل في ظلامه ، والليل إذا دخل في ظلامه غاسق ، والنجم إذا أفل غاسق ، والقمر غاسق ، ولم يخصص بعض ذلك بل عمَّ الأمر بذلك ، فكلُّ غاسق ، فإنه ﷺ كان يؤمر بالاستعاذة من شره إذا وقب .

* * *

س ـ اذكر بمزيدٍ من الإيضاح المراد ، بـ ﴿النَّفَّاثَاتِ فِي الْعُقَدِ﴾ [الفلق: ٤] ؟

ج : **قال ابن القيم رحمه الله « التفسير القيم »** :

الشر الثالث : شر النَّفاثات في العُقد .

وهذا الشر هو شر السِّحْر . فإن النفاثات في العُقد : هن السواحر اللاتي يعقدن الخيوط ، وينفثن على كل عقدة ، حتى ينعقد ما يردن من السحر . والنفث : هو النفخ من ريق : وهو دون التَّفْل . وهو مرتبة بينهما .

والنفث : فعل الساحر . فإذا تكيَّفت نفسه بالخبث والشر الذي يريده بالمسحور ، ويستعين عليه بالأرواح الخبيثة ، نفخ في تلك العقد نفخًا معه ريق ، فيخرج من نفسه الخبيثة نفَس ممازج للشر والأذى ، مقترن بالريق الممازج لذلك . وقد تَساعَد هو والروح الشيطانية على أذى المسحور . فيقع فيه السحر بإذن اللَّه الكوني القدري . لا الأمري الشرعي .

فإن قيل : فالسحر يكون من الذكور والإناث ، فلم خص الاستعاذة من الإناث دون الذكور ؟

قيل في جوابه : إن هذا خرج على السبب الواقع ، وهو أن بنات لبيد بن الأعصم سحرن النبي ﷺ .

هذا جواب أبي عبيدة وغيره ، وليس هذا بسديد . فإن الذي سحر النبي ﷺ هو لبيد بن الأعصم ، لا بناته ، كما جاء في «الصحيح» .

والجواب المحقق : أن النفاثات هنا : هن الأرواح والأنفس النفاثات لا النساء النفاثات : لأن تأثير السحر إنما هو من جهة الأنفس الخبيثة ، والأرواح الشريرة وسلطانه إنما يظهر منها . فلهذا ذكرت النفاثات هنا بلفظ التأنيث ، دون التذكير والله أعلم .

* * *

س ـ لماذا عرَّف بعض المستعاذ منه ونكَّر بعضه ؟

ج : **قال الرازي في «تفسيره»**: عرَّف النفاثات لأن كل نفاثة شريرة، ونكَّر غاسقًا لأنه ليس كل غاسقٍ شريرًا ، وأيضًا ليس كل حاسد شريرًا، بل رب حسد يكون محمودًا ، وهو الحسد في الخيرات .

* * *

س ـ هل ثبت أن النبي ﷺ سُحر ؟ اذكر بعض الاعتراضات التي اعترض بها على هذا وكيف ثم دفعها ؟

ج : نعم قد ثبت ذلك في «الصحيحين» وفي غيرهما ، وقد قدمنا

شيئًا من ذلك في تفسيرنا لسورة البقرة عند تفسير قوله تعالى : ﴿ يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ وَمَا أُنزِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ ... ﴾ [البقرة: ١٠٢] ، وهذا مزيدٌ من القول في هذا الباب .

قال ابن القيم رحمه اللَّه تعالى « التفسير القيم » :

ففي« الصحيح»[1] : عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة «أن النبي ﷺ طُبَّ ، حتى إنه ليُخيَّل إليه أنه صنع شيئًا وما صنعه ، وإنه دعا ربه. ثم قال: «**أشعرت أن اللَّه قد أفتاني فيما أستفتيه فيه ؟**» فقالت عائشة: وما ذاك يا رسول اللَّه ؟ قال : «**جاءني رجلان ، فجلس أحدهما عند رأسي، والآخر عند رجليّ فقال أحدهما لصاحبه : ما وَجَعُ الرجل ؟ قال الآخر: مطبوب . قال : من طَبَّه ؟ قال : لَبيد بن الأعصم . قال : فيماذا ؟ قال : في مِشْط ومِشاطة ، وجَفِّ طَلْعِ ذكر . قال : فأين هو ؟ قال : في ذَرْوان ، بئر في بني زُريق**» . قالت عائشة رضي اللَّه عنها : فأتاها رسول اللَّه ﷺ ، ثم رجع إلى عائشة فقال : «**واللَّه لكأن ماءها نُقاعة الحنَّاء ، ولكأن نخلَها رءوس الشياطين**» . قالت : فقلت له : يا رسول اللَّه ، هلاَّ أخرجته ؟ قال : «**أما أنا فقد شفاني اللَّه ، وكرهت أن أثير على الناس شرًّا ، فأمر بها ، فدُفنت**» قال البخاري : وقال الليث وابن عيينة عن هشام «في مِشْط ومِشاقة» .

ويقال : إن المشاطة : ما يخرج من الشعر إذا مُشِط ، والمشاقة: من مشاقة الكتان .

---

(١) أخرجه البخاري (مع الفتح ١٠/٢٣١) ومسلم (ص ١٧١٩) .

قلت : هكذا في هذه الرواية : أنه لم يخرجه ، اكتفاء بمعافاة اللَّه له ، وشفائه إياه .

وقد روى البخاري من حديث ابن عيينة قال : «أول من حدثنا به ابن جريج يقول : حدثني آل عروة عن عروة . فسألت هشامًا عنه ؟ فحدثنا عن أبيه عن عائشة : كان رسول اللَّه ﷺ سُحر ، حتى كان يرى أنه يأتي النساء ولا يأتيهن . قال سفيان : وهذا أشد ما يكون من السحر، إذا كان كذا ، فقال : «**يا عائشة ، أعلمت أن اللَّه قد أفتاني فيما استفتيته فيه ؟ أتاني رجلان ، فقعد أحدهما عند رأسي ، والآخر عند رجلي . فقال الذي عند رأسي للآخر : ما بال الرجل ؟ قال : مطبوب . قال : ومن طَبَّه ؟ قال : لبيد بن الأعصم ، رجلٌ من بني زريق حليف اليهود . وكان منافقًا. قال : وفيم ؟ قال في مشط ومشاقة . قال : وأين ؟ قال : في جَفِّ طَلْع ذكر ، تحت راعوفَة في بئرِ ذَروان**» . قال : فأتى البئرَ حتى استخرجه . فقال : «**هذه البئر التي أُريتها ، وكأنَّ ماءها نُقاعة الحناء ، وكأن نخلها رءوس الشياطين**» . قال : فاستخرج . قالت . فقلت : أفلا - أي تَنَشَّرت - ؟ قال : «**أمَّا اللَّه فقد شفاني ، وأكره أن أثير على أحد من الناس شرًّا**»[1] .

ففي هذا الحديث : أنه استخرجه . وترجم البخاري عليه : باب هل يُستخرج السحر . وقال قتادة[2]: قلت لسعيد بن المسيب : رجل به طَبٌّ ، ويؤخذَ عن امرأته أيُحَلّ عنه ويُنْشَر ؟ قال : لا بأس به ، إنما

---

(١) أخرجه البخاري (فتح ١٠/ ٢٣٢).

(٢) ذكره البخاري معلقًا (فتح ١٠/ ٢٣٢) وذكر الحافظ هناك من وصله .

يريدون به الإصلاح . فأما ما ينفع الناس فلم ينه عنه[١].

---

(١) أخرج أحمد (٣/ ٢٩٤) وأبو داود (حديث ٣٨٦٨) من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال : سئل رسول الله ﷺ عن النشرة فقال : «**هو من عمل الشيطان**» وسنده حسن .

قال الخطابي (النشرة) : ضرب من الرقية والعلاج يعالج به من كان يُظن به مس الجن ، وحسن الحافظ ابن حجر سند هذا الحديث وقال : قال ابن الجوزي : النشرة حل السحر عن المسحور ولا يكاد يقدر عليه إلا من يعرف السحر ، وقد سئل أحمد عمن يطلق السحر عن المسحور فقال : لا بأس به ، وهذا هو المعتمد ، ويجاب عن الحديث والأثر بأن قوله النشرة من عمل الشيطان إشارة إلى أصلها ويختلف الحكم بالقصد فمن قصد بها خيرًا كان خيرًا وإلا فهو شر .

ثم ذكر الحافظ ابن حجر رحمه الله ما يؤيد النشرة منها حديث جابر عند مسلم مرفوعًا : «**من استطاع أن ينفع أخاه فليفعل**» .

ثم ذكر رحمه الله أشياء يفعلها من حبس عن امرأته وهي أشياء لم ترد في سنة رسول الله ﷺ، ولكنها تدخل تحت باب من استطاع أن ينفع أخاه فليفعل .

قال رحمه الله(فتح ١٠/ ٢٢٣) : وذكر ابن بطال أن في كتب وهب بن منبه أن يأخذ سبع ورقات من سدر أخضر فيدقه بين حجرين ثم يضربه بالماء ويقرأ فيه آية الكرسي والقواقل ثم يحسو منه ثلاث حسوات ثم يغتسل به فإنه يذهب عنه كل ما به ، وهو جيد للرجل إذا حُبس عن أهله .

ثم ذكر عن حماد بن شاكر في ذلك أيضًا أن الرجل إذا لم يقدر على مجامعة أهله وأطاق ما سواها فإن المبتلى بذلك يأخذ حزمة قضبان وفأسًا ذا قطارين ويضعه في وسط تلك الحزمة ثم يؤجج نارًا في تلك الحزمة حتى إذا ما حمى الفأس استخرجه من النار ، وبال على حره فإنه يبرأ بإذن الله .

وأما النشرة فإنه يجمع في أيام الربيع ما قدر عليه من ورد المفارة وورد البساتين ثم يلقيها في إناء نظيف ويجعل فيها ماءً عذبًا ثم يغلي ذلك الورد في الماء غليًا يسيرًا ثم يمهل حتى إذا فتر الماء أفاضه عليه فإنه يبرأ بإذن الله .

قلت : وهـذه الأفعال كلها ليست واردة عن رسول الله ﷺ فمن جربها فنفعته فذلك الفضل من الله .

ونقل الحافظ ابن حجر رحمه الله (الفتح ١٠/ ٢٣٥) عن ابن القيم قوله : من أنفع الأدوية =

فهذان الحديثان قد يظن في الظاهر تعارضهما . فإن حديث عيسى عن هشام عن أبيه : الأول فيه : أنه لم يستخرجه . وحديث ابن جريج عن هشام فيه «أنه استخرجه» ولا تنافي بينهما . فإنه استخرجه من البئر حتى رآه وعلمه ، ثم دفنه بعد أن شفي . وقول عائشة : «هلا استخرجته ؟» أي هلا أخرجته للناس حتى يروه ويعاينوه ؟ فأخبرها بالمانع له من ذلك ، وهو أن المسلمين لم يكونوا ليسكتوا عن ذلك ، فيقع الإنكار ، ويغضب للساحر قومه ، فيحدث الشر . وقد حصل المقصود بالشفاء والمعافاة. فأمر بها فدُفنت ، ولم يستخرجها للناس . فالاستخراج الواقع غير الذي سألت عنه عائشة .

والذي يدل عليه : أنه ﷺ إنما جاء إلى البئر ليستخرجها منه . ولم يجئ لينظر إليها ثم ينصرف . إذ لا غرض له في ذلك . والله والله أعلم .

وهذا الحديث ثابت عند أهل العلم بالحديث ، متلقًّى بالقبول

= وأقوى ما يوجد من النشرة مقاومة السحر الذي هو من تأثيرات الأرواح الخبيثة بالأدوية الإلهية من الذكر والدعاء والقراءة فالقلب إذا كان ممتلئًا من الله معمورًا بذكره وله ورد من الذكر والدعاء والتوجه لا يخل به كان ذلك من أعظم الأسباب المانعة من إصابة السحر له .
قال : وسلطان تأثير السحر هو في القلوب الضعيفة ولهذا غالب ما يؤثر في النساء والصبيان والجهال لأن الأرواح الخبيثة إنما تنشط على أرواح تلقاها مستعدة لما يناسبها . انتهى ملخصًا.
قال الحافظ ابن حجر : ويعكر عليه حديث الباب وجواز السحر على النبي ﷺ مع عظيم مقامه وصدق توجهه وملازمة ورده .
ولكن يمكن الانفصال عن ذلك بأن الذي ذكره محمول على الغالب ، وأن ما وقع به ﷺ لبيان تجويز ذلك والله أعلم .

بينهم . لا يختلفون في صحته . وقد اعتاصَ على كثير من أهل الكلام وغيرهم ، وأنكروه أشد الإنكار . وقابلوه بالتكذيب ، وصنف بعضهم فيه مصنفًا مفردًا ، حمل فيه على هشام . وكان غاية ما أحسن القول فيه: أن قال : غلط ، واشتبه عليه الأمر ، ولم يكن من هذا شيء . قال : لأن النبي ﷺ لا يجوز أن يُسْحَر . فإنه يكون تصديقًا لقول الكفار : ﴿**إِن تَتَّبِعُونَ إِلاَّ رَجُلاً مَّسْحُوراً**﴾ [الفرقان: ٨] .

قالوا : وهذا كما قال فرعون لموسى : ﴿**إِنِّي لأَظُنُّكَ يَا مُوسَىٰ مَسْحُوراً**﴾ [الإسراء: ١٠١] ، وكما قال قوم صالح له : ﴿**إِنَّمَا أَنتَ مِنَ الْمُسَحَّرِينَ**﴾ [الشعراء: ١٥٣] ، وكما قال قوم شعيب له : ﴿**إِنَّمَا أَنتَ مِنَ الْمُسَحَّرِينَ**﴾ [الشعراء: ١٨٥] .

قالوا : فالأنبياء لا يجوز عليهم أن يسحروا . فإن ذلك ينافي حماية اللَّه لهم ، وعصمتهم من الشياطين .

وهذا الذي قاله هؤلاء مردود عند أهل العلم . فإن هشامًا من أوثق الناس وأعلمهم ، ولم يقدح فيه أحد من الأئمة بما يوجب رد حديثه . فما للمتكلمين وما لهذا الشأن ؟ وقد رواه غير هشام عن عائشة . وقد اتفق أصحاب «الصحيحين» على تصحيح هذا الحديث ، ولم يتكلم فيه أحد من أهل الحديث بكلمة واحدة . والقصة مشهورة عن أهل التفسير والسنن والحديث والتاريخ والفقهاء . وهؤلاء أعلم بأحوال رسول اللَّه وأيامه من المتسكلمين[1] .

---

(١) صوابه: المتكلمين .

قال أبو بكر بن أبي شيبة : حدثنا أبو معاوية عن الأعمش عن يزيد ابن حباب[١] عن زيد بن أرقم قال : سحر النبيَّ ﷺ رجل من اليهود، فاشتكى لذلك أيامًا . قال : فأتاه جبريل ، فقال : إن رجلاً من اليهود سحرك ، وعقدَ لذلك عقدًا . فأرسل رسول اللَّه ﷺ عليًّا . فاستخرجها . فجاء بها ، فجعل كُلَّما حلَّ عقدة وجد لذلك خِفَّة . فقام رسول اللَّه ﷺ كأنما نَشِط من عقال . فما ذكر ذلك لليهودي ، ولا رآه في وجهه قط[٢] . وقال ابن عباس وعائشة : كان غلام من اليهود يخدم رسول اللَّه ﷺ . فدنت إليه اليهود . فلم يزالوا حتى أخذ مِشاطة رأس النبي ﷺ ، وعِدَّة أسنان من مشطه . فأعطاها اليهود ، فسحروه فيها ، وتولَّى ذلك لبيدُ بن الأعصم : رجلٌ من اليهود . فنزلت هاتان السورتان فيه[٣] .

قال البغوي : وقيل : كانت مغروزة بالإبر . فأنزل اللَّه عز وجل هاتين السورتين . وهما أحد عشر آية : سورة الفلق خمس آيات ، وسورة الناس ست آيات فكلما قرأ آية انحلت عقدة ، حتى انحلت القد

---

(١) صوابه : حيان .

(٢) صحيح ، وأخرجه النسائي رقم (٤٠٨٠) .

(٣) ذكره الحافظ ابن كثير رحمه اللَّه في «تفسيره» وعزاه إلى تفسير الثعلبي بدون ذكر إسناد ، وذكره مطولاً وقال في آخره هكذا أورده بلا إسناد فيه غرابة وفي بعضه نكارة شديدة ولبعضه شواهد مما تقدم واللَّه أعلم .

قلت : ولم أقف في شيء من الطرق الصحيحة على أن سحر النبي ﷺ كان سببًا لنزول المعوذتين واللَّه أعلم .

كلها . فقام النبي ﷺ كأنما أنشط من عقال[١]، قال : وروي أنه لبث فيه ستة أشهر[٢]، واشتد عليه ثلاثة أيام فنزلت المعوذتان[٣].

قالوا : والسحر الذي أصابه كان مرضًا من الأمراض عارضًا شفاه اللَّه منه . ولا نقص في ذلك ، ولا عيب بوجه ما . فإن المرض يجوز على الأنبياء. وكذلك الإغماء . فقد أغمي عليه ﷺ في مرضه[٤]،

---

(١)قال الحافظ في «الفتح» (١٠/ ٢٢٥) : وقد وقع في حديث ابن عباس فيما أخرجه البيهقي في «الدلائل» بسند ضعيف في آخر قصة السحر الذي سحر به النبي ﷺ أنهم وجدوا فيه إحدى عشرة عقدة ، وأنزلت سورة الفلق والناس وجعل كلما قرأ آية انحلت عقدة .
وأخرج ابن سعد بسند آخر منقطع عن ابن عباس أن عليًّا وعمارًا لما بعثهما النبي ﷺ لاستخراج السحر وجدا طلعة فيها إحدى عشرة عقدة .. فذكر نحوه .

(٢)أخرج أحمد بإسناد صحيح (٦/ ٦٣) عن عائشة رضي اللَّه عنهما قالت : لبث رسول اللَّه ﷺ ستة أشهر يرى أنه يأتي ولا يأتي فأتاه ملكان . . . الحديث .
قال الحافظ في «الفتح» (١٠/ ٢٢٦) . . ووقع في رواية أبي ضمرة عند الإسماعيلي «فأقام أربعين ليلة» وفي رواية وهيب عن هشام عند أحمد «ستة أشهر» . ويمكن الجمع بأن تكون الستة أشهر من ابتداء تغير مزاجه والأربعين يومًا من استحكامه .
تعليق على حديث السحر : قال الحافظ في «الفتح» (١٠/ ٢٢٦) : قال المازري : أنكر بعض المبتدعة هذا الحديث وزعموا أنه يحط منصب النبوة ويشكك فيها قالوا : وكل ما أدى إلى ذلك فهو باطل ، وزعموا أن تجويز هذا يعدم الثقة بما شرعوه من الشرائع إذ يحتمل على هذا أن يخيل إليه أنه يرى جبريل وليس هو ثم وأنه يوحى إليه بشيء ولم يوح إليه بشيء .
قال المازري : وهذا كله مردود لأن الدليل قد قام على صدق النبي ﷺ فيما بلغه عن اللَّه تعالى وعلى عصمته في التبليغ والمعجزات شاهدات بتصديقه فتجويز ما قام الدليل على خلافه باطل.
وأما ما يتعلق ببعض أمور الدنيا التي لم يبعث لأجلها ولا كانت الرسالة من أجلها فهو في ذلك عرضة لما يعترض البشر كالأمراض . . . إلى آخر ما ذكره فليراجعه من شاء .

(٣)سبق أن نبهنا على أن سحر النبي ﷺ لم يكن سببًا لنزول المعوذتين .

(٤)أخرج البخاري في قصة وفاة النبي ﷺ من حديث عائشة رضي اللَّه عنها (فتح ٨/ ١٣٦) =

ووقع حين انكفَّت قدمه وجُحِش شقَّه[١]، وهذا من البلاء الذي يزيده اللَّه به رفعة في درجاته ، ونيل كرامته . وأشد الناس بلاء الأنبياء[٢]. فابتلوا من أممهم بما ابتلوا به : من القتل ، والضرب ، والشتم ، والحبس . فليس ببدْع أن يُبتلَى النبي ﷺ من بعض أعدائه بنوع من السحر ، كما ابتلي بالذي رماه فشجَّه[٣]. وابتلي بالذي ألقى على ظهره السَّلا وهو ساجد[٤]، وغير ذلك . فلا نقص عليهم . ولا عار في ذلك ، بل هذا من كمالهم ، وعلو درجاتهم عند اللَّه .

قالوا: وقد ثبت في «الصحيح» عن أبي سعيد الخدري: أن جبريل

= ومسلم (١٨٩٤) وفيه : فلما اشتكى وحضره القبض ورأسه على فخذ عائشة رضي اللَّه عنها غشي عليه . . الحديث .

(١) أخرج البخاري (فتح ١/ ١٧٣) ومسلم (ص ٣٠٨) من حديث أنس بن مالك رضي اللَّه عنه أن رسول اللَّه ﷺ ركب فرسًا فصرع عنه فجحش شقه الأيمن . . . الحديث» .

(٢) إسناده حسن وأخرجه الترمذي رقم (٢٣٩٨) وقال : هذا حديث حسن صحيح قلت : وله شواهد كثيرة يرتقي بها إلى الصحة انظر : «الفتح» (١٠/ ١١١) .

(٣) أخرج البخاري من حديث ابن عباس رضي اللَّه عنه « **اشتد غضب اللَّه على قوم دمّوا وجه نبي اللَّه ﷺ**» «فتح» (٧/ ٣٧٢) .

وأخرجه مسلم من حديث أبي هريرة مرفوعًا (ص ١٤١٧) .

وأخرجه مسلم من حديث أنس رضي اللَّه عنه أن رسول اللَّه كسرت رباعيته يوم أحد وشج رأسه فجعل يسلت الدم عن وجهه ويقول : «**كيف يفلح قوم شجوا نبيهم وكسروا رباعيته وهو يدعوهم إلى اللَّه عز وجل**» فأنزل اللَّه عز وجل : ﴿**ليس لك من الأمر شيء**﴾ مسلم (ص ١٤١٧) .

(٤) أخرج البخاري (فتح ١٠/ ٣٤٩) ومسلم (١٤١٨) الحديث وفيه : أن المشركين قال بعضهم لبعض : أيكم يجيء بسلا جزور بني فلان فيضعه على ظهر محمد إذا سجد فانبعث أشقى القوم فجاء به فنظر حتى إذا سجد النبي ﷺ وضعه على ظهره بين كتفيه .

أتى النبي ﷺ فقال : « يا محمد اشتكيت ؟ فقال : نعم . فقال : باسم الله أرقيك ، من كل شيء يؤذيك ، من شر كل نفس ، أو عين حاسد ، الله يشفيك، بسم الله أرقيك»[1] فعوَّذه جبريل من شر كل نفس وعين حاسد، لما اشتكى . فدل على أن هذا التعويذ مزيل لشكايته ﷺ ، وإلا فلا يعوذه من شيء وشكايته من غيره .

وقالوا : وأما الآيات التي استدللتم بها فلا حجة لكم فيها .

أما قوله تعالى عن الكفار : إنهم قالوا : ﴿إِن تَتَّبِعُونَ إِلاَّ رَجُلاً مَّسْحُوراً﴾ [الفرقان: ٨] وقول قوم صالح وشعيب لهما : ﴿إِنَّمَا أَنتَ مِنَ الْمُسَحَّرِينَ﴾ [الشعراء: ١٥٣] فقيل : المراد به من له سَحْر ، وهي الرِّئة ، أي إنه بشر مثلهم ، يأكل ويشرب ، ليس بملك ، وليس المراد به السحر .

وهذا جواب غير مرضٍ . وهو في غاية البعد . فإن الكفار لم يكونوا يعبرون عن البشر بمسحور ، ولا يعرف هذا في لغة من اللغات. وحيث أرادوا هذا المعنى أتوا بصريح لفظ البشر ، فقالوا : ﴿مَا أَنتُمْ إِلاَّ بَشَرٌ مِّثْلُنَا﴾ [يس: ١٥] و ﴿أَنُؤْمِنُ لِبَشَرَيْنِ مِثْلِنَا﴾ [المؤمنون: ٤٧] ﴿أَبَعَثَ اللَّهُ بَشَراً رَّسُولاً﴾ [الإسراء: ٩٤] . وأما المسحور فلم يريدوا به ذا السَّحْر ، وهي الرئة . وأيُّ مناسبة لذكر الرئة في هذا الموضع ؟

ثم كيف يقول فرعون لموسى : ﴿إِنِّي لأَظُنُّكَ يَا مُوسَى مَسْحُوراً﴾

---

(١) أخرجه مسلم (١٤/ ١٧٠) وله شاهد من حديث عائشة (١٤/ ١٦٨) .

[الإسراء: ١٠١] أفتراه ما علم أن له سَحْرا ، وأنه بشر ؟

ثم كيف يجيبه موسىٰ بقوله : ﴿وَإِنِّي لَأَظُنُّكَ يَا فِرْعَوْنُ مَثْبُوراً﴾ [الإسراء: ١٠٢] ولو أراد بالمسحور : أنه بشر لصدَّقه موسىٰ ، وقال : نعم ، أنا بشر أرسلني اللَّه إليك ، كما قالت الرسل لقومهم لما قالوا لهم : ﴿إِنْ أَنتُمْ إِلاَّ بَشَرٌ مِّثْلُنَا﴾ [إبراهيم: ١٠] فقالوا : ﴿إِن نَّحْنُ إِلاَّ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ﴾ [إبراهيم: ١١] ولم ينكروا ذلك .

فهذا الجواب في غاية الضعف .

وأجابت طائفة ، منهم ابن جرير وغيره : بأن المسحور هنا هو معلَّم السحر الذي قد علمه إياه غيره . فالمسحور عنده : بمعنىٰ ساحر، أي عالم بالسحر .

وهذا جيدٌ إن ساعدت عليه اللغة . وهو أن من عُلِّم السحر يقال له مسحور . ولا يكاد هذا يعرف في الاستعمال ، ولا في اللغة . وإنما المسحور من سَحَرَه غيره ، كالمطبوب والمضروب والمقتول وبابه . وأما من عُلِّم السحر فإنه يقال له : ساحر ، بمعنىٰ أنه عالم بالسحر ، وإن لم يسحر غيره . كما قال قوم فرعون لموسىٰ : ﴿إِنَّ هَذَا لَسَاحِرٌ عَلِيمٌ﴾ [الأعراف: ١٠٩] ففرعون قذفه بكونه مسحوراً ، وقومه قذفوه بكونه ساحراً .

فالصواب : هو الجواب الثالث. وهو جواب صاحب «الكشاف» وغيره : أن «المسحور» علىٰ بابه . وهو من سُحر حتىٰ جُنَّ . مسحور، مثل مجنون أي زائل العقل ، لا يعقل ما يقول . فإن

المسحور الذي لا يُتَّبع : هو الذي فسد عقله ، بحيث لا يدري ما يقول. فهو كالمجنون . ولهذا قالوا فيه : ﴿مُعَلَّمٌ مَّجْنُونٌ﴾ [الدخان: ١٤] فأما من أصيب في بدنه بمرض من الأمراض يصاب به الناس ، فإنه لا يمنع ذلك من اتِّباعه . وأعداء الرسل لم يقذفوهم بأمراض الأبدان ، وإنما قذفوهم بما يُحذِّرون به سفهاءهم من اتباعهم. وهو أنهم قد سُحروا ، حتى صاروا لا يعلمون ما يقولون ، بمنزلة المجانين . ولهذا قال تعالى : ﴿انظُرْ كَيْفَ ضَرَبُوا لَكَ الأَمْثَالَ فَضَلُّوا فَلا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلاً﴾ [الفرقان: ٩] مثَّلوك بالشاعر مرة ، والساحر أخرى ، والمجنون مرة ، والمسحور أخرى . فضلوا في جميع ذلك ضلال مَنْ يطلب في تِيهه وتحيُّره طريقًا يسلكه ، فلا يقدر عليه . فإنه أيَّ طريق أخذها فهي طريق ضلال وحيرة . فهو متحير في أمره ، لا يهتدي سبيلاً ، ولا يقدر على سلوكها . فهكذا حال أعداء رسول اللَّه ﷺ معه ، حتى ضربوا له أمثالاً ، بَرَّأه اللَّه منها . وهو أبعد اللَّه عنها[1]. وقد علم كل عاقل أنها كذب وافتراء وبهتان .

وأما قولكم : إن سحر الأنبياء ينافي حماية اللَّه لهم فإنه سبحانه كما يحميهم ويصونهم ويحفظهم ويتولاهم ، فيبتليهم بما شاء من أذى الكفار لهم ليستوجبوا كمال كرامته ، وليتسلى بهم من بعدهم من أممهم وخلفائهم إذا أوذوا من الناس ، فرأوا ما جرى على الرسل والأنبياء صبروا ورضوا ، وتأسّوا بهم ، ولتمتلئ صاع الكفار فيستوجبون ما أُعدَّ

---

(١) الذي يظهر «وهو أبعد واللَّه عنها» .

لهم من النكمال[1] العاجل ، والعقوبة الآجلة ، فيمحقهم بسبب بغيهم وعدوانهم ، فيعجل تطهير الأرض منهم . فهذا من بعض حكمته تعالى في ابتلاء أنبيائه ورسله بإيذاء قومهم . وله الحكمة البالغة ، والنعمة السابغة لا إله غيره ، ولا رب سواه .

وقد دل قوله : ﴿وَمِن شَرِّ النَّفَّاثَاتِ فِي الْعُقَدِ﴾ [الفلق: ٤] وحديث عائشة المذكور على تأثير السحر ، وأن له حقيقة .

وقد أنكر ذلك طائفة من أهل الكلام من المعتزلة وغيرهم .

فصل

وقالوا : إنه لا تأثير للسحر البتة لا في مرض ، ولا قتل ، ولا حَلٍّ ، ولا عقد .

قالوا: وإنما ذلك تخييل لأعين الناظرين، لا حقيقة له سوى ذلك.

وهذا خلاف ما تواترت به الآثار عن الصحابة والسلف ، واتفق عليه الفقهاء ، وأهل التفسير والحديث . وما يعرفه عامة العقلاء .

والسحر الذي يُوثر مرضًا وثقلاً وعَقْدًا وحُبًّا وبغضًا ونزيفًا وغير ذلك من الآثار موجود ، تعرفه عامة الناس . وكثير منهم قد علمه ذوقًا بما أصيب به منه، وقوله تعالى: ﴿وَمِن شَرِّ النَّفَّاثَاتِ فِي الْعُقَدِ﴾ [الفلق: ٤] دليل على أن هذا النفث يضر المسحور في حال غيبته عنه ، ولو كان الضرر لا يحصل إلا بمباشرة البدن ظاهرًا ، كما يقوله هؤلاء . لم يكن

---

(١) صوابه النكال .

للنفث ولا للنفاثات شر يستعاذ منه .

وأيضًا فإذا جاز على الساحر أن يسحر جميع أعين الناظرين مع كثرتهم حتى يروا الشيء بخلاف ما هو به ، مع أن هذا تغيير في إحساسهم ، فما الذي يحيل تأثيره في تغيير بعض أعراضهم وقواهم وطباعهم ؟ وما الفرق بين التغيير الواقع في الرؤية والتغيير الواقع في صفة أخرى من صفات النفس والبدن ؟ فإذا غير إحساسه حتى صار يرى الساكن متحركًا ، والمتصل منفصلاً ، والميت حيًّا . فما المحيل لأن يغير صفات نفسه، حتى يجعل المحبوب إليه بغيضًا، والبغيض محبوبًا، وغير ذلك من التأثيرات . وقد قال تعالى عن سَحَرَة فرعون إنهم : ﴿سَحَرُوا أَعْيُنَ النَّاسِ وَاسْتَرْهَبُوهُمْ وَجَاءُوا بِسِحْرٍ عَظِيمٍ﴾ [الأعراف: ١١٦] فبين سبحانه أن أعينهم سحرت . وذلك إما أن يكون لتغيير حصل في المرئي ، وهو الحبال والعِصِيّ ، مثل أن يكون السحرة استغاثت بأرواح حركتها ، وهي الشياطين . فظنوا أنها تحركت بأنفسها. وهذا كما إذا جَرَّ من لا تراه حصيرًا أو بساطًا فترى الحصير والبساط ينجر ، ولا ترى الجار له ، مع أنه هو الذي يجره ، فهكذا حال الحبال والعصي التبستها الشياطين ، فقلبتها كتقليب الحية . فظن الرائي أنها تقلبت بأنفسها ، والشياطين هم الذين يقلبونها . وإما أن يكون التغيير حدث في الرائي. حتى رأى الحبال والعصي تتحرك، وهي ساكنة في أنفسها . ولا ريب أن الساحر يفعل هذا وهذا ، فتارة يتصرف في نفس الرائي وإحساسه ، حتى يرى الشيء بخلاف ما هو به، وتارة يتصرف في المرئي باستغاثته بالأرواح الشيطانية حتى يتصرف فيها .

وأما ما يقوله المنكرون : من أنهم فعلوا في الحبال والعصي ما أوجب حركتها ومشيها ، مثل الزئبق وغيره ، حتى سَعَتْ فهذا باطل من وجوه كثيرة . فإنه لو كان كذلك لم يكن هذا خيالاً ، بل حركة حقيقية . ولم يكن ذلك سحرًا لأعين الناس ، ولا يسمى ذلك سحرًا، بل صناعة من الصناعات المشتركة . وقد قال تعالى : ﴿فَإِذَا حِبَالُهُمْ وَعِصِيُّهُمْ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِن سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَىٰ﴾ [طه: ٦٦] ولو كانت تحركت بنوع حيلة ـ كما يقوله المنكرون ـ لم يكن هذا من السحر في شيء . ومثل هذا لا يخفى .

وأيضًا لو كان ذلك بحيلة ـ كما قال هؤلاء ـ لكان طريق إبطالها إخراج ما فيها من الزيبق . وبيان ذلك المحال ولم يحتج إلى إلقاء العصا لابتلاعها .

وأيضًا : فمثل هذه الحيلة لا يحتاج فيها إلى الاستعانة بالسحرة ، بل يكفي فيها حذاق الصُّنَّاع . ولا يحتاج في ذلك إلى تعظيم فرعون للسحرة ، وخضوعه لهم ، ووعدهم بالتقريب والجزاء .

وأيضًا : فإنه لا يقال في ذلك ﴿إِنَّهُ لَكَبِيرُكُمُ الَّذِي عَلَّمَكُمُ السِّحْرَ﴾ [طه: ٧١] فإن الصناعات يشترك الناس في تعلمها وتعليمها .

وبالجملة : فبطلان هذا أظهر من أن يتكلف رده ، فلنرجع إلى المقصود .

* * *

س ـ ما معنى الحسد ؟

ج - الحسد هو تمني زوال النعمة عن صاحبها [١] .

* * *

س ـ هل هناك من الحسد ما هو مباح ؟

ج : نعم هناك من الحسد ما هو مباح ، وهو الذي يسميه العلماء الغبطة وهو أن تتمنى لنفسك مثل النعمة التي أنعم اللَّه بها على غيرك من غير زوالها عن صاحبها ، فإذا كانت في أمور الدنيا كانت مباحة وإن كانت في أمور الطاعات فهي مستحبة ، ومن ذلك ما أخرجه البخاري[٢] من حديث أبي هريرة رضي اللَّه عنه أن رسول اللَّه ﷺ قال : **«لا حَسَد إلا في اثنتين : رجلٍ علَّمه اللَّه القرآن فهوَ يتْلوهُ آناءَ الليلِ وآناءَ النّهار فسمعه جارٌ لـه فقال : ليتني أُتيت مثلما أُوتِيَ فلانٌ فَعَمِلْتُ مِثْلَ مـا يعمل ، ورجلٍ آتاه اللَّه مالاً فهو يُهلكه في الحق ، فقال رجلٌ ليتني أُوتيت مثل ما أوتي فلانٌ، فعمِلْتُ مثل ما يَعْمل»** .

ومـا أخرجه البخاري ومسلم [٣] من حديث عبد اللَّه بن عمرو رضي اللَّه عنهما قال : سمعت رسول اللَّه ﷺ يقول : **«لا حَسَدَ إلا على اثْنَتين : رجلٌ آتاه اللَّه الكتابَ وقامَ به آناءَ الليل ، ورجلٌ أَعْطَاه اللَّه مالاً فهو**

(١) وقد سبق لنا إيراد مزيد من الأقوال في تعريف الحسد وما يتعلق به في كتابنا «التسهيل» تفسير سورة البقرة (٢/ ١٩٩ ـ ٢٠٠ فما بعدها) فراجعه إن شئت .

(٢) أخرجه البخاري (حديث ٥٠٢٦) .

(٣) البخاري حديث (٥٠٢٥) ومسلم (حديث ٨١٥) .

يَتَصَدَّقُ به آناءِ الليلِ وآناءَ النهار» .

وما أخرجه البخاري ومسلم [١] من حديث عبد اللَّه بن مسعود رضي اللَّه عنه قال : قال النبي ﷺ : **«لا حسد [٢] إلا في اثنتين : رجل آتاه اللَّه مالاً فسلَّط [٣] على هلكته في الحق [٤] ورجل آتاه اللَّه الحكمة فهو يقضي بها ويُعلِّمها»** .

* * *

(١) أخرجه البخاري (حديث ٧٣) ومسلم (حديث ٨١٦) .

(٢) قوله : **«لا حسد»** أي : لا حسد محمود إلا في خصلتين ، قاله الحافظ ابن حجر رحمه اللَّه ، وقال النووي رحمه اللَّه (٢/ ٤٦٤) : والمراد بالحديث لا غبطة محبوبة إلا في هاتين الخصلتين وما في معناهما .

(٣) قال الحافظ ابن حجر رحمه اللَّه (فتح الباري ١/ ١٦٧) : وعبَّر بالتسليط لدلالته على قهر النفس المجبولة على الشح .

(٤) أي : إنفاقه في الطاعات قاله النووي رحمه اللَّه .

قلت (مصطفى) : وفي هذا الحديث ما يدل على جواز التصدق بالمال كله وإنفاقه في وجوه الطاعاتُ ، وقد ورد أيضًا ـ مما يؤيد ذلك ـ مجيء أبي بكر بماله كله إلى رسول اللَّه ﷺ وقول النبي ﷺ : **«ما أبقيت لأهلك يا أبا بكر ؟»** قال : أبقيت لهم اللَّه ورسوله ، وهو حديث صحيح تقدم تخريجه ، وأيضًا قال تعالى : ﴿**وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يُنفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ**﴾ [التوبة: ٣٤] فهذا وغيره يشعر بجواز التصدق بالمال كله ، لكن كيف يلتئم هذا مع قول رسول اللَّه ﷺ لسعد ـ لما سأله يا رسول اللَّه أوصي بمالي كله ؟ قال : **«لا»** قلت : فالشطر ؟ قال : **«لا»** قلت : الثلث ؟ قال : **«فالثلث والثلث كثير إنك إن تدع ورثتك أغنياء خير من أن تدعهم عالة يتكففون الناس في أيديهم»** .
فوجه الجمع بين هذا وذاك ـ واللَّه أعلم ـ أن الإنفاق إنما يختلف باختلاف أحوال الناس ، فإذا كان المسلمون حيث يحتاج إلى إنفاق كل المال أُنفق كله ، وإن كان الورثة سيتكففون الناس فحينئذ يتنزل حديث سعد رضي اللَّه عنه .

=

. . . .

= وإما أن يقال إن إبقاء الثلثين للورثة وإنفاق الثلث كل هذا تسليط على الإنفاق في الحق فللورثة حق أيضًا والله تعالى أعلم .

(١) **قيل في الحكمة جملة أقوال منها :**

١) القرآن وذلك لما ورد في روايات الأحاديث الأخرى . . **«ورجل آتاه الله الكتاب»** .

٢) السّنة .

٣) القرآن والسنة معًا والفقه في الدين ومعرفة الناسخ والمنسوخ والمحكم والمتشابه .

٤) السداد في القول والفعل .

٥) مواعظ القرآن لقوله تعالى : ﴿ **... وَمَا أَنزَلَ عَلَيْكُم مِّنَ الْكِتَابِ وَالْحِكْمَةِ يَعِظُكُم بِهِ** ﴾ [البقرة: ٢٣١] .

٦) الفهم والعلم لقول الله تعالى : ﴿ **وَآتَيْنَاهُ الْحُكْمَ صَبِيًّا** ﴾ [مريم: ١٢] . ولقول النبي ﷺ لابن عباس : **«اللهم فقهه في الدين وعلمه التأويل»** وفي رواية : **«اللهم علمه الحكمة»** .

٧) النبوة لقول الله تعالى : ﴿ **فَقَدْ آتَيْنَا آلَ إِبْرَاهِيمَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ** ﴾ [النساء: ٥٤] .

٨) وقيل : كل ما يمنع من القبيح ، ومنه قول الشاعر :

أبني حنيفة أحكموا سفهاءكم .·. إني أخاف عليكمو أن أغضبا

٩) وقيل : الحكمة كل ما منع من الجهل وزجر عن القبيح .

● **قال الحافظ ابن حجر رحمه الله (فتح الباري ١/ ١٦٧) :**

وأما الحسد المذكور في الحديث فهو الغبطة ، وأطلق الحسد عليها مجازًا ، وهي أن يتمنى أن يكون له مثل ما لغيره من غير أن يزول عنه ، والحرص على هذا يسمى منافسة فإن كان في الطاعة فهو محمود ، ومنه ﴿ **فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ** ﴾ [المطففين: ٢٦] وإن كان في المعصية فهو مذموم ، ومنه **«ولا تنافسوا»** وإن كان في الجائزات فهو مباح ، فكأنه قال في الحديث : لا غبطة أعظم ـ أو أفضل ـ من الغبطة في هذين الأمرين . ووجه الحصر : أن الطاعات إما بدنية أو مالية أو كائنة عنهما ، وقد أشار إلى البدنية بإتيان الحكمة والقضاء بها وتعليمها ، ولفظ حديث ابن عمر **«رجل آتاه الله القرآن فهو يقوم به آناء الليل وآناء النهار»** والمراد بالقيام به العمل به مطلقًا أعم من تلاوته داخل الصلاة أو خارجها ، ومن تعليمه ، والحكم والفتوى بمقتضاه فلا تخالف بين لفظي الحديثين ، ولأحمد من حديث يزيد بن الأخنس السلمي : =

وسائل دفع الحسد :

س ـ ما هي وسائل دفع الحسد عن المحسود ؟

ج : **من وسائل دفع الحسد عن المحسود ما يلي :**

أولاً : التوكل على اللَّه وقول : ﴿حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ﴾ .

فقد قال اللَّه سبحانه وتعالى : **﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ﴾** [الطلاق: ٣] .

قال ابن القيم رحمه اللَّه « التفسير القيم » :

والتوكل من أقوى الأسباب التي يدفع بها العبد ما لا يطيق من أذى الخلق وظلمهم وعدوانهم ، وهو من أقوى الأسباب في ذلك فإن اللَّه حسبه أي كافيه ، ومن كان اللَّه كافيه وواقيه فلا مطمع فيه لعدوه ولا

= «رجل آتاه القرآن فهو يقوم به آناء الليل وآناء النهار ويتبع ما فيه» . ويجوز حمل الحسد في الحديث على حقيقته على أن الاستثناء منقطع ، والتقدير نفي الحسد مطلقًا لكن هاتان الخصلتان محمودتان ولا حسد فيهما فلا حسد أصلاً .

● **وقال النووي رحمه اللَّه** : المراد بالحديث لا غبطة محبوبة إلا في هاتين الخصلتين وما في معناهما .

● وفي «اللسان» (ص ٨٦٨): وسئل أحمد بن يحيى عن معنى هذا الحديث فقال : معناه: لا حسد لا يضر إلا في اثنتين .

● **قال القرطبي رحمه اللَّه (٤/ ٧٠)** : وهذا الحسد (يعني الوارد في حديث : لا حسد إلا في اثنتين . . .) معناه الغبطة وكذلك ترجم عليه البخاري باب «الاغتباط في العلم والحكمة» وحقيقتها أن تتمنى أن يكون لك ما لأخيك المسلم من الخير والنعمة ولا يزول عنه خيره وقد يجوز أن يسمى هذا منافسة ومنه قوله تعالى : **﴿ وَفِي ذَلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ ﴾** [المطففين: ٢٦] .

يضره إلا أذى لابد منه كالحر والبرد والجوع والعطش ، وأما أن يضره بما يبلغ منه مراده فلا يكون أبدًا .

وفرق بين الأذى الذي هو في الظاهر إيذاء له وهو في الحقيقة إحسان إليه وإضرار بنفسه وبين الضرر الذي يتشفى به منه ، قال بعض السلف : جعل الله لكل عمل جزاءً من جنسه ، وجعل جزاء التوكل عليه نفس كفايته لعبده فقال : ﴿ **وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ** ﴾ [الطلاق: ٣] ولم يقل نؤته كذا وكذا من الأجر كما قال في الأعمال ، بل جعل نفسه سبحانه كافي عبده المتوكل عليه وحسبه وواقيه فلو توكل العبد على الله حق توكله وكادته السموات والأرض ومن فيهن لجعل له ربه مخرجًا من ذلك وكفاه ونصره .

وفي «صحيح البخاري»(١) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما قال : ﴿**حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ**﴾ قالها إبراهيم عليه السلام حين ألقي في النار ، وقالها محمد ﷺ حين قالوا : ﴿**إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ**﴾ [آل عمران: ١٧٣] فحسبنا الله ونعم الوكيل تكفي من كل شيء سواء من أذى ظاهر أو من عدوٍّ خفي أو من شر حاسدٍ أو إضلال شيطان أو غير ذلك .

ثانيًا :تقوى الله سبحانه وتعالى :

● قال الله سبحانه وتعالى : ﴿ **وَإِن تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا لا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ** ﴾ [آل عمران: ١٢٠] .

---

(١) تقدم تخريجه .

فالصبر وتقوىٰ اللَّه سبحانه وتعالىٰ يدفعان كيد الكائدين ومكر الماكرين ، وقد قال رسول اللَّه ﷺ لعبد اللَّه بن عباس رضي اللَّه عنهما : «**احفظ اللَّه يحفظك احفظ اللَّه تجده تجاهك ..**»[١] .

وكما قال ابن القيم رحمه اللَّه : فمن حفظ اللَّه حفظه اللَّه ووجده أمامه أينما توجه ومن كان اللَّه حافظه وأمامه فمن يخاف ومن يحذر ؟!!

● فإذا نزلت بالمؤمن مصيبة وحل به بلاء من اللَّه سبحانه وتعالىٰ وصبر واتقىٰ ابتغاء وجه اللَّه زالت شماتة الحاسد وازداد الحاسد حسرات وتمزقت نفسه وذهبت سدًى لما يراه من تجلد المؤمن وصبره .

ثالثًا :التعوذ باللَّه من شرِّ هذا الحاسد وكل حاسدٍ :

وذلك بقراءة المعوذات ففي سنن الترمذي والنسائي من حديث معاذ بن عبد اللَّه بن خبيب عن أبيه قال : خرجنا في ليلة مطيرة وظلمة شديدة نطلب رسول اللَّه ﷺ يُصلي لنا قال فأدركته فقال : «**قل**» . فلم أقل شيئًا ثم قال : «**قل**» فلم أقل شيئًا قال : «**قل**» فقلت : ما أقول قال : «**قل هو اللَّه أحد والمعوذتين حين تمسي وتصبح ثلاث مرات تكفيك من كل شيء**»[٢] .

فما أعظم من التحصن بكتاب اللَّه وسنة مصطفاه ، واللجوء إلىٰ اللَّه رب العالمين لدفع شر هذا الحاسد اللعين .

---

(١) صحيح ، وقد تقدم .

(٢) صحيح ، وقد تقدم .

قال ابن القيم رحمه اللَّه ـ في تفسير سورة الفلق ـ :

فهذه السورة من أكبر أدوية الحسد فإنها تتضمن التوكل على اللَّه والالتجاء إليه والاستعاذة به من شر حاسد النعمة ، فهو مستعيذ بولي النعم ومُوليها كأنه يقول يا من أولاني نعمته وأسداها إليَّ أنا عائذ بك من شر من يريد أن يستلبها مني ويزيلها عني ، وهو حسب من توكل عليه وكافي من لجأ إليه وهو الذي يؤمن خوف الخائف ويجير المستجير ، وهو نعم المولى ونعم النصير فمن تولاه واستنصر به وتوكل عليه وانقطع بكلِّيته إليه تولاه وحفظه وحرسه وصانه، ومن خافه واتقاه أمنه مما يخاف ويحذر ، وجلب إليه كل ما يحتاج إليه من المنافع ﴿ وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجًا ﴿٢﴾ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لا يَحْتَسِبُ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ إِنَّ اللَّهَ بَالِغُ أَمْرِهِ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا ﴾ [الطلاق: ٢، ٣] فلا تستبطئ نصره ورزقه وعافيته فإن اللَّه بالغ أمره ، وقد جعل اللَّه لكل شيء قدرًا لا يتقدم عنه ولا يتأخر ومن لم يخفه أخافه من كل شيء ، وما خاف أحد غير اللَّه إلا لنقص خوفه من اللَّه ، قال تعالى : ﴿ فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ﴿٩٨﴾ إِنَّهُ لَيْسَ لَهُ سُلْطَانٌ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٩٩﴾ إِنَّمَا سُلْطَانُهُ عَلَى الَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُ وَالَّذِينَ هُم بِهِ مُشْرِكُونَ ﴾ [النحل: ٩٨ - ١٠٠] وقال : ﴿ إِنَّمَا ذَٰلِكُمُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ فَلا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾ [آل عمران: ١٧٥] أي : يخوفكم بأوليائه ويعظمهم في صدوركم فلا تخافوهم وأفردوني بالمخافة أكفكم إياهم .

رابعًا : عدم إخبار الحاسد بنعمة اللَّه عليك :

ولذلك قال يعقوب ليوسف عليهما السلام : ﴿ **يَا بُنَيَّ لا تَقْصُصْ رُءْيَاكَ عَلَىٰ إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُوا لَكَ كَيْدًا إِنَّ الشَّيْطَانَ لِلإِنسَانِ عَدُوٌّ مُّبِينٌ** ﴾ [يوسف: ٥] .

ومن هذا الباب وصية رسول اللَّه ﷺ لمن رأىٰ رؤيا يحبها أن لا يقصها إلا علىٰ من يحب ؛ ففي «الصحيحين» من حديث أبي قتادة رضي اللَّه عنه قال : سمعت النبي ﷺ يقول : «**الرؤيا الحسنة من اللَّه فإذا رأىٰ أحدكم ما يحب فلا يحدث به إلا من يحب** ..»[1] .

قلت : وذلك لأنه إذا حدث بها من لا يحب قد يفسرها له بما لا يحب إما بغضًا وإما حسدًا فقد تقع عن تلك الصفة ، فتُرك تحديث الحاسدين سدًّا لباب الشر الوارد منهم .

خامسًا : ومن أسباب دفع الحسد عن المحسود فراغ قلب **المحسود من الاشتغال بالحاسد** والفكر فيه ، قاله ابن القيم ، وقال رحمه اللَّه : وأن يمحوه من باله كلما خطر له فلا يلتفت إليه ولا يخافه ولا يملأ قلبه بالفكر فيه ، وهذا من أنفع الأدوية وأقوىٰ الأسباب المعينة علىٰ اندفاع شره فإن هذا بمنزلة من يطلبه عدوه ليمسكه ويؤذيه فإذا لم يتعرض له ولا تماسك هو وإياه بل انعزل عنه لم يقدر عليه ، فإذا تماسكا وتعلق كل منهما بصاحبه حصل الشر وهكذا الأرواح سواء فإذا

(١) أخرجه البخاري (مع «الفتح» ١٢/ ٤٣٠) ومسلم (ص ١٧٧٢) .

علق روحه وشَبَّثَها به ، وروح الحاسد الباغي متعلقة به يقظة ومنامًا لا يفتر عنه ، وهو يتمنى أن يتماسك الروحان ويتشبثا فإذا تعلقت كل روح منهما بالأخرى عدم القرار ودام الشر حتى يهلك أحدهما فإذا جبذ روحه منه وصانها عن الفكر فيه والتعلق به وأن لا يخطره بباله فإذا خطر بباله بادر إلى محو ذلك الخاطر والاشتغال بما هو أنفع له وأولى به بقي الحاسد الباغي يأكل بعضه بعضًا فإن الحسد كالنار فإذا لم تجد ما تأكله أكل بعضها بعضًا .

وهذا باب عظيم النفع لا يُلَقَّاه إلا أصحاب النفوس الشريفة والهمم العلية ، وبين الكيس الفطن وبينه حتى يذوق حلاوته وَطيبه نعيمه كأنه يرى من أعظم عذاب القلب والروح اشتغاله بعدوه وتعلق روحه به ، ولا يرى شيئًا آلم لروحه من ذلك ولا يصدق بهذا إلا النفوس المطمئنة الوادعة اللينة التي رضيت بوكالة اللَّه لها وعلمت أن نصره لها خير من انتصارها هي لنفسها فوثقت باللَّه وسكنت إليه واطمأنت به ، وعلمت أن ضمانه حق ووعده صدق وأنه لا أوفى بعهده من اللَّه ، ولا أصدق منه قليلاً ، فعلمت أن نصره لها أقوى وأثبت وأدوم وأعظم فائدة من نصرها هي لنفسها أو نصر مخلوق مثلها لها ولا يقوى على هذا إلا بالسبب الآتي ألا وهو :

سادسًا : **الإقبال على اللَّه والإخلاص له** ، وجعل محبته ورضاه والإنابة إليه في محل خواطر نفسه ، وأمانيها تدب فيها دبيب تلك الخواطر شيئًا فشيئًا حتى يقهرها ويغمرها ويذهبها بالكلية فتبقى خواطره

وهواجسه وأمانيه كلها في محاب الرب، والتقرب إليه وتملقه وترضيه واستعطافه وذكره كما يذكر المحب التام المحبة محبوبه المحسن إليه الذي قد امتلأت جوانحه من حبه فلا يستطيع قلبه انصرافًا عن ذكره ولا روحه انصرافًا عن محبته ، فإذا صار كذلك فكيف يرضى لنفسه أن يجعل بيت أفكاره وقلبه مغمورًا بالفكر في حاسده والباغي عليه والطريق إلى الانتقام منه والتدبير عليه ؟! هذا ما لا يتسع له إلا قلب خراب لم تسكن فيه محبة اللَّه وإجلاله وطلب مرضاته ، بل إذا مسه طيف من ذلك واجتاز ببابه من خارج ناداه حرس قلبه : إياك وحمى الملك اذهب إلى بيوت الحانات التي كل من جاء حل فيها ونزل بها ، ما لك ولبيت السلطان الذي أقام عليه اليَزَك وأدار عليه الحرس وأحاطه بالسور ، قال تعالى حكاية عن عدوه إبليس أنه قال: ﴿فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٨٢﴾ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ﴾ [ص: ٨٢، ٨٣] فقال تعالى : ﴿إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ﴾ [الحجر: ٤٢] .

وقال : ﴿إِنَّهُ لَيْسَ لَهُ سُلْطَانٌ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٩٩﴾ إِنَّمَا سُلْطَانُهُ عَلَى الَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُ وَالَّذِينَ هُم بِهِ مُشْرِكُونَ﴾ [النحل: ٩٩، ١٠٠] ، وقال في حق الصديق يوسف ﷺ : ﴿كَذَٰلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ﴾ [يوسف: ٢٤] .

فما أعظم سعادة من دخل هذا الحصن وصار داخل اليزك لقد آوى إلى حصن لا خوف على من تحصن به ، ولا ضيعة على من آوى إليه ولا مطمع للعدو في الدنو إليه منه ﴿ذَٰلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ

وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾ [الجمعة: ٤] .

سابعًا : الصبر على الحاسد :

قال ابن القيم رحمه اللَّه (في بيان ما يندفع به شر الحاسد عن المحسود) :

الصبر على عدوه وأن لا يقاتله ولا يشكوه ولا يحدث نفسه بأذاه أصلاً ، فما نصر على حاسده وعدوه بمثل الصبر عليه والتوكل على اللَّه ولا يستطل تأخيره وبغيه فإنه كلما بغى عليه كان بغيه جندًا وقوة للمبغى عليه المحسود يقاتل به الباغي نفسه وهو لا يشعر ، فبغيه سهام يرميها من نفسه إلى نفسه ، ولو رأى المبغى عليه ذلك لسره بغيه عليه ولكن لضعف بصيرته لا يرى إلا صورة البغي دون آخره ومآله ، وقد قال تعالى : ﴿وَمَنْ عَاقَبَ بِمِثْلِ مَا عُوقِبَ بِهِ ثُمَّ بُغِيَ عَلَيْهِ لَيَنصُرَنَّهُ اللَّهُ﴾ [الحج: ٦٠] فإذا كان اللَّه قد ضمن له النصر مع أنه قد استوفى حقه أولاً فكيف بمن لم يستوف شيئًا من حقه، بل بُغي عليه وهو صابر؟ وما من الذنوب ذنب أسرع عقوبة من البغي وقطيعة الرحم ، وقد سبقت سنة اللَّه : أنه لو بغى جبل على جبلٍ لجعل الباغي منهما دكًّا .

ثامنًا : الإحسان إلى الحاسد :

قال ابن القيم رحمه اللَّه : وهو من أصعب الأسباب على النفس وأشقها عليها ولا يوفق له إلا من عظم حظه من اللَّه ، وهو إطفاء نار الحاسد والباغي ، والمؤذي بالإحسان إليه فكلما ازداد أذىً وشرًّا وبغيًا وحسدًا ازددت إليه إحسانًا وله نصيحةً وعليه شفقةً، وما أظنك تُصدق بأن

هذا يكون فضلاً عن أن تتعاطاه ، فاسمع الآن قوله عز وجل : ﴿وَلا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ ﴿٣٤﴾ وَمَا يُلَقَّاهَا إِلاَّ الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلَقَّاهَا إِلاَّ ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴿٣٥﴾ وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ [فصلت: ٣٤ - ٣٦] وقال : ﴿أُوْلَئِكَ يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُم مَّرَّتَيْنِ بِمَا صَبَرُوا وَيَدْرَءُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ﴾ [القصص: ٥٤] ، وتأمل حال النبي ﷺ إذ ضربه قومه حتى أدموه فجعل يسلت الدم عنه ويقول: «اللهم اغفر[1] لقومي فإنهم لا يعلمون» ، كيف جمع في هذه الكلمات أربع مقامات من الإحسان قابل بها إساءتهم العظيمة إليه .

أحدها : عفوه عنهم ، والثاني: استغفاره لهم ، والثالث: اعتذاره

---

(١) ليس المراد مغفرة الشرك فإن الله عز وجل قال : ﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَن يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أُوْلِي قُرْبَى مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ﴾ [التوبة: ١١٣] وإنما المراد ـ والله أعلم ـ مغفرة ما فعلوه به من جرح . أو يكون هذا قبل نزول الآية .
وانظر تحقيقنا لرسالة «تفسير المعوذتين» .
والذي في البخاري (مع «الفتح» ٦/ ٥١٤) ، ومسلم (ص ١٤١٧) وأحمد (١/ ٣٨٠) من حديث ابن مسعود رضي الله عنه قال : كأني أنظر إلى النبي ﷺ يحكي نبيًّا من الأنبياء ضربه قومه فأدموه وهو يمسح الدم عن وجهه ويقول : «اللهم اغفر لقومي فإنهم لا يعلمون» .
ليس فيها أن النبي ﷺ قال : «اللهم اغفر لقومي» .
ورواية «اللهم اغفر لقومي» عزاها الحافظ في «الفتح» (٦/ ٥٣١) إلى ابن حبان في «صحيحه» من رواية سهيل بن سعد ، قال ابن حبان : معنى هذا الدعاء الذي قاله يوم أحد لما شُجَّ وجهه أي اغفر لهم ذنبهم في شج وجهي ، لا أنه أراد الدعاء لهم بالمغفرة مطلقًا ، إذ لو كان كذلك لأجيب ، ولو أجيب لأسلموا ، كذا قال ، وكأنه بناه على أنه لا يجوز أن يتخلف بعض دعائه على بعض أو عن بعض ، وفيه نظر لثبوت : «أعطاني اثنتين ومنعني واحدة» .

عنهم بأنهم لا يعلمون ، والرابع : استعطافه لهم بإضافتهم إليه فقال : «اغفر لقومي» كما يقول الرجل لمن يشفع عنده فيمن يتصل به : هذا ولدي ؛ هذا غلامي ؛ هذا صاحبي فهبه لي ، واسمع الآن ما الذي يسهل هذا على النفس ويطيبه إليها وينعمها به .

اعلم أن لك ذنوبًا بينك وبين اللَّه تخاف عواقبها وترجوه أن يعفو عنها ويغفرها لك ويهبها لك ، ومع هذا لا يقتصر على مجرد العفو والمسامحة حتى ينعم عليك ويكرمك ويجلب إليك من المنافع والإحسان فوق ما تؤمله ، فإذا كنت ترجو هذا من ربك وتحب أن يقابل به إساءتك فما أولاك وأجدرك أن تعامل به خلقه ، وتقابل به إساءتهم ؟ ليعاملك تلك المعاملة فإن الجزاء من جنس العمل ، فكما تعمل مع الناس في إساءتهم في حقك يفعل اللَّه معك في ذنوبك وإساءتك جزاءً وفاقًا فانتقم بعد ذلك أو اعف وأحسن أو اترك فكما تدين تدان وكما تفعل من عباده يفعل معك .

فمن تصور هذا المعنى وشغل به فكره هان عليه الإحسان إلى من أساء إليه وهذا مع ما يحصل له بذلك من نصر اللَّه ومعيته[1] الخاصة

---

(١) المعية معيتان عامة وخاصة ؛ فالمعية العامة : كما في قوله تعالى : ﴿ ... مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَا أَدْنَىٰ مِن ذَٰلِكَ وَلَا أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾ [المجادلة: ٧]. أما المعية الخاصة : كما في قوله تعالى : ﴿ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوا وَّالَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ ﴾ [النحل: ١٢٨] ، وكقوله سبحانه : ﴿ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴾ [الأنفال: ٤٦] ، وقوله : ﴿ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا ﴾ [التوبة: ٤٠] .

كما قال النبي ﷺ للذي شكى إليه قرابته ، وأنه يحسن إليهم وهم يسيئون إليه فقال : «**لا يزال معك من اللَّه ظهير ما دمت على ذلك**»[1] .

هذا مع ما يتعجله من ثناء الناس عليه ويصيرون كلهم معه على خصمه فإن كل من سمع أنه محسن إلى ذلك الغير وهو مسيء إليه وجه قلبه ودعاءه وهمته مع المحسن على المسيء، وذلك أمر فطري فطر اللَّه عليه عباده فهو بهذا الإحسان قد استخدام عسكرًا لا يعرفهم ولا يعرفونه ولا يريدون منه إقطاعًا ولا خبزًا .

هذا مع أنه لابد له مع عدوه وحاسده من إحدى حالتين ؛ إما أن يملكه بإحسانه فيستعبده وينقاد له ويذل له ويبقى الناس إليه ، وإما أن يفتت كبده ويقطع دابره إن أقام على إساءته إليه فإنه يذيقه بإحسانه أضعاف ما ينال منه بانتقامه ، ومن جرب هذا عرفه حق المعرفة ، واللَّه هو الموفق والمعين بيده الخير كله لا إله غيره وهو المسئول أن يستعملنا في ذلك بمنه وكرمه .

قلت : ومن هذا الباب لو أن هناك رجلاً وسع اللَّه عليه وأعطاه أصناف المال والأولاد ذكورًا وإناثًا ، وله جار ضُيق عليه وأولاده محاويج فإذا رأى هذا الجار المحتاج جاره الموسع عليه كل يوم يدخل بصنوف الفاكهة وأنواع الطعام والشراب وأفخر اللباس على أولاده وزوجته ولا يُعطي هذا الفقير المحتاج شيئًا سيتجه بصره تلقائيًا إلى

---

(١) أخرجه مسلم من حديث أبي هريرة رضي اللَّه عنه أن رجلاً قال : يا رسول اللَّه إن لي قرابة أصلهم ويقطعوني وأحسن إليهم ويُسيئون إليَّ وأحلم عنهم ويجهلون عليَّ فقال : «**لئن كنت كما قلت فكأنما تسفهم الملَّ ولا يزال معك من اللَّه ظهير عليهم ما دمت على ذلك**» .

حسده ، وخاصة إذا رأى أولاده ينظرون إلى أولاد ذلك الغني وإلى ما في أيديهم ، أما إذا وقى اللَّه هذا الغني شحَّ نفسه وتصدق على جاره وأكرمه فلا شك أن هذا الجارَ الفقير ـ في الغالب ـ سيشكر له صنيعه ويدعو اللَّه له بزيادة ما فيه من خير ، فحينئذ يندفع شر الحاسد بإكرامه. ولا حول ولا قوة إلا باللَّه .

وقال ابن القيم رحمه اللَّه في بيان أسباب دفع الحسد :

● الصدقة والإحسان ما أمكنه فإن لذلك تأثيرًا عجيبًا في دفع البلاء ودفع العين وشر الحاسد ولو لم يكن في هذا إلا بتجارب الأمم قديمًا وحديثًا لكفى به فما تكاد العين والحسد والأذى يتسلط على محسن متصدق وإن أصابه شيء من ذلك كان معاملاً فيه باللطف والمعونة والتأييد وكانت له العاقبة الحميدة ؛ فالمحسن المتصدق في خفارة إحسانه وصدقته عليه من اللَّه جنةٌ واقية وحصن حصين، وبالجملة فالشكر حارس النعمة من كل ما يكون سببًا لزوالها ، ومن أقوى الأسباب حسد الحاسد والعائن فإنه لا يفتر ولا يني ولا يبرد قلبه حتى تزول النعمة عن المحسود فحينئذ يبرد أنينه وتنطفئ ناره لا أطفأها اللَّه ، فما حرس العبد نعمة اللَّه عليه بمثل شكرها ولا عرضها للزوال بمثل العمل فيها بمعاصي اللَّه، وهو كفران النعمة وهو باب إلى كفران المنعم.

فالمحسن المتصدق يستخدم جندًا وعسكرًا يقاتلون عنه وهو نائم على فراشه فمن لم يكن له جند ولا عسكر وله عدو فإنه يوشك أن يظفر به عدوه ، وإن تأخرت مدة الظفر ، واللَّه المستعان .

تاسعًا : تجديد التوبة إلىٰ اللَّه من الذنوب التي سلطت عليه أعداءه :

قال ابن القيم رحمه اللَّه، وقال : فإن اللَّه تعالىٰ يقول : ﴿ **وَمَا أَصَابَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ** ﴾ [الشورى : ٣٠] وقال لخير الخلق وهم أصحاب نبيه دونه ﷺ : ﴿ **أَوَ لَمَّا أَصَابَتْكُم مُّصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُم مِّثْلَيْهَا قُلْتُمْ أَنَّىٰ هَٰذَا قُلْ هُوَ مِنْ عِندِ أَنفُسِكُمْ** ﴾ [آل عمران : ١٦٥] فما سُلِّط علىٰ العبد من يؤذيه إلا بذنب يعلمه أو لا يعلمه، وما لا يعلمه العبد من ذنوبه أضعاف ما يعلمه منها، وما ينساه مما عمله أضعاف ما يذكره، وفي الدعاء المشهور : **«اللهم إني أعوذ بك أن أشرك بك وأنا أعلم وأستغفرك لما لا أعلم»**[1] .

فما يحتاج العبد إلىٰ الاستغفار منه مما لا يعلمه أضعاف ما يعلمه فما سُلِّط عليه مؤذٍ إلا بذنب .

ولقي بعضَ السلف رجل فأغلظ له ونال منه فقال له : قف حتىٰ أدخل البيت ثم أخرج إليك فدخل فسجد للَّه وتضرع إليه وتاب وأناب إلىٰ ربه ثم خرج إليه فقال له : ما صنعت ؟ فقال : تبت إلىٰ اللَّه من الذنب الذي سلطك به عليَّ ، وسنذكر ـ إن شاء اللَّه ـ أنه ليس في الوجود شر إلا الذنوب وموجباتها فإذا عوفي العبد من الذنوب عوفي من موجباتها فليس للعبد إذا بُغي عليه وأوذي وتسلط عليه خصومه شيء أنفع له من التوبة النصوح وعلامة سعادته أن يعكس فكره ونظره علىٰ نفسه وذنوبه وعيوبه فيشتغل بها وبإصلاحها وبالتوبة منها فلا يبقىٰ فيه فراغ لتدبر ما نزل به بل يتولىٰ هو التوبة وإصلاح عيوبه واللَّه يتولىٰ

---

(١) الراجح لدينا ضعفه .

نصرته وحفظه والدفع عنه ولابد ، فما أسعده من عبد وما أبركها من نازلةٍ نزلت به وما أحسن أثرها عليه ، ولكن التوفيق والرشد بيد اللَّه لا مانعٍ لما أعطىٰ ولا معطي لما منع فما كل أحدٍ يوفق لمعرفة هذا ولا إرادة له ولا قدرة عليه ولا حول ولا قوة إلا باللَّه .

عاشرًا : ومن أسباب دفع الحسد عن المحسود **اغتسال الحاسد** (أعني : غسل بعض أعضائه علىٰ ما سيرد) **وصب مائه علىٰ المحسود** .

● **ففي** «صحيح مسلم» من حديث ابن عباس رضي اللَّه عنهما عن النبي ﷺ أنه قال : **«العين حق ، ولو كان شيء سابق القدر سبقته العين وإذا استغسلتم فاغتسلوا»**[1] .

● وفي «سنن أبي داود» بإسناد صحيح عن عائشة قالت : كان يؤمر بالعائن فيتوضأ ثم يغتسل منه المعين .

● وأيضًا قد تقدمت قصة عامر بن ربيعة من سهل بن حنيف وفيها: أن عامرًا غسل وجهه ويديه ومرفقيه وركبتيه وأطراف رجليه وداخلة[2] إزاره في قدح ثم صُبَّ عليه . فراح سهل مع الناس ليس به بأس .

● **قال النووي في** «شرح مسلم»: وصفة وضوء العائن عند العلماء أن يؤتىٰ بقدح ماء ولا يوضع القدح في الأرض، فيأخذ منه غرفة فيتمضمض

---

(١) أخرجه مسلم (ص ١٧١٩) .

(٢) قال عياض : المراد بداخلة الإِزار ما يلي الجسد منِ الإِزار ، وقيل : أراد موضع الإِزار من الجسد ، وقيل : أراد وركه لأنه معقد الإِزار . ، وقال المازري : المراد بداخلة الإزار الطرف المتدلي الذي يلي حقوه الأيمن ، نقله الحافظ في «الفتح» .

بها ثم يمجها في القدح ثم يأخذ منه ما يغسل وجهه ثم يأخذ بشماله ماءً يغسل به كفه اليمنى ثم بيمينه ماء يغسل به مرفقه الأيسر، ولا يغسل ما بين المرفقين والكعبين ثم يغسل قدمه اليمنى ثم اليسرى على الصفة المتقدمة وكل ذلك في القدح ثم داخلة إزاره وهو الطرف المتدلي الذي يلي حقوه الأيمن ، وقد ظن بعضهم أن داخلة الإزار كناية عن الفرج ، وجمهور العلماء على ما قدمناه ، فإذا استكمل هذا صبه من خلفه على رأسه ، وهذا المعنى لا يمكن تعليله ومعرفة وجهه وليس في قوة العقل الاطلاع على أسرار جميع المعلومات فلا يدفع هذا بألا يعقل معناه .

الحادي عشر : الرقية :

ومن أسباب دفع الحسد الرقية :

● ففي «صحيح مسلم»[١] من حديث أبي سعيد الخدري رضي اللَّه عنه أن جبريل أتى النبي ﷺ فقال : يا محمد اشتكيت ؟ فقال : «نعم» قال : باسم اللَّه أرقيك من كل شيء يؤذيك من شر كل نفس أو عين حاسدٍ[٢] اللَّه يشفيك باسم اللَّه أرقيك . .

● وفيه من[٣] حديث عائشة رضي اللَّه عنها أنها قالت : كان إذا

---

(١) مسلم (١٤/ ١٧٠) .

(٢) في رواية للترمذي: وعين حاسدةٍ بسم اللَّه أرقيك واللَّه يشفيك ، قال النووي في «شرح مسلم» : وقوله : (من شر كل نفس) قيل يحتمل أن المراد بالنفس نفس الآدمي ، وقيل يحتمل أن المراد بها العين فإن النفس تطلق على العين ، وقال : رجل نفوس إذا كان يصيب الناس بعينه كما قال في الرواية الأخرى (من شر كل ذي عين) ويكون قوله : (أو عين حاسد) من باب التوكيد بلفظ مختلف أو شكًّا من الراوي في لفظه ، واللَّه أعلم .

(٣) مسلم (١٤/ ١٦٨) .

اشتكى رسول اللَّه ﷺ رقاه جبريل قال : باسم يبريك ومن كل داءٍ يشفيك ومن شر حاسد إذا حسد وشر كل ذي عين .

● وتقدم حديث عائشة رضي اللَّه عنها وفيه : أن رسول اللَّه ﷺ كان يأمرها أن تسترقي من العين[١] .

● وفي «صحيح البخاري»[٢] من حديث ابن عباس رضي اللَّه عنهما قال : كان النبي ﷺ يعوِّذ الحسن والحسين ويقول : «**إن أباكما كان يُعوِّذ بها إسماعيل وإسحاق أعوذ بكلمات اللَّه التامة من كل شيطان وهامة[٣] ومن كل عين لامة[٤]** » .

ثاني عشر : تجريد التوحيد :

ومن أسباب دفع الحسد تجرير التوحيد .

وقد ختم به ابن القيم رحمه اللَّه بحثه في أسباب دفع الحسد عن المحسود ، وقال : وهو الجامع لذلك كله وعليه مدار هذه الأسباب وهو تجريد التوحيد والترحل بالفكر في الأسباب إلى المسبب العزيز الحكيم والعلم بأن هذه الآلات بمنزلة حركات الرياح وهي بيد محركها وفاطرها وبارئها ولا تضر ولا تنفع إلا بإذنه فهو الذي يحسن عبده بها وهو الذي يصرفها عنه وحده لا أحد سواه ، قال تعالى : ﴿وَإِن

---

(١) اخرجه البخاري (مع الفتح ١٠/١٩٩) ومسلم (١٤/١٨٣) .

(٢) البخاري (مع الفتح ١٠/٨٨) .

(٣) الهامة : واحدة الهوام من ذوات السموم ، وقيل : كل ما له سم يقتل ، فأما ما لا يقتل سمه فيقال له السوام ، وقيل : المراد كل نسمة تهم بسوء . قاله الحافظ .

(٤) نقل الحافظ عن الخطابي قوله : المراد به كل داء وآفة تلم بالإنسان من جنون وخبل .

يَمْسَسْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلا كَاشِفَ لَهُ إِلاَّ هُوَ وَإِن يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلا رَادَّ لِفَضْلِه﴾ [يونس: ١٠٧] وقال النبي ﷺ لعبد اللَّه بن عباس رضي اللَّه عنهما : **«واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك إلا بشيء كتبه اللَّه لك ولو اجتمعوا على أن يضروك بشيء لم يضروك إلا بشيء كتبه اللَّه عليك»**[١] فإذا جرد العبد التوحيد فقد خرج من قلبه خوف ما سواه ، وكان عدوه أهون عليه من أن يخافه من اللَّه بل يفرد اللَّه بالمخافة وقد أمنه منه وخرج من قلبه اهتمامه به واشتغاله به وفكره فيه وتجرد للَّه محبة وخشية وإنابة وتوكلاً واشتغالاً به عن غيره فيرى أن إعماله فكره في أمر عدوه وخوفه منه واشتغاله به من نقص توحيده وإلا فلو جرَّد توحيده لكان له فيه شغل شاغل واللَّه يتولى حفظه والدفع عنه فإن اللَّه يدافع عن الذين آمنوا فإن كان مؤمنًا باللَّه يدافع عنه ولابد، وبحسب إيمانه يكون دفاع اللَّه عنه فإن كمل إيمانه كان دفع اللَّه عنه أتم دفع، وإن مزج مزج له وإن كان مرة ومرة فاللَّه له مرة ومرة ، كما قال بعض السلف: من أقبل على اللَّه بكليته أقبل اللَّه عليه جملة ، ومن أعرض عن اللَّه بكلِّيته أعرض اللَّه عنه جملة[٢]، ومن كان مرة ومرة فاللَّه له مرة ومرة ، فالتوحيد حصن اللَّه الأعظم الذي من دخله كان من الآمنين ، قال بعض السلف : من خاف اللَّه خافه كل شيء ، ومن لم يخف اللَّه أخافه من كل شيء .

● هذه أسباب يندفع بها شر الحاسد والعائن والساحر وليس له

---

(١) تقدم .

(٢) هذا الأخير يحتاج إلى دليل ، وإن كان ديث الثلاثة الذين دخلوا المسجد . . . وفيه قول رسول اللَّه ﷺ : «أما الآخر فاعرض فاعرض اللَّه عنه» ما يشهد لهذا المعنى .

أنفع من التوجه إلى اللَّه وإقباله عليه وتوكله عليه وثقته به ، وأن لا يخاف معه غيره بل يكون خوفه منه وحده ولا يرجو سواه بل يرجوه وحده فلا يعلق قلبه بغيره ولا يستغيث بسواه ولا يرجو إلا إياه ، ومتى علق قلبه بغيره ورجاه وخافه وُكل إليه وخذل من جهته فمن خاف شيئًا غير اللَّه سلط عليه ومن رجا شيئًا سوى اللَّه خذل من جهته وحُرِم خيره، هذه سنة اللَّه في خلقه ولن تجد لسنة اللَّه تبديلاً .

* * *

س ـ ما هو الفرق بين الحاسد والساحر ؟

ج : يتفق الساحر والحاسد في أشياء ويفترقان في أشياء أخرى .

قال ابن القيم رحمه اللَّه :

● والشيطان يقارن الساحر والحاسد ويحادثهما ويصاحبهما .

● ولكن الحاسد تعينه الشياطين بلا استدعاء منه للشيطان لأن الحاسد شبيه بإبليس وهو في الحقيقة من أتباعه لأنه يطلب ما يحبه الشيطان من فساد الناس وزوال نعم اللَّه عنهم ، كما أن إبليس حسد آدم لشرفه وفضله وأبى له يسجد له حسدًا ، فالحاسد من جند إبليس .

● وأما الساحر فهو يطلب من الشيطان أن يعينه ويستعينه وربما يعبده من دون اللَّه حتى يقضي له حاجته وربما يسجد له .

● **وقال ابن القيم في موطن آخر :** وقلما يتأتى السحر بدون نوع عبادة للشيطان وتقرب إليه إما بذبح باسمه أو بذبح يقصد به هو فيكون

ذبحًا لغير اللَّه وبغير ذلك من أنواع الشرك والفسوق ، والساحر وإن لم يسم هذا عبادة للشيطان فهو عبادة له وإن سماه بما سماه فإن الشرك والكفر هو شرك وكفر لحقيقته ومعناه لا لاسمه ولفظه ، فمن سجد لمخلوق وقال ليس هذا بسجود له ، هذا خضوع وتقبيل الأرض بالجبهة كما أقبلها بالنعم أو هذا إكرام لم يخرج بهذه الألفاظ عن كونه سجودًا لغير اللَّه فليسمه بما شاء ، وكذلك من ذبح للشيطان ودعاه واستعاذ به وتقرب إليه بما يحب فقد عبده ، وإن لم يُسم ذلك عبادة بل يسميه استخدامًا ، وصدق هو استخدام من الشيطان له فيصير من خدم الشيطان وعابديه ، وبذلك يخدمه الشيطان لكن خدمة الشيطان له ليست خدمة عبادة فإن الشيطان لا يخضع له ولا يعبده كما يفعل هو به .

والمقصود : أن هذا عبادة منه للشيطان وإنما سماه استخدامًا قال تعالى : ﴿أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَا بَنِي آدَمَ أَن لاَّ تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾ [يس: ٦٠] ، وقال تعالى : ﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلائِكَةِ أَهَؤُلاءِ إِيَّاكُمْ كَانُوا يَعْبُدُونَ ﴿٤٠﴾ قَالُوا سُبْحَانَكَ أَنتَ وَلِيُّنَا مِن دُونِهِم بَلْ كَانُوا يَعْبُدُونَ الْجِنَّ أَكْثَرُهُم بِهِم مُّؤْمِنُونَ﴾ [سبأ: ٤٠، ٤١] .

فهؤلاء وأشباههم عباد الجن والشياطين ، وهم أولياؤهم في الدنيا والآخرة ولبئس المولى ولبئس العشير فهذا أحد النوعين .

● والنوع الثاني : من يعينه الشيطان ، وإن لم يستعن هو به وهو الحاسد لأنه نائبه وخليفته لأن كليهما عدو نعم اللَّه ومنغصها على عباده .

* * *

س ـ ما هو الفرق بين العائن والحاسد ؟

ج : **قال ابن القيم رحمه اللَّه :**

والعائن والحاسد يشتركان في شيء ويفترقان في شيء .

فيشتركان في أن كل واحد منهما تتكيف نفسه وتتوجه نحو من يريد أذاه.

فالعائن تتكيف نفسه عند مقابلة المعين ومعاينته .

والحاسد يحصل له ذلك عند غيبة المحسود وحضوره أيضًا .

ويفترقان في أن العائن قد يصيب من لا يحسده من جماد أو حيوان أو زرع أو مال ، وإن كان لا يكاد ينفك من حسد صاحبه وربما أصابت عينه نفسه فإن رؤيته للشيء رؤية تعجب وتحديق مع تكيف نفسه بتلك الكيفية تؤثر في المعين .

وقد قال غير واحد من المفسرين في قوله تعالى : ﴿**وَإِن يَكَادُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَيُزْلِقُونَكَ بِأَبْصَارِهِمْ لَمَّا سَمِعُوا الذِّكْرَ**﴾ [القلم: ٥١] إنه الإصابة بالعين أرادوا أن يصيبوا بها رسول اللَّه ﷺ فنظر إليه قوم من العائنين وقالوا ما رأينا مثله ولا مثل حجته ، وكان طائفة منهم تمر به الناقة والبقرة السمينة فيعينها ثم يقول لخادمه : خذ المكتل والدرهم وائتنا بشيء من لحمها فما تبرح حتىٰ تقع فتنحر ، وأورد رحمه اللَّه جملة أقوال ثم قال : والمقصود أن العائن حاسد خاص وهو أضر من الحاسد ، ولهذا واللَّه أعلم إنما جاء في السورة ذكر الحاسد دون العائن لأنه أعم فكل عائن حاسد ولابد ، وليس كل حاسد عائنًا ، فإذا استعاذ من شر الحاسد دخل فيه العائن ، وهذا من شمول القرآن وإعجازه وبلاغته .

• **وقال الحافظ ابن حجر رحمه اللَّه** : والعين تكون مع الإعجاب ولو بغير حسدٍ ولو من الرجل المحب ومن الرجل الصالح ، وأن الذي يعجبه الشيء ينبغي أن يبادر إلىٰ الدعاء للذي يعجبه بالبركة ، ويكون ذلك رقية منه .

قال ابن القيم رحمه اللَّه ، في المستعاذ منه في سورة الفلق :

الشر الرابع : شر الحاسد إذا حسد ، وقد دل القرآن والسنة علىٰ أن نفس حسد الحاسد يؤذي المحسود ، فنفس حسده شر متصل بالمحسود من نفسه وعينه وإن لم يؤذه بيده ولا لسانه فإن اللَّه تعالىٰ قال: ﴿ **وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ** ﴾ [الفلق: ٥] فحقق الشر منه عند صدور الحسد ، والقرآن ليس فيه لفظة مهملة .

ومعلوم أن الحاسد لا يسمىٰ حاسدًا إلا إذا قام به الحسد كالضارب والشاتم والقاتل ونحو ذلك ، ولكن قد يكون الرجل في طبعه الحسد وهو غافل عن المحسود لاهٍ عنه فإذا خطر علىٰ ذكره وقلبه انبعثت نار الحسد من قلبه إليه وتوجهت إليه سهام الحسد من قلبه فيتأذىٰ المحسود بمجرد ذلك فإن لم يستعذ باللَّه ويتحصن به ويكون له أوراد من الأذكار والدعوات والتوجه إلىٰ اللَّه والإقبال عليه بحيث يدفع عنه من شره بمقدار توجهه وإقباله علىٰ اللَّه وإلا ناله شر الحاسد ولابد فقوله تعالىٰ : ﴿ **إِذَا حَسَدَ** ﴾ [الفلق: ٥] بيان لأن شره إنما يتحقق إذا حصل منه الحسد بالفعل .

وقد تقدم في حديث أبي سعيد الصحيح رقية جبريل النبي ﷺ

وفيها : « **بسم اللَّه أرقيك من كل شيء يؤذيك من شر كل نفس أو عين حاسد اللَّه يشفيك**» فهذا فيه الاستعاذة من شر عين الحاسد .

ومعلوم أن عينه لا تؤثر بمجردها إذ لو نظر إليه نظر لاهٍ ساهٍ عنه كما ينظر إلى الأرض والجبل وغيره لم يؤثر فيه شيئًا ، وإنما إذا نظر إليه نظر من قد تكيفت نفسه الخبيثة وانسمَّت واحتدت فصارت نفسًا غضبية خبيثة حاسدة أثرت بها تلك النظرة فأثرت في المحسود تأثيرًا بحسب صفة ضعفه وقوة نفس الحاسد فربما أعطبه وأهلكه بمنزلة من فوَّق سهمًا نحو رجل عريان فأصاب منه مقتلاً وربما صرعه وأمرضه ، والتجارب عند الخاصة والعامة بهذا أكثر من أن تذكر .

وهذه العين إنما تأثيرها بواسطة النفس الخبيثة وهي في ذلك بمنزلة الحية التي إنما يؤثر سمها إذا عضَّت واحتدت فإنها تتكيف بكيفية الغضب والخبث فتحدث فيها تلك الكيفية السمَّ فتؤثر في اللديغ ، وربما قويت تلك الكيفية ، واشتدت في نوع منها حتى تؤثر بمجرد نظرة فتطمس البصر وتسقط الحبل كما ذكره النبي ﷺ في الأبتر وذي الطفيتين منها فقال : «**اقتلوهما فإنهما يطمسان البصر ويسقطان الحبل**» فإذا كان هذا في الحيات فما الظن في النفوس الشريرة الغضبية الحاسدة إذا تكيفت بكيفيتها الغضبية وانسمت وتوجهت إلى المحسود بكيفيتها ؟ فاللَّه كم من قتيل ؟ وكم من سليب ؟ وكم من معافى عاد مضني على فراشه ، يقول طبيبه : لا أعلم داءه ما هو ؟ فصدق ليس هذا الداء من علم الطبائع ، هذا من علم الأرواح وصفاتها ، وكيفياتها ومعرفة

تأثيراتها في الأجسام والطبائع وانفعال الأجسام عنها .

وهذا علم لا يعرفه إلاخواص الناس ، والمحجوبون منكرون له ، ولا يعلم تأثير ذلك وارتباطه بالطبيعة وانفعالها عنه إلا من له نصيب من ذوقه ، وهل الأجسام إلا كالخشب الملقىٰ ؟ وهل الانفعال والتأثر وحدوث ما يحدث عنها من الأفعال العجيبة والآثار الغريبة إلا من الأرواح ، والأجسام آلتها بمنزلة الصانع ؟ فالصنعة في الحقيقة له ، والآلات وسائط في وصول أثره إلىٰ الصنع ، ومن له أدنىٰ مظنة وتأمل لأحوال العالم وقد لطفت روحه وشاهدت أحوال الأرواح وتأثيراتها وتحريكها الأجسام وانفعالها عنها ، وكل ذلك بتقدير العزيز العليم خالق الأسباب والمسببات رأىٰ عجائب في الكون وآيات دالة علىٰ وحدانية اللَّه وعظمة ربوبيته ، وأن ثمَّ عالمًا أخر تجري عليه أحكام أخر تشهد آثارها وأسبابها غيب عن الأبصار .

فتبارك اللَّه رب العالمين وأحسن الخالقين الذي أتقن ما صنع وأحسن كل شيء خلقه ولا نسبة لعالم الأجسام إلىٰ عالم الأرواح بل هو أعظم وأوسع وعجائبه أبهر وآياته أعجب . وتأمل هذا الهيكل الإنساني إذا فارقته الروح كيف يصير بمنزلة الخشبة أو القطعة من اللحم؟ فأين ذهبت تلك العلوم والمعارف والعقل ، وتلك الصنائع الغريبة ، وتلك الأفعال العجيبة ، وتلك الأفكار والتدبيرات ؟ كيف ذهبت كلها مع الروح وبقي الهيكل سواء هو والتراب ؟ وهل يخاطبك من الإنسان أو يراك أو يحبك أو يواليك أو يعاديك ويخفَّ عليك أو يثقل

ويؤنسك أو يوحشك إلا ذلك الأمر الذي هو وراء الهيكل المشاهَد بالبصر ؟

● فربَّ رجل عظيم الهيولي كبير الجثة خفيفٌ على قلبك حلو عندك ، وآخر لطيف الخلقة صغير الجثة أثقل على قلبك من جبل ، وما ذاك إلا للطافة روح ذاك وخفتها وحلاوتها ، وكثافة هذا وغلظ روحه ومرارتها .

وبالجملة فالعُلَق والوُصَل التي بين الأشخاص والمنافرات والبُعد إنما هي للأرواح أصلاً والأشباح تبعًا .

* * *

س ـ رجل حاسد للناس يريد أن يتخلص من الحسد الذي في قلبه ما هو الدواء المزيل لذلك ؟

ج : أما الدواء المزيل للحسد على الحاسد نفسه فيتلخص في **العلم والإيمان** ، فللحسد أضرار على الحاسد نفسه في الدنيا والآخرة إذا علمها ، وكان مؤمنًا باللَّه ولقائه ، مصدقًا بوعده ووعيده لانكف عن حسده ، وها نحن نبين بعض أضرار الحسد على الحاسد نفسه لعله يعرفها فينكف عن حسده ويدعو لإخوانه بالبركة وازدياد النعم .

أضرار الحسد على الحاسد في الآخرة :

الحاسد معترض على أقدار اللَّه :

● إذا علم الحاسد أنه بحسده لأخيه المسلم إنما يعترض على

أقدار اللَّه ويكره حكم اللَّه وينازع ربه في قسمته التي قسمها لعباده فهو سبحانه الذي جعل هذا غنيًّا وجعل هذا ذكيًّا وجعل هذا عالمًا وأعطى هذا المال ورزق هذا العيال ، ووهب هذا الجاه ومكَّن هذا من السلطان، ورفع منصب هذا ، وكتب القبول لذاك و . . . فهو سبحانه الذي قدَّر المقادير وخلق كل شيء بقدر كما قال سبحانه : ﴿**إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ**﴾ [القمر: ٤٩] ، وكما قال نبيه ﷺ : «**كتب اللَّه مقادير الخلائق قبل أن يخلق السموات والأرض بخمسين ألف سنة**»[١] ، وقال عليه الصلاة والسلام : «**كل شيء بقدر حتى العجز والكيس**»[٢] ومن هذا قول اللَّه عز وجل للمشركين الذين قالوا : ﴿**لَوْلا نُزِّلَ هَذَا الْقُرْآنُ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنَ الْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ**﴾ [الزخرف: ٣١] قال اللَّه سبحانه : ﴿**أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُم مَّعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِّيَتَّخِذَ بَعْضُهُم بَعْضًا سُخْرِيًّا وَرَحْمَتُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ**﴾ [الزخرف: ٣٢] وقال تعالى : ﴿**أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَىٰ مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ فَقَدْ آتَيْنَا آلَ إِبْرَاهِيمَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَآتَيْنَاهُم مُّلْكًا عَظِيمًا**﴾ [النساء: ٥٤] .

فإذا علم الحاسد أنه بحسده معترض على أقدار اللَّه ، دفعه إيمانه ـ إن كان يؤمن باللَّه واليوم الآخر والقدر خيره وشره ـ إلى ترك الحسد والاستعاذة باللَّه منه .

---

(١) أخرجه مسلم من حديث عبد اللَّه بن عمرو بن العاص رضي اللَّه عنهما . (مسلم ٢٦٥٣) .

(٢) أخرجه مسلم من حديث عبد اللَّه بن عمر رضي اللَّه عنهما ، ومعنى الكيس : هو النشاط والحذق بالأمور وهو ضد العجز . (الحديث عند مسلم ٦٥٥) .

الحاسد متشبه بالمشركين :

• وإذا علم الحاسد أنه متشبه بالمشركين وبالمنافقين في تمنيهم الشر للمسلمين وزوال النعم عنهم كما قال تعالى : ﴿ **إِن تَمْسَسْكُمْ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِن تُصِبْكُمْ سَيِّئَةٌ يَفْرَحُوا بِهَا** ﴾ [آل عمران: ١٢٠] ، وكما قال سبحانه : ﴿ **وَدُّوا مَا عَنِتُّمْ** ﴾ [آل عمران: ١١٨] ، وإذا علم المسلم أنه منهي عن التشبه بالمشركين في معتقداتهم وسمتهم ودينهم لترك حسد إخوانه المؤمنين منعًا لنفسه من أن يتورط مع من تشبه بهم في أخراه حيث سوء المصير .

الحاسد جندي من جند إبليس :

• وإذا علم الحاسد أنه بحسده للمؤمنين يكون جنديًا من جند إبليس يسخره إبليس لإمضاء ما يريد في عباد اللَّه الصالحين لانكف عن حسده ، فمن ذا الذي يريد أن يكون جنديًا لإبليس اللعين ، وعدوًا للَّه رب العالمين معترضًا على قدره وشرعًا مسخطًا له مرضيًا لأوليائه الشياطين ؟ !!!

الحاسد مفارقٌ للمؤمنين :

• إذا علم الحاسد أنه بحسده للمؤمنين يفارقهم في حبهم الخير بعضهم لبعض كما قال تعالى : ﴿ **رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ** ﴾ [الفتح: ٢٩] وأنه بمفارقتهم في الدنيا يوشك أن يفارقهم في الآخرة فمن أحب قومًا حشر معهم ، إذا علم ذلك لانزجر عن حسده .

الحاسد معذبٌ في الآخرة :

• إذا علم الحاسد ما سيحل به من عذاب اللَّه سبحانه في الآخرة ومن عقاب عظيم من جراء ما تقدم لانزجر وانكف عن حسده للناس واستغفر ربه من كل ما اقترفه على نفسه وجرَّه على المسلمين .

حسنات الحاسد تذهب للمحسود :

• وإذا علمت أيها الحاسد أن المحسود ينتفع بحسدك له في الآخرة فهو مظلوم منك فيأخذ من ديوان حسناتك ويُضم إلى ديوان حسناته ويطرح من ديوان سيئاته ويُحط على ديوان سيئاتك ، ولا سيما إذا أخرجت الحسد إلى القول والفعل بالغيبة والقدح فيه وهتك ستره فهي هدايا تهديها إليه وأنت لا تشعر والموفق من وفقه اللَّه .

أما الأضرار على الحاسد في الدنيا فمنها - كما لخصه أهل العلم - :

الحاسد دائمًا في الهم والحزن :

• أن الحاسد بسبب الحسد لا يزال في الهم والحزن والنكد والكمد والناس ينعم اللَّه عليهم بأنواع من النعم دائمًا فلا يزال الحاسد يعذب بكل نعمة يراها على الناس ويتألم بكل بلية تنصرف عنهم فيبقى أبدًا مغمومًا مهمومًا ، فاللَّه ينعم على العباد وقلبه يتمزق غيظًا ، واللَّه يصرف البلايا عن العباد وعقله يتشتت كمدًا ونفسه تذهب حسرات على ما فات الناس من البلايا ، فهو بهذا قد حصل له ما أراد حصوله لأعدائه

المحسودين فلم يتأثروا بشيء مما أراده لهم بفضل اللَّه وارتد كيده على نفسه وجاء تدميره في تدبيره .

• ثم إن هذا الغم والهم إذا استولى عليه أمرض بدنه وأزال الصحة عنه وأنزله في الوساوس وأوقعه في شراكها ونغص عليه لذة الطعام والشراب .

الحاسد قد يتمنى لنفسه البلاء :

• ثم إن الحاسد ـ وهو لا يدري ـ قد يتمنى لنفسه البلاء بحسده للناس فقد تكون النعمة التي يعيش الناس في كنفها ابتلاء من اللَّه سبحانه وتعالى لهم ، وقد عافاه اللَّه من ذلك الابتلاء فيتمناه لنفسه ، وأيضًا إذا رزق هو هذه النعم وزفت إليه وجوه الإحسان لم ينفك عن حاسدٍ يحسده فلو أذهب اللَّه النعمة عنك لحسده لك فقد زالت عنك نعم في الدين والدنيا، نعم الدين زالت عنك لحسدك الناس ونعم الدنيا زالت عنك لحسد الناس لك ولا حول ولا قوة إلا باللَّه العلي العظيم .

الحاسد تنزل عليه البلايا :

• ثم إن الحاسد تنزل عليه البلايا في الدنيا لهذه الكبيرة قال تعالى : ﴿وَمَا أَصَابَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَن كَثِيرٍ﴾ [الشورى: ٣٠] .

الحاسد مكروه عند الخلق :

• ثم إن الحاسد يكون مذمومًا عند الخلق مكروهًا بينهم لما

يعلمون من كراهيته لهم .

مثال للحاسد مع المحسود :

● ومن مضار الحسد كما ذكره الرازي حيث قال : إنك عساك تحسد رجلاً من أهل العلم وتحب أن يخطئ في دين اللَّه وتكشف خطأه ليفتضح وتحب أن يخرس لسانه حتى لا يتكلم أو يمرض حتى لا يعلم ولا يتعلم وأي إثم يزيد على ذلك ، وأي مرتبة أخس من هذه ، وقد ظهر من هذه الوجوه أيها الحاسد أنك بمثابة من يرمي حجرًا على عدوٍ ليصيب به مقتله فلا يصيبه بل يرجع إلى حدقته اليمنى فيقلعها فيزداد غضبه فيعود ويرميه ثانيًا أشد من الأول فيرجع الحجر على عينه الأخرى فيعميه فيزداد غيظه ويعود ثالثًا فيعود على رأسه فيشجه وعدوه سالم في كل الأحوال ، والوبال راجع إليه دائمًا وأعداؤه حواليه يفرحون به ويضحكون عليه ، بل حال الحاسد أقبح من هذا لأن الحجر العائد لم يفوت إلا العين ولو بقيت لفاتت بالموت ، وأما حسده فإنه يسوق إلى غضب اللَّه وإلى النار فلأن تذهب عينه في الدنيا خير له من أن يبقى له عين ويدخل بها النار فانظر كيف انتقم اللَّه من الحاسد إذا أراد زوال النعمة عن المحسود فما أزالها عنه ثم أزال نعمة الحاسد تصديقًا لقوله تعالى : ﴿وَلاَ يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلاَّ بِأَهْلِهِ﴾ [فاطر: ٤٣] فهذه الأدوية العلمية ، فمهما تفكر الإنسان فيها بذهن صاف وقلب حاضر انطفأ من قلبه نار الحسد ، وأما العمل النافع فهو أن يأتي بالأفعال المضادة لمقتضيات الحسد فإن بعثه الحسد على القدح فيه كلّف لسانه المدح له ،

وإن حمله على التكبر عليه كلَّف نفسه التواضع له ، وإن حمله على قطع أسباب الخير عنه كلف نفسه السعي في إيصال الخيرات إليه ، فمهما عرف المحسود ذلك طاب قلبه وأحب الحاسد ، وذلك يفضي آخر الأمر إلى زوال الحسد من وجهين :

الأول : أن المحسود إذا أحب الحاسد فعل ما يحبه الحاسد فحينئذ يصير الحاسد محبًّا للمحسود ويزول الحسد حينئذ .

الثاني : أن الحاسد إذ أتى بضد موجبات الحسد على سبيل التكلف يزيل ذلك بالآخرة طبعًا له فيزول الحسد عنه .

* * *

س ـ اذكر بعض أسباب الحسد وأسباب اشتداده ؟

ج : **أما أسباب الحسد** فقد ذكرناها في تفسير سورة البقرة بالتفصيل عند تفسير قوله تعالى : ﴿ **وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم** ... ﴾ [البقرة: ١٠٩] ، وهي على وجه الاجمال ما يلي :

١ ـ العداوة والبغضاء .

٢ ـ حب الدنيا بما فيها من رياسات وجاهات من غير قصد شرعي صحيح .

٣ ـ الشح بالخير على العباد .

٤ ـ ضعف الإيمان والخوف من تكبر الناس أو الخصم عليه .

٥ ـ خوف المزاحمة وفوت المقاصد .

٦ ـ حب تسخير البشر للنفس .

وفصلنا القول فيها هناك .

أما أسباب اشتداد الحسد فمنها ما يلي :

(١) **المجاورة والمخالطة** سواء في المعاشرة المنزلية أو في الأعمال المهنية أو في الرواتب الوظيفية أو الكوادر التنظيمية أو غير ذلك.

فترى التاجر يحسد التاجر ، ويزداد حسد التاجر للتاجر الذي يتاجر في نفس سلعته ، فرب رجل يبيع الطيب مثلاً يكسب في اليوم خمسمائة ريال مثلاً وبجانبه تاجر السيارات المرسيدس يكسب في اليوم الواحد مثلاً خمسمائة ألف ريال فلا يتجه نظره كثيرًا إليه ولا ينصب حسده في الغالب عليه لكنه ينصب على تاجرٍ للطيب يكسب في اليوم الواحد ألف ريال .

وكذلك الطبيب يحسد الطبيب ويزداد حسده للطبيب الذي هو في نفس تخصصه فينظر إلى عدد المرضى المقبلين عليه للعلاج ويعدهم عليه عدًّا وينظر كم شُفي على يديه وكم باء بالفشل في علاجه وهكذا .

وكذلك الزراع مع بعضهم ينظر إلى أرض صاحبه وكم أدخلت ، وكذلك سائر الصناع ، حتى الإِسكاف (الذي يصلح للناس نعالهم) يحسد الإِسكاف مثله ، ويكون بجواره مثلاً صاحب صيدلية يكسب ألف

ضعف ما يكسبه الإِسكاف ويتحصل عليه لكن لا يتجه بصر الإِسكاف بالدرجة الأولىٰ إلا لمن هو مثله .

وكذلك الزوجة تحسد أم زوجها (حماتها) لأنها ترىٰ أنها تأخذ قسطًا من حنان زوجها لكن إذا تزوج الزوج بثانية سرعان ما يتحول الحسد إلىٰ الضرة الجديدة[1] لأنها تنازع في شيء لا تنازع فيه أم الزوج ألا وهو الجماع وسائر متعلقات الزوجية .

وكذلك الجار يحسد جاره وينظر إلىٰ بنيانه هل ارتفع فوقه أم لا ، وعلىٰ قدر النعمة التي أنعم اللَّه بها علىٰ الجار يزداد حسد الآخر له (إلا من رحم ربي) .

وكذلك بعض من أوتي علمًا (إذا كان لا يريد بعلمه الدار الآخرة) يحسد من منَّ اللَّه عليه بعلم ، ومن هذا حسد أهل الكتاب لرسول اللَّه ﷺ فترىٰ العالم يحسد العالم (إلا من رحم اللَّه) وكذلك العابد يحسد العابد (وذلك في أوساط العباد) .

وكذلك سائر أنواع المخالطات ، خطاط يحسد خطاطًا ، نجار يحسد نجارًا ، حداد يحسد حدادًا .

وهكذا كلما اشتدت المجاورة كلما اشتد لهيب الحسد عند كثير

---

(١) قالت أم رومان رضي اللَّه عنها لعائشة ابنتها أم المؤمنين رضي اللَّه عنها ـ كما في حديث الإفك : فواللَّه لقلما كانت امرأة قط وضيئة عند رجل يحبها ولها ضرائر إلا أكثرن عليها ، وفي رواية الترمذي ـ وسندها صحيح ـ ، إلا حسدنها ، وفي «سنن الترمذي» من حديث عائشة ـ رضي اللَّه عنها ـ قالت : ما حسدت أحدًا ما حسدت خديجة . . .

ممن لا يؤمنون باللّه ولا باليوم الآخر .

٢ ـ ومن أسباب اشتداد الحسد **شدة البغي وكثرة التطاول على العباد** فكلما اشتد بغي الباغي وازداد كبره وتطاوله كلما تمنى له المظلوم زوال النعمة وتحولها عنه وكلما رأى الناس في شخص من الأشخاص زيادة في الكبر والترفع عليهم رغبوا في تحول النعمة عنه ونزول البلايا به دفعًا لغطرسته عليهم .

٣ ـ ومن أسباب اشتداده أيضًا **شدة البخل** ، فإذا رأى الناس في الرجل بخلاً وعدم إحسان إليهم رغبوا في زوال النعمة وتحولها عنه ، وإن لم تحصل لهم ، فهب أن جارًا وسع اللّه عليه وكان بخيلاً على الناس وكل يوم يدخل على أولاده بأصناف الفاكهة ، وأولاد الجيران ينظرون إليه ولا يهمه إلا بطنه وأولاده ؛ فيتأذى جاره لأذى أولاده المحرومين الناظرين إلى جارهم الثري البخيل عليهم ، فمن ثم يتمنى الجار لجاره زوال النعمة وتحولها عنه ، أما إذا دخل الرجل بيته فوجد جاره الثري وقد أرسل إليه بهدية له ولأولاده فمن ثم سيدعو له بالبركة وبالسعة والزيادة والحفظ ، ولكن ما يعقل ذلك إلا العالمون .

* * *

س ـ هل يحسد المؤمن ؟

ج : نعم قد يحسد المؤمن أخاه ، ومن ثم قال نبي اللّه الكريم يعقوب لولده يوسف عليهما السلام : ﴿ **يَا بُنَيَّ لا تَقْصُصْ رُءْيَاكَ عَلَىٰ**

إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُوا لَكَ كَيْدًا إِنَّ الشَّيْطَانَ لِلإِنسَانِ عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾ [يوسف:٥] .

وقال إخوة يوسف : ﴿ ... لَيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَىٰ أَبِينَا مِنَّا وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّ أَبَانَا لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ۝٨ اقْتُلُوا يُوسُفَ أَوِ اطْرَحُوهُ أَرْضًا يَخْلُ لَكُمْ وَجْهُ أَبِيكُمْ وَتَكُونُوا مِن بَعْدِهِ قَوْمًا صَالِحِينَ﴾ [يوسف: ٨، ٩] .

وتقدم حديث عامر بن ربيعة وكيف اتجه بعينه إلىٰ سهل بن حنيف رضي اللَّه عنه قائلاً : ما رأيت كاليوم ولا جلد مخبأة ، وفي رواية : ولا جلد عذراء ، وما نزل بسهل من وراء ذلك ، وكلاهما صحابي رضي اللَّه عنهما .

* * *

س ـ اذكر بعض الأحاديث التي ورد فيها تأثير الحسد والعين ؟

ج : من ذلك ما ورد في «مسند الإمام» أحمد و«سنن النسائي» و«موطأ مالك» و«سنن ابن ماجة» وغيرها بإسناد صحيح إلىٰ أبي أمامة ابن سهل بن حنيف قال : رأىٰ عامر بن ربيعة سهل بن حنيف يغتسل[1] فقال : ما رأيت كاليوم ولا جلد مخبأة فلُبِطَ سهل فأُتي رسول اللَّه ﷺ فقيل : يارسول اللَّه هل لك في سهل بن حنيف ، واللَّه ما يرفع رأسه[2] فقال : «هل تتهمون له أحدًا» قالوا : نتهم عامر بن ربيعة قال : فدعا

(١) هذا وإن كان ظاهره الإرسال لأن أبا أمامة تابعي لم يشاهد الواقعة إلا أنه في بعض الطرق عند النسائي وأحمد صرح بأنه أخذ ذلك عن أبيه فثبت الاتصال وصح الحديث والحمد للَّه .

(٢) في بعض الروايات.. واللَّه ما يرفع رأسه وما يفيق ، وفي رواية : أدرك سهلاً صريعًا ، وفي رواية: أن عامر بن ربيعة قال: ما رأيت كاليوم ولا جلد عذراء قال فوعك سهل مكانه واشتد =

رسول اللَّه ﷺ عامرًا فتغيظ عليه وقال : **«علام يقتل أحدكم أخاه ألا برَّكت[1] ؟! اغتسل له»** فغسل عامر وجهه ويديه ومرفقيه وركبتيه وأطراف رجليه وداخلة إزاره في قدح ثم صُبَّ عليه فراح سهل مع الناس ليس به بأس.

وأخرج البخاري ومسلم[2] من حديث أم سلمة رضي اللَّه عنها أن رسول اللَّه ﷺ قال لجارية في بيت أم سلمة زوج النبي ﷺ رأىٰ بوجهها سفعة [3] فقال : **«بها نظرة فاسترقوا لها»** يعني : بوجهها صفرة .

وفي «الصحيحين» أيضًا من حديث عائشة رضي اللَّه عنها قالت : كان رسول اللَّه ﷺ يأمرني أن أسترقي من العين[4] .

● وفي «صحيح مسلم» من حديث جابر بن عبد اللَّه رضي اللَّه عنهما قال : رخص النبي ﷺ لآل حزمٍ في رقية الحية وقال لأسماء بنت عميس : **«ما لي أرىٰ أجسام بني أخي[5] ضارعة[6] تصيبهم الحاجة ؟ »** قالت : لا ولكن العين تسرع إليهم قال : **«ارقيهم»** قالت : فعرضت

= وعكه فأتي رسول اللَّه ﷺ فأخبر ان سهلاً وعك وأنه غير رائح معك يا رسول اللَّه . .

(١) وفي رواية : **«إذا رأىٰ أحدكم من أخيه ما يعجبه فليدع له بالبركة»** .

(٢) أخرجه البخاري (حديث ٥٧٣٩) ومسلم (٢١٩٧) .

(٣) السفعة : التغير والسواد ، أو لون يخالف لون الوجه .

وقد انتقد الدارقطني رحمه اللَّه هذا الحديث .

(٤) أخرجه البخاري (١٠/ ١٩٩) ومسلم (١٤/ ١٨٤) .

(٥) يعني أبناء جعفر .

(٦) ضارعة أي نحيفة ، والحديث عند مسلم (١٤/ ١٨٥) .

عليه فقال : «ارقيهم» .

● وفي «الصحيحين» [1] من حديث أبي هريرة رضي اللَّه عنه أن رسول اللَّه ﷺ قال : «العين حق» .

* * *

س ـ هل ورد شيء عن رسول اللَّه ﷺ في النهي عن الحسد ؟

ج : نعم قد ورد ذلك فقد نهى رسول اللَّه ﷺ أمته عن التحاسد ففي «صحيح مسلم» من حديث أبي هريرة رضي اللَّه عنه قال : قال رسول اللَّه ﷺ : **«إياكم والظن فإن الظن أكذب الحديث ولا تحسسوا [2] ولا تجسسوا ولا تنافسوا [2] ولا تحاسدوا ولا تباغضوا ولا تدابروا وكونوا عباد اللَّه إخوانًا»** .



(١) البخاري (مع الفتح ١٠/٢٠٣) ومسلم (ص ١٧١٩) .

(٢) **قال النووي رحمه اللَّه** : التحسس بالحاء الاستماع لحديث القوم ، وبالجيم البحث عن العورات وقيل بالجيم التفتيش عن بواطن الأمور ، وأكثر ما يقال في الشر ، والجاسوس : صاحب سر الشر ، والناموس : صاحب سر الخير ، وقيل بالجيم أن تطلبه لغيرك ، وبالحاء أن تطلبه لنفسك . قال النووي رحمه اللَّه : وأما المنافسة والتنافس فمعناهما الرغبة في الشيء وفي الانفراد به ونافسته منافسةً إذا رغبت فيما رغب فيه ، وقيل معنى الحديث : التباري في الرغبة في الدنيا وأسبابها وحظوظها .

سُورَةُ النَّاسِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ ﴿١﴾ مَلِكِ النَّاسِ ﴿٢﴾ إِلَٰهِ النَّاسِ ﴿٣﴾ مِن شَرِّ الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ ﴿٤﴾ الَّذِي يُوَسْوِسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ ﴿٥﴾ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ ﴿٦﴾

س ـ اذكر معنى ما يلي :

إله ـ الوسواس ـ الخفاش ـ يوسوس ؟

ج :

الكلمة	معناها
إلـــــه	معبود (الذي له العبادة الحقة دون من سواه)
الوسواس	الوسواس هو الشيطان ، والوسوسة هي الحديث الخفي وهي الحديث سرًّا في الأُذن أيضًا ، ومنه وسوسة الحلي ، والوسواس أيضًا كثير الوسوسة
الخنـــاس	الشيطان يخنس عند ذكر اللَّه عز وجل أي يختفي ، والخناس كثير الاختفاء

الكلمة	معناها
يوسوس	يحدث في النفس

* * *

س ـ ما هو الشر المستعاذ منه في هذه السورة (سورة الناس) ؟

ج : **قال ابن القيم رحمه الله « التفسير القيم » :**

وهذه السورة مشتملة على الاستعاذة من الشر الذي هو سبب الذنوب والمعاصي كلها . وهو الشر الداخل في الإنسان ، الذي هو منشأ العقوبات في الدنيا والآخرة .

فسورة الفلق : تضمنت الاستعاذة من الشر الذي هو ظلم الغير له بالسحر والحسد . وهو شر من خارج .

وسورة الناس : تضمنت الاستعاذة من الشر الذي هو سبب ظلم العبد نفسه وهو شر من داخل .

فالشر الأول : لا يدخل تحت التكليف ، ولا يطلب منه الكف عنه . لأنه ليس من كسبه .

والشر الثاني في سورة الناس : يدخل تحت التكليف ، ويتعلق به النهي . فهذا شر المعائب . والأول شر المصائب . والشر كله يرجع إلى العيوب والمصائب ولا ثالث لهما .

فسورة الفلق تتضمن الاستعاذة من شر المصيبات . وسورة الناس تتضمن الاستعاذة من شر العيوب التي أصلها كلها الوسوسة .

❊ ❊ ❊

س ـ لماذا قيل : ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ﴾ [الناس: ١] مع أنه رب الخلق أجمعين ؟

ج : **قال صديق حسن خان في «فتح البيان» :**

وإنما قال رب الناس مع أنه رب جميع مخلوقاته للدلالة على شرفهم[1] ولكون الاستعاذة وقعت من شر ما يوسوس في صدورهم .

وانظر ما قاله عطية سالم في «تتمته لأضواء البيان» .

وطرح ابن الجوزي هذا السؤال في «زاد المسير» فقال :

فإن [قيل] : لم خص الناس هاهنا بأنه ربُّهم ، وهو ربُّ كل شيء ؟ فعنه جوابان :

أحدهما : لأنهم معظَّمون متميزون على غيرهم .

والثاني : لأنه لما أمر بالاستعاذة من شَرِّهم أعلم أنه ربهم ، ليعلم أنه هو الذي يعيذ من شرهم . ولما كان في الناس ملوك قال [عز وجل] : ﴿ مَلِكِ النَّاسِ ﴾ [الناس: ٢] ولما كان فيهم من يعبد غيره قال [عز وجل] : ﴿إِلَٰهِ النَّاسِ﴾ [الناس: ٣] .

---

(١) كما قال تعالى : ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ ... ﴾ [الإسراء: ٧٠] .

س ـ وضح معنى هذه الإضافات الثلاث ﴿رب النَّاس ، ملك النَّاس ، إله النَّاس﴾ بشيء من التفصيل ؟

ج : **أفاد في ذلك وأجاد ابن القيم رحمه اللّٰه تعالى في «التفسير القيم» ، فقال رحمه اللّٰه :**

وأما المستعاذ به : فهو اللّٰه ﴿**رَبِّ النَّاسِ ، مَلِكِ النَّاسِ ، إِلَهِ النَّاسِ**﴾ فذكر ربوبيته للناس ، وملكه إياهم ، وإلهيته لهم ، ولابد من مناسبة في ذكر ذلك في الاستعاذة من الشيطان، كما تقدم .

فنذكر أولاً معنى هذه الإضافات الثلاث . ثم وجه مناسبتها لهذه الاستعاذة فنقول :

الإضافة الأولى : إضافة الربوبية المتضمنة لخلقهم وتدبيرهم ، وتربيتهم ، وإصلاحهم ، وجلب مصالحهم ، وما يحتاجون إليه ، ودفع الشر عنهم ، وحفظهم مما يفسدهم . هذا معنى ربوبيته لهم . وذلك يتضمن قدرته التامة . ورحمته الواسعة ، وإحسانه ، وعلمه بتفاصيل أحوالهم ، وإجابة دعواتهم ، وكشف كرباتهم .

الإضافة الثانية : إضافة الملك : فهو ملكهم المتصرف فيهم : وهم عبيده ومماليكه ، وهو المتصرف لهم المدبر لهم كما يشاء ، النافذ القدرة فيهم ، الذي له السلطان التام عليهم ، فهو ملكهم الحق: الذي إليه مفزعهم عند الشدائد والنوائب ، وهو مستغاثهم ومعاذهم وملجأهم . فلا صلاح لهم ولا قيام إلا به وبتدبيره فليس لهم ملك غيره

يهربون إليه إذا دهمهم العدو ، ويستصرخون به إذا نزل العدو بساحتهم.

الإضافة الثالثة : إضافة الإلهية : فهو إلههم الحق ، ومعبودهم الذي لا إله لهم سواه ولا معبود لهم غيره . فكما أنه وحده هو ربهم ومليكهم لم يشركه في ربوبيته ولا في ملكه أحد ، فكذلك هو وحده إلههم ومعبودهم ، فلا ينبغي أن يجعلوا معه شريكًا في إلهيته ، كما لا شريك معه في ربوبيته وملكه .

وهذه طريقة القرآن يحتج عليهم بإقرارهم بهذا التوحيد على ما أنكروه من توحيد الإلهية والعبادة .

وإذا كان وحده هو ربنا وملكنا وإلهنا . فلا مفزع لنا في الشدائد سواه . ولا ملجأ لنا منه إلا إليه . ولا معبود لنا غيره . فلا ينبغي أن يُدْعَى ولا يخاف ولا يرجى ، ولا يُحَب سواه ، ولا يُذَلّ لغيره ، ولا يخضع لسواه ، ولا يتوكَّل إلا عليه ، لأن من ترجوه وتخافه وتدعوه وتتوكل عليه : إما أن يكون مُربِّيك والقيم بأمورك ، ومتولي شأنك وهو ربك ، فلا رب سواه ، أو تكون مملوكه وعبده الحق ، فهو ملك الناس حقًّا ، وكلهم عبيده ومماليكه ، أو يكون معبودك وإلهك الذي لا تستغني عنه طرفة عين ، بل حاجتك إليه أعظم من حاجتك إلى حياتك وروحك ، وهو الإله الحق إله الناس الذي لا إله لهم سواه .

فمن كان ربهم وملكهم وإلههم فهم جديرون أن لا يستعيذوا بغيره ، ولا يستنصروا بسواه ، ولا يلجأوا إلى غير حماه ، فهو كافيهم وحسبهم وناصرهم ووليهم ، ومتولي أمورهم جميعًا بربوبيته وملكه وإلهيته لهم ،

فكيف لا يلتجئ العبد عند النوازل ونزول عدوه به إلى ربه ومالكه وإلهه؟

فظهرت مناسبة هذه الإضافات الثلاث للاستعاذة : من أعدى الأعداء وأعظمهم عداوة ، وأشدهم ضررًا ، وأبلغهم كيدًا .

ثم إنه سبحانه كرر الاسم الظاهر ، ولو يوقع المضمر موقعه ، فيقول : رب الناس وملكهم وإلههم : تحقيقًا لهذا المعنى ، وتقوية له. فأعاد ذكرهم عند كل اسم من أسمائه ، ولم يعطف بالواو لما فيها من الإيذان بالمغايرة .

والمقصود : الاستعاذة بمجموع هذه الصفات ، حتى كأنها صفة واحدة .

وقدم الربوبية لعمومها وشمولها لكل مربوب .

وأخر الإلهية لخصوصها لأنه سبحانه إنما هو إله مَنْ عبده ووحده واتخذه دون غيره إلهًا . فمن لم يعبده ويوحده فليس بإلهه . وإن كان في الحقيقة لا إله له سواه ، ولكن المشرك ترك إلهه الحق واتخذ إلهًا غيره باطلاً .

ووسَّط صفة الملك بين الربوبية والإلهية لأن الملك هو المتصرف بقوله وأمره . فهو المطاع إذا أمر . وملكه لهم تابع لخلقه إياهم . فملكه من كمال ربوبيته . وكونه إلههم الحق من كمال ملكه . فربوبيته تستلزم ملكه وتقتضيه ، وملكه يستلزم إلهيته ويقتضيها ، فهو الرب

الحق، الملك الحق ، الإله الحق ، خلقهم بربوبيته ، وقهرهم بملكه، واستعبدهم بإلهيته .

فتأمل هذه الجلالة ، وهذه العظمة ، التي تضمنتها هذه الألفاظ الثلاثة على أبدع نظام ، وأحسن سياق ﴿ بِرَبِّ النَّاسِ ، مَلِكِ النَّاسِ ، إِلَهِ النَّاسِ ﴾ .

وقد اشتملت هذه الإضافات الثلاث على جميع قواعد الإيمان ، وتضمنت معاني أسمائه الحسنى .

أما تضمنها لمعاني أسمائه الحسنى: فإن الرب هو القادر الخالق، البارئ المصور ، الحي القيوم ، العليم السميع البصير ، المحسن المنعم ، الجواد المعطي . المانع ، الضار النافع ، المقدم المؤخر، الذي يضل من يشاء ، ويهدي من يشاء ، ويسعد من يشاء ، ويشقي من يشاء ، ويعز من يشاء ، ويذل من يشاء ـ إلى غير ذلك من معاني ربوبيته التي له منها ما يستحقه من الأسماء الحسنى .

وأما الملك : فهو الآمر الناهي ، المعز المذل ، الذي يصرِّف أمور عباده كما يحب ، ويقلِّبهم كما يشاء . وله من معنى الملك ما يستحقه من الأسماء الحسنى ، كالعزيز ، الجبار المتكبر ، الحسيب المجيد ، الوالي المتعالي ، مالك الملك المقسط الجامع ـ إلى غير ذلك من الأسماء العائدة إلى الملك .

وأما الإله : فهو الجامع لجميع صفات الكمال ونعوت الجلال . فيدخل في هذا الاسم جميع الأسماء الحسنى . ولهذا كان القول

الصحيح : أن «اللَّه» أصله الإله . كما هو قول سيبويه وجمهور أصحابه، إلا من شذ منهم ، وأن اسم اللَّه تعالىٰ هو الجامع لجميع معاني الأسماء الحسنىٰ والصفات العلىٰ . فقد تضمنت هذه الأسماء الثلاثة جميع معاني أسمائه الحسنىٰ . فكان المستعيذ بها جديرًا بأن يعاذ ويحفظ . ويمنع من الوسواس الخناس ولا يسلط عليه .

وأسرار كلام اللَّه أجل وأعظم من أن تدركها عقول البشر . وإنما غاية أولي العلم الاستدلال بما ظهر منها علىٰ ما وراءه ، وأن نسبة باديه إلىٰ الخافي يسير .

وقال عطية سالم في «تتمته لأضواء البيان» :

فجاء بالملك والإله للدلالة علىٰ العموم ، في معنىٰ رب الناس ، فهو سبحانه رب العالمين ورب كل شيء ، ولكن إضافته هنا إلىٰ خصوص الناس إشعار بمزيد اختصاص ، ورعاية الرب سبحانه لعبده الذي دعاه إليه ليستعيذ به من عدوه ، كما أن فيه تقوية رجاء العبد في ربه بأنه سبحانه بربوبيته سيحمي عبده لعبوديته ويعيذه مما استعاذ به منه.

ويقوي هذا الاختصاص إضافة الرب للرسول ﷺ في جميع أطواره منذ البدأين : بدء الخلقة وبدأ الوحي ، في قوله : ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ۝١ خَلَقَ الإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ ۝٢﴾ [العلق: ١، ٢]، ثم في نشأته ﴿مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ ـ إلىٰ قوله ـ أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَىٰ ۝٦ وَوَجَدَكَ ضَالاً فَهَدَىٰ ۝٧ وَوَجَدَكَ عَائِلاً فَأَغْنَىٰ﴾ [الضحى: ٣ - ٨] .

وجعل الرغبة إليه في السورة بعدها : ﴿وَإِلَىٰ رَبِّكَ فَارْغَبْ﴾

[الشرح: ٨] بعد تعداد النعم عليه من شرح الصدر ، ووضع الوزر ، ورفع الذكر ، ثم في المنتهى قوله : ﴿ إِنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ الرُّجْعَىٰ ﴾ [العلق: ٨] .

قوله تعالى : ﴿مَلِكِ النَّاسِ ۝٢﴾ [الناس: ٢] في مجيء ملك الناس بعد رب الناس ، تدرج في التنبيه على تلك المعاني العظام ، وانتقال بالعباد من مبدإ الإيمان بالرب لما شاهدوه من آثار الربوبية في الخلق والرزق ، وجميع تلك الكائنات ، كما تقدم في أول نداء وجه إليهم ﴿اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ۝٢١ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الأَرْضَ فِرَاشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَأَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَّكُمْ﴾ [البقرة: ٢١، ٢٢] .

كل هذه الآثار لمسوها وأقروا بموجبها ، بأن الذي أوجدها هو ربهم ، ومن ثم ينتقلون إلى الدرجة الثانية ، وهي أن ربه الذي هذه أفعاله هو ملكه وهو المتصرف في تلك العوالم ، وملك لأمره وجميع شئونه ، ومالك لأمر الدنيا والآخرة جميعًا .

فإذا وصل بإقراره إلى هذه الإدراك ، أقر له ضرورة بالألوهية وهي المرتبة النهاية . إله الناس أي مألوههم ومعبودهم وهو ما خلقهم إليه ، ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات: ٥٦] .

وفي إضافة الملك إلى الناس من إشعار الاختصاص ، مع أنه سبحانه ملك كل شيء، فيه ما في إضافة الرب للناس المتقدم بحثه، فهو سبحانه مالك الملك كما في قوله تعالى : ﴿قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي

الْمُلْكَ مَن تَشَاءُ وَتَنزِعُ الْمُلْكَ مِمَّن تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَاءُ ﴾ [آل عمران: ٢٦] .

وقوله تعالى : ﴿ لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ ﴾ [التغابن: ١] .

وقوله : ﴿ لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ ﴾ [الحديد: ٢] وقوله : ﴿ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ ﴾ [الحشر: ٢٣] .

فهو سبحانه وتعالى المتفرد بالملك لا شريك له في ملكه ، كما قال تعالى : ﴿ وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ ﴾ [الإسراء: ١١١] فبدأ بالحمد أولاً .

ومثله قوله : ﴿ فَسُبْحَانَ الَّذِي بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ ﴾ [يس: ٨٣] بدأ بتسبيح نفسه وتنزيهه لعموم الملك ومطلق التصرف ونفي الشريك لأن ملكه ملك تصرف وتدبير مع الكمال في الحمد والتقديس .

وكقوله : ﴿ تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ [الملك: ١] .

وبهذه النصوص يعلم كمال ملكه تعالى ، ونقص ملك ما سواه من ملوك الدنيا ، ونعلم أن ملكهم بتمليك اللَّه تعالى إياهم كما في قوله تعالى : ﴿ وَاللَّهُ يُؤْتِي مُلْكَهُ مَن يَشَاءُ ﴾ [البقرة: ٢٤٧] .

وقوله : ﴿ قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَن تَشَاءُ وَتَنزِعُ الْمُلْكَ مِمَّن تَشَاءُ ﴾ [آل عمران: ٢٦] .

ومن المعلوم أن ملوك الدنيا ملكهم ملك سياسة ورعاية ، لا ملك تملك وتصرف ، وكما في قوله تعالى : ﴿ وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ اللَّهَ قَدْ

بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا قَالُوا أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُ الْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِالْمُلْكِ مِنْهُ وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِّنَ الْمَالِ قَالَ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ وَاللَّهُ يُؤْتِي مُلْكَهُ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٤٧] .

والجدير بالتنبيه عليه بهذه المناسبة أن «بريطانيا» تحترم نظام الملكية إلى هذا الوقت الحاضر ، بدافع من هذا المعتقد ، وأنه لا مالك إلا بتمليك اللَّه إياه ، وأن ملوك الدنيا باصطفاء من اللَّه .

والآية تشير إلى ما نحن بصدد بيانه ، من أن ملوك الدنيا لا يملكون أمر الرعية لأن طالوت ملكًا [1]، وليس مالكًا لأموالهم .

بينما ملك اللَّه تعالى ملك خلق وإيجاد وتصرف ، كما في قوله تعالى : ﴿لِّلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ يَهَبُ لِمَن يَشَاءُ إِنَاثًا وَيَهَبُ لِمَن يَشَاءُ الذُّكُورَ ﴿٤٩﴾ أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنَاثًا وَيَجْعَلُ مَن يَشَاءُ عَقِيمًا إِنَّهُ عَلِيمٌ قَدِيرٌ﴾ [الشورى: ٤٩، ٥٠] .

وعليم قدير هنا من خصائصه سبحانه وتعالى ، فيتصرف في ملكه بعلم وعن قدرة كاملين سبحانه ، له ملك السموات والأرض يحيي ويميت وهو على كل شيء قدير .

وتظهر حقيقة ذلك إذا جاء اليوم الحق ، فيتلاشى كل ملك قلَّ أو كثر ، ويذل كل ملك كبر أو صغر ، ولم يبق إلا ملكه تعالى يوم هم بارزون ، لا يخفى على اللَّه منهم شيء ، لمن الملك اليوم للَّه الواحد القهار .

---

(١) صوابه : ملكٌ .

وفي سورة الفاتحة ﴿مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾ [الفاتحة: ٤] .

والقراءة الأخرىٰ ﴿مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾ [الفاتحة: ٤] .

في القراءتين معًا إشعار بالفرق بين ملك اللَّه وملك العباد ، كالفرق بين الملك المطلق والملك النسبي ، إذ الملك النسبي لا يملك. والملك المطلق فهو الملك القدوس ، والذي بيده ملكوت كل شيء وإليه ترجع الخلائق كلهم .

ومن كانت هذه صفاته ، فهو المستحق لأن يعبد وحده سبحانه ، ولا يشرك معه أحد ، وهذا هو شعار العبد في الركن الخامس من أركان الإسلام ، حين يهلّ بالتلبية : إن الحمد والنعمة لك والملك لا شريك لك .

* * *

س ـ بدأ باسم الرب سبحانه وتعالىٰ في قوله عز وجل : ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ . .﴾ [الناس: ١] **والرب اسم لمن قام بتدبير الأمور وإصلاحها ولمن قام بالتربية والحفظ إلىٰ غير ذلك من مدلولات كلمة الرب ومعانيها فلماذا لم يقتصر علىٰ ذكر بِرَبِّ النَّاسِ وقال سبحانه :** ﴿مَلِكِ النَّاسِ ۝٢ إِلَٰهِ النَّاسِ﴾ [الناس: ٢ - ٣] ؟

ج : **قال صديق حسن خان في «فتح البيان» :**

وقوله : ﴿مَلِكِ النَّاسِ﴾ [الناس: ٢] عطف بيان جيء به لبيان أن رتبته سبحانه ليست كرتبة سائر الملاك لما تحت أيديهم من مماليكهم

بـل بطريق الملك الكامل والسلطان القاهر ، وقد أجمع جميع القـراء في هذه السورة على إسقاط الألف بخلاف الفاتحة فاختلفوا فيها كما مضى .

﴿إِلَٰهِ النَّاسِ﴾ [الناس: ٣] هو أيضًا عطف بيان لبيان أن ربوبيته وملكه قد انضم إليهما المعبودية المؤسسة على الألوهية المقتضية للقدرة التامة على التصرف الكلي بالإيجاد والإعدام .

وأيضًا الرب قد يكون ملكًا وقد لا يكون ملكًا كما يقال رب الدار، ورب المتاع ، ومنه قوله : ﴿اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ﴾ [التوبة: ٣١] فبين أنه ملك الناس ، ثم المالك قد يكون إلهًا وقد لا يكون فبين أنه إله لأن اسم الإله خاص به لا يشاركه فيه أحد .

* * *

س ـ وضح معنى الوسواس ؟

ج : **قال ابن القيم رحمه اللَّه تعالى « التفسير القيم »** :

إذا عرف هذا ، فالوسواس : فَعْلال من وَسْوَسَ .

وأصل الوسوسة : الحركة أو الصوت الخفي الذي لا يحس ، فيحترز منه .

فالوسواس : الإلقاء الخفي في النفس ، إما بصوت خفي لا يسمعه إلا من ألقي إليه ، وإما بغير صوت ، كما يوسوس الشيطان إلى العبد .

ومن هذا : وسوسة الحلي وهو حركته الخفية في الأذن .

والظاهر ـ والله أعلم ـ أنها سميت وسوسة لقربها ، وشدة مجاورتها لمحل الوسوسة من شياطين الإنس . وهو الأُذن . فقيل : وسوسة الحلي . لأنه صوت مجاور للأُذن ، كوسوسة الكلام الذي يلقيه الشيطان في أُذن من يوسوس له .

ولما كانت الوسوسة كلامًا يكرره الموسوس ، ويؤكده عند من يلقيه إليه كرروا لفظها بإزاء تكرير معناها . فقالوا : وسوس وسوسة . فراعوا تكرير اللفظ ليفهم منه تكرير مسماه .

ونظير هذا : ما تقدم من متابعتهم حركة اللفظ بإزاء متابعة حركة معناه ، كالدوران ، والغليان ، والنزوان ، وبابه .

ونظير ذلك : زلزل ، ودكدك ، وقلقل ، وكبكب الشيء ، لأن الزلزلة حركة متكررة ، وكذلك الدكدكة ، والقلقلة ، وكذلك كبكب الشيء : إذا كبه في مكان بعيد ، فهو يُكَبُّ فيه كبًّا بعد كب كقوله تعالى : ﴿ فَكُبْكِبُوا فِيهَا هُمْ وَالْغَاوُونَ ﴾ [الشعراء: ٩٤] ومثله : رَضْرَضَهُ إذا كرر رَضَّه مرة بعد مرة . ومثله : ذَرْذَرَهُ ، إذا ذره شيئًا بعد شيء . ومثله : صَرْصَرَ الباب : إذا تكرر صريره ، ومثله : مَطْمَط الكلام : إذا مطّطه شيئًا بعد شيء ، ومثله : كفكف الشيء : إذا كرر كفَّه ، وهو كثير .

وقد علم بهذا أن من جعل هذا الرباعي بمعنى الثلاثي المضاعف لم يصب ، لأن الثلاثي لا يدل على تكرار ، بخلاف الرباعي المكرر،

فإذا قلت : ذَرّ الشيء وصر الباب ، وكفَّ الثوب ، ورض الحبَّ : لم يدل على تكرار الفعل ، بخلاف ذرذر ، وصرصر ، ونحوه .

فتأمله ، فإنه مطابق للقاعدة العربية في الحذو بالألفاظ جذو المعاني ، وقد تقدم التنبيه على ذلك ، فلا وجه لإعادته .

وكذلك قولهم: عَج العجل: إذا صوت. فإن تابع صوته، قالوا : عجعج . وكذلك ثَّجَّ الماء إذا صُبَّ . فإن تكرر ذلك قيل ثجثج.

والمقصود : أن الموسوس لما كان يكرر وسوسته ويتابعها ، قيل: وسوس .

* * *

س ـ لماذا وصف الشيطان بالخناس ؟

ج : قال بعض أهل العلم : ووصف الشيطان بالخناس لأنه كثير الاختفاء (أي : عند ذكر اللَّه عز وجل) ، ومنه قوله تعالى : ﴿فَلا أُقْسِمُ بِالْخُنَّسِ﴾ [التكوير: ١٥] يعني : النجوم لاختفاها بعد ظهورها . وقيل : الخناس اسم لإبليس كالوسواس . واللَّه أعلم .

* * *

س ـ اذكر معنى الخناس بشيء من التفصيل ؟

ج : **أحسن ابـن القيم رحمه اللَّه تعالى القول في هـذا الباب** [١]

---

(١) التفسير القيم .

فقال رحمه اللَّه :

وأما الخناس : فهو فعَّال ، من خنس يخنس: إذا توارىٰ واختفى.

ومنه قول أبي هريرة : لقيني النبي ﷺ في بعض طرق المدينة ، وأنا جنب . فانخنست منه[1] .

وحقيقة اللفظ : اختفاء بعد ظهور ، فليست لمجرد الاختفاء . ولهذا وصفت بها الكواكب في قوله تعالىٰ : ﴿فَلَا أُقْسِمُ بِالْخُنَّسِ﴾ [التكوير: ١٥] قال قتادة : هي النجوم تبدو بالليل وتخنس بالنهار ، فتختفي ولا ترىٰ . وكذلك قال علي رضي اللَّه عنه : هي الكواكب تخنس بالنهار فلا ترىٰ .

وقالت طائفة الخنَّس : هي الراجعة التي ترجع كل ليلة إلىٰ جهة المشرق ، وهي السبعة السيارة .

قالوا : وأصل الخنوس : الرجوع إلىٰ وراء . و «الخناس» مأخوذ من هذين المعنيين . فهو من الاختفاء والرجوع والتأخر . فإن العبد إذا غفل عن ذكر اللَّه جثم علىٰ قلبه الشيطان ، وانبسط عليه ، وبذر فيه أنواع الوساوس التي هي أصل الذنوب كلها . فإذا ذكر العبد ربه واستعاذ به ، انخنس وانقبض ، كما ينخنس الشيء ليتوارىٰ . وذلك

---

(١) أخرجه البخاري (فتح ١/ ٣٩٠) من حديث أبي هريرة رضي اللَّه عنه أن النبي ﷺ لقيه في بعض طرق المدينة وهو جنب فانخنس منه فذهب فاغتسل ثم جاء فقال : «أين كنت يا أبا هريرة ؟» قال : كنت جنبًا فكرهت أن أجالسك وأنا علىٰ غير طهارة فقال: «سبحان اللَّه إن المؤمن لا ينجس» . وأخرجه مسلم (ص ٢٨٣) بلفظ (فانسل) بدلاً من «فانخنس» .

الانخناس والانقباض : هو أيضًا تجمُّع ورجوع ، وتأخر عن القلب إلىٰ خارج . فهو تأخر ورجوع معه اختفاء .

وخنس وانخنس : يدل علىٰ الأمرين معًا . قال قتادة : الخناس : له خرطوم كخرطوم الكلب في صدر الإنسان . فإذا ذكر العبد ربه خنس . ويقال : رأسه كرأس الحية . وهو واضع رأسه علىٰ ثمرة القلب يُمَنِّيه ويحدثه . فإذا ذكر اللَّه خنس . وإذا لم يذكره عاد ، ووضع رأسه يوسوس إليه ويمنيه .

وجيء من هذا الفعل بوزن فعَّال الذي للمبالغة دون الخانس والمنخنس : إيذانًا بشدة هروبه ورجوعه ، وعظم نفوره عند ذكر اللَّه . وأن ذلك دأبه وديدنه لا أنه يعرض له ذلك عند ذكر اللَّه أحيانًا . بل إذا ذكر اللَّه هرب وانخنس وتأخر ، فإن ذكر اللَّه هو مقمعته التي يُقمَع بها، كما يقمع المفسد والشرير بالمقامع التي تردعه من سياط وحديد وعِصي ونحوها ، فذكر اللَّه يقمع الشيطان ويؤلمه ويؤذيه ، كالسياط والمقامع التي تؤذي من يضرب بها . ولهذا يكون شيطان المؤمن هزيلاً ضئيلاً مُضنًى ، مما يعذبه المؤمن ويقمعه به من ذكر اللَّه وطاعته .

وفي أثر عن بعض السلف: أن المؤمن يُنضي شيطانه كما يُنضي الرجل بعيره في السفر، لأنه كلما اعترضه صب عليه سياط الذكر، والتوجه والاستغفار والطاعة . فشيطانه معه في عذاب شديد. ليس بمنزلة شيطان الفاجر الذي هو معه في راحة ودعة . ولهذا يكون قويًّا عاتيًا شديدًا .

فمن لم يعذب شيطانه في هذه الدار بذكر اللَّه تعالىٰ وتوحيده

واستغفاره وطاعته عذبه شيطانه في الآخرة بعذاب النار . فلابد لكل أحد أن يعذب شيطانه أو يعذبه شيطانه .

وتأمل كيف جاء بناء «الوسواس» مكررًا لتكريره الوسوسة الواحدة مرارًا ، حتى يعزم عليها العبد ، وجاء بناء «الخناس» على وزن الفعال الذي يتكرر منه نوع الفعل ، لأنه كلما ذكر اللَّه انخنس ، ثم إذا غفل العبد عاوده بالوسوسة ، فجاء بناء اللفظين مطابقًا لمعنييهما .

***

س ـ كيف يوسوس شيطان الإنس في صدور الناس ؟

ج : **قال صديق حسن خان في «فتح البيان» :**

وأما شيطان الإنس فوسوسته في صدور الناس أنه يرى نفسه كالناصح المشفق فيوقع في الصدر من كلامه الذي أخرجه مخرج النصيحة ما يوقع الشيطان فيه بوسوسته كما قال تعالى : ﴿**شَيَاطِينَ الإِنسِ وَالْجِنِّ**﴾ [الأنعام: ١١٢] .

***

س ـ لماذا قال سبحانه وتعالى في الآية الكريمة : ﴿فِي صُدُورِ النَّاسِ﴾ [الناس: ٥] ولم يقل : في قلوب الناس ؟

ج : التمس بعض العلماء وجوهًا لذلك **فقال ابن القيم رحمه اللَّه تعالى « التفسير القيم » :**

(١) من العلماء من قال : إن المراد بالصدور هنا القلوب .

فصل

وتأمل السر في قوله تعالى: ﴿يُوَسْوِسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ﴾ [الناس: ٥] ولم يقل: في قلوبهم، والصدر: هو ساحة القلب وبيته. فمنه تدخل الواردات إليه، فتجتمع في الصدر ثم تلج في القلب. فهو بمنزلة الدهليز له. ومن القلب تخرج الأوامر والإرادات إلى الصدر، ثم تتفرق على الجنود. ومن فهم هذا فهم قوله تعالى: ﴿وَلِيَبْتَلِيَ اللَّهُ مَا فِي صُدُورِكُمْ وَلِيُمَحِّصَ مَا فِي قُلُوبِكُمْ﴾ [آل عمران: ١٥٤].

فالشيطان يدخل إلى ساحة القلب وبيته، فيلقي ما يريد إلقاءه إلى القلب، فهو موسوس في الصدر. ووسوسته واصلة إلى القلب. ولهذا قال تعالى: ﴿فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ الشَّيْطَانُ﴾ [طه: ١٢٠] ولم يقل «فيه» لأن المعنى أنه ألقى إليه ذلك، وأوصله إليه. فدخل في قلبه.

وقال القاسمي في «محاسن التأويل»: وقال الإمام: إنما جعل الوسوسة في الصدور على ما عهد في كلام العرب من أن الخواطر في القلب، والقلب مما حواه الصدر عندهم وكثيرًا ما يُقال (إن الشك يحوك في صدره) وما الشك إلا في نفسه وعقله وأفاعيل العقل في المخ، وإن كان يظهر لها أثر في حركات الدم وضربات القلب وضيق الصدر أو انبساطه.

* * *

س ـ اذكر طرفًا من وسوسة الشيطان وشيئًا من شروره؟

ج: وفِّق في إيراد ذلك العلامة ابن القيم رحمه اللَّه تعالى إذ قال في التفسير القيم:

فصل

وقوله : ﴿الذي يُوَسْوِسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ﴾ [الناس: ٥] صفة ثالثة للشيطان . فذكر وسوسته أولاً . ثم ذكر محلها ثانيًا ، وأنها في صدور الناس ثالثًا .

وقد جعل اللَّه للشيطان دخولاً في جوف العبد ونفوذًا إلى قلبه وصدره . فهو يجري منه مجرى الدم . وقد وكل بالعبد فلا يفارقه إلى الممات .

وفي «الصحيحين» من حديث الزهري عن علي بن حسين عن صفية بنت حُيَي ، قالت : كان رسول اللَّه ﷺ معتكفًا ، فأتيته أزوره ليلاً . فحدثته ثم قمت ، فانقلبت ، فقام معي ليقلبني . وكان مسكنها في دار أسامة بن زيد ، فمر رجلان من الأنصار. فلما رأيا النبي ﷺ أسرعا . فقال النبي ﷺ : **«على رِسلكما ، إنها صفية بنت حيي»** . فقالا : سبحان اللَّه يا رسول اللَّه فقال : **«إن الشيطان يجري من الإنسان مجرى الدم . وإني خشيت أن يقذف في قلوبكما سوءًا ـ أو قال ـ شيئًا»**(١) .

وفي «الصحيح» أيضًا عن أبي سلمة بن عبد الرحمن عن أبي هريرة قال : قال رسول اللَّه ﷺ : **«إذا نودي بالصلاة أدبر الشيطان وله ضراط . فإذا قضي أقبل. فإذا ثُوب بها أدبر . فإذا قضي أقبل ، حتى يخطر بين الإنسان وقلبه ، فيقول : اذكر كذا اذكر كذا ـ لما لم يكن يذكر ـ حتى لا يدري : أثلاثًا صلى أم أربعًا ؟ فإذا لم يدر : أثلاثًا صلى أم أربعًا ؟ سجد سجدتي السهو»**(٢) .

---

(١) أخرجه البخاري (فتح ٤/٢٧٨) ومسلم (١٤/١٥٦) .

(٢) أخرجه البخاري (فتح (٣/١٠٣) ومسلم (ص ٣٩٨) .

ومن وسوسته : ما ثبت في «الصحيح» عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال : «**يأتي الشيطان أحدكم فيقول : من خلق كذا ؟ من خلق كذا ؟ حتى يقول : من خلق الله ؟ فمن وجد ذلك فليستعذ بالله ولينته**»(١) .

وفي «الصحيح»: أن أصحاب رسول الله ﷺ قالوا: يا رسول الله إن أحدنا ليجد في نفسه ما لأن يَخِرَّ من السماء إلى الأرض أحبُّ إليه من أن يتكلم به ، قال : «**الحمد لله الذي رد كيده إلى الوسوسة**»(٢) .

ومن وسوسته أيضًا : أن يشغل القلب بحديثه حتى ينسيه ما يريد أن يفعله . ولهذا يضاف النسيان إليه إضافته إلى سببه . قال تعالى حكاية عن صاحب موسى أنه قال : ﴿**فَإِنِّي نَسِيتُ الْحُوتَ وَمَا أَنسَانِيهُ إِلاَّ الشَّيْطَانُ أَنْ أَذْكُرَهُ**﴾ [الكهف: ٦٣] .

وتأمل حكمة القرآن وجلالته كيف أوقع الاستعاذة من شر الشيطان الموصوف بأنه ﴿**الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ ۝٤ الَّذِي يُوَسْوِسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ**﴾ [الناس: ٤، ٥] ولم يقل : من شر وسوسته : لتعم الاستعاذة شره جميعه، فإن قوله : ﴿**مِن شَرِّ الْوَسْوَاسِ**﴾ [الناس: ٤] يعم كل شره. ووصفه بأعظم صفاته وأشدها شرًّا ، وأقواها تأثيرًا وأعمها فسادًا . وهي الوسوسة التي

---

(١) أخرجه البخاري (فتح ٦/٣٣٦) ومسلم (ص ١٢٠) .

(٢) إسناده صحيح .

أخرجه أحمد (١/ ٢٣٥) وأبو داود (٥١١٢) من طريق منصور عن ذر بن عبد الله الهمداني عن عبد الله بن شداد عن ابن عباس قال: جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله إني أحدث نفسي بالشيء لأن أخرَّ من السماء أحب إليَّ من أن أتكلم به قال : فقال النبي ﷺ : «**الله أكبر الله أكبر الحمد لله الذي رد كيده إلى الوسوسة**» .

هي مبادئ الإرادة ، فإن القلب يكون فارغًا من الشر والمعصية فيوسوس إليه ، ويُخطر الذنبَ بباله ، فيصوره لنفسه ويمنيه ، ويشهيه ، فيصير شهوة، ويزينها له ويحسنها ويخيلها له في خياله ، حتى تميل نفسه إليه، فيصير إرادة . ثم لا يزال يمثل له ويخيل ويمني ويشهي وينسي علمه بضررها ، ويطوي عنه سوء عاقبتها . فيحول بينه وبين مطالعته ، فلا يرى إلا صورة المعصية والتذاذه بها فقط. وينسى ما وراء ذلك . فتصير الإرادة عزيمة جازمة . فيشتد الحرص عليها من القلب ، فيبعث الجنود في الطلب. فيبعث الشيطان معهم مددًا لهم وعونًا . فإن فتروا حرّكهم. وإن ونُوا أزعجهم . كما قال تعالى : ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّا أَرْسَلْنَا الشَّيَاطِينَ عَلَى الْكَافِرِينَ تَؤُزُّهُمْ أَزًّا﴾ [مريم: ٨٣] أي : تزعجهم إلى المعاصي إزعاجًا . كلما فتروا أو ونوا أزعجتهم الشياطين وأزّتهم وأثارتهم . فلا تزال بالعبد تقوده إلى الذنب، وتنظم شمل الاجتماع بألطف حيلة وأتم مكيدة. وقد رضي لنفسه بالقيادة لفجرة بني آدم . وهو الذي استكبر وأبى أن يسجد لأبيهم . فلا بتلك النخوة والكبر ولا برضاه أن يصير قوادًا لكل من عصى اللَّه . كما قال بعضهم :

عجبت من إبليس في تيهه ∴ وقبح ما أظهر من نخوته

تاه على آدم في سجدة ∴ وصار قوادًا لذريته

فأصل كل معصية وبلاء : إنما هو الوسوسة . فلهذا وصفه بها لتكون الاستعاذة من شرها أهم من كل مستعاذ منه . وإلا فشره بغير الوسوسة حاصل أيضًا .

فمن شره : أنه لص سارق لأموال الناس . فكل طعام أو شراب لم يذكر اسم اللّه عليه فله فيه حظ بالسرقة والخطف[١] . وكذلك يبيت في البيت إذا لم يذكر فيه اسم اللّه ، فيأكل طعام الإنس بغير إذنهم ، ويبيت في بيوتهم بغير أمرهم ، فيدخل سارقًا ويخرج مغيرًا . ويدل على عوراتهم فيأمر العبد بالمعصية ثم يلقي في قلوب الناس يقظة ومنامًا أنه فعل كذا وكذا [٢] .

ومن هذا : أن العبد يفعل الذنب لا يطلع عليه أحد من الناس ، فيصبح والناس يَتحدثون به ، وما ذاك إلا أن الشيطان زينه له وألقاه في قلبه ، ثم وسوس إلى الناس بما فعل وألقاه إليهم ، فأوقعه في الذنب، ثم فضحه به . فالرب تعالى يستره والشيطان يجهد في كشف ستره وفضيحته . فيغتر العبد ويقول : هذا ذنب لم يره إلا اللّه . ولم يشعر بأن عدوه ساعٍ في إذاعته وفضيحته . وقل من يتفطن من الناس لهذه الدقيقة .

ومن شره : أنه إذا نام العبد عقد على رأسه عقدًا تمنعه من

---

(١) أخرج مسلم من حديث حذيفة رضي اللّه عنه أن رسول اللّه ﷺ قال : «**إن الشيطان يستحل الطعام أن لا يذكر اسم اللّه عليه**» (ص ١٥٩٧) .

واخرج مسلم أيضًا من حديث جابر بن عبد اللّه رضي اللّه عنه (ص ١٥٩٨) قال : قال رسول اللّه ﷺ : «**إذا دخل الرجل بيته فذكر اللّه عند دخوله وعند طعامه قال الشيطان لا مبيت لكم ولا عشاء وإذا دخل فلم يذكر اللّه عند دخوله قال الشيطان أدركتم المبيت وإذا لم يذكر اللّه عند طعامه قال : أدركتم المبيت والعشاء !!!**» .

(٢) ومن هنا لزم اتقاء مواطن الشبهات ، ولنا في فعل النبي ﷺ مع أصحابه في قصة صفية بنت حيي حين قال : «**إنها صفية**» أسوة حسنة .

اليقظة. كما في «صحيح البخاري» عن سعيد بن المسيب عن أبي هريرة أن رسول اللَّه ﷺ قال : «**يعقد الشيطان على قافية رأس أحدكم ـ إذا هو نام ـ ثلاث عقد ، يضرب على كل عقدة مكانها : عليك ليلٌ طويل فارقد . فإن استيقظ فذكر اللَّه انحلَّت عقدة . فإن توضأ انحلت عقدة . فإن صلى انحلت عقده كلها . فأصبح نشيطًا طيب النفس ، وإلا أصبح خبيث النفس كسلان**»[1] .

ومن شره : أنه يبول في أذن العبد حتى ينام إلى الصباح ، كما ثبت عن النبي ﷺ أنه ذكر عنده رجل نام ليله حتى أصبح . فقال : «**ذاك رجل بال الشيطان في أذنيه ، أو قال : في أذنه** » رواه البخاري[2] .

ومن شره : أنه قعد لابن آدم بطرق الخير كلها . فما من طريق من طرق الخير إلا والشيطان مرصد عليه يمنعه بجهده أن يسلكه . فإن خالفه وسلكه ثَبَّطه فيه وعَوَّقه وشوش عليه بالمعارضات والقواطع . فإن عمله وفرغ منه قَيَّض له ما يبطل أثره ويرده على حافرته .

ويكفي من شره : أنه أقسم باللَّه ليقعدن لبني آدم صراطه المستقيم. وأقسم ليأتينهم من بين أيديهم ومن خلفهم وعن أيمانهم وعن شمائلهم.

ولقد بلغ شره : أن أعمل المكيدة وبالغ في الحيلة حتى أخرج آدم من الجنة . ثم لم يكفه ذلك حتى استقطع من أولاده شُرْطة للنار ، من

---

(١) صحيح أخرجه البخاري (فتح ٣/ ٢٤ ، ٦/ ٣٣٥) ومسلم (٦/ ٦٥) .

(٢) أخرجه البخاري (فتح ٣/ ٢٨) ومسلم (٦/ ٦٣) .

كل ألف : تسعمائة وتسعة وتسعين[١] . ثم لم يكفه ذلك حتى أعمل الحيلة في إبطال دعوة اللّٰه من الأرض وقصد أن تكون الدعوة له ، وأن يُعبَد هو من دون اللّٰه . فهو ساع بأقصى جهده على إطفاء نور اللّٰه ، وإبطال دعوته ، وإقامة دعوة الكفر والشرك ، ومحو التوحيد وأعلامه من الأرض .

ويكفي من شره : أنه تصدى لإبراهيم خليل الرحمن حتى رماه قومه بالمنجنيق في النار . فرد اللّٰه كيده عليه . وجعل النار على خليله بردًا وسلامًا .

وتصدى للمسيح ﷺ حتى أراد اليهود قتله وصلبه . فرد اللّٰه كيده . وصان المسيح ورفعه إليه .

وتصدى لزكريا ويحيى حتى قتلا .

واستثار فرعون حتى زين له الفساد العظيم في الأرض ، ودعوى أنه ربهم الأعلى .

وتصدى للنبي ﷺ وظاهرَ الكفار على قتله بجهده . واللّٰه تعالى يُكْبته ويرده خاسئًا .

---

(١) وذلك كما في حديث أبي سعيد الخدري رضي اللّٰه عنه (عند البخاري «فتح» ٨/ ٤٤١) ومسلم (٣/ ٩٧) مرفوعًا وفيه : **«يقول اللّٰه عز وجل: يا آدم ، فيقول: لبيك ربنا وسعديك فيقول : إن اللّٰه يأمرك أن تخرج من ذريتك بعثًا إلى النار ، قال : يا رب وما بعث النار ؟ قال : من كل ألف تسعمائة وتسعة وتسعين ! فحينئذ تضع الحامل حملها ويشيب الولد وترى الناس سكارى وما هم بسكارى ولكن عذاب اللّٰه شديد»** فشق ذلك على الناس حتى تَغيَّرت وجوههم فقال النبي ﷺ : **«من يأجوج ومأجوج تسعمائة وتسعة وتسعين ومنكم واحد ..»** الحديث .

وتفلّت على النبي ﷺ بشهاب من نار ، يريد أن يرميه به . وهو في الصلاة . فجعل النبي ﷺ يقول : «**ألعنك بلعنة اللّه**»[1] .

وأعان اليهود على سحرهم للنبي ﷺ .

فإذا كان هذا شأنه وهمته في الشر ، فكيف الخلاص منه إلا بمعونة اللّه وتأييده وإعاذته ؟

ولا يمكن حصر أجناس شره ، فضلاً عن آحادها . إذ كل شر في العالم فهو السبب فيه . ولكن ينحصر شره في ستة أجناس[2] . لا يزال بابن آدم حتى ينال منه واحدًا منها أو أكثر .

---

(١) أخرج مسلم في «صحيحه» (ص ٣٨٥) من حديث أبي الدرداء رضي اللّه عنه قال : قام رسول اللّه ﷺ فسمعناه يقول : «**أعوذ باللّه منك**» ثم قال : «**ألعنك بلعنة اللّه**» ثلاثًا وبسط يده كأنه يتناول شيئًا فلما فرغ من الصلاة قلنا : يا رسول اللّه قد سمعناك تقول في الصلاة شيئًا لم نسمعك تقوله قبل ذلك ورأيناك بسطت يدك قال : «**إن عدو اللّه إبليس جاء بشهاب من نار ليجعله في وجهي فقلت : أعوذ باللّه منك ثلاث مرات ، ثم قلت : ألعنك بلعنة اللّه التامة فلم يستأخر ثلاث مرات ، ثم أردت أن آخذه واللّه لولا دعوة أخينا سليمان لأصبح موثقًا يلعب به ولدان أهل المدينة**» .

(٢) لعل مما يشهد لهذه التقسيمات قول الرسول ﷺ الذي أخرج مسلم (ص ٢١٦٧) من حديث جابر بن عبد اللّه رضي اللّه عنه قال : قال رسول اللّه ﷺ : «**إن إبليس يضع عرشه على الماء ثم يبعث سراياه فأدناهم منه منزلة أعظمهم فتنة يجيء أحدهم فيقول : فعلت كذا وكذا فيقول : ما صنعت شيئًا قال : ثم يجيء أحدهم فيقول ما تركته حتى فرقت بينه وبين امرأته قال : فيدنيه منه ويقول : نعم أنت**» .

وهذا يدل على أن إبليس إنما يحرض على الإغواء بصورة أكبر وقد تقدم أنه يأتي ابن آدم فيقول من خلق كذا من خلق كذا حتى يقول : من خلق اللّه !! نسأل اللّه العافية والثبات ونعوذ باللّه من شر الشيطان وشركه .

الشر الأول : شر الكفر والشرك ، ومعاداة اللَّه ورسوله . فإذا ظفر بذلك من ابن آدم برد أنينه ، واستراح من تعبه معه . وهو أول ما يريد من العبد . فلا يزال به حتى يناله منه . فإذا نال ذلك صيَّره من جنده وعسكره ، واستنابه على أمثاله وأشكاله . فصار من دعاة إبليس ونُوَّابه . فإن يئس منه من ذلك ، وكان ممن سبق له الإسلام في بطن أمه نقله إلى المرتبة الثانية من الشر . وهي البدعة ، وهي أحب إليه من الفسوق والمعاصي . لأن ضررها في نفس الدين . وهو ضرر متعد . وهي ذنب لا يتاب منه ، وهي مخالفة لدعوة الرسل ، ودعاء إلى خلاف ما جاءوا به . وهي باب الكفر والشرك . فإذا نال منه البدعة ، وجعله من أهلها صار أيضًا نائبه ، وداعيًا من دعاته .

فإن أعجزه من هذه المرتبة ، وكان العبد ممن سبقت له من اللَّه موهبة السنة ، ومعاداة أهل البدع والضلال ، نقله إلى المرتبة الثالثة من الشر . وهي الكبائر على اختلاف أنواعها . فهو أشد حرصًا على أن يوقعه فيها . ولا سيما إن كان عالمًا متبوعًا . فهو حريص على ذلك ، لينفر الناس عنه ، ثم يشيع ذنوبه ومعاصيه في الناس ، ويستنيب منهم من يشيعها ويذيعها تدينًا وتقربًا بزعمه إلى اللَّه تعالى وهو نائب إبليس ولا يشعر . فإن الذين يحبون أن تشيع الفاحشة في الذين آمنوا لهم عذاب أليم في الدنيا والآخرة . هذا إذا أحبوا إشاعتها وإذاعتها . فكيف إذا تولوا هم إشاعتها وإذاعتها ، لا نصيحة منهم ، ولكن طاعة لإبليس ونيابة عنه . كل ذلك لينفر الناس عنه ، وعن الانتفاع به .

وذنوب هذا ـ ولو بلغت عنان المساء ـ هي أهون عند اللَّه من ذنوب هؤلاء ، فإنها ظلم منه لنفسه ، إذا استغفر اللَّه وتاب إليه قبل اللَّه توبته ، وبَدَّل سيئاته حسنات .

وأما ذنوب أولئك : فظلم للمؤمنين ، وتتبع لعوراتهم ، وقصد لفضيحتهم . واللَّه سبحانه بالمرصاد ، لا تخفى عليه كمائنُ الصدر ، ودسائس النفوس .

فإن عجز الشيطان عن هذه المرتبة نقله إلى المرتبة الرابعة : وهي الصغائر التي إذا اجتمعت فربما أهلكت صاحبها . كما قال النبي ﷺ : **«إياكم ومُحقَّرات الذنوب ، فإن مثل ذلك مثل قوم نزلوا بفلاة من الأرض»** وذكر حديثًا معناه : أن كل واحد منهم جاء بعود حطب ، حتى أوقدوا نارًا عظيمة فطبخوا واشتووا [1] .

ولا يزال يسهل عليه أمر الصغائر حتى يستهين بها . فيكون صاحب الكبيرة الخائف منها أحسن حالاً منه .

فإن أعجزه العبد من هذه المرتبة نقله إلى المرتبة الخامسة : وهي إشغاله بالمباحات التي لا ثواب فيها ولا عقاب ، بل عاقبتها فوت الثواب الذي ضاع عليه باشتغاله بها .

---

(١) أخرجه أحمد بسند صحيح (٥/ ٣٣١) فقال : ثنا أنس بن عياض حدثني أبو حازم لا أعلمه إلا عن سهل بن سعد قال : قال رسول اللَّه ﷺ : **«إياكم ومحقرات الذنوب كقوم نزلوا في بطن واد فجاء ذا بعود وجاء ذا بعود حتى أنضجوا خبزتهم ، وإن محقرات الذنوب متى يؤخذ بها صاحبها تهلكه»** .

فإن أعجزه العبد من هذه المرتبة ، وكان حافظًا لوقته[1]، شحيحًا به . يعلم مقدار أنفاسه وانقطاعها ، وما يقابلها من النعيم والعذاب : نقله إلى المرتبة السادسة وهي : أن يشغله بالعمل المفضول عما هو أفضل منه ، ليزيح عنه الفضيلة ، ويفوته ثواب العمل الفاضل ، فيأمره بفعل الخير المفضول ، ويحضه عليه ، ويحسنه له إذا تضمن ترك ما هو أفضل وأعلى منه . وقلَّ من يتنبه لهذا من الناس . فإنه إذا رأى فيه داعيًا قويًّا ومحركًا إلى نوع من الطاعة لا يشك أنه طاعة وقربة . فإنه لا يكاد يقول : إن هذا الداعي من الشيطان . فإن الشيطان لا يأمر بخير ، ويرى أن هذا خير ، فيقول : هذا الداعي من اللَّه . وهو معذور . ولم يصل علمه إلى أن الشيطان يأمر بسبعين بابًا من أبواب الخير ، إما ليتوصل بها إلى باب واحد من الشر ، وإما ليفَوِّت بها خيرًا أعظم من تلك السبعين بابًا وأجل وأفضل .

وهذا لا يتوصل إلى معرفته إلا بنور من اللَّه يقذفه في قلب العبد ، يكون سببه تجريد متابعة الرسول ﷺ ، وشدة عنايته بمراتب الأعمال عند اللَّه، وأحبها إليه، وأرضاها له، وأنفعها للعبد، وأعمها نصيحة للَّه ولرسوله ، ولكتابه ، ولعباده المؤمنين ، خاصتهم وعامتهم، ولا يعرف

---

(١) لكن للأسف قد غفل كثير من الناس عن قيمة الوقت وتغافلوا عن حسابهم الأخروي عن ضياع أوقاتهم كما صح عن رسول اللَّه ﷺ أنه قال : **«لا تزول قدما عبد حتى يسأل عن أربع ومنها عن عمره فيما أفناه»** أو كما قال عليه السلام .

وقال رسول اللَّه ﷺ : **«نعمتان مغبون فيهما كثير من الناس الصحة والفراغ»** أخرجه البخاري في أول كتاب الرقاق من «صحيحه» .

هذا إلا من كان من ورثة الرسول ﷺ ونوابه في الأمة ، وخلفائه في الأرض . وأكثر الخلق محجوبون عن ذلك . فلا يخطر ذلك بقلوبهم. واللَّه يَمُنُّ بفضله على من يشاء من عباده .

فإذا أعجزه العبد من هذه المراتب الست وأعيي عليه : سلط عليه حزبه من الإنس والجن بأنواع الأذى والتكفير والتضليل والتبديع ، والتحذير منه ، وقصد إخماله وإطفائه ليشوش عليه قلبه . ويشغل بحربه فكره ، وليمنع الناس من الانتفاع به . فيبقى سعيه في تسليط المبطلين من شياطين الإنس والجن عليه ، لا يفتر ولا يني . فحينئذ يلبس المؤمن لأمَةَ الحرب ، ولا يَضعُها عنه إلى الموت ، ومتى وضعها أُسِر أو أصيب ، فلا يزال في جهاد حتى يلقى اللَّه .

فتأمل هذا الفصل . وتدبر موقعه ، وعظيم منفعته ، واجعله ميزانك تَزِن به الناس ، وتزن به الأعمال . فإنه يُطلعك على حقائق الوجود ومراتب الخلق . واللَّه المستعان ، وعليه التكلان .

ولو لم يكن في هذا التعليق إلا هذا الفصل لكان نافعًا لمن تدبره ووعاه .

* * *

س ـ قوله تعالى : ﴿مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ﴾ [الناس: ٦] تفسير لماذا ؟

ج : في ذلك قولان لأهل العلم :

أحدهما : أنه تفسير للذي يوسوس في صدور الناس ، فالمعنى: أن الذي يوسوس في صدور الناس هم الجنة والناس ، كما قال تعالى : ﴿ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ الإِنسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا ﴾ [الأنعام: ١١٢] .

الثاني : أنه تفسير للناس الذين يُوسوس إليهم ، فالمعنى أن الموسوس إليهم هم الجنة والناس ، فالوسواس الخناس يوسوس في صدورهما جميعًا ، إذ من الجن أقوام مؤمنون وهؤلاء المؤمنون لا ينجون من وسوسة الشيطان أيضًا .

قال تعالى : ﴿ قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ الْجِنِّ فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا ۝ يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ وَلَن نُّشْرِكَ بِرَبِّنَا أَحَدًا ... ﴾ [الجن: ١ ، ٢] إلى قولهم : ﴿ وَأَنَّا مِنَّا الصَّالِحُونَ وَمِنَّا دُونَ ذَلِكَ ... ﴾ [الجن: ١١] وقولهم: ﴿ وَأَنَّا مِنَّا الْمُسْلِمُونَ وَمِنَّا الْقَاسِطُونَ .. ﴾ [الجن: ١٤] .

فإن قال قائل : وهل توصف الجن بأنها من الناس ؟ فالإجابة على ذلك أنهم قد وصفوا بأنهم رجال كما قال تعالى : ﴿ وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ الإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ الْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا ﴾ [الجن: ٦] .

أو يُقال: إنهم دخلوا مع الناس تغليبًا ، والله أعلم .

قال ابن القيم رحمه الله « التفسير القيم » :

وقوله تعالى : ﴿ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ ﴾ [الناس: ٦] اختلف المفسرون

في هذا الجار والمجرور : بم يتعلق ؟

فقال الفراء وجماعة : هو بيان للناس الموسوس في صدورهم . والمعنى : يوسوس في صدور الناس الذين هم من الجن والإنس ، أي الموسوس في صدورهم قسمان : إنس وجن . فالوسواس يوسوس للجني ، كما يوسوس للإنسي .

وعلى هذا القول : فيكون ﴿مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ﴾ [الناس: ٦] نصب على الحال . لأنه مجرور بعد معرفة ، على قول البصريين . وعلى قول الكوفيين : نصب بالخروج من المعرفة . هذه عبارتهم . ومعناها: أنه لما لم يصلح أن يكون نعتًا للمعرفة انقطع عنها . فكان موضعه نصبًا .

والبصريون يقدرونه حالاً . أي كائنين من الجنة والناس . وهذا القول ضعيف جدًّا ، لوجوه :

أحدها : أنه لم يقم دليل على أن الجني يوسوس في صدر الجني . ويدخل فيه ، كما يدخل في الإنسي ، ويجري منه مجراه من الإنسي : فأي دليل يدل على هذا ، حتى يصح حمل الآية عليه ؟

الثاني : أنه فاسد من جهة اللفظ أيضًا . فإنه قال : ﴿الَّذِي يُوَسْوِسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ﴾ [الناس: ٥] فكيف يبين الناس بالناس . فإن معنى الكلام على قوله : ﴿يُوَسْوِسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ﴾ [الناس: ٥] الذين هم ، أو كائنين ، من الجنة والناس . أفيجوز أن يقال : في صدور الناس الذين

الذين هم من الناس وغيرهم ؟ هذا ما لا يجوز ، ولا هو في الاستعمال فصيح .

الرابع : أن «الجنة» لا يطلق عليهم اسم الناس بوجه ، لا أصلاً ولا اشتقاقًا ولا استعمالاً . ولفظهما يأبى ذلك . فإن الجن إنما سمو جِنًّا من الاجتنان ، وهو الاستتار . فهم مستترون عن أعين البشر . فسموا جِنًّا لذلك ، من قولهم جَنَّه الليل وأَجَنَّه : إذا ستره . وأجن الميت : إذا ستره في الأرض . قال :

ولا تبك ميتًا بعد ميت أجنه ⁂ علي وعباس وآل أبي بكر

يريد النبي ﷺ . ومنه الجنين لاستتاره في بطن أمه . قال تعالى : ﴿ **وَإِذْ أَنتُمْ أَجِنَّةٌ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ** ﴾ [النجم: ٣٢] ومنه المجن : لاستتار المحارب به من سلاح خصمه. ومنه الجنة: لاستتار داخلها بالأشجار. ومنه الجنة ـ بالضم ـ لما يقي الإنسان من السهام والسلاح . ومنه المجنون : لاستتار عقله .

وأما الناس : فبينه وبين الإنس مناسبة في اللفظ والمعنى ، وبينهما اشتقاق أوسط . وهو عقد تقاليب الكلمة على معنى واحد .

والإنس والإنسان : مشتق من الإيناس ، وهو الرؤية والإحساس . ومنه قوله : ﴿ **آنَسَ مِن جَانِبِ الطُّورِ نَارًا** ﴾ [القصص: ٢٩] أي : رآها ، ومنه : ﴿ **فَإِنْ آنَسْتُم مِّنْهُمْ رُشْدًا** ﴾ [النساء: ٦] أي : أحسستموه ورأيتموه .

فالإنسان سمي إنسانًا لأنه يونس ، أي بالعين يُرَىٰ . والناس فيه قولان .

أحدهما : أنه مقلوب من أنس، وهو بعيد. والأصل عدم القلب.

والثاني : وهو الصحيح ، أنه من النوس ، وهو الحركة المتتابعة. فسمي الناس ناسًا للحركة الظاهرة والباطنة ، كما سمي الرجل حارث وهمام ، وهما أصدق الأسماء كما قال النبي ﷺ : «**أصدق الأسماء : حارث وهمام**»[1] ، لأن كل أحد له هم وإرادة ، هي مبدأ ، وحرث

---

(١) أسانيده ضعيفة وهاك تفصيل ذلك .

أخرج أحمد في « مسنده » (٤/ ٣٤٥) وأبو داود رقم (٤٩٥٠) من طريق عقيل بن شبيب عن أبي وهب الجشمي وكانت له صحبة قال : قال رسول الله ﷺ : «**تسموا بأسماء الأنبياء ، وأحب الأسماء إلى الله عبد الله وعبد الرحمن وأصدقها الحارث وهمام ، وأقبحها حرب مرة**».

وهذا السند ضعيف فيه عقيل بن شبيب وهو مجهول .

وأخرج مسلم في «صحيحه» (ص ١٦٨٢) من حديث ابن عمر رضي الله عنهما قال : قال رسول الله : «**إن أحب أسمائكم إلى الله عبد الله وعبد الرحمن**» .

هكذا أخرجه مسلم مقتصرًا على هذا اللفظ .

وللحديث شاهد ذكره الشيخ ناصر الدين الألباني في «السلسلة الصحيحة» (رقم ١٠٤٠) عند ابن وهب في «جامعه» (ص ٧) من طريق داود بن قيس عن عبد الوهاب بن بخت مرفوعًا بلفظ: «**خير الأسماء عبد الله وعبد الرحمن ، وأصدق الأسماء همام وحارث ، وشر الأسماء حرب ومرة**» وقال الشيخ ناصر عقبه : وهذا إسناد مرسل صحيح رجاله رجال مسلم .

قلت : وليس الأمر كما قال فعبد الوهاب بن بخت لم يخرج له مسلم ، وقد وصف أيضًا بأنه كثير الأوهام راجع «الميزان» .

وأيضًا فإن هذا الإسناد المرسل الأقرب أنه معضل إذ إن عبد الوهاب من صغار التابعين ويقال إن روايته عن أنس وأبي هريرة مرسلة . =

وعمل، هو منتهى . فكل أحد حارث وهمام ، والحرث والهم : حركتا الظاهر والباطن . وهو حقيقة النَّوَس .

وأصل ناس : نوس ، تحركت الواو ، وقبلها : فتحة . فصارت ألفًا . هذان هما القولان المشهوران في اشتقاق «الناس» .

وأما قول بعضهم : إنه من النسيان ، وسمي الإنسان إنسانًا لنسيانه . وكذلك الناس سموا ناسًا لنسيانهم : فليس هذا القول بشيء . وأين النسيان، الذي مادته ن س ي إلى الناس الذي مادته ن و س ؟ وكذلك أين هو من الأنس الذي ماته أ ن س ؟

وأما إنسان فهو فعلان من أ ن س . والألف والنون في آخره زائدتان ، لا يجوز فيه غير هذا البتة . إذ ليس في كلامهم : أنس ، حتى يكون إنسانًا إفعالاً منه . ولا يجوز أن يكون الألف والنون في أوله زائدتين ، إذ ليس في كلامهم : انفعل . فيتعين أنه فعلان من الأنس .

= ثم ذكر له الشيخ طريقًا أخرى وهي رواية مرسلة فقال : وقد أخرجه ابن وهب أيضًا من رواية عبد الله بن عامر اليحصبي عن النبي ﷺ مرسلاً قال : وإسناده صحيح أيضًا .
لكن الشيخ نفسه قد بيَّن أن هذا لا يصلح شاهدًا لذلك فقال في «السلسلة الصحيحة» (رقم ٩٠٤) بعد أن ذكر رواية ابن بخت : وإسناده مرسل صحيح أيضًا لكن ابن بخت كان قد سكن الشام ، فمن الجائز أن يكون تلقاه عن اليحصبي فلا يتقوى أحدهما بالآخر كما هو ظاهر، وذكر له الشيخ شاهدًا آخر مرسل وهو ضعيف رغم إرساله إذ إن الحسن بن جابر لم يُوثّقه معتبر ولم يذكر في الرواة عنه سوى راويان فهو مجهول .
فحاصل الأمر : أن هناك رواية عقيل بن شبيب وهو مجهول ، والرواية المرسلة .
ولا نرى هذه تشهد لتلك فالحديث ضعيف باستثناء **«أحب الأسماء إلى الله عبد الله وعبد الرحمن»** فهي في مسلم كما بيناه . والله أعلم .

ولو كان مشتقًّا من نسي لكان نسيانًا لا إنسانًا .

فإن قلت : فهلا جعلته إفعلالاً . وأصله إنسيان ، كليلة إضحيان ، ثم حذفت الياء تخفيفًا فصار إنسانًا ؟

قلت : يأبي ذلك عدم إفعلال في كلامهم ، وحذف الياء بغير سبب ، ودعوىٰ ما لا نظير له . وذلك كله فاسد ، علىٰ أن «الناس» قد قيل : إن أصله الأناس . فحذفت الهمزة . فقيل : الناس . واستدل بقول الشاعر :

*** إن المنايا يطلعن علىٰ الأناس الغافلينا ***

ولا ريب أن أناسًا فعال . ولا يجوز فيه غير ذلك البتة . فإن كان أصل ناس أناسًا ، فهو أقوىٰ الأدلة علىٰ أنه من أنس ، ويكون الناس كالإنسان سواء في الاشتقاق .

ويكون وزن ناس ـ علىٰ هذا القول ـ: عال . لأن المحذوف فاؤه.

وعلىٰ القول الأول : يكون وزنه : فعل . لأنه من النوس .

وعلىٰ القول الضعيف : يكون وزنه : فلع . لأنه من نسي . فنقلت لامه إلىٰ موضع العين ، فصار ناسًا وزنه فلعًا .

والمقصود : أن «الناس» اسم لبني آدم . فلا يدخل الجن في مسماهم فلا يصح أن يكون «من الجنة والناس» بيانًا لقوله : ﴿**فِي صُدُورِ النَّاسِ**﴾ [الناس: ٥] وهذا واضح لا خفاء فيه .

فإن قيل : لا محذور في ذلك . فقد أطلق على الجن اسم الرجال. كما في قوله تعالى : ﴿وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ الإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ الْجِنِّ﴾ [الجن: ٦] فإذا أطلق عليهم اسم الرجال لم يمتنع أن يطلق عليهم اسم : الناس ؟

قلت : هذا هو الذي غَرَّ من قال : إن الناس اسم للجن والإنس في هذه الآية .

وجواب ذلك : أن اسم الرجال إنما وقع عليهم وقوعًا مقيدًا في مقابلة ذكر الرجال من الإنس . ولا يلزم من هذا أن يقع اسم الناس والرجال عليهم مطلقًا .

وأنت إذا قلت : إنسان من حجارة ، أو رجل من خشب ، ونحو ذلك : لم يلزم من ذلك : وقوع اسم الرجل والإنسان عند الإطلاق على الحجر والخشب .

وأيضًا فلا يلزم من إطلاق اسم الرجل على الجني أن يطلق عليه اسم الناس . وذلك لأن الناس والجنة متقابلان . وكذلك الإنس والجن. فالله سبحانه يقابل بين اللفظين كقوله : ﴿يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالإِنسِ﴾ [الرحمن: ٣٣] وهو كثير في القرآن . وكذلك قوله : ﴿مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ﴾ [الناس: ٦] يقتضي أنهما متقابلان . فلا يدخل أحدهما في الآخر ، بخلاف الرجال والجن . فإنهما لم يستعملا متقابلين . فلا يقال : الجن والرجال ، كما يقال : الجن والإنس .

وحينئذ فالآية أبين حجة عليهم في أن الجن لا يدخلون في لفظ «الناس» لأنه قابل بين الجنة والناس . فعلم أن أحدهما لا يدخل في الآخر .

فالصواب : القول الثاني : وهو أن قوله : ﴿مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ﴾ [الناس: ٦] بيان للذي يوسوس ، وأنهم نوعان إنس وجن . فالجني يوسوس في صدور الإنس ، والإنسي أيضًا يوسوس في صدور الإنس .

فالموسوس نوعان : إنس وجن فإن الوسوسة هي الإلقاء الخفي في القلب . وهذا مشترك بين الجن والإنس ، وإن كان إلقاء الإنسي ووسوستهُ إنما بواسطة الأذن ، والجني لا يحتاج إلى تلك الواسطة . لأنه يدخل في ابن آدم ، ويجري منه مجرى الدم . على أن الجني قد يتمثل له ، ويوسوس إليه في أذنه كالإنسي ، كما في البخاري عن عروة عن عائشة عن النبي ﷺ أنه قال : «**إن الملائكة تحدث في العنان ـ والعنان الغمام ـ بالأمر يكون في الأرض ، فتستمع الشياطين الكلمة ، فتقرها في أذن الكاهن ، كما تقر القارورة ، فيزيدون معها مائة كذبة من عند أنفسهم**»[1] .

---

(١) أخرجه البخاري (فتح ٦/٣٣٨) .

وأخرج البخاري (فتح ٨/٥٣٧) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن نبي الله ﷺ قال : «**إذا قضى الله الأمر في السماء ضربت الملائكة بأجنحتها خضعانًا لقوله كأنه سلسلة على صفوان فإذا فزع عن قلوبهم قالوا ماذا قال ربكم قالوا للذي قال : الحق وهو العلي الكبير فيسمعها مسترق السمع ، ومسترق السمع هكذا بعضه فوق بعض**» ، ووصف سفيان بكفّه =

فهذه وسوسة وإلقاء من الشيطان بواسطة الأذن .

ونظير اشتراكهما في هذه الوسوسة : اشتراكهما في الوحي الشيطاني . قال تعالى : ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ الإِنسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا ﴾ [الأنعام: ١١٢] .

فالشيطان يوحي إلى الإنسي باطله ، ويوحيه الإنسي إلى إنسي مثله. فشياطين الإنس والجن يشتركان في الوحي الشيطاني . ويشتركان

= فحرفها وبدد بين أصابعه : «فيسمع الكلمة فيلقيها إلى من تحته ثم يلقيها الآخر إلى من تحته حتى يلقيها على لسان الساحر أو الكاهن فربما أدرك الشهاب قبل أن يلقيها ، وربما ألقاها قبل أن يدركه فيكذب معها مائة كذبة فيقال : أليس قد قال لنا يوم كذا وكذا كذا وكذا فيصدق بتلك الكلمة التي سمع من السماء» .

وقوله تعالى : ﴿ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ ﴾ [الناس: ٦] .

قال القاسمي في «محاسن التأويل» :

وقوله تعالى : ﴿ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ ﴾ [الناس: ٦] بيان للذي يوسوس ، على أنه ضربان : ضرب من الجِنّة وهم الخلق المستترون الذين لا نعرفهم ، وإنما نجد في أنفسنا أثرًا ينسب إليهم ، وضرب من الإنس كالمضللين من أفراد الإنسان ، كما قال تعالى : ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ الإنسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا ﴾ [الأنعام: ١١٢] . وإيحاؤهم هو وسوستهم .

قال ابن تيمية : فإن قيل : فإن كان أصل الشر كله من الوسواس الخناس ، فلا حاجة إلى ذكر الاستعاذة من وسواس الناس ، فإنه تابع لوسواس الجن . قيل : بل الوسوسة نوعان : نوع من الجن ، ونوع من نفوس الإنس . كما قال : ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا الإِنسَانَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِ نَفْسُهُ ﴾ [ق: ١٦] فالشر من الجهتين جميعًا . والإنس لهم شياطين كما للجن شياطين .

وقال أيضًا : الذي يوسوس في صدور الناس نفسه لنفسه ، وشياطين الجن وشياطين الإنس . فليس من شرط الموسوس أن يكون مستترًا عن البصر ، بل قد يُشَاهَد .

في الوسوسة .

وعلى هذا : تزول تلك الإشكالات والتعسفات التي ارتكبها أصحاب القول الأول . وتدل الآية على الاستعاذة من شر نوعي الشياطين : شياطين الإنس ، وشياطين الجن .

وعلى القول الأول : إنما تكون استعاذة من شر شياطين الجن فقط . فتأمله فإنه بديع جداً .

فهذا ما منَّ اللَّه به من الكلام على بعض أسرار هاتين السورتين . وله الحمد والمنة . وعسى اللَّه أن يساعد بتفسير على هذا النمط . فما ذلك على اللَّه بعزيز . والحمد للَّه رب العالمين .

قال ابن الجوزي في «زاد المسير» :

قوله [عز وجل] : ﴿ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ ﴾ [الناس: ٦] الجنَّة : الجن : وفي معنى الآية قولان :

أحدهما : يوسوس في صدور الناس جِنَّتهم وناسهم ، فسمي الجن هاهنا ناسًا ، كما سمَّاهم رجالاً في قوله [عز وجل] : ﴿ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ الْجِنِّ ﴾ [الجن: ١] هذا قول الفراء . وعلى هذا القول يكون الوسواس موسوسًا للجن ، كما يوسوس للإنس .

والثاني : أن الوسواس : الذي يوسوس في صدور الناس ، هو من الجِنَّة ، وهم من الجن . والمعنى : من شر الوسواس الذي هو من الجن . ثم عطف قوله [عز وجل] : ﴿ وَالنَّاسِ ﴾ على

﴿الوسواس﴾ والمعنى من شر الوسواس ، ومن شر الناس كأنه أمر أن يستعيذ من الجن والإنس ، وهذا قول الزجاج .

* * *

جملة من الحروز التي يحترز بها العبد من الشيطان :

س ـ اذكر بعض الحروز التي يحترز بها العبد من الشيطان ؟

ج : من هذه الحروز ما يلي : ـ

الحرز الأول : ذكر اللَّه عز وجل :

فقد أخرج الإمام أحمد[1] رحمه اللَّه بسند صحيح من حديث الحارث الأشعري رضي اللَّه عنه أن نبي اللَّه ﷺ قال : «**إن اللَّه عزَّ وجل أمَرَ يحيىٰ بنَ زكريا عليهما السلام بخمسٍ كلمات أن تَعمل بهن وتأمر بني إسرائيل أن يَعملوا بهن ...**» فذكر الحديث وفيه : «**وآمركم بِذِكْرِ اللَّه عزَّ وجلَّ كثيرًا ، وإن مثل ذلك كمثل رجلٍ طَلَبَهُ العدوُّ سِراعًا في أثره فأتىٰ حصنًا حصينًا فَتَحَصَّنَ فيه وإن العبدَ أَحْصَنَ من الشيطان إذا كان في ذِكْرِ اللَّه عزَّ وجل**» .

الحرز الثاني : الإيمان باللَّه والتوكل عليه :

قال اللَّه سبحانه : ﴿**إِنَّهُ لَيْسَ لَهُ سُلْطَانٌ**[2] **عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ**

(١) أحمد (٤/ ١٣٠ و ٢٠٢) .

(٢) قال بعض العلماء : معناه ليس له عليهم سلطان أن يوقعهم في ذنب لا يتوبون منه بل كلما =

يَتَوَكَّلُونَ ﴿٩٩﴾ إِنَّمَا سُلْطَانُهُ عَلَى الَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُ وَالَّذِينَ هُم بِهِ مُشْرِكُونَ﴾ [النحل: ٩٩، ١٠٠] .

وقال عز وجل : ﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ﴾ [الطلاق: ٣] .

فمن توكل على اللَّه كفاه اللَّه شر كلِّ شيءٍ وإن كادته السموات والأرض ، وجعل له ربه من كل ضيق مخرجًا ، ومن كل همٍّ فرجًا .

● ومن هذا الباب ما ورد عن ابن عباس رضي اللَّه عنهما قال : كُنْتُ خلف رسولِ اللَّه ﷺ يومًا فقال : **«يا غلامُ إني أعلمك كلمات : احفظ اللَّه يحفظك ، احفظ اللَّه تجده تُجاهك ، إذا سَأَلْتَ فاسأل اللَّه ، وإذا استعنتَ فاستعن باللَّه ، واعلم أن الأمة لو اجتمعتْ على أن يَنفعوك بشيء لم ينفعوك إلا بشيءٍ قد كتبه اللَّه لك ولو اجتمعوا على أن يَضُروك بشيءٍ لم يضروك إلا بشيءٍ قد كتبه اللَّه عليك رُفِعَتِ الأقلامُ وجَفَّتِ الصحفُ»**[1] .

الحرز الثالث : ذكر اللَّه والوضوء والصلاة عند الاستيقاظ لحل عقد الشيطان :

وذلك لما أخرجه البخاري ومسلم [2] من حديث أبي هريرة

= أذنبوا تابوا ، وقيل : المعنى لا حجة له عليهم .

(١) وفي بعض الروايات «... واعلم أن في الصبر على ما تكره خيرًا كثيرًا ، وأن النصر مع الصبر وأن الفرج من الكرب وأن مع العسر يسرًا» .

وفي بعضها : «تعرف إلى اللَّه في الرخاء يعرفك في الشدة» . وهذه والتي قبلها تحتاج إلى مزيد نظر في إسنادها .

(٢) أخرجه البخاري (مع «الفتح» ٣/ ٢٤) ومسلم (مع النووي ٦/ ٦٥) .

رضي اللَّه عنه قال : قال رسول اللَّه ﷺ : «يَعقدُ الشيطانُ على قافيةِ رأسِ أحَدِكُم ـ إذا هو نام[١] ـ ثلاثَ عُقَدٍ يَضرب على كلِّ عُقدة مكانها : عليك ليلٌ طويلٌ ، فارقد ، فإن استيقظ فذكر اللَّه انحلتْ عُقدة ، فإن توضأ انحلت عُقدة ، فإن صلى انحلتْ عُقَدُهُ كلها فأصبح نشيطًا طيِّبَ النَّفسِ ، وإلا أَصبَحَ خبيثَ النَّفْسِ كسلانَ»[٢] .

الحرز الرابع : الاستنثار[٣] عند الاستيقاظ :

وذلك لما أخرجه البخاري ومسلم من حديث أبي هريرة رضي اللَّه عنه أن النبيَّ ﷺ قال : «إذا استيقظَ أحَدُكُم من مَنامِهِ فليستَنْثِر ثلاثَ مراتٍ

(١) استثنى بعض أهل العلم من ذلك من قرأ آية الكرسي عند النوم قالوا : لأن قائلها لا يقربه شيطان فقد قال الشيطان لأبي هريرة : إذا أويت إلى فراشك فاقرأ آية الكرسي من أولها حتى تختم الآية ﴿اللَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ﴾ [البقرة: ٢٥٥] فلن يزال عليك من اللَّه حافظ ولا يقربك شيطان حتى تصبح ، وقال رسول اللَّه ﷺ لأبي هريرة : «**صدقك وهو كذوب**» ، بينما أبى ذلك بعض أهل العلم لعموم قوله عليه الصلاة والسلام : «**على قافية رأس أحدكم**» وأجابوا على حديث آية الكرسي بأن يحمل عقد الشيطان على الأمر المعنوي ، والقرب (في حديث لا يقربك شيطان) على الأمر الحسي أو العكس ، قالوا : إذ لا يلزم من سحره إياه أن يماسه ، كما لا يلزم من مماسته أن يقربه بسرقةٍ أو أذىً في جسده ونحو ذلك ، واللَّه أعلم.

● واستثنى بعض العلماء من ذلك أيضًا من صلى العشاء في جماعة لما أخرجه مسلم وغيره من حديث عثمان بن عفان رضي اللَّه عنه قال : سمعت رسول اللَّه ﷺ يقول : «**من صلى العشاء في جماعة فكأنما قام نصف الليل ومن صلى الصبح في جماعة فكأنما صلى الليل كله**» . واللَّه تعالى أعلم .

(٢) ومن هنا يتضح لك سبب ما تراه من كآبة تعلو وجوه الكثيرين الذين يسهرون ليلهم أمام الملاهي من سينما ومسارح وتلفزيونات وغيرها ، ويصبحون فيما هم فيه لا يذكرون اللَّه إلا قليلاً ، نسأل اللَّه العافية .

(٣) الاستنثار هو إدخال الماء في الأنف ثم نثره .

فإن الشيطانَ يبيتُ على خَيَاشِيمِه»[١].

الحرز الخامس : ترك النوم إلى الصباح :

وذلك لما أخرجه البخاري ومسلم من حديث عبد اللَّه بن مسعود رضي اللَّه عنه قال : ذُكِرَ عند النبيِّ ﷺ رجلٌ نام[٢] ليلةً حتى أصْبَح قال: «ذاك رجلٌ بال[٣] الشيطانُ في أُذُنَيْه ، أو قال : في أُذُنِه»[٤].

الحرز السادس : وهو حرز عند دخول الخلاء :

أخرج البخاري ومسلم[٥] من حديث أنس بن مالك رضي اللَّه عنه قال : كان النبي ﷺ إذا أراد أن يدخل الخلاء قال : «اللهم إني أعوذُ بِك من الخُبْثُ[٦] والخبائث».

---

(١) الحديث أخرجه البخاري (٦/ ٣٣٩) ومسلم (٣/ ١٢٧) .

(٢) ذكر بعض العلماء أن معناها أنه نام عن صلاة الليل ، وبوَّب لها النووي بقوله : باب ما روي فيمن نام الليل أجمع حتى أصبح ، وذكر آخرون أنه نام عن المكتوبة .

(٣) ذكر بعض أهل العلم أن بول الشيطان بول حقيقي فكما أن الشيطان يأكل ويشرب ويجامع فكذلك هو يبول . وقال آخرون : بل المراد بذلك أن الشيطان استخف به وجعله كالكنيف موطنًا للبول ، وقيل : إن الشيطان ملأ سمعه بالأباطيل فحجب سمعه عن الذكر ، وقيل غير ذلك واللَّه أعلم .

(٤) أخرجه البخاري (مع الفتح ٣/ ٢٨) ومسلم (٦/ ٦٣) .

(٥) أخرجه البخاري (١٠/ ٢٤٢) ومسلم (٣٧٥) .

(٦) الخبث بضم الباء وبتسكينها أيضًا ، والمراد بالخبث : ذكران الشياطين ، والمراد بالخبائث: إناثهم . قاله عدد كبير من أهل العلم .

تنبيهان : الأول : إذا كان الشخص يقضي حاجته في أماكن لم تعد لذلك كالفضاء مثلاً فمتى يقول هذا الدعاء ؟ ذهب جمهور العلماء إلى أنه يقول عند تشمير الثياب .

الثاني : من نسي هذا الذكر حتى دخل الخلاء فمتى يقوله ؟ الذي يظهر واللَّه أعلم أنه يقوله =

الحرز السابع : الأذان :

فقد أخرج البخاري ومسلم[١] من حديث أبي هريرة رضي اللَّه عنه أن رسول اللَّه ﷺ قال : «**إذا نُودي للصلاة أدْبَر الشيطانَ وله ضُراط**[٢] **حتىٰ لا يَسمعَ التأذينَ ، فإذا قُضي النداء أقبل ، حتىٰ إذا ثُوِّبَ بالصلاة أدْبرَ ، حتىٰ إذا قُضي التثويب أقْبل حتىٰ يخطر بين المرءِ ونفسه يقول : اذكر كذا اذكر كذا لِما لم يكن يَذْكُر حتىٰ يظلَّ الرجل لا يدري كم صلىٰ**»[٣] .

وعن جابر رضي اللَّه عنه قال[٤] : سمعت النبي ﷺ يقول : «**إن الشيطانَ إذا سَمِعَ النداءَ بالصلاة ذَهَبَ حتىٰ يكون مكانَ الروحاء**[٥] »[*] .

= أيضًا ـ إذا كان نسيه ـ إذا دخل ما لم يجلس لقضاء حاجته فإذا جلس لقضاء حاجته فيستعيذ بقلبه لا بلسانه ، ففي «صحيح مسلم»: أن رجلاً مرَّ ورسول اللَّه ﷺ يبول فسلم فلم يرد عليه. وهذا من باب الكراهية وليس من باب التحريم لحديث عائشة رضي اللَّه عنها قالت : كان رسول اللَّه ﷺ يذكر اللَّه علىٰ كل أحيانه .

(١) أخرجه البخاري (٢/ ٨٤) ومسلم (ص ٢٩١) .

(٢) وفي رواية لمسلم: «**إن الشيطان إذا سمع النداء بالصلاة أحال له ضراط حتىٰ لا يسمع صوته فإذا سكت رجع فوسوس فإذا سمع الإقامة ذهب حتىٰ لا يسمع صوته فإذا سكت رجع فوسوس**».

(٣) في بعض الروايات عند مسلم زيادة : «**فهنَّاه ومنَّاه وذكَّره من حاجته ما لم يكن يذكر**» .

(٤) مسلم (٣٨٨) .

(٥) الروحاء علىٰ بعد ستة وثلاثين ميلاً من المدينة .

(*) **قال ابن الجوزي رحمه اللَّه :**

علىٰ الأذان هيبة يشتد انزعاج الشيطان بسببها لأنه لا يكاد يقع في الأذان رياء ولا غفلة عند النطق به . . . .

وإذا لم يكن هناك وقت أذان وأذَّن الشخص هل ينصرف الشيطان أيضًا ؟ فهم ذلك بعض أهل العلم، فذكر مسلم في «صحيحه» بإسناده إلىٰ أبي صالح قال: أرسلني أبي إلىٰ بني حارثة قال ومعي غلام لنا (أو صاحب لنا) فناداه منادٍ من حائط باسمه ، قال : وأشرف الذي =

الحرز الثامن : الاستعاذة من همزات الشياطين وأن يحضرون :

قال اللَّه تبارك وتعالى : ﴿وَقُل رَّبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَاتِ الشَّيَاطِينِ ﴿٩٧﴾ وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَن يَحْضُرُونِ﴾ [المؤمنون: ٩٧، ٩٨] .

عن الوليد بن الوليد رضي اللَّه عنه أنه قال : يا رسول اللَّه إني أجد وَحْشَةً ، قال : «فإذا أخذت مضجعك فقل : أعُوذُ بكلمات اللَّه التامة من غَضَبه وعقَابه وشرِّ عبَاده ومن همزاتِ الشياطين وأن يَحْضُرُون ، فإنه لا يضرُّكَ وبالحرِّىٰ أن لا يقربك»(١) .

الحرز التاسع : الاستعاذة من همز الشيطان ونفخه ونفثه :

وذلك لما أخرجه أحمد بإسناد صحيح (٢) لشواهده من حديث

= معي على الحائط فلم ير شيئًا فذكر ذلك لأبي فقال : لو شعرت أنك تلقى هذا لم أرسلك ولكن إذا سمعت صوتًا فناد بالصلاة فإني سمعت أبا هريرة يحدث عن رسول اللَّه ﷺ أنه قال : «إن الشيطان إذا نودي بالصلاة ولّى وله حُصاصٌ» .

(١) أخرجه أحمد بإسناد مرسل لكن له شاهد من حديث عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده قال: كان رسول اللَّه ﷺ يعلمنا كلمات نقولهن عند النوم من الفزع : «بسم اللَّه أعوذ بكلمات اللَّه التامة من غضبه وعقابه وشر عباده ومن همزات الشياطين وأن يحضرون» ، وأخرجه أحمد أيضًا وكذلك الترمذي وقال : حسن غريب .

(٢) فقد أخرج أحمد وأبو داود من حديث جبير بن مطعم رضي اللَّه عنه أنه رأى رسول اللَّه ﷺ يصلي صلاة فقال : «اللَّه أكبر كبيرًا اللَّه أكبر كبيرًا اللَّه أكبر كبيرًا ، والحمد للَّه كثيرًا والحمد للَّه كثيرًا والحمد للَّه كثيرًا وسبحان اللَّه بكرة وأصيلاً . «ثلاثًا» أعوذ باللَّه من الشيطان من نفخه ونفثه وهمزه» ، قال : «نفثه : الشعر ، ونفخه : الكبرياء ، وهمزه : الموتة» . وفي بعض طرقه عند أحمد : «اللهم إني أعوذ بك من الشيطان الرجيم من همزه ونفخه ونفثه» .

قلت : أما همزُهُ ففسر في الحديث بأنه الموتة ، وقال أبو عبيد ـ كما في اللسان ـ الموتة : الجنون ، قال : وإنما سماه همزًا لأنه جعله من النخس والغمز .

وقال أبو عبيد أيضًا : وإنما سمي النفث شعرًا لأنه كالشيء ينفثه الإنسان من فيه مثل الرُّقية .

الفهارس العامة

١ - فهرس الفوائد .
٢ - فهرس أطراف الحديث .
٣ - فهرس الموضوعات .

١ ـ فهرس الفوائد

الموضوع | الصفحة

١ ـ الفوائد الحديثية

الموضوع	الصفحة

٢ ـ فوائد في الجرح والتعديل

٣ ـ فوائد بلاغية ونحوية وإملائية

الموضوع	الصفحة

٤ ـ الإجماع

٥ ـ (الجمع بين ما يوهم التعارض)

الموضوع | الصفحة



٢ ـ فهرس أطراف الحديث

(حرف الباء)

(حرف الكاف)

(حرف اللام)

الحديث	الراوي	الصفحة
طيبة فقلت...»	ابن عباس	٢٢٦
ـ لما نزلت بنو قريظة على حكم سعد بن معاذ بعث إليه وكان..	أبو سعيد الخدري	١٥٨ هـ
ـ لما نزلت ﴿لا يستوي القاعدون من المؤمنين﴾ قال: «ادعوا فلانًا» فجاءه...		٨٧
ـ لما نزلت ﴿لتسألن يومئذٍ عن النعيم﴾ قال الزبير: يا رسول الله...	الزبير بن العوام، أبو هريرة	٥١١ هـ ٥١٢ هـ
ـ لما نزلت هذه الآية ﴿سبح اسم ربك الأعلى﴾ قال: «اجعلوها في سجودكم»		٢٦٨
ـ «لو استقبلت من أمري ما استدبرت ما سقت الهدي»	عائشة	٨١٤ هـ
ـ «لو أن أحدكم إذا أراد أن يأتي أهله قال: بسم الله ...»	ابن عباس	٨٢٠
ـ «لو كنت راجمًا بغير بينة لرجمت هذه»	ابن عباس	٨١٤ هـ
ـ «لولا أن أشق على أمتي لأمرتهم بالسواك»	أبو هريرة	٨١٤ هـ
ـ «لولا أنكم تذنبون لخلق الله خلقًا يذنبون فيغفر لهم»	أبو أيوب	٢٣٧
ـ «لولا حدثان عهد قومك بالكفر لأتممت البيت على قواعد ..»	عائشة	٨١٤ هـ
ـ «ليس أحدٌ يحاسب إلا هلك» قلت: يا رسول الله جعلني الله فداك أليس...	عائشة	١٩٨
ـ «ليس البر بالإيضاع»		٤٧٣
ـ «ليس الخير كالمعاينة»	ابن عباس	٥٠٦ هـ
ـ «ليس الشديد بالصرعة ولكن الذي يملك نفسه عند الغضب»		٧٠٠
ـ «ليس المسكين بهذا الطواف الذي ترده اللقمة واللقمتان ..»		
ـ «ليصل أحدكم نشاطه»	أنس بن مالك	٣٩٩ هـ
(حرف الميم)		
ـ «ما أذن الله لشيء ما أذن لنبي حسن الصوت يجهر بالقرآن»		١٩٤
ـ «ما العمل في أيام العشر أفضل من العمل في هذه»	ابن عباس	٣٢٠
ـ ما أنت بمحدث قومًا حديثًا لا تبلغه عقولهم إلا كان لبعضهم فتنة	ابن مسعود	٢٧٥
ـ «ما جلس قوم مجلسًا يذكرون الله تعالى فيه إلا حفتهم الملائكة..»		٢٩٨
ـ ما رأيت أحدًا من الناس كان أشبه به كلامًا ولا حديثًا ولا جلسة		

الحديث	الراوي	الصفحة
- «من صلى البردين دخل الجنة»	أبو موسى	٥٩٣
- «من صلى العشاء في جماعة فكأنما قام نصف الليل ...»	عثمان بن عفان	٨٠١ هـ
- «من عال جاريتين حتى تبلغا جاء يوم القيامة أنا وهو ...»	أنس بن مالك	١٢٣
- «من عمّر مسيرة المسجد كتب له كفلان من الأجر»	ابن عمر	٥٨٢
- «من عمل عملاً ليس عليه أمري فهو رد»	عائشة	٢٩٠ هـ
- «من قال : بسم اللّه الذي لا يضر مع اسمه شيء في الأرض..»	عثمان بن عفان	٨٠٨
- «من قال : لا إله إلا اللّه وحده لا شريك له له الملك ...»	أبو هريرة	٨٠٨
- «من قتل نفساً معاهدة بغير حقها حرم اللّه عليه الجنة»	ابن عمر	٥٩٢
- «من كنت مولاه فعليّ مولاه»		٦٠٩
- «من مات وهو يعلم أن لا إله إلا اللّه دخل الجنة»	عثمان بن عفان	٥٩٣
- «من نزل منزلاً فقال : أعوذ بكلمات التامات من شر ما خلق ..»		٦٩٥، ٦٩٦
- «من يسر على معسر يسر اللّه عليه في الدنيا والآخرة ...»	أبو هريرة	١٩٢
- «الماهر بالقرآن مع السفرة الكرام البررة»	عائشة	٩٣
- «المؤمن القوي خير وأحب إلى اللّه من المؤمن الضعيف ..»	أبو هريرة	٨١٤

(حرف النون)

الحديث	الراوي	الصفحة
- «ناركم جزء من سبعين جزء من نار جهنم» قيل : يارسول اللّه: إن كانت كافية . . .	أبو هريرة	٤٨٤
- «نضر اللّه امرأ سمع مقالتي فوعاها ثم أداها كما سمعها ...»		١٠٤
- «نعم إذا رأت الماء»	أم سلمة	٦٠٧
- «نعم هو في ضحضاح من نار ولولا أنا لكان في الدرك الأسفل..»	العباس	٥٩٨، ٥٩٩
- «نعمتان مغبون فيهما كثير من الناس الصحة والفراغ»		٥٢٥، ٧٨٧
- نهى أن يشرب الرجل قائماً	أنس بن مالك	٦٠٥
- نهى عن الصلاة بعد الصبح حتى تشرق الشمس وبعد العصر . .	عمر بن الخطاب	٣٨٨ هـ
- نهى عن صلاتين : بعد الفجر حتى تطلع الشمس وبعد العصر . .	أبو هريرة	٣٨٨ هـ
- نهينا عن اتباع الجنائز ولم يعزم علينا . .	أم عطية	٥٠٤ هـ ، ٥٠٦
- «نهيتكم عن زيارة القبور فزوروها ونهيتكم عن لحوم ...»	بريدة	٤٩٨، ٥٠٣



٣ ـ فهرس السور والموضوعات

الموضوع	الصفحة

الموضوع | الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع | الصفحة

الموضوع الصفحة

الموضوع الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع | الصفحة

